

قال وكان الملك كسرى جعل رقباء على النعمان من خواصه فكانوا كل شيء يجري يطلعونه عليه ويكتبون به اليه ومن اول ما نزل عنتر في وادي الرمال واخذ من بني شيبان الحريم والاموال اعلموه بتلك الاحوال ولما اسر الاسود كتبوا له واعلموه بجلية الامر فغضب حتى كادت عيناه تلتهب كالجمر وقال ان هذا العبد السوء تمرد قبل الان لما اتى لياخذ النوق العصافيرية واصبح اسير الذل والهوان وقد قتل حاجي الخسروان ولما احضره المنذر صحبته وقتل الطريق فلما فيه السؤال وجازيناه بالاحسان واعطيناه التاج والعبيد والاموال واعدناه لقومه باحسن حال وذلك لنجعله لدولتنا نصيرًا فاصبح لقلة عقله وخساسة اصله عدوًا كبيرًا والان يسعى ان يهلكه وعشيرته ويطئ اخباره وسيرته والا طمعت فينا انذال العرب واستخف بنا كل ضارب طنب والى وحق النار ذات اللهب لابد ما انزل له مرزبانًا لياتيني به واعدمه اشر التعذيب وبعد ذلك احرقه في بيت النيران ليكون لغيره مثالاً للتاديب فقال له ارباب دولته ورؤساء مملكته ايكون لك ايها الملك نائبًا مثل النعمان يركب في عشرين الف عنان وتطيعه جميع قبائل العربان وتحتاج الى معاونته على طائفة قليلة العدد من بني عدنان والصواب ان تترك الملك النعمان يد ... وهذه حسنة فان عجز عن ذلك عرف قدره وابعث له حينئذ من يأتيه ... وتكفيه شره فقبل الملك كسرى كلام الاعيان وصبر حتى وصلته الاخبار ان عنتر اسر الاسود ومعدي كرب وخلص حريمه واموالهم من النعمان فلما سمع بذلك زاد به الغضب وخاف النيران انه لابد من قتل عنتر ومن يحمي له من العرب وجمع حينئذ ارباب دولته في مجلس واحد وقال لهم انى ارى في معوضا للنعمان اسبابًا كثيرة منها انه ... ونعلم ان ... واذا علم انه عاجز عما وليناه في هذه النوبة تكون انساكرنا ... فرسان العرب ... تم امر ... ان يجرد في يومه خمسة الاف من عساكر خراسان ... من العجم من اهل الشجاعة والشان ويقدم عليهم ... كان ...

وردشان وكان هذا وردشان جبارًا في الحرب والكفاح كانهُ ملاك يقبض الارواح واوصاه ان يكون في المقدمة ولو راى العطب وان لا يتكل على عساكر النعمان ويسعى بان يجعل الفخر للعجم لا للعرب فقال وردشان اني ايها الملك وحق النار لو امرتني بالعرب جميعًا لتلعت منهم الاثار ثم ان وردشان ركب وارتفعت فوق راسهِ الرايات وركبت وراءه الخمسة والعشرون الفًا وما يتبعها من المهمات ولم يزالوا يجدُّون المسير ليلاً ونهارًا الى ان اشرفوا على ارض الملك النعمان وكان النعمان قد علم بقدوم وردشان وقد احُصى من اجتمع عنده فوجدهم سبعين الف عنان وعول ان يسير الى عنتر في ذلك اليوم فعدل الى ملاقاة حاجب كسرى انوشروان ولما التقى النعمان بوردشان سلم عليهِ وعظم ملتقاه وبالغ في مدحه وثناه ثم قال النعمان وما الذي اشفق قلب الملك كسرى العادل حتى ارسل مثلك الى قتال الانذال العرب الاراذل فقال وردشان تواترت الاخبار بعجزك عن هولاء الانذال حتى انك فديت اخاك الاسود بالمال فشق ذلك على كسرى وانفذني لاحمل عنك هذه الاثقال. فقال النعمان كذب الذي نقل عني العجز للملك كسرى العادل ولكن قد امهلت شغوبنه فحصل ما هو حاصل واما الان فقد جمعت عساكري عليهِ وكنت في هذا اليوم سائرًا اليهِ فضحك وردشان وقال وهذا ايضًا من كبريائك لانك تريد ان تسير بسبعين الفًا لقبيلة قليلة العدد ساقطة النسب ولا تدري انك بهذا تجعلهم نظراءك وتظهر بفعالك انك تخشى ذلك العدد وهو لا يخشاك. ثم انهُ نزل وردشان بارض الحيرة بمن معهُ من الرجال وسار ثاني الايام قاصدًا جبال الردم ووادي الرمال وما التفت الى عساكر العرب ولا خطروا لهُ على بال واول من سار معه الامير حجار بن عامر الكندي بمن معهُ ولحق بهِ الربيع ... بني زياد وبني فزارة فساروا جميعًا معهُ فقال الربيع للامير حجار يا امير ... وردشان كيف تقدم لياخذ الاسم والفخر للعجم فقال حجار يا ربيع لا كلام حتى نصل ... ... لتجاة وغرايب الافعال واني وحق ذمة العرب ان طمع نفسهُ هذا وردشان ... ... من ... جير العجم ثم ركب الملك النعمان وركب وراءه ... عساكر العربان وتبعت قدامهُ الموقات ونشرت فوق راسهِ الرايات ... ... وراء تسائل العربان وقلبهُ مضطرب لما سمعهُ من وردشان ... ... من عنتر فانهُ كان ارسل اخاه جريرًا الى الحيرة وقال ... ... وارجع بصدق العلم والبيان فسار جرير ... ... الحيرة ... وامتزج بين تلك الجموع الكثيرة وما زال ينتم

حتى وصل الحاجب وردشان وجرى ما تقدم في هذا الشان فسار مع العساكر القاصدة اخاه نصف يوم ثم سبق ودخل الجبال واخبر اخاه عنترًا بقدوم القوم ثم قال يا اخي اني ما نظرت عيناي اجبر من هذا الحاجب وردشان فانهُ ليس لاحد عنده قدر ولا شان فلما سمع عنتر هذا الكلام صاح فيهِ حتى اذهل منهُ الجنان وقال الى كم تعظم هذا الطنجير من الاعجام وتطنب في وصف النعمان واني احسبهما ومن معهما من الجيوش كالاغنام او الثعبان واني وذمة العرب واصحاب المقال لاتركت احدًا منهم يهتدي على طريق و يصل الى هذه الجبال ثم ان عنترًا قام من وقتهِ وساعتهِ واتى الملك زهير واخبره بما سمع من اخيهِ جرير واستشاره بما يراه لنقاء تلك العساكر فقال يا ابن العم لاتدبير هنا الا ضرب البواتر ثم قال وحق ذمة العرب لابد ان نضرب بالسيف قدامك وندافع عن الحريم والعيال حتى تعثر الخيل برؤوسنا في المحال فقال عنتر ايها الملك ان الامر دون هذا وذلك انكم انت واولادك لاتباشرون حربًا ولا تسعون الى قتال الى ان تنهب القوم جسدي على الرماح الطوال واريد ايها الملك ان اخذ معي الف فارس واسير لملاقاة هذه العساكر في هذه البراري والقيعان ولا امكنهم من الوصول الى هذا المكان الا بعد طعن يذهل الفرسان ويشيب الولدان فقال شيبوب وانا يا ابن الام اسير معك ولكن بشرط انك تسمع ما اشير وتصنع ما ادبره من الامور فقال عنتر قل ما تريد يا ابا رياح وكيف لا اسمع كلامك اذا رايت فيهِ الصلاح قال شيبوب الراي عندي انك تسير بالف فارس كما ذكرت الى وادي السيل الذي لابد للعساكر من المرور فيهِ في النهار والليل فتكمن الى ان تصل العساكر وتزدحم هناك فتخرجون عليهم كالاسود فتسقونهم كاسات الهلاك وان اتفق دخولهم ذلك الوادي في الليل كان ذلك عليهم من الشوم والويل لان السيف يعمل من بعضهم في البعض وتخاف العجم وتتشتت في جهات الارض فقال عنتر ورب الارباب لقد اشرت بالصواب ومن لا يركب الاخطار لا ينال ما يختار واذا تم هذا نخرج من بينهم بعد ان نرمي الصوت فيهم ونمسك اطرافهم وجوانبهم فمن هرب اسرناه ومن مانع قتلناه قال شيبوب وانا افرغ كنانتي قدامي وكل من تعوق منهم اضع لهُ نبلة في فواده اقلبهُ عن جواده ولما اتفقوا على هذا التدبير قال عنتر هيا يا ابن العم على المسير فامر عروة بن الورد وفرسانهُ الشداد وانتخب ثلاثة الاف من بني عبس وقرادوا علموا انهُ من بعد تخليص بني عبس من الاسود وفك اسره وجد من بني عبس ثلاثة الاف من اصحاب الشجاعة والجاه ثم تجمع اليهم الذين كانوا [illegible] من بني عبس في البلاد فصار عسكرهم نحو اربعة الاف من الابطال وكلهم تحت

امر عنتر في تلك الجبال فركب عنتر ظهر جواده الابجر وركبت خلفهُ الفرسان وسار قدامهم شيبوب وكانهُ من عفاريت سيدنا سليمان وكان وادي السيل اقرب الى وادي الرمل فسبق عنتر عساكر الملك النعمان بنصف يوم واكمن لمن ياتيهِ من القوم وصعد شيبوب الى رؤُوس الجبال وقعد لهم ديدبانًا ينظر الى اليمين والشمال وما صار اخر النهار الا والغبار سد الاقطار وظهر من تحتهِ عساكر كعدد الرمال على شواطي البحار فعندها صاح شيبوب يا ابن الام خذ حذرك وتاهب للقاء الاعدا في هذا الوادي واورثهم الفناء والدمار وكانت العجم في الطريق قد خاسرت مع العرب فبذلوا فيهم السيوف والرماح واوقعوا فيهم العطب وكان اول من اقبل وردشان وحولهُ عساكر العجم وهو يهز في يدهِ عمودًا اطول من علم ويلتفت الى اليمين والشمال وفي قلبهِ شدة الخوف والاندهال وكان هذا وردشان يبغض العرب بغضًا لا مثيل لهُ وكل من جاء قدامهُ في الطريق قتلهُ لانهُ كان راى ان الفناء حل باصحابهِ فاخذ من بقي وسار في ذلك البر وجنابهِ الى ان وصل الى تلك الوادي والشعاب فانقضَّ عليهِ عنترة كالعقاب فسمعهُ يذكر النار ويدمدم كانهُ نمر في وسط غاب فطعنهُ في صدرهِ طلع الرمح يلمع من ظهرهِ فتفرقت اصحابهُ كالجراد وسألهم اصحابهم فاخبروهم بما فعل عنترة بن شداد ولما سمعت عساكر النعمان انهُ قتل الحاجب وردشان عول كل منهم على الهرب وخافوا جميعًا من الهلاك والعطب فركب النعمان في بني لخم وجذام واخذ ينادي ويلكم لا تمكنوا عساكر العجم من الدخول في هذا الليل في الوادي الا لقينا عنتر وافنى جميع العسكر وعملت الفرسان ما امرهم بهِ النعمان وردوا من سلم من عساكر العجم واتوا جميعًا في ذلك البر الاكم وما زالوا على ظهور الخيل الى ان طلع الصباح وانقضى الليل فامر الملك النعمان ان تتقدم العساكر وتسير الرماح والبواتر فاول من تقدم الاسود ومعدي كرب كانهما من اسود البيد وتبعهم بنو لخم وبنو زبيد وسارت وراءهم القبائل وهم جميعًا بالخوف والانكاد من ملاقاة عنترة بن شداد ولما وصلوا في وسط الوادي راوا سيل الدماء ورموا ابن القتلى فتعجبوا من افعال عنتر وما فيهم الا من اضطرب خوفًا وتحير فقال معدي كرب للاسود وذمة العرب الجياد ما ولدت النساء ولن تلد مثل عنترة بن شداد فقال الاسود وذمة العرب لا بد من قتل بني عبس اجمع وتركهم عبرة لمن يرى ويسمع قال الراوي ولما وصلوا الى وادي السيل ودخلهُ النعمان ونظر سيل الدماء ورمم اولئك القتلى تعجب من ذلك وتحير وعظم في عينيهِ عنتر ووقعت في قلبهِ محبتهُ حتى صار كانهُ صديقهُ الاكبر وزادت رغبتهُ في زواج ابنتهِ بمكيم المتجردة لانهُ ذكر ما تمناهُ النعمان بالبنا

فردهُ زهير ابخس ردة فخليت لهُ عند الامتناع وتعشقها على السماع فصار لا يقدر على نوم وقد غلبهُ حب المتجردة وازداد فيهِ من يوم الى يوم وهو من عزة نفسهِ لا يشكو الى احد ويتسلى باستعادة وصفها من اخيهِ الاسود لانهُ لما سبي بني عبس وقعت في يده فراى حسنها والجمال فكان يحدث اخاه النعمان عنها بما يذهل العقل ويشغل البال ولما راى النعمان فعل عنترة وبني عبس بعساكر العجم زادت رغبتهُ فيهم وقال في نفسهِ اذا صاهرتهم وكانوا انصاري فلا اخاف من جميع الامم وما زال سائرًا بمن معهُ الى الجبال وكان عنترة سبقهُ الى هناك بالاسرى والاموال فاستبشر بنو عبس بفعل عنترة وطابت قلوبهم على القتال ودخل عنترة على الملك زهير واخبرهُ بما فعل وذكر لهُ من اسر ومن قتل ففرح الملك زهير واستبشر بالنصر والخير فقال عنترة تبقى علينا ايها الملك ان نتاهب الى عساكر النعمان ونحمي حريمنا وعيالنا في هذا المكان لانهُ اذا اجتمعت علينا العدى اصطادوا كلاً منا واسقوه كاس الردى ثم ان عنترًا امر اخاه جريرًا ان ينادي في بني عبس باخذ الاهبة للقتال وان يخرجوا جميعًا الى خارج الجبال وقسم عنتر عبيد بني عبس على كل مضيق يحرسون منهُ الطريق وان كل من رآه خارجًا الى القتال يتركونهُ وكل من رآه راجعًا يقتلونهُ ثم قال لهم وان رايتمونا كاننا قد انكسرنا ورجعنا عن القتال ارجمونا بالحجارة وامنعونا عن دخول الجبال فاعتدوا للحرب وخرجوا كما تخرج الاسود من الدحال وركب الملك زهير ونشرت على راسهِ رايات العقاب ورمحت الفرسان مداخل المضيق كانها اسود الغاب وما فرغوا من ترتيب المواكب حتى طلع النهار وقد اقبلت عساكر النعمان وملأت تلك الاقطار والملك النعمان تخفق فوق راسهِ الرايات والاعلام والجيوش تتبعهُ من عرب واعجام ولما اراد النزول دقت الطبول حتى اهتزت الارض وماجت حولهُ العساكر كيوم العرض ولمعت البيارق والرايات الذهبية ورنت الكاسات الكسروية ونصبوا للملك النعمان السرادق واحاطوهُ بالمضارب ودارت تلك الجيوش بجبال الردم من كل جانب فنزل مفرج بن هلال وبنو شيبان ومعدي كرب والجيداء وبنو زبيد وبنو مراد عن يمين الملك النعمان ونزل بنو زياد وبنو مرة وبنو كندة عن شمالهِ في تلك القيعان وكان بنو كندة في غاية القهر والاحزان لان الامير عنترة كان قد اسر اميرهم حجارًا عند ما قتل وردشان ولما نظر بنو كندة الى بني عبس وهم متفرقون على تلك الجبال قلوا في عيونهم غاية الاقلال ونظروا الى الامير عنترة راكبًا قدامهم وهو كالاسد الكاسر وقد اخرج رجلهُ من الركاب وثناها غير مكترث بكثرة العساكر وكان عن يمينهِ ابوهُ شداد وعن شمالهِ عروة بن الورد وجماعة من بني قراد فتقدم بنو كندة وقد

سبقتهم بنو شيبان وكان جميع هولاء المتقدمين نحو خمسمائة من الفرسان واغاروا طالبين عنترة بن شداد فالتقاهم عروة ورجالة المائة واخذ معهم في الحرب والجلاد فتطاعنوا بالارماح ومزقوا الدروع والعدد وكثر على عروة ورجالهِ الاضداد فاردفهم عنترة بمائة اخرى من بني قراد ومعهم عمهُ زخمة الجواد وابوهُ الامير شداد وحينئذٍ ثارت الاحقاد وتطايرت الرؤوس عن الاجساد وتحكمت بالاعناق السيوف الحداد واستمر عنترة واقفاً مكانهُ وهو يراعي رجالهُ وفرسانهُ وكلما ضعف جانب ارسل لهُ من يصلح شانهُ وكلما كثر الاعداء في جانب يهجم عليهم فيفرقهم ويشتت مواكبهم ويمحقهم ويعود الى ذلك المكان ويراعي دائرة الحرب والفرسان والعساكر تتعجب من فعالهِ وتجنب الوقوع بحبالهِ . وما زالوا كذلك حتى عبر نصف النهار ووقع على بني كندة وبني شيبان الانبهار واكثرهم طلبوا الفرار وكان عروة ورجالهُ متشجعين بعنترة فلم ياخذهم ملل ولا كلال وقد قتلوا من بني كندة وشيبان نحو اربعمائة فارس وقتل منهم نحو عشرين من الابطال وعند عودتهم التقاهم عنترة وهناهم بالسلامة وصار يشجعهم على حمل الاثقال والاضامة ويقول لهم يا بني العم لا تعلوا المنازل الا بالصبر على النوازل وانكم قد اكتسبتم اليوم من الفخر ثوباً جديداً والذي قتل منكم لو لم يحن اجلهُ ما قطع في جلدهِ الحديد فقال عروة يا ابا الفوارس ما جرى هذا التوفيق الا بهمتك ولا كسرت الاعداء الا بسطوتك فشكرهُ عنترة على مقالهِ وعاد وهو محاط برجالهِ اما الملك زهير فانهُ قوى قلبهُ في ذلك اليوم وتفاءل بالنصر على القوم والتقى عنتراً وزاد لهُ بالشكر والثناء وقال لهُ يا ابا الفوارس ما دمت لنا لا نبالي بكثرة الاعداء . قال عنترة ايها الملك ابشرك بالانتصار على الاعداء وعسكرهم الجرار لاننا اذا تقابلنا بعسكر الملك النعمان كنا نحن الكثيرون وذلك انهم سبعون الفاً ونحن اربعة الاف وكل واحد منا يلقى الفاً منهم بلا خلاف ففرح الملك زهير بكلام عنترة وقال صدقت يا ابا الفوارس ولكن من اين لنا لكل الف بطل مثلك يلقاها ويحل بها فناها فقال عنترة وحياة راسك ايها الملك السعيد اني لا ازال اسقي الاعداء كاسات الكدر وادافع القضاء والقدر حتى اعدم السمع والبصر او ارزق من الله النصر والظفر . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عساكر النعمان فانهم رجعوا واخبروهُ بما جرى ذلك النهار فاخذهُ من فعل عنترة وبني عبس العجب والانبهار وكان هو في سرادقهِ لا يرتضي الخروج بذلك الجيش العظيم الى قبيلة قليلة العدد وعبد زنيم فعندها قال في بالهِ ان عنتراً رجلاً مسعوداً وقد جعل الحرب دابهُ فان لم نكاثره بالرجال فلا ننال منهُ مقصوداً ولما اصبح الصباح واضاء

بنوره ولاح ثارت الرجال وصهلت الخيل شوقاً للمجال وركب الملك النعمان ليشاهد سيف ذلك اليوم معمعة القتال وركب عن يمينه اخوه الاسود ومعدي كرب والجيداء ومعهم عشرون الفاً من الفرسان وعن شماله مفرج بن هلال والربيع واخوته وبنو فزارة ومعهم عشرون الفاً من الابطال والشجعان واوقف النعمان بقية العساكر من لخم وجذام وبقية العربان ليجعلهم ردفاً عند الاقتضاء والامكان . قال الراوي وكان عنترة قد صف عساكره ميمنة وميسرة وجعل صفوفاً متقدمة وصفوفاً متاخرة فجعل في الميمنة عروة ورجالة وكلهم على الالف من بني عبس الشجعان وفي الميسرة اباه شداداً وعمه زخمة الجواد واضاف اليهم تمام الالف من الفرسان ووقف في الوسط الملك زهير واولاده ومعهم الف من الابطال الاعيان وتقدم هو قدام الجميع ومعه الف فارس من كل قوي الجنان ولما ترتبت الصفوف وتقابلت المئات والالوف واذا بالامير عمارة بن زياد قد برز بين الصفين على ظهر الجواد ونادى باعلى صوته يا بني عبس الى كم طول غفلتكم وماذا حملكم على اتلاف مهجكم وكيف ترتضون بالموت والفنا لاجل متابعة هذا العبد ولد الزنا وقد عاديتم لاجله الملك النعمان واغضبتم كسرى انوشروان اتظنون ان هذا الغدار يقدر يرد عنكم هذا الجيش الجرار وانت يا زهير الذي تدعي ملك عبس وعدنان وفزارة ومرة وذبيان اتطلب النصر من عبد ليس له قدر ولا شان فوحق ذمة العرب انك البستنا ثوب العار بين عربان القفار والصواب انك تقبض على هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم وتسلمه اليّ حتى اسلمه للملك النعمان واتلافي امركم عنده واخذ لكم الامان وحينئذٍ يجتمع شملنا ونرجع الى ارضنا كلنا ونزوج عبلة الى من هو مثلها في الحسب والانساب مثل الامير عمارة الوهاب لانها تصلح له ويصلح لها ولا تصلح لمن كان يرعى جمالها وبعد هذا انت على تدبير نفسك اقدر وقد اعذر من انذر . قال الراوي وما اتم عمارة كلامه حتى تقدم اليه الامير شداد وصاح في وجهه صوت يشيب رؤوس الاولاد وقال له تكلتك امك وعدمك قومك ولا سقيت الغيث يا نذل يا جبان يا منحوس يا مهان فانكم يا بني زياد قد زاد بكم الحسد والنكاد لولدي عنتر وقد شقت مرائركم سطوة سيفه الابتر وها انتم تدعون الحسب والنسب وما فيكم من يقف قدامه اذا خامره الغضب وتعيرونه بالعبودية وتطلبون ذمامه وتهربون من بين يديه اذا سل حسامه ويلك يا عمارة كم خلصكم من الاسر والبوائق وكم حمى حريمكم والرماح خوارق ولكن وحق من ارسى شوامخ الجبال لو انصفتموه لبان لكم ولد الزنا من ولد الحلال لانكم انت واخوتك اولاد حرام ولا تعرفون الجميل ولا فعل الكرام لان ولدي

خماكم بسيفه وانتم بغيتم عليه وسيرجع عليكم بغيكم وعواقبه وترون من هو الخاسر اذا ثار الغبار وازدحمت مواكبه فما انكم قد جلبتم لنا الجموع والجنود وبلغتم في عداوتكم المجهود فدعونا نفرق هذه الكتائب وندفع ما جلبتم علينا من المصائب والا نقصدكم بسيوفنا الحداد ونمحو ذكر بني زياد وندع هذه العساكر تذبح فينا ونحن نذبح فيكم حتى يفنونا بعد ان نفنيكم . قال الراوي فلما سمع عمارة كلام شداد التفت الى اخيه الربيع وقال يفعلونها وحق رب العباد ويا ليتني ما نطقت بهذا المقال فلن احضر في حرب ولا في نزال وعاد عمارة من بين الصفين وقد بهاجم اليه بنو قراد وهم عنترة ان ياخذه اسيراً فمنعه ابوه شداد واذا بالجيداء ابنة زاهر قد برزت الى الميدان غارقة في الحديد والزرد كانها البرج المشيد وهي من حزنها على ابن عمها خالد محروقة الفؤاد ولابسة السواد ولما صارت بين الصفين اسكبت العبرات واكثرت التحسرات وانشدت تقول

يا لقومي قد قرّحَ الدمعُ خدي ... وجفاني الرقادُ من عظم وجدي

ولباسُ الحديدِ قد هدّ حيلي ... واذابَ السقامُ عظمي وجلدي

كانَ لي فارسٌ سقاهُ المنايا ... عبدُ عبسٍ بجورهِ والتعدي

بدرُ تمٍّ هوى الى الارضِ لما ... رشقتهُ السهامُ من كفِّ عبدِ

وتركني من بعدِ انصارِ جندي ... في همومٍ اكابدُ الوجدَ وحدي

يا قتيلاً بكتْ عليهِ البواكي ... في جبالِ الفلا وفي ارضِ نجدِ

كانَ مثلَ القضيبِ قدّاً ولكن ... قدّهُ صرفُ دهرهِ ايَّ قدِّ

يالقومي من يكشفُ الضيمَ عني ... ويراعي من بعدِ خالد عهدي

قال الراوي وما فرغت الجيداء من هذه الابيات حتى صاحت بنو زبيد صيحة واحدة هزت الاودية والجبال وارجفوا الخيل والرجال وتذكروا قتل اميرهم خالد بن محارب فانطبقوا على عنترة من كل جانب وكانوا نحو خمسة الاف فارس وتبعهم نحو الفين من بني لخم وجذام من كل مداعس وحملوا جميعاً وقدامهم معدي كرب وهو يزمجر كالاسد اذا غضب ونظرهم عنترة فعلم انهم قاصدون اليه لما في قلوبهم عليه فاخذ معه مقدار ثلثمائة فارس من بني عبس واستقبلهم بكل طيبة نفس وصار ان ضرب شطر وان طعن دمر واذا ضايقته الخيل يصرخ فيها فيردها على الاعقاب ويرمي عن ظهورها الركاب وقد احمرت من الغضب اماقه وتكسست من الزبد اشداقه وبينما هو باشد الطعن والقتال راى الجيداء تنخي عليه الابطال فهجم عليها كانه الاسد الرئبال وارادت ان تفتل العنان فاعترضها اسرع من لمح العيان

وطعنها في جنبها فرماها فهمت وعانقت الجواد وفرت وهي مرعوبة الفؤاد ولما نظر معدي كرب فعل عنترة في بنت عمه الجيداء هجم عليهِ وصاح فيهِ ويلك اظن ان الايام كلها على السواء اليوم اخذ منك الثار واكشف عني العار ولما نظر عنترة الى معدي كرب التقاه وصاح فيهِ صوتاً زعزع الارض قدامهُ ووراءه وضايقهُ ولاصقهُ وسد عليهِ طرايقهُ وانتضى سيفهُ الضامي وضرب معدي كرب ضربة جبار لا يصطلى لهُ بنار فوقع السيف على الخوذة فقطعها وقطع الرفادة وجرحه جرحاً يلقي مثلهُ على الوسادة فقام وعانق جواده وهرب طالباً خيامهُ ورفقاه والدم يسيل على وجههِ وقد اعماه فلما نظر الملك الاسود الى ما فعلهُ عنتر غضب حتى عدم السمع والبصر وحمل هو والعشرون الفاً على عروة بن الورد ورجالهِ واراد ان يفوز منهم باماله ولما راى عنترة حملة الملك الاسود صاح الى شيبوب ويلك يا ابا رباح سر الى الملك زهير وقل لهُ لا يفارق مضيق الجبال ويرسل لي من عنده الف فارس حتى التقي بهم الملك الاسود ومن معهُ من الابطال ويكون مطمئناً طيب القلب والنفس واذا راى الملك النعمان حمل بنفسهِ يحمل هو حينئذٍ في سائر بني عبس فاجابهُ شيبوب الى ما طلب والقى ساقيهِ الى الرياح حتى وصل الى الملك زهير وبلغهُ ما اوصاه عنتر من بشائر النصر والخير. قال الملك زهير السمع والطاعة وارسل لهُ الف فارس من بني عبس تضرب في شجاعتهم الامثال وما فيهم الا من ينتصر على الالف في ساحة المجال وما وصلوا الى عنتر الا وكان قد فعل افعالاً تعد وتذكر لانهُ كان ادرك عروة ورجالهُ والتقى الملك الاسود وعساكره بضرب لا يبقي ولا يذر وقتل من الخلق ما لا يحصى ولا يقدر لانهُ علم ان عليهِ اعتماد بني عبس والاتكال فابدى في ذلك اليوم الاهوال وقطع الاوصال ولما وصلت الالف الفارس كشفوا رؤوسهم وصاحوا عن فرد لسان يا لعبس يا لعدنان وانطبقوا على تلك الجيوش فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم بين الفريقين وسال وما كنت ترى الا قاتلاً ومقتولاً والسيف من قبل ملك الموت رسولاً وتعاظمت البلايا في تلك الساعة ورخصت في ذلك السوق كل بضاعة وتعاقمت الرزايا وحارت الخواطر وشكت الارض من ثقل الحوافر وما زالوا على تلك الحال حتى حل بعساكر الاسود الفناء والعطب وعول كل منهم على الفرار والهرب فولوا الادبار وركنوا الى الفرار لانهُ ما امسى المساء حتى قتل من العشرين الفاً فوق الخمسة الالاف من سيوف الاعداء ولما تشتتوا وصاروا في جهات الارض كالجراد المنتشر امنوا على نفوسهم من الخطر ورجع عنهم عنتر وبنو عبس وهم فرحون بالنصر والظفر وكلهم يثنون على الامير عنتر وهو سائر قدامهم

كانهُ شقيقة الارجوان مما سال عليهِ من دماء الفرسان . قال الراوي وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الملك زهير فترجل عنترة واراد ان يقبل يديهِ فمنعهُ الملك وترجل اليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وشكره واثنى عليهِ وقال لهُ لله درك يا فارس الزمان وحامية عبس وعدنان وحق ذمة العرب انك اليوم فعلت ما يشفي الغليل ويذكر جيلاً بعد جيل فقال عنترة وحيوة راسك يا ملك الزمان لا بد غداً ان اخذ الملك النعمان اسيرًا من تحت الاعلام واجعلك انت تحكم مكانهُ على جميع العربان وبعدها اركب على كسرى وازلزل الارض على راسهِ واحكم مكانهُ واملك الايوان ومن لم يطعني من بلاد العجم وخراسان قطعت راسهُ بالسيف اليمان فلما سمع الملك زهير قول عنترة تعجب من كلامهِ وقوة قلبهِ واهتمامهِ وعلم انهُ يقول ويفعل لانهُ اذا كان الرجل مسعود الطالع لا تقف في طريقهِ الموانع وبعد ذلك دخلوا الجبال وباتوا فرحين مع عيالهم والاموال بعد ان رتبوا الحرس على ابواب الجبال واكثروا من وقود النار حتى صارت الانوار مثل النهار

الكتاب الثاني والعشرون من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان سيد قبائل العربان فانهُ لما راى ما جرى على عساكرهِ من ابي الفوارس عنتر انذهل وتحير وتشوش خاطره وتكدر وارسل في طلب وزيره عمر بن نفيلة ليستشيره في الخلاص من تلك الورطة الوبيلة لانهُ كان اوسع الناس فهمًا وارفع حكمةً وحلمًا فلما حضر فرح بهِ واستبشر وقال لهُ اعلم ايها الوزير النصير ومن اليهِ الراي والتدبير قد ادركتنا الحملات من سائر الجهات فامامنا الموت الاحمر ووراءنا الخوف والخطر لاننا قد دهينا بابطال وفرسان كانها مردة الجان لا تخاف طعن الرماح ولا تهاب لذع الجراح وقد احضرتك الان لاستشيرك في صلح بني عبس وعدنان فقال الوزير يا ملك الزمان وخليفة كسرى انوشروان اليوم قد استظهر بنو عبس علينا واخاف ان ارسلت اليهم بالصلح يطمعون ويأتون غارة الينا لانهم يقولون لو لم يكن قد ملأ خوفنا قلب النعمان ما كان ارسل يطلب منا الصلح والامان والصواب انك تدركهم بالمواكب وتقحمهم بكثرة العساكر والكتائب وتحيط بهم من كل جانب وتبذل فيهم السيوف والقواضب والرماح الكواعب وتسد في وجوههم الطرقات والمذاهب وحينئذٍ يجيبونك الى ما انت طالب فاستصوب النعمان منهُ ذلك المقال وبات تلك الليلة وفي قلبهِ من فعال عنترة نار الاشتعال ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح حمل الملك النعمان في سائر قبائل العربان وبرز الى ساحة

الميدان . قال الراوي ولما تقابل الفريقان والتقت حلقتا البطان صاح عنترة بين اذني الحصان فخرج من تحته كانهُ سرحان واقتحم معركة الطعان والتقى بصدره عوامل الاشطان وتبعهُ الابطال والشجعان بقلوب اقوى من الصوان كانها اركان لبنان او هضاب قرمان وارتفع الصياح من كل جانب ومكان وانعقد الغبار الى العنان وارتجت السهول والوديان من صهيل الخيل وضجيج الفرسان واشتبك القوم بين ضراب وطعان وضاقت في وجوههم البراري والقيعان حتى كادت النفوس من هول المقام تذوق كؤوس الحمام قبل ذوقها وقع السيوف والسهام وفي دون ساعة غيبت المعمعة جميع الفرسان بضبابها وكشرت المنية عن انيابها وفتحت في وجوه الرجال ابوابها وانشبت في لحومهم مخلابها ومزجت لهم كاساً مرّاً من صافي شرابها فمالت الابطال على وجوهها واجنابها وطارت الجماجم من اعالي رقابها ونفذت الاسنة في قلوبها والبابها واختلفت الطعان فكثر خطاها وصوابها وثلمت القواضب من تواتر طعانها وضرابها وتخضبت الاكف بالدماء وقد كرهت خضابها وايقنت النفوس بهلاكها وذهابها وانكشفت الشمس وكان القتام حجابها وزادت نار الحرب اشتعالاً وعظم التهابها وتعبت الخيل حتى عجزت عن تحريك اذنابها وعظم لفقد رجالها مصابها وكثر بكاها وانتحابها وشابت من الفرسان فتيانها وشبابها وكانت الحرب مثل جهنم وعنترة بابها وقد ابصرت الاعداء من بني عبس غير ما كان في حسابها . قال الراوي ودام القتال على على مثل ذلك الحال حتى عول النهار على الارتحال واقبل الليل بالانسدال فدقت طبول الانفصال وعادت الابطال عن المجال وقد ملت من الصدام وكلت من ضرب الحسام وطلب كل فريق مضاربهُ والخيام وامتلأَت الارض من القتلى وتخضبت ساحاتها بالدما ورجع عنترة من معركة الطعان كانهُ شقيقة ارجوان مما سال عليهِ من ادمية الفرسان وهو يتذكر ما جرى لهُ في ذلك اليوم المهول وينشد ويقول

ياعبلَ قرّي بوادي الرمل آمنةً ... من العداةِ وان خوّفتِ لا تخفي
فدونَ بيتكِ أُسدٌ في انامِلِها ... بيضٌ تقدُّ اعالي البيض والحجفِ
لله درُّ بني عبسٍ لقد بلغوا ... كلَّ الفخار ونالوا غايةَ الشرفِ
خافوا من الحرب لما ابصروا فرسي ... تحتَ العجاجةِ يهوي بي الى التلفِ
ثم اقتفوا أَثري من بعدِ ما علموا ... إنَّ المنيَّةَ سهمٌ غيرُ منصرفِ
خضتُ الغبارَ ومهري ادهمٌ حلكٌ ... فعاد مختضباً بالدم والجيفِ
ما زلتُ انصفُ خصمي وهو يظلمني ... حتى غدا من حسامي غيرَ منتصفِ

وان يعيبوا سواداً قد كسيت به ... فالدر يستره ثوب من الصدف

قال الراوي فلما سمع الملك زهير كلامه هناه بالسلامة وقال له لله درك ودر ابيك وبارك اللات والعزى فيه وفيك فما افصح كلامك وامضى حسامك فوالله لولاك لم يرجع الينا من اصحابنا احد لاني رايت العرب قد سالت عليهم مثل البحر اذا ازبد فبهيبتك انتصروا وبسيفك فتكوا وظفروا فشكره عنترة على ذلك الكلام وزاد له في التوقير والاحترام واما الملك النعمان فلما ابصر ما جرى وكان اشتعل في قلبه لهيب الجمر واختلى بوزيره عمرو لانه كان يحبه ويصغي الى نصائحه ويعد قربه من اعظم مناجحه قال له وحق النور والنار ان اتانا يوم اخر مثل هذا النهار لم يبق منا نافخ نار ولا من يطلب بثار وهذه مصيبة عظيمة وداهية جسيمة ما سمعنا بمثلها ولا شاهدنا على شكلها وان لم تدركنا حماة القبائل بالعساكر والجحافل والا اصبح ملكنا زايل فقال الوزير ايها الملك المؤيد ما اهلك الناس الا ذلك العبد الاسود لانه فرق المواكب ومزق الكتائب فان لم يقتل او يجرح لا يفلح جيشنا ولا ينجح قال النعمان وحق النار ذات الشرار لو كنت اعلم اني القى من بني عبس هذا الملتقى واشقى في قتالهم هذا الشقا ما كنت خرجت من بلاد العراق وكلفت نفسي ما لا يطاق وانما قلت متى وصلت الى هذا المكان بالمواكب والفرسان اضايقهم بالحصار غاية الضيق وامسك عليهم كل مذهب وطريق ثم اطلب المتجردة منهم وافرج بعد ذلك عنهم واتخذ عبدهم عنترة لي من بعض الاصحاب والاصدقاء والاحباب لانه اذا كان خلفي مثل ذلك الفارس الادهم والبطل الغشمشم وقعت هيبتي في قلوب العجم وصرت عند كسرى العزيز المحترم والان قد هانت نفسي عندي وزاد بهولاء القوم وجدي وان لم ابلغ منهم املي والا مت بغير اجلي قال الراوي ثم انه نزل في سرداقه الكبير وهو يفتكر في هذا الامر العسير ودار الحرس بين الطائفتين واوقدت بني عبس النار على الجبلين ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت عساكر النعمان الى ميادين الطعان بنبات فاترة وهمم ضعيفة قاصرة لان اكثرها كان قد اتى طمعاً في نهب الاموال وتحسين الاحوال وما ظنت انها تلقى من بني عبس هذا النكال ولما ابصرت منهم تلك الفعال يئست من بلوغ الامال وفترت نياتها عن القتال لانها قد شاهدت الموت قبل حلول الاجال فعند ذلك صاح عنترة في بني عبس فركبت مثل السباع الجياع وتبادرت الى الحرب والقراع بقلوب لا تفزع ولا ترتاع وقد حدثتها انفسها بتمزيق تلك القبائل وتفريق شمل تلك الجموع والجحافل وفي دون ساعة من الزمان وصل الى الملك النعمان نجدة من بني قحطان في اثني عشر الفاً من الفرسان وهم قبائل مختلفة

الاديان وفيهم طائفة تعبد الشمس والقمر وتسجد له كلما هلّ وبدريقال لهم بنو الاشتر والمقدم عليهم فارس منتخب يسمّى غاسق بن الاصهب وكان حامية بلاد اليمن وتلك الاطلال والدمن تضرب بشجاعتهِ الامثال وتتعوذ من قتالهِ صناديد الرجال وكان قصير القامة ازرق العينين اسمر اللون كبير الانف والشفتين شديد الحيل والغضب قليل المثل في العرب قد حنكتهُ قوارع الخطوب وكوتهُ صروف الايام ووقائع الحروب وكان الملك النعمان ينفذ له الهدايا على طول الزمان ويغمرهُ بجزيل الاحسان ويتحفهُ بالعطايا الحسان ولما جرى عليهِ ما جرى وكان من بني عبس وعدنان ارسل اليهِ كتاباً صحبة نجاب يقول له تعال انت وسائر حلفائك ومن يطيعك ويهوالك لاننا قد اشرفنا على الهلاك ووقعنا في ضيق العراك وسوء الارتباك مع قوم لئام غير كرام يفسخون الذمام ولا يعرفون الحلال من الحرام فلما وصلت هذه الرسالة الى غاسق بن الاصهب رحل في اثني عشر الفاً من شجعان العرب واقتفى من النعمان الاثر الى ان ادركهُ كما تقدم الخبر فالتقاه النعمان بالتوقير والاكرام والتعظيم والاحترام وشكا له ما فعل عنترة برجالهِ وكيف انهُ فتك بفرسانهِ وابطالهِ وبدد شملهم وفرقهم وشتتهم ومزقهم وقتل منهم ما لا يحصى ولا يبلغهُ الاستقصا فلما سمع غاسق كلامهُ طيب قلبهُ وازال خوفهُ ورعبهُ ووعده بكسر الاعداء ولو كانوا بعدد رمل البيداء ومن عجبهِ بنفسهِ خلع ما عليهِ من الحديد وسلمهُ الى بعض العبيد واخذ في يدهِ ثلاث حراب كانها نار الالتهاب وعطف الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان كانهُ مارد من الجان او من عفاريت سيدنا سليمان وطلب براز الابطال وقال يا معاشر الانذال ابرزوا لي فرسانكم المذكورة وابطالكم المشهورة حتى اريكم كيف يكون الحرب والوقوف في مقام الطعن والضرب وها انا عاري الجسد قليل السلاح هدف لشبار القواضب واسنة الرماح لاني اعلم ان الاجل اذا حضر وكان مقدراً كائن لا تردهُ الدروع ولا الجواشن فابرزوا لي ابطالكم الصناديد فاني لا اتكبر على الاحرار ولا العبيد ولا افضل اصحاب النسب ولا اذم عبيد العرب بل الخلق عندي بالسوية لان الفخر ليس في النسب والمراتب السنية لان اهل السماح تفتخر بالعطا وينال الشرف من ثبت في مثل هذا المقام وتجنب الخطا .

قال هذا ما جرى من غاسق بن الاصهب وابطال بني عبس تنظر اليهِ وتتعجب وكان الملك زهير قد اعتراه غم جسيم من قدوم هذا البطل العظيم وعلم ان النعمان ملك عظيم الشان وان العرب اليهِ متتابعة مثل العيون النابعة فاشتغل لذلك سره واطال في امر الخلاص فكره وعلم عنترة بحالهِ وما هو فيه من انشغال بالهِ فقال له كن مطمئن الخاطر

ولا تخش من كثرة هذه العساكر لانهُ اذا اشتد علينا الضيق دخلنا الى الشعاب ومسكنا راس المضيق وحفظنا منافذ الطريق وطاولناهم بالحصار ولو انهم بعدد رمل القفار ولا نصالح النعمان الا على ما نريد ونختار وان لم يجبنا الى ذلك ركبت في عشرة انفار من ابطال المعارك وسرت بهم تحت ذيل الليل الحالك وقصدنا مضارب النعمان وقتلناهُ وملنا على هذا الجمع وفرقناهُ لانهُ متى قتل النعمان تفرقت قبائل العربان وتبددت جموعها في اقطار الارض ونهبت بعضها البعض . قال الراوي فبينما عنترة يتحدث مع الملك زهير ويعدهُ بالنصر والخلاص من الضنك والضير اذا بفارسٍ من بني عبس برز الى غاسق وانقض عليهِ مثل الباشق واراد ان يجول معهُ في الميدان كما تفعل الابطال والفرسان فما تركهُ غاسق ان يفتل العنان بل هجم عليهِ وفاجاهُ وضرب رمحهُ فابراهُ وطعنهُ بحربة في صدرهِ خرجت تلمع من ظهرهِ فوقع قتيلاً وصار على الارض جديلاً فبرز اليهِ فارس اخر فقتلهُ وعجل الى المقابر مرتحلهُ وابصر عنترة هذه الفعال فتغيرت منهُ الاحوال اسفاً على الرجال وقال الى من حولهُ من الابطال ان انا برزت اليهِ بالسلاح وقاتلتهُ ما اكون انصفتهُ وان بارزتهُ من دون سلاح ورأى الغلبة ولى وهرب واختلط بقبائل العرب فقال شيبوب يا ابن الام انا اخرج اليهِ واضربهُ بالنبال واوسع معهُ في المجال وحينئذٍ تبصر اننا اقوى في العصب واسرع في الجريان عند الطلب قال عنترة ما انت من رجال هذا الشيطان ولا تقدر ان تقاربهُ في الميدان لان اعطافهُ تشهد بالشجاعة وقوة الجنان فبينما هما في المحاورة والكلام اذ قد برز اليهِ عروة بن الورد البطل الهمام وهجم عليهِ هجوم الاسد الضرغام وقال لهُ لا بد لي ان اسقيك كاس الحمام واقطع راسك بهذا الحسام فلما سمع غاسق كلامهُ تهلل وقال لهُ وحق الليل اذا انسدل والنذر اذا اكتمل ما قلت الا قول الشجاع البطل ولكن اين من يقول ويفعل ثم انطبق عليهِ وحمل ولطمهُ بضربةٍ قويةٍ على صدرهِ القاهُ عن جوادهِ على ظهرهِ فنزل اليهِ وشد كتافهُ واوثق سواعدهُ واطرافهُ وسلمهُ الى بعض الرجال ثم قال لاحد الابطال قدم لي جوادي واله حربي وجلادي حتى انجز امر هولاء اللئام قبل هجوم الظلام فاتاهُ برمحٍ مكعب وجوادٍ منتخب من افخر خيول العرب فركبهُ غاسق واستلب الرمح الخارق واخذ بيدهِ الاخرى حربة ماضية وحمل على بني عبس حملة واهية وقد قلوا في عينيهِ وهانوا عندهُ وحدثتهُ نفسهُ انهُ يكسرهم وحدهُ وينال بذلك الطبقة العليا والافتخار على اهل الدنيا فقتل اربعة من اعيان الرجال وفرسان المعارك والقتال ثم رجع بعد شيءٍ يسير ومعهُ اسير يقودهُ قود البعير فسلمهُ الى بعض الغلمان وقال لهم اطلعوا بهِ الملك النعمان

حتى اسقي من بقي كاس الهوان فتامل عنترة في ذلك الاسير المقاد واذا به ابوهُ الامير شداد فقامت عليهِ القيامة واستفاضت فيهِ الحسرة والندامة وانقض على غاسق وفاجاهُ واراد ان يخلص اباهُ فاعترضهُ غاسق وصاح فيهِ وناداهُ وانطبق الاثنان على بعضهما في القتال كانطباق الجبال وانسع عليهما المجال ولعبا بالرمحين وعادا الى بين الصفين فلم تسمع اذنٌ ولم ترَ عينٌ اعظم مما جرى لهذين الفارسين ومن شدة فرح النعمان بغاسق خرج من تحت الاعلام والبيارق وتقدم الى نحو الغبار ليكشف الاخبار وتقدمت وراءهُ الابطال وكثر القيل والقال وصاح الملك زهير في بني عبس وعدنان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم كونوا على اهبة اللقاء اذا قضى على عنترة بقضاء ورايتم طوائف النعمان قد حملت عليكم في هذا المكان فالتقوهم بضرب الحسام ولا تموتوا الا كما تموت الكرام. قال الراوي فعند ذلك جردت بنو عبس صفاحها وعلا منها صياحها وقد عزمت ان تلقي على الموت ارواحها وبلغ الخبر الى حريمها والعيال فاقلبت بصياحها الجبال وكشفت رؤوسها خوفاً على الاطفال وارخت الذوائب على الاكتاف وخافت القلوب غاية المخاف ورفعت اصواتها لعنترة بالدعاء وقد اشارت عبلة باصبعها الى السماء ولطمت خدودها حتى تخضبت بالدماء خوفاً من السبي بعد الصون والحماء وكذلك فعلت سمية زوجة شداد وعلا البكاء وزاد ودام بين عنترة وبين خصمهِ الجلاد حتى عاد بياض النهار الى سواد وراى كل واحدٍ من صاحبهِ ما لا يرى وحار الفريقان مما جرى وما زال الامر على مثل ذلك حتى انقضى اكثر النهار وقد استظهر عنترة على غاسق غاية الاستظهار فعلم غاسق منهُ ذلك الحال فاراد ان يخدعهُ بالمحال وكان الغبار عليهما قد انعكف فاعوى غاسق جوادهُ ووقف وقال الى عنترة يا وجه العرب وسيد اهل الشجاعة والادب من تكون من الفرسان فاني ابصرت منك ما لم ابصرهُ من غيرك من الشجعان وقد سمعت ان لبني عبس فارساً يقال لهُ عنترة بن شداد ومن اجلهِ قد اتيت الى هذه البلاد ودخلت تحت طاعة الملك النعمان وقلت في نفسي اني اذا قتلتهُ افتخرت بقتلهِ على اهل الزمان وما خرجت اليوم في هذا البراز الى الميدان الا لاريهُ طرفاً من شجاعتي ويقع في قلبهِ هيبتي فربما يطيع النعمان ويجيبهُ الى ما يريد واحظى انا بالذكر الحميد والان فقد رايت منك ما اضعف جناني واتعب ساكبي وسناني فبحق رب العباد أانت هو عنترة بن شداد فقال عنترة اي نعم وحق خالق الامم انا هو الرجل الذي سمعت بصفتهِ ورايت طرفاً من شجاعتهِ ولولا انك لم تكن قد خرجت الى معركة الكفاح وانت خالٍ من السلاح ما كنت بقيت حياً الى الآن فكنت لك ما قتلت واسرت من الفرسان

والان لم يبق لك مني فرج ولا خلاص من هذا الحرج الا بالانفصال وبلوغ الامال حتى تكون فدى لمن اسرت من الابطال فان اردت السلامة من الجراح سلم روحك الي وارح تعب الكفاح والا وحق الكريم الفتاح طعنتك في بعض المقاتل وتركتك ملقى قتيلاً بين هذه القبائل فلما سمع غاسق كلامه اجابه من فؤادٍ موجوع وقد اظهر له الذل والخضوع اعلم ايها البطل الندب انني سمعت عنك انك مصفت في الحرب وارى كلامك هذا من اشد الكلام الصعب وانا ما تكلمت بذلك القول لا من خوفٍ ولا شدة بل لوجوه عدة اولها انك خرجت الي وانا تعبان وقد قاتلت جماعة من صناديد الفرسان والوجه الثاني تامرني بان أسلم روحي اليك وابقى مثل الحرمة بين يديك ولكن اني اردت الانصاف اسمع ما ابديه لك من غير خلاف وهو ان نقلع سنان رمحك وانا اقلع من رمحي السنان فكل من علم على خصمهِ ثلاث مرات وكان في جسدهِ اكثر الطعنات وشهدت له بذلك السادة الامجاد تصرّف برفيقهِ كيفما اراد ان شاء عتقهُ وان شاء قتلهُ وضرب عنقهُ . فلما سمع عنترة كلامهُ صدقهُ لانهُ كان سليم القلب صافي الطوية ولم يعلم بان نية غاسق ردية فاجابه الى ما دعاهُ وقلع سنان رمحهِ ورماهُ فعند ذلك هجم عليهِ غاسق اسرع من لمح البصر واستلب حربة من تحت فخذهِ الايسر وطعن بها صدر الامير عنتر فوقعت في كتفهِ خرجت من الجانب الاخر فتتعتع عنتره وتأخر حتى كاد ان يقع عن ظهر جوادهِ الابجر ثم قوّى عزمهُ والتقى خصمهُ وصاح فيهِ بصوت مهول اهتزت منهُ الجبال والسهول وهجم عليهِ هجمة الليث المغوار وقال لهُ خذها يا غدار من يد عنترة فارس الاقطار وطعنهُ بالرمح في صدرهِ خرج يلمع من ظهرهِ فسقط الى الارض يختبط بعضهِ البعض وعاد عنترة وقد اشتد بهِ الالم وحل بهِ الاسف والندم ودخل بين الجبلين وقد حارت من فعالهِ العسكرين الاّ انهُ ما وصل الى داخل الجبال حتى نفرت من خلفهِ الرجال وتبعتهُ الفرسان والابطال واراد الملك زهير ان يكشف اخبار عنتر لانهُ كان قد خاف عليهِ من بني الاشتر فراى جموع اليمن قد حملت مثل البحر الدافق طالبة ثار سيدها الامير غاسق والربيع بن زياد يصيح فيها ويخبها ويقول دونكم يا قوم وبني عبس فقد قتل عبدها وحاميها وانهزمت تطلب الجبال خوفاً من الهلاك والوبال قال ووقع النفير في قبائل العرب فاطبقت على بني عبس مثل الغيث اذا انسكب وحمل الملك الاسود ومعدي كرب وكل فارس منتخب وابصر الملك زهير هذا الحال فعاد في باقي الابطال وحمل بنفسهِ وطلب القتال والتقت الرجال بالرجال وعملت الرماح والنصال وجرى الدم وسال وعظمت الاهوال وتقطعت المفاصل والاوصال

وضاقت ميادين المجال وتزلزلت الارض بالزلزال واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الاجال ومازالوا في اشد القتال حتى زهقت النفوس وطارت الاعناق والروس وصارت الخيل في بطون القتلى تدوس وكان يوماً مهولاً اشد من حرب البسوس اظلمت من هوله الافاق وودعت الارواح الاجساد توديع الفراق ونزلت عليهم تقادير الملك الخلاّق وكان النهار على القوم قد ضاق فوقع في بني عبس المحاق فتاخرت ومسكت راس الشعب ومنافذ الطريق واشتغل الضرب بين الفرسان بالحراب والمزاريق وما زال الامر على مثل ذلك الى ان ولّى النهار واقبل الليل الحالك فرجعت بنو عبس الى الخيام واكلوا شيئاً من الطعام واحضر الملك زُهير عنترًا الى حضرتهِ فاعتنقهُ وهناهُ بسلامتهِ وحدثهُ بما جرى عليهم في غيبتهِ فقال عنتر والله يا مولاي ما كان قعودي عنكم باختياري وانما القضا قد احدث شيئاً ما لم يكن بافتكاري ولكني لا ابالي بالجراح وسوف ترى ما افعل بهذه العساكر عند الصباح . قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان فانهُ نزل وهو بالنصر فرحان ولما استقر في السرادق دخلت عليهِ سادات اليمن من اصحاب غاسق وكذلك اخوه الاسود ومعدي كرب وجميع فرسان العرب وهنأوه بالنصر على الاعدا والاضداد وما فيهم الا من اشار عليهِ بقتل عروة وشداد وطلبوا بذلك اخذ الثار وكشف العار فقال لهُ اخوه الاسود ان الصواب ايها الملك المهاب ان تامر بقتلهما بعد ما تعذبهما اشد العذاب فلما سمع النعمان ذلك الكلام قال لمن حولهُ من السادات الكرام وحق بيت النار المعظم والجمر اذا اضطرم انني اتاسف على هذه القبيلة كيف تهلك وتعدم بعد ما التقت بقلة عددها هذه الطوايف والامم فقال لهُ الاسود وقد اظهر الغيظ والحرد هل مرادك ان تفرق هذه الابطال ونرحل من هذه الاطلال بعد ما فعل بنا عبدهم ما فعل من الاحراق والاذلال وانا اقسم بحق النور والنار انهُ لا يبقى لنا عند احد قيمة ولا مقدار لان العرب تقول ان الملك النعمان قد فزع من بني عبس وعدنان فيزداد فينا الطمع ويرتفع ذكرهم اوفى مما ارتفع فقال مرادي ان ارسل الى الملك زهير رسول واخطب منهُ اسيرتهُ واسمع ماذا يقول قال فلما سمع القوم كلام النعمان خرجوا من عنده من غير استئذان ثم اجتمعوا بالاسود وقد اظهر الغيظ والحرد . فقال لهم اصبروا ايها السادة الكرام حتى ننصر نهاية هذه الاحكام فان صالح اخي آل عبس واصرف عنهُ هذه القبائل كتبت انا الى كسرى الملك العادل واقول لهُ ان اخي كان سبباً في قتل حاجبك وردشان ومن معهُ من الفرسان لانهُ ارسل الى عنتر فارس الخيل وامره ان يكمن للعجم في الوادي تحت ظلام الليل حتى جرى

من الامر ما كان ولا ازال حتى اعزلهُ واتولّى مكانهُ على العربان ثم اكاتب العرب والعجم واقلع اثار اخي من بين الامم واقيم ناموس الملك كسرى المعظم فلما سمعوا مقالهُ ما منهم الا من شكره ودعا لهُ وانشرحت خواطرهم وابتهجت سرايرهم . قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان فانهُ لما خلا لهُ المكان احضر وزيره عمرو ليستشيره في ذلك الامر لانهُ كان يحبه ويرفع موضعهُ اذا حضر ويقبل من رايهِ كلما نهى وامر فلما اختلى بهِ شكا اليهِ حب المتجردة وطلب منهُ في ذلك المعاونة والمساعدة وقال لهُ يا ابي انهُ لا يهون عليّ هلاك هذه الطايفة العبسية والعصابة القوية لانهُ اذا كان خلفي مثل هذه القبيلة وفارسها عنتر تعاظم امري واشتهر وعظم صيتي وانتشر وتغلبت على طوايف البدو والحضر وجميع سكان البر الاقفر ثم حدثهُ بما سمع من الرؤساء والقواد بقتل عروة والاميرّ شداد فلما سمع كلامهُ اتاه الامر كما اراد لانهُ كان يحب عنتر وبنو عبس الاجواد فقال لهُ يا ولدي ارسل الى القوم رسول وارفق بهم في كلام المعقول قال يا ابي كن انت الرسول الى القوم لعلهُ يقع الصلح ويبطل العتب واللوم فقال الوزير انا اسير اليهم وابذل الجهد الجهيد في خطبة المتجردة ابنة زهير ذات الحسن الفريد والصواب عندي ايها الملك السعيد ان تخلع على عروة وشداد الخلع الجياد وتطلقهم من الاعتقال وقد انصلح الحال وبلغت الامال فاستحسن النعمان هذا المقال ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح احضر النعمان شداد ابو عنتر وعروة بن الورد الفارس القسور وخلع عليهما الخلع الملوكية والثياب الكسروية وقال لهما يا وجوه العرب وحق النار ذات اللهب ما اواخذكما بسوء افعالكما ولا اقابلكما على اعمالكما لان نيتي لكما جميلة واريدكما ان تسيرا مع وزيري عمرو بن نفيلة وتساعداه في خطبة المتجردة بنت الملك زهير ولا تعودوا اليّ الا بالخبر الخير والا وحق منسم الارياح وخالق الاشباح امرت العساكر ان تبذل فيكم السيوف والرماح حتى لا يبقى منكم ديار ولا نافخ نار فلما سمعا منهُ هذا الكلام التجما من شدة الحيا بلجام وتقدم شداد وقبل يد الملك النعمان وقال لهُ يا ملك الزمان من لا يعرف قدر الاحسان ما هو انسان ولا بد ما نجتهد في تميم هذا الشان ونكون لك من جملة الخدم والغلمان قال وما تكلم شداد بهذا الكلام الا مما وقع في قلبهِ من الخوف والاوهام لانهُ قد ايقن بالهلاك والوبال لاجل ما فعلهُ ولده عنتر بالابطال فما صدق ان يسمع ذلك الخطاب حتى انعم واجاب فعند ذلك ركب الوزير وعروة وشداد من الجنائب الجياد وقصدوا بني عبس عند طلوع الشمس . قال الراوي وكانت بنو عبس قد ركبت عند الصباح الى معركة الكفاح واذ قد اقبل الوزير مع شداد وعروة اليهم والجنايب تقاد

بين يديهم فلما عرفوهم اندهش منهم الكبير والصغير وتقدموا مسرعين الى لقاء الوزير وترجلوا له الى وجه الارض وسلموا على بعضهم البعض ثم انهم انزلوا الوزير في الخيام واكرموهُ غاية الاكرام فلما قربهُ المقام قدم لهم الخلع والانعام وقاد للملك زهير الجنايب الحسان التي ارسلها لهُ الملك النعمان وقال لهُ قد ارسلني النعمان اليك وهو يسلم ويخطب منك ابنتك المتجردة حتى تبقى القبيلتين قبيلة واحدة ففرح الملك زهير بذلك الخبر وزال عنهُ القلق والضجر غير انهُ تمنع بين الابطال واطرق راسهُ الى الارض من دون مقال فقال الامير شداد اطلق اللسان ياملك الزمان وجازي الحسنات بالاحسان لمن قدر علينا واحسن الينا فعند ذلك رفع الملك زهير راسهُ في ذلك المحضر والتفت على الامير عنتر وقال لهُ ماذا تقول يافارس البدو والحضر فقال ماذا اقول في رجل قد اطلق ابي واعتق حبيبي وصاحبي والا وحق ذمة العرب الكرام ما كان صار بيننا وبينهُ صلح ولا ذمام وما كنا نصالحهُ الا على ما نريد ولو تشتتنا في اقطار البيد وبعد ذلك ايها الملك السعيد لا بد لابنتك من زوج يكون لها بعلاً وتكون لهُ اهلاً فهل تلقي رجلاً اعظم من النعمان او اعلا فلما سمع كلام عنتر انعم واجاب وقد ساعدتهُ جماعة من المحبين والاصحاب وقال للوزير ايها السيد المنتخب قد اجبت الملك النعمان الى ما طلب فابنتي لهُ امة وانا لهُ من جملة الخدمة ففرح الوزير واستبشر بذلك الخبر وقد سرت السرائر وابتهجت الضمائر ودقت في عساكر النعمان البشائر واجتمع الملك زهير بالملك النعمان وانصلح الحال بعد النفور والعدوان واطلق بنو عبس من كان عندهم في الاعتقال من السادات والابطال.

قال ومن شدة غيظ الملك الاسود التهب فؤاده وتوقد وقال كما ان اخي اعتز ببني عبس واركن اليهم وطلب مصاهرتهم واعتمد في اموره عليهم فانا اصاهر بني فزارة معدن الجود والفخر ثم انهُ خطب اخت سيدهم الامير حذيفة بن بدر وكانت موصوفة بالحسن والجمال والادب والكمال فاجابهُ الى ما طلب لانهُ كان يحبهُ وفيه يرغب فخلع واوهب وفرق الفضة والذهب وقد اصلح النعمان بين بني عبس وفزارة وبين عنتر والربيع عمارة واستمال قلوب الفرسان وقواد العسكر وخلع عليهم من نفائس الاموال والجوهر ونوادر البدو والحضر ما ادهش البصر وابهت النظر وبعد ذلك تفرقت سادات العربان وفي قلوبها على بني عبس النيران وقد اوعدها الاسود بمكاتبة كسرى انوشروان ثم ارتد الملك النعمان راجعاً الى الاوطان وهو فرحان بمصاهرة بني عبس وعدنان. قال الراوي واما ما كان من عساكر خراسان الذين انكسروا في وادي السيل بعد قتلهِ وردشان فانهم تفرقوا في البراري

والقيعان وما زالوا في هزيمتهم حتى وصلوا الى المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بما جرى فسألهم عن النعمان وما بدأ منه وكان فقالوا انه ما دخل معنا الى الوادي ولا مكن العرب ان تساعدنا على حرب الاعادي وما كان الناصح معنا ايها الملك المؤيد الا اخاه الاسود فلما سمع كسرى ذلك الخبر استشاط غضباً وتكدر وسجد الى النار ذات الشرر وقال وحق الشمس والنور وتربة جدي سابور لا بد من قتل النعمان ومن يحتشد له من طوائف العربان فبينما هو على مثل ذلك اذ قد ورد اليه كتاب من عند الملك الاسود صحبة نجاب يقول له اعلم ايها الملك العادل والسيد الجليل الفاضل اطال الله بقاك وحفظ وجودك وسناك ان اخي النعمان الذي وليته على رعيتك قد خامر عليك وعلى دولتك وباع الدولة الكسروية لاجل شهوة دنية لانه استجار ببني عبس وخطب ابنة سيدهم زهير وباداهم بالاحسان والخير واجارهم بعد ما ذلوا وصالحهم بعد ما ضعفوا وقلوا وقد اوقفتك على حقيقة الخبر فكن على حذر فلما قرئ الكتاب على راس الملك كسرى قامت عليه القيامة الكبري وصار من شدة الغيظ لا يسمع ولا يرى وقال الى من حوله من الغلمان كاننا ما اهلكنا الابطال والفرسان الا لاجل قضاء حاجة النعمان والرأي الاصوب هو ان يهان ويؤدب والا طمعت فينا شيوخ العرب ثم انه استدعى بخداويد ولده وهو الموصى له بالملك من بعده وكان اشد اولاده بأساً واعظمهم مراساً عالي الهمة كثير الحكمة فلما حضر بين يديه اعاد القصة عليه وقال له ان الملك يريد له هيبة وناموس والا اصبح صاحبه بين الملوك موكوس ولا يامن من النكد والبوس وان لم يكن لدولتنا هيبة داخل الملوك فينا الطمع واندرس ملكنا وانقلع واريد منك الآن ان تركب في جيوش كثيرة وتسير الى الحيرة وتقبض على النعمان وتضع السيف في من احتمى له من الفرسان ولا ترجع الى هذا المقام حتى تنتقم من بني عبس غاية الانتقام وتعلق رؤوس ساداتهم على اركان البيت الحرام واما الاسود فاخلع عليه الخلع الحسان واتحفه بالفضل والاحسان ووليه مكان اخيه على مملكة العربان فلما سمع من ابيه ذلك المقال نهض في ساعة الحال مبادراً الى قضاء الاشغال وامر كسرى قائداً من القواد يقال له زرد كال بن قباد وكان رفيع النجاد قوي العماد ان ينتخب مائة وخمسين الفاً من ابطال العجم وفرسان الديلم ويسير مع ولده ليرتب قواعد الملك مع العرب ويساعده على بلوغ الارب وكان المذكور اخو وردشان الذي قتله عنتر كما تقدم الخبر فامتثل امره فيما حكم وانقاد الى جميع ما رسم وفي ثلاثة ايام انتخب من عساكر الاعجام كل بطل همام واسد ضرغام وفي اليوم الرابع رحلت العساكر كانها الغمام قاصدة الحيرة وتلك الرسوم والاعلام

قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان فانهُ لما وصل الى الحيرة اخذ في تجهيز المهر واُلهي عن نوائب الدهر وكان يظن انهُ يحظى من كسرى بكتاب او بخطاب فلم تكن الا مدة يسيرة وبرهة قصيرة حتى شرف عليهِ خداوند بجيش العجم فايقن بالهلاك والعدم وركب في جماعة من سادات العشائر وقصد تلك العساكر وترجل امام خداوند ودعا لهُ بالعز ودوام السعد فتقدم الحاجب زرد كال وقبض عليهِ وحاطت ابطال الفرس حواليهِ فقال لهُ خداوند قد غرك الزمان يانعمان حتي جازيتنا بالقبح بعد الجميل والاحسان فلما سمع منهُ ذلك الكلام الجم لسانهُ بلجام وندم على ما فعل وحل في قلبهِ الخوف والوجل ثم امر بسجنهِ مع من يلوذ بهِ من حماة القبائل وكماة الجحافل وان تضع في ارجلهم القيود والسلاسل واستدعى بالاسود فحضر وامتثل وعلم ان برج سعده قد اكتمل فوضع على راسهِ تاج من تيجان الاكاسرة واخلع عليهِ الخلع الفاخرة وقال لهُ اعلم ان الملك العادل كسرى انوشروان قد بلغهُ نصحك لنا ومخامرة اخيك النعمان وقد اختارك ان تكون نائبًا لهُ على مملكة العربان وقد امرنا ان نسير من هذا المكان الى قتال بني عبس وعدنان فلما سمع الاسود ذلك الخبر قبل الارض وتاخر وقال وحق النور والنار لقد انكرت على اخي غاية الانكار ونهيتهُ عن ذلك جملة مرار فلم يلتفت الى خطابي ولم يراعي جانبي فقال خداوند قد مضى ما مضى وانتهى الامر وانقضى وما وقع النعمان الا بجريمتهِ والملك العادل قد اختارك نائبًا على رعيتهِ فكاتب قبائل ربيعة ومضر وسائر عرب البر الاقفر واعلمهم بهذا الخبر فمن اطاع احسنا اليهِ ومن ابى قلعنا منهُ الاثر فلما سمع الاسود ذلك الكلام دعا للدولة الكسراوية بالبقا والدوام وقال يامولاي ما دمت تحفظني وترعاني فجميع اهل الارض تهابني وتخشاني ثم انهُ كتب الكتب وانفذها الى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب يعلمهم بوصول الملك اليهِ ويامرهم بسرعة القدوم عليهِ وارسل الى معدي كرب الزبيدي والى حجار بن عامر الكندي واوقفهما على جلية الاخبار ووعدهما باخذ الثار وكشف العار ثم تمكن من خزاين اخيهِ النعمان وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الفرسان وذبح الذبائح واولم الولايم ومد الاسمطة للاعاجم والديالم وتولى بنفسهِ خدمة امن الملك كسري وقد فرح بما تم لهُ من ذلك الامر الذي جرى . قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من الاخبار واما ما كان من الامير حجار فانهُ بعدما اطلقهُ عنتر من الاسر والاعتقال سار الى الاطلال وهو يتقلب في الغم والكدر وقد حلت بهِ العبر وصارت نفسهُ في غاية القلق والضجر من شدة حنقهِ على عنتر ومثل ذلك جرى مع معدي كرب حتى لم يبق لهُ اسم

يذكرون للعرب ومن عظم ما حل به من الذل والهوان وآلى على نفسه انه لا يركب على ظهر حصان ولا حربه او طعان حتى ياخذ من ثاره ويكشف عنه عاره وكانت الفرسان تاتي اليه وتتوجع له مما جرى عليه وكان من جملة من قصد اليه دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة وكان سيدًا جليلاً وشجاعًا كاملاً نبيلاً وقد عاش عمرًا طويلاً وكان مع كبر سنه ذا فكر ثاقب وراي صائب وهمة تباري الافلاك وثبات يجاري السماك وكانت تسميه رحاة الحرب وتطيعه في كل امر صعب وكان معه زوج ابنته وفارس قبيلته الليث الكرار والبطل المغوار سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار وكان من جبابرة الجاهلية ومن اقران عنتر في الشجاعة والفروسية فتلقاهما معدي كرب بالترحيب والاكرام والتعظيم والاحترام ونحر لهما النوق والاغنام واقاما عنده مدة ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع اخذ دريد يمزح مع معدي بالكلام ويذمه كيف ترك مثل عنتر ياسره في معركة الصدام واكثر له من العتب والملام فلما سمع منه ذلك المقال عظم عليه وهاج في قلبه البلبال وحدثه بما فعل عنتر بالفرسان والابطال وكيف اسر مثل الامير جبار بن عامر وفرق شمل العساكر قال فتبسم ذو الخمار عند سماع هذه الاخبار وقال والله يامعدي انك تعتذر بهذا القول من كثر ما وقع في قلبك من الخوف والهول ولكن اذل الله رقبة من لا يذل عنتر ويفضحه بين البشر فقوي عزمك وكن طيب النفس واستعد لقتال بني عبس حتى اسير في صحبتك وابلغك سؤالك وامنيتك واريك ما افعل بعبدهم عنتر ومن يكسب منا ومن يخسر ففرح معدي واستبشر وطاب قلبه بذلك الخبر واقاما عنده كل ذلك النهار ثم رجعا الى الديار وارسل معدي الى الامير جبار يعلمه بما وعده به ذو الخمار ويحثه على اخذ الثار وكشف العار فاجابه الى ما طلب وتحالفا على قتال بني عبس من دون العرب. قال الراوي وما زالت الكتب تتوارد بين معدي وجبار بن عامر حتى وصلت اليهما البشائر بتنصيب الملك الاسود على مملكة العربان والقبض على اخيه النعمان ومسير عساكر خراسان مع خداوند ابن الملك كسرى انو شروان الى قتال بني عبس وعدنان فداخلهما الفرح والطرب وايقنا بنوال القصد وبلوغ الارب وارسل الامير جبار يقول الى معدي ها انا سابقك الى ارض الشربة والعلم السعدي ثم انه ركب في ستة الاف فارس من بني كندة اهل الباس والنجدة وسار يقطع البر الاقفر وقلبه يقدح بالشرر على بني عبس وعنتر. قال الراوي واما ما كان من بني عبس وعدنان فانهم كانوا قد رجعوا الى الاوطان وهم افرح الناس بمصاهرة الملك النعمان فلما وصلوا الى الديار وقربهم القرار اخذوا في اصلاح احوالهم وقد كثرت نوقهم

وحمالهم الا انه لم يمضِ على ذلك الا ايام قليلة حتى وصل اليهم كتاب من عند الوزير عمرو بن نفيلة يعلمهم بما جرى وتجدد وكيف ان كسرى قبض على النعمان واقام مكانه اخوه الاسود وقد حلف بالنار ذات اللهب انه لا يبقي منكم راس ولا ذنب فلما وقفوا على حقيقة الخبر اخذهم القلق والضجر وتبدلت افراحهم بالكدر خصوصاً عندما راوا ارض بني فزارة قد انقلبت بالافراح وارتجت من كثرة الصياح لان الاسود كان قد ارسل اليهم كتاب مع نجاب يعلمهم بتلك الاسباب فصنع حذيفة الولائم للفرسان ومن يعتمد عليهم من الاهل والخلان وقال سوف نستوفي من بني عبس ما فاتنا بالامس ولا بد من قلع اثارهم وقتل كبارهم وصغارهم فقال له الربيع بن زياد واخيه عمارة القواد وكانا عنده بمنزلة عظيمة بلا زمان حضرته كنديمي جذيمة كن يا ابن العم على اهبة الحرب واستعد للطعن والضرب وبادر اعداك بالسلب والنهب وامسك عليهم كل طريق وضرب . قال الراوي وكان الملك زهير قد احضر بني عبس الى بين يديهِ واعلمهم بما وصل من الاخبار اليهِ وقال لهم ان حضرة الوزير المحترم قد ذكر لنا في كتابهِ الذي تقدم ان خداوند سائر اليناقي عساكر العرب والعجم وقد اتفق الاسود معهم على اهراق دمانا ونهب اموالنا وسبي نسانا فلما سمع عنتر ذلك الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام وقال اعلم ايها الملك السعيد انا قد اضعنا الراي السديد .برحيلنا من تلك الجبال قبل ان نقف على اي شي ينتهي الحال والان فلا ينجينا من الاهوال ويحمي حريمنا والعيال الا الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح الطوال فارحل من هذه الاطلال واطلب بنا عساكر العرب والعجم وكل من يمشي على الارض بقدم حتى ننثر منهم القمم ونبدل وجودهم بالعدم وتبصر ما افعل بهذا الملك الجديد وكيف احول صفو عيشه بتنكيد واترك بني فزارة بعد السرور والافراح بالهم والاتراح واقيم في ديارهم البكا والنواح في المسا والصباح فلما سمع الملك زهير كلام عنتر فرح واستبشر وقال له يا ابا الفوارس وزين المحافل والمجالس اذا كان الامر على هذا الحال قل الى شيبوب ان يعلم الرجال باخذ اهبة الارتحال حتى نسير من هذه الديار تحت ستور الاعتكار ونقصد جبلي اجا وسلمى وصحراء بني علما ونقيم في تلك الجبال لانها مثل جبال الردم واصعب منها ملقى واعظم ذروة واعلا مرقى عظيمة المسالك كثيرة الاوعار والدكادك فامر عنتر الى شيبوب ان يعلم الابطال باخذ اهبة الارتحال ففعل شيبوب ما امره بهِ عنتر وتجهز القوم للسفر ثم ان عنترا استدعى برجلين من اهل القوة والشطارة وامرهما بالمسير الى ديار بني فزارة وقال لهما اقيما في ديارهم ولا تعودا الينا الا بحقيقة اخبارهم

فامتثلا امره وساروا من ذلك اليوم الى ديار القوم ورحلت بنو عبس بالحريم والعيال وحملت الهوادج على ظهور الجمال حتى وصلت الى تلك الجبال فنزلت فيها ونصبت خيامها في نواحيها . قال الراوي واما ما كان من بني فزارة الانذال فانهم لما سمعوا برحيل بني عبس من الاطلال صعب عليهم ذلك الحال وكتب حذيفة الى الملك الاسود يعلمه بما جرى وتجدد وما مضى الا ايام قلائل حتى وصل الى حذيفة الامير حجار بستة الاف مقاتل فتلقاه بالترحيب والاكرام ونصب له الخيام وقدم له من افخر الطعام والمدام واقاموا بعد ذلك ينتظرون معدي كرب ومن معه من طوائف العرب . قال الراوي ورجع العبدان اللذان ارسلهما عنتر واخبراه بما حققاه من الخبر فتشوش فكره وضاق بالهم صدره واجتمع بالملك زهير وولده مالك واخبرهما بذلك وقال الراي عندي أن نسير من هذا المكان الى من هو قاصد الينا من العربان فلما سمع الملك زهير منه ذلك الخطاب راه عين الصواب ثم انهم تاهبوا للسفر في ثلاثة الاف فارس غضنفر وتركوا قيساً في الجبال لحفظ المال والعيال بخمسمائة من الابطال وساروا من ذلك النهار يقطعون المفاوز والاوعار هذا وعنتر قد اشتعل فواده بلهيب النار واخذه الغيظ والحقد على حجار كيف منّ عليه بالاطلاق بعد الاسر والوثاق واتى يكافيه مكافاة التمساح ويجازي حسناته بالسيئات القباح فتذكر ما له من الوقائع ومن اسر وقتل من فرسان المعامع فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكتم في ضمائره فانشد يقول

عفَتِ الديارَ وباقيَ الاطلالِ ... ريحُ الصبا وتقلبُ الاحوالِ
وعفا مغانيها فاخلق رسمها ... ترداد وكف العارض المطالِ
فلئن صرمتِ الحبلَ يا ابنة مالكٍ ... وسمعتِ فيَّ مقالةَ العذّالِ
فسلي لكيما تخبري بفعائلي ... عند الوغى ومواقف الاهوالِ
والخيل تعثر بالقنا في حاجمٍ ... تهفو بهِ ويجلنَ كلَّ مجالِ
وانا المجرَّب في المواقف كلها ... من آل عبسٍ منصبي وفعالي
منهم ابي شدادُ اكرمُ والدٍ ... والام من حامٍ فهم اخوالي
وانا المنية حين تشتجرُ القنا ... والطعن مني سابق الاجالِ
ولربَّ قرنٍ قد تركت مجدّلاً ... بلبانهِ كنواضح الجريالِ
تنتابهُ طلسُ السباع مغادرًا ... في قفرةٍ متمزّق الاوصالِ
ولربَّ خيلٍ قد وزعتُ رعيلها ... باقبَّ لا ضغنٍ ولا مجفالِ

ومسربلٍ حلق الحديد مدجج كالليث بين عرينة الاشبالِ
غادرته للجنب غير موسدٍ متثنيَ الاوصالِ عند مجالِ
ولربَّ شربٍ قد صبحت مدامةً ليسوا بانكاسٍ ولا اوغالِ
وكواعبٍ مثل الدمى اصبيتها ينظرن في خفرٍ وحسن دلالِ
فسلي بني علكٍ وخثعم تخبري وسلي الملوكَ وطيِّءَ الاجبالِ
وسلي عشائر ضبةٍ اذ اسلمت بكرٌ حلائلها ورهط عقالِ
وبني صباحٍ قد تركنا منهم جزرًا بذات الرمث فوق اثالِ
زبدًا وسودًا والمقطع اقصدت ارماحنا ومجاشعَ بن هلالِ
رعناهمُ بالخيل تردي بالقنا وبكل ابيض صارمٍ فصالِ
من مثل قومي حين يختلفُ القنا واذا تزلُّ قوائمُ الابطالِ
يحملن كلَّ عزيز نفسٍ باسلٍ صدق اللقاء مجرَّب الاهوالِ
ففدى لقومي عند كل عظيمةٍ نفسي وراحلتي وسائر مالي
قومي الصمام لمن ارادوا ضيمهم والقاهرون لكل اغلب صالِ
والمطعمون وما عليهم نعمةٌ والاكرمون ابًا ومحتد خالِ
نحن الحصى عددًا ونحسب قومنا ورجالنا في الحرب غير رجالِ
منا المعين على الندى بفعالهِ والبذل في اللزبات بالاموالِ
انا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفُّ عند تقاسم الانفالِ
ناتي الصريخَ على جيادٍ ضمرٍ خمص البطون كأنهنَّ سعالِ
من كل شوهاء اليدين طمرَّةٍ ومقلصٍ عبل الشوى ذيالِ
لا تأسينَّ على خليطٍ زايلوا بعد الألى قتلوا بذي اغتالِ
كانوا يشبون الحروب اذا خبت قدمًا بكل مهندٍ فصالِ
وبكل محبوكِ السراةِ مقلَّصٍ تنمو مناسبهُ لذي العقالِ
ومعاود التكرار طال مصبهُ طعنًا بكل مثقفٍ عسالِ
من كل اروع للكماة منازلٍ ناجٍ من الغمرات كالريبالِ
يعطي المئين الى المئين مرزءٍ حمال مقطعةٍ من الاثقالِ
واذا الامورُ تخوَّلت التيتهم عصمَ الهوالكِ ساعةَ الزلزالِ
وهمُ الحماةُ اذا النساء تحسرت يومَ الحفاظِ وكان يومَ نزالِ

يقصدون ذا الاخيار الحي وفيهم . حلم وليس حرامهم بحلال
والمطعمون اذا السنون تتابعت محلاً وضن سحابها بسجال

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره طرب الملك زهير من محاسن نظمه ونثره وقال والله يا حامية عبس وعدنان ونادرة هذا الزمان لقد فقت بفصاحة اللسان على شعراء العربان وارباب المعاني والبيان ففصاحتك يعجز عنها كل شاعر لبيب وعذوبة الفاظك تفوح منها روائح الطيب فشكره عنتر واطنب في الثنا واطال في الدعا ثم اعجلوا في السير واشبهوا في سيرهم الطير حتى بقي بينهم وبين بني فزارة مسافة فرسخين لاغير فقال لهم شيبوب الراي عندي ان تنزلوا ها هنا وتعطوا الخيول لكم الراحة من التعب والعنا حتى اسير واكشف لكم خبر اعداكم واعود اليكم بما يكون فيه رضاكم فاجابوه الى ذلك ونزلوا بين تلك الروابي والدكادك وسار شيبوب طالب ديار بنى فزارة وهو يقطع الارض كانه بعض العفاريت الطيارة الى ان وصل الى ديارهم ووقف على حقيقة اخبارهم ثم رجع على الاثر واخبرهم بما شاهد ونظر وان عدد العسكر ما ينوف عن ثمانية عشر الف نفر اكثرهم من بني كندة اهل الباس والنجدة وان الربيع بن زياد عندهم في محل خطير لايخالفونه فيما يشير وقد عولوا على قتالكم ونهب اموالكم وسبي عيالكم فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام صرخ فيه صوتاً كانه صاعقة الغمام وقال وحق الملك العلام الذى لاتدركه عقول الانام لابد من تمزيق هذه العساكر تحت ظلام هذا الليل العاكر فقال شيبوب اعلم ايها البطل الفريد ان الراي السديد والفكر الرشيد هو انك تقسم الفرسان الى ثلاثة مواكب حتى اذا وصلنا اليهم تقصد كل فرقة الى جانب تحت ظلام الغياهب وتحمل انت ايضاً بمن تعتمد عليهم من الرجال الاطائب وتبذل فيهم السيوف والرماح وحينئذٍ يتفرق شملهم في الروابي والبطاح فاعجب هذا الراي الملك زهير وعنتر وكل من حضر وايقنوا بالنصر والظفر ثم انهم ركبوا الخيول الاعوجية واستلوا الرماح السمهرية وساروا بهمة وحمية فاشرفوا على بني فزارة وقت الغسق وقد انقسموا الى ثلاث فرق واحاطوا بهم من كل جانب وجردوا القنا والقواضب وكان بنو فزارة في غاية الامن والامان غير مكترثين بطوارق الحدثان فلم يشعروا الا وقد حاطت بهم موج النوائب ونادى في ارضهم منادي المصائب فثاروا من الخيام والمضارب وركبوا على ظهور الجنائب وكان اكثرهم خالياً من الزرد فتفرق شملهم وتبدد وحلت بنى كندة العبر وركب الامير حجار جواده ونفر وخفق فواده وانذعر وقد خاف من وقوع الخطر فسمع صياح عنترة كانه الرعد اذا هدر فصاح في بنى كندة ومن يعتمد عليهم من الفرسان

في وقت الشدة معاشر الابطال إلا يهولنكم هذا الحال فما امامكم الا عنترة الكشحان ومعة قومة انذال العربان فاثبتوا وجدوا لهم في الطلب وإياكم ان تحدثوا انفسكم بالهرب فيحل بكم الهلاك والعطب وتصرب بكم الامثال في كل جيل وما هو الا في نفر قليل وقد ظن انة سينال منا في هذا الليل ما نالة في ليلة وادي السيل ثم ان حجارًا هجم وصاح وتبعتة ابطال المعارك والكفاح وعملت السيوف والرماح ووقع بينهم القتل والجراح وما في الفرسان الا من تعب وتقهقر الا ابو الفوارس عنتر فانة فعل في تلك الليلة ما لم يفعلة بشر وكانت الرجال تهوي من طعناتهِ ونقع وما زالوا على ذلك الحال الاشنع حتى انفجر الصباح وانقشع وكانت بنو فزارة قد تفرّقت في ظلام الليل وحل بها من سيف عنترة الويل واشفت بنو عبس منها الغليل حتى لم يبقَ غير الربيع وحذيفة في نفر قليل واصاب بني كندة العذاب والتنكيل وقتل منها في تلك الليلة اوفى من الفين قتيل . قال الراوي ولما حميت الشمس واشتدّ الحرّ وتلهبت جنبات البرّ نزلت الأبطال لاخذ الراحة في تلك الساحة فركب حجار الجواد وبرزا الى معركة الطراد وطلب قتال عنترة بن شداد وانشد وقال

لا تقتضي الدين الا الطعن بالاسل والضرب بالسيف فوق الهام والقلل
الدهرُ يومان يومٌ علقمٌ كرهٌ واخرٌ طعمهُ احلى من العسل
البسني العارَ ياعبد اللئام ولو انصفتني بتَّ من خوفي على وجل
اسرتني وظلام الليل معتكرٌ في وادي السيل بالعدوان والحيل
فاستيقظ اليوم والقاني ترى بطلاً ماضي العزيمة لا يخشى من الوجل

قال الراوي فلما سمع عنترة ابيات حجار صاح بصوت ارتجت منة السهول والاوعار وبرز اليهِ في الحال واجابة على شعره وقال

من لي برد الصبا واللهو والغزل هيهات ما فات من ايامك الاول
طوى الجديدان ما قد كنت انشرهُ وانكرتني ذوات الاعين النجل
وما ثنى الدهر عزمي عن مهاجمة وخوض معمعة في السهل والجبل
في الخيل والخافقات السود لي شغلٌ ليس الصبابة والصهباء من شغلي
لقد ثناني النهى عنها وادبني فلست ابكي على رسم ولا طلل
سلوا جوادي عني يوم يحملني هل فاتني بطلٌ او حلت عن بطل
انا الذي خضعت اسد الدحال لهُ وبات من خوفهِ كسرى على وجل
فدونك اليومَ يا حجارُ وابرز لي في جحفل كي ترى ليثاً بلا مثل

اما شهدت بوادي السيل ما فعلت ... ارماحنا في اعالي البيض والقلل
لما اتى ورد شان الفرس تتبعه ... ابناه فارس مثل العارض الهطل
بادرتهم وسيوف الهند بارقة ... بالضرب والطعن بين البيض والاسل
وانت تنساق في قيد الوثاق ولا ... وال يواليك في قول وفي عمل
لا يشرب الخمر الا من له ذمم ... ولا يبيت له جار على وجل

قال الراوي ثم انهما تقاربا وتحاربا وتقاتلا وتضاربا وجرى بينهما من الهزل والجد والاخذ والرد ما حير الافكار وادهش الابصار ولم تكن الا ساعة من النهار حتى وقع التعب في مناكب الامير حجار وقد راى من عنترة ما لم يره قط من جبار فخاف من حلول البوار ونزول الدمار فندم على مجيئه الى تلك الديار واراد ان يشير الى قومه بني كندة و يطلب منهم نجدة فما امهله عنترة بل اطبق عليه مثل لمح البصر واقتلعه بيده من ظهر الحصان والقاه على بساط الصحصحان فهجم عليه شيبوب مثل السرحان فشد كتافه وقوّى سواعده واطرافه وسر به الى ناحية بني عبس وقد طابت من عنترة النفس وحل ببني كندة وفزارة التعس والنحس وكان حجار قد اشتعل فواده والتهب وكاد يتمزق من الغيظ والغضب فبكى وانتحب لانه علم ان عقد امره انفرط ونجم سعده من فلك السعد قد سقط فقال له شيبوب ما الذي اعتراك حتى اوجب الى بكاك قال وحق علام الغيوب العالم بسرائر القلوب لست ابكي خوفا من الاسر والهوان وانما بكائي من تقلبات الزمان لانه ما زال يهدم اللذات ويفرق الجماعات وان اضحكك يوما ابكاك سنة وليس له على احد جميل ولا حسنة فلما وقف شيبوب على مقاله رق له ورثى لحاله وقال ما معنى هذا الكلام ايها البطل الهمام فقال اعلم اني كنت قد هويت في هذا العام جارية كانها البدر التمام يقال لها امامة بنت اسد بن دودان صاحب ارض الحيوان وسيد بني الريان وقد القيت روحي من اجلها في الشدائد مع الفرسان وما سمح ابوها بزواجها لي الا بواسطة الملك النعمان ولما انتهت الحال ودنت ايام الوصال وحملت الى ابيها النوق والجمال امرني بالمسير الى قتال اخيك عنترة فسرت اليه بكل ليث غضنفر واسد قسور فاسرني وبدل افراحي بالكدر واطلقني بعد ما جعلني عبرة للنظر واية للبشر فقصدت حلتي وارسلت في طلب زوجتي فارسل عمي يقول لي يا حجار قد علاك الذل والشنار لانه قد اسرك عبد بني عبس وعدنان والبسك ثوب الذل والهوان فما بقيت اسلم ابنتي اليك ولا ازفها عليك حتى تاخذ منه ثارك وتكشف عنك عارك فبينما انا متفكر في ذلك الشان اذ بلغني الخبر بالقبض على الملك النعمان فلما سمعت هذا الخطاب اشتعل قلبي بنار

الالتهاب واشتد في وجهي كل باب وما صدقت ان ياتيني من الملك الاسود كتاب حتى سرت اليه بمن معي من الاصحاب وقلت في نفسي لعل وعسى فعاندني دهري وعليّ اساو جرى لي ما جرى وها انا قد وقعت في يد اخيك مرة اخرى وانا خائف من ضرب رقبتي وعدم الاجتماع بزوجتي فلما سمع شيبوب كلامه وعرف مرامه قال له ويلك عوض ما كنت تسير مع الملك الاسود وتساعده على ذلك الامر الذي تجدّد وانت في هذا الجمع والعدد كنت ساعدت النعمان لانه صاحب الجميل والاحسان واتيت الى اخي عنترة فكنت ترى وتبصر ما يفعل معك من الجميل الذي يذكر وكان يبلغك ممن تحب اوطارك ويأتيك الامر على حسب اختيارك ولكن لما كافيت النعمان بقبيح افعالك اوقعك الغدر في شر اعمالك فلما سمع حجار من شيبوب ذلك المقال بان له الصدق من المحال وقال والله لقد صدقت يا شيبوب فان سبّب لي الخلاص علام الغيوب ارجع واتوب واريد ان نتولى مع عنترة توبتي وان يصطنعني ويرغب في صحبتي وانا ابذل في خدمته جهدي وطاقتي واكون عونًا له مع اهلي وعشيرتي وان انا خنته بعد هذه المرة تكون امي زانية غير حرة واكون قد كذبت في قولي ونسبي وتعلم سائر العرب انني من غير ظهر ابي فلما سمع شيبوب مقالة رق له وقال يا سيد بني كندة انا ازيل عنك هذه الشدة وادع اخي ان يكرمك ولا يرجع من اجله ان يكلمك ولكن يا وجه العرب ان كنت تعرف ما وراءك من الحسب والنسب احلف لي برب السماء الذي بسط الارض على تيّار الماء وعلّم آدم الاسماء وحكم على عباده بالموت والفناء وتفرّد بالدوام والبقاء انك لا تعود الى الغدر والخيانة بل تحفظ الزمام والامانة فحلف له بفالق الاصباح وخالق الارواح ورازق الاشباح واكد عليه في الاقسام والايمان انه لا يكون لا غادر ولا خوّان ولا ناكث ولا متوان فلما استوثق شيبوب منه باليمين واشهد عليه بذلك رب العالمين اطلقه من شداده ورد اليه آلة حربه وجلاده واركبه جواده فانذهل حجار وتحير وعاد راجعًا على الاثر حتى وصل الى عنترة فنادى باعلى صوته وقال كفوا ايديكم يا بني كندة عن القتال فقد اصلح الله الحال وقد حلفت بمن ارسى شوامخ الجبال اني اكون في خدمة عنترة من جملة الرجال ولا اخونه في مقال ولا فعال فمن كان منكم يحبني ويسمع مقالي فيطيعني ويتبع فعالي لاني عولت ان ابذل في خدمته الجهد وابلغ فيها غاية الكد ولو انفقت في ذلك روحي ومالي وخيلي ورجالي فلما سمع بنو كندة من اميرهم ذلك الخبر فرحوا بخلاصهم من حرب ابي الفوارس عنترة وانعطفوا من ساعتهم على بني فزارة وانزلوا بهم الذل والخسارة فانذهل عنترة وحار من فعال الامير حجار خصوصًا عند ما رآه يكافح الفرسان تحت الغبار ويجندل

والله ان تم هذا الامر على العرب طمعت فيها عباد النار ذات اللهب وباعت حرائرنا في بلاد العجم ولا تبقى منا من يمشي على قدم وهذا الامر لا ادعه يتم على العربان من الهلاك والقلعان ولا بد لي ان اكاتب قبائل ربيعة ومضر ومن جاورهم من عرب البر الاقفر واطلعهم على حقيقة الخبر لاجل ان يكونوا على حذر وانظر بعد ذلك ما يجري ويتجدد على بني عبس من الملك الاسود واذا علمت بان العساكر قد ثقلت عليهم تسببت في ارسال نجدة اليهم ولولا عبدهم عنتر الذي تمرد وتجبر ورغب فيه ملكهم الملك زهير كنت سرت اليهم بنفسي وكشفت عنهم الضنك والضير ولكني اخاف معيرة العرب اصحاب الحسب والنسب ان تحدث فيَّ بالعار وقلة الادب وتقول ان دريداً سيد بني هوازن وجشم سار الى خدمة عبد قريب العهد من رعى الجمال والغنم وهذا الذي يمنعني الان ان اسير معك الى قتال بني عبس وعدنان خوفاً من هجوم عساكر الاعجام على البيت الحرام لان عندي من المعلوم بان مملكة الاسود لا تدوم ولا ينجح معهُ من يحشد لهُ ويتبعهُ ومع ذلك كلهِ بيني وبين النعمان عهد من قديم الزمان وها انا مقيم في هذه الاطلال حتى ابصر على اي شيء ينتهي الحال فلما سمع معدي ما ابداه دريد بن الصمة ضعفت عزيمتهُ وفترت منهُ الهمة واقام عنده بعد ذلك الكلام مدة ثلاثة ايام ثم رحل من تلك المنازل وجعل يطوف على الحلل والقبائل ويجمع الفارس والراجل حتى صار في عشرة الاف مقاتل من كل بطل حلاحل وقرم مخاتل وسار بهم طالب بني عبس وتلك الديار حسب ما اتفق عليهِ مع الامير جبار فجاءت طريقهُ على جبلي اجا وسلمى وصحراء بني عامر فرأى هناك مضارب وخياماً ورايات واعلاماً ونوقاً وفصلاناً فسال بعض الرعيان عن القوم النازلين في ذلك المكان قال لهم بنو عبس وعدنان قد رحلوا من منازلهم والاطلال وتحصنوا في هذه الجبال وعندهم قيس بن زهير في خمسمائة من الابطال واما باقي العسكر فقد سار مع الملك زهير وعنترة لقتال بني فزارة والربيع وعمارة فلما وقف معدي كرب على حقيقة الحال فرح واستبشر وزال عنهُ الغم والدر وقال يا للعرب الاخيار قد صح ما كنت اطلبهُ واختار وسهل الله عليَّ اخذ الثار وكشف العار ثم انهُ اخبر الفرسان الذين معهُ بذلك الخبر الذي سمعهُ وقال ابشروا يا وجوه العرب بنوال الفضة والذهب وبلوغ الارب وبلغ قيس قدوم معدي كرب فخفق فؤاده والتهب وايقن بالهلاك والعطب فصاح في الفرسان ومن يعتمد عليهِ من الشجعان فضج الحي من كل جانب وركبت الابطال ظهور الجنائب واسرعوا الى خارج المضيق وهم في هيبة وبريق مثل نار الحريق فراوا البرق اللامع من لمعان الصفاح واسنة الرماح فتاهبوا للحرب

والجلاد وجردوا السيوف الحداد ومدوا الرماح المداد واطلقوا اعنة الخيل الجياد وحملت عليهم بنو زبيد ومراد واختلف بينهم القتال في تلك المهاد وارتفع الغبار وزاد وانقلبت الدنيا بالصياح وهبت عليهم نسمات الموت مع عواصف الرياح ونثرت الجماجم من على هامات الاشباح وخاف بنو عبس على حريمهم من السبي والافتضاح وكثر عليهم العدد وزاد المدد وطلبتهم المواكب بتلك الكثرة والعدد واقبلت عليهم مثل موج البحر اذا ازبد فعند ذلك وقع ببني عبس التعب والملل فتاخروا الى ذيل الجبل وقلت منهم الحيل ولم يزالوا على مثل ذلك العمل حتى ولى النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل فافترقوا عن بعضهم البعض بعد ما امتلأت بجثث القتلى جنبات الارض ونزلت بنو عبس في باب الوادي وقد خافت على المال والحريم من الاعادي ثم ان قيساً اجتمع بهم وقال اعلموا ايها الابطال ان الاعداء في خلق كثير وجمع غفير وما لنا غير مطاولتهم في البراز الى ان ياتي ابي وحامينا عنترة فارس الحجاز فلما سمعوا منه ذلك الخطاب راوه غاية الصواب وقالوا له لولا هذا الشيطان معدي كرب لما كنا نبالي بكثرة من ياتي الينا من العرب فقال قيس لو كنت اعلم ان فيكم من يخلفني في منصبي كنت بارزته واشغلته عنكم الى ان ياتي ابي ولكني اخاف ان يقضي عليّ الدهر بقضا فيقع فيكم الفنا وتمضوا مع من مضى وحينئذٍ تؤخذ اموالنا وتسبى حريمنا وعيالنا وتشمت بنا الاعادي والحساد ونصير احدوثة بين العباد ثم انهم بعد ذلك الكلام اقاموا لهم حرساً تحت غسق الظلام ودخلوا بين الجبال وغرقوا في بحر المنام ولما انجلت ظلمة الغياهب واشرقت الشمس على المشارق والمغارب نهضت الفرسان من كل جانب وركبت ظهور الجنائب وبادرت الى القتال مثل السلاهب وكان اول من برز الى معركة الحرب معدي كرب الفارس الندب واخرج الى بني عبس يده وابدى من الوقاحة ما عنده وقال اين اسودكم الذين تطلبون حمايته وتفتخرون على جميع العرب بشجاعته فدعوه ان يحمي جنابكم ويرد عنكم مصابكم فوحق من امر الغيث فانسكب وروّى به الارض فاعشب لاتركنكم مثلاً بين العرب فلما سمع بنو عبس كلام معدي كرب تبادروا اليه من كل مكان وارادوا ان يجولوا معه في الميدان فردهم قيس من شفقته عليهم وفداهم بنفسه خوفاً من ان تصل الاذية اليهم وتقدم الى معدي بقلبٍ اقوى من الحجر وجنانٍ اجرى من البحر اذا هاج وزخر وكان قيس من الفرسان التي تذكر ولما قاربه ناداه ويلك يامعدي لقد اكثرت علينا من كلام الجور والتعدي واتيت تكافينا بالشر والضرر ونسيت ما فعلة معك من الجميل حامينا عنتر وقد اسات الادب وانت تدّعي الحسب والنسب فتباً لك

من بين العرب فوحق البيت الحرام يانسل اللئام ان وقعت في يدي مرة اخرى لاندعة ابقي عليك مهما جرى ثم ان قيساً بعد ذلك حمل عليه ومد سنان رمحه اليه وصال وجال ولعب برمحه العسال وانشد وقال

لو كنت تعرف يامعدي احسانا ما جيت بالخيل والفرسان تلقانا
اسرك فارسنا والنقع مرتفع وعنك عفا فظن الكفر ايمانا
اراك ضيعت ما اولاك من نعم وابن اللئام اذا استخونته خانا
لله در بني عبس لقد حملت من الفخار اكاليلاً وتيجانا
نحن الملوك وباقي الناس كلهم تراهم عند ضرب السيف غلمانا
اذا ركبنا متون الخيل واشتبكت رماحنا قدحت في الجو نيرانا
وبات من اجلنا كسرى على وجل يخافنا وملوك الارض تخشانا
وان وهبنا نفيض الارض من كرم حتى نظن عطانا موج طوفانا
فمن يحاربنا يمسي على خجل اذا رأى فعلنا سراً واعلانا
ومن يفاخرنا يضحي وجثته نهباً لوحش الفلا من قبل يلقانا

قال الراوي ثم انهما تقاتلا القتال الشديد حتى تثلمت في ايديهما صفائح الحديد وطحنت ارجل الخيل من تحتهما الجلاميد الا ان قيساً لم يكن من طبقة معدي في الشجاعة والفروسية لان معدي كان من الجبابرة الالفية المعدودة في زمن الجاهلية فسطا على قيس واستطال واعجبتة نفسة في القتال فلما نظرت بنو عبس ماحل بقيس من الخبال تغيرت منها الاحوال وارادت ان تحمل بعض الاثقال وتلقي انفسها على الهلاك والوبال واذا بالعرب قد حملت والارض من ركض خيولهم تزلزلت ومدت الى بني عبس الرماح السمهرية وجردت السيوف المشرفية وافترق قيس عن معدي كرب وانفرجت عنة الهموم والكرب لانة كان قد اشرف على العطب ومن عزة نفسه لم يطلب الهرب بل انة صبر حتى حملت العرب وما زال القوم في خصام وقتال وحرب ونزال الى ان صار نصف النهار وكان قد قل من بني عبس الاصطبار فتاخرت الى باب الوادي خوفاً على الولد والحريم من الاعادي وثبتت عند باب المضيق وحملت انفسها ما لا تطيق واعانتها العبيد بطعن الحراب والمزاريق واستدام القتال على مثل ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال فعند ذلك رجعت كل طائفة الى منامها وقد ايقنت بنو عبس بشرب كاس حمامها وافتقد قيس رجالة فوجد ان قد فقد منهم خلق كثير فخاف من الهلاك والتدمير وقال والله ان ابطا علينا ابي وعنتر

الى يوم اخر انقلع منا الاثر وما بقي في الامر الا اننا نحفظ باب هذا المضيق حتى يتكشف عنا الضيق هذا ما كان من بني عبس وماحل بهم من الكرب واما ما كان من معدي كرب فانهُ عاد وهو في غاية الفرح والطرب على ما اصاب بني عبس من النوب وقد حد ثتهُ نفسهُ انهُ في ثاني الايام يبذل فيهم سيوف الانتقام ويسبي النساء الكواعب وياخذ بثار ابن عمهِ خالد بن محارب ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صاح معدي على من يعتمد عليهِ من الفرسان الوقاح وقال دونكم وهذا المال المباح قبل ان ياتيكم احد من عرب البر والبطاح ويسبقكم عليهِ ويقاسمكم فيهِ ولا ينال احد منكم ما يشتهيه ثم انهُ زحف بكل فارس وبطل طالب ذروة الجبل فالتقاه بنو عبس وتطاعنوا باطراف الاسل وتضاربوا بالسيوف على اعالي القلل هذا وقد تصايحت النساء والاطفال وطاب الموت لمن دونهم من الرجال وقاتلوا دون المال والعيال فلما راى معدي ان الامر قد طال ترجل وترجلت معهُ الفرسان والابطال وفعلت كذلك بنو عبس الاقيال وتكافحوا بالدرق والسيوف الصقال الى ان دنت منهم الاجال وكان لهم يوماً من الايام الطوال يذكر على مدى الايام والاجيال ولم يزالوا على ذلك الحال الى ان اقبل الليل بالانسدال فعند ذلك انفصلوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طايفةٍ منهم في ناحية من الارض. هذا ما جرى لهولاء من الحديث والخبر واما ما كان من الملك زهير وعنترة ومن معهم من العسكر فانهم بعد ما ظفروا بتلك العساكر وطابت قلوبهم بصحبة الامير حجار بن عامر رجعوا طالبين الجبال وهم في غاية الفرح ببلوغ الامال ولما اقتربوا الى تلك الاطلال التفت حجار على ابي الفوارس عنتر وقال لهُ يافارس البدو والحضر قد زاد غمي ووجدي وانكرت غيبة الامير معدي لانهُ كان قد كتب لي باوضح عبارة ووعدني انهُ يلتقي بي في ديار بني فزارة وكذلك دُرَيد بن الصِمَّة البطل القسوَر وسبيع بن الحارث فارس بني حمير والى الان لم اقف لهم على خبر ولا ظهر لهم اثر وانا خايف ان يكونوا قد سمعوا بمسيركم من الجبال فساروا الى هناك وسطوا على حريكم والعيال والراي عندي ان تنفذ شيبوباً اخاك وياتينا باخبار من خلفتهُ وراك فلما سمع الامير عنتر من حجار ذلك الخبر تحركت في قلبهِ الوساوس والفكر وقال قد صدقت وصواباً نطقت وارسل اخاه من تلك الساعة ليكشف لهُ خبر الجماعة فسار في الحال الى ان اشرف على الجبال ووقف على حقيقة الاحوال ثم رجع على الاثر وجد في قطع البر الاقفر حتى التقى بالملك زهير واخيهِ عنترة واخبرهم بحقيقة الخبر فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام وقال لعنك الله يا معدي على هذا

الجور والتعدي ولعنت اللات والعزى ابي وجدي ان لم ادع لي ولك حديثاً تذكره الخلق من بعدي ثم انهُ عزم ان يطلق عنان الجواد ويلحق اهلهُ قبل ان تتشتت في اقطار البلاد فاقبل عليهِ حجار وقال لهُ يا ابا الفوارس ازل عن قلبك هذه الوساوس وانا اسالك بحق الصحبة والحرمة ان تندبني لهذه الخدمة وانا اسير الى معدي كرب وابصر من تبعهُ من فرسان العرب واحرص على ان اجعل بينك وبينهُ مودة ونسب وان لم يجبني الى ذلك قدتهُ اليك واجعلك تحكم فيهِ وهو ذليل بين يديك فقال عنترة افعل ما تريد ايها البطل الفريد فسار الامير حجار في بني كندة الاخيار حتى اشرف على الجبال وسمع صياح النساء وبكاء الاطفال فقال واحرباه هلكت بنو عبس وحل بهم التعس والنكس فيا لها من نوبةٍ ما ايشها ومصيبةٍ ما اعظمها فوحق البيت الحرام وما عليهِ من الالهة والاصنام لو ابصر عنترة اليوم ما حل بقومهِ من المصائب والمحن والنوائب ما كان يبقي من بني زبيد لا ماشياً ولا راكب ثم انهُ في عاجل الحال طلب معركة القتال فلما نظر معدي الى تلك المواكب التي قد اقبلت وملات تلك السباسب ففرح بقدومها لما راى راياتها قحطانية وقال لقومهِ ابشروا بالخير واشكروا رب البرية فما طرقكم عدو ولا من يريد لكم سوءا بل هو الامير حجار وانني والله كنت لهُ في الانتظار. ثم انهُ سعى اليهِ وتقرّب منهُ وسلَّم عليهِ وقال اهلاً بالاخ الشفيق والصاحب الصديق فوالله ما انيت الاَّ في وقتك انت وبنو عمك حتى تاخذ من هذه الغنيمة قسمك فقال حجار لقد خاب ظنك يا معدي وقد نسبتني الى غير ابي وجدي لان فعل الجميل والاحسان لا يضيع الاَّ مع من ليس لهُ قدرٌ ولا شان ومن كان لهُ نسبٌ رفيع لا يفعل فعل اللئيم الوضيع . قال الراوي فلما سمع معدي منهُ ذلك المقال تعجب واعتراه الاندهال وقال كيف هذا الحال اما انت على العهد الذي عاهدتني عليهِ مقيم قال نعم وحق رب زمزم والحطيم ان انت اطعتني ومشيت على السراط المستقيم وسمعت ما اقولهُ لك من نصحي وطلبت مودتي وصلحي والاَّ قاتلتك بسيفي ورمحي فقال يا اخي ما الذي بلغك عني من فسخ الزمام حتى غيرت ما بيني وبينك من الوداد وكلمتني بهذا الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام فعند ذلك حدثهُ حجار بما جرى بينهُ وبين عنترة من الحديث والخبر ووصف لهُ كرمهُ وحسن شيمهِ وذكر لهُ ما فعل معهُ من الاول الى الاخر وكشف لهُ عن الباطن والظاهر وقال لهُ بعد ذلك وحق مالك الممالك لو اعطاني عنترة اليوم جمالهُ لخدمتها ورعيتها لهُ فان كنت يا معدي ترضى بما رضيتهُ انا من هذا الحال فعاهدني ووافقني على هذا المقال واكون انا وانت بين يدي عنترة من جملة الابطال والاَّ فدونك الحرب والقتال

ودع عنك المحال قال فتغيرت من معدي الاحوال وزادت ناره في الاشتعال وقال ويلك يا حجار ذليت لعبد بني عبس وذهبت عنك عزة النفس فقال له حجار دع عنك الحماقة ولا ترجع بمثل هذا الحديث في حق عنترة لان ساير الخلق من انثي وذكر ومن رزقة رب السعادة فخرًا افتخر وساد على جميع العباد والبشر والذي اعلمك به ان عنترًا مخلوق للحرب لاقياس له في الثبات والقوى فقتال الفارس والالف بين يديه بالسوا وانا كنت اقول في نفسي انني فارس الفرسان وقاهر الابطال والشجعان وان الجبابرة بين يدي شبه النسوان الى ان التقيت به في ارض بني فزارة وطلبت منه الانصاف وبارزته فعرفت الربح من الخسارة ورايت سطوات الدهر اهون من سطواته ومصائب القضاء النازل اقل خطرًا من خطراته وكنت كلما بذلت فيه المضارب ابطلها عنه بضربٍ صائب ويعفو عني كما يعفو الشجاع على اضعف النساء والكواعب ولما اسرني وايقنت انني معطوب شكوت حالي الى اخيه شيبوب وطلبت منه الذمام فاذم لي على دمي من غير كلام ووافقه عنتر على ذلك واجاد ذمامه وابدى لي ابتسامه واطلقني من العقال حتى كانني ما خطرت له على بال ولم يندم على ما فعل اخوه في حقي من الفعال فلما رايت حسن صنيعه وبياض فعاله هانت نفسي عندي وصرت من بعض رجاله واتيت معه الى هذه الاطلال والمعالم حتى اعينه على قتال الاعاجم ونسعى في خلاص النعمان قبل ان تطمع في العرب عباد النيران وتخرق حرمة البيت الحرام وتكسر ما عليه من الاصنام لان الملك الاسود يتبع كسرى في اعتقاده لاسيما وقد ولاه على اقاليمه وبلاده فاترك يا معدي ما انت عليه من نصرة العجم ولا تتبع ما انت عليه من هذا الفكر فتندم وبادر الى ما ذكرته لك من هذا الامر قبل ان يحل بك العدم لاني تركت عنتر سائرًا على اثري بمن معه من الفرسان وفي هذه الليلة يكون في هذا المكان ثم اوقفه على جميع الاسرار واعلمه بان شيبوبًا اتى عنه وكشف الاخبار وكيف انه سال عنتر في المسير اليه شفقة عليه . فقال معدي كيف يمكن الان ان تصفو لي قلوب بني عبس بعد ما انزلت بفرسانهم التعس والنكس وفعلت في حقهم ما فعلت وتنلت منهم من قتلت فقال حجار اذا انت صفيت لهم الوداد زالت من قلوبهم الاحقاد ولا يعتبون عليك فيما فعلت من الاخطار لان فرسان العرب ما زالت تطالب بعضها بالثار وان انت اطعتني اكون لك الواسطة في هذه النوبة من غير تنكيد حتى يصير لك في هذه القبيلة ركنٌ شديد ويأتيك الامر كما تشتهي وتريد ولا سيما اذا ساعدناهم على خلاص صهرهم النعمان فشكرنا على ذلك طوائف العربان قال وما زال حجار يحدث بمثل ذلك الكلام مع معدي كرب حتى اجابه الى ما طلب ولما

لمثقا تعاهدوا وتحالفوا بالايمان التي كانت تحلف بها العرب في ذلك الزمان وبعد ذلك اختلطت بنو كندة ببني زيد وتمهدت الامور بينهم غاية التمهيد قال وكانت بنو عبس الاخيار قد زاد غمها من قدوم الامير حجار فاشتد صياحها وآيست من ارواحها واعلنت بالصياح من داخل الوادي وايقنت بالسبي على يد الاعادي فلما علم حجار بحالها ارسل اليها وطيب قلوبها واعلمها بمجيء ابطالها فزال عنها الغم والثبور وحل عندها الفرح والسرور وما اظلم الليل واعتكر حتى وصل الملك زهير وعنتر فالتقاهما حجار من تلك الساعة واخبرهما باجابة معدي كرب الى الطاعة وكان معدي قد ركب الى جانبه وحوله مشايخ بني زيد الانجاب فلما راى الملك زهير ترجل عن جواده وقبل الركاب وكذلك فعل بعنتر ورق له في الكلام واعتذر وقال يا ابا الفوارس كل دم بيننا موهوب غير مطلوب والرب الكبير مطلع على ما في القلوب قال عنتر يا سيد بني زبيد وحق من اوسع البيد وانبع الماء من صم الجلاميد نحن ما فعلنا هذه الفعال عصبة منا للملك النعمان ومن معه من الرجال بل خوفًا على البيت الحرام لئلا تطمع فيه طناجير الاعجام لانهم لو ظفروا بالكعبة جعلوها بيتًا من بيوت النار وانقلع من العرب الاثار فصدقه معدي في كلامه وشكره على اهتمامه قال ثم ان الملك زهير اخلع عليهم الخلع والتام شمل القبائل واجتمع وغمر الفرسان بالاحسان ونحر لهم النوق والفصلان ودخلوا الى داخل الجبال وقد صار عددهم نحو خمسة عشر الفًا من الابطال ممن تضرب بشجاعتهم الامثال هذا وقد وقعت البشائر وفرحت النسا الحرائر ونحر الفرسان النوق والاغنام واقاموا في اكل طعام وشرب مدام مدة سبعة ايام وكان عنتر قد ارسل اخاه جريرًا الى ارض الحيرة وتلك المعالم ليكشف له اخبار الاعاجم فلما كان في اليوم الثامن اقبل جرير من الحيرة واخبرهم ان عساكر العجم والعرب قد اجتمعت في امم كثيرة فقال له عنتر ومن اجاب الاسود من عرب البر والفدفد قال آل باغض والاشتر وآل باهض ومنقر وآل طي وشيبان وكل من يبغض دولة الملك النعمان ووصل اليه بنو فزارة مع الربيع وحذيفة بن بدر واشعلوا قلبه عليكم بلهيب الجمر ومافيهم الا من بكى وانتحب واكثر من الشكوى والعتب وكان خداوند ن كسرى عول ان يقسم العساكر قسمين ويجعلها فرقتين الفرقة الواحدة يرسلها اليكم لاجل الانتقام والفرقة الثانية الى البيت الحرام فلما وقف على حقيقة الاخبار وعلم ان معدي كرب صار صديقًا لكم مع الامير حجار امر العساكر جميعها ان تسير اليكم وتمحو منكم الاثار وقد رحل من ارض الحيرة في هذه الايام وترك فيها الفي فارس من الديالم والاعجام مع حاجب رفيع المقام لاجل حفظها من شياطين

العريان واوصاهم بالاحتراز على الملك النعمان وقد انبهرت من كثرة جموعهم ولمعان لمعان رماحهم ودروعهم . قال فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام زاد به الوجد والهلم وقال وحق من امر البرق فابرق والظلام فاغسق لا فرقن كل موكب منهم عشرة فرق ولا نثرنهم نثر الورق ثم انه اجتمع بالملك زهير في الحال واوقفه على حقيقة المقال فقال زهير يا ابا الفوارس نحن ماعندنا الا الحرب والقتال والضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح العوال والاختيار لمن صحبنا من هولاء الرجال وساعدنا على هذه الاهوال قال عنترة وذمة العرب ما بينك وبين القوم الا مقدار ما تشرف الفرس فيبطل العتب واللوم ولا كلام حتى تقع العين على العين وتقتل عشرة فوارس من الطائفتين فيطالبون بعضهم البعض بالدماء والدّين فعند ذلك يلزمهم ما يلزمنا و يلتزمون بان يقاتلوا بما يقدرون عليه معنا ثم انهم اجتمعوا بجبار بن عامر ومعدي كرب ومن معهم من فرسان العرب واعلموهم بان عدد العساكر القادمة عليهم والفرسان مائة وستون الف عنان فلما سمع معدي كرب والامير جبار بتلك الاخبار قالا والله ان هذه مصيبة عظيمة وداهية جسيمة ونحن ليس لنا صبر على هذا الشان ان لم يرجع الملك الى النعمان فماذا عولت ان تفعل يافارس عدنان قال عولت على لقاهم والصبر على ما ياتي من بلاهم ولا ارجع عنهم حتى ابيد اقصاهم وادناهم واهلك شيخهم وفتاهم فقال جبار يا ابا الفوارس هل نبالي بطناجير الاعجام المخرقين الاذان الذين نساء العرب اشد منهم باساً في معركة الطعان فوحق الكعبة الغرا والحرم ومن اوجد الاشياء من العدم لا تركنا من العجم من يمشي على قدم فقال معدي الراي ان نحسن التدبير وننظر كيف يكون العور في هذا الامر الخطير لان جريرا تحدث بكلام العارف الخبير واعلمنا بان القوم في عدد كثير والراي عندي ان نرسل الى الحيرة جماعة من الفرسان لاجل خلاص ملك العربان فاذا بلغنا المقصود حصل لنا وجه الامان لان هذه العساكر لا تصل الى هذا المكان الا بعد مدة من الزمان حتى اذا قدمت نلتقيها بمن معنا من الشجعان الى ان يصل الينا الملك النعمان فمتى وصل وصرنا حواليه عادت طوائف العرب كلها اليه قال فلما سمع الحاضرون من معدي ذلك المقال استصوبوا رايه وقالوا ما بقي بعد هذا القول الا الفعال فقال عنترة انا اسير في مائة فارس من الابطال واقضي هذه الاشغال قال الملك زهير ايها البطل المهاب ان مسيرك عنا الى الحيرة ليس بصواب ولا سيما اذا اشرفت علينا العساكر الى هذه الربى كانت الرجال تسقى عطبا والاموال تتبدد شرقاً وغربا والعيال تذهب وتسبى فقال جبار ايها الملك لا تخف من بوس ولا ضرر فوحق من خلق الشمس

والقبر وجعلها يبين للبشر لابد ان نتاتل بين يديك حتى تعلم السمع والبصر ان غاب ابو الفوارس او حضر ومن حيث الحالة هذه فمقامة في بني عبس أصوب ومسيري انا في هذا الامر اوجب ثم انه حلف واقسم باجل الايمان انه لا يسير احد الى خلاص النعمان الا هو وحده وجماعة من الفرسان ثم امر من يومه مائة فارس من ابطال قومه ان يستعدوا للمسير ويتاهبوا لسرعة الجد والتشمير فلما نظر عنترة الى حجار وما فعل شكرهُ على ذلك الجميل وانتخب لهُ في ساعة الحال مائة فارس من بني عبس الابطال وقدم عليهم عروة الفارس المغوار واضافهم الى الامير حجار ثم انهم انتخبوا لهم نجبًا عبسية تسابق الرياح الغربية وجدوا في قطع القفار والفرسان من خلفهم مثل شعل النار هذا ما كان لهولاء من الحديث والخبر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر فانهُ بعد مسير القوم كان يركب هو ومعدي كرب في كل يوم ويوسعا في البراري والآكام ليكشفا اخبار عساكر الاعجام وما زالا على مثل هذه الحال ثمانية ايام ولما كان اليوم التاسع ظهرت عليهم غبار الطلائع وهي التي لابن كسرى خداوند وكان المقدم عليها حاجب يسمى شاه برد وكان شيطانًا لايمارَس وجبارًا لا يقايس وكانت عدتها عشرة الاف فارس من كل بطل ممارس وليث مداعس فالتفت معدي كرب على عنترة وقال لهُ يا ابا الفوارس هذا جيش الاعجام قد اقبل فدبر نفسك واصنع ماشئت ان تصنع وان اردت ان ترجع فارجع فقال يامعدي لانعود الى اهلنا ونخبرهم بهذا الخبر حتى نؤثر في هولاء الاعداء ايشم اثر ثم انهُ في ساعة الحال ايقظ فرسانهُ ورجالهُ وفعل الامير معدي ايضًا مثل فعالهِ وتاهبوا لذلك الجيش وقتالهِ فلما نظر مقدم الطليعة فعالهم انكر عليهم امرهم وحالهم وقال ما هولاء الا من عساكر العربان وقد سمعوا باخبارنا ووصولنا الى هذا المكان واتوا يطلبون منا الآمان ثم انهُ التفت الى من حولهُ من الفرسان وقال لهم تقدموا اليهم واقتفوا اثارهم وعودوا الينا بحقيقة اخبارهم فانفرد منهم الفا فارس وساقوا الى نحوهم مثل الابالس فصاح معدي كرب في المائة الفارس التي معهُ من بني زبيد واراد ان يحمل عليهم ويفرقهم في اقطار البيد فنهاه عنترة عن ذلك الامر وقال لاتفعل فيشمت فينا زيد وعمرو والراي عندي ان نلقاهم انا وانت في هذه النوبة حتى تقع لنا في قلوبهم الهيبة فلما سمع معدي ما ابداه في مقالهِ عرف ما قد خطر ببالهِ فقال لهُ يا ابا الفوارس انا وحدي القاهم واعجل هلاكهم وفناهم وما قصدت بكثرة الرجال الا السرعة في نجاز الاشغال فعند ذلك حمل عنترة وطلب الميمنة ومعدي طلب الميسرة وصاحا صيحات منكرة ولكل منهما هدير وزمجرة ونظر الحاجب شاه برد الى فعالهم فانكر امرهم وحالهم وعظم الامر عليهِ وتجد

الشمس لما راى عنترة قد مال اليه ثم التفت على من حواليه من جبابرة الديلم وقال لهم
ويلكم هل سمعتم بان فارسين من رعاة الغنم يحملان على الفين من فرسان العجم قالوا نعم
ايها السيد المحترم والبطل الغشمشم ان هذا من جملة بغي العرب وجهلها وانه ما يقودها الى
هلاكها وذلها فبيناهم كذلك واذا بجماعة من رفقاهم قد اقبلوا عليهم وهم لا يلتفتون الى وراهم
فقال لهم شاه برد ما وراكم وما الذي تم عليكم ودهاكم قالوا وراءنا سباع الاجام وفهود الاكام
وان لم تدركنا والا شربنا كؤوس الحمام وحل بنا الانتقام فلما سمع منهم ذلك الكلام صار
الضياء في عينيه ظلام وقال لهم ويلكم يا لئام افارسين من رعاة الاغنام يلقيان الفين من
ابطال الاعجام ثم انه حمل بمن معه من الابطال وقد تغيرت منه الاحوال الى ان التقى
بعنترة ومعدي كرب وكانا قد انزلا بعساكره الويل والحرب فلما التقوا صاح معدي سيف
بني زبيد فحملت وهجمت بنو عبس وقاتلت ودارت بينهم الحروب واتصلت وعملت السيوف
في رقابهم وفصلت وارتجت اقطار الارض وتزلزلت وحوسبت النفوس فسئلت باي ذنب
قتلت واظهر معدي العجائب وفرق عنترة المواكب ومزق الكتائب ونكس الاعلام واهلك
فرسان الاعجام والتقى بشاه برد مقدم الطليعة وهو يصيح على رجاله باصوات مريعة ويطلب
اخذ الثار وينادي باسم النور والنار فاعترضه عنتر وصاح في وجهه فانذعر وطعنه بالرمح
الاسمر وهو يزمجر كانه البحر اذا هدر فوقع الرمح في احشائه فسقط على الارض يتخبط بدمائه
ثم ارتد على صاحب العلم وضربه بالسيف فانزل به العدم وزعق في فرسان العجم فاحل
بهم البوس والنقم فولوا مدبرين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وجدوا في مسيرهم
كل الجد حتى التقوا بابن كسرى خداوند فسالهم الحاجب الاكبر عن حقيقة الخبر قالوا
له التقانا عنتر وفرق شملنا في البر الاقفر وقتل مقدمنا شاه برد وطعن فينا طعناً لا يرد
فانذهل الحاجب وتحير واضطرب جميع العسكر ولولا هيبة خداوند بن كسرى كان تفرق
في اقطار الصحراء وخاف الملك الاسود المباغتة في الليل كما فعل عنترة بوادي السيل
فامر الفرسان بالتيقظ والاحتراز وان لا تنام الا على ظهور الخيل قال هذا ما جرى لهولاء
من العبر واما ما كان من معدي كرب وعنتر فانهما بعدما تفرقت العجم في الروابي والشعاب
جمعا العدد والاسلاب ورجعا على الاعقاب وكان الملك زهير قد ابطأ عليه قدوم عنترة
ومعدي كرب فركب في الف فارس من ابطال العرب وسار خلفهما ليقتفي منهما الاثار
وينظر ما جرى لهما من الاخبار الا انه ما ابعد عن الجبال حتى التقى بهما ومن معهما من
الرجال فسلموا على بعضهم البعض وفرحوا بما وقع لهم من اللقاء في تلك الارض وحدث

عنترة الملك زهير بما جرى بينهم وبين العجم ففرح بذلك وتبسم وقال قد وجب علينا الشكر العميم لرب زمزم والحطيم الذي منّ علينا بهذا الفارس العظيم ثم اشار بيده الى معدي كرب فقال معدي ايها الملك المنتخب ما دام معك ابو الفوارس عنتر فلا تذل ولا تقهر ثم انهم رجعوا على عجل حتى وصلوا الى الجبل واخبروا رجالهم بما جرى لهم فكثرت منهم الافراح وزالت عنهم الاتراح وتباشروا بالنصر والنجاح وباتوا تلك الليلة على احسن حال وانعم بال وقد طابت قلوب النساء منهم والرجال ولما اصبح الصباح خرجوا من داخل الجبال وهم متاهبون للحرب والقتال فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم غبار عساكر العجم وارتفع على اقطار الارض وخيم واسود الجو منهُ واظلم ونفرت الوحوش من الغابات وبانت الاعلام والرايات وكان كلما ظهر جحفل ونظر الى بني عبس وهم وقوف امام الجبل صاح فيهم وحمل وعمل الحرب بينهم واتصل ولما نظر عنتر الى ذلك العمل هان عليهِ فروغ الاجل وكان كلما راى كتيبة من فرسانهِ تضعضعت يحمل معها فتقوى اذا سمعت صيحاتهِ قد ارتفعت ثم يعود الى مكانهِ وينجي الفرسان نشدة جولانهِ هذا ومعدي قد تعجب من فعالهِ فصار يقتبس منهُ ويعمل كاعمالهِ وما زالت العساكر تحمل وتتقدم حتى اشرف خداوند بموكبهِ الاعظم فصاح في نقباه وحجابه وامرهم ان يردوا عساكره واصحابه وقد ضربت الخيام ورفعت الاعلام وامتلات منهم الساحة ونزل خداوند لاجل اخذ الراحة

ثم امر وزيره ان يكتب كتابًا الى بني عبس من تلك الساعة يامرهم بالتسليم والطاعة فكتب الوزير بزرجمهور كتابًا الى الملك زهير وعنترة يقول فيهِ الذي نعلم بهِ الملك زهير ملك الطائفة العبسية التي قد بغت على المملكة الكسروية ووصلت اذيتها الى الدولة الفارسية يجب عليك ايها الملك ان تعرف قدرك ولا تتكبر على من امره فوق امرك فان لم تنته عن ذلك يحل بك الندم وتصبح مع قومك مثلاً بين الامم والا وحق الشمس العلية والانوار الشعشعانية اهلكتكم مع من يلوذ بكم بالكلية لان قوتنا قاهرة وسطوتنا باهرة وعساكرنا ظافرة والسلام على من عرف قدر النار وسجد لها في الليل والنهار ثم سلم الكتاب الى حاجب من الحجاب واضاف اليهِ جماعة من الخدم مع ترجمان يقال لهُ عقاب بن ترجم حتى انهُ يترجم لهُ ويتكلم فانطلق وسار وهو في زي الملوك الكبار. قال الراوي وكانت بنو عبس قد نزلت عن ظهور الخيل وتحصنت في الجبال وما بقي راكب سوى عنتر ومعدي كرب في عشرة من الرجال فلما نظر عنتر الى الحاجب ومن معهُ وهم مقبلون على تلك الخيول قال يا معدي ان صدقني حزري فهذا القادم علينا رسول يريد منا تقديم الطاعة لمولاه والانقياد لاوامر من

انشاه فقصده عنتر حتى يسالهُ عن فحوى الرسالة وما فيها فلما قاربهُ وحاذاه قال لهُ اخبرنا عن سبب مجيئك وما فحوى الرسالة ومعانيها . فلما سمع الرسول من عنتر ذلك الخطاب لم يعتبره ولم يرد عليهِ جواب فقال لهُ الترجمان نحن نريد الملك زهير وعنترة حتى نبدي لهما معنا من الخبر لان هذا الحاجب قد اقبل بكتاب لكم فيهِ الحظ الاوفر والسعد الاكبر يفهمهُ كل من لهُ عقل ونظر . قال عنتر قد قرأت كتابكم قبل ان تصلوا الينا وتقدموا علينا واعددت لكم الجوائز من الخلع الفائقة والتحف الفاخرة الرايقة . ثم انهُ في الحال صاح على شيبوب ومن معهُ من الرجال وقال لهم دونكم وهولاء الانذال رجلوهم وقيدوهم بالسلاسل والاغلال وتقدم هو الى الحاجب وطعنهُ بعقب الرمح فكسر لهُ ثلاثة اضلاع والقاه الى بساط البقاع واستقبل بعد ذلك الباقين وانقض عليهم مثل الشاهين فسلموا انفسهم لهُ وقد خافوا من الهلاك المبين فشدهم شيبوب با لكتاف واوثق منهم السواعد والاطراف فلما نظر الترجمان الى ما حل باصحابهِ من الهوان التفت على عنتر وقد انذهل وتحير وقال لهُ جزاك الله خيراً ولا اراك سوءا ولا ضيراً قد اعطيت الجواب قبل ان تتعب نفسك بقراءة الكتاب ولكن اذا كانت هذه الطعنة في خلعة الحاجب الكبير فما هي اذن خلعة الترجمان الفقير فضحك عنتر وابدى الابتسام وقال لهُ بحرمة البيت الحرام اما انا صادق في الكلام قال اي نعم وحق البيت المعظم وانا اطلب من الله ان ينصرك على العرب والعجم ويوقيك شر الرزايا والنقم ان انت عفوت عن عبدك عقاب بن ترجم لانني قليل المال ذو عيال واطفال لا نوق لي ولا جمال . وما سرت مع هذه العساكر با وجه العرب الا طمعاً في المال والمكسب والان قد دنا اجلي واقترب وما بلغت الارب ثم انهُ بكى وانتحب واشتعل فوادهُ والتهب وانشد يقول من فوادٍ متبول

يا فارسَ الخيلِ والابطالُ تصطدمُ وليثها وَهيَ مثل البحر تلتطمُ
ذلتْ لهيبتكَ العربانُ وانخذلتْ لما راتك وذلتْ بعدهــــا العجمُ
فلو دنوا منك او مدّوا رماحهم الى لقاك لمـــا عادوا ولا سلموا
مولاي ذنبي عظيمٌ قــد علمتُ بهِ وقد ندمتُ وعذرُ المذنبِ الندمُ
فاحم فديتكَ شيخًا قلَّ ناصرهُ عنـــد المشيبِ وذلتْ بعدهُ الحرمُ
فما طعانُ القنا في الحرب من شيمي ولا القراعُ ولا لي صارمٌ ثلمُ
اسمي عقابٌ ولولا انني رجل والسيف في راحتي لاصطادني الرخم

قال الراوي فلما سمع عنتر شعر عقاب بن ترجم شفق عليهِ وتسم وكذلك معدي كرب

العجب من كلامهِ واخذه الطرب وقال لعنتر والله يا ابا الفوارس ما دام هذا الرجل قد اقر بذنبهِ لا يجوز ان تامر في صلبهِ ثم دنا منهُ واطلقهُ واجاره من القتل واعتقهُ وقال لهُ ارجع لاهلك ولا تعد الى العجم فتهلك لانهم اذا علموا بصلب اصحابهم وراوك قد رجعت سالمًا اليهم اتهموك بانك خامرت عليهم قال عقاب لقد صدقت وصوابًا نطقت لو كنت اعلم بانكم تفلحون وفي قتالكم مع هذه العساكر تنجون اقمت عندكم طمعًا في المال والمكسب واستخلاص ما قدرت على جمعهِ من الفضة والذهب قال لهُ معدي كرب وقد داخلهُ من كلامهِ العجب اعلم يا وجه العرب ان هذا الامر عليك يطول فخذ الان سلب هذا الرسول واذهب الى اهلك وخل عنك الفضول ثم ان عقابًا دنا من الرسول واخذ ثيابهُ وعمامتهُ وسيفهُ وعدتهُ وكان في وسطهِ منطقة من الذهب الاحمر مرصعة بنفائس الدر والجوهر فلما راها اندهش وانبهر فتناولها ورفعها وفي جيبهِ وضعها وقد داخلهُ الطمع وزال عنهُ الخوف والفزع وتقدم الى عنتر وقبل يديهِ ودعا لهُ بالنصر على اعداءِ وقال لهُ والله يا مولاي لا افارقك ابدًا وانا اطلب من الله ان ينصرك على العدى حتى اذا اتاك رسول اخر نقتلهُ ونصلبهُ وانا اخذ جوادهُ وسلبهُ فضحك عنتر وكل من حضر ثم امر عنتر الى شيبوب في الحال بصلب الرسول ومن معهُ من الرجال فقال لهُ معدي يا صاحب الاخلاق الكريمة والافعال الحميدة المستقيمة انصلب الرسول ولا تشاور بذلك الملك زهير بن جذيمة قال عنتر اعلم ان المشورة لا تنفع في هذه الساعة والجسارة على فعل المحذورات هي غاية القوة والشجاعة لانهُ اذا وقع احد منا في ايديهم لا يقبلون فيهِ شفاعة والذي يطلب منا تسليم نفوسنا ويريد هلاكنا وقطع روءوسنا لا يكون لهُ جواب غير الصلب والعذاب وهذا الامر لا اكتمهُ عن الملك زهير ولا بد لي ان اعلمهُ بهذه الاسباب ثم امر بصلبهم على روءوس الهضاب وابقى منهم ثلاثة انفار ليرجعوا الى اصحابهم بالجواب واجتمع بعد ذلك بالملك زهير واخبره بحديث الرسول واعطاه الكتاب فلما قرا ما فيهِ من غليظ الخطاب زاد بهِ الحنق والغضب واشتعل من شدة الغيظ والتهب وشكر عنتر على ما فعل وما ابداه من حسن العمل ثم امر بقطع اذان الثلاثة الباقين بعد ما تكلم معهم باشد الكلام المهين وقال لهم ارجعوا الى صاحبكم خدوابدبن كسرى واخبروه بما تم لكم وجرى وقولوا لهُ ان يجهد جهده ويطبخ احمض ما عنده فخرجوا من بين المضارب والابيات مشاة حفاة اذلا عراة هذا وصياح الاولاد قد علا خلفهم فزاد ذلهم ووكف طرفهم ومات منهم اثنان من شدة الذل والهوان واما الثالث فانهُ جد في قطع القفر حتى وصل الى عساكر العجم عند العصر فتبادر الرجال اليهِ وداروا من حواليهِ وسالوه عن

حقيقة الخبر فحدثهم بما شاهد ونظر فلما سمع زردكال ما حل بالرسول من النكال وصلب اصحابه على روس الجبال تغيرت منه الاحوال وخرج عن دائرة الاعتدال ودخل على خدواند بن كسرى وحدثه بما تم وجرى فاخذه الحنق واشتد به الارق ونزل من على السرير وهو في غاية القلق وصاح على من حوله من الحجاب ومن يعتمد عليهم من الروساء والنواب وقال لهم قد استخفت فينا الانذال والاوغاد الارذال وطلبت قتالي واستهونت مقام جلالتي وقصدت انتهاك حرمتي واخراق مقامي وعظمتي واريد منكم في الصباح ان تبادروهم باشد كفاح وتاتون لي بساداتهم وابطالهم وقادتهم حتى انتقم منهم جزاء على جهلهم الفظيع وفعلهم الشنيع والا تركتكم عبرة للنظر وآية للبشر فاستعدوا لقتالهم وكونوا على حذر فاجابوه الى ذلك الشان ووعدوه بهلاك العربان ثم خرجوا من عنده في الحال ونادوا على العساكر والابطال ان تكون مستعدة في الصباح للمصادمة متاهبة للمقابحة والمقاومة

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صاحت النقبا في العساكر والمواكب ونادت في الفرسان والكتايب فاستوت الرجال على ظهور الجنايب وجردت السيوف القواضب هذا وقد اصطفت العساكر . وتعدلت الميامن والمياسر . ورفعت الاعلام الكسروية ودقت الطبول الخراسانية وارتجت الفلوات وعلت الاصوات ورقصت الخيل بركابها وهزت الديالم مزاريقها وحرابها فلما نظرت بنو عبس الى ذلك الحال ايقنت بالزوال واستعدت للحرب وطلبت القتال الا انها لم تتحوّل عن الجبال خوفًا من الهلاك والوبال هذا وعنترة في اوائلها ينخي الفرسان ويحرضها على الثبات في ميادين الطعان ولما تقابل الفريقان والتقى الجمعان انطبقت العساكر على العساكر كانها البحور الزواخر والليوث الخوادر وعملت البواتر في الضلوع والخواصر واسنة الرماح في المقل والمحاجر وكان يومًا كثير الاهوال والمخاطر تفطرت فيه المرائر وعميت النواظر وولى الجبان الخاسر وثبت الشجاع القادر هذا وعنترة يهدر كانه الاسد الكاسر ويجول على الميامن والمياسر ويطعن فيهم طعنًا يذهل البصائر واشتد بين القوم القتال وعظمت الاهوال وارتفع العجاج وحمي الشجاع وهاج ونادى ملك الموت في الارواح بالهجاج وقبضت الانفس بغير احتجاج وتقطعت من الفرسان الظهور ونزل عليهم قدر الله المقدور وحامت العقبان والنسور وحمي زمهرير الموجل وثار الغبار وتقسطل ودام الحرب بينهم واتصل وسقطت الرووس من اعالي القلل ووقع بهم الضجر والملل وضرب في ذلك اليوم المثل وانحطت المصائب على الفرس وذلت وقاتل العبسيون قتال الاسود اذا استقتلت وزادت نيران الحرب واتصلت ومدت الايادي

الى مطالب الاجل فوصلت وما زالوا على مثل ذلك الحال الى ان عوّل النهار على الارتحا واقبل الليل بالانسدال فافترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات تلك الارض ورجع عنترة من معركة الطعان كأنه شقيقة ارجوان مما سال عليهِ من ادمية الفرسا وهو ينشد ويقول

قفْ بالمنازلِ ان شجتكَ ربوعها   فلعلَّ عينكَ تستهل دموعها
واسأَلْ عنِ الاظعانِ اينَ سرَتْ بها   آباؤُها ومتى يكونُ رجوعها
دارٌ لعبلةَ شطَّ عنكَ مزارُها   ونأت ففارقَ مقلتيكَ هجوعها
فسقتكِ يا ارضَ الشربةِ مزنةٌ   منهلةٌ يروي ثراكِ هموعها
وكسا الربيعُ رباكِ في ازهارِهِ   حللاً اذا ما الارضُ فاحَ ربيعها
كم ليلةٍ عانقتُ فيها غادةً   يحيي بها عندَ المنامِ ضجيعها
شمسٌ اذا طلعتْ سجدتُ جلالةً   لجمالها وجلا الظلامُ طلوعها
يا عبلَ لا تخشي عليَّ من العدا   يوماً اذا اجتمعتْ عليَّ جموعها
إنَّ المنيةَ يا عبيلةُ دوحةٌ   وانا ورمحي اصلها وفروعها
وغدا ايرُّ على الاعاجمِ من يدي   كأسٌ امرُّ من السمومِ نقيعها
وأُذيقها طعناً تذلُّ لوقعهِ   ساداتها ويشيب منهُ رضيعها
واذا جيوشُ الكسرويِّ تبادرتْ   نحوي وابدَتْ ما تكنُّ ضلوعها
قاتلتها حتى تملَّ ويشتكي   كربَ الغبارِ رفيعها ووضيعها
فيكونُ للأُسْدِ الضواري لحمها   ولمن صحبنا خيلها ودروعها
يا عبلَ لوانَّ المنيةَ صوِّرتْ   لغدا الى سجودها وركوعها
وسطتْ بسيفي في النفوسِ مبيدةً   من لا يجيبُ مقالها ويطيعها

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح وثب كلا العسكرين الى البراز والكفاح ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضرباً بالسيوف البواتك وطعناً بالرماح الفواتك ورضاً للهام من تحت الترايك وما زال الامر على مثل ذلك حتى جد الامر واحتد الجمر فعند ذلك التفت الاسود على الربيع بن زياد وقد انصمت مسامعهُ من وقع السيوف الحداد فقال لهُ والله ما هذا الامر الا يوم عظيم وخطب جسيم يشيب من هولهِ الطفل الفطيم وقد قاتلت بنو عبس وما قصرت وثنت وما تاخرت فقال الربيع وقد استشاط غضباً وتكدر وحق نعمتك التي تروي وتذكر ما صانها الا عبدها عنتر فاسمع ايها الملك صياحهُ في العسكر

وانظر الى طعنه الذي لا يبقى ولا يذر هذا وقد نظر خداوند الى حملات بني عبس وقطن باسها فصعب عليه هجومها وثباتها وكان حوله نحو عشرة الاف من الفرسان المستريحة فامرها بالحملة فحملت عليهم بنيات صحيحة فالتقت بنو عبس وعدنان وحملت الفرسان على الفرسان وقام الحرب على ساق وقدم وجار السيف لما حكم واصفرت الوجوه خجلاً وارتفع الصياح وعلا وارتجت اقطار الفلا وعظم الويل والبلا وصارت الرجال قتلى ولبست من الدماء حللا وعاد السهل في اعينهم جبلا وتفتتت الاكباد والكلى وبطل منهم قول نعم ولا ووقع الطعن صوابًا وخللا وملت الرجال من الحرب مللا وصالت الابطال وعظم الزلزال واشتد القتال فلله در معدي كرب وعنتر فانهما قاتلا القتال المنكر وطعنا في الصدور والترايب واظهرا الاهوال والعجايب وكان شيبوب يدور من حولهما مثل النار الموقدة وكان كلما قتل من تحتهما جواد ياتيهما بغيره من الخيول الشاردة ويدافع عنهما بالنبال ولا يمل من القتال وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل الى ان اظلم الليل واعتكر فعند ذلك رجع الامير عنتر وتبعته الفرسان على الاثر وهو لا يصدق ان يصل الى الجبال حتى يرى الملك زهير وبقية الرجال لانه كان متشوقًا لمشاهدتهم ورؤية ابنة عمه عبلة فوجد ان قد جرح من اولاد الملك زهير ثلاثة انفار واُصيبت عين ابنه ورقا بنبلة فتكدر وتألم وقال لعن الله العجم ونبال الديلم فما امرقتالهم بالسهام ولولا ذلك لكنا محقناهم بضرب الحسام واسقيناهم كؤوس الحمام وبلغنا منهم غاية المرام ثم تحصنوا في الجبال واوثقوا الاسارى من العجم بالحبال هذا وعنتر قد ازداد غيظًا وحنقًا وقال والله لا بد لي ان اضرب عنق خداوند عوضًا عن عين مولاي ورقا

قال الراوي وتحارس العسكران واوقدا النيران وكانت بنو كندة قد باتت في غاية التعب والشدة حيث لم يكن لها من يحميها تحت الغبار فكانت قتلاها اكثر من قتلى بني زبيد لاجل غيبة اميرها حجار فباتت تلك الليلة وهي تلوم بعضها البعض وتدبر في خلاص نفوسها من تلك الارض ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح تبادرت العساكر الى ميدان الكفاح فاصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف وتاهبت العجم للحرب واستعدوا للطعن والضرب وقد اخذتهم الحمية وعصتهم العصبية ونادوا بالغارات وطلب الثارات وتناخى منهم الشجعان واعيان الفرسان وابطال المعارك والطعان وفعلت بنو عبس مثل ما فعلوا واستعدوا وقاتلوا والتقت الرجال بالرجال وارتجت السهول والجبال وطلع القتام والغبار وعمل الصارم البتار وتصادمت الابطال مثل موجات البحار وانذهل الجبان وحار ودام الامر كذلك الى اخر النهار وهم في قتال اشد من لهيب النار فلله در الامير عنتر وما فعل

في ذلك اليوم المنكر فانه خاض الصفوف والتقى بصدره الاسنة والسيوف وملا الوجود بالعدم وفتك في عساكر الاعجام ومتى اظلم الظلام فعاد بمن معهُ الى الخيام وبعد ما اصاب منهم غنيمة جسيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة بات تلك الليلة في سرور وافراح ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صف الصفوف ورتب الميات والالوف وبرز الى معركة القتال وتبعتهُ الفرسان والابطال وتاهبت عساكر خراسان للضراب والطعان فعند ذلك قال معدي كرب يا ابا الفوارس وزين المجالس لو بارزتنا هذه الطناجير كان اهيب لنا واحسن لحالتنا فقال عنتر ان قاتلونا او بارزونا فلا بد لنا من فناهم وهلاك شيخهم وفتاهم ولو انهم في عدد قوم ثمود او رمل زرود فبينما هما في هذا الكلام واذا بفارسٍ قد ظهر من عساكر الاعجام وهو راكب على جوادٍ كانهُ قطعة من غمام وعليهِ درع قصير الاكمام لا يعمل فيهِ الحسام وعلى راسهِ خودة من خود الاكاسرة لا يلبسها الا العتاة الجبابرة متقلد بصفيحة ماضية وفي يده حربة على النفوس قاضية فلما توسط الصفوف استقبل الشرق وسجد للشمس من دون خالق الخلق ثم دار وجههُ نحو طوايف العربان وطلب منهم البراز في ساحة الميدان فلما راه معدي كرب داخلهُ الفرح والطرب وقال لعنترها قد اجاب الله دعوتي وقضى لي شهوتي ثم طلب ذلك الفارس وانقض عليهِ ومد سنان رمحهِ اليهِ واراد ان يظهر شجاعته للصفوف فلم يطل معهُ الوقوف بل طعنهُ في صدره خرج الرمح يلمع من غفارة ظهره فانقلب من على ظهر الحصان الى بساط الصحصحان وقد تعوذت من تلك الطعنة سائر الشجعان ثم صال وجال وطلب البراز والقتال فبرز اليهِ فارس ثاني من ميمنة العجم وكان من عمدة ابطال الديلم فثار وفار وصدم معدي صدمة جبار فتلقاه معدي بقلب اقوى من الحجر وجنانٍ اجرى من تيار البحر اذا هاج وزخر وضربهُ بالحسام الابتر فوقع السيف على راسهِ شقهُ الى تكة لباسهِ ووقع الى بساط الارض يخبط بعضهِ البعض فتتابعت اليه الفرسان وتكاثرت عليهِ من كل جانب ومكان وهو ينهب ارواحها ويمزّق جثثها واشباحها وقد قتل منها خمسة وستين واسر ثلاثين فتعجبت الفرسان من فعالهِ واندهلت من هول قتالهِ ولما بلغ خداوند ن كسرى ما قد حدث وجرى قامت قيامتهُ وتعوجت بالحزن قامتهُ والتفت الربيع ن زياد على الملك الاسود وقد زاد بهِ الوجد والكمد وقال لهُ هذا التدبير لا نبلغ بهِ قصد ولا غرض ولا نشفي من اعدائنا المرض وكان الصواب ان نترجل فرسان العرب والعجم وابطال الفرس والديلم وتزحف الى ذلك الادهم والا طال علينا الحال وعدنا بخيبة الامال فلم يجبهُ الاسود الى ذلك المقال وقد تغيرت منهُ الاحوال وما زال معدي يبارز الرجال

ويقتل الابطال الى ان ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال فرجع عن القتال وقد نال من الفخر اوفى منال فالتقاه عنتر وهناه بالنصر والظفر. قال الراوي ولما اصبح الصباح تواثبت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وتقدم من العجم كل ليث اغلب وشجاع منتخب وجردوا كل عضب مشطب وكانت قلوبهم تغلي من شدة الغيظ بالويل والحرب على ما جرى عليهم بالامس من معدي كرب وتواعدوا ان يبرزوا اليهِ ويسقوه كأس العطب وما ترتبت العساكر وتقاربت الدساكر حتى برز منهم جبار عظيم الشان كانهُ من عفاريت سليمان وطلب مقام الحرب والطعان فاراد عنتر ان يبرز اليهِ فمنعهُ معدي واقسم عليهِ فامتثل منهُ عنتر ورجع عنهُ وتاخر وتقدم معدي الى ساحة الميدان وبرز الى ذلك المرزبان وهجم عليهِ هجمة الاسد وصاح فيهِ بغيظٍ وحرد وطعنهُ في فؤاده اقلبهُ الى الارض عن ظهر جوادهِ فتتابعت اليهِ الفرسان وتصايحت عليهِ الشجعان وطاب لمعدي الحرب والطعان وظهر منهُ ما حير العقول والاذهان وجاز عن حد وصف اللسان فتوقفت عنهُ الرجال وهابتهُ الابطال وكان جواده قد كلَّ وملَّ وضعف عزمه وانحل فنزل وركب غيره من الخيول الجياد وبرز الى ميدان الطراد ونادى باعلى صوتهِ ويلكم يا عباد النار ابرزوا اليَّ واطلبوا اخذ الثار وكشف العار قبل ان يذهب النهار فزاد بخداوند البلبال وتغيرت منهُ الاحوال وعظم عليهِ الامر واحمرت عيناه فصارت من شدة الغيظ مثل الجمر واراد ان يبرز اليهِ فمنعهُ الوزير شفقة منهُ عليهِ فقال خداوند الا يوجد في عساكر خراسان من يقدر على قتال هذا الشيطان حتى لا يقول الاسود اخو النعمان انهُ لا يوجد في عساكر العجم من يبرز الى فارس من العربان قال لهُ الحاجب زردخان اخو وردشان يا ملك الزمان وحق بيوت النيران ما عساكرنا الا ابطال وشجعان ولكن لا يلاقي هذا الفارس في الميدان الا قليل من الفرسان واني ما تاخرت الى الان عن البراز الا لملاقاة اسودهم عنتر فارس الحجاز. فلما سمع خداوند من حاجبهِ ذلك المقال خفق فؤاده واعتراه الانذهال وقال اوليس هذا هو عنتر الذي قتل واسر وفعل ما فعل من الامر المنكر فقال لا وحياة راسك ايها الملك السعيد ما هذا الا معدي كرب فارس بني زبيد وقد التجأ الى بني عبس وعدنان لاجل خلاص النعمان وما هو الا نقطة في بحار عنتر وان عنترًا افرس منهُ واقدر ومرادي ان ابرز الان الى الميدان وانجز امر هذين القرنان ولو اني من الاول توليت امر القتال كنت انهيت الاحوال ثم برز الى معركة الحرب ومقام الطعن والضرب وهو متقلد بسيفٍ ابتر وفي يدهِ رمحٌ قصير عمل سمهر وتحت فخذهِ ثلاث حرابٍ من النحاس

الاصفر وبين يديه عشرة من الغلمان يشابهونهُ في الزيّ والمنظر فعند ذلك تقدّم عقاب الترجمان الى عنترة وقال لهُ ايها السيد الجليل والفارس النبيل ها انا مقيم على الوعد فلا تنقض ما بيني وبينك من العهد فضحك عنترة وابدى الابتسام وقال ما معنى هذا الكلام قال اما عاهدتني يا ابن الكرام بان من اتى اليك رسولاً من الاعجام تضرب رقبتهُ وتعطيني جواده وعدتهُ فقال عنترة ليس هذا برسول وانما هو فارس مهول بريد قتالنا فاترك عنك الفضول وهولاء الغلمان من بعض اعوانهِ يمشون امامهُ تعظيماً لشانهِ اما كفاك ايها الترجمان ما وصل اليك منا من الجميل والاحسان قال نعم قد غمرتموني بجزيل النعم ولكنني اريد ان اجمع ما اقدر عليه من سلب هولاء الاوغاد حتى اخطب عبلة بنت مالك بن قراد واتزوج بها واقيم في هذه البلاد لاني سمعت بانها بديعة المنظر وابهى من الشمس والقمر ولها عبد يقال لهُ عنتر وهو اسد غضنفر يفترس الفرسان ولا يلتقي في الميدان فابعده الله ولا ابقاهُ واماتهُ ولا احياه فقال لهُ عنترة ابشر يا وجه العرب ببلوغ الارب فانا عبد لعبلة وراعي جمالها وانها تسمع لي ما اقولهُ لها فان شئت كنت الواسطة لك في الزواج بها لانهُ ليس يوجد الان احد يريدان يخطبها فاجتهد واجمع المال حتى ابلغك الآمال وتحظى بذلك الحسن والجمال ففرح عند ذلك عقاب وانشرح قلبهُ وطاب وقال ما انت الا عبد عظيم اخير من حرّ كريم فان فعلت معي ما ذكرت وبلغتني ما احببت واخترت لم اقطع لك ذكراً الى الابد وافعل معك من الجميل ما لا يفعلهُ احد مع احد فقال عنترة جزاك الله عني كل خير ووقاك من كل بؤسٍ وضير وانا اجعلك ان شاء الله في مكان الملك زهير حتى تفتخر على اقرانك وترتفع على ابناء زمانك وتعيش بقية عمرك منشرح البال طيب الحال فائزًا بالمطلوب ظافرًا بالمرغوب فضحك الناس من عقاب ومقالهِ وتعجبوا من افعالهِ هذا ما كان من عنتر وعقاب وما دار بينهما من الجواب والخطاب واما ما كان من الحاجب زردكال فانهُ رد كل من كان معهُ من الرجال وحمل على معدي كرب من غير مطال وكان معدي قد تعب مما لاقى ذلك اليوم من براز الابطال فتلاحما وتناضلا وتصادما وتقاتلا وتماسكا وتفاتلا والتصقا وافترقا وانبسطا وانطبقا وامتلأا غيظاً وحنقاً وتباعدا وتقاربا وتطاعنا وتضاربا واخذا في الشد والكد والصد والرد والسوق والطرد والهزل والجد حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق وصارت كالعاتق وتمنى الفارس منهما انهُ لو لم يكن يخلق ولم يزالا على مثل ذلك الحال حتى اقبل الليل بالانسدال فعند ذلك افترقا عن بعضهما البعض وانفسدا في تلك الارض الا انهُ لم يتمكن احد منهما على صاحبهِ بطعنة او بضربة وقد

تعجب الحاضرون مما جرى لها من تلك الامور الصعبة هذا وقد عاد زرد كال وهو في غاية الحزن على تلك الحال وقد اشتعل من شدة الغيظ فؤاده اذ لم ينل من معدي مراده ورجع بعد ذلك معدي كرب الى ناحية عساكر العرب فعند ذلك غدره فارس العجم وصاح فيه ونهم ورجع اليه وانطبق عليه وطعنه بحربة ماضية كانت تحت فخذيه وكان معدي لما سمع زعقته القى على ظهره درقته فوقعت الحربة على الدرقة اشد من وقوع الصاعقة فاخرقتها ونفذت منها الى الحديد فاخرقته ووصلت الى جسده فجرحته فقل قواه وجلاده وغاب عن الدنيا رشاده ووقع على وجهه ويديه وغشي عليه وهم الحاجب ان يترجل واذا بفارس قد فاجاه وانحط عليه انحطاط الباشق حتى حاذاه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من غفارة ظهره فوقع الى الارض يتخبط بدمه ويحث في يديه وقدمه قال وكان الذي قتل الحاجب زرد كال هو عنترة الفارس الريبال لانه لما نظر الى الحاجب وقد غدر بمعدي جازاه على ذلك الغدر والتعدي ثم تقدم وقلع الحربة من ظهره

الكتاب الرابع والعشرون من سيرة عنترة بن شداد العبسي

واركبه على جواده واحتار في امره حتى اوصله الى اصحابه وهو في غاية الضر مما حل به وكان الليل قد اقبل بظلامه رجع عنترة الى مقامه واشتدت على معدي جراحه والامه واما خداوند بن كسرى فانه لما راى ما تم وجرى زاد غيظه وحنقه وكادت تنشق مرارته من عظم ما لحقه وسل سيفه من غمده وقال لمن حوله من خدمه وجنده ايتوني باسرى العرب حتى اسقيهم كؤوس العطب لاني حلفت بالنار ذات اللهب اني لا ابقي منهم راساً ولا ذنب فلما سمعت الوزراء منه ذلك المقال قالوا له ايها السيد المفضال لا تعجل بهذه الفعال واصبر حتى ندبر امورنا وننصر لانا من هولاء العرب على خطر وقد اسروا منا نحو اربعة الاف اسير من كل سيد كبير ومقدم خطير فان قتلت اسراهم انزلوا باسرانا الفنا والتدمير فبينما هم كذلك واذا بالملك الاسود قد اقبل وطاطأ براسه الى الارض ثم وقف امام خداوند وامتثل وقال ايها المبجل ما هذا امر يبلغ به الامل وانت تعلم اننا من امر ابيك على عجل لان هذا الذي امرت به من امر البراز هو غاية مقصود عرب الحجاز لانهم طائفة قليلة وكل واحد منهم يلقى قبيلة ولهم وقائع مذكورة وغارات مشهورة فان لم تدعنا نحمل عليهم من كل جانب ونبادرهم بالقنا والقواضب فما نفوز بالمطلوب ولا نظفر بالمطلوب فلما سمع خداوند من الاسود ذلك الكلام التهب فؤاده بنار الاضطرام وقد زادت به الهموم والوساوس وقال اني لا اقاتلهم

الا فارساً لفارس وان لم تاتوني منهم واحداً بعد واحد فما اريد منكم معيناً ولا مساعد قال وأقام خداوند على ذلك اللجاج والطغيان وخرج الاسود من عنده وهو غضبان واعلم بذلك الحديث مقدمين العربان فلما سمع الربيع بن زياد بذلك الخبر استشاط غضباً وتكدر وقال انا اعلم ان هذا الامر كله من سعادة عنتر حتى يبلغ منا ما يريد ويختار ونبقى احدوثة بين عرب القفار قال ولم تزل الطوائف تحدث مع بعضها البعض وتموج في تلك الارض حتى مضى الليل الحالك واقبل الصباح الضاحك فعند ذلك تبادرت العساكر واصطفت الدساكر وتقدمت حماة العشائر واذا بفارس قد ظهر كانه الاسد الغضنفر وكان ذلك الفارس الامير عنتر فصال وجال وطلب القتال و تقلب على ظهر الحصان ولعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الشجعان ثم الوى العنان وطلب حرب عباد النيران ووقف برهة من الزمان فلم يبرز اليه احد الى الميدان فعند ذلك صاح بصوت يفلق الاحجار ويستاصل الاشجار وقال ابرزوا اليَّ يا عباد النار وخذوا بالثار . واكشفوا عنكم العار والا وحق ذمة العرب الاخيار صدمت جمعكم بهذا الرمح الخطار والسيف البتار ثم صاح وهجم واطبق على ميمنة العجم وطعن بالرمح العسال في صدور الرجال فاهلك جماعة من الابطال وفي دون ساعة من الزمان اهلك منهم ما ينوف على المائة والعشرين من الفرسان ثم ارتدَّ راجعاً الى الميدان واشار الى عساكر العجم براس السنان ابرزوا اليَّ يا ابطال خراسان حتى اريكم كيف يكون الحرب والطعان فعند ذلك برزت اليه الشجعان وتبادرت نحوهُ الاقران فجعل ينهب ارواحها ويعدمها صلاحها ويرمي على وجه الارض اشباحها ومازال على تلك الحال حتى اهلك نحو مائة من الابطال ثم حمل على الميسرة كانه النار المسعرة وكانت فيها قبائل العرب فاوردها موارد العطب وقد تضعضعت احوالها وايقنت بالهلاك ومازال يطعن فيها الى ان وقفت الشمس في قبة الافلاك فرجع بعد ذلك عنها بعد ما اشفى غليل فواده منها هذا وشيبوب امامهُ كانه البرق اذا لمع او الشهاب اذا سطع وقد اهلك منهم كل فارس سميذع وبطل غشمشم ونكس رايات بني غيلم ونثر منهم القمم وحير بفعالهِ جميع الامم وهزم اكثر الاعداء وفرقهم في جنبات البيداء ثم وقف بين الصفين واشتهر بين الفريقين وجعل يصول ويجول وينشد ويقول

سلي ياعبلةَ الجبلين عنا ... وما لاقت بنو الاعجام منا
الدا جمعهم لما اتونا ... تموجُ مواكبٌ انساً وجنّا
وراموا اكلنا من غير جوعٍ ... فاشبعناهمُ ضرباً وطعنا

ضربناهم ببيضٍ مرهفاتٍ تقد جسومهم ظهراً وبطنا
وفرَّقنا المواكب عن نساء يزدنَ على نساء الارض حسنا
وكم من سيدٍ اضحى بسيفي خضيبَ الراحتين بغير حنا
وكم بطلٍ تركتُ نساهُ تبكي يرددنَ النواحَ عليهِ حزنا
وجبار رأى طعني فنادى تأنى يا ابنَ شدادٍ تأنى
خلقتُ من الجبال اشدَّ قلباً وقد تفني الجبالُ ولستُ افنى
انا الحصن المشيد لآلِ عبسٍ اذا ما شادت الابطالُ حصنا
شبيهُ الليلِ لوني غيرَ اني بفعلي من بياضِ الصبح اسنى
جوادي نسبتي وابي وامي حسامي والسنان اذا انتسبنا

قال الراوي ولما انتهى عنترة من هذا الكلام خرج الملك الاسود من تحت الاعلام وصاح صيحة الغضب وتبعتهُ قبائل العرب وماج البرّ من ركض الخيل وانقلب ونادى الربيع بن زياد على من حولهُ من الجنود والقواد وقال لهم دونكم هذا العبد الاسود الذي قد طغى وتمرَّد فلما سمعت الرجال كلام الربيع اخذتها الحمية وعصفت في رؤوسها نخوة الجاهلية وانضمت بعضها الى بعض وحملت حملة تزلزل الارض والتقت الفرسان بالفرسان وتبادرت الاقران وكرَّت الابطال والشجعان وعلا الصياح من كل مكان وعمل الطعن بالسنان والضرب بالسيف اليمان وتقدم الشجاع وفرَّ الجبان وارتفع القتام الى العنان وازدحمت الخيل في الميدان وكان يوماً مهولاً عظيم الشان لم يسمع بمثلهِ من قديم الزمان قد زاد فيهِ الضجيج والصياح وتقصفت من شدة الطعن الرماح وهبت نسمات السموم لقبض الارواح وتخضبت بالدماء الوجوه الملاح وتكردست الاجساد على وجوه البطاح قال فبينما القوم في اشد قتال وعراك وجدال واقدام واقبال واذا بصائح قد خرج من معركة الحرب ومقام الطعن والضرب وهو يهدر كالبعير وفي يده اسير ومن خلفهِ رجل يسابق بمسيره الطير الذي يطير وكان ذلك الفارس هو عنتر البطل الامجد والليث الاوحد الذي نارهُ في الحرب لا تخمد والرجل هو شيبوب والاسير الملك الاسود . قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان الاسود لما حمل مع قبائل العرب اطبق على عنترة الفارس الانجب وصمم النية على قتلهِ من شدة ما لحقهُ من الغيظ والغضب واملَ في نفسهِ انهُ يسقيهِ كاس العطب فالتقاه عنتر بقلب اقوى من الحجر وصدمهُ صدمة الاسد الغضنفر وضربهُ بالترس على صدرهِ القاه الى الارض على ظهرهِ فادركتهُ الفرسان وقاربتهُ الشجعان فقاتل ومانع عنهُ ولم يدع احداً منهم يدنو

منهُ . ولم يزل على مثل ذلك الحال المنكر حتى وصل اليهشيبوب اسرع من لمح البصر فسلمهُ اليهِ فكتفهُ وساقهُ بين يديهِ وسار عنترة من خلفهِ يرد عنهُ الابطال ويصارع صناديد الرجال حتى اخرجه من عرصة المجال وامرهُ ان يسوقهُ الى الجبال ورجع عنترة في الحال الى معركة القتال والتقى الفرسان والاقيال وكان معدي من الم الجراح مكروب فلم يمنعهُ ذلك عن الركوب بل انهُ ركب في ذلك اليوم على ظهر الجواد وبذل غاية الاجتهاد في القتال والجهاد وقد حرَّض بني عمهِ على الحرب والجلاد وحثهم على اتباع عنترة بن شداد وكان خداوند قد ضاق صدره وتكدر وتنغص عيشهُ وتمرمر واعتراه القلق والضجر وقال لمن حولهُ من الفرسان لاتدعوا احداً منكم يقاتل مع العربان لاننا ان ساعدناهم يصير لهم الذكر وعلوّ الجاه والفخر وحينئذٍ يقول الاسود قد فعلت العرب مع قلة عددها ما لم تفعلهُ العجم بكثرة مددها. قال مجد بن هشام هذا كلهُ يجرى والقوم في اشد قتال وصدام وتجريع الموت الزوام وما زالوا على مثل ذلك الى ان اقبل الليل الحالك فرجع عنترة ومن معهُ من فرسان المعارك والى جانبهِ الملك زهير وقد استبشر بالنجاح والخير وهو ينشد ويقول

تناءت دارُ عبلةَ عن امامي ... وامسى حبُّها خلفَ الذمامِ
وقفتُ وصحبتي ياعبلَ فيها ... اسائلُها فلم تسمع كلامي
لقد منَّتك نفسك يوم قوّ ... احاديث الفؤاد المستهامِ
ومرقصةٍ رددتُ الخيلَ عنها ... وقد همَّتْ بالقاء الذمامِ
فقلتُ لها اقصري عنهُ وسيري ... فشرب دم العدى اقصى مرامي
وخيلٍ تحملُ الابطالَ شعثاً ... غداةَ الروعِ امثال الزلامِ
عناجيج تخبُّ على رحاها ... تثيرُ النقعَ بالموتِ الزؤامِ
الى خيلٍ مسوَّمةٍ عليها ... حماةُ الرَّوع في رهج القتامِ
عليها كلُّ جبَّارٍ عنيدٍ ... الى شرب الدماء تراهُ ظامي
بايديهم مهندةٌ وسمرٌ ... كأنَّ ظباتها شعل الضرامِ
فجاءوا عارضاً برداً وجئنا ... حريقاً في غريفٍ ذي اضطرامِ
واسكت كل صوتٍ غير ضربٍ ... وعترسةٍ ومرميةٍ ورامِ
وزعت رعيلها بالرمح شزراً ... على ربذٍ كسرحانِ الظلامِ
وكم بطلٍ تركت بها طريحاً ... باكنافِ المعامعِ والخيامِ
وخلَّفتُ الطيورَ عليهِ تهوي ... كما تهوي البزاةُ على الحمامِ

قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام اخذه الطرب والهيام وقال له لله درك يافارس الصدام وفايض الظلام لقد فقت على الاقران في فصاحة اللسان وقوة الجنان وكانت بنو عبس وبنو زبيد قد ملاوا بالقتلى جنبات تلك البيد ونثروا الايادي والقمم واشفوا غليل قلوبهم من العرب والعجم ولما نظر خداوند ما حل بعساكره من البلية ضاق صدره وايقن بحلول المنية وقال وحق النار الحمية والشمس المضية لقد انخرقت حرمة الدولة الكسروية ومن بعد الان لا نلوم الملك النعمان الذي صاهر هولاء العربان لان فارسهم الاسود قد عمل اليوم عملاً في الحرب ما لا يعمله احد من اهل الشرق والغرب واهلك عساكرنا وافناهم بالصارم العضب فقال له بعض الحجاب اعلم ايها الملك المهاب ان لم تدعنا وقت القتال نحمل عليهم بساير الابطال ونرميهم بالحراب والنبال ونحاصرهم في هذه الجبال والا لا ننال منهم غاية الامال فلما سمع خداوند منه ذلك المقال اقبل على من حوله من الرجال وقال لهم افعلوا ما تريدون ودبروا ما تشتهون وانا اكون في اوايلكم عند ما تحملون ثم امر النقبا والاعيان ان تعلم بذلك سائر الفرسان ففرحت ابطال العجم وعرب العراق وقالوا قد استرحنا من براز ذلك العبد المر المذاق ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح تبادرت عساكر الاعجام الى معركة الصدام فاستقبلتها بنو عبس مثل سباع الاجام وفي مقدمتهم عنتر كانه مارد من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان وانطبقت العساكر مثل البحور الزواخر وارتفع الغبار والعجاج واختلطت الافواج بالافواج وضاق بالعسكرين الفجاج وكثر بينهم الخوف والانزعاج ووقعت النبال في النحور والاوداج وعاد بياض النهار كسواد الليل الداج . قال الراوي ولقد بلغني ممن اثق به من اهل التحقيق وذوي الفهم والتدقيق انه جرى للقوم من الاهوال ما لم يجرِ مثله في سالف الاجيال وكان عنتر قد اختار الف رجل من نجوم الابطال ورجوم المعارك والقتال وصفها على صفٍّ واحد فكان يلتقي بها النوازل والشدايد وقد حمى المضايق وانزل بالفرس البلاء الطارق وقد وقعت هيبته في قلوب العجم لما ابصروا من هول قتالهِ في اليوم الذي تقدم فصار اذا صاح في جوانبها تفرقت واذا حمل على كتايبها تمزّقت وابصر خداوند ثبات العرب وفعال فارسها عنتر فاندهش وانبهر واستغاث بالشمس والقمر وترجل عن ظهر فرسهِ وزحف امام العجم بنفسهِ وقصد الى نحو العرب بسيفهِ وترسهِ فضجت الوزراء والحجاب ومقدموا العساكر والنوّاب والقوا انفسهم على الهلاك والعذاب فعند ذلك ارتجت الافاق ووقع بين القوم المحاق وكثر بينهم الصياح والزعاق ووقعت نبال العجم في المحاجر والاحداق وزاد الامر عن حد وصف السنة

الحذّاق وخاضت في الدما الخيول العتاق ولعبت في بني كندة وبني زبيد السيوف الرقاق والحراب الرشاق ولما راى عنتر الى ذلك الحال صاح على الفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم في مواقف الاهوال فخاضوا الغبار والقسطل وضربوا الرقاب وابروا القلل وطعنوا الصدور باسنة الرماح الذُبّل وقاتلوا قتال الجبابرة الأُول وسطا ابو الفوارس عنتر سطوة الشجاع البطل فلله دره في ذلك الوقت ومـا فعل فانه قاتل قتال من قد استقتل فنكس الاعلام ومزّق جيوش الاعجام وما زال الدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان غاب نور الشمس واسودت الافاق واقبل الليل بظلام الاغساق ونادى المنادى بين الطايفتين بالافتراق فرجعت العساكر والجيوش وقد هجت من هول تلك المعمعة الوحوش ورجعت بنو عبس الى الجبال وقد قتل منها فرسان وابطال واما بنو كندة فقد حلّ بهـا العدم لانها كانت بدون مقدم فقتل منها من قتل وانهزم من انهزم وتفرقت جموعها في البراري والاكام وكذلك بني زبيد قد قل نشاطها لاجل جرح مقدمها معدي كرب وهي متحسرة على النجاة خايفة من وقوع العطب .قال هذا ما كان لهولاء من الحديث واما ما كان من الربيع الخبيث فانه فرح بذلك الامر وبات منشرح الصدر وهو يبشر حذيفة بن بدر بالغلبة والنصر ويقول والله يا ابن العم ويا كاشف الهم والغم ان تم على بني عبس يوم اخر مثل هذا انقلعت اثارهم وسبيت حريمهم وخربت ديارهم فقال حذيفة والله يا ربيع ما هم الا جبابرة عتاه وما يغلبون ما دام عبدهم في قيد الحيوة على انهم ما خسروا اليوم في ميدان المعمعة وما قتل منهم فارس حتى قتل منا اكثر من ثلاثة او اربعة قال وباتت بنو عبس في اسوإ حال لانه كان قد جرح منها اكثر الرجال واستشار الملك زهير عنتر في الدخول الى الجبال لاجل المدافعة عن الحريم والعيال فقال عنتر لا وحق الملك المتعال لا دخلت الى بين هذه الشعاب والتلال ولا اختار لنسي الهزيمة الاّ بعد الغلبة العظيمة .قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وثب كلٌ من العسكرين الى البراز والكفاح فعند ذلك جردت الفرس سيوفها وحملت وفعلت بنو عبس مثل ما فعلت وتقدم عنتر في اوايل الابطال وطلب معركة القتال وانشد وقال

يا لقومي ساعدوني   في اللقا عند الزحام
اين طعان الاعادي   اين ابناء الكرام
فانا عنتر حقًا   بطل عند الصدام
اروعٌ قرمٌ همامٌ   باسل حامي الذمام

ضاربٌ بالسيف ضرباً بين عربٍ وعجامِ

قال الراوي ثم انهم اقتتلوا واصطدموا وابتعدوا والتحموا واقتربوا وهجموا واصطلحوا والتطموا وصاحوا وتهوا حتى خيلت المعركة سماء . غمامها غبار الكفاح وبريقها بريق السيوف والرماح ورعودها صليل السلاح ومطرها صبيب الجراح ودام القتال على مثل ذلك الحال الى ان ولى النهار واستحال فرجعت بنو عبس عن معركة الحرب ومقام الطعن والضرب وباتت تلك الليلة في قلق عظيم وغم جسيم . ولما كان الصباح رجع القوم الى ما كانوا عليهِ من الحرب والكفاح وقد امتدت بهم الحال في هذا الصدام والقتال سبعة ايام مع الليال وفي اليوم الثامن ضعفت بنو عبس وتقهقرت ولطمتها امواج الفرس فتأخرت وقاتلت بين الشعاب والمقاطع وفي اوايلها حاميها عنتر فارس المعامع . وكان قد جرح في ثلاثة مواضع وهو يدافع عن نفسهِ ويمانع وضجت النساء خوفاً من السبي والفظايع ومزقت من على وجوههنَّ البراقع وانهلت من اجفانهنَّ المدامع ولاحت للعجم فيهن وجوه المطامع فعند ذلك صاح الربيع بن زياد على من حولهُ من الجنود والقواد وقال لهم دونكم يا قوم وسبي البنات الكواعب التي هن ازهى من البدر والكواكب وقطعوا هذا العبد بشفار القواضب وانهبوا جسده على اسنة الرماح الكواعب لانهُ قد طغى وتكبر وبغى وتجبر واقلق بفعالهِ قبائل البدو والحضر قال واذا بغبار قد ظهر وارتفع وبعد تفريقهِ اجتمع ثم انكشف للعيان وبان من تحتهِ ابطال وفرسان كانها مردة الجان فاندهش الربيع واندهل من قدوم ذلك الجحفل والتفت الى حذيفة وقال لهُ ايها الاميرو السيد الخطير لاشك ان هذا غبار الملك كسرى وقد بلغهُ ما حدث وجرى فاتى ليكشف اخبار ولده وانا اعلم انها سوف تكون واقعة مشؤومة على بني عبس وينقلع اثرها ولو بلغت الى مطلع الشمس . قال نجد بن هشام ثم ان ذلك الجيش افترق في تلك البراري والاكام ونادت فرسانهُ يا للخم يا لجزام وتسابقت في الحرب مثل اسود الاجام وهي تقول ابشروا بالويل والارغام يا بني الاعجام فقد جاءكم الملك النعمان سيد قبائل العربان فلما سمع الربيع ذلك المقال اعتراه الخبال وذهب ما كان عنده من الفرح وحل بهِ الترح وضاق صدره بعد ما كان انشرح والتفت على حذيفة بن بدر وقد تعجب من تقلبات الدهر وقال لقد تخلص النعمان واتى الى نصرة بني عبس وعدنان بالابطال والفرسان وسوف يعتب علينا ويقول لما علمتم بغيابي اتيتم الى نصرة اخي وقتال انسابي وان لم نتلافَ امرنا ونحسن التدبير حل بنا الهلاك والتدمير ثم رجع الى خبثهِ ومكره وقد احتار في امره وصاح على قبائل العربان يا ويلكم كفوا عن الحرب والطعان فقد اقبل عليكم الملك

النعمان وتخلص من الاسر والاعتقال على رغم انوف اعدائهِ الانذال فلما سمعت العرب بذلك النداء ونظرت الى جيش النعمان قد ملا البيدا اخبرت بعضها بذلك الحال فتاخرت عن الحرب والقتال وعادت وهي تنادي نعمان يامنصور دم بالفرح والسرور ثم ترجلت عن ظهور الخيل ووفدت عليهِ وتمثلت بين يديهِ لانها كانت قد ذلت بعد اسر الاسود وصارت بلا مقدم ورات الهوان من عساكر العجم والديلم ولولا طمعها في نهب الاموال وغيظها على عنترة سيد الابطال لما كانت ثبتت في معركة القتال هذا وقد ارتفع الخلاف وحصل بين القبائل الاتفاق والائتلاف قال الراوي وكان السبب في خلاص النعمان من الاسر والهوان الامير جبار بن عامر وعروة بن الورد الاسد الكاسر لانهما سارا بمائتي فارس كما تقدم الكلام حتى اشرفا على ارض الحيرة وتلك الاعلام فعرجا بمن معهما الى المراعي والوديان ووضعوا السيف في العبيد والرعيان ونهبوا الاموال واخذوا النوق والجمال ثم ركبوا على ظهور الخيول وتسربلوا بالحديد وتقلدوا بالنصول واحاطوا بالبلد من سائر الجهات وارتفعت منهم الاصوات وعلت الضجات فطلبتهم الفرسان وزعقت عليهم الشجعان من كل جانب ومكان وخرج الحاجب الذي تركهُ خداوند لحفظ النعمان فالتقى بهِ الامير جبار وهو يبربر بلغتهِ ويذكر النار فهجم عليهِ وصوب رمحهُ اليهِ وطعنهُ بين ثدييهِ خرج السنان يلمع من بين كتفيهِ فوقع على بساط المهاد كانهُ طود من الاطواد فعند ذلك ماجت فرسان العجم وما منها الا حمل وهجم وبربر وطمطم ولعن العرب وشتم فصاحت بنو عبس وكندة بانسابها وطعنت الفرس في ظهورها واجنابها وسطا عليهم عروة وجبار وطعنا فيهم طعناً يذهل الابصار ويحير الافكار ولم تكن غير ساعة من النهار حتى انزلوا بهم الويل والدمار وشتتوهم في البراري والقفار ودخل الامير جبار الى البلد بمن معهُ من الفرسان والجنود وخلص النعمان من الاغلال والقيود وهنأهُ بالسلامة من الخطر واخبره بما فعل عنتر فانشرح صدره وطاب وزالت عنهُ الهموم والاوصاب وكانت سادات العشائر تطلب منهم جنوداً وعساكر وما امسى المساء حتى صار في سبعة الاف فارس من كل ليثٍ عابس وبطل مداعس ومن شدة خوفهِ على بني عبس الكرام من سطوة الاعجام ركب في ثاني الايام وجدَّ في قطع السهول والاكام وكانت فرسان العرب تتلاحق بهِ من سائر الاقطار الى ان صار في جيش جرار وما زال يوصل السير ويسابق في مسيره الطير حتى وصل الى معركة الطراد بمن معهُ من العساكر والقواد وتقدمت العرب الى خدمتهِ واذعنت الى طاعتهِ واجتمع بهِ الربيع وحذيفة بن بدر وهناهُ بالخلاص من الاسر. قال ولما سمع خداوند بذلك الخبر خاف من الهلاك

والخطر فاضطرب وتحير والتهب فؤاده وتفطر واخذه القلق والضجر وجرى عليه من الخوف ما لم يجر على قلب بشر . وامر بكف القتال وتاخر عن الجبال وكان قد بقي معهُ نحو خمسين الف عنان وحل بباقي عساكره الهوان فعند ذلك ظهرت بنو عبس من الشعاب مثل الاسود اذا خرجت من الغاب وفي اوائلها حاميتها عنتر وهو يهدر كانهُ الاسد القسور ولما رات العرب تملل العجم واجتماعها طمعت في نهب اموالها ومتاعها فتصايحت عليها من كل جانب وقصدتها باسنة الرماح الكواعب فمنعها النعمان عن ذلك الشان لانهُ كان حسن السياسة والتدبير وفي عواقب الامور خبير رشيد السيرة حميد السريرة ذو فكر ثاقب و راي صائب وخرج من تحت الاعلام بسرعة واهتمام والى جانبهِ الامير مجار وعروة بن الورد الفارس الكرار وجماعة من كبراء دولتهِ ورؤساء مملكتهِ . وقصد خداوند ابن ملك العجم ولما وصل اليهِ قبل الارض وسلم ودعا لهُ ولابيهِ بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم وقال لهُ لا تخف ايها السيد المحترم من قدومي عليك بهذه الامم فما نحن الا عبيد الدولة الكسروية وخدام المملكة الفارسية عبيدها ان وصلتم او قطعتم وخدامها ان وهبتم او منعتم وانا لا اعلم ان لي ذنبًا بالكلية يستحق القصاص والاذية غير مصاهرتي لهذه القبيلة العبسية والطائفة العدنانية اما شاهدت في هذه الايام فعالها وذقت حربها وقتالها ولاجل ذلك طلبت انا قربها ايها الملك السعيد لانهُ لا يقتَل منها فارس حتى يقتل جماعة من الفرسان الصناديد وما رايت اني لاجل قبيلة واحدة اهلك الجمع الغفير والعدد الكثير بل تلافيت الامر وفعلت فعل الرجل الخبير واحسنت في سياستي التدبير فسمع ابوك فيَّ كلام الحساد والاضداد وقبض عليَّ ظلمًا وعدوانًا لشيء لم يحط بهِ علمًا وبيانًا وما تسببت لي الخلاص وانيت الى هذا المكان الا خوفًا عليك من جهل العربان لانهم لا يعرفون قدر الملوك ولا يفرقون بين المالك والمملوك وليس لهم داب الا الرحيل من ارض الى ارض والتفاخر على بعضهم البعض والان فقد كان الذي كان ونظر العين اوفى من سماع الاذان وقد نظرت بعينيك ما قد كفى وانا لا اعرف لي ذنبًا يستوجب النفور والجفا والمعهود من اوصاف دولتكم المروة والوفا وكرم الاخلاق والصفا فان رضيتموني لمملكتكم محاميًا ومدافعا كنت لكم سامعًا وطائعا وان كرهتموني فالبرّ بين يدي واسع فلما سمع خداوند من النعمان هذا الكلام تكلل وجههُ بالعرق من شدة الحيا وابدى الابتسام وتلقاه بالترحيب والاكرام واجلسهُ بالقرب من حضرتهِ وقابلهُ بما يليق بحشمتهِ لانهُ كان جميل الخلق حميد الخصال ذا فكر ثاقب في سياسة الرجال وقد ارتفع الخلاف واصلح الشان وحصل الاتفاق

وتبدل الخوف بالامان وقال خداوند وحق بيوت النيران لا سرت الى بلاد خراسان الا وركابي بركابك حتى ادخل بك على ابي وترى ماذا افعل معك ومع اصحابك . لاننا ما عرفنا قدرك حتى حققنا امرك وقد قبلنا عذرك واريد منك ان تاتيني بعنتر الى هذا المكان حتى اخلع عليه الخلع الحسان واجعلهُ عمدتي على نوائب الزمان . فلما سمع النعمان ذلك الخبر فرح واستبشر وقال وحق من خلد سلطانك وشيد اركان ملكك وبنيانك ما عنترة الا وحيد دهره وفريد عصره وفي هذه الساعة ياتي هو وسائر قومهِ الى خدمتك ويقرّوا بانهم عبيد دولتك وغرس نعمتك ثم التفت النعمان الى عروة بن الورد بعدما استاذن من خداوند وامره ان يسير في الحال وياتي بعنتر والملك زهير ومن معهما من الابطال فسار عروة واجتمع بعنتر واوقفهُ على حقيقة الخبر وكانت بنو عبس قد كفت ايديها عن القتال والصدام لما رات الملك النعمان اجتمع بخداوند بن ملك الاعجام فعند ذلك التفت الملك زهير على عنترة بن شداد وقال لهُ ما عندك من الراي يافارس الطراد فقال وحق الالهِ الدائم ما كان عندي من الراي الحازم الا قتل خداوند بهذا الحسام الصارم . وقتل كل من معهُ من الاعاجم وسلب الاموال والغنائم غير اني لا اخرج عن راي الجماعة ولا اضيق صدر النعمان في مثل هذه الساعة بل اجيب بالسمع والطاعة ثم جمعا الفرسان الفحول وساروا على ظهور الخيول وعروة يحدثهم بحديث النعمان وبما جرى وكان هذا وعنتر يسمع وهو سائر معهم مقهور لان نفسهُ تابي الذل وتطلب العلا في سائر الامور ولما قربوا من عساكر العجم دارت بهم الحجاب وفرسان الديلم ونظروا بعين الحقد الى عنتر وتواصفوا ما نظروا منهُ في مقام الخطر وهو يشق المواكب امام الملك زهير واولاده وقد جعل سنان رمحهِ بين اذان جواده واخواه في ركابهِ كانهما ذئبان وهو ينظر الى عساكر الفرس بعينين كانهما شعل النيران ولم يزالوا سائرين والجيوش تنظر اليهم وترى حتى اقتربوا من صيوان ابن الملك كسرى فامرهم النعمان ان يترجلوا ويلثموا الارض امام خداوند ويقبلوا فنزلوا عن ظهور الخيل وامتثلوا امره وفعلوا ورفعوا بالمدح اصواتهم ودعوا . وعرفوا عظمة جنابه ورعوا فترحب بهم واذن بالجلوس وان تدار عليهم الكؤوس وقد تعجب من افعالهم وغريب اعمالهم ثم قال لهم يا وجوه العرب الاجواد ان العتب في مثل هذا الوقت مما يجدد الاحقاد . وذكر ما قد فات يجلب البغضة والعناد وما احضرتكم الاّ حتى اهب لكم دم رجالي واستوهب منكم ما قد مضى من قبيح افعالي واتخذكم لي كالاخوان وتكونون الى دولتي من جملة الاعوان لان ابي قد جعلني وليّ عهده واوصى لي بالملك من بعده ثم احسن اليهم

وانعم بالخلع عليهم فصفت منهم القلوب وانجلت عنهم الكروب لان حطام الدنيا محبوب ونعيمها مرغوب ثم ان الملك زهير اقبل عليهِ وقال له ايها الملك الكريم والسيد العظيم وحق زمزم والحطيم ما نحن الاعبيد دولتكم منذ قديم وانما الانسان اذا راى بعينهِ الذل والهوان مانع عن نفسهِ على قدر الامكان ثم اشار الى عنتر فقبل الارض بين يديهِ واعتذر فشكره خداوند على حسن معانيهِ ولم يعلم باي شيء يكافيه وقال له وحق النار والمعبد ما انت الا فارس امجد ثم لقبهُ بسبر سياه يعني سبع اسود وامر له بالخيول الضوامر والتحف الجواهر والتفت على النعمان وقال له يا شاه تيزان اي يا ملك العرب ان خذه معنا الى بلاد خراسان فقد لذت لي مشاهدته وسرتني مسامرتهُ . فقال لقد سمعنا واطعنا قال وكان قلب النعمان من كسرى غير آمن وكان يشتهي ان ياخذ عنترًا معهُ الى المداين فاتاه الامر كما اراد واصطلح امره بعد الفساد وما اقبل الليل حتى تمهدت الامور وانشرحت الصدور وعم السرور وعملت الولائم والدعوات وكثرت الافراح والمسرات ثم سعى النعمان في خلاص اخيهِ الاسود ومن معهُ من الرجال فاطلقتهم بنو عبس من الاعتقال وتقدم الاسود الى اخيه واعتذر اليه واصلح النعمان بين بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان وقال ان الصلح بين بني الاعمام انعام على انعام ثم التفت الى ابي الفوارس عنتر وقال يا فارس ربيعة ومضر وشاعر شعراء البدو والحضر انا اعلم بان عيشك قد تنغص عليك من عاقة زفافك على ابنة عمك ووصولها اليك ومابقي غير انجاز امرك ودخولك عليها وصفاء سرك . فقال عنتر اني لا ادخل على ابنة عمي ولا يزول همي وغمي الا حتى يصفو لك الزمان ويرضى عليك كسرى انوشروان والا وحق خالق الاكوان زلزلت على راسهِ الايوان وقتلت كل من في خراسان وجعلتك صاحب الملك والسلطان فلما سمع مقالهُ تبسم في وجههِ واستحسن فعالهُ وشكره ودعا له ثم اقاموا بعد ذلك الكلام ثلاثة ايام وهم في فرح وسرور وغبطة وحبور وفي اليوم الرابع تجهزت جميع العساكر واخذت اهبتها للسفر وقال النعمان الى الملك زهير ارحل انت الى حلتك وانجز امر ابنتك وبعد ذلك ابعث رسولاً الى خدمتك ومثل ذلك قال الاسود الى حذيفة سيد بني فزارة لانهُ كان قد خطب اختهُ مارية كما سبقت الاشارة . ثم رحلت قبائل العربان طالبة الاهل والاوطان ورحل خداوند بمن معهُ من الابطال والشجعان وفي صحبتهِ الملك النعمان وعنترة الفرسان وجبار بن عامر وعروة بن الورد الفارس الورد ولما تمادى بهم الترحال زاد بعنتر الوجد والبلبال فتذكر ارض الشربة والاهل والاحبة فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكتتم في ضمائره فانشد وقال

ذنبي لعبلةَ ذنبٌ غيرُ مغتفرٍ   لما تبلج صبحُ الشيبِ في شعَري
رمتْ عبيلةُ قلبي منْ لواحظها   بكل سهمٍ غريقِ النزعِ في الحورِ
فاعجبْ لمنْ سهاماً غيرَ طائشةٍ   من الجفونِ بلا قوسٍ ولا وترِ
كم قد حفظتُ ذمامَ القومِ من وَلهٍ   يعتادني لبنات الدلِّ والخفرِ
مهفهفاتٌ يغارُ الغصنُ حين يرى   قدودها بين ميادٍ ومنهصرِ
يا منزلاً ادمعي تجري عليهِ اذا   ضنَّ السحابُ على الاطلالِ بالمطرِ
ارضُ الشربةِ كم قضيتُ مبتهجاً   فيها مع الغيدِ والاترابِ من وطرِ
ايام غصنِ شبابي في نعومتهِ   الهو بما فيهِ منْ زهرٍ ومن ثمرِ
في كل يومٍ لنا من نشرها سحراً   ريح شذاها كنشرِ الزهرِ في السحر
وكلُّ غصنٍ قوامٍ راق منظره   ما حظَّ عاشقها منهُ سوى النظرِ
اخشى عليها ولولا ذاك ما وقفت   ركائبي بين وردِ العزمِ والصدرِ
كلا ولا كنتُ بعدَ القربِ مقتنعاً   منها على طولِ بعدِ الدارِ بالخبرِ
همُ الاحبةُ ان خانوا وان نقضوا   عهدي فما حلتُ عن وجدي ولا فكري
اشكو من الهجرِ في سرٍّ وفي علنٍ   شكوى تؤثر في صلدٍ من الحجرِ

قال الراوي فطرب لما النعمان ومن حضر من الفرسان وما زالوا يجدون التسيار ويقطعون المفاوز والقفار حتى وصلوا الى الحيرة وتلك الديار فنزل النعمان في سرايتهِ وفرحت بقدومهِ الاوطان ودقت الطبول وهتفت البوقات والزمور وطفح السرور ونزل خداوند في الخيام ورفعت لهُ الاعلام واولم النعمان لخداوند وليمة عظيمة لها قدر وقيمة . واقام في الحيرة ثلاثة ايام في اكل طعام وشرب مدام وسماع انغام وبعد ذلك رحل يطلب بلاد خراسان بمن معهُ من العساكر والفرسان واستمر عنتر واصحابهُ عند النعمان وهم منتظرون اخبار كسرى انو شروان وما زالوا في عزٍ واكرام ونعيم وانعام خمسة عشر يوماً على التمام ثم وصلت اليهم الخلع والتحف والاموال التي لا تحد ولا توصف لان خداوند لما وصل الى ابيهِ كسرى حدثهُ بما تم لهُ مع العرب وجرى وقال لهُ يا ابتاه وحق النار وما يظهر فيها من الدخان والشرار قد ظلمنا النعمان وافترينا عليهِ واوصلنا اذيتنا اليهِ وما كان الا على الراي الصائب لما اتخذ العبسيون لهُ انساباً واقارب وجعلهم لهُ عصبة وحبائب يتقوى بهم على سائر ملوك الاعارب وقد رايت منهم في هذه الحروب العجائب لان الحاضر الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ولا يصلح لدولتنا الا هو لانهُ صديق وصاحب ولهُ تدبير صائب لا يعيبهُ عائب واريد منك يا ابتاه ان تنفذ

له الخلع الحسان وتعيده الى منصبه كما كان وما زال يتحدث مع ابيه حتى لان وانفذ الخلع والهدايا الى النعمان وكان في هذه الهدايا لعنتر الحظ الاوفر والقسم الاكبر

قال الراوي ولما استامن النعمان من غدر كسرى انوشروان استاذن عنتر بالمسير الى الاوطان فقال له النعمان وحق النار والمعبد ان فراقك عندي مثل فراق الولد ولكني لا اقدر ان امنعك لما في قلبك من الشوق والكمد ثم اذن له بالانصراف بعد ما اعطاهُ من الهدايا والتحف ما تكل عنهُ الاوصاف وسار لوداعه يوماً كاملاً في جماعة من الابطال فرده عنتر وحلف عليهِ بالرجوع الى الاطلال واشار يمدحه بهذه الابيات

كانَّ بارضِ المزنِ هبتْ لنا الصبا ... مساءً وقد جاءتْ بوكفِ الغمائمِ
فديتكَ يا نعمانُ في كلّ جحفلٍ ... اذا عددتْ رهطُ الرجالِ الاكارمِ
كريمٌ اطاعتهُ الليالي وانما ... اطاعتْ جريَّ الناسِ غمرَ المكارمِ
اشدُّ أُناسٍ من ثبيرٍ ويذبلٍ ... واجرى وامضى من قنا وصوارمِ
همامٌ بعيدُ العزمِ تسبقُ خيلهُ ... واسيافهُ في العارضِ المتلاحمِ
ولا طعنَ الا من قضاءٍ ونازحٍ ... ولا ضربَ الا في الكلا والجماجمِ
اطعت العلى لما غدوتَ لتاجها ... مليكاً على طردِ الخطوبِ الغواشمِ
فما زلتَ وهاباً لكلِّ جزيلةٍ ... من الحمد باقٍ ذكرها في المواسمِ
وقد جاءكَ المدحُ المقيمُ حديثهُ ... وجاءت لكَ الاقبالُ ذاتُ الغنائمِ
وما زلتَ في عزٍ فما طارَ طائرٌ ... وما اطربَ الارواحَ شدوُ الحمائمِ

فشكره النعمان واثنى عليه وقبلهُ في عارضيه وبعد ذلك رجع النعمان الى الاطلال وسار عنتر بمن معهُ من الرجال طالب ارض الشربة وتلك الديار وهم يتناشدون الاشعار ويذكرون ما جرى لهم من الوقايع والاخبار. وما زالوا يجدون السير ويسابقون بسيرهم الطير حتى خرجوا من بلاد العراق ودخلوا الى ارض الحجاز وتلك الافاق فنزلوا على ماء يقال لهُ القوام فاكلوا الطعام وشربوا المدام واقاموا حتى اقبل الليل الحالك واراد عنتر ان يحرسهم فما مكنهُ عروة من ذلك وقال انوب عنك هذه الليلة يا ابا الفهم لانك من حين خرجنا من ارض العراق لم يغمض لك جفن ولم تنم فاجابهُ عنتر الى سوالهِ وانتخب عروة خمسة من ابطالهِ وتولى بهم الغفر في ذلك البر الاقفر الى ان صار وقت السحر فاخذهم الملل والضجر واستولى عليهم سلطان الكرى فوقعوا على وجه الثرى وغرقوا في بحر المنام كانهم القتلى وما رفع احد منهم راسهُ الى الارض حتى طلع الفجر وانجلى ولم يحتسبوا من طوارق البلا وكان عنتر

تلك الليلة قد التذ في المنام . وزاره خيال عبلة في الظلام فلما اصبحوا تاهبوا للمسير وطلبوا خيولهم فلم يروا منها الا قليلاً ولا كثيراً فقال عنتر واحرباه طرقنا والله في ظلام الليل ونكبنا في جميع الخيل ثم سال عروة عما جرى له في ليلته وقال اصدقني بالحديث على جليته فخجل عروة وقد احتار في قصته وقال والله يا ابا الفوارس لقد واظبنا على الحرس وسهرنا حتى مضى اكثر الليل وبدا ضوء النهار يتنفس فهبت علينا ريح الصبا فنمنا على بعض الربى وما قلنا ان هذه الارض يطرقها طارق ولا يمر بها سلال ولا سارق ثم اطرق براسه الى الارض من شدة الحياء والخجل وتكدر على ما حصل فقال عنتر والله ان هذا الذي جرى علينا في هذه الصحراء لا يجرى مثله على النساء ولكن الذي يفرط في نفسه ويامن كيد العدى يجازيه الزمان بايشم الردى ثم انه امر جماعة من الرجال ان تتفرق في البراري والتلال لتقتفي الاثر وتقف على حقيقة الخبر فامتثلوا امره وغاصوا في جنبات القفار ورجعوا في اخر النهار من دون فائدة ولا اخبار فزاد بعنتر القلق واضطرب فواده وخنق من شدة الغيظ والحنق وقال ان فراق روحي ايسر من فقد الابجر ثم انه التفت على اخيه جرير وقال له ايها الاخ الامين اقصد جوانب هذا البر ولا تعود الينا الا بالخبر اليقين وان وقعت بحلة من حلل العرب سل لي منها جواداً حتى اركب . قال وكان شيبوب في الاطلال لما جرت لهم هذه الاحوال لان عنترة كان قد ارسله مع الحريم والعيال خوفاً على عبلة من غدر بني زياد الانذال واراد جرير ان يسير . ويقتفي الاثر واذا بعنتر قد سمع صهيل جواده الابجر وهو مقبل من صدر البر الاقفر فلما راه فرح واستبشر ونادى وافرحاه بعد ترحاه هذا والله جوادي وقد بلغني الله غاية مرادي ولا بد لي اليوم ان احلق عليه رؤوس الاعادي واشفي منهم غليل فوادي ثم زعق عليه فاقبل الجواد اليه ووقف بين يديه وهو يصهل فرحاً بصاحبه ويحن شوقاً الى صوت راكبه فشد عنتر عدته وركب على ظهره في الحال واقبل على عروة ومن معه من الرجال وقال له يا ابا الابيض اركب انت ورجالك من هذه الجمال وسوقوا على الاثر حتى اكشف لكم الخبر ثم تقلد سيفه البتار واعتقل رمحه الخطار وهو يقتفي الرسوم والاثار حتى حمي عليه الحر . وهوجر البر وزعق الجندب وصر فعول ان ينزل في تلك الساحة وياخذ له راحة واذا برجل قد ظهر من بين البراري والشعاب وهو يجرى مثل السحاب ويقطع الروابي والهضاب لا يشعر بالتعب ولا يعيي به غضب وكانت يداه مكتوفتين الى ورائه وفي عنقه حبل طويل والخيل تجري من خلفه وقد اقلقت البر بالصهيل فقصده عنترة بالابجر ومال اليه بالرمح الاسمر وحقق فيه النظر فاذا هو الليث الوثوب اخوه الامير شيبوب

فتعجب من قصته .وحل كتافة ونزع الحبل من رقبته وقال له يا اخي ما هذا الحال ومن هم
هولاء الانذال فتنهد شيبوب وتحسر وقال له الحمد لله الذي وقعت بك في هذا البر الاقفر
والا كنت اصبحت قتيلاً في هذه البلاقع وليس لي محام ولا مدافع فاقتل هذه الفرسان التي
هي فرقة من بني زهوان حتى احدثك بما جرى وكان وبعد ذلك تجتهد في خلاص صديقك
الحارث بن زهير لانه ماسور عندهم وهو في غاية الضنك والضير فقصتي عجيبة وامورها
غريبة فعند ذلك اطلق عنتر عنانه وقوّم سنانه واستقبل الخيل وانزل بركابها البلاء والويل
وكانت نحو مائة بطل فقتل منها ما قتل وشتت الباقين بين السهل والجبل .ثم رجع الى
اخيه على الاثر وساله عن حقيقة الخبر فقال يا ابن الام ان قصتي شرحها يطول فاخبرني
انت بحديثك وما سبب وقوعك في هذه الطلول فحدثه عنترة بحديث عروة وما كان من
سرقة الخيول فلما سمع شيبوب منه ذلك المقال اخذه العجب واعتراه الانذهال وقال والله
ان سرقة خيولكم في هذه الاطلال كانت سبباً لسلامتي من الهلاك والوبال وان الذي سرق
خيولكم في هذه الهضاب اربعون رجلاً من سلالي الاعراب قد تبعوكم من ارض العراق
وتلك المعالم والافاق والمقدم عليهم رجل مر المذاق يقال له اويس بن السعلا وانا اعرفه
دون كل احد من الملا وقد التقوا عند الصباح ببني زهران وهم القوم الذي كنت انا عندهم
في الاسر والهوان .فقتل منهم ثلاثون وهرب الباقون وعند اشتغالهم بعضهم البعض في تلك
الصحراء هربت انا كما ترى .قال الراوي واعجب ما اتفق من الاحاديث التي تورخ في بطون
الورق ان اويساً المقدم ذكره كان قد اشتهر باللصوصية امره وكان كثيراً ما يغزو القبائل
ويقطع الطرق على التجار والقوافل وكان قد راقب عنترة وهو في بلاد العراق وابصر ما
ناله عند النعمان من الخيول والنياق والتحف والنفايس والاموال والملابس وكان له اربعون
رجلاً يعتمد عليهم في اللصوصية والامور القبيحة الردية فاتفق معهم واقتفى من عنترة الاثر وقد
امل اغتنام الفرصة وبلوغ الوطر وكان في كل ليلة يراقبه تحت ظلام الغلس فيراه على الحرس
فلم يقدر عليه ولم يجسر ان يقرب اليه لان اخبار عنترة كانت قد شاعت في الغرب والشرق
وتحدثت بفروسيته سائر الخلق وما زال يترقب الفرص كما يترقب الصياد القنص الى ان
كانت تلك الليلة التي تولى عروة فيها الحرس ونام فاغتنم الفرصة مع من يلوذ به من الاقوام
وسرقوا الخيل وبلغوا المرام واوسعوا بها في البراري والاكام وكانوا قد خافوا ان يدركهم
عنترة فيسقيهم كاس الحمام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انكر الابجر كثرة ذلك السوق
المنكر وافتقد راكبه فلم يقف له على اثر فضرب الرجل الذي كان يقوده وكاد يتزل به

العبر فانذهلوا وحاروا واطلقه خوفًا من البوار فرجع الجواد على الاثار فتبعته الخيل وساقوا خلفه في القفار فلم يلحقوا منه غير الغبار وما زالوا يقتفون منه الاثر حتى اشرف الجواد على عنترة كما تقدم الخبر واجتمع باخيه شيبوب وخلصه من الاسر والهوان وقتل جماعة من بني زهران واراد ان يتبعهم في تلك البراري والقيعان حتى يجز امر الباقين ويخلص الحارث من اسرهم ويقصر بسيفه ما طال من عمرهم فمنعه شيبوب من ذلك وقال لا بد للقوم ان يتبعوني في هذه الدكادك فاصبر قليلاً حتى يقبل عروة الى هنا فتبلغ منهم غاية المنى فلما سمع عنترة كلامه قال له صدقت وصوابًا نطقت ثم انه نزل عن جواده ونزع عنه اللجامة وحل له حزامه وقد تعجب من قصة شيبوب وما كان من امره وحزن على الحارث بن زهير واسره

قال الراوي وكان السبب في ذلك ان بني عبس بعد ما وصلت الى بلادها واستقرت في ارضها ووهادها عملت الولائم والدعوات وصفت لها الاوقات واتفق من غريب الحوادث ان ابن الملك زهير الحارث خرج ذات يوم الى الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص وفي صحبته جماعة من اصحابه وخلانه واحبابه فابعد بهم في البرية حتى وصلوا الى وادي اليعمورية فلاحت له غزالة في ذلك البر فساق عليها وكر فولت تطلب الهرب وما زال وراءها في الطلب حتى انتهى به المسير الى غدير كبير فوجد مضارب وخيامًا ورايات واعلامًا وهي خالية من الرجال والفرسان وما فيها سوى النساء والصبيان وعلى شاطئه جماعة من البنات الحسان وبينهن جارية بديعة الجمال كانها الهلال قد جمعت بين فنون الكمال وتربت يتيمة بالدلال وكان يقال لها لبنى بنت المعتمد الذي فاق بجوده كل احد فلما نظرها الحارث غلب عليه العشق والجوى واستولى عليه سلطان الهوى وكانت تلك الغزالة قد اعياها التعب من كثرة الجريان وشدة الطلب فدخلت بين البنات طالبة الخلاص من شرك الاقتناص فعرج الحارث اليهن وسلم عليهن والتفت على لبنى وتكلم معها بافصح كلام وقال لها دعي صيدي يا بنت الكرام حتى اخذه واذهب بسلام لانه قد اتعب جوادي وابعدني عن اهلي واجنادي فقالت له خلي عنه ايها السيد الكريم والبطل العظيم فانه قد استجار بالحريم وقد اعطيناه ذمامنا وامّناه فمهما طلبت ندفعه فداه وكانت لبنى عند ما وقع نظرها عليه رجفت اعضاؤها وزاد بلاؤها وتمكن فيها العشق والغرام واشتعل فؤادها بنار الاضطرام ومن كثرة شوقها ووجدها باحت بما عندها وانشدت تقول من فؤادٍ متبول

ليتَ ان العينَ عنتْ عن فتى مذْ اتى يبغي من الصيد الظبا
جاء يصطادُ غزالا في الفلا فاصادَ الظبي من وسطِ الخبا

ظبيةٌ لم تدرِ ما البؤس ولا … رعت الشيحَ بأكناف الربى
فدعِ الصيدَ فقد نلتَ المنى … وبلغتَ السؤْلَ ثم الاربا

قال ثم انها بعد هذا الكلام قالت له يا وجه العرب الكرام اكشف لنا عن لثامك واخبرنا عن عربك واقوامك فابدى الحارث الابتسام وكشف عن وجهه اللثام وقال لها يا قرة العين والروح التي بين الجنبين انا الحارث بن زهير سيد بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فقالت فتى كريم وسيدٌ عظيم وها نحن مقيمون في دياركم واوطانكم ملتمسون ذمامكم وامانكم قال على الرحب والسعة والكرامة والدعة ثم سالها عن الرجال وغيبة الابطال قالت ساروا الى ديار بني فزارة وقت الفجر ليحضروا وليمة دعاهم اليها حذيفة بن بدر قال واقام الحارث معهن نحو ساعة من النهار وبعد ذلك ودعهنّ وسار وقد اشتعل فواده من فرط الحب بلهيب النار ولما زاد به القلق والشوق والارق باح لسانهُ بالشعر ونطق وانشد يقول

سلامي على الوادي ومَنْ حلَّ دونهُ … فقد حمَّلوني فوقَ ما انا حاملهْ
مررْتُ بهِ أبغي من الصيدِ ظبيةً … فعدتُ وقد صادتْ فوأدي حبائلهْ
وابقيتُ قلبي عندَ سكَّان أرضهِ … وجسمي على نار الهوى ومراجله
فان يكُ جسمي قد مضى نحوَ أهلهِ … فانَّ فوأدي عندكم وبلابله

قال ثم انهُ جدَّ في قطع البيدآء حتى وصلَ الى ابياتهِ عند المساء وهو على غير الاستواء من تباريح العشق والجوى وبات تلك الليلة في قلقٍ وضجر وغمٍ وكدر وقد اصفرّ لون وجههِ وتغيّر من شدّة الوجد والسهر ولما طلع ضوء النهار اجتمع بدايتهِ وكان اسمها ام ضرار وقال لها هل انت ممن تكتمين الاسرار قالت نعم وحق العزيز الجبَّار فاعلمها بامرهِ وسألها ان لاتبح بسرّهِ وقال لها انا اعلم ان خدماتكِ لنا وافرة وحقوقك علينا متكاثرة واريدُ منكِ الآن ان تذهبي اليها في زيٍّ زائرة وتقفي على حقيقة امرها وتعلمي بما في ضميرها وفكرها وما هو اسمها واسم ابيها وامها واعلميها بحالي ووجدي وهل عندها من المحبة والشوق مثل ما عندي فان تيسر المطلوب زالت عني الكروب لانَّ قلبي يحبها ويهواها ولا يميل قط الى أحدٍ سواها فلما سمعت كلامهُ اجابتهُ بالسمع والطاعة وقصدت مضاربَ القوم من تلك الساعة ولما وصلت الى ابيات بني زهران دخلت بين النسوان واظهرت على نفسها بانها غريبة عن الاوطان ثم أخذت تشاغلهنَّ بالحديث والاخبار وتسارق بالنظر البنات الابكار وما زالت على تلك الصفة حتى عرفت لبنى من بين النساء وحققتها حق المعرفة فبرد قلبها وهمد كربها وتقدمت اليها وسلمت عليها وحدثتها بحديث الحارث وما هو فيهِ من ذلك الحادث فلما سمعت لبنى

كلامها اعلمتها بوجدها وغرامها ثم قدمت لها الطعام واكرمتها غاية الاكرام وقالت لها اريد منكِ ان تحسني في هذا الامر التدبير وتجمعيني بهِ في هذه الليلة على جانب الغدير بحيث لا يعلم بذلك جليل ولا حقير خوفًا من الفضيحة والسمعة الرديئة القبيحة فودعتها ورجعت الى الديار فوجدت الحارث لها في الانتظار فتقدمت اليهِ وقصت القصة عليهِ وشرحت لهُ واقعة الحال كما ذكرنا واعلمتهُ بان اسمها لبنى فطاب منهُ الفواد وامل بلوغ المراد ولما اقبل الليل وذهب النهار اخذ دايتهُ وسار وجد في قطع القفار ولما وافيا الغدير اكمنا هناك وجلسا يستتران تحت شجر الاراك وكانت لبنى بعد رحيل الداية من عندها قد زاد شوقها ووجدها فدخلت الى خباءها على انفراد واخذت في النوح والتعداد ومازالت على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال فعند ذلك اخذت جاريتها وطلبت الغدير كانها تريد النزهة والتسيير فوجدت الحارث لها في الانتظار وهو من اجلها على مقالي النار فتقدمت اليهِ وسلمت عليهِ فبكى واشتكى وانشد يقول

اصبحتُ يا لبنى أسيرَ هواكِ ... والقلبُ يخفقُ ثُمَّ طرفي باكِ
قد بتُّ اسهر من هواكِ ساهرًا ... ارعى النجومَ مراقب الافلاكِ
أصبحتُ يا لبنى نحيفًا مغرمًا ... من فرطِ حبكِ فامنني بلقاكِ
لولاكِ يا لبنى لما امسى الهوى ... بي حاكمًا متصرفًا لولاكِ
قد جئتُ اصطادُ الظبا في ارضكم ... فاصادَ قلبي الكحلُ من عيناكِ
فارعي عهودي واحفظي لمودتي ... وتيقني اني قتيل هواكِ
مني السلامُ عليكِ ياشمسَ الضحى ... فلقد رماني الحبُّ بالاشراكِ
فابقي ودومي واسلمي وتعطفي ... وارعي العهودَ فمهجتي نرعاكِ

قال ثم لعبا وانشرحا وسرّا وفرحا وما زالا في حظٍ وانشراح الى ان اصبح الصباح فعند ذلك تفارقا من ذلك المقام بعد ما تعاهدا على المودة وحفظ الذمام وكانا كثيرًا ما يجتمعان في ذلك المكان وكانت المودة بينهما صافية والمحبة وافية واتفق ان الحارث جاء حسب عادتهِ في بعض الليالي فوجد المكان من القوم خالي ليس فيهِ ديار ولا من ينفخ بنار فتنهد وتحسر وتبدّل صافي عيشهِ وتعكر واخذهُ القلق والضجر واظلم في عينيهِ ذلك البرّ الاقفر وانشد يقول من فوادٍ متبول

ما الديارِ تنكّرتْ من أهلِها ... وتغيّرتْ جناتها والوادي
ياويلها من بعد فقدِ أحبتي ... فلمن اسائلُ ربعها وأُنادي

فالبعد والهجران أحرق مهجتي ورمى سهام الصد وسط فوادي
ما نالهم الا عيون حواسد نالوا مناهم منهم ببعادي
قد أصبحت اوطانهم قفراً فلا فيها انيس غير صوت الناد

قال ثم انه رجع الى الديار وهو في قلق وافتكار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار قال الراوي وكان السبب في رحيل القوم من الاوطان وقدومهم الى ديار بني عبس وعدنان ورجوعهم الى الديار حديث غريب وامر عجيب وذلك لانه كان لابي لبنى بكر بن المعتمد ابن اخ يقال له جرير بن معبد وكان من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة الا انه قبيح الفعال شنيع الخصال ازرق العينين كبير الشفتين عديم الذمام كثير الانتقام فكان يحب لبنى ويهواها ويتمنى ان يراها ومن كثرة محبته فيها خطبها من ابيها ويذل له في مهرها التحف والجواهر والخيول الصوامر ما عدا الفضة والذهب ونوادر العرب فابى ولم يجبه الى ذلك الطلب نظراً لما يعهده من خصاله وسوء افعاله فلما سمع منه ذلك الجواب تهدده بغايظ الخطاب وحلف باعظم الاقسام انه لابد ان ينتقم منه غاية الانتقام وياخذ ابنة عمه جبراً ويتزوج بها قوة وقهراً فساء ذلك ابا لبنى واحتسب واستشاط بالغضب وخفق فواده واضطرب وطلب المهرب ورحل من يومه في جماعة من قومه خوفاً من عواقب الامر والتجى بالملك زهير وحذيفة بن بدر قال وما قر بهم القرار في تلك الديار حتى اتاهم كتاب مع نجاب من عند ملكهم الاشعث بن ضرمة وكان ملك عظيم ذو هيبة وحرمة يستميل خاطرهم بالعودة والرجوع الى الاطلال والربوع ويقول لهم قد رحلتم عن اطلالكم وما اعلمتموني بواقعة حالكم ولما وقفت على حقيقة الخبر وما تكلم به ابن عمكم من الكلام المنكر قبضت عليه في الحال وقيدته بالسلاسل والاغلال فارجعوا الى الاطلال وكونوا براحة بال فلما سمع ابو لبنى هذه الرسالة ووقف على فحوى تلك المقالة برد ناره وهدأ شراره ورجع من وقته وساعته الى اهله وعشيرته قال الراوي هذا ما جرى واتفق من غريب الحوادث ولنرجع الآن الى حديث الحارث فانه كان قد رجع الى الديار وهو في غاية القلق والافتكار لا يلتذ بطعام ولا يصغى الى كلام ولما اشتدت عليه الهموم والكروب وآيس من لقاء المحبوب اجتمع بابي رياح شيبوب وقال له ايها الصديق والمحب الشفيق اسمع قصتي وساعدني على نوال بغيتي لانك عالي الهمة ومن طبعك الرحمة ثم بكى بين يديه وقص قصته عليه فقال شيبوب قل ما تريد ايها السعيد حتى افديك بروحي ونفسي وانوب في هذا الامر عن اخي عنترة العبسي قال اريد منك يا شيبوب ان تسير معي الى ديار المحبوب عسى ان ابلغ القصد وانال المطلوب فقال له ازل الغصة واكتم هذه القصة وابشر

باجتماع الحبيب عن قريب ثم انهما صبرا حتى اعتكر الظلام فاخذا اهبتهما وخرجا من الخيام وجدّا في قطع البراري والآكام مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس اقتربا الى حلة بني زهران وقد لاح لهما وجه الامان فقال شيبوب للحارث اقم هنا حتى اقصد الحي واتيك بخبر لبنى قال ثم انه سار حتى دخل الى ديارها واجتمع بها بعدما اخذ اخبارها واعلمها بقدوم الحارث الى الديار وانه لها في الانتظار فقالت والله ما اتى الا في وقت اللزوم لانه قد قل صبري وتراكمت عليَّ الغموم وحاطت بي الهموم وايقنت بالويل والثبور لان ابي كان مراده ان يزوجني في هذه الايام ملكنا الخيثعور وانا لا اشتهيه ولا احبه ولا اريد قربه ثم غافلت اهلها وصارت مع شيبوب وقد حنَّ قلبها الى لقاء المحبوب ولما اجتمعت بالحارث خفقَ فؤادها وتنهدت وباحت بما عندها وانشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا   مهجَ القلبِ مع سوادِ العيونِ
ونشرنا خدودنا للقاكم   ليكونَ المسيرُ فوقَ الجفونِ

قال ثم انهما سلما على بعضهما سلام المشتاق وتعانقا عناق العشاق واظهرا ما عندهما من فرط الوجد والاشتياق وما عانياه من الم الفراق فقال لهما شيبوب ماهذا وقت عتاب ولا خطاب هلموا بنا الى قطع هذه الهضاب خوفًا من حدوث امور واسباب لاتكون لنا في حساب قالت لبنى صدقت وصوابًا نطقت ثم انها ركبت من وقتها وساعتها واخذ شيبوب بزمام ناقتها وركب الحارث جواده وسار وجدّوا في قطع القفار. قال هذا ما جرى لهولاء من الاخبار واما ما كان من ابي لبنى فانه افتقد ابنته عند الصباح فلم يقف لها على خبر فتنغص عيشه وتكدر واستعظم تلك الامور وبلغ ذلك بعلها الفارس المشهور والبطل المذكور ابن الملك الاشعث الخيثعور فصعب الامر عليهِ واسودت الدنيا في عينيهِ وركب من وقتهِ وساعته في خمسمائة فارس من ابطال عشيرته قاصدًا اكتشاف اثرها والوقوف على حقيقة خبرها. قال وكان الحارث ومن معهُ قد جدوا في قطع الآكام حتى وصلوا الى جبل يقال لهُ السنام فعولوا على النزول واذ قد انحدر اليهم عشرة من العبيد ابطال صناديد في ايديهم الحجف والنصول وفي اوائلهم عبدٌ كانهُ الغول

الكتاب الخامس والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي وكان هولاء العبيد من فتاك العرب وشجعانها الصناديد. الذين لا يسترون

حرمة ولا يرعون ذمة لا يعرفون الا قتل الرجال ونهب الاموال وخطف البنات و
المخدرات وكانوا قد اختاروا ذلك الجبل وطنًا واتخذوه لانفسهم سكنًا وكان المقدم عليهم
فارسًا لا يطاق وعلقاً مرّ المذاق يقال له حابس بن السحاق لا يبالي بكثرة الفرسان ولا
يهاب لقاء الشجعان فلما كان ذلك اليوم وقد ظهر لهم غبار القوم انحدروا وهجموا عليهم
وتفرقوا حواليهم وتقدم المقدم على القوم اليهم وصاح فيهم يا ويلكم انزعوا ثيابكم وسلموا
الجارية والا حلّت بكم الداهية . قال وما انتهى من كلامهِ حتى رماه شيبوب بنبلةٍ من سهامهِ
فجاءت في صدرهِ خرجت تلمع من ظهرهِ فوقع يخبط بدمهِ ويحث الارض بيدهِ وقدمهِ فلما
رات اصحابهُ فعال شيبوب اندفعوا عليهِ كالريح الهبوب فالتقاهم شيبوب بقلب اقوى من
الصوان وجال معهم في ساحة الميدان وكان كلما ضايقوه ومالوا اليهِ وداروا من حواليهِ خرج
من بينهم وقصد الحارث خوفًا عليه ثم رجع اليهم في الحال اسرع من ريح الشمال وما زال
يضرب فيهم ويرميهم حتى محاهم من بكرة ابيهم ورجع الى الحارث ليهنئهُ بالسلامة من تلك
الكوارث فرآه يضحك ويتبسم وهو يقول ورب الحرم من تشبه باخيهِ ما ظلم فضحك شيبوب
من كلامهِ وشكره على حسن اهتمامهِ وبعد ذلك ساروا طالبين الاهل والاوطان وقد انجلت
عن قلوبهم الاحزان وتبدل خوفهم بامان وبينما هم كذلك اقبل بنو زهران في خمسمائة فارس
كانهم الاسود العوابس يقدمهم ابو لبنى وفارسها المشهور ابن المالك الاشعث الخيثعور فلما
رأت لبنى قدوم اهلها علمت انهم لم ياتوا الا لاجلها خصوصًا عندما رأت اباها وبعلها فخفق
فوادها والتهب وفاض دمعها وانسكب وايقنت بالهلاك والموت وتحققت انهُ ليس لها منهم
فوت وما كان الا القليل حتى ادركتهم الابطال بالسيوف الصقال والرماح الطوال فقبضوا
عليهم وكتفوا ايديهم وتقدم ابو لبنى الى ابنتهِ فراها ترتعد من هيبتهِ فسحبها من شعرها واراد
ان يعدمها الحيوة والسرور فمنعهُ بعلها الخيثعور وقال دعها الان ومتى وصلنا الى الاوطان
قتلت هذا العبسي وطفيت من قلبي لهيب النيران . قال وباتوا تلك الليلة في تلك الارض
ولما اصبح الصباح شدوا الحارث على ظهر جواده بالعرض ووضعوا حبلاً في عنق شيبوب
كالاسير وامروا بعض العبيد ان يقوده كالبعير ثم انهم ساروا من اول النهار يقطعون
الارض والقفار وهم في غاية الفرح والاستبشار ولما حميت عليهم الشمس التقوا باويس بن
السعلا الذي سرق خيول بني عبس وهو يسوقها في ذلك البر الاقفر بلا هدوّ ولا مستقر
فلما راى الخيثعور تلك الخيول الحسان ومن معها من الفرسان التفت الى من حولهُ من بني
زهران وقال لاشك ان هولاء القوم من شياطين العربان فقد سرقوا هذه الخيل من ابعد

سكان وهم هايمون في قطع البراري والكثبان خوفًا ان يلحقهم لاحق او يعيقهم عائق فدونكم وهذه الغنيمة فانها ثمينة القيمة ثم انهُ صاح على من معهُ من الرجال وحملوا عليهم من اليمين والشمال واقصدوهم باسنة الرماح الطوال فلم تكن الا ساعة حتى فقد منهم ثلاثون وهرب الباقون لانهُ كان تحتهم خيول مثل شعل النار فغاصوا بها في جوانب القفار وطلبوا الاهل والديار . قال الراوي وفي اثناء تلك الحروب التهى ذلك العبد عن شيبوب فاغتنم شيبوب الفرصة وهرب وجدَّت وراءهُ الفرسان في الطلب الى ان التقى باخيهِ عنتر كما تقدم الخبر وحدثهُ بحديث بني زهران وما جرى لهم وكان . قال وما انتهى شيبوب من مقالهِ حتى ادركها الخيشعور في جميع ابطالهِ لانهُ كان قد بلغهُ ما فعلهُ عنترة برجالهِ ولما وقعت عينهُ على عنتر هدر وزمجر وصدمهُ صدمة الليث الغضنفر وانشد يقول

يا صاحب الوجهِ العبوس الادهمِ   والسيفِ والرمح الاصمّ اللهذمِ
ان كنتَ انت فتكتَ في فرساننا   فالدهرُ يغدرُ بالهزبر الضيغمِ
خبر بما تلقاهُ واعلم انني   سيفٌ لصرْفِ الدهرِ غير مثلّمِ
في كلّ ارضٍ قد تركتُ لوحشها   ولطيرها بالسيفِ بحرًا من دمِ
واذا حضرتُ الحرْبَ يومَ طرادها   ارديتُ منها كلّ نسرٍ قشعمِ

قال فلما سمع عنترة شعرهُ وما ابداهُ في نظمهِ ونثرهِ حمل عليهِ وانطبق وصدمهُ صدمة السيل اذا اندفق واجابهُ على شعرهِ يقول

انبيكَ اني قد تركت رجالكم   بالسيف رزقًا للنسورِ الحوّمِ
وسنانُ رمحي قد شكا كربَ الظما   واذا التقينا اليومَ يروى بالدم
أجهلتم باسي وقد شهدت لهُ   ابطالُ فارس في بلادِ الاعجمِ
كم وقعةٍ لي قد تركتُ رجالها   رزقَ السباع وكلّ نسرٍ قشعمِ
وفوارسُ الهيجاء في يوم الوغى   تبدو بذكرِ فعائلي وتكرّمي

قال الراوي ثم انهما بعد ذلك الكلام التحما في معركة الصدام وانتشب بينهما القتال بطعن الرمح وضرب الحسام وجرى بينهما عجائب تحير الاوهام وتشيب من هولها الاطفال قبل الفطام وما زالا بين انتصال والتحام واشتباك واصطدام حتى دنا منهما الحِمام وصار بياض النهار في اعينهما مثل الظلام وراى عنترة خصمهُ بطلاً صبورًا على الايام فانطبق عليهِ انطباق الغمام وضربهُ بالسيف على راسهِ شقهُ الى تكّة لباسهِ فوقع على الارض صريعًا يخبط علقاً ونجيعًا ثم انهُ صال وجال والتقى الفرسان والابطال من غير امهال ولا اهمال بقلب

اقوى من الجبال وطعن فيها طعناً يسابق الاجال ومدد اكثرها على بساط الرمال فلما رات ذلك الحال ايقنت بالهلاك والوبال وكانت قد تقطعت ظهورها وحارت في امورها عند فقدها خيشعورها فولت الادبار خوفاً من حلول البوار ونزول الدمار وطلبت الهزيمة والفرار وتفرقت في السهول والاوعار وخلص عنترة في ذلك اليوم الحارث ولبنى من ايدي القوم وهناها بالسلامة وطيب قلبها وازال رعبها وقال للحارث والله يامولاي ما خلقت الرجال الا لمقاساة الاهوال وانا اعلم ان العشق الذي اوصلك الى هذا الحال لانه ما زال يهوّن على المرء الامور الكبار حتى يلقي نفسهُ في المهالك والاخطار فشكرهُ الحارث واثنى عليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ لا عدمتك من صديق ونصير ورفيق وانا اسال رب القدرة ان يجعل ايامك تجري في المسرة لانك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل وكان الحارث قد قطع رجاهُ وايقن بهلاكهِ وفناه فلما اجتمع بلبنى زال عنهُ العنا ونال ما كان يشتهي ويتمنى لان لقاء الاحباب يجلب الافراح ويزيل الهموم والاتراح ثم انهم نزلوا في تلك الساحة لاخذ الراحة قال وفي تلك الساعة اقبل عروة ومن معهُ من الجماعة وكانوا قد راوا اثار الخيول في تلك البراري والسهول فتعجبوا غاية العجب وقالوا ان هذا الامر لابد لهُ من سبب وما علموا بحقيقة الخبر حتى التقوا بابي الفوارس عنتر. قال الاصمعي وباتوا تلك الليلـة في سرور وافراح وحظ وانشراح ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح رحلوا من ذلك المكان قاصدين ديار بني عبس وعدنان وعنترة قدامهم كانهُ الاسد المهول وهو ينشد ويقول

لقد قالت عبيلةُ اذ رأتني ... ومفرقُ لمتي مثلُ الشعاعِ
الا للهِ دركَ من شجاعٍ ... تذلُّ لهولهِ أُسدُ البقـاعِ
فقلتُ لها سلي الابطالَ عني ... اذا مـا فرَّ مرتاعُ القراعِ
سليهم يخبروكِ بانَّ عزمي ... اقامَ بربعِ اعداكِ النواعي
انا العبدُ الذي سعدي وجدي ... يفوقُ على السهى في الارتفاعِ
سموتُ الى عنانِ المجد حتى ... علوتُ ولم اجد في الجوّ ساعي
وآخرُ رامَ أن يسعى كسعيي ... وجدَّ بجدهِ يبغي اتباعي
فقصَّرَ عن لحاقي في المعالي ... وقد اعيت بهِ ايدي المساعي
ويحملُ عدتي فرسٌ كريمٌ ... أُقدّمهُ اذا كثرَ الدواعي
وفي كفي صقيلُ المتنِ عضبٌ ... يداوي الراسَ من ألمِ الصداع
ورمحي السمهريُّ لهُ لسانٌ ... يلوحُ كمثل نار في يفاعِ

وجيبا مثل جزوع في لظاها ولست مقصرا ان جاء داعي

قال فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طرب لها الحارث ومن حضر من السادات وقال له الحارث طيب الله الانفاس فوالله لقد جمعت بين فصاحة اللسان وقوة الباس ما لا يوجد في احد من الناس فلفظك فصيح وباسك شديد وطالعك قوي سعيد فحمده عنترة واثنى عليه وشكر ثم انهم جدوا السير وسابقوا بسيرهم الطير وما زالوا على مثل ذلك الحال حتى قربوا من الاطلال وبانت لهم ارض الشربة وديار الاحبة فعند ذلك زاد بعنترة الغرام والوجد والهيام فرفع راسه نحو السماوات واستغاث برب الكاينات وقال اللهم اني اسالك بحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان تسمع لي وتستجيب وتجمع بيني و بين الحبيب . ثم بكى وانتحب وخفق فواده والتهب وهطل دمعه على خديه وانسكب فقال له الحارث يا ابا الفوارس وزين المحافل والمجالس متى وصلنا الى الديار وقرّ بنا القرار دخلت انا على ابي مع من يلوز بي وادعه يوافق امرك فقد طال صبرك قال عنترة قد رفعت قصتي الى ربّ دنا في علوه وعلا في دنوه واني لا ازال صابر الى ان يحكم بتيسير امري القادر القاهر . وما زالوا يقطعون البراري والوهاد الى ان وصلوا الى غدير ذات الاصاد فقال الحارث لعنترة يافارس ربيعة ومضر انفذ اخاك شيبوب يبشر اهلنا بقدومنا وانا اعلم انه لا بد ان يركب ابي ويخرج لملتقانا مع اخوتي وبني عمنا لانهم لنا في الانتظار ولاشك ان قلوبهم تقدح لفقدي شرر النار فاستصوب عنترة ما به اشار وامر اخاه شيبوب فسار حتى اشرف على الديار ثم رجع وعاد وهو طائر الفواد فقال له عنترة ما وراءك من الخبر فاني اراك في قلق وكدر قال وصلت الى الاطلال فرايت الفرسان والابطال متفرقة في البراري والتلال وهي متاهبة للقتال فسالت بعض الرجال فاخبرني بان الملك زهيراً كان قد خرج في جماعة من السادات الاماجيد الى ملاقاة اخيه اسيد فالتقاهم بعض الفرسان فاسرهم وقد ركبت ابطال الحي لتقتفي اثرهم فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وقال له اما سمعت في اي مكان اقتنصتهم الاشراك واوقعتهم في قبضة ذلك الفارس الفتاك قال في وادي الظبا وتلال الاراك فعند ذلك ارسل عنترة لبنى والحارث الى الاوطان وعرّج هو فمن معه من الفرسان قاصداً ذلك المكان قال وكان السبب في ذلك الحادث هو ان الملك زهير كان قد افتقد ولده الحارث فلم يقف له على خبر فاخذه القلق والضجر وتنغص صافي عيشه وتعكر وارسل عبيده الى سائر الاقطار لتكشف له الاخبار واقام لهم في الانتظار وبينما هو يتقلب على جمر النار اذ قدم البشير اليه واعلمه بقدوم اخيه اسيد عليه . قال وكان هذا اسيد من المتعبدين في الجاهلية

وكان قد رفض المراتب العلية والمطامع الدنياوية وانعكف على عبادة الاصنام ومجاورة البيت الحرام وكان فصيح اللسان كثير الخير والاحسان يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف مشكور السيرة طاهر السريرة وكان يزور بني عبس مرة في كل عام ويبين لهم الحلال من الحرام وينذرهم عن ارتكاب المعاصي والاثام وكانت جميع العرب تحبه وتمتثل امره لكثرة خيره وقلة شره فلما وصل في تلك الايام كما تقدم الكلام ارسل رسوله الى اخيه الملك زهير يخبره بقدومه من البيت الحرام فخرج الى لقائه في ثلاثين من الفرسان وجماعة من الاهل والخلان ولما التقوا به ترجلوا اليه وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقابلهم بالبشاشة والاكرام وقال لهم لولا كثرة شوقي اليكم ما قدمت في هذه الايام عليكم ثم انهم بعد ذلك الكلام ساروا يقطعون الروابي والاكام حتى اقبلوا الى ارض يقال لها الاعناك وتلال الاراك وكانت غزيرة المياه والاشجار وكثيرة النبات والثمار وفي وسطها شجرة من البان قديمة ذات اغصان عظيمة . فلما صاروا في ذلك المكان نفرت من بين ايديهم الوحوش والغزلان فساقت خلفها الفرسان وكان اسيد قد قصد تلك الشجرة وضمها الى صدره وعلق فيها يديه وظفره واظهر التحرق والتاسف والتارق والتلهف ثم تنهد وبكى وتأوه وشكا وانشد يقول من فؤاد متبول

العمر فانٍ والزمان عجيبُ ... وكذاك في عقب الشباب مشيبُ
هيهات يرجع ما مضى من شملنا ... ويعود شملي بالشباب رطيبُ
لله اوقاتٌ بقربك قد مضت ... اذ غاب واشينا وزار حبيبُ
حياك يا وادِ الاراكِ تحيةً ... وسقاك هطالٌ يسح صبيبُ
قد كان لي في عصر الشباب مؤانسي ... في ربعه رشأ اغنُّ ربيبُ
من آل اشجع طفلة عربية ... في ذا الفضا وهي اليَّ نصيبُ
ما طاب عيشي في لقاها برهةً ... حتى ابتلينا فالفراق قريبُ
فتركتُ خلاني واهلي والحمى ... من بعد احبابي وصرتُ غريبُ
يا حبذا وادي الاراك وعصره ... ولياليًا مرّتْ وليس رقيب

فتعجب الملك زهير من اعمال اخيه غاية العجب وقال له بالله عليك ان تحدثني بقصتك فانها لاتخلو من سبب قال اسيد اني كلما نظرت الى هذه الشجرة البان تجددت عليَّ الهموم والاحزان وانا اعلم اني اذا حدثتك بخبري تستخف بمقامي وتزدري على ان الانسان في اول عمره ومبدإ امره اذا عشق وهام ليس عليه من ملام وقد اتفق لي تحت هذه الشجرة النجيبة حكاية عجيبة

لو كتبت بالإبر على اماق البصر كانت عبرة لمن اعتبر وذلك اني كنت قصدت الحج مع ابي
جذيمة في هذه الايام القديمة فلما قضينا حجنا ورجعنا طالبين اهلنا عبرنا من هذا المكان
فراينا من اجناس الوحوش والغزلان مالا يوصف بلسان فتاخرت ساعة من الزمان
حتى سبقني ابي الى الاوطان وطلبت الصيد في هذه البراري والقيعان وما زلت في تعب
وكد وسير وجد الى ان اشتد الحر واوهج البر ونفرت الافاع وظهرت الضباع فاعتراني
الدهش وزاد بي العطش فرجعت على الاثر خوفًا من وقوع الخطر فوصلت الى هذه الشجرة
وانا على غير الاستواء لانه قد كان قل مني الحيل ومن جوادي القوى فقلت في نفسي انني
انزل واستريح حتى يكون قد برد نسيم الهواء فاويت اليها ونزلت عليها واذ قد ظهر لي
شيخ كبير وحوله من الابل والغنم شيء كثير والى جانبه صبية كانها البدر المنير او الظبي
الغرير فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام بافصح كلام وسالني عن حالي فحدثته بما
جرى لي فتبسم عجبًا واظهر سرورًا وطربًا وقال اهلاً وسهلاً ومرحبًا فانشرح صدري واطمان
فكري ثم عزمت على النزول الى الغدير لاشرب واسقي حصاني فمنعني عن ذلك ونهاني وصاح
على ابنته وقال لها يا اسما احلبي لنا الناقة الحلسا فنهضت بسرعة ورشاقه واخذت بيدها قصعة
وقصدت تلك الناقة فحلبتها وسقتني وقد صادت فوادي بحسنها وسبتني فتحيرت في امري
واشتغل بها خاطري وسري هذا وابوها يترحب بي ويلاطفني بالكلام ويتخلق معي باخلاق
الكرام ثم قدم لي شيئًا من الطعام واكرمني غاية الاكرام وقال اعذر عبدك في التقصير لانني
رجل فقير والكريم على كل حال يسامح اذا راى العذر واضح فقلت له يا شيخ والله ماهذه
الا نعمة غزيرة وبركة كثيرة وان كنت تطاوعني على مرادي وتسير معي الى بلادي اغنيت
فقرك وجبرت كسرك لان ابنتك قد افتنت قلبي واخذت عقلي ولبي واريد ان اتخذها لي
امراة والى بيتي سيدة ومدبرة فلما سمع كلامي تبسم بعد ما كان مقطبًا ونظر الي نظر المعجب
وقال ايها السيد المنتخب صاحب الحسب والنسب أترضاها لنفسك وانت عمدة الكبراء
وتاج الامراء قلت نعم ولو كانت من بعض الجوار والخدم واعطيك من نقدها الان ما
حضر ثم اعطيته حمالة سيفي ومركبي وكانا من الذهب الاحمر ففرح واستبشر وعاهدني على
الزواج بدون احتجاج ثم انه نهض من وقته وساعته وعاد الى قومه وانا في صحبته وعقد بيننا
النكاح وحصل الفلاح والصلاح ونحر ما كان يملكه من النوق والاغنام وفرح بقربي الفرح التام
واقمت عنده مدة ثلاثة ايام في عيش هني وامر سني وانا اتمتع كل ليلة بذلك الحسن والرونق
وانقلب على اكسية خشنة واقول اني على الحرير والاستبرق وبعد ذلك اعلمتهم من هو انا

ورحلت من عندهم طالبًا ارضنا وعولت ان انفذ لهم المال الجزيل واضمرت لهم كل جميل ولما قدمت الى الحي سالني ابي عن سبب انقطاعي وغيابي فقلت له اشغلني الصيد والقنص وكتمت عنه ما بقلبي من الغصص وما وقع في يدي من الفرص وما حدث لي من نوادر القصص واقمت بعد ذلك برهة من الايام وانا اقاسي الوجد والغرام ثم اني ارسلت بعض العبيد لياتيني بالجارية والصحبة بهدايا غالية واقمت لها في الانتظار وانا اتقلب على جمر النار وما زلت في قلق وافتكار الى ان رجع العبد بالخيبة بعد طول الغيبة فسالته عن ذلك الحال قال والله ما رايت في ديار القوم غير اثار الاطلال والغربان تنعق على الروابي والتلال وما ابصرت فيها شيئًا يلوح سوى رجل مجروح قد حل بهِ الدمار وهو ملقى في تلك القفار فسالته عن سكان تلك الديار قال غار عليهم قوم من اهل اليمن فابلوهم بالويل والمحن وشتتوهم عن الوطن وسبوا النساء والعيال ونهبوا ما كان في الاطلال قال اسيد فلما سمعت بذلك الخبر تنغص عيشي وتمرمر واخذني القلق والضجر غير اني كتمت قصتي عن ابي واخوتي وارسلت العبيد الى احياء العرب وبذلت لمن يجمعني بها الفضة والذهب فلم اقف لها على اثر في قبائل ربيعة ومضر واني الى الان اذكرها في كل وقتٍ وآن لانها لا تبرح من فكري وحبها قد تمكن في صدري وما جاورت البيت الحرام وانعكفت على عبادة الاصنام وهجرت الاهل والاوطان الا من اجلها وكثرة شوقي لها وكنت سلوتها ونسيت خبرها حتى رايت في هذا اليوم اثرها فتجددت احزاني واشتعلت نيراني وتذكرت ما جرى لي في زماني واريد منك يا اخي ان تنزل بنا في هذا المكان حتى تجدد ذلك العهد القديم الزمان ويكون مسيرنا الى الديار عند اقبال النهار. قال فلما سمع الملك زهير هذا الكلام تعجب من تقلبات الدهر والايام وقال له السمع والطاعة وترجل من تلك الساعة وهو يقول هكذا الدهر الغدار يفعل باهلهِ ما يشاء ويختار ان اضحك الناس يومًا ابكاهم سنة وليس له على احد جميل ولا حسنة . ثم امر عبيده بتنظيف المكان وان يفرشوا تحت شجرة اللبان ففعلوا وجاءوا بالخمر العتيق ووضعوا الكؤوس والاباريق وكان قد رجع من الصيد جميع الفرسان وما فيهم الا من جواده موقور بالارانب والغزلان فصنعوا وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وزادت افراحهم بقدوم اسيد بن جذيمة فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وما زالوا في حظ وانشراح وسرور وافراح وشرب راح حتى صرعتهم اقداح المدام ولم يبقَ منهم الا من رقد ونام وعند اقبال النهار دهمتهم طوارق الاسحار وقصدتهم فرسان غائرة في تلك البراري المقفرة والمفاوز الموعرة فرأوا غنيمة ليس لها محامٍ ولا مدافع فداروا حولها من سائر المواضع واحاطوا بها

احاطة الخواتم بالاصابع واخذوا الجميع اسارى وشدوهم على ظهور الخيل وهم سكارى وما فيهم من استيقظ وفاق الا ورأى نفسه في قيد الوثاق

قال الراوي وكانت هذه الفرسان من بني قحطان وهم من عرب يقال لهم بنو القيان وكان المقدم عليهم فارس عظيم وسيد كريم يقال له نازح بن سلمى اليتيم فاخذوهم وساروا بهم الى الاوطان وهم في حالة الذل والهوان وكان الذين سلموا من اولاد الملك زهير ثلاثة وهم زنباع وورقاء وعلاثة فطلبوا الديار واعلموا قومهم فركبت الفرسان وطلبت وادي البان وانقلب الحي بالصياح والنواح وفي ذلك الوقت كان وصول عنترة من ارض العراق كما تقدم السياق فلما بلغه ذلك الخبر تشوش خاطره وتكدر ورجع من يومهِ طالبًا خلاص قومهِ

قال الراوي وسارت بنو القيان طالبة الاهل والاوطان وجدت في قطع القفار الى ان تضاحى النهار وكان قد اشتد عليها الحر في ذلك البر فنزلت للراحة والمرعى على غدير يقال له ذات الجرعا وفي ذلك الوقت استيقظ الملك زهير من سكرتهِ مع باقي اولاده واخوته فراوا انفسهم في الاسر والهوان مع بعض العربان فندموا غاية الندم وايقنوا بالهلاك والعدم وصاح الملك زهير من قلب احرقه اللهب ويلكم يا انذال العرب كيف تجاسرتم على ارتكاب هذه الامور ولم تحسبوا للعواقب حساب اما فيكم من يعلم انا ملوك آل عبس الذين اشتهروا بشدة الباس وعزة النفس فسوف يحوط بكم البلا ويحلّ عليكم النحس ولو تعلقتم بحبال الشمس فتلافوا امركم واطفوا لهيب جمركم وقدروا العواقب قبل حلول النوائب وان كان ايها الرجال قصدكم المال فنحن نعطيكم من الفضة والذهب ما لا يقدر عليهِ احد من ملوك العرب قال فلما سمع نازح ذلك المقال ترنح عن ظهر جواده ومال ورفع راسهُ نحو السماء ونادى اللهمّ يا اعظم العظماء واكرم الكرماء لك الحمد على ما اوليتنا من جزيل النعم لانك مسبب الاسباب ومسهل الامور الصعاب فبقدرتك زالت همومي واتراحي وبعظمتك زاد سروري وافراحي فقال الملك زهير وقد تعجب من مقالهِ وغريب اعمالهِ ما معنى هذا الكلام ايها الغلام قال اني لم اكن اعلم ايها الجماعة انكم من بني عبس الا في هذه الساعة ولا غرو انكم من اهل القوة والشجاعة وفيكم تضرب الامثال في الفصاحة والبراعة فشكرت الهي ومعتمدي الذي اوقعكم في يدي حتى ابلغ بكم غاية مقصدي ومرادي الان اسير بكم الى الاوطان واسلمكم بيد البطل العظيم والسيد الكريم الذي له عليكم ثار من قديم هو مولاي عباد بن نيم الذي ربيت يتيماً في نعمتهِ وانتشيت عزيزًا في مملكتهِ ونلت هذه المنزلة العظيمة بعلو همتهِ وكنت قد عشقت ابنته ضيا التي ليس لها مثيل في نساء الدنيا فهام قلبي بها وتعلق بحبها

وقاسيت من اجلها الاهوال والمحن واظهرت شجاعتي في بلاد اليمن واتيت لابيها بالمال والجواهر والخيول الضوامر وكان كثيرًا ما يقول لي ياسندي ومن هو عندي اعز من ولدي ان آل عبس وعدنان قد قتلوا لي جملة من الابطال والفرسان كانوا عمدتي عند نوائب الزمان فاياك والقرب من اطلالهم خوفًا من سطوة ابطالهم وكنت كلما سمعت منه هذا الكلام اعلم انكم غاية قصده والمرام والان قد سبق السيف العذل وفعل القضاء ما فعل وسوف ابلغ من زواج ضميا الامل ثم انه بعد ذلك المقال صاح على من معه من الرجال وقال لهم جدّوا بنا في قطع الطريق فسار في اوائلهم مسرورًا بذاك التوفيق ولما تمادى به الترحال تذكر الاهل والاطلال فانشد وقال

بلغت المراد ونلت المنى ... وما مسني في مسيري عنا
وقد كنت اخفي رسيس الهوى ... فاصبحت إظهره معلنا
ولما اسا الدهر في عشرتي ... وكنت له محسنًا احسنا
ولو كان دام على جهله ... جهلت وعرّفته من انا
رعى الله ضميا وجيرانها ... ومن حلّ في جانب المنحنا
بدورٌ أعرْنَ لاغصانه ... قدودًا وغزلانه اعينا
وفي صدر ابياته ظبيةٌ ... مهجنةٌ في صدور القنا
أضمياء ريقك يشفي الظما ... وبرد ثناك لذيذ الجنا
فمني عليّ ردّ السلام ... اذا كنت في الخيف او في منا
ايا أمّ لاتحزني وابشري ... بصدق الوداد ونيل المنا
فقد صحّ لي الان ما قلت لي ... وقد بان برهانه ها هنا

قال الراوي وما زالوا يقطعون البراري والاكم الى ان اقبل الليل واظلم فنزلوا على ماء لبني الاخرم وكان الملك زهير قد آيس من السلامة وندم حيث لاتنفعه الندامة ومثل ذلك جرى على اخوته ومن معهم من رفقته ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الامير نازح بن معه من الابطال الحجاجح وجدّوا في قطع البراري والصحاصح على الطريق الواضح واذا بغبارٍ قد ثار من جوانب القفار ولم تكن الا ساعة من النهار حتى انكشف عن خمسين فارس كانهم الافات الطوامس او الثعابين المؤمس يقدمهم فارسٌ اسود على فرسٍ اجرد كانه البرج المشيد بسيفٍ مهند ورمح مسدد وهو غائص في الحديد بهم كالاسد والى جانبه رجل كانه العقاب الخادر او الليث الكاسر

قال الراوي وكان ذلك الفارس الامير عنترة والرجل هو شيبوب الثعبان الاغبر ٠ وتلك الفرسان من بني عبس الكرام قد جاء والانقاذ الملك زهير كاسبق الكلام فالتقوا بهم في ذلك المقام فلما راهم عنترة فرح واستبشر وحمل عليهم بمن معهٔ من الفرسان وهم يصيحون يالعبس يالعدنان والحادث الغريب والتفت الى اصحابهِ ومن يعتمد عليهم في وقت مصابهِ وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ان قدوم هذه الطائفة العبسية في هذا الوقت من اعجب العجب وما هم الا في نفرٍ يسير وعدد حقير وقد ساقتهم التقادير الى الهلاك والتدمير فلما سمع الدليل منهٔ ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال لهٔ خاب والله املنا وضاع عملنا وضلت طريقنا وخاب توفيقنا وحيث ان عبد بني عبس قد التقانا هلك شيخنا وفتانا واما قولك كيف اهتدت بنو عبس وعدنان الى هذا المكان فاعلم ان لعنترة اخاً اسمهُ شيبوب من امهِ زبيبة قد اقام بارض اليمن مدة طويلة وتربى في عربٍ يقال لهم بنو جديلة فلما غارت بنو عبس على تلك الحلة اخذوا اموالها وجمالها وساقوا في الجملة وكان شيبوب معها صغير فاخذوهُ معهم كالاسير ولما رجعت بنو عبس الى الاطلال اقتسمت بينها الاموال فوقعت زبيبة ومن لها من الاولاد في قسم شداد بن قراد ومنها رزق ولده عنترة الذي فاق بشجاعتهِ على جبابرة البدو والحضر ولم يترك لفارسٍ اسمٌ يذكر واما اخوهُ شيبوب فانهٔ افة من الافات واعرف اهل الارض بالبراري المقفرات وها هو الان بجانب اخيهِ عنترة كانهٔ النمر اذا اندعر او ذكر النعام اذا نفر والراي عندي ان تطلق بني عبس من الاعتقال وتريحنا من القتال بعد ما تاخذ منهم الذمام ولا تبارز ذلك البطل الهمام والليث الضرغام لانهٔ ليس مثلهٔ من لاقيت من الابطال وبارزت من الرجال قال فلما سمع نازح هذا الكلام صار الضياء في عينيهِ كالظلام واستولى عليهِ الغم وقال ما هذا يا ابن العم اكون فيماية فارس من بني القيان واخاف من قتال هذا الشيطان وانت قد شاهدت وقائعي في بلاد اليمن وقتالي في مداين صنعاء وعدن وما اهلكت من خلائق وامم فان كنت نسيت ما تقدم فسوف ترى فعالي بهذا العبد الادهم ثم انهٔ بعد ذلك المقال اقبل على من معهٔ من الرجال وقال لهم اقسمت عليكم بمن ارسى شوامخ الجبال ان لا يحمل احد منكم معي الى القتال حتى تروني قتلت عنترة ويلوح لي وجه النصر والظفر ثم انهٔ طلب عنترة بن شداد وهو على جواد حالك السواد يلحق الغزال اذا نفر ويسبق الريح اذا هدر ولما قرب منهٔ صال وجال ولعب برمحهِ العسال وانشد وقال

دَعْ عنكَ عذلي فما اصغى الى العذَلِ ... ولا اعيكَ في قولٍ ولا عملِ
موتُ الفتى وسيوفُ الهند تنهبهُ ... خيرٌ لهُ من حيوة الذلّ والخبلِ

ليسَ الهجومُ على الهيجآءِ يهلكني ... ولا الفرارُ ينجيني من الاجلِ

من كانَ يكرهُ ان يلقى منيتهُ ... فالموتُ احلى على قلبي من العسلِ

قال فهجم عنترة عليهِ ودنا اليهِ وقال لهُ ويلك يامجنون من انت ومن ايّ العرب تكون اراك تعجب بنفسك وتحتقر ابناء جنسك ففي هذا اليوم اخمد حسك واسكنك رمسك واُجازيك على ما فعلت في امسك واعرّفك شؤم تعرُّضك لبني عبس وعدنان واسرك ملوك الزمان فقال نازح والله ياولد الزنا وتربية الخنا قد نلت من قومك غاية القصد والمرام واسرت منهم كل بطل همام وسيد قمقام فلوكنت ذا عقل كنت في غنىً عن هذا الكلام فلما سمع عنترة كلامهُ حمل عليهِ وطلب قتالهُ واجابهُ على شعرهِ وقال

يا جاهلاً بمقام الفارسِ البطلِ ... فسوفَ تلقى حسامي ساطعَ الشعلِ

ظننتَ انك اسرتَ القومَ مفتخرًا ... مهلاً ستجزى الذي اسلفتَ من زللِ

فبادرِ الانَ والقاني ترى بطلاً ... يلقى الجيوشَ بقلبٍ قدّ من جبلِ

قال الاصمعي ثم انهُ بعد ذلك انطبق على نازح وانقضّ عليهِ انقضاض العقاب الجارح . فاستقبلهُ نازح استقبال البطل المكافح . وتجالدا باطراف القنا والصفائح والتطما كما تتلاطم امواج البحر المالح حتى خدرت منهما المواكب والجوارح وارتجت من وقع خيلهما الاباطح وناح عليهما طير الحمام وصدح ووكف العرق منهما ورشح وصار النهار في اعينهما قوس قزح وابصر نازح من عنتر ما ادهش منهُ النظر وحير الفكر فاخذهُ الملل والضجر وطعنهُ بسنان الرمح طعنة اسرع من لمح البصر فوقعت بين اذني الابجر فراحت خائبة ولم يمسهُ منها ضرر فزاد بعنترة الغيظ والحنق وصاح على نازح وزعق وعطف عليهِ وانطبق وهاجمهُ مهاجمة الاسد وطعنهُ بعقب الرمح طعنة الحرد اقلبهُ عن ظهر الجواد كانهُ طودٌ من الاطواد فوثب شيبوب اليهِ وكتف يديهِ وبعد ذلك حمل على بني القيان بمن معهُ من الفرسان فانزل بهم الذلّ والهوان وفرقهم في البراري والقيعان بعد ما اسر منهم جماعة من الشجعان . ثم طلب الملك زهير وحل كتافهُ وكتاف اخوتهِ ومن اسر من اهل بيتهِ وعشيرتهِ وهنأهم بالسلامة والخلاص من شرك الاقتناص فشكرهُ الملك زهير واثنى عليهِ وحدثهُ بما جرى لهم وكان في وادي البان فقال عنترة ياملك الزمان على الانسان أن يحترز على نفسهِ من غدرات الزمان ولا يغفل عن نوائب الحدثان وانا احمد الرب الكريم الخلاق الذي سهل لنا اخذ الاتناق والا كنا صرنا معيرة في الافاق ثم حدثهُ بما جرى لهُ في ارض العراق وذكر مشتاهم بشيبوب وخلاص الحارث من الكروب هذا والملك زهير يسمع واجفانهُ تدمع وما في الحاضرين الا من داخلهُ

الطرب والجنة من فعا لي عنترة العجب فقال الملك زهير يا ابا الفوارس لقد ازلت عن قلبي الوساوس لاني كنت من ولدي آيس فهل هو الان في الاحياء يعد من جملة الاحياء قال نعم ايها الملك المعظم قال لله درك ياحامية عبس وعدنان وفارس هذا الزمان لانك حصننا المانع وسيفنا القاطع اذا اشتدت الزعازع وتاججت نيران المعامع . ثم استشاره بامر الاسارى والرجوع الى الاطلال والربوع فقال عنترة . ان الصواب ايها الملك المهاب قتل هولاء الكلاب قبل ان يفشي هذا الامر ويظهر وتشمت فينا قبائل البدو والحضر ثم امر رجال عروة فاتوا بالاسرى في الحال وحاطوا بهم من اليمين والشمال . وجاء شيبوب بنازح وهو من شدة الغيظ مثل السكران الطافح واوقفه بين اصحابه وجرده من ثيابه فتعجبت الفرسان من فرط جماله ورثت لحاله وكان اسيد قد احدق اليه بالنظر فراى في ذراعه معضدة من العقيق الاصفر منقوش عليها صورة صنمين من الذهب الاحمر واعينهما من الزمرد الاخضر فاندهش وتحير وتقدم عليه في العجل ونظر فيه وتامل ثم نزع تلك المعضدة من زنده وكاد ان يذوب من شدة وجده فقبلها وبكى وان وشكا وقال له . اصدقني الكلام ايها الغلام قبل حلول الاجل وزلة الاقدام من اين لك هذه المعضدة البديعة التي لا يوجد على شكلها عند ملوك مضر وربيعة فقد شوشت خاطري وازعجت سرائري فبكى نازح وانتحب وهطل دمعه على خديه وانسكب وقال اهدتني اياها امي سلمى . وذكرت لي ان فيها اسماء عظيمة لرب الارض والسماء الذى اجرى من الصخر الماء وعلم ادم الاسماء . فلما سمع اسيد من الشاب ذلك الخطاب تجددت عليه الاحزان ووقف متفكرًا في تصرفات الزمان ثم سأله عن حسبه ونسبه ومن يقال لقومه وعربه فقال والله لا اعلم من هو ابي ولا اعرف من اي القبائل عربي وما ربيت الا فقيرًا يتيمًا في نعمة مولاي عباد بن تميم وكنت قد هويت ابنته صغيرا وانا صغير واصفيت في حبها الضمير وكتمت عن ابيها الحالة الى ان بلغت مبلغ الرجال وقلت في سري . ليس لي الا ان اتقدم اليه بكل ما اقدر عليه فبارزت الابطال . واسرت صناديد الرجال والقيت نفسي على الشدائد والاهوال واتيته بالاموال والتحف الغوال . واجتهدت في خدمته غاية الاجتهاد املاً بلوغ المراد وما زلت مجتهدًا في خدمته وكاتمًا في قلبي هوى ابنته حتى زادني الغرام واستولى على جسدي السقام وصرت مثلاً بين الانام فشكوت الى امي ما بي من الوجد والغرام فلما سمعت مقالي رثت لحالي فقالت لي . ليس لك شفاء من هذا الداء الا ان تقصد حي بني عبس وعدنان واجتهد في اسر ساداتهم والفرسان حتى اذا اتيت بهم الى هاهنا بلغت المنى وازلت عن قلبك اللهيب والعنا لان سيدك عبادًا له عليهم

ثار وكلما ذكر فعالهم اشتعل قلبه بلهيب النار وقد قصدهم جملة مرار وعاد بالخيبة والانكسار
وان كنت لم تقصد تلك البلاد وتخاطر بروحك معهم في الحرب والجلاد لا تنل من ضميا المراد
فلما سمعت كلامها زاد بي الطمع والوجد والولع وقلت لها يا اماه . ارى كل انسان يصف
بني عبس بثبات الجنان واخاف ان سرت اليهم لا يسير معي احد من الفرسان لاجل هيبتهم
التي شاعت في كل مكان قالت يسير معك كل من طلب المكسب واذا كنت من فرسان
العرب وتخاف من ابطال بني عبس وعدنان وتقدر عواقب الزمان وتريد ان امورك تكون
مشيدة فخذ معك هذه المعضدة فهي تنجيك من الخطر وتوقيك من دواهي البشر لان فيها
اسماء عظيمة لرب السماء خالق النور والظلماء وقد اعطاني اياها ابوك وقال لي احفظيها
واياك ان تفرطي فيها فاخذتها من امي وربطتها على زندي واملت نوال قصدي ثم قصدت
دياركم بمائة من الفرسان وما زلنا نقطع البراري والقيعان حتى وصلنا الى وادي البان .
وجرى من الامر ما جرى واسرناكم وانتم سكارى وما فيكم من يسمع ولا يرى فزال همي وغمي
ولاح لي بركة هذه المعضدة وصدق ما قالته لي امي الى ان التقيت بهذا الفارس الاسود .
والبطل الامجد الذي قل وجود مثله في الابطال واعيان المعارك والقتال وقد ايست من
الحيوة وانكرت البقا ووقعت في قيود الذل والشقاء وها انا قد فوضت امري اليكم فافعلوا
بي ما يحسن لديكم

قال فلما سمع اسيد ذلك الكلام من نازح وقد لاح له من الحق برهان ولوائح سعى اليه
وهو باكٍ متأسف وضمه كما ضمّ يعقوب يوسف وقال له وحق من انبت النبات مختلفا وانبع
الماء من صمّ الصفا ويعلم ما ظهر وما خفي انت والله ولدي ومهجة كبدي وانا الذي قدمت
هذه المعضدة لامك ودفعتها اليها . والدليل على ذلك هو ان اسمي مكتوبٌ عليها وما ارسلتك
امك الى هذه الديار ووصفت لك هذه الرسوم والاثار الا لكشف الاخبار ثم انه التفت الى
اخيه زهير وقال له يا اخي ها قد عاد الزمان بعد ما انقلب وردّ عليّ ما كان قد انتهب وعلى
ام هذا الغلام بكيت عند شجرة البان وذكرتها في ذلك المكان . ثم انه بكى حتى ابكى كل من
حضر وما فيهم الا من تعجب من هذا الحديث والخبر الذي لم يسمع بمثله في قبائل ربيعة
ومضر . ولما رأى الامير عنترة بان الامر قد اشتهر ترجل عن ظهر جواده الابجر وتقدم الى
نازح وحل كتافه وقبل وجهه واطرافه فاندهش نازح وتحير وفاض دمعه على خديه
وانحدر ولما هدأ جنانه وسكن خفقانه قال والله يا بني عمي ما انتم الا معدن الجود والكرم
ومنتهى الفخر بين الامم وقد فرحت بحسبكم واتصالي بنسبكم لانكم ملوك الزمان وابطال عبس

وعدنان فما فخر الا وعززتموه ولا شرف الا وتممتموه وقد صرت منكم واليكم ومن هذا اليوم اكون عبدًا بين يديكم ثم انهم بعد ذلك فكوا الاسارى وسلموهم الخيل والمهاره وعادوا طالبين الطريق المستقيمة ونازح الى جانب ابيهِ اسيد بن جذيمة وهو يقول لهُ قد صح عندي انك ابي وما بقي لي عنك صبر ولا عن عربي فكيف يمكنني ان اقيم في بني عبس وعدنان وامي في بني القينان نقاسي من شوقها الى لهيب النيران لا سيما اذ سمع الامير عباد باني عسي فوالله ما كان يتركها تصبح ولا تمسي بل كان يعجل مرتحلها من الدنيا وكنت اموت بحسرتها وحسرة ابنته ضيا لان في قلبي من حبها وفي رجلي من اجلها قيد لا ينفك الا بوصلها والاجتماع بها . فقال اسيد وكاني اترك امك في ايدي الاعداء وادع في قلبك غصة من ضياء لا يكون ذلك لا حاشا وكلا ولكن متى وصلنا الى الديار واجتمعنا بقومنا اريك ما ادبر في اجتماع الشمل وبلوغ المنى ثم انهم جدوا السير وسابقوا بسيرهم الطير ولما امسى عليهم المساء نزلوا على بعض الماء حتى استراحت خيولهم وتناولوا العشاء وبعد ذلك ركبوا ظهور الخيل وساروا تحت ذيل الليل ولما اسفر الصبح وبان اشرفوا على وادي البان واذا هم برجال وفرسان على خيول اخف من الغزلان وهم سائرون في تلك القفار يقطعون المفاوز والاوعار قال وكانت تلك الابطال من بني عبس الصناديد قد جاءت في طلب الملك زهير واخيهِ اسيد وكان في صحبتها الربيع بن زياد واخيهِ عمارة القواد وكان قد بلغ الربيع ما قد حصل للملك زهير في الطريق من الاسر والتعويق فجاء قاصدًا اليهِ وامل ان يكون خلاصه على يديه فخاب فكره وحظي بالفعل غيره الا انهُ لما راى الملك زهير مع اخوتهِ دنا اليهِ وهناه بسلامتهِ وسالهُ عن قصتهِ فحدثهُ بما جرى وكان وكيف كان خلاصهم عن يد عنتر فارس الفرسان فتعجب الربيع ومن حضر من ذلك الحديث والخبر وما منهم الا من تقدم الى نازح وسلم عليهِ وقبلهُ في عارضهِ وبين عينيهِ وتقدم الربيع الى عنتر وهناه وشكره على ما ابداهُ وقد ذاب جسده من حسده كيف كان خلاص الملك زهير على يده وقال لهُ يا ابا الفوارس وزين المجالس لا كان يومًا فيهِ لا نراك لا نك ذخيرة لاصدقاك بلغك الله مناك وحفظك لنا ووقاك لانك سيفنا القاطع في النوائب وحصننا المنيع في المصائب فلما سمع عنتر مقالهُ استحى منهُ ودعا لهُ وقال لهُ ايها السيد الجليل صاحب الفضل والجميل اما انا عبدكم وبسيفكم اضرب وباسكم اغلب ولولاكم ما كنت بين الناس مذكورًا ولا عند احد من العرب مشهورًا

قال الراوي وما امسي المساء حتى اجتمعت بنو عبس من اقطار البيداء وباتوا تلك الليلة في تلال الاراك ولما اصبح الصباح رحلوا من هناك فقال اسيد لاخيهِ زهير وقاك الله

من الضنك والضير . ان قلبي لا يطيب بالعودة الى الاحياء الا بعد خلاص زوجتي سلى وزواج ولدي نازح بضياء فاجابة الملك زهير وقال متى وصلنا الى الاطلال نسير في صحبتك بين لنا من الابطال ولا نعود من بلاد اليمن وتلك الحدود الا بغاية المقصود فقال عنتر لا وحق من انبع الماء من الصخر الجلمود واهلك قوم عاد وثمود لا يسير في هذا الامر غيري من فرسان العرب ولا احوجكم الى تعب ولا نصب . قال الربيع لله درك يا ابن العم ومن هو كاشف الهم والغم فانا واخوتي نسير في صحبتك ونبذل مهجنا دون مهجتك قال وكان هذا الكلام تحريضاً لعنتر من الربيع في المسير لانه لما عجز عنه وخاب منه التدبير قصد ان يلقيه في بلاد اليمن ويتظرله نوائب الدهر والمحن فحمده عنتر على مقاله وقد علم بمكره ومحاله فاقسم انه لا يتبعه الا عروة بن الورد برجاله فقال الملك زهير لا والله يا ابا الفوارس لا نطاوعك على ذلك حتى لا تاخذنا من اجلك الوساوس ولا ندعك ان تدخل بلاد اليمن بمائة فارس ولكن ان شئت فخذ معك الفي رجل من الابطال المشهورة والفرسان المذكورة حتى تكون قلوبنا عليك امنة ونفوسنا مطمئنة ساكنة قال عنترة ايها الملك العظيم والسيد الكريم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لو كنت سائراً لافتتاح بلاد الشام او الى قتال كسرى ملك الاعجام ما اخذت معي اكثر من الفي فارس همام وما اريد الا ان يقال عنكم بين الانام ان عبدكم قد دخل بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن بمائة فارس من الابطال وقضى الاشغال وعاد الى قومه بالغنائم والاموال غير انه لا يطب قلبي بالمسير الى هذا المغنى ما لم يدخل مولاي الحارث على زوجته لبنى . قال الراوي ولما وصلوا الى الديار وقع بقدومهم الفرح والاستبشار ثم انهم نحروا النحور وسكبوا الخمور واخذوا في الفرح والسرور وداموا على تلك الحال سبعة ايام وليال وفي اليوم الثامن دخل الحارث على زوجته لبنى ونال ما كان يشتهي ويتمنى هذا وعنتر قد خلع ووهب وفرق الفضة والذهب ونثر النثار من الدرهم والدينار قال وبعد ذلك عزم على الرحيل وقطع الصحاصح لاجل قضاء حاجة اسيد وولده نازح فسار معه ابوه شداد وعمه زخمة الجواد وثلاثمائة فارس من بني قراد وسار في صحبته اسيد بن جذيمة وولده نازح باوفى عزيمة وخرج الملك زهير لوداعهم الى تلال الاراك فحلف عليه عنتر ورده من هناك ورحل عنتر طالب بلاد اليمن ورجع الملك زهير الى الاهل والوطن . قال مجد بن هشام واتفق بعد مسير القوم بثلاثة ايام ان قدم على زهير رسول الملك النعمان سيد قبائل العربان ومعه من نفائس الاقمشة والتحف المدهشة وانواع الجوهر ومن الوشي والحبر ما يدهش البصر ويبهت النظر وتعجز عنه ملوك البدو والحضر وكان

من جملة الهدايا والمال الكثير الف ناقة من النوق العصافير وهي التي قد وقع عليها الاتفاق من جملة المهر والصداق فاستقبلهُ الملك زهير احسن استقبال وانزلهُ في اياتهِ هو ومن معهُ من الرجال وعقر لهُ ونحر وفرح بهِ واستبشر وسالهُ عن احوال النعمان فوصف لهُ ما هو فيهِ من العز والسلطان وانهُ قد عاد اوفى مما كان وهو يسلم عليك و يقبل يديك ويقول لك ان ترسل لهُ زوجتهُ المتجردة لانهُ قد اشتاق الى طلعة تلك السيدة فلما سمع زهير ذلك الكلام شكر الله على ما وصل اليهِ من جزيل النعم

قال الاصمعي . وكان ايضاً قد وصل الى بني فزارة رسول الملك الاسود اخي النعمان . ومعهُ من التحف والهدايا الحسان ما لا يصفهُ لسان وطالب حذيفة بن بدر بانفاذ اختهِ مارية اليهِ وسرعة قدومها عليهِ لانهُ كان قد خطبها فطار حذيفة بالفرح وغنت المولدات وانقلبت الاحياء بالافراح والمسرات ودارت بينهم اقداح الراح في المساء والصباح وكسوا الارامل والايتام واطعموا الطعام وداموا على تلك الحال مدة سبعة ايام . وفي اليوم الثامن حملت الهوادج على ظهور الجمال وجللوها بثياب الديباج الغوال ورُفعتْ الاهلة على الكلال ولبست العرائس افخر الحلل وتقلدت بقلائد الجواهر والعقود الفواخر ونشرت على رؤوسهن الاعلام والبنود وركبت الرجال من حولهن وسار حذيفة مع اختهِ في مائة وخمسين رجلاً من الابطال والفرسان وارسل الملك زهير مع ابنتهِ المتجردة ابنهُ شاساً وكان من اشد الناس باساً واعظمهم مراساً قال وما زال القوم يقطعون البراري والمنازل حتى وصلوا الى الحيرة فخرج النعمان الى لقائهم في جيوش كثيرة يتبعهُ اخوهُ الاسود وجماعة من السادات العمد مع بوقات تضرب وفوارس تلعب ولما التقوا بعضهم البعض علا منهم الصياح وزادت المسرات والافراح . ولعبت الابطال بالسيوف والرماح وتقلبت تحت الدرق السلاح وترجل شاس وحذيفة بن معهما من الفرسان الى خدمة الملك النعمان والتقوه احسن ملتقى ودعوا لهُ بطول البقاء . وبعد ذلك جدوا في المسير حتى انتهوا الى القصر الكبير وكان قصراً عظيم البنيان مشيد الاركان بديع المنظر جميل الرونق يقال لهُ الخورنق قد بناه جد الملك النعمان واتقنهُ غاية الاتقان وزخرفهُ بالتماثيل والصور والتزاويق التي تخطف البصر وتدهش النظر . فدخلوا القصر وجلس النعمان على السرير وقام في خدمتهِ الكبير والصغير وجلست من حولهِ الامراء والاعيان والوزراء وصفت بين ايديهم جفان الطعام ودارت عليهم كؤوس المدام . وكان ذلك اليوم لا يقاس بالايام فيهِ خلع النعمان ووهب واظهر الطرب ونثر الفضة والذهب . وفرش الارض بشقق الحرير ومد الاسمطة للمامور والامير . وكسى الارامل واغنى الفقير .

فانشرحت في ذلك اليوم الصدور وعمّ الناس السرور واستقروا في اوفر حبور وما زال القوم في سرور وافراح مدة عشرة ايام وهم في اكل طعام وشرب مدام وسماع انغام . وبعد ذلك زفت المتجردة الى الملك النعمان وقد صفا له الزمان وزفت ايضاً مارية الى الملك الاسود وتمتع بمشاهدة وجهها الاسعد وزال ما بقلبه من الهم والنكد وبلغ كل واحد مناه ونال ما كان يتمناه ثم تفرقت طوائف العربان عن الملك النعمان وطلب حذيفة الانصراف الى حلته فخلع عليه الاسود وعلى اخوته وكذلك فعل النعمان في حق شاس بن زهير وافاض عليه من الخلع الثمينة واكثر له من الخير فلما نظر شاس الى تلك الاموال والتحف الغوال بادر الى الملك في الحال واقسم عليه وقال وحق الملك المتعال لا يحصي من هذا المال قيمة عقال لانك ارسلت الينا ما فيه الكفاية وقد بلغنا من احسانك الغاية ونحن ما طلبنا قربك طمعاً في انعامك بل رغبة في علو قدرك ومقامك فشكره النعمان وبالغ معه في التلطف والاحسان وامر ان تحمل الناقة التي اتت بالمتجردة من افخر الاصناف ذات الرائحة الزكية الجيدة وكان اكثرها من المسك الاذفر والند والعنبر وقال خذ هذه في صحبتك ومتى وصلت الى حلتك فخر بها المضارب والخيام ليتشارك فيها الخاص والعام لان الناقة التي اتت بالحبيب لا يجوز ان ترجع الا وهي محملة من الطيب ثم امر له بمائة فارس ان تسير معه الى الاوطان خوفاً عليه من نوائب الزمان فابى وقال . وحق من ارسى شوامخ الجبال لا اخذ معي احداً من الرجال فكيف تكون انت صهري والملك زهير ابي وتنوعس قومي وعربي واسير في البر بغير لا وحق العزيز القدير . ثم ودعه وسار وتبطن البر والقفار وليس معه غير عبده سالم ولما ابعدوا عن الكوفة وقطعوا تلك المقام . جرى بينه وبين حذيفة ذكر الدعوات والولائم وافتخر كل واحد منهما في صهره وعظم في قدره وبالغ حذيفة في مدح الاسود واطنب وفضله على سائر ملوك العرب فعلم شاس ان قصدهم ان يغيظوه حتى يبتعدوا عنه ويفارقوه فلما تحقق ذلك منهم انقطع عنهم واظهر انه يريد الصيد في اقطار البر . وما فعل ذلك الا طلباً لقطع الشر قال فلما نظر حذيفة الى سرعة مسيره علم بما في ضميره فقال لقومه ومن معه من الانفار جدّوا بنا في طلب الديار ودعوا شاس وحده في هذه القفار لعل ان يقع بمن يضرب رقبته لانه من محبي عنترة ومن المتعصبين له ان غاب او حضر ولو كنت اعلم ان امره يكتم عن اهله لامرتكم بقتله ثم جدّوا في التسيار وقطعوا المفاوز والاوعار . قال وكان شاس قد جد في قطع الهضاب حتى وصل الى ديار بني عامر عند الغياب وكان قد حل به العطش والظماء فعدل الى المنهل في طلب الماء واتفق من القدر الذي ليس للعبد منه مهرب

ولا مفر انهُ كان في ذلك المكان صياد اهوج يصيد الوحش اذا سرح ودَرج يقال لهُ ثعلبة بن الاعوج وكان قد مدَّ اشباكه ونصب اشراكهُ . فلما وصل شاس اليهِ نفر الوحش من حواليهِ فغضب الصياد وزعق على شاس وقال لهُ ويلك من تكون من الناس فقد قطعت رزقي وضيقت عليَّ خلقي فقال شاس لا تخف يا فتى فانا أُخلف عليك ما قد مضى فهل عندك شربة من الماء اروي بها فوادي من الظماء قال نعم تقدم الى الغدير فان ماءهُ كثير فهو يروي ظماك ويشفي امعاك قال فلما سمع منهُ ذلك المقال زاد بهِ الوجد والبلبال وخرج عن دائرة الاعتدال وقال والله يا ابن الانذال لو لم تكن من فقراء الرجال كنت قابلتك بهذا الحسام على ما ابديت من غليظ الكلام فان عقلك قليل وكلامك ثقيل فاحتمس الصياد من شدة حماقتهِ وانتزع سهمًا من كنانتهِ ومكنهُ من قوسهِ ورمى بهِ شاسًا على حسهِ فاصابهُ في فوادهِ القاهُ قتيلاً عن ظهر جوادهِ ثم دنا منهُ وتاملهُ وقد علم انهُ قتلهُ فنظر الى فرسهِ واذا هو بمركب ذهب يضيء في الليل مثل الكوكب وراى زيهُ زي الملوك الكبار فانبهر وحار وكان عبد شاس لما راى مولاهُ قد انقلب تركهُ وهرب وخاف من الهلاك والعطب واما الصياد فانهُ بادر في الحال ودفن شاسًا بين احاقيف الرمال واخذ سلبهُ وجوادهُ وتلك الناقة وسار الى ابياتهِ من دون عاقة فلما قدم على زوجتهِ اعلمها بقصتهِ وامرها ان تكتم ما تم لهُ في ابياتهِ ثم انهُ ذبح الناقة وطبخ لحمها من قريب حتى لا يعلم بذلك عدو ولا حبيب واخفى تلك الاموال والطيب وباع ذلك الحصان في ابعد مكان ومضى شاس كانهُ ما كان

قال الراوي هذا ما جرى على شاس من نوائب الدهر واما ما كان من حذيفة بن بدر فانهُ كان قد وصل الى الديار وهو في غاية الفرح والاستبشار وبلغ الملك زهير قدومهُ الى الاطلال فالتهب فوادهُ بنار الاشتعال وكثر قلقهُ واحتراقه وتكدر خاطره وتمرمر مذاقه وقال يا ترى ما هو السبب في تخلف ولدي عن رفاقه وظن ان صهره النعمان قد عاقه وما زال في قلق ووسواس حتى قدم العبد الذي كان مع ولدهِ شاس فاخبره بقتل شاس في ديار بني عامر وكيف قتلهُ ذلك الصياد في ظلام الليل العاكر فعظم مصابهُ ومزق ثيابهُ وزاد بكاؤهُ وانتحابهُ ووصل الخبر الى اولادهِ فاصابهم مثل ما اصابهُ وكذلك امهُ تماضر لطمت على وجهها حتى بلت الدموع المحاجر وتفطرت بالنظر اليها اكباد البنات والنساء الحرائر فانقلب الحي بالبكا والعويل والاشتكاء وكشفت الروءوس النسا وحل بهنَّ الذل والاسا . قال ولما كان الغد اتى الربيع بن زياد ودخل على الملك زهير وهو يكثر من البكاء والتعدد وجلس معهُ على بساط العزاء وقال لهُ مثلنا لا يبالي بالعدا لان سيوفنا حداد ورماحنا

مداد ورجالنا معودة على الحرب والجلاد

قال نجد بن هشام وبعد ثلثة ايام اخذوا في الاستعداد والاهتمام واعتدوا في الفي فارس كانهم الليوث العوابس وساروا يقطعون الهواجر وهم يطلبون ديار بني عامر وفي اوائلهم الملك زهير وهو مفروح الفؤاد والى جانبه الربيع بن زياد وما زالوا يقطعون القفار حتى وصلوا الى تلك الديار فاستقبلهم ملاعب الاسنة غشم بن مالك في جماعة من فرسان المعارك وتقدم الى الملك زهير وسلم عليه وخدم وقبل يديه وتكلم وقال ايها الملك فيم اتيت الى ارضنا فهل اتيت زائرًا لنا حتى ناخذ منك حظًا ام متصيدًا حولنا فقال لا والله ما جئتكم في زي ضيف ولا زائر وما جئتكم الا لابذل في ساداتكم السيوف البواتر واهلك الاكابر والاصاغر. قال وما الذي غير ما بيننا من الوداد حتى استحقينا منك هذا الجفا والبعاد فقال الملك زهير ان ولدي شاسًا قتل في هذا المكان عند رجوعه من عند الملك النعمان قال غشم من هو الذي قتل ولدك واحرق عليه كبدك ومن هو الذي اعلمك بذلك الخبر فقال عبد سالم بن مسهر قال وهل تريد ان تاخذ البريء بالسقيم وتصدق فينا قول عبد زنيم وبعد ذلك فان كان العبد صادقًا في المقال فكم يجوز ارضنا في الليل من سارق وسلال وربما ادرك ولدك رجل غريب وكان منه قريب ومن خوفه ضربه سهم فكان له مصيب فان كنت تريد ان تعاملنا بالجفاء وسفك الدماء بعد الوداد والصفاء فمعاذ الله ان نغير ما بيننا وبينك من المحبة والوفاء فكن لما سألناك وارحم الارامل والضعفا

قال الاصمعي فلما سمع الملك زهير ذلك المقال عاد راجعًا خوفًا من عاقبة البغي والوبال وجد في الترحال حتى وصل الى الاطلال هذا وقد عظم على بني عبس المصاب ولازموا البكاء والانتحاب وشق قيس ما عليه من الثياب واشتعل قلبه بنار الالتهاب وغاب عن الصواب وامتنع عن الطعام والشراب وقال وحق رب الارباب لا بد لي من كشف هذه الامور والاسباب ولا تركت دم اخي يذهب هدرًا فعمد الى ناقتين وحملها سمنًا ودقيقًا وتمرًا واستدعى بعجوز شمطاء كانها الحية الرقطا وقال لها يا قرة العين خذي هاتين الناقتين واقصدي ديار بني عامر ودوري بها على تلك الحلل والعشائر ولا تبيعي من هذا الذي معك الا بطيب فاخر فاذا انكشف لك الامر وظهر رجعي على الاثر واعلمينا بالخبر فاجابته بالسمع والطاعة وسارت الى بني عامر من تلك ساعة. قال وكانت تلك السنة كثيرة القحط والغلا والناس في غاية الاحتياج لعدم وجود الحنطة والكلا فلما وصلت الى تلك الاطلال دارت بين البيوت وعرضت ما معها على النساء والرجال فجعلوا يخرجون لها من الطيب الذي

عندهم وهي تمتنع عن بيعهم وتردهم ولما انتهت من بني عامر وكلاب قصدت بني غني وشقت بين الاطناب وقد ايست من بلوغ المراد وما زالت تدور في تلك البلاد حتى وصلت الى بيت ثعلبة بن الاعرج الصياد . قال وكان المذكور غائبًا عن زوجتهِ وهي محتاجة الى المونة في غيبتهِ فلما سمعت نداها ادخلتها الى خباها وقالت لها ابشري ياحرة العرب ببلوغ الارب لان عندي من الطيب ما يصلح لكل حبيب ثم اخرجت لها ذلك المسك والعنبر ففاحت رائحتهُ واعبق منهُ البر الاقفر فلما رأتهُ العجوز حارت من صفتهِ وقالت والله ما رايت في حياتي قطُّ ازكى من رائحتهِ وهذه بضاعة لاتباع بسمن ولا دقيق وانما ساقني اليكِ سائق السعادة والتوفيق وقد علم الرب القدير قدر نيتي فما ضيعني ولا ضيَّع غربتي فبالله عليكِ ان تاخذي ما معي من التعب والتعذيب بشرط ان تقولي لي من ّاين لكِ هذا الطيب الذي لم يرَ مثلهُ في سائر الاقطار ولا يوجد على شكلهِ عند تاجر ولا عطار فلما سمعت منها ذلك المقال قالت لها انني لااحدثك بحديثهِ ولا اكشف لكِ عن هذا الحال حتى تعاهديني بأن هذا الحديث لايخرج منكِ الى بشر لا انثى ولا

الكتاب السادس والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ذكر . فلما سمعت العجوز مقالها اجابتها الى سوالها وحلفت لها . فقالت اعلمي ان لي زوجًا يقال لهُ ثعلبة بن الاعرج الصياد وقد رزق على ضعفهِ ما لا يرزقهُ احد من العباد فاتفق انهُ خرج في بعض الايام الى ناحية الغدير ليصطاد حسب المعتاد فمرَّ عليهِ غلام من بني عبس الكرام يقال لهُ شاس بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان وفرارة وغطفان . فلما دنا منهُ فر الوحش عنهُ فصعب ذلك على زوجي فانتهره فكلمهُ الغلام بكلام اغاظهُ وكدره . فرماه بسهم فقتلهُ وكان معهُ عبد نجيب وناقة محملة من الطيب فلما راى العبد ما حلَّ بسيده من الدمار طلب الهزيمة والفرار ورجع زوجي بالجواد والناقة وقد ذهب عنا ما كنا نجده من الفقر والفاقة ومضى الان ليبيع الجواد والسلب في بعض احياء العرب ويأتينا بالفضة والذهب ولو لم تكوني امرأة غريبة ما كنت اعلمتكِ بهذه القصة العجيبة . والنادرة الغريبة على انني لا ادعكِ تذهبين من عندي بعد هذا الاتفاق حتى آخذ عليكِ العهد والميثاق بانك تكتمين هذا الخبر عن سائر البشر فقالت العجوز . افعلي يامولاتي ما بدا لك . واخلي من هذا الحديث بالك لاني امرأة كبيرة وقد مر عليَّ اعوام كثيرة . واصلي من بلاد

اليمن وما سمعت قط احد من الناس يذكر بني عبس ولا شاس ثم انها اعطتها ما كان على الناقتين واخذت منها من الطيب ما يساوي ثمن الزاد مرتين ورحلت من عندها وقد طابت منها النفس وقصدت بني عبس وهي لا تصدق بالوصول حتى تبلغ قيس المامول وتعلم الملك زهير بقاتل ولده وتبلغه غاية مقصده قال وكان الملك زهير بعد مضي العجوز من عنده اتاه حذيفة بن بدر ليعزيه في ولده فبكى بين يديه واظهر التاسف عليه فقال الملك زهير والله يا حذيفة ما اتيتني معزيًا بل شامتًا بي ومستهزئًا وما فرط في ولدي الا انت واصحابك وما قتل الا باسبابك وماذا الا لانقطاعك عنه بانفرادك حتى نلت غاية مرادك ولكن اذا ظهر خبره وعلمنا من قتله قابلنا كل احد على ما فعله فعند ذلك وثب حذيفة من عند الملك زهير وهو غضبان وقال لمن معه من الاتباع والغلمان اما سمعتم ما ابداه زهير في مقاله وكيف تهددني بجهله وضلاله فوحق ذمة العرب وبركة شهر رجب لا رفعت له راس ولا نصرته اذا ظهر خبر ولده شاس . ثم ارتد راجعًا وقد اشتد به الغيظ والحرد . وهو يقول ان كان زهيرًا يفتخر بمصاهرة النعمان فانا افتخر بمصاهرة الملك الاسود قال وفي اثناء ذلك قدمت العجوز ومعها ذلك الطيب واخبرت الملك زهير بما جرى لها من الحديث العجيب فلما سمع منها ذلك المقال ووقف على حقيقة الاحوال التهب فواده بنار الاشتعال وخرج عن دائرة الاعتدال . وصاح على من حوله من الابطال باخذ اهبة القتال وفي دون ساعة ركبت الفرسان ظهور الخيل وتقلدوا بالنصول وسار الملك زهير بسادات بني عبس وهو حزين النفس يبكي بدموع غزار وينشد من فواد مستطار

كنتُ غرًّا لطارقاتِ الليالي | وفوادي من الحوادث خالي
فاتتني رزيئةٌ عرّفتني | بالرزايا وبالامورِ الثقالِ
ياجفوني جودي فما يذخرُ الدمعُ | ويحيا الاّ لفقدِ الرجالِ
بالقومي فقدتُ من كان سيفي | ويميني عند اللقا وشمالي
كانَ تاجًا على مفارقِ عبسٍ | ثم بدرًا يزري ببدر الكمالِ
فاتاهُ المحاقُ والنقصُ لما | رشقته يد العدا بالنبالِ
يابني عامرٍ اما ختنتم بغيًا | اهلكَ اللهُ به القرونَ الخوالي
ايُّ ارضٍ تقلُّكم بعد شاسٍ | اوسماء تظلّكم من وبالِ
خيلنا ضمرٌ واسيافنا بيضٌ | حدادٌ امضى من الآجالِ
وعوالي الرماحِ تشهد انا | في المعالي لنا بيوت عوالي

ومِلوك الورى عبيدٌ لدينا يخدمون نعم ونحنُ الموالي
كيفَ اسلو عن ثارنا وترانا فوقَ خيلٍ تضمرتْ كالسعالِ

قال ثم انهم جدوا في المسير وقد اضرمت في قلوبهم نار السعير وما زالوا في سير متواتر حتى وصلوا الى ديار بني عامر وكان سيد بني عامر يقال لهُ خالد بن جعفر وكان غشم بن مالك فارسهُ الاكبر وبطله الغضنفر وكان لبني غني فارس نبيل يقال لهُ الربيع بن عقيل . وكان لبني كلاب فارس مهاب يقال لهُ جندح بن البكا وهو من الابطال المعروفة والفرسان الموصوفة وكانت هذه الثلاث قبايل نازلة في ارض واحدة وابياتهم متقاربة غير متباعدة وكان خالدًا بالاتفاق في بلاد العراق وفي غيبتهِ جرت تلك الاحكام ولما وصل زهير الى بني عامر في تلك الايام وجد الاحياء خالية من الابطال وما فيها غير ملاعب الاسنة في نفرٍ قليل من الرجال فلما قدم عليهم ووصل اليهم خرج ملاعب الاسنة الى لقائهِ في جماعة من اهلهِ واقربائهِ وسالوهُ عن سبب عودتهِ فاخبرهم بقصتهِ وما درولده قيس من الحيلة التي بلغوا بها المراد واعلمهم بان قاتل ولده هو ثعلبة بن الاعرج الصياد فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام وتحققوه طلبوا ثعلبة بن الاعرج فلم يجدوه فاحضروا زوجتهُ وسالوها واغلظوا عليها بالكلام وتهددوها فحدثتهم بالخبر وما فعل زوجها من الامر المنكر فلما صح ذلك عند الملك زهير صعب عليهِ وكبر لديهِ وقامت في ام راسهِ مقل عينيهِ والتفت الى بني عامر ومن كان هناك من سادات العشائر وقال اريد منكم واحدة من ثلاث خصال والا مكنت فيكم سيفي النصال ورمحي العسال وسبيت العيال والاطفال . فلما سمعوا منهُ ذلك المقال قالوا لهُ ايها السيد المفضال بيّن لنا عن مطلوبك واعلمنا بقصدك ومرغوبك قال اريد ان تعيدوا لي ولدي كما كان ويرجع معي حيًا الى الاوطان او تملوا لي من نجوم السماء هذه الاعدال او تسلموا لي بني غني النساء منهم والرجال حتى اضع السيف فيهم وافنيهم عن بكرة ابيهم وان لم تفعلوا ذلك انزلت بكم المهالك فقالوا لقد تعديت وظلمت وبغيت لان الذي اشرت اليهِ لا نقدر عليهِ وكل من طلب ما لا يقدر عليهِ ابن آدم فقد تعدّى وظلم لانهُ لا يقدر ان يحيي الموتى وان يميت الاحياء الا باسط الارض ورافع السماء واما قولك بان نملي لك هذه الاعدال من النجوم فما يقدر على ذلك الا الحي القيوم الذي اوسع البراري المقفرات وخالف بين الزهر والنبات واما قولك ان نسلم اليك بني غني حتى تذبح اطفالها وتقتل نساءها ورجالها فهذا الامر ايها الملك نعلم انك لا تفعلهُ ولا يدعك قلبك ان تعملهُ لانك ملكٌ عادلٌ كريم وما تاخذ البري بالسقيم واما اثارة الحرب ومبادرتك لنا بالطعن والضرب فمعاذ الله ان تفعل ذلك

الشان وتبذل لنا الخوف بعد الامان ولكن نحمل اليك عشر ديات ونسالك ان تعفو عن النساء والبنات ونكون لك عبيدًا ونساءنا اموات و بعد ذلك ايها الملك السعيد نقبض على ثعلبة ونأتي بهِ اليك لتفعل بهِ ما تريد وما زالوا يعتذرون اليهِ ويتضرعون بين يديهِ حتى رق لهم ولان . واستشار الربيع في ترك القتال والرجوع الى الاوطان فابى الربيع وقال لا تخدع بالمحال ولين المقال ولا بد من اخذ الثار وكشف العار والا شمتت فينا عرب القفار وصرنا مثلاً عند الكبار والصغار ثم انهُ بعد ذلك الكلام سل في يدهِ الحسام ونادى يا للغارات وطلب الثارات فنادت اولاد الملك زهير مثل نداه وارتجت بصياحهم تلك الفلاه فلما رات بنو عامر الى تلك الحال خافت من الهلاك والوبال فاعتقلت بالسلاح ومدت عوامل الرماح وعملت بينهم الصفاح وارتفع الضجيج والصياح واشتد بين القوم الكفاح وكثر القتل والجراح جرى الدم وساح وطارت الجماجم عن هياكل الاشباح وتكردست الاجساد على بساط البطاح ودافعت بنو عامر عن نسائها واولادها وقد قل صلاحها وكثر فسادها وفتكت فيها بنو عبس بقوة جلادها وانزلت بها ذلها وهوانها وقتلت جمعًا كثيرًا من فرسانها قال وما قاتل في ذلك اليوم قتال رد بهِ الاعنة الا غشم بن مالك الملقب بلاعب الاسنة لانهُ كان من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة الا انهُ لما راى جمع بني عبس قد تدفق وعدد قومه قد قل وتمزّق خاف من انقطاع الاثار وخراب الديار والهتيكة في جميع الاقطار واخذ من قومهِ جماعة من الرجال الكرام وقصد الملك زهير وهو واقف تحت الاعلام ومن حولهِ اولاده الانجاب وعلى راسهِ راية العقاب فترجل اليهِ وقبل رجلهُ في الركاب وقال لهُ ايها الملك المهاب لا تفعل فعال الجهال واقبل مني هذا السوال وهو ان ترفع عنا ضرب الحسام حتى نخرج هذه القبيلة التي قتلت ولدك من بيننا ونتزل عن جوارها والذمام ونسلمها اليك لتبلغ منها المرام وما زال يلاطفهُ بالمقال ويخدعهُ بالمحال حتى اجابهُ الى ما طلب وقد استحى منهُ وممن معهُ من فرسان العرب وقال لهم قد امهلتكم بقية هذا اليوم حتى لا يبقى عليَّ عتب ولا لوم ثم انهُ في ساعة الحال انفذ عبيده فردت الرجال وما انفصلوا حتى ذهب النهار وولى وامتلأت الارض من القتلى ثم ان ملاعب الاسنة عاد الى قومهِ في الحال وقال لهم حصنوا حريكم والعيال في رؤوس هذه الجبال لاني قد خدعت الملك زهيرًا بالمقال حتى نحترز على الاموال والاطفال الى ان تذهب هذه الايام ويدخل الشهر الحرام ويبطل الحرب وضرب الحسام ونرحل عن هذا الجار الذي لا يرام ولعلهُ يقدم علينا سيدنا خالد بن جعفر من ارض العراق ويزيل هذه المحنة التي لا تطاق والا تشتتنا في سائر الافاق

فلما سمعت بنو عامر منه هذا الخطاب راته غاية الصواب فتبادروا من كل جانب وهدموا الخيام والمضارب واخذوا العيال وتحصنوا بالجبال وكان الملك زهير قد ركب عند طلوع الشمس وزحف اليهم في ابطال بني عبس فرآهم قد فعلوا تلك الفعال وعلم ان ملاعب الاسنة قد خدعه بالمقال فزاد حنقه وعظم قلقه فتحى الابطال وحثهم على الحرب والقتال وندم على تلك الفعال وحاصر القوم بمن معه من الرجال وحلف ان كل من وقع في يده اسقاه كاس الوبال . قال نجد بن هشام وبعد ذلك بخمسة ايام هلّ الشهر الحرام وهو شهر رجب الذي كانت تعظمه العرب وتبطل فيه الحرب والكفاح وتسير اينما ارادت دون سلاح حتى اذا التقى احدهم بقاتل ابيه او اخيه لا يكلمه ولا يوذيه وكان لا يُطلب فيه ثار ولا يسفك فيه دم ولاجل ذلك سمي الشهر الاصم لان الاذان تصم فيه عن قعقعة السلاح من السيوف والرماح ويامن فيه الوحش ويرتع في جنبات القفار ولا يروعه احد من العبيد ولا من الاحرار وكانت العرب تقصد فيه مكة من سائر الاقطار وتطلب فيها الاستغفار فلما راى الملك زهير هلال رجب احترق فواده والتهب وتاسف كيف انه لم ينل من بني عامر ارب وتوقف عن الحرب حتى لا يسن سنه قبيحة في العرب وقال لولده قيس اذهب يا ولدي الى الاوطان بسائر الفرسان وانني بامك تماضر الى بيت الله الحرام حتى نزور مكة في هذا العام ونقضي هذه الايام في ذلك المقام ثم اعود الى هولاء اللئام وافنيهم بحد الحسام لاني ان لم اخذ ثاري بيدي اكون قد سيب ولدي فامتثل امرهُ فيما قال وارتحل من وقته الى الاطلال وسار الملك زهير الى مكة واقام في ذلك المكان حتى وصلت اليه زوجته بمن معها من النسوان وهنّ لابسات ثياب الاحزان فنزل بهنّ في وادي الحرم بقرب البيت المعظم

قال الاصمعي ومن عجيب الاتفاق ان خالد ابن جعفر عند عودته من ارض العراق . جعل طريقه على بيت الحرام وزمزم والمقام وكان قد حج في تلك السنة جماعة من سادات بني عامر وليوثها الخوادر من جملتها غشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنة وفارس المعارك . فاجتمعوا بخالد بن جعفر وحدثوه بذلك الخبر وكيف ان الملك زهيرًا طالبهم بثار ولده شاس واعلموه بمن قتل لهم من الناس فلما سمع منهم ذلك الكلام احمرت عيناه وتقلصت شفتاه وكان فارسًا لا يلتقى في المجال وبطلاً لا يهاب لقاء الابطال فقال واحرباه عليك يا زهير بن جذيمة على فعالك القبيحة الذميمة فوالله لقد اغتنمت غيبتي وفتكت في ابطال قومي وعشيرتي وان لم اقابلك على فعلك المنكر ما اكون من ظهر ابي جعفر ولما كان من الغد دار حول البيت الحرام وطاف فالتقى بزهير في الطواف فلما راه احترقت امعاءه وقال له يا زهير قضيت

حاجتك من بني عامر واغتنمت غيبتي وخلو العشائر وهتكت النساء الحرائر فقال زهير وكاني اخذت بثاري واخمدت لهيب ناري فوحق رب الانام لولا دخول هذا الشهر الحرام لما كنت ابقيت منكم لاشيخًا ولا غلام ولابد من قلع اثاركم وخراب ارضكم ودياركم قال خالد الا تخشى من الدوائر ان يدور عليك وعلى اهلك كما دارت على غيرمن قبلك فوالله لو كنت حاضرًا لقابلتك على سوء فعلك ولكنك سوف ترى من يكون الخاسر بعد سفكك الدما ومن هوالذي ياكل لحم كفيه ندما فقال قيس بن زهير وقد لعبت الحمية فيه واغاظة كلام خالد لابيه وحق اله البشر ياابن جعفر . لوانك تكلمت بهذا الكلام قبل هذه الايام . لم يكن لك جوابًا غيرهذا الحسام ولكن لا بدلك من ان ترى عاقبة هذا الخطاب اذا اشتد بيننا الطعان والضراب فقال خالد وهكذا ان شاء الله يكون اذا جمعت بيننا الايام والسنون وانا اسال الاله ان يجمعني بابيك في معركة صدام او قتال حتى لا يكون بيننا انفصال الا ببلوغ الامال فضحك زهير من هذا المقال وقال والله لوكنت نائمًا . لاتجسر ان توقظني من منامي ولاتقدر على بلع ريقك اذا سللت حسامي فاستقبل خالد الكعبة وقال وقد التهب فواده بنار الاشتعال اللهمّ يامن رفع هذه الاركان وعظّم قدر هذا المكان لاتترك هذا العام يمضي الا وانا في غبطة وخير وتمكن يدي هذه القصيرة في عنق زهير فقال زهير بعظم تجبره وكثر تكبره وقد زاد الغيظ عليه ولعب العجب بعطفيه اللهمّ اني اسالك بحق الركن والحجر والبيت العظيم المطهران تمكن يدي هذه الطائلة البيضاء من عنق خالد بن جعفر وتجمعني به حتى ابرز اليه ولا اريد منك مساعدة لاني قادر عليه

قال وكان بينهم جماعة من الابطال فلما سمعوا من زهير ذلك المقال سجدوا امام الاصنام وقبلوا اركان البيت الحرام وقالوا هلك والله زهير في هذا العام لانهٔ قد استكبر في هذه الاحكام وتجبر على رب الانام فقال زهير لقد اخطأت وتعديت فلا تلوموني يا وجوه العرب على ما ابديت واعذروني ولا تجعلوا مثلي في مقام الملام لان الغيظ يعمل في قلوب الرجال الكرام كما يعمل في الحسام وانا اقسم بحق الركن والمقام لولا حرمة هذه الايام لشربت دم هذا النذل ابن اللئام كما اشرب كاس المدام قال خالد سوف ترى يازهير عاقبة هذا الكلام اذا اجتمعنا في معركة الصدام ثم انصرف عنهٔ وذهب وقد فرّقت بينهما العرب وما اقام خالد في مكة اكثر من ذلك اليوم وبعد ذلك سار يطلب دياره فيمن معهٔ من القوم .

قال الراوي ثم انهٔ جد في المسير وقلبه يغلي على زهير بنار السعير وكان معهٔ ملاعب الاسنة في عشره من الفرسان وما زالوا يقطعون البراري والكثبان حتى وصلوا الى الاوطان فوجدوا

أهلهم قد نزلوا من الجبال ومدوا خيامهم على رؤوس الروابي والتلال وهم في بكاء ونواح وندب وصياح اسفًا على من فقد لهم من الرجال في يوم الكفاح فطيب خالد قلبهم وازال رعبهم ومن يومه جمع سادات بني عامر ومن يعتمد عليهم من حماة العشائر واعلمهم بما جرى له مع زهير في الحرم بين تلك الخلايق والام وقال لهم قد عولت الان على قتال بني عبس وعدنان ومطالبتهم بالثار وكشف العار ولا ازال حتى ابلغ منهم الامال واسبي النساء والاطفال لاننا لا نقدر على احتمال الاهانة والاذلال واريد ان اعلم ما في قلوبكم على ما قد جرى حتى اعمل على قدر ما ارى فان كنتم تخافون من حربهم وقتالهم وضربهم ونزالهم فقولوا لي معاشر السادات والفرسان . حتى استنجد عليهم بمن لي من الاعوان . واكاتب الاصدقاء والحلفاء ومن استدل عليه من اهل المروّة والوفاء . واقويكم بالابطال وامدكم بالرجال وان كانت عزائمكم قوية على اللقاء فابشروا بالنصر وزوال الشقا

قال نجد بن هشام فلما سمعت بنو عامر من خالد ذلك الكلام قالوا له ايها البطل الهمام والاسد الضرغام وحق البيت الحرام والركن والمقام ما فينا الا من يضرب امامك بالحسام حتى نطير رؤوسا تحت الاقدام ولا نحوجك الى مساعدة احد من الانام ونحن ما اختشينا من الملك زهير وتعلقنا بالجبال الا لاجل غيبتك عن الاطلال والان من حيث قدمت علينا وجئت الينا فدبر امرك وسوف ترى منا ما يسرك . قال وكان خالد مع شجاعته وقوة فراسته ذا فكر ثاقب وراي صائب طويل البال كثير المكر والاحتيال فلما سمع منهم ذلك الكلام قال لهم خذوا اهبتكم يا بني الاعمام حتى اسير بكم في هذه الايام لقتال زهير ومن معه من الانفار عند رجوعه من مكة وتلك الديار ونعجل له الهلاك والبوار ونقلع من بني عبس الاثار اذ ليس معه اكثر من اولاده ونفر قليل من اجناده ومتى قتلناه رجعنا الى حلته وبذلنا السيف في اهله وعشيرته لان عنترة الفرسان غائب عن الاوطان وهم في غاية الامان من نوائب الزمان وان لم نتاهب في هذه الفرصة والا تجرعنا في كل يوم الف غصة ثم انهم تاهبوا للمسير واستعدوا لذلك الامر العسير وسار خالد في خمسة الاف فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس ولما تبطن البراري والسباسب قسمهم الى فرق ومواكب واقام كل مقدم على فريق وفرقهم بين كل درب وطريق بعدما اوصاهم بالتيقظ والاجتهاد في بلوغ المراد وان يكون ملتقاهم في ديار بني هوازن وتلك البلاد وبعد ذلك جد في السير وقلبه يختلج بالشر على الملك زهير وكان الملك زهير بعد ان قضى حجه رجع في الحال طالبًا الاهل والاطلال وهو في غاية القلق والضجر من كلام خالد بن جعفر وما زال مجدًا في مسيره وهو

مغتاظ حتى اقبل الى سوق عكاظ وكان له هناك اصدقاء من الرجال الكرام فاقام في ضيافتهم ثلاثة ايام وبعد ذلك ودعهم وسار وتبطن عرصات القفار الى ان وصل بالامر المقدور الى ديار بني هوازن واحياء بن منصور فنزل على بعض الاحياء وقت المساء وهو لا يعلم ما قدره عليه رب السماء فاكل شيئاً من الزاد واستراح قليلاً في تلك المهاد حتى دخل الليل بالسواد فقال لولده قيس ماذا تقول في مبيتنا هنا قال الاوفق ان ترحل بنا حتى نعبر ارض بني عامر تحت ظلام الليل العاكر لانك اثرت فيهم اشم اثر وقلوبهم تقدح عليك بالشرر وانا وحق خالق البشر ومنشي الصور خايف عليك من مكر سيدهم خالد بن جعفر ان يدهمنا في هذا البر الاقفر فهلمّ بنا في قطع هذا القفار تحت ستور الاعتكار وما يطلع علينا ضوء النهار الا ونكون قد قطعنا ديار اعدائنا وتعلقنا بارضنا واحيائنا قبل ان تثور علينا شياطين العرب عند فروغ شهر رجب فلما سمع الملك زهير من قيس ذلك الكلام ابدا الضحك والابتسام وقال له ما هذا الكلام فمن هم بنو عامر ومن هو خالد . فوحق المشاعر والمعابد والرب القديم الواحد الواقي من الشدائد لا برحت من هذا المقام الا بعد ثلاثة ايام ولو مالت عليّ الجبال في صور الرجال حتى لا تقول العرب عني اني عبرت ارض بني عامر وجزتها تحت ستور الليل العاكر وتظن اني قد فزعت منهم وما تعلم انه من طيبة اصلي رجعت عنهم فلما سمع قيس من ابيه ذلك الكلام علم انه قد دنا منه الحمام فنبه اصحابه للمشورة والاهتمام في اخذ الاهبة للقتال والصدام واضطر ان يوافق اباه على ذلك المرام وما زالوا على مثل ذلك الى ان ذهب الليل الحالك واقبل النهار بنوره الضاحك واذا هم بفارس مقبل عليهم من ناحية بني عامر وهو يقطع الارض بسير متواتر كانه العقاب الكاسر او الليث الخادر وكان ذلك الرجل اخا زوجة الملك زهير تماضر قد اتى من بني عامر في ذلك اليوم ليجس اخبار القوم لانه كان نازلاً في ديارهم ومتزوجاً ببعض جوارهم وكان رجلاً قبيحاً عنيّ النفس يبغض الملك زهير اكثر من كل من طلعت عليه الشمس . لانه قد نفاه من ديار بني عبس نظراً لسوء اعماله ومتصرفات احواله فالتجأ الى بني عامر وسكن بين تلك العشائر وكان في سائر الاوقات وعلى عدد الساعات يذم الملك زهير بين عرب الجاهلية ويتوقع له المواقع الردية

قال الراوي وكان خالد بن جعفر قد كمن لزهير في البر الاقفر كما تقدم الخبر وفرّق الخيل في طلبه وهو منتظره الا انه لما ابطأ عليه خبره قال لبعض رجاله ومن يعتمد عليهم من مقدمي ابطاله من منكم يسير الى احياء بني هوازن القديمة ويكشف لنا اخبار زهير بن

بطريقة ثم يرجع الينا ويخبرنا قبل ان يفوتنا المقصود ويخرج زهير من هذه البلاد والحدود
لانه البر الواسع الفاج كالبحر العجاج فلما سمعوا مقالة امتثلوا له وقالوا والله يا خالد ما يصلح
لهذا الامر الذي تريد الا عمرو بن الشريد لانه من اقارب القوم وهو ينسب اليهم وله الحجة
اذا قدم عليهم فيبصر لنا في اي مكان نازلين ويعود الينا بالخبر اليقين فقال خالد يابني عمي
اخاف ان يخوننا عمرو ويعلم قومه بحقيقة الامر قالوا كن مطمئنًا من جانبه ولا تخش من عواقبه
لانها قد صحت لنا عداوته للملك زهير من دون الغير فان خاننا وعلمنا منه ذلك سلكنا به
اضيق المسالك فعند ذلك استدعى عمرًا اليه وقص ذلك الحديث عليه فلما سمع منه
ذلك الخطاب امتثل واجاب وقال انا اقتفي لكم الاثر واتيكم بحقيقة الخبر حتى يكون واضحًا
لكم كنور الشمس وتعلموه كما علمتم ما جرى لكم بالامس ولكن على شرط اشرطه عليكم فان
ثبتم فيه وحسن لديكم اخذت عليكم المواثيق والعهود وجعلت سادات العرب بيننا شهود .
قالوا بين لنا شرطك حتى نفهمه ونقف على حقيقة طلبك ونعلمه قال اريد منكم اذا قتلتم
زهيرًا ونالت انفسكم مرادها لا تسبوا اختي ولا تقتلوا احدًا من اولادها بل تحترموهم غاية
الاحترام ويكون لي عليكم بذلك اوفى ذمام ثم عاهده على ما طلب واشهد عليه بذلك سادات
العرب واستعان بالله على بلوغ الارب وبعد ذلك ارسله وقد ايقن بالنجاح وكان مسيره
في اول الليل فوصل الى احياء بني هوازن عند الصباح فلما راه قيس عرفه في الحال فالتفت
على ابيه وقال له يا ابي قد اتاك الامر كما تريد بقدوم خالي عمرو بن الشريد وانا اقسم بالرب
القادر العالم ما في السرائر انه ما اتى الينا الا في زي جاسوس من بني عامر وسوف يتضح لك
صدق هذا المقال ويظهر لك نور الحق من سواد المحال

قال نجد بن هشام . وما فرغ قيس من ذلك الكلام حتى اقبل عمرو وحياهم بالسلام
وجلس معهم في الخيام فقال له قيس يا خالاه الى من انت قاصد في هذه البراري والفدافد
قال اتيت قاصدًا اليكم وعندي كلام اقصه عليكم وهو ان خالدًا بن جعفر قد اضمر لكم
الضرر فكونوا منه على حذر لانه عند رجوعه من مكة جمع سادات العشائر من بني غني
وكلاب وعامر وبكى بين ايديهم بدمع سجام . وحدثهم بما جرى له مع ابيك في هذا العام .
فاخذتهم الحمية وعصفت في رؤوسهم النخوة الجاهلية واضمروا لكم الاذية واتفقت ساداتهم
ان يقتلوكم عند رجوعكم من البيت الحرام وقد ساروا من مدة ثلاثة ايام وهم في خمسة الاف
فارس من كل ليث عبوس وبطل مدعس وقد بلغهم الخبر من بعض الاعداء انكم مقيمون
بسوق عكاظ والارض السوداء وانا وحق الالهة والاصنام من حينما ساروا ما ذقت طعم

المنام لانني خفت عليكم وبقيت متحيراً على من يوصل الخبر اليكم لانكم في العدد اليسير والجمع الغفير فتبطنت القفار واقتفيت منكم الآثار والآن فقد زادت افراحي وزالت همومي واتراحي اذ التقيت بكم في هذا المكان وانتم في غاية الامان

فلما سمع الملك زهير منه ذلك الكلام . ابدا الضحك والابتسام وقال يا ابن الشريد واي خوف كان يغشانا ونحن قادرون على اعدانا وانا وحق من يعلم عدد رمل الوادي ان لقاء الاعادي اكبر مرادي وها انا بانتظارهم حتى اشفي منهم غليل فوادي وان كانوا قد ارسلوك جاسوساً لهم فارجع الان واعلمهم اننا نازلون في هذا المكان واني لا ارحل من هنا حتى القاهم وابيد اقصاهم وادناهم فقال عمرو ايها الملك المصان كان يغضني ما زالت من قلبك لحد الان . فوالله لقد ضاع تعبي بعد ما كنت مستريحاً وصار جميلي قبيحاً . ولكني ما فعلت هذه الفعال الا خوفاً على اختي ان تسبى ويركبني العار شرقاً وغرباً والان مادام اني رايتها سالمة فقد طاب قلبي وان رجعت بعد هذه المرة اليكم فلا غفر الله ذنبي ثم انه وثب الى ظهر جواده وقصد ان يسير الى بلاده فلم يمكنه قيس من مراده بل شد كتافه . واوثق سواعده واطرافه وقال والله يا خالاه ما ادعك تمضي من هذا المكان الا حتى نعبر هذه الارض ونقرب من الاوطان لان قلبي حدثني بشيء ولاح لي منه وجه التلميح وانا اعلم انه صحيح فقالت تماضر ويلك ياقيس ما هذه الفعال أتقبض على خالك وتجازيه على زيارته لنا بالشد والاعتقال قال لها دعيني من هذا المقال واتركي القيل والقال ولا تخاصميني في هذه الاعمال والا قتلت نفسي وانزلت بها النكال لاني من اخبر الناس بالامور وادرى وابصر منهم في العواقب واجرى وانا اعلم بان خالي لاينتهي ان يطرح ابي وان لم افعل ذلك لا انال اربي وانا اقسم باللات والعزى ومن جعل الخلق اذلاء واعزاء اني لا احله من الوثاق حتى اخذ عليه العهد والميثاق انه لايذكرنا لاحد من البشر ولا يخبر عنا بخبر الى ان نصل الى ديارنا يقر فيها قرارنا لان قلبي قد نفر منه وهذا الامر لابد عنه فقالت تماضر لاخيها اعط ولدي ما طلب من العهد والذمام لانه اقسم باعظم الاقسام ووقع في قلبه هموم واوهام فحلف عمرو بالالهة والاصنام وبرب البيت الحرام انه لايذكرهم لاحد من الانام فعند ذلك حله قيس من وثاقه ومن عليه باطلاقه فعاد الى ظهر الجواد وطلب من اخته شيئاً من الزاد فاعطته من الخبز واللبن ما يكفيه الى الوطن . ثم سار في عرض الفلاة وهو لايصدق بالنجاة ولما بعد وغاب بين الروابي والهضاب قال الملك زهير لقيس ويلك ما هذه الفعال التي فعلتها والمسائل التي سالتها كل ذلك خوفاً من العدى ومن الموت الذي لا ينجو منه احد فقال

ليس لم لان القاتل هنا كان له عدو ولا ينام الليل ولا يأخذه بعد ولاسيما نحن نعيش في تقريبين واعدائنا في عدد كثير قال زهير وحق الملك العلام اني لا ابرح من هذا المقام الا من بعد ثلاثة ايام فلما سمع قيس من ابيه هذا الكلام ايقن بالهلاك والقلمان فنبه الفرسان وقعد لهم في زي ديدبان ينتظر نوائب الزمان لانه كان عن كلام ابيه لا يحيد ولا يخالفه فيما يريد قال واما عمرو بن الشريد فانه جد في مسيره يقطع البيد وما زال سائراً حتى قدم على بني عامر فبادر خالد واستقبله وسأله عما جرى له فما رد جوابًا ولا ابدى خطابًا بل عدل الى شجرة من الاراك كانت هناك وقال ايها الجذع الذي لا يرد الجواب . ولا يسمع الخطاب . ولا يعد من الحيوان الناطق ولا يفرق بين الحديث الكاذب من الصادق قد تزودت لبنًا من آل عدنان واريد ان تذوقيه الان وتعلمي الحال من طعمه واكون صادق اللسان في الايمان

فلما سمع خالد منه ذلك المقال قال لمن حوله من الرجال . قد بطل العتب واللوم لان الرجل قد وقع بالقوم . وقد حلفوه باعظم الايمان ان لا يذكرهم بشفة ولا لسان . ومن الصواب ان تذوقوا هذا اللبن فان كان حلوًا فزهير قريب منكم وان كان حامضًا فهو بعيد عنكم فوثب جماعة من الرجال وشربوا من ذلك اللبن في الحال فاذا هو حليب فقالوا له ابشر فان القوم ما قريب وما بيننا وبينهم اكثر من ساعة لراكب النجيب قال صدقتم في هذه الامور وما فارقهم الرجل الا من احياء هوازن بن منصور وربما يكونون بعد فراقه لهم رحلوا الى ديارهم وطلبوا ارضهم وامصارهم والراي ان نسير في طلبهم ونتفرق في جوانب البر بسببهم فان لم نقع بهم بين هذه الروابي والاكم قصدنا احياء هوازن على الطريق الاعظم فقالوا دبرما تريد برايك السديد ولعل بعض اصحابنا نقع بهم في هذه السباسب ونستريح نحن من هذه المشقات والمتاعب

قال خالد لا وذمة العرب وشهر رجب لا يقع بهم احد من قومنا و بني عمنا لانهم قصدوا الطرقات الكثيرة المخاوف الذي لا يسلكها الا كل خائف وانا اعلم ان زهيرًا من تجبره ما سار الا على الطريق الواضح ولا يسمع نصيحة الناصح وما قصدت هذا المكان الا وقد حسبت حساب الفرسان الذين حكمتهم نوائب الزمان ولما انتهى من مقاله رحل بفرسانه وابطاله وجدوا في قطع البراري والاكم الى ان اقبل الليل واظلم فقصدوا الطريق الاعظم واطلقوا اعنة الخيل وساروا تحت ظلام الليل وخالد مثل الواله المفقود وهو خائف ان يفوته المقصود وما زال على مثل ذلك الحال الى ان تحول الليل بالارتحال ولما اصبح الصباح واشرق النور اشرفوا على احياء هوازن بن منصور وابصر قيس غبار القوم قد اقبل وهو مسرع على عجل

فايقن بالهلاك وحلول الاجل فنادى خذ حذرك يا اباه . فقد اتاك ما كنت تطلبه وتبغيه
فقال زهير يا ولدي ما الخبر فقال غبار القوم قد ظهر . واظنه خالد بن جعفر ومن هذا كنت
اخاف واحذر ثم فاض دمعه وانحدر وتنغص عيشه وتمرمر فعند ذلك لبس الملك زهير آلة
الحرب وتهيأ للطعن والضرب ووثب على ظهر فرسه القعساء . و بادر الى لقاء الاعداء
وهو يقول اهلاً وسهلاً بخالد بن جعفر العامري فوحق الاله القديم اليوم يبان من استجاب
الله دعاه و بلغه قصده ومناه ثم انه طلب الغبار وفي قلبه لهيب النار وقد تبعته اولاده وفرسانه
واجناده وابصر خالد بن جعفر ذلك الامر المنكر . ففرح واستبشر وصاح في بني عامر
فحملت مثل الليوث الخوادر او النسور الكواسر وقد سلت صفاحها ومدت رماحها . وعلا
ضجيجها وصياحها فالتقتها بنو عبس وعدنان واخذوا في الضراب والطعان فزاد عليهم الشر
واتسع في اعينهم البر وهاجت الاحقاد في الصدور . و بان صبر الصبور وعمل الحسام وفلق
الهام وتهشمت العظام واشتد الخصام . وقل الكلام . وتبتت الكرام وفرت اللئام ودارت
بينهم كاسات الحمام وعقد عليهم الغبار مثل الغمام وهدر الملك زهير وزمجر وسطا وتجبر . وقاتل
القتال المنكر ونثر الجماجم نثر الاكر وفعل فعالاً تعجز عنها صناديد البدو والحضر وما انتصف
النهار حتى عولت بنو عامر على الفرار لانها لم تثبت في مقام الخطر الا بثبات سيدها خالد
بن جعفر لانه اختار القتل على الهرب وكافح حتى اشرف على العطب قال وفي تلك الساعة
وصلت فرقة من بني عامر وما فيها الا كل عقاب كاسر وليث خادر لانهم كانوا قد تفرقوا في
البر الاقفر واذ لم يقفوا لبني عبس على اثر قصدوا امياه هوازن بن منصور وهم طالبون تسهيل
الامور فوجدوا القتال يعمل فقوموا الاسنة وكان فيهم ابطال وفرسان لم يسمح بمثلهم الزمان
منهم الربيع بن عقيل وجدح بن البكا ومعهم من حماة القبائل كل ليث باسل فحملوا من
سائر الاقطار وارتفع بينهم الصياح وعلا الغبار وكثر على بني عبس العدد وازداد عليهم المدد
وقل منهم الصبر والجلد لانهم كانوا مائة فارس واعداهم خمسة الاف بطل من بني عبس فقاتلوا
حتى اثخنوا بالجراح وايسوا من سلامة الارواح و بان لهم ان البركة سيوف ورماح وابصر
الملك زهير بعينه الهلاك فايقن ان ليس له من الموت فكاك فجعل يتقي عوامل الرماح
بصدره ويحمل حملات من لا يفكر في عواقب امره ان بقي جسد بدون روح . وقد التقى
من بني عامر مائة وخمسون رجلاً ما بين مقتول ومجروح واصرخ خالد فعاله فتقصده وطلب
قتاله فالتقاه الملك زهير بقلب اقوى من الجبال وصدمه صدمة الاسد الرئبال وحمل عليه
من غير مطال وانشد وقال

ملاث بغيرة بين القنا والشقائق ... تبير عجاج القارض المتلاحق
بجودهم خلافـــة وقلوبهم ... اذا شهدوا الهيجاء غير خوافق
كأن فتات المسك در سحيقــة ... مع الصبح في كاسـاتهم والمارق
اذا رحلوا عن منزل غادروا به ... مناخًا لمشتاق وطيب لناشق
فهم آخذون الثار من آل عامر ... لشاس وحق الله يوم الحقائق
ولمـا دعا داعي الهوى واستحثنا ... فرحنا بفتيان العشي المخارق
فامسيت ابكي من عيون قريحة ... ابى الدمع الا ان يجود لدافق
فخلي دموعي تستهل فما الهوى ... يدارى ولا وعد الحسان بصادق
سعت الكرى ان لم اقدها عوابسًا ... بفرسان غارات الحروب الروالق
بحيد عليها الكر كل سيذع ... سبل العلا والمجد غير مسارق
بجالـــد عن ورد المياه ضمية ... ولا ورد الامس مياه العيالق
خوارج من ليل الغبار كانهــا ... نجوم رجوم اوسهام رواشق
وافني بهم من ال عامر عصبــة ... واخذ ثاري بالقنا والبوارق
وان لم انل قصدي فلا عدت بعدها ... اكر على ظهر الخيول السوابق

قال الراوي ثم انهما هجما والتحما واعتركا واصطدما وصاحا ونهما وانبسطا وانطبقا وابتعدا وافترقا واقتربا والتصقا حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق واظلم البرق في وجوههما حتى صار مثل الغسق والتهبت اجسادهما من شدة الغيظ والحنق . قال ونعوذ بالله من احقاد جاهلية العرب لانها تعمل في القلوب عمل النار في يابس الحطب وتلقي الشر في مواقف الخطر طمعًا بنوال القصد وبلوغ الوطر لا سيما الملك زهير وخالد بن جعفر وما زالا في اشد كفاح الى ان تقصفت في ايديهما الرماح وارتخت من وقع حوافر خيلها البطاح وحام طير الحمام على اجسادها وباح فبعد ذلك ثبتا على الحوادين وتعاركا كعراك من له على صاحبه ثار او دين وتجاذبا حتى اخذت منها قوى الزندين فوقعا الى الارض وهما قابضان بعضهما البعض الا ان زهيرًا اعظم ما قاسى من الشدائد ولاح بحره على الاله الواحد وما ابداه في الكعبة من الكلام الفاسد وقع تحت كلكل خالد فقبض خالد عليه وجذبه اليه واراد ان يسل حسامه ويبلغ من زهير مرامه فلم يتمكن منه لانه خاف ان يفلت اذا نهض عنه فصاح بملء راسه الى من حوله من اهله وناسه ويلكم يا بني عمي ادركوني واقتلوا زهيرًا وخلصوني وان كنتم لم تقدروا ان تصلوا اليه فاقتلوه واقتلوني

قال محمد بن هشام فلما نادى خالد بذلك الكلام اقبل على زهير ولده ورقاء فرآه ابوه وهو في حالة الذل والشقاء فنادى وابتاه واغربتاه واسفاه وقلة ناصراه ثم انه القى روحه عليه من شدة شفقته ولهفه ومال على خالد وضربه بالسيف على كتفه فنبا السيف وانثنى ولم يكشف عن ابيه شدة ولا عنا واذ قد اقبل من خلفه جندح بن البكا فارس بني عامر كانه العقاب الكاسر وضرب الملك بالسيف على راسه شقه الى حد اضراسه وكانت البيضاء قد وقعت من على الجبين فسمع للسيف خشخشة وطنين وعلم جندح ان ضربته قاتلة ولعمر زهير فاصلة فقال لخالد قم الان عن غريمك وتمتع بسرورك ونعيمك فقد انقضى امره وانقصف عمره فوثب خالد وعاد الى ظهر حجرته بعد ما اخذ سيف الملك زهير وعدته وصاح في بني عمه وعشيرته وقال لهم ارفعوا الحسام عن هولاء اللئام فقد قضيت حاجتي واجابت اللات والعزى دعوتي فقال له الربيع بن عقيل وكان قد سمع صوت خالد ونظر ما تم له مع زهير من الشدائد لان المعمعة كانت انقلبت الى ذلك المكان وازدحمت هنالك الفرسان ما معنى هذا الكلام ايها البطل الهمام اتظن انا نعود نصطلح معهم بعد هذه القصة او يتفق لنا مثل هذه الفرصة فقال خالد اني اخشى عواقب البغي والردى وان يحل بنا ما حل بزهير لما بغى واعتدى وقد حلفت لعمرو بن الشريد بمن اجرى الماء وانار الظلماء واعطيته موثقا من رب الارض والسماء اني اذا قتلت زهيرا ونلت بنفسي مرادها لا اسبي اخته ولا اقتل احدا من اولادها واريد ان افي بالعهد والذمام واتبع سنة العرب الكرام فلا تخالفوني فيما اريد من المرام وبعد هذا اليوم كل من ظفرنا به من القوم فتكنا به وقتلناه واعدمناه الحياة ثم انفذ جماعة من الفرسان وامرها برد العربان المتفرقة في ذلك المكان وبعد ذلك جمع جنده وانصاره وقصد اهله ودياره وقد خمدت ناره وقر قراره وكان قد اخذ سيف الملك زهير ذا النور وركب حجرته القصباء التي تسابق بمسيرها الطيور وسار في غبطة وحبور وهو يرفل في ثياب الافراح والسرور وبالقرب من الديار اقبل على جندح وهناه بذلك الانتصار وقال له اني خايف ايها الامير والسيد الخطير ان تكون ضربتك لزهير غير قاتلة وقد ذهبت باطلة وانا حلفت بالرب المتعال انما اذا التقينا في صدام او قتال لا يكون الانفصال الا ببلوغ الامال فقال جندح وحق رب الكعبة لقد ضربته ضربة لو ذاقها اهل الاكدر لوقع وانكسر لان ساعدي شديد وقد سمع له في جمجمته خشخشة وطنين ولما رفعته رايت على شفرته شيئا مثل دهن اللحم السمين فلحسته بلساني فوجدته كانسي المالح فعلمت انه قد هلك وعدم المصالح وباحت عليه النوائح فتبسم خالد من مقاله وشكره على افعاله . قال الراوي هذا ما جرى

خالد وعشيرته واما ما كان من قيس واخوته والابطال الذين كانوا مع زهير في سفرته فانهم لما علموا بقتله خافوا على انفسهم من العطب فالووا رؤوس الخيل وطلبوا الهرب حتى انقطع عنهم الطلب ولما امنوا على انفسهم رجعوا اليه فوجدوه يتململ من شدة ما جرى عليه فالتفت عليهم وقال وهو في اشد حال قد فرغ الاجل وقد فعل القضاء ما فعل ثم قال لقيس اذهب يا ولدي الان بمن معك الى الاوطان فانت الخليفة من بعدي على بني عبس وعدنان واياك ان تغفل عن اخذ ثاري او تبدأ عن كشف عاري واما اعلم انه لا يتم لك ذلك الا بوجود عنترة فلا تسمع فيه كلام الاوغاد وتمويه الاعداء والحساد وتلبيس المفسدين والاضداد الذين منهم عمارة والربيع بن زياد ثم اوصى اولاده الاخر بالمحبة والالتفات لعنتر وان يطيعوا قيساً وينقادوا اليه في كل ما نهى وامر ولما فرغ من كلامه غشي عليه فدارت اولاده حواليه وضجت بالبكاء والانتحاب وارخت العمائم في الرقاب وبعد ساعة فاق من غشوته وعاد الى وصيته فقال له قيس وهو في حزن شديد ومرارة نفس الا تريد ان نحملك معنا الى ديار بني عبس قال يا ولدي لا تزعجني ولا تتعب نفسك وتحملني فان الضربة التي وقعت فيَّ قطعت العروق والاعصاب وما للميت علاج سوى المواراة في التراب فانه يستره عن الوحش والذئاب ثم هفت بعد كلامه وشرب كاس حمامه فبكت اولاده عليه ودارت حواليه واكثرت من البكاء والانتحاب واستعظمت المصاب وشقت ما عليها من الثياب ثم غسلوه وكفنوه وحفروا له ودفنوه ورجعوا طالبين الاطلال وهم في اسوإ حال ينعون ما كانوا فيه من العز ورفعة الشان وما صاروا اليه من الهوان وكان اشدهم حزناً وقلقاً اخوهم ورقاء وهو الذي ضرب بالسيف خالد بن جعفر ولم يؤثر فيه اثر فصغرت نفسه عنده وزال همه ووجده لانه علم ان طوائف العربان تعيره بذلك على طول الزمان فتمنى الموت خوفاً من العار واشتعل فواده بنار وقد هانت عليه الامور الكبار ولما اشتد عليه الحال انشد وقال

رأيتُ زهيراً تحتَ كلكلِ خالدٍ ... وقد ذهبتْ عنهُ جميعُ المقاصدِ
ينادي الينا يا بني عبس اسرعوا ... اليَّ وعينوني بكلِّ مجالدِ
فبادرتهُ والخيلُ تعثرُ حولهُ ... بسمرِ القنا والموتُ صعبُ المواردِ
ولكن سيفي بكفي وخانني ... فياليتَ شلَّ الله كفي وساعدي
ويا ليتني من قبلِ ضربةِ خالدٍ ... تجرَّعتُ كاساً من سمومِ الاساودِ
ويا ليتني قبلَ ان اتيتُ مبادراً ... اتاني نزاعُ الموتِ بينَ العوايدِ
ولا بُشِّرتْ بالخيرِ أُمي تماضر ... كما بشَّرت بي للرجالِ الاماجدِ

لقد بُشرت بي وهي ترجو معونتي فخاب رجاها عند يوم الشدايدِ
وصرت حديثاً بعد ضربة خالدٍ اخاذلُ ما بين العدى والحواسدِ
ويا ليتني في قفرة مدلهمة طريحٌ بها والطيرُ والوحشُ عايدي
بني عامرٍ ان كنتمُ قد ظفرتمُ بقتلِ زهيرٍ واشتفى قلبُ خالدِ
فعما قليلٍ تنظرونَ فوارساً تهزُّ المنايا بالقنا والسواعدِ
ونقتلُ من فرسانكم كلَّ سيدٍ ونسبي نساكم بالحلى والقلائدِ
ونفني كلاباً مع غنيٍّ وعامرٍ ونمحو الوفا من رجالٍ بواحدِ
سابكي عليهِ ما حييتُ بمقلةٍ مقرَّحةٍ انسانُها غيرُ راقدِ
وان خانَ دمعي او عصاني بكيتهُ دماً ساتلأمس وحتي غير جامدِ
فلا كانت الدنيا اذا لم يكن بها ولا طابَ عيشي بعدَ فقدي لوالدي

قال الراوي وجدَّ القوم في قطع القفار والسهول والاوعار طالبين الاهل والديار وهم في قلق عظيم وغمّ جسيم هذا وتماضر تلطم على خديها وتعض من شدة الاسف على زنديها وتنعي ما كانت فيهِ من العز والنعم وما صارت اليهِ من الهوان والنقم حتى توجعت لحزنها قلوب الرجال وتصدعت بنحيبها الجبال وتفطرت بالنظر اليها اكباد الصخور والتلال وكانت كثيراً ما تلتفت الى ورائها وتهم بقتل نفسها على ما دهاها فيمنعها الخجل والحياء لانها كانت من اعقل النساء . قال هذا ما جرى لهولاء من الامور الكبار واما ما كان من بني عامر فانهم وصلوا الى الديار وهم في غاية الفرح والاستبشار وكان ملاعب الاسنة مقيماً في الاطلال في نفر قليل من الابطال لحفظ المال والعيال فلما التقى بخالد بن جعفر ووقف على حقيقة الخبر فرح واستبشر وهنأهُ بالنصر والظفر الا انهُ لما سمع بسلامة قيس واخوتهِ ومن كان معهُ من اهلهِ وعشيرتهِ تغيرت منهُ الاحوال وبانهُ اعظم منال وقال والله ياخالد شيئاً عملت وقد اخطات فيما فعلت واما وحق رب القدرة لو كنت معكم في هذه المرة ما بقيت منهم بشراً ولا من بخبر فقال خالد والله يا ابن العم ومن هو كاشف الهم والغم اني خفت من عواقب اليمين وقد شهدت على نفسي رب العالمين اني لا تعرض لاحدٍ منهم قط الا لزهير فقط الذي تكبر وطغى قال اذا كان الامر كذلك دعني تتبعهم في جماعة من فرسان المعارك واسقيهم كوءوس المهالك قبل ان يبعدوا عن هذه الرسوم ولذلك تم نتصدهم الى ديارهم ونقلع من الارض اثارهم قال هذا امر قد مضى وفات وانقضى لانهم توغلوا في جوانب القفار ووصلوا سير الليل بسير النهار ومن الراي السديد والفكر الرشيد هو ان نكاتب

حلفانا واصحابنا ومن يعتمد عليه في شدتنا ورجانا ونجمع كل من له علينا ثأر والا لا نبلغ منهم ما نختار لاني اعلم ان بني فزارة وغطفان ومرة وذبيان ومن جاورهم من العربان يقاتلون مع بني عبس وعدنان نظرًا لما بينهم من الحسب والقرابة والنسب وان لم نكن اوفى منهم عددًا في القتال لا نبلغ الامال ولكن ان اردت ان تفعل شيئًا يذكر فانتخب لك الف رجل من ابطال الكفاح وليوث النطاح وسر بهم الى شعاب المسارح الفاصلة بيننا وبين بلاد اليمن واكمن في تلك الاطلال والدمن الى ان يعود عنتر بن شداد من تلك البلاد فاقتلك به وقد نلت المراد . قال فلما سمع منه ذلك الايراد نما غيظه وزاد لانه كان رفيع النجاد قويّ العماد قد فاق على اقرانه بفروسيته وقوة جنانه ولاجل ذلك لقبته العرب بملاعب الاسنة لانه كان من اشد الجبابرة اذا تقابلت الاعنة وعلت من الفرسان الضجة والرنة وقال له يا خالد اما وجدت لي عندك رتبة عظيمة الا ارسالي الى قتال عبد ابن امة ذمية ليس له قدرٌ ولا قيمة فان اردت انت ان تسير الى هذا الامر فافعل ولا تعد لي هذا الحديث فان تركه اجمل ودعني انا لحفظ المال والعيال وجمع الفرسان والابطال فقال خالد اما اسير بنفسي الى قتال عنتر لاني ان قتلته نلت الحظ الاوفر والشرف الاكبر ووقعت هيبتي في قلوب البشر وافتخرت على فرسان البدو والحضر وسكان البرّ الاقفر ثم انه بعد ذلك المقال نزل للراحة بمن معه من الابطال ولما كان عند اقبال النهار انفذ الخيل الى سائر الاقطار يعلم بذلك القبائل والعشائر ويامرها بسرعة القدوم الى ديار بني عامر وبعد ذلك اعتدّ في الف فارس كانهم الاسود العوابس من جملتهم الربيع بن عقيل وجندح بن البكا الفارس النبيل وسار بهم في عرض البرّ الطويل وهو يقول لبني عمه ومن معه من ابطال قومه لا يخفاكم ايها الرجال والسادة الاقيال اننا قد ركبنا من الامور اصعبها واهمها وما عاد يمكننا القعود عنها دون ان نتمها لاننا قد قطعنا من الحية راسها ولم يبقَ علينا غير ذنبها فاذا قطعناه استرحنا من غائلة وسواسها ثم انه جدّ في السير وسابق بمسيره الطير وقد ظن انه يفعل بعنترة كما فعل بالملك زهير وما زال مجدًّا في المسير وسرعة التشمير الى ان وصل الى شعاب المسارح وتلك الدكادك والاباطح فنزل فيها واكمن في بعض نواحيها وقال لمن معه من الفرسان لا بد لعنتر العبور من هذا المكان في اي جهة كان وكان خالد قد اتخذ سيف الملك زهير لنفسه وكان لا ينام الا وهو تحت راسه

قال الاصمعي هذا ما كان من خالد بن جعفر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر فانه كان قد سار مع اسيد وبني مازن كما وصفنا قاصدًا بلاد اليمن وهو يريد خلاص سلمى زوجة

السيد من تلك البلاد وزواج نازح لضيا ابنة الامير عباد ولما ابعد عن الحلة تذكر ابنة عمهِ عبلة فتحسر من الم الفراق فهطلت دموعهُ على خديهِ كالامطار وانشد من فوادٍ مستطار

قد قرّحَ الدمعُ يومَ البينِ اجفاني وهيجَ الشوقُ اشجاني واحزاني
فكيفَ صبري وقد بانَ الحبيبُ ضُحىً وغابَ عني اصحابي وجيراني
لا افرجَ الله عن عيني برؤيتكم ان كنتُ اختارُ يوماً غيركم ثاني
فكيفَ انساكمُ والقلبُ طوعكمُ رهناً لديكم اليكم عن جفا العاني
ترى تعودُ الليالي مثل ما سلفتْ وهل بشيركمُ بالعودِ يلقاني
ليتَ الزمانَ الذي نادى بفرقتنا يعودُ يجمعنا من بعد احيانِ
يا عبلَ لو عاينت عيناكِ فعلَ فتىً ضخم الدسيعةِ لا واهٍ ولا وانِ
يلقى الكماة بقلبٍ قُدَّ من جبلٍ ويطردُ الخيلَ في روعٍ وميدانِ
تخافُ منهُ الرزايا ان تلمّ بهِ وكيفَ لا تختشي باسي وعدواني
الكاسب الفخرَ في قومٍ ذوي حسبٍ وحاملٌ كلَّ اثقالٍ واوزانِ

قال وما زالوا يقطعون البراري والكثبان الى ان اشرفوا الى ديار بني القيان واراد نازح ان يسبق الفرسان ويعلم امهُ بما اتفق فراى الغبار قائم وفي اطرافهِ بريق صوارم ولمعان اسنة تتلوى مثل الاراقم ومن تحتهِ صياح وهام وخيول ومواكب ومطلوب وطالب ومنهوب وناهب وعويل واحزان وضجيج نساء وبكاء صبيان وامور تدل على انقلاب الزمان وطوارق الحدثان فلما عاين نازح ذلك الحال تغيرت منهُ الاحوال وخرج عن دائرة الاعتدال والتفت الى عنترة وقال دُهينا يا ابا الفوارس وسيد الابطال في المال والعيال فقال لهُ عنترة طب نفساً وقرعيناً فسر واكشف لنا الخبر وارجع الينا فاطلق نازح عنان الجواد واقتحم الغبار والسواد وقصد مضارب بني القيان فراى الغبار قد انعقد عليهم مثل الدخان والاعداء قد دارت بهم من كل جانب ومكان ونظر الى سيدهِ عباد وهو مثخن بالجراح وروحهُ قد خمدت من شدة الصياح واختهُ ضميا تهيم بين الروابي والمضارب وهي تصيح مع جملة النساء والبنات الكواعب وهي مكشوفة الراس مهدولة الذوائب تلطم على خدود كانهنّ الوردُ الجوري او البياض النقي الكافوري وتحمي الرجال وترد الفرسان والابطال الى معركة القتال وتصيح عليهم من اليمين والشمال وتندب كانها الحمامة الفاقدة الفها وتتلفت التفات الغزالة التي قد ضل عنها خشفها فلما رآها نازح عظم مصابهُ وغاب عنهُ صوابهُ والتفت عن يمينهِ فرأى امهُ سلمى تبكي وتصيح من فواد جريح وهي تقول يا ولدي ومهجة كبدي من اي الجهات اناديك

وفي اي الاماكن التقيك اما كان لسفرتك من رجعة او لوداعك من عودة ترد عنا هذه الفجعة فلما سمع نداءها وشاهد عويلها وبكاءها قامت في ام راسه مقل عينيه حتى لم يعد يبصر ما بين يديه وتقدم الى نحو سيده عباد وهو طائر الفؤاد وقال له ابشر بالنصر وبلوغ المراد قال ففرح عباد لما راه وزاد عويله وبكاه لانه كان عنده كالولد المحبوب واعز من يوسف عند ابيه يعقوب فقال وهل انت في عدد الاحياء ونحن نقاسي هذا البلاء فاين كنت في سفرتك وما الذي جرى على اصحابك ورفقتك فقال حديثي طويل وسوف اشرحه لك بالتفصيل فاخبرني انت بحالك وابشر ببلوغ امالك فقد اتيتك بابطال وفرسان كانها مردة الجان او اسود خفان لا تخاف طعن الرماح ولا تهاب لذع الجراح بل عندهم الذّ اللذات ظهور الخيول واشهى الشهوات ملاقاة الفحول اذا صدموا بحرًا فرقوا امواجه مع اللجج او حضروا حربًا حكموا اسنة رماحهم في وسط القلوب والمهج فمن اي الناس هولاء الاعداء وما الذي اوجب قصدهم اليكم دون سائر عرب البيداء فقال عباد انه بعد رحيلك من الاوطان بمدة يسيرة من الزمان ارسل اليّ الملك نعمة بن الاشتر صاحب ارض السوداء وجبل الدخان يقول لي اريد منك ايها السيد المفضال ان تنفذ لي ابنتك ضياء في عاجل الحال لاني قد سمعت بحسنها وجمالها وان لم ترسلها اليّ كما اريد سبيتها سبي بنات العبيد فلما سمعت ذلك الخطاب الذي هو اشد من ضرب الرقاب غبت عن الصواب ورددت رسوله باغلظ جواب فلما بلغه مقالي زاد غرامه وحواه وارسل لي هذا الجيش الذي تراه وهم من بني الارقط وقد نزلوا علينا نزول البلاء المسلط واريد منك الان المساعدة على قتال هذه الطائفة الجاحدة والا تشتتنا في الافاق وافترقنا فراقًا ما بعده من تلاق فلما سمع نازح ذلك الكلام زاد به الوجد والهيام وصار الضياء في عينيه كالظلام وعاد على الاثر حتى التقى بابي الفوارس عنترة واخبره بجلية الخبر وما شاهد ونظر وقال ياسيد الفرسان واوحد الشجعان بادر الامر قبل الفوات واحمل بنا حتى نخلص البنين والبنات فقال عنترة ابشر بما يسرك ولا يضيق صدرك فسوف ترى الاعداء وهي نافرة وجماجمها عن اجسادها طائرة ثم انه قسم الفرسان الى ثلثة مواكب وامرها بالحملة من كل جانب وكان اسيد قد همّ ان يحمل مع ولده نازح ليقاتل ويكافح فما مكنه عنترة من ذلك المرام وقال اني لا ادعك تخاطر بنفسك مع هولاء اللئام بل اثبت مكانك تحت الرايات والاعلام فاذا رايتنا قد ولينا في جوانب البيد احمل في ذلك الوقت وافعل ما تريد قال وبعد ذلك حملت بنو عبس ومدت رماحها وانتقل الموت بين اسنتها وصفاحها واطبقت على بني الارقط كانها البلاء المسلط وعنترة

في اوائلها كانة الثعبان الارقط وشيبوب من ورائهِ كانة الذئب الامعط قال وكانت [illegible]
الطائفة اشد الطوائف من عرب اليمن واصبر على المصائب والمحن واثبت لنوائب الزمن
وكانت تعبد الشمس والقمر وتسجد لهُ كلما هلّ وبدر دون خالق البشر وكان ملكها
ذميم السيرة قبيح المنظر يقال لهُ نقمة بن الاشتر وكان من اعظم العرب واجبرها واشدّها
باسًا واكفرها كثير الجور والاسراف يقابل زلة القدم باراقة الدم لا يذكر العفو عند الغضب
ولا يعرف مقام اهل الرتب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والترب الاَّ انهُ كان شديد
السلطان كثير الجند والاعوان وكان اذا ركب في الميدان تخضع لهُ رقاب الاقران خوفًا
من شدة باسهِ ومرارة كاسهِ وكان مولعًا بحب البنات والنساء والمزاح معهنَّ في الصباح والمسا
وكان قد تركلهُ عجائز وقوابل يطفنَ الحلل والقبائل ويدخلنَ على بنات العرب بكل
حيلة وسبب . فاذا راين جارية بديعة الجمال . يرجعنَ اليهِ في الحال ويصفنَ لهُ حسنها
وجمالها وقدها واعتدالها وظرفها وكمالها ويذكرنَ لهُ حيها وعربها فيرسل الى ابيها ويخطبها
ويظهر لهُ المحبة والوداد دون سائر العباد فان اجابهُ الى ما دعاه خلص من شره ودهاه والا
قصد بالمواكب وداركه بالجيوش والكتائب حتى ياخذها منهُ غصبًا وقهرًا ويملكها قوةً وجبرًا
ولا يزال يتمتع بها في الليل والنهار الى ان يسمع بخبر غيرها من البنات الابكار فيزوجها لمن
يريد من الاحرار والعبيد ويتركها تخدم في ابياتهِ ويساويها بعبيده واماتهِ وما زالت هذه
الحالة حالتهُ وهذه الصفة صفتهُ حتى سمع بوصف ضيا ابنة عباد وما شاع من حسنها وحديثها
في سائر البلاد . فارسل الى ابيها وطلبها منهُ كما ذكرنا . فرد رسولهُ بالخيبة كما شرحنا ووصفنا
وقال اني لا أُزَوج ابنتي برجل غدار لا يخشى العار ولا يغار على النساء الاحرار . والبنات
الابكار ولما وقف نقمة على تلك الرسالة وبلغهُ هذا المقال زاد بهِ الغيظ والحنق وقال ما
هذا الرجل الاحمق وان لم اذلهُ واهلك عشيرتهُ لم املك ابنتهُ . ثم استدعى بولده الاكبر
وجهزه في سبعة الاف فارس ما فيها الاكل جبار لا يجتنب ذنب ولا يستغفر رب ولا يخاف
الخالق ولا يخشى من البوائق وامره ان يسير الى بني القيان ويقتل الرجال والصبيان وياتي
بعباد وابنتهِ ضيا في حالة الذل والهوان فامتثل قولهُ فيما أمر وقال وحق النيل اذا اعتكر
والقمر اذا هلّ وبدر لاتركنهم عبرة للبشر . وايةً لمن نظر قال . وسار بعد وصية ابيهِ الى بني
القيان واحاط بهم من كل جانب ومكان وبذل فيهم الصارم البتار وكان قد دار بينهم
ضرب الحسام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اشرف عليهم دارح وعنترة بن شداد وفرسان
بني عبس الاجواد كما تقدم الايراد وكانت بني القيان قد تضعضعت بين الخيام وصار نهارها

كالظلام وقتل منها كل بطل همام وتهتكت بناتها ونسوانها وتيتمت اطفالها وصبيانها وقد ذكرنا ان عنتر فرّق الصحابة الى ثلاثة مواكب وصاح فيهم صيحة الاسد الواثب فحملوا مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب ومكنوا الصوارم في الرؤوس والجماجم وذوابل الصعاد في الصدور والاكباد وكانت نار حربهم مطفية قبل قدوم الطائفة العبسية فاوقدها عنتر والهبها وزعق في رجالها ففرق مواكبها وطعن الفرسان في صدورها فاقلبها وخطف الارواح ونهبها وابصرت بنو الاشتر من ابي الفوارس عنترضربًا يسبق لمح البصر وطعنًا يدهش النظر فعادت على الاثر وقد شاهدت الموت الاحمر وطلبت البر الاقفر وما فيهم من عرف حقيقة الخبر وابصر كلبون بن ثقة وهو قائم على رابية في تلك الآكام وعلى راسه الرايات والاعلام وقد ولت رجالة على الاعقاب وتفرق شملها

الكتاب السابع والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

في بطون الاودية ورؤوس الشعاب فاخذه القلق وزاد به الحنق وصاح على من حوله من الفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم من اعيان الرجال ويلكم ما هذه الا فئة يسيرة وطائفة حقيرة قد اتت نجدة لعماد من غير وعد ولا ميعاد فقوّوا قلوبكم لقصدهم واستخلاص الاموال من يدهم والا افتضحنا في سائر الافاق وصرنا مثلاً في ارض الحجاز و بلاد العراق فلما سمعوا كلامه اخذتهم الحمية فالووا الاعنة وقوّموا الاسنة وطلبوا معركة الكفاح ومدوا الى بني عبس قطع الرماح طمعًا في نهب الاموال وسبي العيال فراوا رجالاً لاتخاف من العطب ولا تخشى من نار الحرب اذا التهب بل تحمل حملات السباع الجياع وما فيها من يخاف الموت ولا يرتاع فخاب منهم الامل وحل في قلوبهم الخوف والوجل لانهم شاهدوا الموت قبل حلول الاجل فتوقف منهم جماعة عن الحرب وتجنبوا الطعن والضرب واقبلوا مهزمين وهم يبكون وينتحبون ويصيحون ويستغيثون الى ان اقبلوا الى امام سيدهم كلبون فقالوا له اطلب لنفسك الهرب لان النجاة خيرٌ من الهلاك والعطب فان وراءنا فارسًا لا يقاس بالفرسان وبطلاً تبطل عند قتاله حيلُ الشجعان . قد فتك في رجالنا واهلك جماعةً من ابطالنا ولولم ندرك انفسنا ونطلب الهزيمة والا كان قتل ما منا قتلة عظيمة واصاب منا غنيمة جسيمة فلما سمع كلامهم صعب عليه حتى كاد يغشى عليه وسلّ الحسام الصقال وقتل منهم عشرة من الابطال ثم التفت الى من حوله من الامراء والنوّاب ومن يعتمد عليه من الغلمان

والحجاب وقال لهم هل سمعتم باعظم من هذا المصاب خمسة الاف فارس الحجاب تحمل على مائة رجل من هولاء الكلاب وتهرب من بين ايديها كما تهرب الغنم من امام الذئاب وبعد ذلك تخاطبني بمثل هذا الخطاب وانا اقسم بسواد الليل وشعاع سهيل لو لم تكن لي ارادة بان اريهم ما سوف افعلهُ بذلك الاسود الهجين الذي ولوا من امامهِ واتوا اليَّ طالبين تم انهُ بعد كلامهِ لارباب الجنود وسادات الاقاليم والحدود خرج من تحت الاعلام والبنود والبيارق السود بجنان قوي كانهُ العمود وتبعهُ الف وخمسمائة فارس كانهم الابالس وهم الذين كان يعتمد عليهم في سائر الاوقات ويتقي بهم الدواهي والافات وكانوا يقاربونهُ في الشجاعة والفروسية ويلقون انفسهم بين يديهِ في كل داهية وبلية وطلب معركة الطراد حتى التقى بعنتر ابن شداد وهو يخوض الصفوف ويلتقي بصدرهِ الاسنة والسيوف ويجندل الابطال ويخطف مهج الرجال في ساحة المجال ويدوس بجوادهِ الجماجم فاشتد بكلبون الغيظ والحنق وصاح فيهِ وزعق فحمل عليهِ عنتر وانطبق والتقاهُ بقلب اصلب من الحجر وصدمهُ صدمة الاسد الغضنفر واشتد بينهما القتال واتسع عليهما المجال قال وكان العدد قد قل عن بني القيان بقتال عنتر فعند ذلك نادى الامير عاد في قومهِ ابشروا بالنصر وقضاء المصالح فقد عاد الينا فارسنا نازح وتذكر الاطلال والمسارح وجاء بفرسان وابطال قد تعودت على الحرب والقتال وعندها ضرب الصفاح وطعن الرماح الذ اليها من شرب الراح واعتناق النساء الملاح فعودوا الان تغير تلك النية وقاتلوا اعداءكم بالسيوف المشرفية وطعنوا فيهم بالرماح السمهرية فقد انصانت بناتكم وكل حرة عربية واستترت بعد ما كانت مسبية وما انتهى من هذا المقال حتى انحت الابطال ومالوا على بني الارقط في الحال واتسعت عليهم ميادين المجال وعمل بينهم السيف والسنان من كل جنب ومكان واشتدت قلوب بني القيان بشجاعة عنترة فارس الميدان واقتحم الامير عاد معركة الصدام وقاتل مع نازح وبني عبس الكرام وارتفع القتام وسالت الادمية على الروابي والاكام . قال نجد بن هشام كل هذا وعنتر مع خصمهِ في طعن يسبق الاوهام وضرب يقدّ الهام وتشيب من هولهِ الاطفال قبل الفطام وكان قد اراد انجاز الامر فقال لم يبقَ لزيد الا عمرو وراى خصمهُ محترزًا غاية الاحتراز خبيرًا بالقتال والبراز فجال معهُ ساعة حتى ضاقت منها الصدور فاتكأ على الرمح واسعد الى وراثه فطمع فيهِ كلبون وهجم عليهِ وفاجأهُ وطعنهُ طعنة اراد فيها هلاكهُ وفناهُ فخلى عنها عنتر فراحت خائبة ثم تقدم اليهِ عنتر واخترط الضامي الابتر وضربهُ على وريديهِ فاطار رأسهُ فوقع الى الارض يخبط بعضهِ البعض فلما رأت بنو الارقط ذلك الحال حل بها البلاء

والقتال وتحطمت عنترة من اليمين والشمال وهزت في ايديها الرماح الطوال وسالوا عليه سيل العارض الهطال فالتقاهم عنترة بقلب اقوى من الجبال وصال عليهم واستطال وقاتل نازح بن اسيد اشد قتال وكذلك عروة ومن معه من الرجال و بذلوا ارواحهم للاسنة العوال ومكنوا الصوارم الصقال في المناكب والاوصال والرماح الدقاق في الصدور والاعناق وابصرت بنو الارقط حملات عنترة على المواكب وتفريقه لها من كل جانب وطعنه في الصدور والترايب فخافوا من حلول النوائب وعلموا ان ليس لهم بالقوم طاقة . فولوا على اعقابهم بين الهامه والدكادك والجتهم لهوات المعاطب والمهالك . واصبحت جثث قتلاهم طعماً للسباع والنمور واقواتاً للعقبان والنسور . هذا وقد عاشت من بني القيلين الارواح وعاد فسادهم الى الصلاح وترجلت منهم الرجال ومشت امام عنترة ومن معه من الابطال وتقدم اعاد الى نازح وسلم عليه ومدحه واثنى عليه وقال له ياسندي ومن هو عدي اعرمن ولدي من يكون هولاء من العرب الاجواد وما هو سبب دخولهم معك الى هذه البلاد من غير معرفة ولا ميعاد قال هولاء اصحاب الحسب والنسب . واكرم سادات العرب . الذين اتصفوا بالفضل والكرم واشتهروا بالشجاعة وعلو الهمم ومكارم الاخلاق والشيم هولاء بنو عبس الكرام المعروفون بين الانام بفرسان المنايا والموت الزوام وحاميهم هو عنترة بن شداد حية بطن الوادي وقادح النار من غير زناد الذي قهر جبابرة العرب واهل البغي والعناد واما سبب دخولهم معي الى هذه البلاد فله حديث عجيب يذهل منه العاقل اللبيب وقد صح الان واشتهر عند سائر البشر ان ملكهم هو ابي ونسبهم متصل بنسبي وقد ابعدني عنهم الدهر واما صبي ثم حدثه بقصته وما جرى له في سفرته فانذهل عاد وتعجب واهتز من شدة الفرح والطرب وقال ان هذا الحديث من العجب العجب فوحق من اشرق الشمس وفصل هذا اليوم على أمس لم يكن أحد في الدنيا أبغض عليّ من بني عبس لاجل ما بيننا و بينهم من الثارات والوقائع والغارات والان قد مضى ما مضى وزال الهم عن قلبي وانقضى واما اقسم بمن بسط الارض ورفع السماء وجعل الكعبة امناً للناس وحماً لقد صارت رجالنا لهم عبيد ونساؤنا اماء فاين هو ابوك من هذه الفرسان فاشار نازح الى ناحية اسيد بالبنان وقال هو ذاك الذي على راسه العلم صاحب الثوب المعلم والجواد الادهم فلما استوفى منه هذا الخطاب سعى الى نحو أسيد وقبل رجله في الركاب وشكر فعاله وحمد فضله وقال لو كنت اعلم ان فيكم هذه الشجاعة والفروسية والنخوة والحمية ما كنت اضمرت لكم الشر والاذية ولو عرفت ايها السيد المصان بان نازحاً من بني عبس وعدنان لجعلته حاكماً على بني القيان وسرت في خدمته الى الاوطان ولكن الدهر

ياتي بكل عجب والرب القديم جعل لكل شيء سبب . فمدحه اسيد واثنى عليه وقبله
وبين عارضيه وقال له ما انت الا واحد منا فليس لنا غنى عنك ولا انت ايضاً في غنى عنا
وقد رضيناك وقبلناك ولو عملنا اكثر من هذا ما كافيناك لانك قد ربيت لنا غلاماً ما ربي
مثله احد فان شئت ان نكون روحين في جسد ونكون لك عمدة على طول الابد زوج ابني
بابنتك حتى يتصل بيننا النسب وتهابك من اجلنا ملوك العرب فقال عباد السمع والطاعة
فوحق من يعلم غوامض الاشياء لا زوجنه الا بابنتي ضيا التي قد جرى علينا من اجلها
هذا المجرى ولولاكم لم يكن لنا قيمة ولا قدر . فحمده الحاضرون على كلامه وشكروا اسيد على
حسن اهتمامه وبعد ذلك ساروا الى الخيام فالتقتهم الاماء والحرائر وفي ايديهن الدفوف
والمزاهر وكانت ام نازح قد رات ولدها وهو يطارد ويكافح فما صدقت ان تراه لانها كانت
في غاية الشوق الى رؤيته فوقعت على صدره وقبلته في عارضه ونحره وبعد ذلك سالته عن
حالته فحدثها بقصته واعلمها انه قد عرف اباه وانه قد اتى هو واياه وفي صحبتهما فرسان بني عبس
وعدنان وهم الذين خاضوا ساحة الميدان وكشفوا الغمة عن بني القيان فزادت بها الافراح
وزالت عنها الهموم والاتراح ونظرت بعلها اسيد قد اقبل وهو في اول الجحفل فهرولت اليه
وسلمت عليه ووقفت بين يديه فلما رآها هطلت الدموع من عينيه فترجل اليها واعتنقها
وبكى وما فيهما الا من ذكر العهد القديم فباح سره وشكا . قال نجد بن هشام وما اظلم الظلام
حتى ضربت لبني عبس الخيام ونقلت اليهم اسمطة الطعام وبواطي المدام واكرمهم عباد غاية
الاكرام وبات القوم في احسن حال وانعم بال وعند الصباح اتحفهم الامير عباد الهدايا الثمينة
والخيول الجياد قال رواة الاخبار وما تضاحى النهار حتى صارت ام نازح تامر وتنهي على
بني القيان بعد ما كانت بينهم تضام وتهان وهذه احكام الملك الديان لانه يرفع ويضع . قال
ثم ان عباداً اصنع وليمة عظيمة وجمع فيها سائر بني عبس وعدنان وسادات بني القيان فاكلوا
الطعام ودارت عليهم اقداح المدام وكانت الامراء والاعيان تخدم عنترة الفرسان وتشكره
على تلك الفعال وتذكر كم قتل وكم جدل من الابطال قال وداموا على ذلك الحال مدة
ثلاثة ايام مع الليال وهم في فرح وسرور وغبطة وحبور . ولما انتهوا من هذه الامور والمصالح
طلب اسيد من عباد ان يزف ابنته ضيا الى ولده نازح وقال اعلم ايها الامير والسيد الخطير
اننا نريد التخفيف وسرعة الرجوع الى الديار بامر الملك اللطيف لانك قد غمرتنا باحسانك
فقال عباد وحق الاله الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلائق ان اهنأ ما لقلبي اليوم خدمتكم
واشد ما علي فرقتكم ولو علمت انكم تطاوعوني على ما اريد حلفت بالبيت الحرام وزمزم

والمقام اني لا افارقكم في هذا العام ولا امكنكم من الرجوع حتى يدركني الحمام لان جميع ما املكه اليوم من الاموال والتحف الغوال هو ملك ايديكم على كل حال لانكم خلصتموه من الاعداء الانذال بقوائم سيوفكم ورماحكم الطوال واما ابنتي فقد انجز امرها وفرغ شغلها . ولو امرتموني لزففتها في هذه الليلة على بعلها ولكن قلبي خائف من ذلك الجبار والفارس الكرار الذي قتلتم ولده وكسرتم جنده وانا اعلم انه لا يضيع له ثار ولا تخمد له نار وانا اعلم ان المنهزمين اذا قدموا عليه ونعوا ولده بين يديه يسير الينا في عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى فيقلع منا الاثار ويخرب الديار . قال فعند ذلك التفت عنتر بن شداد الى الامير عباد وقال ايها السيد المحترم وحق البيت المعظم لاقودن هذا الجبار اليك واريك فيه ما تقر به عيناك واجعل كل من في جبل الدخان طعمًا للوحوش وجوارح العقبان وبعد ذلك اقيم الحروب والفتن في بلاد اليمن وابلي اهلها بالبلايا والمحن وادوس اراضيها ورباعها وافتح ابراجها وقلاعها واقتل ملوكها واقيالها واذل فرسانها وابطالها واسبي نساءها واطفالها

فلما سمع عباد كلام عنتر اندهل وتحير وقال له يا فارس ربيعة ومضر لا تظن ان نقمة بن الاشتر كمن لاقيت من البشر بل هو اعظم الملوك قدرًا وافخمهم ذكرًا وامدهم باعًا واشدهم امتناعًا وارفعهم ملكًا وسلطانًا واطوعهم انصارًا واعوانًا واروعهم سيفًا وسنانًا وان ارضه وعرة المسالك كثيرة الافات والمهالك وهذا الجيش الذي قهرناه وكسرناه ما هو الا نقطة من تياره وشرارة من ناره والصواب انكم تصبرون حتى اكاتب الاصدقاء والحلفاء واستنجد بمن لي من الاصحاب واهل الوفاء ونسير جميعنا الى جبل الدخان ونبذل المجهود في قتال ذلك الشيطان فقال عنتر وحق من خلق العباد وكسا الليل حلة السواد لاسرت اليه الا بمائة فارس من بني قراد مع عروة بن الورد وابي شداد ولو انه في قوم ثمود وعاد وافتح بعد ذلك بلاد اليمن قوة واقتدارًا واضرم في قلوب اهلها نارًا قال فلما سمع القوم من عنتر هذه الاقسام تعوذوا بالالهة والاصنام وما فيهم من اجابه على هذا الكلام الا اسيد بن جذيمة فانه قال يا ابا الفوارس لقد اقسمت باقسام عظيمة فان كان لا بد لك من الرحيل فسر في غداة غد ولك الفضل والجميل ونحن نتبعك بعد ثلاثة ايام بكل فارس نبيل لاننا لا ندعك ان تسير الى ارض لا تعرفها وتلقى اهلها في هذا النفر القليل وتكون قد وفيت بقسمك الذي قسمته ويمينك الذي حلفته فاجابه عنتر الى ما حكم وامتثل الى ما اشار به ورسم وقال انا اطلب من الله ان يسهل في قضاء هذا الامر على عجل في دون هذا الاجل وما تصلون انتم عندي الا واكون قد وفيت بعهدي قال وكان هذا الحديث والكلام عند اقبال

الظلام فعاد القوم الى الخيام وأكلوا الطعام وشربوا المدام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انتخب عنتر مائة فارس من بني عبس الاشاوس وسار من تلك البلاد وفي صحبته عروة بن الورد وأبوه شداد ولما تبطن البراري والدكادك تذكر محبوبته عبلة بنت مالك فاشتد به الشوق والغرام وزاد به الامر فهام لانه كان قد ابصر اجتماع اسيد بزوجته سلمى وولده نازح بضميا فغاب عن الدنيا وشبت في قلبه النيران وتراكمت عليه الهموم والاحزان وفاضت دموعه على خديه فتنفس من فؤاد ولهان وانشد يذم الزمان

حسناتي عند الزمان ذنوبُ وفعالي مذمة وعيوبُ
ونصيبي من الحبيب بعادٌ ولغيري الدنو منهُ نصيبُ
كل يوم يبري السقام محبٌ من حبيبٍ وما لسقمي طبيبُ
فكأنَّ الزمانَ يهوى حبيبًا وكأني على الزمان رقيبُ
انَّ طيف الخيال ياعبلَ يشفي ويداوَى بهِ فؤادي الكئيبُ
وهلاكي في الحبِّ اهون عندي من حياتي اذا جفاني الحبيبُ
يانسيمَ الحجازِ لوانت تطفي نارَ قلبي اذابَ جسمي اللهيبُ
لك مني اذا تنفستُ حرٌّ ولرياك من عُبيلةَ طيبُ
ولقد ناحَ في الغصونِ حمامٌ فشجاني حنينهُ والنحيبُ
باتَ يشكو فراقَ الفٍ بعيدٍ وينادي انا الوحيدُ الغريبُ
ياحمامَ الغصونِ لوكنتَ مثلي عاشقًا لم يرَقك غصنٌ رطيبُ
فاترك الوجد والهوى لمحبٍّ قلبهُ قد اذابهُ التعذيبُ
كلُّ يومٍ لهُ عتابٌ مع الدهـ ـرِ وامرٌ يحارُ فيهِ اللبيبُ
وبلايا ما تنقضي ورزايا ما لها من نهايةٍ وخطوبُ
سائلي ياعبلَ عني خبيرًا وشجاعًا قد شيبتهُ الحروبُ
فسينبيكِ انَّ في حدِّ سيفي ملكَ الموت حاضرٌ لايغيب
وسناني بالدارعين خبيرٌ فاسأليهِ عمّا تكنُّ القلوبُ
كم شجاعٍ دنا اليَّ ونادى يالقومي انا الشجاعُ المهيبُ
ما دعاني الا مضى يكدُم الار ضَ وقد شققت عليهِ الجيوبُ
ولسمرُ القنا اليَّ انتسابٌ وجوادي اذا دعاني اجيبُ
يضحكُ السيفُ في يدي وينادي ولهُ في بنانِ غيري نحيبُ

وهو يحمي معي على كل قرن ٍ · مثلما للنسيب يحمي النسيبُ
فدعوني من شرب كاس مدام ٍ · من جوار لهنّ ظرف وطيبُ
ودعوني اجرّ ذيل فخار ٍ · عندما تخجل الجبان العيوبُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها الفرسان والسادات وقال له عروة بن الورد لله درّك ياشاعر الزمان وفارس الميدان و نتيجة العصر والاوان فقد جمع الله لك تمام الشجاعة ورفعك على اقرانك بالفصاحة والبراعة فشجاعتك اشهر من ان تذكر ولفظك اعذب من الشهد المكرّر واعبق من فتات المسك والعنبر لانه ينعش القلوب ويزيل الهموم والكروب و يعين المحب على فراق المحبوب فلا زالت ايامك في سعادة واقبال ما اشرقت الشمس وهل الهلال فشكره عنتر على مقالهِ واثنى عليهِ وعلى رجالهِ ثم انهم جدوا السير وهم قاصدون ديار بني الارقط و شيبوب يعدو امامهم كانهُ الذئب الامعط .قال الراوي هذا ما جرى لعنتر واما ما كان من امر نقمة بن الاشتر فانهُ بعد ما انفذ ولده كلبون الى بني القيان وتلك البلاد امل انهُ يعود لهُ بضمياء ابنة عباد ولم يعلم ان الزمان قد اخلف عليهِ المعاد وارسل لهُ عنترة بن شداد حتى يصرم عمره ويكفي العرب شرّه وما زال كذلك حتى وصل المنهزمون وهم يصيحون ويبكون ونعوا لهُ ولده كلبون فقامت عليهِ القيامة واستفاضت فيهِ الحسرة والندامة وقال لهم ياويلكم سرتم في سبعة الاف فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس وجرى عليكم هذا المجرى وتركتم ولدي قتيلاً في الصحرا فقال لهُ رجل منهم يقال لهُ سعد بن وهاب وحق نعمتك ايها الملك المهاب قد فتكنا في بني القيان واهلكنا منهم الرجال والفرسان ونهبنا الاموال وسبينا البنات والاطفال و بينما نحن على ذلك الحال اذ اشرف علينا ثلثمائة من الابطال لاتندفع في القتال يقدمها عبد ادهم كانهُ جمرة من جهنم فحمل علينا من دون خطاب وطعن في الصدور والاجناب وابرى بحسامهِ الجماجم والرقاب وهو الذي قتل ولدك كلبون ونهب الارواح وشق البطون وكشف الغمة عن عباد واخرجنا قهرًا من تلك البلاد بعد ما كنا نهبنا الاموال وسبينا النساء والعيال فلما سمع نقمة كلامهُ سل حسامهُ وضربهُ بهِ طير راسهُ قدامهُ ثم قال لارباب دولتهِ وكبراء مملكتهِ قدموا لي هولاء الكلاب الذين انهزموا من وجه ثلاثمائة رجل من اوباش الاعراب حتى اضرب منهم الرقاب فامتثلوا امره في حكم وبادروا الى ما رسم وكانوا كلما قدموا لهُ عشرة من الرجال ضرب رقابهم في الحال حتى كثت مناكبهُ وجرت الدماء بين خيامهِ ومضاربهِ وما في الحاضرين من يجسر ان يخاطبهُ الا اخاه نعمة وكان عالي الهمة كثير الحكمة موصوفًا بالمروءة

والرحمة محمود الخصال سليم القلب صفوحاً عن الذنب يحب العدل والانصاف فلما رآه
قد اسرف في فعاله وقتل جماعة من ابطاله تقدم اليه وقبل الارض بين يديه واخذ سيفه
من يده وسأله في الباقين وحذره من عذاب رب العالمين وكان كثيراً ما يسأله ان يكف
شره عن العربان و يعدل في الرعية ويخوفه من البغي والعدوان وهو لا يصغى الى مقاله ولا
يلتفت الى سؤاله بل كان يبعده ويطرده واذا سأله في حاجة لا يعينه ولا يساعده . قال ولما
اخذ السيف من يده ونهاه عن قتل جنده قال له يا اخي انني كنت احذر عليك من العواقب
واخاف عليك من نزول النوائب والان قد كان الذي كان وقد افجعك في ولدك كلسون
الزمان فتب من الان فصاعداً عن اخذ بنات العرب واتبع سنة السادات من اهل
والرتب حتى نسير ونأتي بقاتل ولدك وتبرد بقتله نار كبدك وما زال يعذل اخاه حتى زاد
بلاه وارتجف منه كل من رآه وقال ويلك كم توبخني على فعالي جديداً وقديماً وتصير لي في
كل شيء مقاوماً وغريماً واكون ملك بلاد اليمن واترك في قلبي شهوة من شهوات الزمن
فوحق سواد الظلام وبدر التمام ان عدت وقعت في عيني مرة اخرى سلبت نعمتك وضربت
رقبتك فعند ذلك ركب جواده وطلب اهله وقد تألم قلبه من الذي جرى له قال وكان
لنعمة اصدقاء واحباب واقرباء واصحاب يسمعون كلامه ويطيعون اوامره واحكامه
فاجتمع بهم في الحال وحدثهم بما جرى بينه وبين اخيه من المقال فصعب ذلك عليهم وكبر
لديهم وقالوا لقد طغى وتكبر وبغى وتجبر فدعنا نقتله ونعجل من الدنيا مرتحله فقال لهم هذا
امل بعيد والوصول اليه مع كثرة امواله واعوانه صعب شديد وانا وحق سواد الاعتكار
والقمر اذا بدر واحار ان لم اهلك هذا الجبار لا انال ما اشتهي واختار ولا بد لي ان اطوف
الاقطار واجمع عرب القفار ولا ازل حتى اتبع منه الاثار او اقتل واستريح من الذل
والاحتقار واول ما اقصد هؤلاء الحجازيين الذين قتلوا ولده واحرقوا عليه كبده لاني
سمعت ان بينهم فارساً لا يقاس بالفرسان وبطلاً تبطل عند قتاله حيل الشجعان ولا بد لي
ان استعين بهم على قتال هذا الشيطان ولا اترك احداً من ملوك العربان الا واسوقه الى
هذا المكان فقالوا افعل ما تريد فنحن عن امرك لا نحيد فعند ذلك امر عبيده بشد الرحال
وكذلك فعلت باقي الرجال وما امسى المساء واقبل الظلام حتى ساروا تحت ستار الدجى
مثل قطع الغمام . قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء من الخبر واما ما كان من نعمة من
الاشتر فانه بعد خروج اخيه نعمة من عنده احترق فؤاده على ولده ولما اشتد عليه الحال
التفت على من حوله من الرجال وقال لهم لا بد لي ان اسير الى بني الثيان واذبح منهم الرجال

والنسوان والبنات والصبيان وبعد ذلك اقصد ارض الحجاز وبلاد العراق واقيم الحرب على قدم وساق واقتل قاتل ولدي حتى تنطفي نار كبدي ثم انهُ بات وهو كثير السهاد قليل الرقاد ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسل الكتب الى بني وشاح وبني رياح وبني الصباح وبني مارق وبني الشماخ وبني بارق وبني شمراخ وامرهم بالمسير اليهِ على عجل من غير توانٍ ولا مهل

قال وكانت هذه الطوائف والزمر تمتثل لهُ في كل ما نهى وامر وتحمل لهُ الهدايا الحسان من كل مكان وكانت منازلها حول جبل الدخان وهي من قديم الزمان منقطعة عن العمران منعكفة على عبادة القمر في الليل والنهار وتسجد لهُ كلما اضاء وانار . قال وكان قد بلغ نقمة مسير اخيهِ نعمة وانهُ قد رحل الى بني القيان ليجمع طوائف العربان ويسوق اليهِ العرب من سائر الافاق ويقابلهُ على ما صنع بهِ من الاخراق فلما سمع نقمة ذلك الخبر استشاط غضباً وتنكد وقال انا الذي فرطت في امري ولو ضربت رقبتهُ لاستراح سري ولكن وحق معبودي وما اشير اليهِ في وقت ركوعي وسجودي لا بد لي ان اتبعهُ واضرب رقبتهُ ورقبة كل من مشى معهُ وبعد ايام قلائل وصلت اليهِ العساكر والجحافل من سائر القبائل فركب في مائة الف من الفرسان كانها مردة الجان اذا اصطفت فالجبال الشواهق او زحفت فالسيول الدوافق والكل بالدروع والمغافر . والسيوف البواتر . وسار بهم سير الجبابرة . يقطعون البراري المقفرة وما زال مجداً في المسير وسرعة التشمير حتى قصرت من تحتهم الخيل فركبوا الجنائب وساروا الى ان امسى عليهم الليل فنزلوا للراحة بقدر ما فرغت الخيل من عليقها واستمرت العساكر على طريقها وبعد ذلك رحل نقمة من شدة حنقهِ على اخيهِ نعمة وجدَّ في قطع البطاح حتى اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح فادرك اخاه نعمة ومن معهُ من الفرسان في ذلك المكان فلما تحققهُ فرح واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وصاح على من حولهُ من الرجال وكماة الابطال وقال لهم يا ويلكم اركبوا هذه الجنائب وجردوا القواضب ودوروا بهم من كل جانب ولا تبقوا منهم ماشياً ولا راكب ومن وقع باخي لا يقتلهُ بل يسوقهُ اليَّ حتى اعذبهُ قبل ان اصلبهُ قال وكان نعمة قد سار سير الامان حتى اشرف على ارض يقال لها عيون الحيوان وروضة الريحان فنزل في ذلك المكان واذا بالصياح من خلفهِ قد علا وزعزع اقطار الفلا وظهرت الخيول والجنائب ورجفت الارض من ركض الخيول السلاهب ورأى نعمة هذه الاهوال فخاف على الاهل والعيال وعلم ان اخاه قد لحقهُ وانهُ اذا وقع في يدهِ محقهُ فتغيرت احوالهُ وساءَ حالهُ وقال لبني عمهِ هذا اخي قد ادركنا وان ظفر بنا اهلكنا وما فيكم الا من

ابصر شره وعرفه وما احتاج ان اذكره لكم واصفه والان لا يخلصنا الا ثبات الجنان على الطعان فقالوا اعلم ايها الامير والسيد الخطير اننا لم تتبعك الاعجبة فيك وبغضة في اخيك واليوم ترى منا ما يسرك ويرضيك لاننا وحق من برد سواد الليل بالبياض ويشفينا من الاعلال والامراض ما فينا من يتخلى عن الحريم والاولاد حتى تطير رؤوسنا عن الاجساد ثم انهم هزوا قطع الرماح وتاهبوا للحرب والكفاح وفي تلك الساعة اشرف عليهم عنترة بن شداد وابصر الخيل قد ملات القفار وسدت الاقطار فانكر ذلك غاية الانكار وقال لاخيه شيبوب اكشف لنا خبر هذا الجيش الجرار لاني ارى طوائفها تريد الحرب وهي مستعدة للطعن والضرب فانطلق شيبوب اسرع من لح البصر حتى ادرك اصحاب نعمة بن الاشتر ونادى ياوجه العرب حدثونا باخباركم وما هو سبب خروجكم من دياركم وكان نعمة قد ابصر غبار عنتر في ذلك البر الاقفر وراى شيبوب لما انفرد في طلبهم فعلم انه قادم عليهم ليسالهم عن حسبهم ونسبهم فتقدم اليه نعمة بنفسه وذلك من خوفه على اصحابه وابناء جنسه وقال له ما الذي تريده يا فتى منا وما الذي تطلبه بسوالك عنا فنحن قوم قد انهزمنا من وجه جبار لا يصطلى له بنار . طالب حربنا وقتالنا وسبي حريمنا وعيالنا وهو نعمة بن الاشتر الذي قد طغى وتجبر فمن تكونون انتم من عرب البر الاقفر فبين لنا حقيقة الخبر لعل الله ياتينا بالفرج ويبصرنا من هذا الضيق والحرج ففرح شيبوب لما سمع كلام نعمة وقال له ابشروا يا وجوه العرب بكشف هذه الغمة ان كنتم من اعداء نعمة فقد اتينا له طالبين واليه قاصدين ونحن الذين قتلنا ولده كلبون واما سوالك عن انسابنا فنحن من بني عبس الذئاب الطلس الذين نضرب بهم الامثال وترتعد من هيبة فرائصهم صناديد الرجال وحامينا هو عنتر بن شداد الذي اشتهر ذكره وساد في سائر البلاد قال فلما سمع نعمة كلام شيبوب داخله الفرح واتسع صدره وانشرح وعلم ان فساد امره قد اصطلح وقال له يا فتى نحن والله اليكم قاصدون وبكم مستجيرون ومن اجلكم جرى علينا ما جرى وقد تشتت شملنا في البر كما ترى ثم حدثه بجلية الخبر وان اخاه هو نعمة بن الاشتر ثم قال له في اخر كلامه لولا هذه المواكب التي ادركتنا من كل جانب كنت سرت في ركابك الى خدمة اصحابك ولكن الوقت قد ضاق واحاطت بنا الفرسان بالخيول العتاق فارجع الى قومك وقص عليهم ما سمعت من يومك وبشرهم بالغنى ونيل المنى لانه اذا قتل اخي تسوق اليكم جميع الاموال والنوق والجمال وترجع اليك الديار والاطلال فعند ذلك عاد شيبوب الى اخيه عنترة وحدثه بما سمع من الخبر ففرح واستبشر والتفت الى ابيه شداد وقال ان الامر قد تيسر غير اني اخاف ان تكون هذه حيلة

ومكيدة حتى اذا صرنا في اوساطهم انطبقت المواكب علينا ومالت الكتائب الينا فقال له لا تخف من ذلك يا فارس المعارك فان معهم النساء والاطفال والحمير والجمال وما اشرفنا عليهم الا وهم عازمون على القتال فاحمل انت على اليمين وانا على الشمال لعلنا نجز هذه الاشغال ونرجع الى الاهل والعيال فان امرنا قد طال فقال لقد صدقت وصواباً نطقت ثم ان عنترة طلب ميمنة بني الارقط وشيبوب امامه كانه الذئب الامعط

قال وكانت طوائف نعمة قد اتصلت باصحاب نعمة ووقع بينهم الحرب والكفاح وارتفع الغبار واشتد الصياح وجرى الدم وساح وتبددت الاشباح وعملت السيوف والرماح . وتطايرت الجماجم واندرجت وتخضبت الدروع بالدماء وتدبجت واشتدت نار الحرب وتاججت واضطربت الابطال وانزعجت ودارت ملائكة الموت على الارواح وعرجت ولما حمل عنترة على الميمنة فرقها في الطول والعرض ونكس ابطالها عن ظهور الخيل الى وجه الارض وطوق بالدماء الاعناق واقام الحرب على قدم وساق واظهر العجائب والاهوال ونثر الفرسان والابطال وقد اعانه شيبوب برمي نباله وحمى ظهره وجواده كما يحمي الاسد اشباله وكذلك عروة بن الورد وابوه شداد ومن كان معهم من الرجال الاجواد فانهم حملوا على الميسرة حملات منكرة وابصر نعمة الى حربهم وفعالهم فتعجب من قتالهم وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل حتى اقبلت جيوش الظلام واسود الجو واعتم فانفصلت تلك الطوائف وامن قلب كل خائف ورجعت عساكر نعمة ظافرة منصورة بعد ما كانت مقهورة وارتدت عساكر نعمة الى الوراء ونزلت في جوانب الصحراء وقتل منها خلق كثير وايقنت بالهلاك والتدمير وما فيها الا من يتعوذ من قتال عنتر ويصف لاصحابه ما شاهد منه ونظر ونزل نعمة في الخيام وهو في خوف واوهام لان عقد عزمه قد انحل وصارم همته قد انفل فجمع القواد ورؤساء الاجناد وقال لهم يا ويلكم ابهذه القلوب تريدون ان تسيروا معي الى ارض الحجاز وتلقون ابطالها في ميدان البراز فهذه ابطال الحجاز وهي في العدد اليسير وانتم في الجم الغفير وقد فعلوا بكم هذه الفعال وفادوا كثركم في الحال وما فيكم الا من يقول انه يلقى الجبال فقالوا له ايها الملك الكبير صاحب التاج والسرير لا تلمنا على ما جرى لنا اليوم مع هولاء القوم لانا راينا بينهم فارساً كانه من الابالس لا يخاف طعن الرماح ولا يهاب لذع الجراح ولكن يتقي بترسه ضربات الصفاح ويخطف الارواح فلو كنت ابصرته ولمتنا فانكون تعذرنا فقال لهم اذا كان الامر كذلك فانا ابرز اليه عند الصباح واسقيه كاس المهالك

قال هذا ما كان من نعمة . واما ما كان من اصحاب نعمة فانهم رجعوا وهم في غاية السرور

والغبطة والحبور وقد طابت منهم القلوب وانجلت عنهم الكروب ونصبوا الخيام وذبحوا الجزور والاغنام ومدوا اسمطة الطعام وهيأوا اواني المدام وكان عنتر قد افتقد اباه شداد وعروة ورجالة فوجدهم سالمين من الاخطار ولم يفقد منهم اكثر من سبعة رجال فهنأهم بالسلامة من النوائب ورجع معهم الى المضارب وكان نعمة قد ابصر من قتالهم ما اهاله وحير رجالة فتقدم اليهم وبادأهم بالسلام والتقاهم بالتحية والاكرام وشكرهم على ذلك الاهتمام وسار هو وقومه بين ايديهم الى ان وصلوا الى الخيام فطلب منهم ان ينزلوا في ابياته عند حريمه وبناته فابى عنتر ونزل في ناحية الابيات احتراماً للنساء والبنات فنقلت اليه الجفان على رؤوس العبيد والغلمان واراد نعمة ان يقف لهم في الخدمة مع جملة الخدام فما مكنه عنتر من ذلك المرام بل اجلسه بجانبه على الطعام ولاحظه بعين الرفق والاحترام وقال له شداد ابشر ببلوغ المراد واعلم اننا ما دخلنا هذه البلاد الا في حاجتك وقد جرت هذه الاسباب بسعادتك . ثم حدثه بالقصة من اولها الى آخرها . واوقفه على باطنها وظاهرها فلما سمع كلامه شكر فعله وحمد فضلهم وقال لهم يا وجوه العرب اصحاب المناصب والرتب وحق ما اشير اليه من اعتقادي الذي تسلمته من آبائي واجدادي . ان انتم قتلتم اخي وبلغت انا مرادي ما كنت الا عبداً لبني عبس وعدنان على طول الزمان لاني لم اكن راضياً بما كان يفعله اخي من الظلم والعدوان وما وقع بيني وبينه من الشر والعناد الا لاجل تعرضه بضبياء بنت عباد وقد دخلت عليه وهو من اجل ولده كلمون مقروح الفؤاد وذكرته عاقبة البغي والفساد الذي اهلك من كان قبله من العباد فاخرق بي غاية الاخراق وقد انتهى بي الامر الى هذا الاتفاق فطيب عنترة قلبه ووعده بكسر الجيوش وتمزيق تلك العروش قال الراوي . ولما اصبح الصباح وثب كل من العسكرين الى الحرب والكفاح وشهروا الصفاح ومدوا قطع الرماح والتقت الخيول بالخيول وارتجت الاوعار والسهول من ضرب السيوف ووقع النصول حتى كادت الارض تمور والجبال تثور وحمل الامير عنترة على تلك الطوائف والزمر بقلب اصلب من الحجر واثبت في مواقف الاخطار . وتعاظمت عليه الامور الكبار وتصادمت الابطال مثل موجات البحار وكثر الصياح في الاقطار وطلع القتام والغبار واظلم ضوء النهار وقلت عزائم اهل القوة والاقتدار وقصرت الاعمار وماج بحر الملا ودار وخذل الانبهار وطلب الهزيمة والفرار ودارت كؤوس المنايا على الكبار والصغار . وضجت النساء والبنات الابكار خوفاً من البلا والدمار والسبي والاستئسار وعجبت الفرسان من ذلك الجبار من دون عنتار ودمعت الخيل اجساد القتلى . فسمع لها شهيق وخوار وصعقة

الارض بالدماء . فصارت كزهر الجلنار . وعدمت الاجساد التي خلقها الله من صلصال الفخار وكان يوماً مهولاً يستحق الاعتبار لم يسمع بمثلهِ من سالف الاعصار فيهِ سطا عنتر سطوة جبار وبطل كرار وابلاهم بالذل والشنار وكان قد علم ان ثبات ذلك الجيش الجرار بنقمة بن الاشتر الظالم الغدار . فحمل نحو اعلامهِ كالسهم الطيار واطبق عليهِ اطباق الغمام السيار وضربهُ بالصارم البتار واذا براسهِ عن جسدهِ قد طار وابصر عساكر نقمة من عنتر ما يدهش الابصار ويحير العقول والافكار خصوصاً عندما رأت ملكها ملقىً على بساط القفار . فمالت من اليمين الى اليسار وولت الادبار واختارت لنفسها الهزيمة والفرار وتشتت شملها في بطون السهول والاوعار وعملت الاسنة في ظهورها مثل شعل النار . واضحت جثث قتلاها طعاماً للوحوش وجوارح الاطيار وكانت تلك السفرة عليها من اشأم الاسفار وعاد عنتر كانهُ الاسد المدار واجتمع بني عبس الاخيار ونعمة بن الاشتر فوجدهم في حال السلامة والاستظهار وهم بذلك الانتصار فمدحهُ نعمة واثنى عليهِ وشكره على حسن مساعيهِ ولم يعلم باي شيء يكافيهِ وقال لهُ . وحق الشمس والقمر ما انت الافارس البدو والحضر . ويحق لك ان تفتخر على سائر البشر لانك حزت الشجاعة والكرم واشتهرت بالفضل وعلو الهمم ومكارم الاخلاق والشيم . وفقت بالفروسية جبابرة الروم والعجم . ثم امر بذبح الاغنام وترويق المدام وبعد ذلك اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا . وكثرت المسرات والافراح وزالت الهموم والاتراح هذا وقد بلغ نعمة غاية المراد واصطلح امرهُ بعد الفساد واتاهُ الامر كما اراد ولما كان الغد قال عنتر الى نعمة عد الى اهلك وكن ملكاً مكان اخيك نقمة . واي من اعتدى عليك واوصل اذية اليك اعلمني حتى اصرم لك عمرهُ واكفيك شرهُ فقال ما بقي لي بعد اخي معاند ولا مدافع ولا مطارد وان كان ولا بد من العودة الى الاطلال فخذوا من نياقنا والجمال لانها غريبة المثال وقليلة الشكل في بلاد الحجاز وتكون في اموالكم مثل الطراز قال وكانت تلك الجمال من اعجب العجب لا يوجد مثلها في قبائل العرب لانها كانت حالكة السواد زرقاء العيون . لطيفة الاجساد طويلة الورجمية منمر . ثم افرد لهم منها عشرة الاف ناقة وجمل وامر الغلمان ان تسير بها امامهم على عجل . واراد عنتر ان يردها خوفاً من التثقيل فما امكنهُ شيبوب من ذلك [illegible] قال [illegible] الان ودع عنك كثرة التضول فان الاسراف في المروءة يقلع الفروع والاصول . فضحك عنتر من ذلك الشان وبعد ذلك ودع نعمة وسار بمن معهُ من الفرسان طالبين ديار بني الغيان وفي دون ساعة من الزمان التقى باسيد ونازح وعباد ومن معهم من الرجال الاجواد لانهم كانوا قد تعوقوا يبعدون على الحرب والقتال . فالتقوه وهو راجع وقد

قضى الاشغال وبلغ الامال فهنأهُ بالسلامة ونيل العز والكرامة - فاخبرهم بما جرى لهُ مع نعمة وكيف قتل اخاه نقمة والقصة التي جرت من اولها الى اخرها واوقفهم على حقيقة باطنها وظاهرها فتعجبت فرسان العرب من ذلك الاتفاق غاية العجب وقال اسيد هكذا الرجل المسعود اذا همّ بامر تهيأت لهُ اسباب السعود وبلغهُ خالقهُ غاية المقصود . ونال السعادة بدون تعب ولا مشقة ولا نصب . ثم انهم جدوا في قطع البراري والكثبان حتى وصلوا الى بني القيان فزفوا ضمياء الى نازح وعملوا الولائم وقضوا ايامهم بالدعوات والمواسم قال واراد اسيد التخفيف عن الامير عاد . فرحل ببني عبس وقد نال المراد واجتمع شملهُ بزوجتهِ سلمى . وولده نازح بضمياء وبعد ذلك ساروا يقطعون القفار والسهول والاوعار وهم طالبون الاهل والديار ولما تمادى بهم السير والترحال تذكر عنتر ما جرى لهُ من الوقائع والاهوال ولعبت بهِ لواعج الاشواق فانشد وقال

يا بانةَ العلمَين هل من مخبرِ حالَ المشوقِ الهائمِ المتفكّرِ
وبما لقيتُ من المهالكِ والرّدى بالله يا ريحَ الجنوبِ الا اخبري
حالي لعبلةَ انني من اجلها لاقيتُ هولاً في المكانِ المخطرِ
قاسيتُ اهوالاً وعدتُ بنعمةٍ وغدا حسودي خائفاً لم يظهرِ
يا عبلَ دونكِ كلَّ حيٍّ فاسألي ان كانَ عندكِ شبهةٌ في عنترِ
يا عبلَ هل بُلّغتِ يوماً انني ولّيتُ منهزماً هزيمةَ مدبرِ
كم مهمهٍ قفرٍ بنفسي خضتهُ ومفاوزٍ جاوزتها بالابحرِ
كم جحفلٍ مثلَ الضبابِ هزمتهُ بمهنّدٍ ماضٍ ورمحٍ اسمرِ
كم فارسٍ غادرتُ يأكلُ لحمهُ ضاري الذئابِ وجارحاتُ الانسرِ
افري الصدورَ بكلِّ طعنٍ هائلٍ والسابغاتِ بكلِّ ضربٍ مكرِ
واذا ركبتُ ترى الجبال تضجّ من ركضِ الخيولِ وكلِّ قطرٍ موعرِ
واذا غزوتُ تحوم عقبانُ الفلا حولي فتطعم كبدَ كلِّ غضنفرِ
ولكم خضتُ مدرعاً من سرجهِ في الحربِ وهو بنفسهِ لم يشعرِ
ولكم وردتُ الموتَ اعظمَ موردٍ وصدرتُ عنهُ فكانَ اعظمَ مصدرِ
يا عبلَ لو عاينتِ فعلي في العدى من كلِّ شلوٍ بالترابِ معفّرِ
والخيلُ في وسطِ المضيقِ تبادرت نحوي كمثلِ العارضِ المتفجّرِ
من كلِّ ادهمَ كالرياحِ اذا جرى او اشهبٍ عالي المطا او اشقرِ

فصرخت فيهم صرخة عبسية | كالرعد تدوي في قلوب العسكر
وعطفت نحوهم وصلت عليهم | وصدمت موكبهم بصدر الابجر
وطرحتهم فوق الصعيد كأنهم | اعجاز نخل في حضيض المحجر
ودماؤهم فوق الدروع تخضبت | منها فصارت كالعقيق الاحمر
وخرجت من تحت العجاج وجوشني | مثل الشقائق او كصبغ العصفر
وقتلت كلبونا وعمرا في الوغى | والهيذبان ونقمة ابن الاشتر
وطعنت شكرا طعنة فقتلته | بمهند صاف في الحديدة اخضر
تعسا ليومك اي يوم زرته | ولرب صبحك اي صبح اغبر
ونشرت رايات الفخار عليهم | وقسمت سلبهم لكل مظفر
وطوائف اليمن الجميع تفرقوا | في كل طود شاهق متوعر
واذقتهم ضربا وطعنا هاتلا | بالمشرفي وبالكعوب الاسمر
وملكت اموالا وحزت غنائما | تملا الفيافي ما لها من محصر
شهدت لي الابطال أني فارس | اجرى من الليث الهمام القسور
نلت السعادة والمفاخر والعلى | بعزيمة قد قارنت للمشتري
والموت حقا لو رآني لانثنى | عني مخافة سطوتي وتجبري
امي زبيبة لست انكر اسمها | سوداء يبرق جيدها كالمحور
وانا فتى من خير عبس منصبا | اسمو الى النسب الرفيع الازهر

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لسماعها السادات وترنمت لمعانيها ارباب الشعر والروايات وقال له سيد والله ما انت الا فارس الانام وشجاع البيت الحرام وذكرك باق بين الانام مابقيت الليالي والايام لانك قاهر الابطال يوم الزحام فشكره عنتر على ذلك الكلام ثم انهم جدوا في قطع البراري والصحاصح حتى قربوا من شعاب المسارح وهي الشعاب التي اكمن فيها خالد بن حعفر كما تقدم الخبر وكان قد ترك في اعلاها ديادبة وارصاد لتاتية باخبار عنتر بن شداد فلما اشرف عنتر ومن معه من الرجال نزلت الديادبة من روس الجبال وقالوا لخالد قد راينا خيلا مقبلة من صدر البيداء وقد نزلت على ركايا الماء فما ندري هل هي خيل بني عبس وعنتر ام غيرها من عرب البر الاقفر فلما سمع خالد ذلك الخبر فرح واستبشر وصبر حتى اظلم الليل واعتكر وارسل بعض عبيده ليقتفي له الاثر ويخبر بالعدد وقد جد في قطع الفلاة كما امره مولاه وما غاب الا القليل حتى رجع وعاد

وهو طائر الفؤاد وقال ابشر ببلوغ المراد. ونبه اصحابك للحرب والجلاد . فان القوم من بني عبس الاوغاد ومعهم عنترة بن شداد فلما سمع خالد مقالة زادت افراحه ونبه رجاله واعلمهم بواقعة الحال وقال لهم استعدوا للقتال واركبوا ظهور الخيل حتى نكبسهم في ظلام الليل لانه أكتم للحال وابلغ للامال

قال الراوي وكان عنتر قد قطع الليل بالسهر وهو كثير الهموم والفكر ولم يعد له اصطبار عند قربه من الديار فقال لشيبوب ناد على اصحابنا بالرحيل ودعنا نسير في هذا الليل الطويل ونطلب الديار والوطن فقد شسعنا من بلاد اليمن فقال شيبوب يا فارس الصدام أنعبر شعاب المسارح في هذا الظلام . ولمَ لا تصبر حتى يطلع الصبح البسام قال عنتر ويلك ممن نخاف او نفزع وسيوفنا اسرع من وقوع المنايا واقطع أنخاف من عرب تقطع علينا الطريق او من عدوٍ يسك علينا راس المضيق فاقصر عن هذا المقال الذي تقول ونبه اصحابنا ودع عنك كثرة الفضول . فعند ذلك نادى شيبوب بالرحيل فنهضت بنو عبس وعولت على التحميل وركبت الابطال في عاجل الحال وشالت العبيد الاحمال على ظهور الجمال واقبل اسيد على الامير شداد وقال له ان ولدك قد تنشق روائح عبلة لما قرب من البلاد وقد زاد به اللهيب عند قربه من ديار الحبيب ولم يعد يقدر على المقام ولا تطاوعه جفونه في المنام ويحق له ان يفعل هذه الفعال لان قصته قد طال عليها المطال وانا وذمة العرب وشهر رجب لابد لي من ان اتولى نوبته وافرج كربته وازيل عنه غصته واطفي لهيب حسرته وازف عليه عبلة زوجته. ثم انهم ساروا يقطعون الرحاب حتى وصلوا الى رؤوس الشعاب وكان النهار قد اقترب فقال عروة لعنترة يا فارس العرب . الصواب ان نقدم الظعن والمال ونعبر نحن وراءه بمن معنا من الابطال خوفًا من ان يكون قد تبعنا احد من طاعة العربان فتغتنم الفرصة في هذا المكان وتنهب ما معنا من الجمال والنياق كما اصابنا ونحن راجعون من ارض العراق فقال عنتر افعل ما تريد ايها الفارس المجيد واحترز على نفسك واوصِ العبيد فعند ذلك وقفت الرجال عند سماع ذلك المقال وجمعت المواشي والاموال وأمرت العبيد ان تسوق الجمال والهوادج والبغال واعتبر خالد بن جعفر الى تلك الفعال وهو على رؤوس الجبال فاختار ثلاثة من الابطال وقدم عليها من عمه يدعى سعد بن بلال وقال له تولَّ انت على هذا المال ونحن ندفع عنك الرجال فاجب بالسمع والطاعة وبادر الى ما امره به من تلك الساعة وصبر خالد قليلاً حتى اقترب عنتر من ذلك المكان بمن معه من من الفرسان فانحدر اليهم من رؤوس الشعاب كانه ليث الغاب وتحارت خلفه الفرسان

الانجاب وكانوا نحو سبعمائة فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس . فجردوا الصفاح . وهزوا قطع الرماح وقصدوهم مثل السلاهب وحملوا عليهم من كل جانب تحت ظلام الغياهب وكان اسبق الناس الى عنترة الربيع بن عقيل الفارس النبيل فصدمة صدمة الليث الضرغام واطبق عليه اطباق الغمام وطعنة بحربة تسبق رسل الحمام فسبقها عنترة على الدرقة فمرت كانها صاعقة وقد اشتد بعنتر الغيظ والحرد فهجم عليه هجوم الاسد وضربة بالسيف المهند فوقع على راسه فغاب عن رشاده ووقع عن ظهر جواده فتقدم شيبوب وشد كتافة واوثق سواعده واطرافة وسلمة الى بعض الرجال ورجع الى القتال وكان جندح بن البكا قد حمل على نازح بن اسيد وتتابعت بعدها الفرسان الصناديد وازدحمت في المضيق وتطاعنت بالحراب والمزاريق . وانعقد الغبار مع سواد الليل . فلم يعرف العدو من الصديق . وكان عنتر قد استيقظ على نفسه بعد الربيع بن عقيل . وطعن في صدور الابطال طعنًا يشفي الغليل . وابصر شيبوب الى جندح وقد استطال على نازح وهو مستظهر عليه ورابح فتقدم اليه حتى فاجأه وضرب جواده بنبلة فارماه وانقلب من اعلاه وقد ايقن بهلاكه وفناه واراد نازح ان ينزل اليه ويترجل فقال له شيبوب لا تفعل فان الصيد لمن ارماه في الاول واني اخبر منك بهذا العمل . ثم دنا منه وشد كتافة واوثق اطرافة . وكانت فرسان بني عبس قد حملت على ابطال بني عامر كانها الليوث الخوادر والنسور الكواسر وقاتلت قتالاً يدهش البصائر ويعمي النواظر وقاتل عنتر في تلك الليلة اشد قتال واظهر العجائب والاهوال وطعن في المناكب والاوصال . وكان كلما ازدحمت عليه الابطال صاح فيها وبددها وكر على الخيل فشردها وابصر خالد بن جعفر ما حل بقومه من العبر فحار واندهل وحل في قلبه الخوف والوجل وخاب منه الامل وندم على ما فعل فجعل يصيح في فرسانه فلا تسمع ويردها وهي لا ترجع . وبنو عبس تطعن في ظهورها فتهدها وتضرب في جماجمها فتقدها وما زال الامر على مثل ذلك حتى ذهب الليل واقبل الصباح الضاحك وكان جيش بني عامر قد ولى وتفرق وقل عزمه وانمحق ولم يبق حول خالد من الابطال الا من يخاف العار اذا انهزم او من يكون نسيبًا له او ابن عم وابصر خالد عين الهلاك والوبال فعاد الى الخديعة والمحال والقى الرمح من يده ورد السيف الى غمده وتقدم بهمة وعزيمة وهو على ظهر القعساء فرس زهير بن جذيمة الى ان اقترب من عنترة بن شداد فنظر اليه وهو يطعن في الصدور والاكباد طعنًا كافواه المزاد ويلقي الفرسان على بساط المهاد . فقال له هيا يا ابن الاجواد ما هذا الشر والفساد . فاصبر

علينا ونحن نبلغك المراد فقد قتلت ساداتنا وكماتنا واهلكت ابطالنا وحماتنا واعلم يا فارس الصدام وخائض الظلام اننا قد وقعنا تحت الغلط والملام . وقد غر رجالنا الطمع . فحل بهم هذا الانتقام . لانهم تعرضوا الى قتالكم ونهب اموالكم . من دون سوال عن حالكم وانا مقدم القوم . ويجب عليَّ العتب واللوم . ولكن يا فتى بحق من رفع السماء وبسط الارض على ثيّار الماء اخبرني من تكونون من سادات العرب اهل المعالي والرتب وقل لاصحابك ان يرفعوا عنا الحسام حتى ينتهي ما بيننا الكلام لعل ان يعقب الصلاح بعد الفساد وتكونوا لنا من اهل الوداد لاني لا ارى عليكم زي اهل اليمن ولا انكم من تلك المعاهد والدمن لان النهار قد بين لنا هذه المعاني وافرق بين القحطاني والعدناني فاقبل مني هذا السوال واكشف لي عن باطن الحال . قال الراوي فلما سمع عنتر مقالة انطلى عليه محالة واجابة الى سوالهِ وامر شيبوب ان يرد فرسان بني عبس عن رجالهِ ويعلم بما قال خالد من الخطاب ويكفهم عن الطعان والضراب ثم ان عنتر اقبل على خالد وقال لهُ ايها السيد الماجد اما سوالك عن انسابنا فنحن بنو عبس الاجواد وانا هو حاميهم عنتر بن شداد وقد كنا في بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن فتعرضتم لنا في هذا المكان حتى جرى من الامر ما كان فصاح خالد يا ابا الفوارس وزين المجالس كيف ان الليل اوقع فينا البلا والويل حتى وصلت المضرة الينا من اعز الناس علينا على انني وحق رب الكعبة قد ازددت فيكم محبة وصار لكم في قلبي منزلة ورتبة واما الدماء التي ثارت بيننا فما علينا فيهما من عتب وهذا الامر لا يقطع ما اتصل بيننا من السبب ولم يقتل الا من دنا اجله وحان من الدنيا مرتحله قال فتعجب عنتر من كلامهِ غاية العجب وقال واي قرابة بيننا وبينكم واي نسب فقال خالد يا فارس عبس وعدنان انا اعلمك بما تجدد وكان وانت غائب عن الاوطان فلا يضيق صدرك ولا تندم بما انزلت برجالي من الهوان والنقم لانهم قد ابتدوا بالشر والبادي قد تعدى وظلم والان فقد وهبتك ما ثار بيننا من الدماء اكرامًا لسيدكم الملك زهير الذي صار لنا حصنًا وحمى لاني قد اجتمعت بهِ في هذه الايام في بيت الله الحرام وصار بيننا حرمة وذمام ولما رجعنا من مكة وذلك المقام اخذته معي الى ديار بني عامر وتلك القبائل والعشائر لاني انا هو سيدها خالد بن جعفر الذي شاع ذكره واشتهر في قبائل ربيعة ومضر وانزلته هو واولاده معي في الخيام وفعلت معهُ من الاكرام ما لا تصل اليهِ ايدي الكرام واقام عندي مدة عشرة ايام وقد خطب مني ابنتي بدر الحلل لولدهِ شاس وبذل لي من المهر ما لا يقدر عليهِ احد من الناس وما رحل من عندي حتى اوهبني حجرته التعساء وسيفهُ ذا النور وقد سقى

وهو محمود مشكور وبعد رحيله من عشيرته اخذت في نجاز امر ابنتي وقصدت ان ارسلها اليه بالثياب الغالية الاثمان واحمل معها ما يصلح لملوك العربان من التحف الحسان ويواقيت البهرمان حتى اكون قد جازيته على على ما فعل معي من الاحسان فاخذت هذه الفرسان وقصدت بلاد اليمن وقد عولت ان اجلب لها من المال ما لا تقدر عليه ملوك الزمن وكان نزولها في هذه الديار عند اخر النهار ولما اقبلتم انتم وعبر ظعنكم الجبال وقد راتة الرجال ظنوا انها غنيمة قد اكتسبها بعض فرسان الاعراب من بلاد اليمن وتلك الهضاب فطمعوا في اخذها حتى جرت هذه الامور والاسباب

قال فلما سمع عنترة منه ذلك الخطاب حار في رد الجواب واطرق راسه الى الارض من شدة الحياء والخجل ولم يدرِ ماذا يفعل وابصره خالد على تلك الحال فعلم انه قد جاز عليه المحال والخدع بالمكر والاحتيال فترجل من خبثه وسعى اليه وقال له لا تحزن يا ابا الفوارس على ما فعلت ولا ياخذك ندم على ما عملت لان الخطاء منا كان وبنا وقع الخسران فاعتنقه عنتر واثنى عليه واعتذر وطلب منه السماح وغض النظر ولم يعلم بما في نفسه من الامر المضمر وقال والله ان القتل كان اهون عليّ من هذه الفضائح ولكن عذري في هذا الامر واضح والكريم يكون مسامح . قال وكانت فرسان بني عبس قد اجتمعت حول عنتر لانهم كانوا قد سمعوا خطابه مع خالد بن جعفر وقال اسيد والله لقد كانت ساعة ردية واتفاق مذموم وما جرت هذه الامور الا بحكم القضاء المحتوم ثم انه صاح في العبيد وامرهم ان يطلقوا كل من كان معهم اسير فاطلقوهم وكانوا خلق كثير وكان من جملتهم جندح بن البكا والربيع بن عقيل وغيرهما من شجعان بني عامر البهاليل . قال ولما اصطلح الحال وخلص خالد اصحابه بالخديعة والمحال اقبل على بني عبس وعدنان ووقف مع جملة الفرسان وقال لهم سامحوني بما جرى مني وغضوا النظر عني واريد منكم ان تسيروا معي وتضيفوني في حيي ومربعي وتقيموا زمانًا عندي حتى اخدمكم على قدر طاقتي وجهدي اذ لا بد لي من الرجوع والعودة وقد علمت ان هذه السفرة غير محمودة . وبعد ذلك اذاهب الى غير هذا الطريق لعلي انال الفرج بعد الضيق فقال اسيد والله لا نتبعناك ابدًا ولا نريد ان نعلم بما جرى لنا احدًا لان هذه القصة تذهل عقول العقلاء ولو شاعت عنا صرنا عند العرب مثلاً ثم انهم ودعوه وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا ورجع خالد وهو لا يصدق بالنجاة من عظم ما رآه ولما ابعد في البلاد قال له الربيع بن عقيل والله يا خالد لقد احكمت الحيلة وخلصتنا من هذه الورطة الوبيلة لاني رايت من قتال عنتر ما يدهش النظر ويعمي البصر ولقد ضربني بسيفه

صفقًا على راسي ولو كانت بجدو كان اخمد انفاسي وما اقول ان عدو ينال منه مقصود ا الا بكثرة الفرسان والجنود فقال خالد وحق خالق البشر لا بد لي ان اقصده بكل بطل قسور وفارس غضنفر واقلع منه الاثر واجعله عبرة للنظر واية للبشر ثم انهم جدوا في المسير وسرعة التشمير الى ان وصلوا الى الاوطان فوجدوها مملوءة من الجيوش والفرسان

الكتاب الثامن والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي. وكان هولاء الفرسان هم الذين كاتبهم خالد بن جعفر قبل مسيره الى قتال ابي الفوارس عنتر فتبادروا الى نصرته من كل حي وقبيلة لاجل ما كان له عليهم من الايادي الجميلة وما منهم الا وهو فرحان بقتله زهير بن جذيمة وقد املوا انهم يعودون من ديار بني عبس بالاموال والغنيمة ولما اقبل خالد الى الاطلال ركب اليه ملاعب الاسنة فراه في نفر قليل من الرجال وعليه اثار الذل والخبال فساله عن حقيقة الخبر فحدثه بما اتفق له مع عنتر فاستشاط غيظًا وغضبًا واضطربت نار حميته وتاججت لهبًا وقال له كيف تمت عليك هذه الاحوال وان كنت في الغضنفر من الابطال فقال خالد وحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام لولا خديعتي اياهم بالكلام لما كان سلم منا لا شيخ ولا غلام لانهم فرسان الاقطار لا سيا ذلك العبد الجبار الذي كنا نسمع عنه تلك الاخبار وان لم ندهمهم بالعسكر الجرار لا نبلغ منهم ما نختار قال ملاعب الاسنة ابشر يا خالد ببلوغ الارب فقد صرنا اليوم في ثلاثين الف رجل من فرسان العرب ثم انهم رجعوا بعد ذلك الكلام ونزلوا في الخيام واكرم خالد العرب الذين قدموا اليه غاية الاكرام وفرق عليهم السلاح واخذوا من يومهم في اهبة الحرب والكفاح

قال الراوي. هذا ما كان من خالد بن جعفر واما ما كان من بني عبس وعنترة فانهم كانوا قد جدوا في قطع القفار حتى اشرفوا على الديار فراوا البريق من لمعان الاسنة والدروع والارض ترتج من كثرة ازدحام الجموع فقال عنترة والله انها لمصيبة عظيمة وداهية جسيمة قد نزلت على قبيلتنا وحلت بهم في غيبتنا فقالوا انك لصادق لان الدهر كثير البوايق ثم انهم ساقوا الخيل وحدثتهم انفسهم بالحرب والويل . قال الراوي هذا ما كان من عنترة ومن معه من الابطال واما ما كان من قيس بن زهير فانه لما عاد الى الاطلال اقام على ابيه ماتمًا طويلاً ملأ الدنيا بكاء وعويلاً بكت فيه حتى الاحجار وتجرت منها مدامع الانهار

وتغيرت الوان الازهار حزناً على فقد ذلك الجبار صاحب الاخلاق الكريمة زهير بن جذيمة ولبست الناس ثياب الحداد ولطمت البنات والنساء على الخدود على ذلك المفقود ولما شاع واشتهر ذلك الخبر في قبائل البدو والحضر قصدت بني عبس الاصدقاء والخلان وتواردت اليهم من كل جانب ومكان وقد استعظموا المصاب ومزقوا ما كان عليهم من الثياب وارخوا العمائم على الرقاب وبكوا بضجة وانتحاب وكانوا اذا عزوا قيساً وانحوا بين يديه يهنئونه بالملك الذي وصل اليه لانه كان وليّ العهد وخليفة ابيه من بعد فكان يظهر الجلد ويكابد في حزنه انواع الكمد ويقول ايها السادة الاماجيد ان هذه المصيبة من اعظم المصائب العظام قد قسمت ظهري واوهنت العظام فوحق الملك القهار انه لا يقر لي قرار ولا يسكن لي ليل ولا نهار الا بعد اخذ الثار وكشف العار فاجابته الفرسان ومن حضر في ذلك المكان من سادات العربان وحق رب زمزم ومنى لا عدنا الى اهلنا من ههنا الا بعد قتالنا الاعداء بين يديك حتى نقرّ باخذ الثار عينيك ثم انهم في عاجل الحال ارسلوا عبيدهم الى الاطلال حتى ياتوهم بالخيل والرجال واستعدوا من يومهم للقتال وتاهبوا للحرب والنزال. قال فخفف عن قلب قيس الغم والكرب واستبشر بنجدة طوائف العرب وايقن بلوغ القصد ونوال الارب وصار من يومه يستميل قلوب الابطال ويكرم سادات الرجال وينحر لهم النوق والعصلان والضان ويفرّق عليهم السلاح وما زال يستالف خواطر الاهل والخلان ويستميل قلوب سادات العربان ببذل الاموال والتحف الحسان الى ان استقل به سرير الملك مطاعاً وتناهضت سادات القبائل الى بيعته سراعاً وكان الربيع بن زياد صاحب النهي والامر ومدبر المملكة في السر والجهر وكان الملك قيس لا يصدر امراً الا عن رايه ولا يفعل شيئاً الا باراته لانه كان متزوجاً بابنته فوكل التدبير اليه وجعل رباط الخير والشر بيديه

قال الراوي ولما عزم قيس على المسير الى قتال بني عامر بفرسان العرب قال له حذيفة بن بدر المتهور بالخبث والغدر اصبر يا قيس مدة عشرة ايام حتى نحسن التدبير في بلوغ المرام وا كاتب اصدقائي ال مرة واطلب منهم النجدة والنصرة لان فارسهم الحارث بن ظالم مقاربي في الحسب والنسب وهو اليوم فارس فرسان العرب ولا بد ان تكون قد سمعت بعض افعاله ووصل اليك طرف من اعماله وانا اعلم انه اذا سار معنا الى قتال الاعداء شتتهم في قفار البيداء فقال قيس لقد صدقت فيما نطقت لاني قد سمعت عن هذا الانسان من بعض الفرسان انه قد بلغ في الفروسية الغاية وفي الفصاحة والاقدام النهاية حتى ان كثيرين يفضلونه في الحرب والجلاد على عنترة بن شداد وانه اشد منه جاشاً وجلاداً

واشد باساً واقوى فؤاداً فقال حذيفة من هو عنترة ومن هم عرب البر الاقفر بالنسبة الى هذا الاسد الغضنفر والصارم الذكر المعقود بناصيته اسباب النصر والظفر . الحارث له وقائع مشهورة ومواقف مذكورة لو حضرها عنترة لا نصرع وتشعشع هذا الذي التقى بني ثُعل وقتل منهم خمسمائة بطل وشتت فرسانهم في السهل والجبل . هذا الذي قلع عين فرعون بن صخر في الميدان هذا الذي كبس في وادي العفريت بني الريّان وامّلاهم بالويل والحرمان وسوف يظهر لك من فعاله ما تذكره به على طول الزمان فلما سمع الملك قيس من حذيفة ذلك الايراد قوي منه الظهر والاعضاد واستبشر بنوال القصد وبلوغ المراد وقال له افعل ما بدا لك فاني لا اخالف مقالك ثم ان حذيفة كتب من وقته وساعته كتاباً وارسله الى بني مرّة وحيّاه فيه الحارث وطلب منه المساعدة والنصرة واعلمه بقتلة زهير وولده شاس وما حل بقلوب بني عبس وباقي الناس من الهمّ والوسواس واقام حذيفة بعد ذلك في تجهيز الجيش القادم وهو بانتظار الحارث بن ظالم

قال الراوي وكان ذلك الفارس المعروف بالحارث خائناً ناكثاً صورته قبيحة وسيرته غير مليحة مجبول على الفظاظة وقساوة القلب والغلاظة لا يحفظ حرمة الطعام ولا يراعي جانب البيت الحرام وليس له عهد ولا ذمام اذا رافقه رفيق غدره وقتله وان ظفر بصديق راوغه وجداله وكانت العرب تحذر منه وتخاف من شره وتبتعد عنه الا انه كان في الشجاعة اسداً وكان قد تمهر من صباه في الحرب وتعلم ابواب الطعن والضرب . وطاف المشارق والمغارب ومرّت به انواع التجارب . حتى خرج بطلاً لا يناس الابطال وشجاعاً تنذهل عند مقاله وحيل الرجال . وكان قد سمع باخبار عنترة بن شداد وما له من المواقف الرفيعة في ميادين الطراد وما شاع عنه من الاشعار الجياد . في حق عبلة بنت مالك بن قراد . فحسده واضمر له السوء والنكاد وترك عليه العيون والارصاد وكان عنترة قد اسر اباه في جبال الرده وذلك البلاد وجز ناصيته واطلقه كما تقدم الايراد فكان يطلب قتله حتى لا يبقى في العرب مثله وكان قد قتل من بني عبس جماعة من الشجعان لاجل هذا الشان . وكان خالد بن جعفر قد كتب له كتاب صحبة نجاب وارسله الى بني مرّة يستنجد به ويطلب منه المعونة والنصرة ويقول له . اعلم ايها البطل الهمام . والسيد القمقام اني قتلت شاساً واباه ملك زهير بن جذيمة الذي لم يترك لاحد من العرب قدراً ولا قيمة وقد جمعت كل من يختص بني عبس من حديث وقديم وعولت ان لا ابقي منهم لا رضيع ولا فطيم . وقد صممت على ذلك اشد تصميم وانت تعلم ما فعل عندهم عنترة مع ابيك ظالم وكيف جز شعره وتركه عبرة بين العوالم فهم ...

الاخذ الثار وكشف العار . ان كنت كما سمعت عنك انك من الرجال الشطار وابشر عني با لاموال والغنائم والخير الجزيل واذا رايت منك ما يعجبني من حسن العمل . وبلغت بفعلك غاية الامل ازوجتك بابنتي بدر الحلل التي لم اسمح بها لاحد من ملوك العصر وارباب الدول قال فلما وصل اليه كتاب خالد وقرأه وفهم ما ابداه رد رسوله بالسمع والطاعة وانتخب من قومه خمسمائة فارس من اهل القوة والشجاعة وعزم على المسير الى ديار بني عامر وتلك القبائل والعشائر وفي اثناء ذلك وصل اليه كتاب حذيفة سيد بني فزارة فقرأه وفهم ما فيه من تلك الاشارة والعبارة فقال للرسول سر الى مولاك وقل له اني كنت سائرا الى نصرته قبل وصول رسالته ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الحارث ظهر جواده واعتد بآلة حربه وجلاده وسار بخمسمائة فارس من نجب الاعراب قاصداً ديار بني عامر وتلك الهضاب ولما ابعد عن الديار وتوطن البراري والقفار اقبلت عليه سادات قومه وجماعة من بني عمه وقالوا له اعلمنا بما في نيتك وبين لنا عن قصدك وبغيتك . فقال لهم ابشروا بالغنى وبلوغ القصد والمنى فاننا نكون مع من ينتصر ولا نبالي بمن كسب ولا بمن خسر . قالوا قد اشرت بالراي المصيب والفكر الدقيق لاننا نعلم انك تكون مع الغالب ولكن الى اي جهة أنت بنا سائر . قال الى ديار بني عامر وتلك الاحزاب والعشائر واني لم اقل لرسول بني عبس ذلك المقال الا لاطيب قلوبهم على كل حال واما اقسم بالاله الكبير المتعال لو تمكنت منهم انزلت بهم النكال وان وقع اسودهم عنترة في يدي قتلته وشفيت منه غليل كبدي

قال الراوي وكان الذي يعين الحارث على القتال ومواقف الاهوال سيف صقيل عريض طويل قد ورثه من ابيه واجداده السالفات يسمى بذي الحيات انواره شارقه وصفحاته بارقة كانه صاعقه اذا ضرب به الصخر قطع واذا هزه في يده يرى منه هول المطلع وكان منقوشاً على نصلته صور افاعٍ تدب وتلسع . وكان لا ينام الا وهو على صدره او بين ثيابه ولا يامن عليه لاحد من اهله واصحابه . قال الراوي هذا ما كان من الحارث بن ظالم الفاتك العاشم واما ما كان من رسول حذيفة فانه جد في قطع الهضاب حتى وصل الى بني عبس قبل الغياب واعلم حذيفة بالخبر وبما شاهد ونظر . ففرح واستبشر . وعلم ان الامر قد تيسر . ودخل على قيس بن زهير وبشره بكل خير وقال له ايها الملك الجليل والسيد النبيل ان الرجل قد امتثل كلامنا وبادر الى نصرتنا وسار الى بني عامر امامنا والصواب ان نستعد للقتال . ونتسعة في عدد الابطال بالخيل والرجال . فقال قيس افعل ما تريد فاني عن رايك لا احيد . فاخذ حذيفة في تجهيز الابطال . وترتيب الاحوال . وفي ذلك الوقت اقبل الامير عنتر كما تقدم الخبر

وفي صحبته اسيد وولده نازح وباقي الفرسان الجحاجح الذين كانوا معه في بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن ورأوا الارض من ازدحام الجموع ترتج والدروع تلمع من كل فج . فتعجبوا من ذلك غاية العجب واندفقوا مسرعين كصواعق الغضب وقد حدثتهم انفسهم بالويل والحرب ولما قربوا من المضارب وظهر غبارهم من كل جانب . ركبت الى لقائهم الاقران . وتبادرت الى نحوهم الشجعان وقصدتهم الابطال والفرسان وفي اوائلهم مالك بن زهير صديق عنترة وصاحبه واخوه الحارث الى جانبه ولما شاهد مالك عمه اسيد وعنتر بن شداد ترجل عن ظهر الجواد ودق على صدره وراسه ومزق ما كان عليه من لباسه ونادى واحرباه وابتاه واسيداه واملكاه فلما نظر عنتر الى ذلك الامر المنكر . القى نفسه من على ظهر جواده الابجر الى الارض والحجر وتقدم الى نحو مالك وقد بكى وانبهر وقال يامولاي ما الخبر فقال مصيبة لاتنسى ومحنة قد عمت الرجال والنسا ثم نعي اليه اباه وشاسًا اخاه فلما سمع عنترة ما ابداه سقطت قواه وعظم الامر عليه ثم ان ما لكاً احدثهم بجلية الخبر وما جرى له مع خالد بن جعفر فدقوا على صدورهم وحاروا في امورهم ولاموا بعضهم على اطلاق سادات بني عامر من الاعتقال وانخداعهم بالمكر والاحتيال فلما وقف عنترة على حقيقة ذلك صار الضياء في عينيه كالظلام الحالك ونادى واحرباه عليك ياخالد فوالله لاتركنك مثلاً لكل قائم وقاعد وما اقابلك على مكرك وخداعك الا بهلاكك وانقلاعك ثم زاد به الانين فبكي من قلب حزين وانشد يقول

خسفَ البدرُ حين كانَ تماما ... ومضى نورهُ حين كانَ تماما
ودراري النجوم غارت وغابت ... وضياء الافاقِ صارَ قتاما
حينَ قالوا زهير ولى قتيلاً ... خيَّمَ الحزنُ عندنا واقاما
قد سقاهُ الزمانُ كاسَ حمامٍ ... وكذاك الزمان يسقي الحماما
كان عوني وعدتي في الرزايا ... كان درعي وذابلي والحساما
ياجفوني ان لم تجودي بدمعي ... فجعلت الكرى عليكِ حراما
قسماً بالذي اماتَ واحيا ... وتولى الارواحَ والاجساما
لا رفعتُ الحسامَ في الحرب حتى ... اتركَ النومَ في الفيافي عظاما
يا بني عامرٍ ستلقونَ برقاً ... من حسامي يجري الدماء سجاما
وتضجُّ النساء من خيفة السبي ... وتبكي على الصغارِ اليتامى

قال فلما سمع الحاضرون شعره ضجوا بالبكاء والانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب ودخلوا بين المضارب والاطناب وهم يعضون على زنودهم ودموعهم جارية على خدودهم وما فيهم

الا من هو محترق بنار الكبد ذائب الروح والجسد فقال الربيع بن زياد وقد نما غيظه وزاد وذاب منه الفؤاد لما راى عنترة بن شداد قد عاد بالاموال والغنائم من تلك البلاد ايها السادة الامجاد لا تكثروا النواح والتعداد لان قيساً قد فر قرارهُ وبرد نارهُ واستعد للانتصار على اخذ الثار بكل فارس كرار وبطل مغوار

قال مجد بن هشام وكان قصد الربيع بذلك الكلام كسر نفس الامير عنتر لانهُ كان عدوه الاكبر ويتمنى لهُ الموت الاحمر فاغتاظ عنتر عند سماعهِ ذلك المقال الذي هو انكى من ضرب الصارم الفصال ودفع الربيع في صدرهِ القاه الى الارض على ظهرهِ وتقدم الى نحو قيس بقلب منكسر ودمع منحدر وعزاه باخيهِ وابيهِ وكذلك فعل اسيد ومن معهُ من اهلهِ وذويهِ وما في الحاضرين من فرسان العرب واصحاب المناصب والرتب الا من بكى وانتحب وانحدر دمعهُ على خديهِ وانسكب ثم ان عنترة خرج من بين المضارب وقلبهُ من شدة الحزن لاهب ومضى الى بيت ابيهِ الامير شداد وقد نما غيظهُ على الربيع بن زياد . قال الاصمعي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر واما ما كان من قيس فانهُ تجهز في ثاني الايام للسفر ورحل بالابطال والعسكر لقتال خالد بن جعفر

قال صاحب الحديث وكان مالك بن زهير قد اجتمع بعنترة وحدثهُ بما دبر الربيع وحذيفة بن بدر واخبرهُ بحديث الحارث بن ظالم المشهور بالخبث والغدر وكيف انهم اركنوا اليهِ وجعلوا اعتمادهم عليهِ ووصفوهُ بالشجاعة والفروسية وفضلوهُ على جميع فرسان الجاهلية فغاب عنترة عن الصواب عند سماعهِ ذلك الخطاب واحترق فوادهُ وتضرم وعلم بان سيف عزهِ بعد زهير قد تثلم وحصن مجدهِ قد وقع وانهدم وان عمهُ ابا عبلة سوف يعتز عليهِ ولا يعود يلتفت اليهِ ويميل الى بني زياد ويرجع الى ما كان عليهِ من الكياد والعناد فقال لمالك سر انت الان والحق باخيك وعاونهُ على اخذ ثار ابيك واما انا فاقيم عند اهلي وخلاني ولا ابرح من مكاني حتى تعودوا من قتال بني عامر وتلك الاحزاب والعشائر فان بلغتم الغاية في القتل والنكاية وشفيتم منهم غليل الفواد كان ذلك غاية المراد والا سرت اليهم وحدي وبذلت في قتالهم جهدي الى ان انال قصدي ولا ابقي لهم ذكراً يذكر في قبائل ربيعة ومضر ما طلعت الشمس والقمر ولا اغفل عن اخذ ثار مولاي الذي الحقني بالنسب ورفع مقامي بين سادات العرب وما زال عنترة يحدث مالكاً بمثل ذلك حتى ابكاهُ وتعجب من مروتهِ وحياهُ ثم انهُ خرج من عندهِ وطلب العسكر وهو يبكي ويتحسر على ما جرى وتدبر واما الامير عنتر فانهُ بعد ذهاب مالك خلع عنهُ آلة الحرب والسفر

ودخل الى عند امهِ زبيبة وقد عظمت عليهِ تلك المصيبة وهو يبكي ويتلهف ويعض على كفيهِ من شدة الاسف فقالت لهُ امهُ وقد بكت لبكاه ورثت لحالهِ على ما اصابهُ ودهاه الى كم تلقي نفسك في المعاطب وتخوض الشدائد والنوائب وتلقى الاهوال والمصائب وتحفظ من لايحفظك ويرعاك وتود من لايودك ويهواك فقال عنترة وحق من سطح الغبراء ورفع الخضراء لامزقن شمل بني زياد اللئام الاوغاد واجعلهم احدوثة بين العباد لانهم علة الفساد ثم سال امهُ عن ابنة عمهِ عبلة وهل كانت تذكره في غيبتهِ ام لا فقالت انها كانت تسهر ليلها بانتظارك وتسال عنك وعن اخبارك

قال الراوي وكان قد بلغ نساء اعمامهِ قدومهُ من السفر وتخلفهِ عن المسير مع العسكر فاتين اليهِ وما فيهن الا من فرحت بهِ وسلمت عليهِ وكان في صحبتهن عبلة بنت مالك وهي تتلالى كالبدر في ظلام الليل الحالك فرد عليهن السلام ووقف بين ايديهن على الاقدام ولما راى عبلة اشتد بهِ العشق والهيام وجعل يحادثها بالطف حديث وارق كلام ثم سال النساء عما جرى بعده في الاحياء فقالت عبلة ما جرى لنا الا ما علمت من الناس من قتل زهير وولدهُ شاس ونحن كنا بانتظار قدومك يا ابن الاخيار حتى تاخذ لنا بالثار وتكشف عنا العار وقد رحل الناس وانت مقيم في الديار قال عنتر ان القوم قد ابعدوني واردت ان اسير معهم فطردوني ثم حدثها بما جرى وكان فتعجبت النساء من ذلك الشان وقلن والله يا ابا الفوارس ان هذا الفساد صادر من تدبير الربيع بن زياد لانهُ قد صار صاحب النهي والامر ومدبر العشيرة في السر والجهر والملك قيس قد اتخذهُ مشيره ومدبره ووزيره فقال عنترة والله ليس لهذا الرجل عندي قدر ولا شان وهو احقر في عيني من كل انسان فضاحكت النساء من كلامهِ وشكرنهُ على مقالهِ واهتمامهِ ثم انهُ اهدى لهن كل ما وقع بيده في هذا السفر من نفايس الجوهر ونوادر البدو والحضر. قال الاصمعي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر وما جرى لهُ من الحديث والخبر واما ما كان من بني عبس وعدنان فانهم بعد مسيرهم من الاوطان جدوا في قطع الطريق وقلوبهم تتكوى بنيران الحريق الى ان قاربوا ديار بني عامر فانتخب حذيفة الف رجل من كماة الفرسان وليوث الضرب والطعان الذين لا يهابون الموت ولا يخشون حلول الفوت وسار بهم في مقدمة العسكر ليكشف حقيقة الخبر وما سار غير القليل حتى التقى باربعماية فارس خيل وكانت هذه العساكر طليعة بني عامر وهم مقبلون نحوهم كالليوث الضراغم او النسور القشاعم يتقدمهم ملاعب الاسنة والحارث بن ظالم

قال الراوي وكان الحارث بن ظالم قد قصد خالد بن جعفر كما تقدم الخبر فلما قدم

عليه فرح به واستبشر وخلع عليه وعلى قومهِ الخلع السنية واجزل لهم المواهب والعطية واكرمهم غاية الاكرام وشكرهم على ذلك الاهتمام وقال للحارث ياسيد بني مرة ما اتيتني الا وانا على همة الرحيل والسير وليس عندي ما اكافيك بهِ الان الا بهذه الحجرة وهي التي كانت للملك زهير فاقبلها مني على سبيل الهدية لانها من اجود الخيول العربية وهذا ايضاً سيفهُ ذو النور فخذه وانت عندي محمود مشكور فقبلها الحارث وابدى الابتسام وركب الفرس وتقلد الحسام وكان قد ابصر فرسان العرب والسادات من ذوي الرتب قد عولوا على المسير وسرعة التشمير ورأى ملاعب الاسنة وهو في مقدمة الفرسان قاصداً ديار بني عبس وعدنان في مئة من الرجال فانتخب من جماعتهِ ثلاثمائة من الابطال واستاذن الامير خالد وسار مع ملاعب الاسنة وهم يقطعون الفدافد الى ان التقوا بحذيفة سيد بني فزارة كما سبقت الاشارة ولما وقعت العين على العين وعلت الضجة والرنة نظر حذيفة الحارث بن ظالم وهو راكب بجانب ملاعب الاسنة فلما رآه اندهل واعتراه الخوف والوجل وكانت بنو عامر لما التقت بتلك العساكر رفعت اصواتها بالصياح ومدت اليهم قطع الرماح واحاطت بهم احاطة عساكر الزَّباء بجذيمة الوضاح فعند ذلك نبه حذيفة اصحابهُ للحرب والكفاح وقال لهم دونكم وهذه العصابة القليلة والطائفة الذليلة احملوا عليها من كل جانب وبادروها بطعن الرماح الكواعب وضرب السيوف القواضب قبل ان تدركنا المواكب والكتائب . قال فبينما هو يصيح على قومهِ بهذا الكلام ادركهُ الحارث وصدمهُ صدمة الليث الضرغام وهو ينادي انا الحارث بن ظالم فارس الاعارب والاعاجم فلما ابصره حذيفة خفق قلبهُ وزاد خوفهُ ورعبهُ وقال فعلتها يا ابن ظالم وقطعت ما بيني وبينك من النسب ونسبت نفسك الى الغدر بين سادات العرب قال نعم نسبت نفسي الى الغدر واليوم افني بني عبس وبني بدر وانا اقسم بالله الذي زين الدنيا بالقمر والشمس وفضل هذا النهار على امس لابد لي من قتل بني عبس حتى اشفي منهم غليل النفس بعد ما اقطع راس عبدهم عنتر واجعلهُ مثلاً يذكر في قبائل ربيعة ومضر فان اردت السلامة عد الى ارضك وامصارك ولا تتعرض لهلاكك وبوارك ودع عنك كثرة الفضول ولا تتعرض لبني عامر فان فيها فرساناً اشدّ من الفحول يوزن احدهم الآف وافرادهم باضعاف فعند ذلك حمل حذيفة بمن معهُ من ابطال الكفاح وقد اكثروا الصياح ومدوا في ايديهم قطع الرماح وجردوا البيض الصفاح فالتقاهم ملاعب الاسنة والحارث بن ظالم ومن معهما من الابطال القشاعم واتصل الطعن بالسمر الصعاد وعظم الامر وزاد وتصادموا على ظهور الجياد ونهبت الارواح من الاجساد ولم يزل

الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى تلاحقت بهم المواكب
واشرفت عليهم الكتائب وتنافرت الوحوش من كل جانب وكان كل من وصل وراسه
القتال يعمل يصيح ويحمل الى ان زاد الامر عن الحد وعظم الحرب واشتد واظلم النهار من
كثرة القتام واسود واشرف الملك قيس في باقي بني عبس وغطفان وكذلك خالد بن
جعفر ومن معهُ من الفرسان وما فيهم الا من هجم وصاح ونهم فعند ذلك قامت الحرب على
ساق وقدم وماج بحر المنايا والتطم وشابت النواصي واللمم وعاد الوجود الى العدم وقاتل
الشجاع وتقدم وحل بالجبان الندم وتاخر وانهزم وفعل في ذلك اليوم الحارث ما اذهل
النواظر وحير بفعالهِ الخواطر وكان قد جعل قصده طائفة بني عبس من دون تلك العشائر
فنكس راياتها وقتل جماعة من ساداتها وما امسى المساء حتى وقعت الخسارة في بني
عبس وبني فزارة ثم افترقت الطائفتان عن بعضها البعض وباتوا في تلك الارض ورجع
قيس وهو متبول الفواد من قولهِ مشورة حذيفة والربيع بن زياد وتركه عنتر بن شداد
ولما اجتمعوا قال لهما الملك قيس والله لقد دبرنا بئس التدبير واخرقنا حرمتنا فقال حذيفة
لم يخطر ببالي ايها الملك الهمام ان الحارث يجرد في وجهي الحسام وما ظننت الا اننا نكسر
بهِ بني عامر ونفنيهم بالسيوف البواتر فقال قيس ايها السادة الاخيار قد اتينا في طلب الثار
فكسينا العار في سائر الاقطار وما بقي في الامر الا مبارزة هولاء القوم يومًا بعد يوم حتى
تاتينا الحتف والاحزاب وتعيننا على هذا المصاب فقال اخوهُ مالك لما سمع منهُ ذلك ارسل
في طلب حامينا فارس الجلاد عنترة بن شداد فهو يكشف عنا هذه الغمة قال الربيع
الاوفق ان ترسل رسولاً الى صهرك الملك النعمان وتعلمهُ بهذا الشان فينجدنا بعسكر من
بني لخم وجذام ولا نذل لعنترة ولا لغيره من الانام فقال مالك اين الحجاز من العراق وبلاد
نجد من الرستاق فوالله ما تصل عساكر النعمان الى هذا المكان حتى نكون قد اشرفنا على
الهلاك ووقعنا في سوء الارتباك وقتل منا كل فارس فتاك عند ذلك قال اسيد ومن
حضر من الابطال والله يا قيس لو علمنا قبل مسيرنا من الاطلال بتخلف عنترة في الخيام
لما كان لحقكم لا شيخ ولا غلام فالاوفق لكم ان تنفذوا اليه وتجعلوا اعتمادكم عليهِ والا طمعت
فيكم الاعداء والاضداد وتمزق شملكم في اقطار البلاد لانهُ فارس البيداء وحبة العين
السوداء فقال قيس لقد صدقتم وبالحق نطقتم ثم ارسل من وقتهِ وساعتهِ الى عنترة كتاب
صحبة نجاب يترضاه ويعتذر اليهِ ويطلب سرعة قدومهِ عليهِ وعند الصباح وثب كلا العسكرين
الى البراز والكفاح ولما تدانت الرجال من الرجال وامتلات منهم السهول والتلال كرّوا

على بعضهم كرة واحدة بهمة متعاقدة وهمة متعاضدة وذلك لما بينهم من العداوة والاحقاد المتزايدة واختلف بينهم الضرب والطعان وتمكنت من الطعن الشجعان ونهبت الارواح من الابدان وجرت الدماء مثل الغدران وطلع القتام الى العنان وطاب الموت وهان وبان الشجاع من الجبان وما زال السيف يعمل الى ان خيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف في اعناق الجحفل وغيوثها صيب الدم من اوداج رؤوس تجز وتصل وما غابت الشمس حتى تضعضعت بنو عبس فتاخرت الى وراها من عظم ما دهاها وندمت على القتال وقتل منهم اوفى من الثين من الابطال وباتوا تلك الليلة في اشر حال وايقنوا بالهلاك والوبال وندم قيس وتحسر على فراق ابي الفوارس عنترة وقامت عليه القيامة واستفاضت فيه الحسرة والندامة فالتفت اليه اسيد وقال له يا ابن اخي من اليوم فصاعداً الاعدت تسمع في عنترة كلام الاغراض فيقع في بني عبس الانقراض فلو كان حاضراً معنا في هذا النهار لقلعنا من الاعداء الاثار ثم حدثه بما جرى لهم في بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن وكيف فتك عنترة بالفرسان وفعل افعالاً تعجز عنها مردة الجان فقال قيس والله ياعماه انا ما ابعدته ولا اهنته ولا طردته ولكن عند وصوله الى الاوطان كنت مشتغلاً بالاحزان الى ان جرى من القصة ما كان والان فقد قل منا الاصطبار وانتهى الامر بنا الى الانكسار وقتل منا كل فارس مغوار وان هربنا شملنا العار في سائر الاقطار وما بقي في الامر الا انني اصطلي نار الحرب بنفسي ولا اتكل على احد من ابناء جنسي ولا ازال اضرب في الاعداء بالحسام حتى اشرب كاس الحمام وما زالوا على مثل هذا الكلام حتى اقبل الصباح بالابتسام فركبوا ظهور الخيل وهم من الم الجراح بالويل وطلبوا معركة القتال فالتقتهم بنو عامر بقلوب كالجبال فبينما هم قد استعدوا للحرب والنزال اذ قد برز حذيفة الى عرصة المجال كانه الاسد الريبال وهو راكب على حجرته الغبراء التي كان يذخرها للاهوال وطلب براز الابطال وقال يامعاشر الانذال ابرزوا لي فرسانكم المذكورة وابطالكم المشهورة حتى اريكم كيف يكون الحرب والوقوف في مقام الطعن والضرب

قال الراوي فما انتهى من كلامه حتى برز اليه الحارث بن ظالم وصار امامه وكان راكبا على حجرة الملك زهير القعساء وهي كانها الليلة الدمساء وكان ملاعب الاسنة يريد ان يخرج اليه فمنعه الحارث واقسم عليه وساله ان يؤثره بنفسه ثم انه برز اليه حتى حاذاه وقال له ويلك ياحذيفة ارجع عن الحرب والطعان فان في بني عامر ابطالاً وفرسان كانها مردة الجان . قد كدمتهم التجارب وبينهم النوائب يرون الشرف لمن امات تحت اسنة الرماح والعار حقا

على من حاد عن معركة الكفاح منهم الربيع بن عقيل وملاعب الاسنة الفارس النبيل وغيرهما من الفرسان البهاليل . وقد منعتهم من الخروج اليك اشفاقاً مني عليك . وما خرجت الا حتى اردك عن طريق العطب لاجل ما بيني وبينك من النسب فارجع من هذا المكان وقل لعنترة ان يبرز الى ساحة الميدان حتى اخذ منهُ ثاري واكشف عني عاري فاجابهُ حذيفة وقد اخذه القلق والضجر وتشوش خاطره وتعكر ويلك اين عنتر فمن اجلك طردناه واتكلنا عليك وابعدناه واتينا طمعاً في قولك الذي ارسلتهُ لنا مع رسولنا والان قد خاب فيك مامولنا ولو علمنا ما بقلبك من الشر والعناد لاتيناك بعنترة بن شداد وتركناه يفعل بك كما فعل بابيك على ان هذا الامر لا يفوتك لان الملك قيساً انفذ لهُ رسول . ولا بد ان يصل اليك . ويبلغ منك المامول لانك قد جازيت جميلنا بالغدر وقتلت جماعة من ال بدر ومن افعالك الذميمة وسيرتك الغير مستقيمة قد خرجت لقتالنا وانت راكب على حجرة ملكنا زهير بن جذيمة

قال الراوي فضحك الحارث وابدى الابتسام عند سماعهِ ذلك الكلام وقال لـه يا ابا حجار لو تاملت بهذا الكلام لكان عليك العار وعلى قومك الكبار منهم والصغار يا ويلكم تعجزون عن لقاء الابطال الصناديد وتنتصرون باقل العبيد ولكن لا بد لي ان احصدكم بهذا الحسام حصد الهشيم حتى لا يعود احد منكم يذكر ذلك العبد الرنيم والوغد اللئيم ثمَّ زاد بهِ الغيظ والغضب فحمل على حذيفة مثل السلهب . فصال معهُ حذيفة وجال . ولعبا بالرماح الطوال حتى تحيرت فيهما عقول الرجال وما زالا في اشد قتال حتى خدر الساعدان وبانت الزيادة والنقصان واختلف بينهما طعنتان فاصلتان فكان الحارث اسبق واعرف بمواقع الطعان وارشق فوقع الرمح في فخذه فسالت دماه وعاد حذيفة الى وراه وقد اشتد بهِ الالم وحل بهِ الاسف والندم فعند ذلك اعجب الحارث بنفسهِ وتكبر على ابناء جنسهِ ثم صال وجال ولعب برمحهِ العسال حتى حير عقول الابطال ونادى ويلكم يا بني عبس اصحاب المفاخر قد اتيتم تطلبون ثاركم من بني عامر فابرزوا فارساً لفارس ولا تحتجوا بكثرة العساكر فلما سمعت بنو عبس منهُ ذلك الكلام هان عليها شرب كاس الحمام فصارت تخرج اليهِ الابطال وفرسان المعارك والقتال وهو يقبض ارواحها ويرمي الى اصحابهِ عددها وسلاحها وما انتصف النهار حتى قتل منهم عدة رجال فعند ذلك قصرت عنهُ الفرسان وخافت منهُ الشجعان فصال وجال وانشد وقال

اسمعاني وقع السيوف الحداد	وصرير الرماح في الاجساد
واسقياني دم الفوارس صرفاً	بين بيض الظبى وسمر الصعاد
ودعاني من ذكر اطلال نجد	ومعاني هنـد وربع سعاد

ما الفخار الفتى بكاسات خمر ... دايراتٍ في ظل كرمٍ وواد
انما الفخر ضربة لشجاعٍ ... يوم حربٍ او طعنة في الفواد
لا تراعي بين الانام صديقاً ... او اجعل الاهل مثل بعض الاعادي
يا بني عبس ليس ينجيكم اليوم ... فرارٌ على الخيول الجياد
فحسامي محكمٌ في يميني ... والمنايا في شفرتيه تنادي
فابرزوا او تاخروا عن قتالي ... واقنطوا مالكم من الموت فادي

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس هذه الابيات ثارت في رؤوسها النخوات وهانت عليهم البليات فتبادرت اليه الابطال من سائر الجهات وتقدم عروة بن الورد وشداد بن قراد واخوه مالك وزخمة الجواد والربيع بن زياد الى معركة الطراد فسبقهم نازح بن اسيد واقسم بالله ان لا يبرز منهم الى الحارث احد سواه لانه يريد ان يجعل نفسه لهم فداء ويقيهم من افات الردى ثم برز اليه وهو على جواد منتخب من افخر خيول العرب وقد ذكرنا ما في نازح من الشجاعة ووصفنا قتاله قبل هذه الساعة فحمل عليه من غير مطال فالتقاه الحارث في الحال وانطبق الاثنان في القتال كانطباق الجبال واتسع عليهما المجال وكان اسيد قد اخذه القلق على ولده فكان ينظر الى المعمعة ودموعه على خديه متتابعة فصاح في الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقال لهم كونوا على اهبة اللقاء اذا قضي على نازح بقضاء فبينما هو على مثل ذلك يحيي فرسان المعارك اذا بفارسٍ اسود قد خرج من طوائف بني عامر كانه الليث الخادر او العقاب الكاسر طويل القامة عريض الهامة ملثم الراس خالٍ من الزرد واللباس ليس عليه غير ثوبٍ من الخام قصير الاكمام وهو راكب على جوادٍ اعرج متقلد بسيفٍ اعوج وفي يده رمحٌ مكسور معصب ومن تحته سرجٌ من خشب فلما صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين تقدم الى نحو الفارسين قال وكان الحارث قد ظن انه من عبيد خالد بن جعفر وقد اتى من عنده بخبر فلما صار في ساحة الميدان صاح عليهما صيحة ارتجت منها الجبال والوديان فقال له الحارث ويلك ما الذي تريد بصياحك علينا ومجيك الينا قال البدوي ويلك لقد اخذت لنفسك ساحة الميدان واحتقرت بمن اجتمع هاهنا من الفرسان والابطال والشجعان وما تركت احداً من فرسان العرب ان يكسب الفضة والذهب وينال غاية الارب ويلك يا ابن الاندال اما علمت ان هذه القبائل قد اجتمعت من السهول والجبال ولها على بني عبس دم وادخال واولهم هو انا لاني قطعت الاودية والتلال واتيت لاكسب لي شيئاً من المال واستعين به على هذا الحال واعود الى الاهل والعيال فاحالت بيني وبين غيري من

الابطال واخذت انت وحدك عرصة المجال وتركت غيري يقاسي الجوع والاقلال فارجع الان ودع عنك المحال والا وحق من ارسى شوامخ الجبال وقدّر الارزاق والاجال طعنتك بهذا الرمح المكسر وتركتك عبرة للنظر وآية للبشر واقنع بعد ذلك من بني عبس بما تيسر

قال الناقل فلما سمع الحارث ذلك الكلام المنكر الذي هو اقسى من الحجر وانكى من ضرب الصارم الذكر طار من عينيهِ الشرر وصاح مثل الاسد اذا هدر وقلب سنان الرمح الاسمر وطعن البدوي طعنةً اسرع من لمح البصر فمال البدوي عنها واخرج رجله من الركاب وانبرم كسبع الغاب ووثب من ظهر الجواد حتى صار على وجه التراب فراحت الطعنة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم عاد البدوي الى ظهر الحصان وهجم على الحارث فانهزم الحارث من امامهِ وخاف من شرب كاس حمامهِ فطعنهُ البدوي بالرمح فوقع على هامهِ فطار الرمح اربع قطع فاندهش الحارث واعتراهُ الخوف والفزع ولما بعد الحارث في ميدانهِ نزل البدوي عن ظهر حصانهِ واخذ يجمع الرمح من على وجه الارض ويشد بعضهُ في بعض هذا وقد تعجب فرسان العرب من افعالهِ وغريب اعمالهِ واما مازح فقد زال عنهُ الكرب بعد ما كان قد اشرف على الهلاك والعطب فاخذتهُ الحمية والغيرة العربية وتقدم اليهِ وسلم عليهِ وقال لهُ هيا يا وجه العرب دع ما انت فيهِ من العناء والتعب وخذ لك هذا الرمح المكعب وعد الى خصمك الان والتقيهِ في ساحة الميدان وخذ لك هذا الحصان فانهُ يعينك على الجولان ولولا ضعف جوادك كنت اهلكت هذا الشيطان واسقيتهُ كاس الهوان ونلت من بني عبس كل ما تريده فاخذ منهُ الرمح وركب ظهر الجواد وقال اركب انت جوادي بحق خالق العباد ولا تبرح من هذا المكان حتى اكافيك على هذه الاحسان لانك تعصبت معي ورفعت مكاني وموضعي . ومرادي ان اقسم عليك بما يقع لي من السلب والمال والمكسب وانا اعلم انك في غنى عن الفضة والذهب لانك امير من امراء العرب اصحاب الحسب والنسب غير ان صيد الحروب كمثل صيد المرهوب تشتهيه الناس وتميل اليهِ القلوب ثم انهُ صال وجال وطلب الحارث وقال لهُ لاسقينك اليوم كاس الحمام ولاتركن فرسان العرب الكرام تحدث بفعالي معك عاماً بعد عام وما ارجع الى اهلي حتى انال غاية المرام ثم انهُ بعد ذلك الكلام هجم عليهِ هجمة الليث الضرغام فالتقاه الحارث واخذ في الطعان والصدام والمفارقة والالتزام واختلف بينهم الطعان في ذلك المقام ولم يزالا على ذلك الحال وهما في اشد قتال الى ان كلَّ الحارث ومل وضعف عزمهُ ونحل فطمع فيهِ البدوي حتى اضجرهُ وكربهُ وطعنهُ بعقب الرمح في صدره فاقلبهُ فوقع على قفاه وحل بهِ الاسف واشرف على

التلف فاشار البدوي الى نازح ان ياخذ الفرس وكانت فرس الملك زهير عمة وكان الملك قيس قد زاد عليها غمه لانهُ كان كلما راها تحت الحارث يبكي ويذوب كما بكي على يوسف يعقوب ففرح عند ذلك وابتهج وتيقن انهُ حصل على الفرج

قال الراوي ثم ان ذلك البدوي التفت الى ناحية بني عامر واوماً بيده الى تلك العساكر ونادى عرّج يا مفرج فما انتهى من مقالهِ حتى خرج اليهِ فارس حالهُ كحالهِ الا ان قامتهُ دون قامتهِ وصورتهُ احسن من صورتهِ فلما وصل اليهِ وتمثل بين يديهِ قال لهُ انزل الى هذا الخبيث ابن الانذال واوثقهُ بالسلاسل والاغلال حتى اعود الى القتال واقطع الاشغال فنزل وشد كتافهُ وقوّى سواعده واطرافهُ ثم ان ذلك البدوي برز الى قتال بني عامر

قال الراوي وكان خالد بن جعفر قد انكر ذلك الامر المنكر وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب انهُ يوجد في هذه العشائر من الابطال والعساكر من هو مخامر علينا ويريد وصول الاذية الينا او ان الحارث يكون قد عاد الى العناد وقاتل معنا حياء الى ان بلغ المراد لان هذا البدوي ليس هو من رجالهِ ولا يعد من اشكالهِ والصواب ان تمنع العساكر عن القتال حتى ينكشف لنا هذا الحال ويظهر بياض الحق من سواد المحال ثم امر عبيده ان ترد الفرسان عن الضراب والطعان والتفت الى من حولهُ من الشجعان وقال من منكم يبرز الى هذا الشيطان . قال فعند ذلك برز جندح بن البكا الى معركة القتال وهو مثل الاسد الرئبال وكان هذا جندح هو الذي اشترك مع خالد بن جعفر في قتلة الملك زهير كما تقدم الخبر وهو الذي ضربهُ بالسيف وقتلهُ . وكان على يديهِ اجلهُ وكان من فحول الرجال وكماة الابطال الذين تضرب بهم الامثال فلما صار في ساحة الميدان صاح على ذلك البدوي ويلك من تكون من العربان اذكر ما لك من الحسب والنسب لعل ذلك ان يكون لنجاتك سبب فقال البدوي وقد تبسم واخذه من ذلك العجب . اعلم ان ذكر الاباء والاعمام لا يكون وقت ضرب الحسام وانما يكون ذلك في الولائم وشرب المدام وهذا المقام لا ينفع فيهِ الا ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان ثم انهما بعد ذلك الكلام حملا على بعضهما كسباع الاجام وقد هان عليهما شرب كاس الحمام في بلوغ المرام فتطاعنا وتضاربا وتباعدا وتقاربا وصاحا وزعقا وانبسطا وانطبقا والتصقا وافترقا واخذا في السوق والطرد والصد والرد حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق وتمنى الفارس منهما انهُ لم يخلق وكان قد وقع في قلب جندح الرعب وخاف من الغضب وايقن بالهلاك والعدم وندم على مبارزتهِ غاية الندم واراد ان يطلب لنفسهِ الهزيمة ويلحق بخالد بن جعفر فلم يمهلهُ البدوي بل اطبق عليهِ مثل

لح البصر واقتلعهُ بيده من ظهر الحصان فالقاهُ على بساط الصحصحان واراد ان يسوقهُ الى عند نازح والحارث بن ظالم فتمنع وعصي عليهِ فضربهُ بالسيف على كتفيهِ فسالت منهُ الدماء . وساقهُ لبين يديهِ رغماً وقد غابت عنهُ الارض والسماء ولما اقترب من نازح اوما بيدهِ الى بني عامر ودار وجههُ الى تلك العشائر ونادى وهو متباعد وقال هيا يا مساعد يا مساعد فخرج اليهِ فارس اخر كانهُ النار ذات الشرر ولما صار بين يديه سلمهُ جندحاً وقال لهُ احتفظ عليهِ حتى يذهب النهار وننتهي من قتال هولاء الاشرار

قال نجد بن هشام وكان قد كثر بين القبائل الكلام في وصف هذا الفارس الهمام والاسد الضرغام وقال قيس بن زهير يا بني الاعمام هل هذا الذي تراهُ في يقظة او في منام فقد تسببت لسعادتنا الاسباب من رب الارباب بما لم يكن لنا في حساب وما اريد الا من يستميل قلب هذا البدوي الصنديد ويضمن لهُ عني كل ما يريد من اموال ونوق وعبيد لانهُ فعل من الافعال ما لا يقدر عليها احد من البشر حتى ولا ابو الفوارس عنتر فما يحق لاحد ان يفتخر بما يصنع ما دامت النساء تحمل وتضع لاني كنت ابصرت من قتال عنترة العجب وتصور في فكري انهُ ليس يوجد لهُ مثيل في فرسان العرب حتى رايت فعل هذا البدوي الذي يحير الافكار ويذهل الابصار فقال شداد ايها الملك الجليل والسيد النبيل الى كم تحط قدر ولدي اذا حضر او غاب وترفع منزلة غيره من دون اسباب فقد ثبت عندي ان هذا ولدي عنتر فارس البدو والحضر . وقد عرفتهُ الفارس الاخر فقال عروة لقد صدقت وصواباً نطقت . وانا قد عرفتهُ من الفارس الاخير . الذي خرج اليهِ وقدم عليهِ فعلمت انهُ الامير شيبوب الليث الوثوب فتحققتهُ بركتهِ لما رايت الجواد يهتف من تحتهِ

قال الاصمعي . وكان الحساب الذي حسبهُ الامير شداد صحيحاً لان عنتر لما تخلف في الخيام وجرى لهُ مع النساء ما جرى كما سبق الكلام قال لاخيهِ شيبوب لابد لي ان اتبع قومي الى تلك الاطلال والمعالم وانصر ما يكون من امر الحارث بن ظالم واخرج اليهِ واخذه اسيراً واقوده ذليلاً حقيراً فقال لهُ شيبوب في اي زي تريد ان تسير قال في زي العبيد انا وانت واخي جرير ثم انهم ركبوا تلك الخيول التي ذكرناها ولبسوا تلك الثياب التي وصفناها وساروا على الاثر تابعين العسكر الى ان وصلوا في ذلك اليوم . الى ديار القوم واختلطوا ببني عامر وتلك الاحزاب والعشائر وعنترة يطلب ان [illegible] في [illegible] ويتدانى [illegible] في ساحة الميدان وبنو يبارز الجعدان فلما راه تعدانا [illegible] ورجع [illegible] وجرت [illegible] في القتال ولما اسرعنترة جندح بن الكاهن [illegible] الكلام اسرع عن وجههِ اللثام . تعرفهُ [illegible]

وابدى الابتسام وازدادت مسراتهُ طرباً بعدما كانت هموماً وطرباً وصاح اهلاً بك ياحامية عبس ومرحباً ثم دنا منهُ وحياه وفرح بلقياه وقال والله ياابا الفوارس وزين المجالس لو علمنا بخلفك في الاوطان لما تبعنا الملك قيس الى هذا المكان فقال عنترة اني لا اعتب عليه انما لومي على الذي قدم هذا الراي اليوم ثم عاد عنترة من بين الصفين وبين يديهِ كلا الاسيرين وهو ينشد ويقول

اذا فاض دمعي واستهلَّ على خدي ... وبدل ودي حادث الدهر بالصدِّ
أُذَكِّرُ قومي ظلمهم لي وبغيهم ... وقلة إنصافي على القرب والبعدِ
بنيتُ لهم بالسيف حصناً مُشَيَّداً ... فلما تناهى بعدهم هدموا مجدي
يعيبونَ لوني بالسوادِ وانما ... فعالهم بالخبث اسود من جلدي
فواذلَّ جيراني اذا غبتُ عنهم ... وطال المدى ماذا يلاقون من بعدي
أيحسب قيسٌ والربيع بانني ... اخاف الاعادي او اذلُّ من الطردِ
وكيف يحلُّ الذلُّ قلبي وصارمي ... اذا اهتزَّ قلب الضدِّ يخفق كالرعدِ
متى سُلَّ في كفي بيوم كريهةٍ ... فلا فرق ما بين المشايخ والمردِ
وما الفخرُ الا ان تكون عمامتي ... مكوّرة الاطراف بالصارم الهندِ
نديمي أما غبتما بعد سكرةٍ ... فلا تذكرا اطلال سلمى ولا هندِ
ولا تذكرا لي غير خيل مغيرةٍ ... ونقع غبارٍ حالك اللون مسودِ
فانَّ غبار الصافنات اذا علا ... نشقت لهُ ريحاً الذَّ من الشهدِ
وريحانتي رمحي وكاسات مجلسي ... جماجم ساداتٍ حراص على المجدِ
ولي من حسامي كل يومٍ على الثرى ... نقوش دمٍ تغني الندامى عن الوردِ
وليس يعيب السيف اخلاق غمده ... اذا كان في يوم الوغى قاطع الحدِّ
فللّه درّي كم غبارٍ قطعتهُ ... على ضامرِ الجنبين معتدل القدِّ
وطاعنت عنهُ الخيل حتى تبددت ... هزاماً كاسراب القطاءِ الى الوردِ
فزارة قد هيجتمُ ليثَ غابةٍ ... ولم تفرقوا بين الضلالة والرّشدِ
فقولوا لقيسٍ ان تعاني عداوتي ... يبات على نارٍ من الحزن والوجدِ

قال فطرب لها الامير مازح ومن حضر من الابطال الجحاجح وكان مازح قد صاح في حي عبسٍ ومن اجتمع هناك من قومهِ ابشروا بالنصر على الاعداء والحساد فقد اتاكم حمية بني الولاد الامير عنترة بن شداد الفارس الاوحد ففرح الملك قيس غاية الفرح واتسع

صدره وانشرح وخرج لاستقبالهِ في جماعةٍ من ابطالهِ وقد استبشر برؤية جبين هلال وتقدم وسلم عليهِ وقبلهُ بين عينيهِ واعتذر اليه فقبل عذرهُ وقبل اياديهُ وسلمهُ قاتل ابيهِ . فاخذ قيس سيف جندح وسلهُ من غمدهِ وهزهُ في يدهِ حتى لاح بريق الموت من افرندهِ وضربهُ بهِ . اطاح راسهُ عن جسده . قال ابو عُبَيدَة . وكان الليل قد هجم . واخفى وطى الحافر والقدم فافترقت تلك الخلائق عن بعضها البعض . ونزلت كل طائفة منهم في ناحية من الارض ونزل خالد بن جعفر وهو في غاية الخوف والحذر وقد انذهل وتحير وتبدل صافي عيشهِ بالكدر واما بنو عبس فقد عاشت منها الارواح وزالت عنها الهموم والاتراح واستبشرت بالنصر والنجاح واستشار قيس الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال في امر الحارث فكان اول من تكلم في امره واراد خلاصهُ من الاصفاد الربيع بن زياد وقال ان الرجل ان عمنا ودمهُ مختلط بدمنا فان نحن قتلناه طالبنا بثاره بنو مرة وافتتح علينا من هذا القبيل باب لا نقدر على سدهِ في هذه الكرَّة وانما الراي ان نطلقهُ ونتخذهُ لنا من بعض الرفاق ويكون لنا ذخيرة عند ضيق الخناق فقال اسيد احضروا الرجل الى هذا المكان حتى نسمع كلامهُ امام هولاء الفرسان فان وجدنا فيهِ موضع للصنيعة اصطنعناه وان رايناه لم يزل مثبتاً على اللجاج قتلناه قال قيس هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم امر باحضاره فاحضروهُ وهو مشدود الاطراف موثوق بالكتاف فلما رآهُ عنترة قام اليهِ والسيف في يده مشهر وقال لهُ . ويلك يا قرنان ما الذي حملك على قتال بني عبس وعدنان فقال اعلم يا ابا الفوارس . وزين المجالس ما حملني على ذلك الا انت يا ابن الكرام لان الصدق من احسن الكلام والكذب لا يصلح الا للاوغاد اللئام والسبب في ذلك يا فارس عبس وعدنان ومن هو اوحد فرسان هذا العصر والاوان ان لي مدة من الزمان وانا جاعل عليك العيون والارصاد حتى اقتلك وابلغ غاية المراد الى ان بلغني خروج قومك الى بني عامر لاخذ الثار وكشف العار فاغتنمت الفرصة واتيت الى هذه الديار املاً بقتالك وطمعاً في حربك ونزالك وقلت اني اخذ بثاري وثار ابي فقهرتني وظفرت بي . قال عنترة هل سمعت بفعالي وشدة بطشي وقتالي فقال الحارث نعم لقد سمعت بوصف شجاعتك وشدة باسك وحسن خصالك ولكن حمقي كان يزين لي وجه الطمع حتى وقعت في قبضة يدك يا ابا الفارس الصنديد لاني من حين ركبت الخيل ما أسرت ولا كنت في جيش وكسرت وقد بارزت الحارث بن عباد فارس النعامة وقلعت عين جابر بن صخر في ارض تهامة وما سمعت بامر من الامور الا وانا محمود منصور وكنت اقول في نفسي ان ليس احد يقابلني اذا علوت ظهر حصاني والان فقد ظهر ما كان

في الخفا وابصرت بعيني من قتالك ما قد كفى . فعلمت ان الخاطر الذي خطر لي في لقائك زور ومحال وعين الحماقة والضلال وانك اوحد الفرسان في الشجاعة وليس لك شبيه في الفصاحة والبراعة وما بقي في الامر ايها السيد المهاب الا انك تطلقني وتتخذني لك من جملة الاصحاب وان اكون من بعض الاحباب وان عدت الى قتالك ثاني مرة تكن امي زانية غير حرة فقال عنترة والله يا حارث لو علمت ان فيك موضعاً للصنيعة كنت اصطنعتك وجددت عهدي معك ولكني سمعت انك عديم الذمام كثير الانتقام بحد الحسام لا تراعي حرمة الطعام ولا تحترم البيت الحرام ولا تقيم على عهد ولا كلام قال الحارث لقد صدقت وصواباً نطقت غير ان ذلك كان قبل برازك لي في الميدان واسرك لي وانت عريان والان فقد هانت نفسي عندي ولو كنت قتلت كان ذلك غاية قصدي لانهُ لم يبقَ لي جنان التقي بهِ الفارس والراجل وان انت اصطنعتني وغدرت بك لعنت في سائر القبائل فعند ذلك التفت عنترة الى الملك قيس وقال لهُ اطلقهُ ودعه يرجع الى حلتهِ لاننا في غنىً عنهُ وعن نصرتهِ فقال الحارث امهل يا ابا الفوارس حتى اكبس بني عامر وابيض وجهي عند سادات العشائر . وبعد ذلك ارجع الى اهلي وانا حامد شاكر وابثُّ مكارمك عند كل مقيم وسائر لان لي خمسمائة فارس من بني مرة وما فيهم الا من قد جرَّبتهُ في الحرب الف مرة ومتى راوني عند الصباح قد برزتُ الى معركة الكفاح يعلمون ان حالي قد انتهى معكم الى الصلاح فيحملون معي الى الحرب والقتال ونبذل السيوف في هؤلاء الانذال وتكون انت قد حملت في باقي العساكر فما يسلم من بني عامر الا كل مهزول ضامر وانا اقصد ناحية خالد بن جعفر من دون البشر لاني اعرف مكانهُ بين هذه الخلائق والامم وان انا قتلتهُ بيضت وجهي عندكم وابعدت عني الظنون والتهم . قال الربيع لقد تكلمت بالصواب . فقال عنترة يا ابن ظالم هل لانبلغ من بني عامر الآمال الا بالتدبير الكاذب والاحتيال فلعن الله من لا يفنيهم بالحسام في مدة خمسة ايام ولا يدع منهم لا شيخاً ولا غلام فالتفت قيس الى عنترة وقال لهُ يا ابن العم ليس بهذا العمل من باس ولا ذمهُ احد من الناس لان القوم على ازدياد ونحن في نقصان والصواب انجاز هذا الامر والشان واخذ الثار على اي وجه كان . قال الراوي . ثم انهم اطلقوا الحارث من الاعتقال وانفصل الامر على ذلك الحال واخذ الربيع الحارث الى فريق بني زياد وقد فرح بخلاصهِ كيف تخلص عنترة من شدائد وبدا اختلى بهِ سالهُ عما في قلبهِ فكان الحارث يعرف ان الربيع من اعداء عنترة ومبغضيهِ الهلاك والضرر فقال والله يا ربيع لابد لي من ان انسبب في قتل ذلك العبد بكل سبب واجعلهُ مثلاً يضرب في قبائل العرب لاني قد اتيت حتى اكشف عاري

واعجل اتلافه فزاد ناري اضعافه ولو عرفته وقتما طلبني ما كان قهرني ولا غلبني * ولكني احتقرته غاية الاحتقار . حتى نفذت فيّ مشيئة الله الملك القهار . قال الربيع انك لصادق في كلامك وسوف ترى مني ما يسرك في بلوغ مرامك لاني اكون من اكبر المساعدين لك عليه ولكن ذلك يكون في غير هذا الوقت لاننا محتاجون اليك واليه لانه اذا اشتغل كل واحد منكما بصاحبه وقعت بيننا الخسارة ويصير اكبر اعدائك حذيفة بن بدر سيد بني فزارة . والصواب ان تفي الان بكلامك حتى تطمأن لك قلوب اخصامك وبعد ذلك فالزمان طويل وانا اعاونك على قتله بكل وجه وسبيل . قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نهضت الفرسان من كل جانب واعتقلت بالرماح الكواعب وركبت ظهور الجنائب وبادرت الى القتال مثل السلاهب واذا بصياح متكاثر قد ارتفع في وسط جموع بني عامر وماجت منهم الفرسان والعساكر وضجت القبائل والعشائر . قال نجد بن هشام . وسعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك هو ان خالد بن جعفر كان قد ارسل جاسوساً الى بني عبس في اخر النهار حتى يكشف له الاخبار ويعلمه بخبر جندح والحارث وما جرى لهما من الحوادث فرجع اليه الجاسوس وقت السحر واعلمه بحقيقة الخبر وان الفارس الذي اسرهما هو الامير عنتر وان جندحاً قد قتل واندثر واما الحارث فقد اصطلح مع بني عبس وعدنان وصار لهم من جملة المحبين والاعوان ووعدهم باسر ابطالنا فقال خالد لعنه الله ولا حنقه وابقاه لانه مجبول بالمكر والنظاظة والخبث والغلاظة ثم امر رجاله ان تركب وتدور بني مرة وتضع فيهم السيف بفرد كرة ففعلوا ما امرهم به وسمع الحارث صياح اصحابه فقال يا للعرب هلكت والله سادات بني مرة ولم تنجح في هذه السفرة ثم انه حمل بهمة متعاقدة وعزيمة متعاضدة وحمل معه الربيع بن زياد بباقي اخوته ومن يعتمد عليهم من فرسان عشيرته وتعتمد الابطال وفرسان المعارك والقتال وكانت بنو عبس وعدنان قد حملت من كل جانب ومكان وفي اوائلهم عنترة بن شداد وابطال بني قراد . وكان ضياء الصبح قد ارتفع وشعاع الشمس قد سطع . فانتشبت الفرسان في ذلك البر واخذوا في الكر والفر هذا وقد هجمت الجموع على الجموع ولمعت الجواشن والدروع واصطدمت المئات والالوف وقطعت السيوف السواعد والكفوف وارتفع الغبار من كثرة الركض حتى غطى السماء والارض . وتمددت الابطال في الطول والعرض وازدحمت الخيول الاعوجية ونشبت الصوارم الهندية ونقصت الرماح السمهرية ونفذت في مقاتل الرجال سهام المنية وفعل عنترة في ذلك اليوم ما تعجز عنه فرسان الجاهلية وابطال الفرس الكسروية . فكان يطعن طعنات تسبق الانفاس وتخرق الزرد والدلاس

وتضرب ضربات تقطع الدروع والاتراس وينادي بالثارات الملك زهير وولده الامير شاس وكانت بنو عبس تنادي مثل نداه وتوصل الطعن من الاقدام الى الافواه وما زال الدم ينذل وجموع بني عامر تتفرق وتقلل الى ان اقبل الليل واسدل وولى النهار وارتحل ولما انصر خالد بن جعفر ان جيشه قد تمزق وتفرجمع سادات العشائر ومن يعتمد عليهم من فرسان بني عامر ورحل بهم طالبًا الاهل والديار . وفي قلبهِ لهيب النار ورجعت بنو عبس وهم في غاية الفرح والاستبشار بعد ما قتلوا منهم مقتلة عظيمة واصابوا منهم غنيمة جسيمة وقد استبشروا بالنصر والظفر وما فيهم الا من يثني على ابي الفوارس عنترة وكان عنتر يريد أن يتبعهم في ذلك البر الاقفر ويقلع منهم الاثر فمنعهُ الملك قيس عن في ذلك الشان وقال له يا حامية عبس وعدنان ارفق بالناس لانهم قاتلوا في هذا اليوم وصبروا واجتهدوا في المدافعة وما قصروا وقد امسوا في غاية العناء والتعب والهم والنصب وان است اختلطت بهذه القبائل تحت ظلام الغيهب شاركت قومك بهم في القتل والمكسب لانهم من غرباء العرب . وما فيهم من يعرف خصمهُ الا بالعلامة والنسب ونحن ليس قصدنا الا خالدًا بن جعفر الذي قد طغى وتجبر ولا بد ان نقصدهُ الى دياره ونطئ بحوافر خيلنا حواسب اقطاره فامتثل عنترة الى ذلك الخطاب لانهُ راه غاية الصواب ثم نزلوا في المضارب والخيام واكلوا ما راج من الطعام وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح الى ان اصبح الصباح واضاء نوره ولاح فعند ذلك اصرف قيس تلك الجموع بعد ما فرق عليهم السلاح والدروع وقال لهم سيروا بامان الى الاهل والاوطان ثم انهُ اصلح بين الحارث وحذيفة ورد الجميع مكرمين ومعهم الضعفاء والجرحى وسار قيس في اربعة الاف فارس من بني عبس وعدنان وجماعة من بني غطفان وهو قاصد بهم ديار بني عامر وتلك الاحزاب والعشائر وعنترة في اوائل القوم كانهُ الاسد وقد فرح بقلة العدد واطفأ لهيب ناره وبرد ولما تمادى بهِ السير تذكر ايامهُ مع الملك زهير فبكى من فواد متبول وانشد يقول

اذا نحنُ حالما شعارَ البواترِ | وسمرَ القنا فوق الجيادِ الضوامرِ
على حربِ قومٍ كان فيها كفاية | ولو انهم مثلُ البحارِ الزواخرِ
وما البحرُ في جمعِ الجيوشِ وانما | فخارُ الفتى تفريقُ جمعِ العساكرِ
سلي ... لاعمِ عبي وقد اتت | قبائلُ كلبٍ مع غنيٍّ وعامرِ
... ... تحت ... | قد ... ووقع ضربِ الحوافرِ
تولوا ... والقنا في ظهورهم | تشكّ الكلى بين الحشى والخواصرِ

الكتاب التاسع والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ويا لسيف قد خلفت في القفر منهم ... عظامًا ولحمًا للنسور الكواسر
وما راع قومي غير قول ابن ظالم ... وكان خبيثًا قوله قول ماكر
نعى وادعى أن ليس في الارض مثله ... فلما التقينا بان فخر المفاخر
احب بني عبس ولو هدروا دمي ... محبة عبد صادق القول صابر
وادنو اذا ما يبعدوني واتقي ... رماح العدى عنهم وحر الهواجر
تولى زهير والمقانب حوله ... قتيلاً واطراف الرماح الشواجر
وكان اجل الناس قدرًا وقد غدا ... اجل قتيل زار اهل المقابر
فوا اسفًا كيف اشتفى قلب خالد ... بتاج بني عبس كرام العشائر
وكيف ينام الليل من دون ثاره ... وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها السادات وما منهم الا من اثنى عليه وحيّاه وشكره على صدق وفاه وبعد ذلك جدوا في قطع البيداء طالبين ديار الاعداء وفي قلب عنترة من خالد النار لا تطفى واللهيب الذي لا يخفى . قال هذا ما كان من بني عبس وعنترواما ما كان من خالد بن جعفر فانه بعد وصوله الى الديار تفرق ما كان معه من الجنود والانصار في السهول والاوعار ولم يبق معه من شجعان العسكر سوى عشرة الاف فقالوا له الصواب يا خالد ان نختار على من يعرفنا قبل ان تصل بنو عبس الينا حتى اذا اشتد علينا الضيق دخلنا الى رؤوس الشعاب ومسكنا راس المضيق وطاولناهم بالحصار ولو انهم بعدد رمل القفار لانه قد زال عنا الكدر وبقينا الا من يتأمل حتى يعدم الصبر والنصر فقال ثم افعلوا ما بدا لكم وفق الله عملكم فبعد ذلك فعلوا ما عولوا عليه وعولوا وحصنوا النساء والبنين ولما كان عند ضوء الشمس اشرفت عليهم فرسان بني عبس وامتلأت بهم الروابي والتلال وسدوا منافس الهواء باسنة الرماح الطوال فسرت الرجال وركبت الابطال وركب خالد بن جعفر في مقدمة العسكر وتبادرت اليه الشجعان من كل جانب ومكان وراى خالد قلة عدده فرح واستبشر وايقن بالنجاح والظفر وبلوغ القصد والوطر ثم انه صاح وحمل بجسد قوي من نحس وصب ريات الملك قيس دون كل بطل . وتبعته صناديد الرجال وفرسان المعارك والقتال تنوب كالجبال وارتفع الصياح

من كل جانب ولمعت الاسنة والقواضب كلمع البرق في ظلام الغياهب وارتجت الوديان والسهول من ضجيج الفرسان وصهيل الخيول والتفت الرجال بالرجال وعملت الرماح والنصال وجرى الدم وسال وتقطعت المفاصل والاوصال وما زالوا في اشد قتال حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فعند ذلك افترقت عن بعضها العساكر وقد ربحت بنو عبس على بني عامر لان عنترة كان قد اشار على الملك قيس برد بني فزارة وذبيان ومن اجتمع معهم من قبائل العربان وبشرهُ بالنصر والامان ففعل في ذلك اليوم ما تعجز عنهُ مردة الجان ورجع من ساحة الميدان كانهُ شقيقة ارجوان مما سال عليهِ من ادمية الفرسان وهو ينشد ويقول

قفا ياخليليَّ الغداةَ وسلما ... وعوجا فان لم تفعلا اليومَ تندما
على طللٍ لو أنهُ كان قبلهُ ... تكلم رسمٌ دارسٌ لتكلما
اياعزَّنا لاعزَّ في الناسِ مثلهُ ... على عهد ذي القرنين لن يتهدَّما
اذا خطرَت عبسٌ ورائيَ بالقنا ... علوت بها بيتًا من المجدِ معلما
تراهم يعدُّون العناجيج والقنا ... طوال الهوادي فوق وردٍ وادهما
اذا ما ابتدرنا النهبَ من بعد غارةٍ ... اثرنا غبارًا بالسنابك اقتما
الا ربَّ يومٍ قد اخنا بدارهم ... اقيمُ بهم سيفي ورمحي المقوَّما
وما هزَّ قومٌ رايةً لقتالنا ... من الناسِ الّا دارهم ملئت دما
وانَّا ابدنا جمعهم برماحنا ... وانا ضربنا كبشهم فتحطما
بكلِّ رقيقِ الشفرتينِ مهنَّدٍ ... حسامٍ اذا لاقى الضريبة صمما
يفلِّقُ هامَ الدارعين ذبابهُ ... ويفري من الابطال كفًّا ومعصما

قال الراوي فلما سمع الملك قيس كلامهُ هنأهُ بالسلامة وقال لهُ لله درُّك ما افصح كلامك وامضى حسامك فشكرهُ عنترة على هذا التفخيم وزاد لهُ في التوقير والتعظيم واما بنو عامر فانهم رجعوا الى خيامهم وقد ايقنوا بشرب كاس حمامهم واجتمعت ساداتهم بخالد بن جعفر وشكوا لهُ ما لاقوا من سيف الامير عنتر فقال لهم والله يابني عمي ما عذركم الا واضح في هذا الاسود الكالح لانهُ هو الذي فتك بالابطال وانزل بهم الوبال وان لم اتولَّ انا الامر بنفسي واقاتل عن اساء جنسي والا هلكت عشائرنا وتفرقت عساكرنا . قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح وثب كلا العسكرين الى البراز والكفاح واذا بفارس قد برز من طائفة بني عامر كانهُ الاسد الكاسر وهو حديث السن اجرد امرد بعذارٍ منضَّد وخدّ

موردّ متقلد بحسام مهند معتقل برمح مسدّد راكب على جوادٍ اسود طويل الغزال يسبق الغزال فلما توسط المجال صال وجال بين الابطال ولعب برمحهِ العسال حتى حير عقول الرجال ثم دنا من طائفة بني عبس وعدنان وقال معاشرَ الشجعان وحق البيت الحرام وزمزم والمقام اني ما خرجت في هذا اليوم من الخيام الى قتال او نزال بل الى صيد الوحش في البراري والتلال وذلك من محبة امي اليَّ وشفقتها عليَّ فخالفتها في المقال واتيت اطلب مقام اعمامي في مواقف الاهوال فاما ان يكون ذلك لهلاكي ووبالي او لبلوغ امالي فلا تبرز لي الا فرسانكم المعروفة وابطالكم الموصوفة حتى اقضي شهوتي وأُجرّب فروسيتي ولا يبرز لي الا من يكون صاحبَ حسب ونسب من اعيان سادات العرب لاني من قومٍ كرام غير لئام قد اشتهروا بالشجاعة والكرم والفصاحة وعلو الهمم وان سالتم عني فانا عامر بن الطفيل فارس الخيل وملاعب الاسنة هو ابن خالتي ولولم يكن مجروحًا لما كان طاوعني على ارادتي ثم انهُ بعد ذلك المقال طلب الحرب والقتال وانشد وقال

لاتلجّي ياامُّ في اشفاقي   واصبري يومَ مصرعي للفراقِ
واتركيني اجدُّ في طلبِ المجدِ   بحدٍّ من السيوف الرقاقِ
واناديَ في ربعِ سوق المعالي   بعوالي سمر الرماح الدقاقِ
اين من يطلب الفخارَ ويدري   أنَّ هذا المقامَ مرُّ المذاقِ
فلعلي اطفي بحدِّ حسامي   نارَ حربٍ شديدة الاحراقِ
وأَردُّ العدى واعتق قومي   من أُسودٍ على خيولٍ عتاقِ
واخلي امي تضجُّ ضجيجًا   من بكاها ودمعها المهراقِ

قال وما فرغ من كلامهِ وشعرهِ ونظامهِ حتى برز اليهِ من بني عبس فارس شديد الباس يقال لهُ سابق بن الياس وصدمهُ صدمة قوية فالتقاهُ عامر بقوة وحمية وصاح فيهِ وضايقهُ وسد عليهِ طرقهُ وطرائقهُ وطعنهُ بالرمح في صدرهِ فخرج يلمع من غدارة ظهرهِ فوقع على الارض صريعًا يخبط بدمهِ وتخبطًا ثم طلب البراز وقصد سرعة الانجاز وهو يقول هيا يا ابطال الحجاز فبرز اليهِ فارس ثانٍ فالتقاه الامير عامر وانقض عليهِ كالعقاب الكاسر وضربهُ على عاتقهِ اطلع السيف يلمع من علائقهِ ثم اهتز طربًا وازداد بنفسهِ عجبًا واطلق لسانهُ بالكلام وقد زاد بهِ الغرام فشتمت بني عبس وعدنان وقال لهم انتم والله فرسان الزمان وابطال الضراب والطعان فابرزوا الي ابطالكم المشهورة وفرسانكم المذكورة ودعوني من برازِ الاندال الذين ليس لهم خبرة بالقتال ولا تحتقروني لحداثة سني بل اختبروني ببعض صناديدكم

وتحدثوا عني فلما سمعت ابطال بني عبس منهُ ذلك الكلام الذي هو انكى من ضرب الحسام ارتعدت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان فتبادروا اليهِ من كل جانب وطلبوهُ مثل السلاهب وهزوا في ايديهم القنا والقواضب وكان اسبقهم اليهِ فارس معتدل القوام كثير الابتسام كانهُ بدر التمام قد فاق على اقرانهِ بالفصاحة ورقة المعاني يقال لهُ قرواش بن هاني فانقض عليهِ اسرع من الطير وكان ذلك الفارس ابن عم الملك قيس بن زهير وهو اعظم من بني عمهِ قدرًا وافخمهم ذكرًا قد اجتمع فيهِ من خصال الكمال ما لم يجتمع في غيرهِ من الرجال وكان لما برز الى الميدان وتحققهُ الاقران وهو طالب عامر بن الطفيل وقفت فرسان بني عبس على ظهور الخيل ولما التقى بعامر حمل عليهِ كالاسد الكاسر فالتقاه عامر ودافاه وطلب كل واحد منهما خصمهُ ولاقاه واشتد بينهما القتال ولعبا بالرماح الطوال حتى تحيرت فيهما عقول الرجال . قال وكان عنترة قد استقبح خروج قرواش الى عامر في مقام القراع لما رآهُ قريب العهد من الرضاع ولم يعلم انهُ من الابطال الذين تضرب بهم الامثال قال وما زال الفارسان في اشد كفاح حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح ولم تكن الا ساعة من النهار حتى انكشف القتام وبان لاعين النظار واذا بعامر يقود قرواش اسير ويردهُ رد البعير فعند ذلك تصرت عنهُ الفرسان وهابتهُ جميع الاقران واراد عنترة ان يخرج اليهِ فسبقهُ دارم بن اسيد وهجم عليهِ فتقاتلا اشد قتال وثبتا اشد ثبات الابطال وقد هامت عليهما الآجال في بلوغ الامال وما زالا على ذلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالانسدال فرجع كل واحد منهما الى جماعتهِ وهو يصف لهم ما لاقى من قوتهِ وشجاعتهِ .

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح تواثبت الفرسان على ظهور الخيول واعتقلوا بالنصول وخرج عامر بن الطفيل وهو راكب على جواد اسود كانهُ الليل وكانت امهُ قد منعتهُ عن الخروج فلم يقبل وعذلتهُ فما انعذل فصال وجال ولعب برمحهِ العسال حتى حير بفعلهِ عقول الرجال وتذكر كلام امهِ لهُ وخوفها عليهِ من الوبال فانشد وقال

اسرفت امّ عامر في التنادي	من بكوري على متون الجياد
منعتني حرصًا عليّ وخوفًا	ان الاقي حتفي بحدّ الحداد
لاتنحبي يا أمُّ فالموت حتمًا	وهو في القرب مثل حال العاد
واتركيني اخوض بحر المنايا	بالخيول المضمرات الجياد
فاذا متُّ فاذكري ما لقيت	من فعالي بالنوح والتعداد
يا بني عبس ما لكم من حسامي	وسناني ولا من الموت فاد

فارجعوا او تقدموا تجدوني فارساً غير ضاجر بالطراد
سوف افني جموعكم بحسامي واترك الارض من دماكم غوادي

قال واراد عروة ان يتقدم اليه ويحمل عليه فمنعهُ الامير عنترة وقال له ارجع وتاخر لانك لست من رجاله ولا ممن تقدر ان تلتقيه في مجاله لانهُ شيطان في صورة انسان فدعني اقتلهُ من دون العباد وانال بقتله غاية المراد لانهُ قد اغاظني باعجابه وفرحه بشبابه وقد بت البارحة اتوقد بنيراني لاجل اسره قرواش بن هاني ثم تقدم اليه وصاح فيه وحمل عليه فرآهُ من اهل البراعة وهو في طبقة عالية من الشجاعة فقاتلهُ حتى اتعبهُ وطعنهُ بعقب الرمح اقلبهُ وقال لاخيه شيبوب اوثقهُ بالكتاف وشدّ منهُ السواعد والاطراف فبينما هو قد عوّل على ذلك الامر والشان اذا بكبشة ام عامر قد خرجت الى بين الشجعان ومعها جماعةٌ من العبيد والغلمان وهم يسوقون قرواش بن هاني الى عنترة الفرسان فلما صارت بين يديه سلمت عليه ونادت هيا يا وجه العرب وكريم الحسب والنسب انا اسالك بحرمة شهر رجب ان لا توثق ابني وتشد منه الاطراف ولا تذيقهُ الم الكتاف فخذ هذا صاحبكم واطلق ولدي ومهجة كبدي فلما سمع عنترة كلامها وراى شدة وجدها وغرامها اطلقهُ لها وازال عن قلبها الهم والضير ورجع بقرواش الى عند الملك قيس بن زهير فهناه بالسلامة وشكره على حسن اهتمامه واراد ان يامر بني عبس ان تحمل على ذلك الجحفل واذا بخالد بن جعفر قد اقبل وهو راكب على فرسه برقاء التي لا تتعب ولا تشقى ولما صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين نادى ويلكم يا بني زهير الى متى هذه الفعال وهلاك الرجال والابطال فانا هو الذي قتلت اباكم ولست براجع عنكم حتى ابيد اقصاكم وادناكم فابرزوا لي فرسانكم المشاهير وابطالكم المغاوير . ولا يخرج لي في الاول الا قيس دون كل احد لانهُ سيد عشيرته وعليه المعتمد وانا انا فقد عرفتم مكاني في بني عامر باني سيد القبائل والعشائر فكل من قتل منا صاحبهُ نال ما هو طالبهُ ويزول عنهُ العنا ويبلغ غاية القصد والمنى فلما سمع الملك قيس منهُ ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال واشتد به الغيظ والغضب وعوّل على الخروج اليه حياء من فرسان العرب فقال عنترة لا تخرج الى هذا الفرنان ولا تتعب بل انا اخرج اليه واسقيه كاس العطب . قال قيس لا وذمة العرب ورب البيت اذا طلب عدوي لاخرج اليه حتى اجيزه الله ونو شربت كاس الردى ثم انهُ استلب رمحهُ وحمل وطلب خالد مثل الفضاء النازل وفعل خالد مثل ما فعل ومن عظم ما جرى بينهما من الاحقاد والحسد لم يبد احد منهم شعراً ولا نطق بل حمل كل واحد منهم على صاحبه وانطبق وصاح فيه وزعق وجالا على ظهور الخيل السبق حتى ارتفع

عليها الغبار وتسردق وتقاتلا اشد قتال وتطاعنا بالرماح الطوال ومن عظم ما جرى بينهم من المكافحة والمجالدة صاح كل واحد منهما على اصحابه وطلب منهم المعاونة والمساعدة فعند ذلك حملت المواكب وصاحت الرجال من كل جانب وهزت في ايديها القنا والقواضب وبرزت الى ساحة الميدان بقلوب اقوى من الصوان واختلط بنو عامر ببني عبس وعدنان واشتبك القوم بين ضراب وطعان وكان اسبق الناس الى قيس عنترة الفارس النبيل واسبق الابطال الى خالد الربيع بن عقيل فحمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه بساعد شديد وقلب اقوى من الحديد وجالا واوسعا في المجال ونهما كما تنهم الاسود في الدحال وتطاعنا طعناً يقرّب الاجال وتشيب منه الاطفال هذا وقد تصادمت الرجال وتعاركت الابطال وتقدمت الفرسان الى نحو ملوكها مثل السحاب الهطال وعملت الرماح والنصال في المناكب والاوصال ودارت كؤوس المنايا من اليمين والشمال وكان عنترة قد جاول خصمه حتى اضجره واكربه وطعنه بالرمح في صدره فاقلبه فانطرح على الارض صريعاً يبج علقاً ونجيعا . ثم حمل عنترة على بني عامر كانه الاسد الكاسر فنكس الفرسان وشتت الاقران وحلق الجماجم عن الابدان وفرّق الناس عن قيس وخالد فراهما متقابضين كانهما شخص واحد وهما في اشتباك واعتراك وكانا قد اشرفا على الهلاك فهجم على خالد هجوم الليث الاغلب واندفق عليه كصاعقة الغضب واراد ان يقتله ويعجل من الدنيا مرتحله فاعترضه الربيع بن زياد وقال له لا تفعل يا فارس الطراد لانك ان قتلته تقع في الخسارة ويقتل صديقك مالك بن زهير واخي عمارة لانهما في قبضة القوم وقد اسرا في صباح هذا اليوم فلما سمع عنترة منه ذلك صعب عليه اسر مالك .

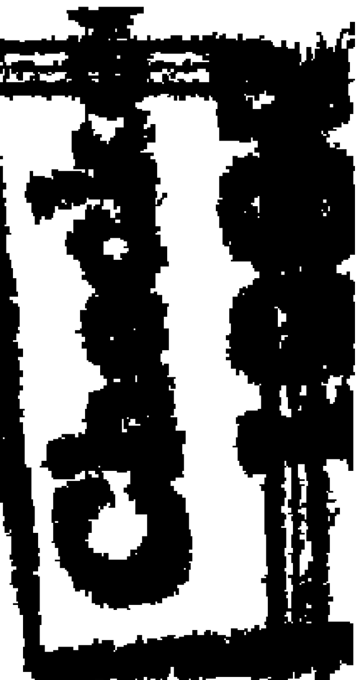
وكان شيبوب قد قبض على خالد وشد كتافه واوثق سواعده واطرافه ثم عاد عنترة الى الخيل ونزل عليها نزول السيل فطعن الفرسان وفرّقها وسفك الدماء واهرقها وشتت المواكب ومزقها وما مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار حتى انكسرت بنو عامر اشد انكسار وصعدت الى رؤوس الجبال طالبة الحريم والعيال وعادت بنو عبس وقد اشفت الغليل ولم يفتقد من ابطالها الا القليل ولما نزل القوم للراحة في تلك الساحة هنأ الملك قيس بالسلامة من المهالك واعلمه الربيع باسر عمارة واخيه مالك فصعب ذلك عليه وكبر لديه .

وقال والله ما اسرا الا بالامر المقدر لاجل خلاص خالد بن جعفر ثم استدعى خالدًا واعلمه بالخبر وطلب احضارهما منه وانهما يكونان فداء عنه فاجابه الى ذلك المرام بعد ما حلف له باعظم الاقسام انه لا يعود الى الغدر والخيانة بل يحفظ الذمام والامانة ثم اطلقه وفي قلبه منه نار لا تطفأ ولهيب لا يخفى فلما وصل الى اهله وعشيرته فرحوا بخلاصه وسلامته واراد ان

يطلق عمارة والامير مالك فلم يطاوعوه الى ذلك وقالوا له لا بد ان نصلبهما على قرون الجبال وناخذ منهما بثار من قتل لنا من الابطال فقال اني حلفت لقيس بالاله المكنون اني لا اغدر ولا اخون وبعد ذلك فانتم تعلمون ان اكبر مسراتي واعظم حاجاتي قلع بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان ولكن الزمان خانني والرب اخذلني وما اعانني ولا بد ان ابذل في هلاكهم المجهود واجمع عليهم كل عدو وحسود

قال فلما سمعوا كلامه علموا قصده ومرامه فطابت قلوبهم وانجلت كروبهم وقالوا اذا كان الامر على هذا الشان ولا تريد ان ترجع في الاقسام والايمان احضر هذين الاسيرين وخذ عليهما العهد والميثاق بانهما يضمنان لنا رحيل قومهما من هذه الافاق كما يقع الاتفاق وأكد عليهما في الاقسام ان يمنعا اهلهما عن قتالنا في هذا العام والا صلبناهما وانتقمنا منهما غاية الانتقام قال خالد اما هذا فاطاوعكم عليه وابادر قبلكم اليه ثم احضرهما الى بين يديه واعلمهما بواقعة الحال وطلب منهما ان يحلفا له بالاله المتعال ان يرحلا بقومهما من تلك الاطلال فحلفا له بذلك واشهدوا على انفسهما مالك المالك لانهما كانا قد ايقنا بالهلاك وما صدقا بالفكاك ثم ان خالدًا اطلقهما من الوثاق واركبهما على جوادين من الخيل العتاق فلما وصلوا الى بني عبس حدثوهم بما جرى لهما مع خالد واصحابه وما اقسموا عليهما به فقال قيس خذل الله بني عامر على افعالهم لان الغدر والكذب من اعمالهم قال الربيع لم يبقَ في الامر غير المسير وسرعة التشمير والصبر على هذه الشدة حتى تنتهي هذه المدة وبعد ذلك نرجع الى هذه المنازل والطلول بكل فارس بهلول ونقلع منهم الفروع والاصول فاستحسن قيس رايه واعجبه واستنسبه واستصوبه لانه علم ان القوم قد لجأوا الى الجبال والحصون وتثبتوا باذيال كل كهف مصون ثم عزم على الرحيل وامر بني عبس ان تاخذ في التحميل فامتثلوا امره في الحال واخذوا ما وصلت يدهم اليه من الاموال واوسقوا ما بلغت طاقتهم من نفائس الاحمال وساروا طالبين الاهل والعيال ولما تنادى بهم الترحال زاد بعنترة الوجد والبلبال فتذكر الاهل والاطلال وما قاساه في الغربة من الشدائد والاهوال وما جرى عليه من الفراق وفرط الوجد والاشتياق فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكتتم في ضمائره فانشد وقال

الا يا عبلَ قد زاد التصابي ولجَّ اليوم قومكِ في عذابي
وظلَّ هواكِ ينمو كلَّ يومٍ كما ينمو مشيبي في شبابي
عتبت صروف دهري فيكِ حتى فني وابيكِ عمري في العتابِ
ولاقيت العدى وحفظتُ قومًا اضاعوني ولم يرعوا جنابي



سلي يا عبلَ عنا يوم زرنا قبائل عامرٍ وبني كلابِ
وكم من فارسٍ خليت ملقى خضيب الراحتين بلا خضابِ
يحرك رجلــه رعبًا وفيــهِ سنان الرمح يلمع كالشهاب
قتلنــا منهم مئتين حرًا والفًا في الشعاب وفي الهضاب

قال نجد بن هشام فلما فرغ عنترة من هذا الشعر والنظام رقت الفرسان لارتجاله وما ابداهُ من حسن مقالهِ ثم جدوا في قطع القفار وعنترة يحرسهم في الليل والنهار الى ان قربوا من الديار فباتوا تلك الليلة في وادٍ كثير الشجر جميل المنظر فلما كان وقت السحر افتقدوا الامير عنترة فلم يقفوا لهُ على خبر فقلق الملك قيس لذلك وتحير وجرى على قلب مالك بن زهير من فقده ما لم يجرِ على قلب بشر وحس ان قلبهُ قد انفطر وكذلك اصاب اباه شداد واما عمارة واخوه الربيع بن زياد فانهما كانا افرح العباد فقال الملك قيس وحق ذمة العرب وشهر رجب لا ابرح من هذا المكان حتى اكشف خبر عنترة الفرسان لانهُ كاشف همي وغمي قال عمارة ومن هو هذا العبد القرنان حتى تعيق لاجلهِ سادات عبس وعدنان فقال قيس وقد اضطرم غضبًا واستشاط لهبًا ويحك يا عمارة اما تستحي بهذا المقال وتستغيب ابن عمك بالمحال وتشتمهُ بين الرجال وهو قد خلصك مرارًا عديدة من الاعتقال وما هو الا ابن عمك ان شئت او ابيت ولولاه لم يرتفع لاحد من العشيرة عماد بيت فلما سمع الربيع منهُ ذلك الكلام زاد بهِ السقام وذاب جسده وتفتت كبده وكثر لعنترة حسده غير انهُ اخفى الكمد وقال لقيس ايها الملك الهمام دع عنك هذا الكلام لان اخي كثير اللجاج في القول والاحتجاج والصواب ان نرحل الى الاطلال لاننا في غاية الشوق الى الاهل والعيال ومعنا جماعة جرحى من الرجال وهم في اسوإِ حال واما عنترة فما عليهِ من فزع لانهُ فارس صنديد لا يخاف الموت ولا يخشى حلول الفوت وانا اقول انهُ سبقنا الى الحلة ليتمتع بالنظر الى وجه عبلة فلما سمع قيس منهُ ذلك المقال علم انهُ يريد ان يلقي الفتنة بين الرجال فلم يعد يمكنهُ الانتظار بل رحل بالناس وسار طالبًا الاهل والديار الى ان وصلوا الى الاطلال وتباشرت الاحياء بقدوم الرجال واجتمعت النساء بالفرسان وفرحت الاصدقاء والخلان وسال الملك قيس عن عنترة فلم يقف لهُ على خبر فاستشاط غضبًا وتكدر وقال وحق خالق البشر لقد ظلموا الرجل وتحدثوا فيه بشيء ما فعلهُ ولا تدعهُ مروتهُ ان يعملهُ . وسمع مالك ابو عبلة من بعض البنات ما جرى لعنترة ولابنتهِ من الحكايات وكيف انهم لما رحلوا الى بني عامر اجتمع بها مع باقي النساء الحرائر وبات وهو لهنَّ يحادث ويسامر فقال لزوجتهِ ويلك لقد حلت بنا العبر وتحدثت بابنتك

سائر البشر لانك استحسنت لها الوقوف امام عنترة والحديث معهُ كلما جاء من السفر وتعلميها ان تطالبه بالهدية والمال ولقد فضحتني بهذه الفعال امام الرجال والابطال ثم انهُ عول ان يضربها بالحسام وينتقم منها غاية الانتقام فرقت لهُ في الكلام وقالت لهُ يا ابن العم اني قد تركت اللجاج عند ما رايتك قد انعمت لهُ بالزواج وقلت لهُ هذه قد صارت زوجتك في السر والعلن ومكنتهُ من الدخول الينا قبل مسيرك الى بلاد اليمن والان ما دام قلبك قد تغير عليهِ ما بقيت امكن ابنتي من النظر اليهِ فقال لها وقد ضاقت منهُ الانفاس اني ما كنت افعل ذلك على اعين الناس الا لاجل زهير وولده شاس والان قد مضى ما مضى وزال العنا وانقضى لانهُ لم يبقَ لذلك العبد من ينصرهُ ولا من يشتد معهُ ويذكره وانا وحق ذمة العرب لا زوجت ابني الا لسيدٍ من سادات العرب لان عنترًا قد اضحى في حالة العدم وشرب كاس النقم وبعد ذلك ان سلم من الاخطار ورجع الى الديار وسمعت ان واحدة منكنَّ ارسلت اليهِ او سلمت عليهِ ذبحتها وحق البيت الحرام ذبح الاغنام

قال ولما كان من الغد قدم حذيفة بن بدر واخوتهُ ومعهُ جماعة من فرسان عشيرته وهنأُوا الملك قيسًا بسلامتهِ وسالوه عما جرى لهُ في غيبتهِ فاوقفهم على حقيقة الخبر واعلمهم بما دبر خالد بن جعفر ثم صنع لهم وليمة عظيمة وعلم حذيفة بفقد عنترة وهو في ذلك المحضر فاستوحش لهُ وشكرهُ واخفى في قلبهِ خلاف ما اظهره

قال نجد بن هشام . واخذ الناس في اكل الطعام وشرب المدام ومذاكرة الاخبار ومناشدة الاشعار وما زالوا على مثل ذلك الى نصف النهار واذا بالصياح قد علا في الحلة من سائر الاقطار والارض ارتجت من صياح العبيد والاحرار فسال قيس عن ذلك الخبر فقيل لهُ قد [illegible] شيبوب واخوه عنترة . قال الراوي . وكان عروة بن الورد قد ركب وخرج الى عنترة حتى التقاه واستقبله وهناه واعلمهُ بجلية الخبر وما دار بين قيس وعمارة من الكلام المنكر الا ان قيسًا لما سمع بقدوم عنترة فرح واستبشر وقال لهم احقٌ ما تقولون فقالوا اي نعم وحق من لا تراه العيون ومن قال للشيء كن فيكون وما كان الا ساعة حتى اقبل عنترة وعيناه تقدح بالشرر فتقدم الى قيس و[illegible] عليهِ واشار [illegible] اليهِ فسالهُ عن حالتهِ وما جرى لهُ في غيبتهِ فقال اني كنت في خدمتك [illegible] يستحق ان يجازى [illegible] يرفع له راس ولا يحترم لانهُ خبيث الطبع ردي الاصل والفرع [illegible] قيس [illegible] البطل [illegible] اسمع حديثي [illegible] باخي وناسي [illegible] وذهبت [illegible] فقدموني وسلموني [illegible] ووجدتموني كنت في الحرس خوفًا عليكم من طارق [illegible] الايام كثيرة البوائق [illegible]

انا كذلك اذ لاح شبح تحت جنح الليل الحالك فقصدته بسرعة واهتمام واذا برجل اعرابي راكب على فرس كانها ذكر النعام وهي تهتف به تحت ستور الظلام فتقدمت اليهِ وصحت عليهِ وسالتهُ عن حالهِ وكيفية احوالهِ فقال اني رجل قحطاني قد اتيت مستغيثًا ببني عبس على ما دهاني وقصدي ان اسال الربيع بن زياد ان ينصرني على الاعداء الاوغاد لان بيني وبينهُ صداقة قديمة ومحبة جسيمة فلما سمعت مقالهُ . قلت لهُ ما الذي جرى عليك ومن هو الذي اوصل شره اليك فاخبرني بواقعة الحال وابشر ببلوغ الامال لانى من بعض عبيد الربيع صاحب الفضل والنسب الرفيع فقال اعلم ايها الفارس الامجد ان اسمي بشاره بن معبد ولي بنت بديعة المنظر ابهى من الشمس وازهى من القمر . قد خطبها مني بعض سادات العرب فاجبتهُ الى ذلك الطلب واخذت من مالي مائة ناقة وجمل وقلت في نفسي اني ابيعها في بعض القبائل والحلل واشتري بثمنها ما اجمل ابنتي واستر عورتي فبينما انا في بعض الطريق دهمتني خيل غائرة فاخذت النوق مني واعدمتني السعادة والتوفيق وهربت انا على ظهر هذه الناقة بعد تلك الشدة وقد علمت ان القوم من بني كندة ولما صرت في هذا المكان قلت في نفسي اني اقصد ديار بني عبس وعدنان واستعين بالربيع بن زياد واطلب منهُ المساعدة والامداد الى ان التقيت بك في طريقي وذكرت لي بانك من بعض غلمان صديقي واريد ان ابصر ما تعمل في حقي والا ضاعت جمالي وانقطع من الدنيا رزقي فلما سمعت كلامهُ قلت لهُ ابشر يا وجه العرب بالمطلوب ونوال القصد والمرغوب فاني انوب عن مولاي في هذه الخدمة ولا ادعك تكلمهُ فسر الان واجمعني باعداك حتى ابلغك مناك فسار بين يدي في ذلك البر الاقفر وانا وراءه على الاثر الى ان لاح ضوء الصبح واسفر فالتقينا بالقوم على ماء بني قريظ وارض النير وكانوا اربعين رجلاً ما منهم الا من يلقى جحفلاً فقتلت منهم نحو خمسة وعشرين من الابطال وانهزم الباقون في البراري والتلال ورددت للرجل نوقهُ وجمالهُ وبلغتهُ امالهُ وقد نال غاية المراد ورجع وهو شاكر لبني زياد ورجعت انا وقد بنيت لهم من المجد بيتًا رفيع العماد فبلغني انهم قد ذكروني بالخنا وعيروا امي بالزنا فهل هذا المقال جزاء هذه الفعال ثم ان عنترًا التفت نحو عمارة بن زياد وقال لهُ يا نسل الاوغاد وحق من كسا الليل حلة السواد وتنزه عن الزوجة والاولاد وانبع الماء من الصخر الجماد ان لم تنته عن هذه الاعمال والا قطعت منك الاوصال فلما سمع عمارة ذلك المقال لعبت الخمرة براسهِ واستحى من ندمائهِ وجلاسهِ فوثب جالس على الاقدام وسل في يده الحسام وقال لهُ ويلك يا ابن الحرام ونسل اللئام لا بد لي ان اسقيك كاس الحمام ثم انهُ صاح في عنترة وطلبهُ والسيف في يده مشهر فتبادر اليهِ

الرجال وردوه عن ذلك الحال وتقدم اليه الربيع وفاجاه ولطمة على قفاه بخبثه ودهاه وقال
له هذا جزاء ابن عمنا كاشف همنا وغمنا وكان عنترة قد خرج عن دائرة الاعتدال لما سمع من
عمارة ذلك المقال فصاح فيه وقال والله يا عمارة ما كنت اريد الا ان تبرز للقتال في
مكان خال من الرجال حتى ترى الناس فعالك من فعالي و يذكرون ما يجرى بيننا على ممر
الايام والليالي ثم انه الوى عنان حصانه وطلب اهله وخلانه فلما وصل الى الابيات التقته
النساء والبنات ومن جملتهن امه زبيبة وهي مسرورة بلقاه لانها لم تكن تصدق ان تراه وكانت
قد سمعت بغيبته وما جرى له في سفرته فاقبلت اليه وسلمت عليه وضمته الى صدرها وقبلته
بين عينيه وقالت له يا ولدي ومهجة كبدي احب الي ان تبقى في الاطلال ترعى النوق والجمال
وعليك اسم العبودية فهي اهنأ على قلبي من هذه الشجاعة والفروسية لانك لم تزل تلقي نفسك
في كل بلية حتى تذوق كؤوس المنية واصير اندب عليك مع الثاكلات وأواظب الاحزان
والحسرات فلما سمع مقالها رق قلبه لها ثم جلس في الخيام وقضى وقته بشرب المدام وقد خف
ما به من الوجد والغرام . قال هذا ما كان من عنترة بن شداد واما ما كان من الربيع بن
زياد فانه كان قد اشتعل قلبه بنار وطار من عينيه الشرار وقل منه الاصطبار غير انه اخفى
ما في قلبه من الكمد واظهر الصبر والجلد والتفت الى الملك قيس بعد ذهاب عنترة من ذلك
المحضر وقال والله يا ملك الزمان ما بقي يلذ لنا عيش ما دام اخي وعنترة يختصمان والصواب
انهما يفترقان ولا يعودان يجتمعان في مكان وقد خطر لي خاطر . ان انا فعلته انفصل الحال
وبطل القيل والقال ولكن اليوم خمر وغداً امر لا سيما ان سادات بني بدر عندنا ثم انهم
عادوا الى ما كانوا عليه من الحديث الاول ولم يزالوا على مثل ذلك العمل حتى مضى النهار
وارتحل ودخل الليل وانسدل وعمل الخمر فيهم اوفى عمل ولما كان الصباح انتبهوا من نشأة
الراح فاحضروا الطعام واكل الخاص والعام وبعد ذلك رحل حذيفة مع من يلوذ به من
اهله واصحابه ورحل ايضاً من بعده الربيع واخوته ومن يتعلق به وتبعه من بني عبس اوفى
من خمسمائة فارس من كل ليث عابس و بطل مدعس ونزلوا في وادي اليعمورية وكانوا
جميعهم يبغضون عنترة ويضمرون له الاذية ويحسدونه على ما اعطاه الله من الشجاعة والفروسية
ولما بلغ الملك قيس ذلك الخبر صعب عليه وكبر لديه وجمع سادات بني عبس الكرام
وقال لهم يا بني الاعمام انتم تعلمون ان بني زهير اكرموا عنترة بنفسه وشاركه في
حسبه وجعله نديمه وسميره وكفيه ونقله من رق العبودية واعطاه الحرية وفضله على جميع
فرسان الجاهلية لانه من اوحد الفرسان واشجع الشجعان والان قد جرى بين عمارة وعنتر

ما قد اشتهر ورحل الربيع عن الاوطان كيدًا من عنترة وقد اخذته الغيرة وانا كنت في غاية الخوف من وقوع الشر بسببها في العشيرة . قال ثم ان قيسًا قام يكابد وجدهُ وهو شديد الجبان لان عنترة عندهُ ولم ينكر على الربيع شيئًا من فعالهِ ولم يعاتبهُ على سوء اعمالهِ وكان في اكثر الاوقات يقدم اليهِ ويضحك في وجههِ ويعتذر اليهِ وكان كثيرًا ما يراعي اخبار خالد بن جعفر ويرسل الجواسيس الى بني عامر لتعلمهُ بحقيقة الخبر الى ان بلغهُ انهُ قصد شيخ العرب واميرها وسيدها ومشيرها وقائد جيوشها وغفيرها صاحب العزيمة والهمة دريد بن الصمة سيد بني هوازن وجشم وهمذان واوحد العصر والاوان وطلب منهُ المساعدة على قتال بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فوعدهُ بنصرتهِ وانهُ يكاتب قبائل العرب ويامرها بطاعتهِ والمبادرة الى خدمتهِ ويمدهُ بعشرة الاف فارس من ابطال عشيرتهِ يلقى بها اهل الحجاز جمعًا ويقمع بني عبس من الدنيا قمعا وكان هذا دريد من جملة المعمرين وقد بلغ من العمر مائة وعشرين وكانت العرب تسميهِ رحاة الحرب وتطيعهُ في كل امر صعب . قال ولما بلغ الملك قيس ذلك الخبر استشاط غضبًا وتكدر وقال هذا والله القلعان الاكبر فاستدعى سادات بني عبس الاخيار واعلمهم بما وصل اليهِ من الاخبار فقالوا ايها الملك الهمام لا تخشَ علينا من الحمام فوحق البيت الحرام و زمزم والمقام لو اتانا بجيوش الانام لا نموت الا ونحن كرام نعد ما نحمي حريما والاولاد ونروي من دماهم الصوارم الحداد فقال عنترة طب نفسًا فوحق تربة الملك زهير لاتركنَّ بني عامر الذل والصير والقاهم بالفي فارس من بني عبس الاشاوس واخذ اسلابهم واموالهم واسبي حريمهم وعيالهم فلما سمع قيس كلام عنتر فرح واستبشر واستعد من ذلك اليوم لقتال القوم وكان قد افتقد السلاح وآلة الحرب والكفاح فوجدها قليلة فاقام عمهُ اسيد مكانهُ في القبيلة وسار في مائة فارس من صناديد الرجال وفرسان المعارك والقتال واخذ معهُ قطعة من النوق والجمال وهو طالب ان يبيعها في بعض العشائر ويشتري بثمنها العدد والمغافر لاجل قتال بني عامر وما زال يقطع البيداء الى ان اقبل على مدينة يثرب عند المساء وكان اميرها من سادات العرب اصحاب الحسب والنسب الذين انتشر صيتهم وارتفع قدرهم وكان من ابطال الحرب والكفاح اشتهر بالكرم والسماح يقال لهُ أُحيحة بن الجلاح وكان بينهُ وبين قيس صداقة قديمة ومحبة عظيمة فدخل قيس اليهِ وسلم عليهِ فتلقاه بالاحترام واكرمهُ غاية الاكرام وسالهُ عن حالهِ فاخبره بجميع احوالهِ وانهُ قد اتى في طلب السلاح والزرد والمغافر والعدد ثم قال لهُ قد بلغني ايها الامير والسيد الخطير ان عندك درعًا ضيقة الزرد لا يفعل فيها الصارم المهند واريد ان تبيعني اياها وتهديها

لي لا نال بها غاية قصدي واملي وانا اعطيك عوضها من التحف الحسان و يواقيت البهرمان ما لا يوجد عند ملك ولا سلطان فلما سمع أُحيحة كلامهُ تبسم واشار اليهِ وتكلم ايها السيد المعظم وحق خالق البشر لولا خوفي من مذمة خالد بن جعفر كنت وهبتها لك في الحال ومعها قطعة من النوق والجمال فقال قيس ياسيد العرب ومولاها لاي سبب يذمك خالد بن جعفر اذا وهبتني اياها قال لانهُ كان قصدني من مدة ايام ومدحني بابيات الشعر والنظام وطلبها مني فلم اجبهُ الى ذلك المرام بل اعطيتهُ غيرها وصرفتهُ عني بسلام واخاف ان انا وهبتك اياها وبلغهُ الخبر يرجع يذمني بعد ذلك المدح المفتخر فقال وما هو الشعر الذي ذكرهُ انشدني اياه حتى اسمعهُ واختبره قال هي هذه الابيات

اذا ما طلبت العزَّ من آل يثربٍ فنادِ ابا عمروٍ أُحيحة يسمعُ
وقم تحت ظلِّ اليثربي فانهُ اذا قمت فيهِ خاف باسك تبعُ
وانصرتُ اساسًا على نور وجههِ لثامٌ تغيب الشمس فيهِ وتطلعُ
بني في العلى والفخرِ والمجد منزلاً لهُ فوق اكتاف السماكين موضعُ
وان هزَّ في يوم الكريهة سيفهُ رايتَ شعاعَ الموتِ في السيف يلمعُ
وان وَهبت كفاهُ والغيث هاطل يدوم عطاهُ والسحائب تقلعُ
ويأمنُ في ابياتهِ كل خائفٍ ويشبع من نعماه من ليس يشبعُ
مناقبُ في الجلّاحِ كانت قديمةً فسارَ عليها إبنهُ يتبعُ

قال محمد بن هشام فلما سمع قيسُ هذا الشعر والنظام قال والله ليس عليك من ملام بعد هذا الكلام ثم اقام عنده مدة ثلاثة ايام في عزٍّ واكرام وفي اليوم الرابع ودّعهُ وذهب وقصد قبائل العرب واشترى سلاحاً كثير المقدار ثم ارتدَّ راجعاً طالباً الديار فمر يثرب في اثناء طريقهِ فبات عند أُحيحة صديقهِ فنحر لهُ النوق والاغنام وقدم لهُ انواع الطعام فاكلا وشربا ولذا وطربا وبعد ذلك انعكفا على شرب المدام وسماع الانغام ولما لعبت بهم الكؤوس ودارت الخمر في الرؤوس التفت أُحيحة على قيس وقال اعلم ايها السيد المفضال اني لا اريد ان اضيع حق قدومك عليَّ وقصدك من دون الناس اليَّ وذلك لاجل ما بيننا من المحبة والصداقة والنصيحة وقد خطر لي ان اهديك ذلك الدرع الفاخر الذي لا تقطع فيهِ السيوف البواتر واطلق عليه اسم ليس في العساكر حتى اذا سمع خالد بن جعفر هذا الحديث والخبر يعذرني بين الانام ولا يكون لهُ سبيل لذمي فلما سمع قيس كلامهُ تم قصدهُ وبلغ مرامهُ ثم ان أُحيحة اعطاه الدرع المذكور فسرَّ به قيس غاية السرور وشكر أُحيحة على حسن صنيعهِ

ولما كان الصباح ودع الملك قيس أحيحة بن الجلاح وجدّ في قطع البطاح ولما قارب الديار انفذ الى الحلة ما كان معهُ من الخيل والسلاح والعَدَد والرماح وطلب صدر البرية قاصدًا وادي اليعمورية وهو المكان الذي نزل فيهِ الربيع مع اخوتهِ . ومن معهُ من اهلهِ وعشيرتهِ وكان ذلك الزمان زمانَ الربيع والارض منقوشة بالوان زهرها البديع . ولما بلغ الربيع قدومهُ ركب اليهِ في الحال واستقبلهُ احسن استقبال وسالهُ عن حالهِ وفي اي جهة كان فاعلمهُ بذلك الشان وقال لهُ ما اتيت الان الى هذا المكان الا لاجل زيارتك حتى اعلم ما في نيتك من حرب بني عامر والاتحاد معنا على قتال تلك الاحزاب والعشائر فقال الربيع قد بلغني ان خالدًا القى بنفسهِ على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة وقد ضمن لهُ قتل رجالنا ونهب اموالنا وسبي حريمنا وعيالنا والان قد انصرم فصل الشتاء وما بقي غير اخذ الاهبة لقتال بني عامر وجشم وان لم نساعد بعضنا في هذا الامر المنكر شمتت بنا قبائل ربيعة ومضر فقال قيس جزاك الله يا عم خيرًا ولا اراك سوءًا ولا ضيرًا ثم ان قيسًا عزم على المسير وسرعة التشمير فمنعهُ الربيع وكان قد رأى حقبة مملوءة تحتهُ فقال لهُ ما الذي في حقبتك هذه واين هو السلاح الذي اشتريتهُ قال ارسلتهُ مع العبيد الى الديار واما حقبتي هذه ففيها ما يدهش الابصار ويحير الافكار فلما سمع الربيع ذلك المقال تبسم واظهر المحال وقال والله ما ادعك ترحل من هذا المكان حتى ابصر ما معك من التحف الحسان فعند ذلك اناخ قيس ناقتهُ وتناول حقبتهُ واخرج منها ذلك الدرع المنيع واراهُ للربيع فلما راهُ اندهش واندهل وطار عقلهُ وتخبل وقال من اين لك هذا الدرع الذي لا نظير لهُ في دروع الجبابرة ولم يكن مثلهُ عند ملوك الاكاسرة والقياصرة قال هذا درع أُحيحة بن الجلاح الفارس الجحجاح . وقد زرتهُ في هذه الايام فاضافني ثلاثة ايام واحتفلني غاية الاحتفال وطلبتهُ منهُ فاهداه لي في الحال فقال الربيع وحق الاله المتعال لقد سمح هذا الرجل المفضال بما لم تسمح بهِ نفوس الرجال ووهبك تحفة لا تقوَّم باموال ثم ان الربيع بعد ذلك الكلام افرغهُ على جسده ودخل الى الخيام وخرج وهو متقلد بالحسام وقال لقيس وحق ذمة العرب وشهر رجب ان الزمان يأتي بكل عجب وهذا درعي يا ابن الكرام قد سرق مني في هذه الايام والان قد رجع الحق الى اصحابهِ وعاد السيف الى قرابهِ فلما سمع قيس كلامهُ عرف مرامهُ فعبس وقطب وبان في وجههِ الغضب لما فعل معهُ من سوء الادب وقال لهُ ما هذا التعدي والهذيان الذي بهِ تبتدي فدع عنك الغدر ولا تضيع ما بيني وبينك بهذا القدر ثم انهما تشاجرا بالكلام حتى اشتد بينهما الخصام واجتمعت عليهما الرجال وكثر القيل والقال هذا وعمارة يقول لقيس دع

حاميكم عنترة ياتي لهذا المكان ويخلص لك حقك بالسيف والسنان لانه درعك وحسامك وقد اذخرته لصروف لياليك وايامك فلما راى قيس كثرة العدد علم انهم يطلبون له الشر والنكد فارتد راجعاً الى الديار وقد اشتعل قلبه بنار ولما وصل الى حلته اجتمع بزوجته وقص عليها ذلك الخبر وما فعل ابوها معه من الامر المنكر فقالت له ابنته الجمانة وكانت من اعقل اهل زمانها وفريدة عصرها واوانها يا ابتاه انا ارد عليك درعك ولا تعرفه الامني لان جدي يحبني واذا طلبته منه لايمنعه عني ثم انها ركبت من تلك الساعة واخذت معها من العبيد جماعة وسارت بهمة وحمية حتى وصلت الى وادي اليعمورية ودخلت على جدها الربيع في الحال وكان الربيع يحبها لاجل ما فيها من الحسن والجمال وفصاحة المقال . فلما راها قام لها على الاقدام . واكرمها غاية الاكرام وزاد لها في التعظيم والاحترام . فقالت له ياجداه اسمع مقالي ورد على ابي درعه واقبل فيه سوالي لانه قد تكدر من فعلك . وغضب على امي . وخاصمها لاجلك وحلف انه لايغسل ثوبه ما لم يرد درعه اليه . وانا خائفة من هذا الامر عليك وعليه فلم يلتفت الى مقالها ولم يجبها الى سوالها بل قال لها دعي عنك هذا الكلام فاني لا ارد الدرع الا بعد ضرب يقد الهام ويترك الناس بين لحوم وعظام . فلما سمعت كلامه ركبت ناقتها وطلبت حلتها ولما وصلت الى الاطلال اعلمت اباها بواقعة الحال فاضطرم غيظاً واستشاط لهباً . وقد عظم الامر عليه واسودت الدنيا في عينيه وقال وحق الكعبة الحرام وما عليها من الالهة والاصنام لاغسلت راسي ولا غيرت لباسي حتى اخذ بثاري واكشف عني عاري واقيم الحرب في هذه الايام واقتل اعدائي بحد الحسام

قال الاصمعي ولما بلغ ابا الفوارس عنترة ذلك الخبر صعب عليه وكبر لديه وقد زاد غضبه ودخل على قيس وعاتبه وقال لماذا ترضى لنفسك هذا الحال وتصبر على الجور والاذلال وانت ملك عظيم الشان وبين يديك الابطال والفرسان فوحق ذمة العرب وشهر رجب لو كنت اعلمتني بهذا الامر والسبب لكنت خلصت درعك من بني زياد غصباً واشبعتهم طعناً وضرباً فقال قيس ولاجل ذلك ما اعلمتك بهذه القصة وتجرعت وحدي تلك الغصة خوفاً من تهييج الفتن ووقوع الشر والاحن فلما سمع عنترة ذلك الخبر استشاط غيظاً وتحسر واحس ان قلبه قد اضطرمت فيه نار الغضب وقد زاد به الغيظ والغضب واستدعى شيبوباً اليه وقص ذلك الخبر عليه وقال له اعلم يا اخي انه يجب ان تسير في الحال بما جرى وكان وما جرى لي الامن عمارة المحتال وقومه لقيس دع عنترة ياتي الى هذا المكان بمن معه من الفرسان ويخلص لك حقك بالسيف والسنان لانه درعك وحسامك وقد ذخرته

لصروف لياليك وايامك وانا وحق الملك المتعال لولا خوفي من عتب الملك قيس لكنت قصدته في الحال وانزلت بهِ و باخيهِ النكال و بلغت بقتلهما غاية الامال لانهما مجبولان على النظاظة والمكر والخبث والغدر واريد منك الان المساعدة في التدبير حتى اطفىء مابقلبي من اللهيب والزفير . فقال شيبوب ابشر يافارس العرب ببلوغ الارب وهو ان تخرج معي هذه الليلة الى البرية ونقصد وادي اليعمورية ونكمن في جوانب ذلك الواد لعلنا نظفر باحد من بني زياد الاوغاد يكون قد خرج على انفراد فنقبض عليهِ ونوصل الاذية اليهِ ونعود بهِ الى الاطلال ولا نطلقهُ من الاسر والاعتقال الا انهُ يفدي نفسهُ بالدرع ونكون قد فزنا بالمطلوب ونلنا غاية المرغوب فلما سمع عنترة منهُ ذلك الخطاب رآهُ عين الصواب وقال وحق رب الارباب لقد خطرت ببالي هذه الامور والاسباب وانا اطلب من الله ان يبلغني ما اتمناهُ حتى انال غاية مرادي واطفئ بعذاب عمارة غليل فوادي ثم انهما صبرا حتى اقبل جيش الليل وشمر للهزيمة جند النهار الذيل فركبا ظهور الخيل وسارا بنخوة وحمية قاصدين وادي اليعمورية وما زالا على ذلك الحال حتى اقتربا من تلك الاطلال واذ قد ظهر لهما جواد قائم وبين يديهِ انسان نائم وعليهِ ثياب جميلة وعمامة طويلة فقال شيبوب لاخيهِ عنترة لاشك ان هذا الرجل قد تاه في هذه الاكام وقد ادركهُ المساء فنام ثم تقدم اليهِ وصاح عليهِ فانتبه وقد انذعر وعيناهُ تقدح بالشرر وقال يامولاي اراك عدتَ على عجل بخلاف تلك الليالي الاول أقضيت الوطر وتمتعت من عبلة بالنظر ام انكر احد امرك فعدت على الاثر قال فلما سمع شيبوب ذكر عبلة خفق قلبهُ و زاد رعبهُ وكذلك جرى على عنتر فانهُ انذهل وتحير وسل السيف من غمدهِ وهزّهُ بيدهِ حتى بانَ الموت من افرندهِ وقال لهُ ويلك يا ابن اللئام لمن تعني بهذا الكلام ومن انت من العرب الكرام فقال الرجل وقد طار من عينيهِ المنام لما نظر الى بريق الحسام تأنَّ ياغلام واعطني الذمام حتى احدثك بقصتي واعلمك بحاجتي فلست انا باميرٍ ولا بسيد خطير بل انا عبد من عبيد هذه البلاد لرجل يقال لهُ عمارة بن زياد وهذه فرسهُ وعدتهُ وعمتهُ فقال شيبوب الى اين مضى وذهب يا اخا العرب قال الى ديار بني عبس الاجواد ليتمتع برؤية عبلة بنت مالك بن قراد لانهُ يحبها و يشتهيها ومن فرط محبتهِ لها يقطع القفار في اخر النهار وانا صحبتهُ مثل الاسد المدار حتى اذا وصلنا الى الروابي يخلع ثيابهُ ويلبس ثيابي و يسير وحدهُ وهو فريد و يدخل الى حلة بني قراد في زي العبيد ولا يزل يدور بين اطناب الخيام الى ان يقع نظره على عبلة بدر التمام ثم انهُ يعود اليَّ وقت السحر ويطلب الرواح واكثر الليالي ياتي عند الصباح فقال

له شيبوب ويلك يا عبد السوء اما تنكر عليه عبيد بني قراد قال العبد ان له هناك عبيد
واصحاب يرشيهم بالمال والثياب فيخفونه بينهم اذا دخل و يساعدونه على بلوغ الامل فقال
شيبوب ان هذا الحديث الذي تبديه لا نعرف معانيه وانما انت تحدث بذلك من الفزع
والخوف والهلع فاخلع الان الثياب التي عليك والا اخذت راسك من بين كتفيك لاننا
قوم غرباء من بلاد بعيدة وقد اتينا الى هذه الارض ولنا فيها مدة مديدة ونحن نطلب شيئاً
نكسبه او مالاً ننهبه ولنا على هذه الحالة ايام قلائل ولم نظفر بطائل فاخلع ثيابك واطلب
اهلك قبل ان تهلك فلما سمع العبد ذلك الكلام ولاح له لائح الحمام خلع الثياب والعمامة
وسلم الجواد والحسام وانطلق بسلام هذا وقد تعجب عنترة من ذلك الاتفاق العجيب والامر
الغريب وقال لشيبوب ان الامر قد تسهل وما بقي غير اخذ عمارة الى الطلل وقد بلغنا
غاية الامل ولا اطلقه الا بعدما اشفي فوادي منه بالضرب الوجيع واخلص به درع قيس
من الربيع فلما سمع شيبوب من اخيه ذلك الخطاب قال ليس هذا بصواب لاني اخاف ان
يحالسنا في الطريق ونعدم السعادة والتوفيق وانما الراي ان نقيم في هذا المكان ساعة من
الزمان حتى اذا جاء قبضناه واشبعناه ضرباً واوثقناه ثم ان شيبوباً لبس ثياب عمارة وانطرح
مكان العبد على تلك الحجارة وما زال كذلك الى ان ذهب اكثر الليل وطلع نجم سهيل
واذا بعمارة قد اقبل وهو يهرول على عجل فلما ابصره جواده حمحم وصهل فقال عمارة جئتك
يا صهال بعد ما شاهدت عبلة ذات الحسن والجمال وفزت منها بالمطلوب وشفيت غليل
قلبي من المحبوب ثم انه تقدم الى نحو شيبوب وقال له لعن الله قومك ما اكثر ومك قم
اخلع ثيابي قبل ان يدركنا الصباح ونحن في هذا البطاح ثم خلع ثياب العبد بعد تلك
المقالة وابصره شيبوب وهو على تلك الحالة فوثب اليه وثبة الاسد الغضنفر والسيف في يده
مشهر وقال له ادر كتافك يا غدار واترك عنك ذكر العبيد والاحرار والا جرعتك الموت
بحد هذا الحسام البتار ثم رفع يده وضربه واذا بعنترة قد سبقه وطلبه وشد كتافه وقوى سواعده
واطرافه وقال لاخيه شده على فرسه بالعرض وسر بنا من هذه الارض فقال عمارة وقد ايقن
بالهلاك والعطب لا تفعلا يا وجوه العرب وشروا بالاموال والذهب وبلوغ الارب واسترا
عورتي ولا تتعرضا لاذيتي فانا رجل زري خال ولا تنيلا مالي عمارة بن زياد وقومي هم
نازلون في اطراف هذه البلاد فان تبعوني منعي بعد ذلك العمل وتخلص منكم بلا ناقة
ولا جمل وربما اهلككما اخي الربيع ولو كنتما في عدد الجحفل فقال له عنترة وقد وضع المهند
الصارم على جسده الناعم لا خير فيما ذكرت ولا فخر فيما به افتخرت فوحق ذمة العرب الكرام

لا بد ان امزق جلدك بهذا الحسام واحرمك ان تذكر عبلة مع الذاكرين او تزورها في زي العبيد المنافقين واخلص منك درع قيس الذي قلت له بحماقتك وقلة عقلك قل لحاميك عنترة ياتي ويخلصها لك ويلك اما تعرفني يا ابن الاوغاد انا عنترة بن شداد الرفيع العماد القوي العماد الوري الزناد الذي اشتهر ذكره وساد وخضعت لهيبته رقاب السادات الاجواد فلما سمع عمارة ذلك المقال اعتراه الانذهال وايقن بالهلاك والوبال وذل بعد العز وقال لا تواخذنا يا ابن العم بالزلل وابشر ببلوغ الامل فقد سبق السيف العذل وقد فعل القضاء ما فعل فقال عنترة ليس هذا وقت كلام الا اذا شفيت غليلي منك ثم البسهُ ثياب العبد التي كانت عليهِ وشده على جواده وساقهُ بين يديه وساروا يقطعون القفار وهم طالبون الديار وعنترة يجلده بالسياط كلما تذكر افعاله حتى تخدشت اجنابهُ واوصالهُ فغاب عمارة عن الوجود وبقي حاضراً في صفة مفقود وهو يصيح ويستغيث وليس من يجيب ولا يغيث وقد عظم عليهِ ذلك الامر واشتعل في قلبه لهيب الجمر وندم على ما صدر منهُ من الاعمال وقاسى ليلة شديدة الاهوال لم ينسها على مدى الدهور والاجيال ولما وصلوا الى الاطلال اخفى عنترة عمارة في بيت امهِ زبيبة وكتم واقعة الحال ولما كان الصباح علم الربيع بفقد اخيهِ عمارة فذاب جسمه وتفتت كبده واسودت الدنيا في عينيهِ وخافت امهُ عليهِ وقال اخوته لا شك ان عنترة قتله فقال الربيع وحق خالق البشر ان قلبي يحدثني بغير هذا الخبر وما اقول الا ان قيساً هو الذي فعل هذه الفعال وترك عليهِ العيون والارصاد حتى اوقعه في شرك العقال وذلك بسبب الدرع الذي اخذتهُ منهُ ويريد مني ردهُ اليهِ لاجل ان يصفح عنهُ وانا وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب لا بد لي ان اقابل اولاد الملك زهير وعنتر بالاذية والضرر حتى يعلموا ان مثلي لا يهمل امره ولا يخمد ذكره ثم انهُ ترك على بني عبس العيون والارصاد وقد نما غيظهُ وزاد

قال وشاع الخبر بفقد عمارة بن زياد بين الرجال والاولاد وقيل ليس ان الربيع اتهمك بقتل اخيهِ وترك عليك العيون والارصاد لعلهُ ان يظفر باحد من اخوتك حتى يجازيه فقال قيس وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لقد كذب الربيع في هذا المقال لانهُ لم يخطر لي ببال وليس لعمارة عدو الا حية بطن الواد الامير عنترة بن شداد ولا اقول ان عنتراً يقتله لانهُ كم من مرةٍ ظفر بهِ واهملهُ وما دام انهُ ترك عليَّ العيون والارصاد والقى شرهُ علينا من دون العباد فوالله لاريه من هو اقدر على الشر والعناد

قال الاصمعي وبعد ذلك اجتمع عنترة بصديقهِ مالك فحدثهُ مالك بذلك الخبر الذي

شاع واشتهر فقال له عنترة كن مطمان الخاطر من هذا القبيل ايها السيد النبيل فاني قضيت
الشغل من زمن مديد وبلغت كل ما اريد ثم حدثه بقصة عمارة لما اتى لينظر عبلة في زي
العبيد وهو الان عندي يقاسي العذاب الشديد فتعجب مالك وفرح غاية الفرح وانسع صدره
وانشرح وقال الصواب ان تقتله ما دام امره مكتوماً فقال عنترة لقد صدقت غير اني اذا
فعلت هذا الامر اخاف من عتب اخيك في السر والجهر . وملامه عليَّ مدى الدهر ولكن
ليس لعمارة خلاص من شرك الاقتناص الا برد الدرع في الحال والا انزلت به النكال وهو
قد ضمن لي ذلك غير اني ما وثقت بخطابه ولا شفيت غليل قلبي من عذابه

قال نجد بن هشام وبعد ذلك الكلام باربعة ايام وقع الصياح في اطراف الخيام وجاء
شيبوب الى عنترة وقال له ادرك صديقك مالكاً قبل الهلاك وخلصه من الارتباك لان اليوم
كانت نوبته في حفظ المراعي والاموال فالتقاه الربيع في جماعة من الابطال وقتل من
اصحابه خمسة رجال وقد جئتك وهم في اشد الطعن والضرب وقد اوقد نيران الحرب فقال
عنترة اي واببك فسوف ترى اليوم من فعالي ما يسرك ويرضيك ثم انه ركب جواده الابجر
واعتقل برمحه الاسمر وتقلد بسيفه الظامي الابتر الذي لا يبقي ولا يذر وخرج من الخيام كانه
الاسد الهجام وما زال يخب بالجواد حتى اشرف على راس الواد واذا به يرى آل زياد قد
داروا بمالك وبمن معه من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب والربيع واقف على بعض
التلال في خمسة ابطال يحث عبيده ان تسوق اليه النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الامال
منتظراً اسر مالك وانجاز الحال فلما راى عنترة ذلك الاسر طار الشرر من عينيه واشتدت
الناريين جبينه فهمز بالجواد وخاض الغبار وزعق في الرجال كالاسد اذا زار وصب عليهم
انصباب الغيث المدرار والتقاهم بطعن يسابق التصادم للنار وضرب لا يبقي ولا يذر ففرت
من امامه الفرسان وتغيرت منهم الالوان وتاخروا عن الحرب والطعان فانفرجت عن مالك
واصحابه الغمة وزالت عنهم تلك الظلمة وابصر الربيع ما جرى وكان فقال يا بني عمي في اي
وقت بلغ الصوت بني عبس حتى وصل الينا هذا الشيطان وانا اقول انه كان مكمناً في
بعض الشعاب وقد حسبت هذا الحساب من قبل [illegible] الاسباب والدليل على
ذلك انه وجدنا [illegible] وارد [illegible] الان [illegible] والمساعدة وان كروا معي
بهمة متعاقدة حتى اوقع [illegible] قبل [illegible] الشجعان والابطال
والفرسان ثم انه لكز الجواد واقتحم الغبار والسواد وقصد عنترة بن شداد واذا باخيه [illegible]
ينادي ويصيح من قلب جريح ادركوني يا قوم فقد قصف اضلاعي هذا العبد الراعي وكان

عنترة قد طعنه بعقب الرمح كسر له ضلعين وصاح فيه فولى خوفاً من حلول غراب البين
فلما سمع الربيع ذلك الكلام اضطرم غضباً واستشاط لهباً وقال لمن يعتمد عليهم من الرجال
سوقوا الغنائم والاموال حتى آخذ لاخي بالثار من هذا العبد الجبار ثم انه اطلق العنان وقوّم
السنان وصاح في الابطال والفرسان واذا بالرجال قد تنافرت من تحت الغبار تطلب
لنفسها الهرب والفرار وكان عنترة قد فرقها بضرباته ومزقها بطعناته فلما راى الربيع ذلك
الحال نقطعت منه الاوصال وخرج عن دائرة الاعتدال وقال والله لقد اهالك هذا العبد
فرساننا وأباد ابطالنا وشجعاننا وان تبعه من بني عبس النفير فما يبقى منا لا كبير ولا صغير ثم
انه التفت فراى الخيل التي كانت معه قد عادت على اعقابها وتبعت المنهزمين من اصحابها
فعند ذلك طلب لنفسه النجاة وقصد جوانب الفلاة فنظره عنترة والدرع عليه وهو يريد
ان ينجو مع رفقاه فادركه وصاح فيه وفاجاه وطعن جواده في خصاه فوقع الربيع من على
ظهره وتكبكب . فدنا عنترة اليه واراد ان يعجل عليه فقال الربيع الصنيعة يا ابن العم الصنيعة
فانها من كرم الطبيعة قال عنترة اماتك الله ولا احياك لانك لا تدعوني يا ابن العم الا وانت
تحت الصارم المهند واماني الولائم والدعوات فانا العبد الاسود فاخلع الدرع يا نسل اللئام
والا وشحتك بهذا الحسام قال سمعاً وطاعة . ثم انه خلعها وسلمه اياها من تلك الساعة وطلب
لنفسه الهزيمة والهرب وهو لا يصدق بالنجاة من العطب وعاد عنترة وقد بلغ مناه والتقاه مالك
بن زهير وهناه وقال لله درك يا ابا الفوارس من اسد جسور وبطل في مقام الحرب صبور
ثم انهم عولوا على المسير وسرعة التشمير واذا بفرسان بني عبس قد اقبلت عليهم من رؤوس
الشعاب وامتدت في

الكتاب الثلثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

تلك الارض كانها الذئاب او اسود الغاب وفي اوائلهم الملك قيس بطرد الفعساء . وهو
لا يصدق ان يرى اخوته سالمين من الاعداء فتلقاه عنترة بن شداد وقد اطلق عنان الجواد
وقال يا مولاي لم يكن في الامر ما يوجب عناك لان لك عبداً يحرسك على ممر الساعات
ويرعاك ويتلك بسنانه قلوب اعداك وها قد بلغتك اليوم مناك . وخلصت لك درعك
من اعداك ثم انه سلمه اياه ففرح واستبشر وزال عنه الكدر واثنى على عنترة ودعا له بطول العمر
واكثر له من الحمد والشكر ثم رجعوا الى الديار وهم في غاية السرور والاستبشار

قال الاصمعي · هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد معدن الشر والفساد فانهُ عاد وهو خاسر من كل جانب ولما امن على نفسهِ من النوائب جمع الرجال الذين كانوا رحلوا معهُ من بني عبس الكرام وعاتبهم بالكلام وعنفهم بانواع الملام وقال لهم لقد خنتموني في المقال والفعال وقعدتم عن نصرتي وقت الحاجة اليكم في القتال فقالوا ما الذي كنت تريد منا ابدهِ ولا تخفهِ عنا أتريد ان نقاتل ملوكنا وبني الاعمام ونجرّد في وجوههم الحسام ونخلف العهود والذمام . أما كفاك اننا تبعناك الى هذا المكان وهجرنا الاهل والاوطان وبعد ذلك تريد ان نقاتل من هم اقرب الناس الينا واعزهم علينا · فهذا امرٌ لا نطاوعك عليهِ ابداً ولا نشمت بنا العدى لانهم كانوا قد ندموا على حضورهم مع الربيع وكانوا يلعنونهُ على ذلك الصنيع فلما سمع كلامهم عرف قصدهم ومرامهم فقال لهم . اذا كانت هذه نياتكم فلا خير في جيرتكم لاني غني عنكم وعن نصرتكم ثم انهُ اخذ في التحميل وجد في الرحيل وقصد بني فزارة وليس معهُ غير اخوتهِ ونفر قليل من عشيرتهِ . قال وكان عنترة عند وصولهِ الى الاطلال فك عمارة من الاعتقال بعد ما اشبعهُ ضرباً وشتماً وسباً وقال لهُ والله ان عدت ذكرت عبلة بعد هذا اليوم بالشفة واللسان ذبحتك ذبح الاغنام وشربت دمك مثل شرب المدام . ثم انهُ اطلقهُ فسار وقصد بني فزارة وتلك الديار

قال الراوي . وكان الربيع قد وصل الى ديار القوم في ذلك اليوم فخرج حذيفة الى ملتقاه ولما اجتمع بهِ اكرمهُ وحياه وانزلهُ في مكان واسع كثير الغدران والمنابع . ثم سألهُ عن سبب رحيلهِ من ديار بني عبس فحدثهُ بتلك الاشارة وما جرى من حديث عمارة . فقال حذيفة اما نزولك في وادي اليعمورية وتلك الهضاب فليس ذلك بصواب ولو اتيت عند رحيلك من الاوطان الى هذا المكان كنا ساعدناك على اخذ حقك باي وجه كان كما هو من دأب سادات العرب . واما عمارة فما هو الا عند عنترة في الاعتقال وربما يكون قد قتلهُ وانزل بهِ النكال واخفاه بين احاقيف الرمال فقال الربيع . والله يا امير ان هذا العبد الحقير قد كساه عاراً وذلاً وشناراً واني اقسم بالبيت الحرام وما عليهِ من الالهة والاصنام لابد لي ان اقتلهُ واعجل اجلهُ ومن تعصب لهُ فعلت بهِ مثلهُ . قال الراوي وفي تلك الليلة وصل عمارة الى بني فزارة ودخل على اخوتهِ في تلك الخيام · وعليهِ اثار الذل والاكتئاب وحدثهم كيف وقع بيد عنترة في البر لاقفر وما قاسى عندهُ من العذاب المنكر فصعب ذلك على الربيع وقال والله ان قتلهُ اهون شيء من هذا الصنيع · ولا بد لي ان انتقم منهُ جزاء على عملهِ الفظيع وفعلهِ الشنيع وسعيهِ المذموم عند الجميع لانهُ قد تجبر وطغى وتكبر

وبغى . وبعد ذلك التفتت فاطمة على عمارة وقالت له ياولدي ومهجة كبدي ما كنت اريد ان تتعرَّض لهذا الشيطان ولا تذكره بالشفة واللسان. وقد نهيتك عن ذلك مرارًا فما كنت تنتهي وما تفعل الا ما تشتهي وانا اخاف عليك من شره واذاه ومكره ودهاه . لانه فارس الفرسان واوحد ابطال هذا الزمان فقال عمارة . وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر اني لا انتهي عن معارضة هذا الشيطان المريد واخس العبيد حتى اضحى طعماً لوحوش البيد او انال منه ما اشتهي واريد قال الربيع لا تشغل فكرك يا اخي من هذا القبيل فسوف يحل به العذاب والتنكيل وتقر عيناك من عبد ذليل لا يعرف الجميل ولا يراعي الصديق والخليل . ثم انه اخذ في تدبير الحيل واتقان العمل لبلوغ القصد والامل . وكان كلما تذكر عنترة تقطعت احشاه وتزلزلت اركان اعضاه حتى صار لا ينام الليل والنهار من كثرة الهم والافتكار وبعد ايام قليلة بلغ حذيفة الخبر بمسير خالد بن جعفر لقتال بني عبس وعنتر وان الشيخ دُرَيد بن الصمة الذي كان قد انصف بالشجاعة وعلو الهمة ارسل له اخاه عبد الله في جمع كثير من بني هوازن وهمذان وانجده باربعين الفًا من العربان . فلما سمع حذيفة هذا الخبر انقطع ظهره وارسل في طلب الربيع ليستشيره فقيل له قد رحل الى بعض القبائل والحلل ثم انه امر قومه باخذ اهبة الحرب والاستعداد للطعن والضرب وانفذ الى الحارث بن ظالم وسادات بني مرة يطلب منهم نجدة ونصرة . وكان قيس بن زهير قد بلغه الخبر بقدوم خالد بن جعفر وانه طالب قلع اثارهم وخراب ديارهم فجمع بني عبس وفرّق عليهم الدروع والسلاح والة الحرب والكفاح وسال عن عنترة فلم يقف له على خبر . فقلق لفقده وتحير . وسال عمه امه زبيبة فقالت اعلم ايها الملك الهمام انه من مدة ايام قصده بعض الانام تحت جنح الظلام وهو يصيح من فؤاد جريح اغثنا ايها الفارس المنتخب وبادر الى خلاصنا قبل الهلاك والعطب فلما سمع كلامه ثارت في راسه الحمية وعصفت فيه النخوة الجاهلية . واخذ معه اخوه شيبوب وسار تحت ستور الاعتكار ولحد الان لم يرجع الى الديار فقال قيس والله لقد فقدناه في اضيق الاوقات واشنع الساعات لانه لا يغيب الا في وقت الحاجة اليه ولا يستشير احد ممن يعز عليه . ثم استشار عمه واخوته فيما يفعل وماذا يدبر من العمل . لانه كان قد خاف من خراب البلاد وشماتة الاعداء والاضداد فقال له اسيد الصواب ان تنفذ الى بني فزارة ان تاتي الينا بالمال والحريم والعيال لاجل ان نكون يدًا واحدة على القتال . فانفذ من وقته رسولاً الى حذيفة سيد بني فزارة وكتب له بتلك العبارة . قال الراوي وكان الربيع بن زياد قد رحل من تلك البلاد كما قدمنا لابرد فرجع في ذلك اليوم وهو مسرور الفؤاد واجتمع بحذيفة

وقال له بلغت المراد من عنترة بن شداد وقد اهلكته بحيلتي وهلك معه اربعون عبداً من عيدي وعبيد اخوتي . فلما سمع حذيفة ذلك الكلام ابدى الابتسام وقال . وحق البيت الحرام اذا بلغت النفس امانيها كان ذلك يساوي الدنيا بما فيها . ثم ان حذيفة حدثه بالخبر واعلمه بسير خالد بن جعفر بالابطال والفرسان لقتال بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان واستشاره بالرحيل الى ديار بني عبس من ذلك اليوم . لاجل ان يكونوا يداً واحدة على قتال القوم . فلما سمع الربيع كلامه عبس وقطب ولم يجبه الى ذلك الطلب وقال . ليس هذا بصواب ايها السيد المهاب فدع قيس يحمي بلاده من غارة الاعداء ويدبر بعقله كيف شاء ونحن لسنا بعاجزين عن حماية الاهل والنساء . لانه ما دام عنترة قد هلك في هذه الكرة فنحن اقوى من بني عبس اذا قدم علينا الحارث بن ظالم بفرسان بني مرة فاستحسن حذيفة رايه واستنسبه واعتمد عليه واستصوبه وفي اثناء ذلك اقبل رسول قيس واعلم حذيفة بالخبر وان قيساً بانتظاره لاجل ان تكون القبيلتين يداً واحدة على قتال خالد بن جعفر فرده بالخيبة واغلظ معه في المقال . فرجع الرسول واخبر قيساً بواقعة الحال . فزاد به الغيظ والغضب واحترق فؤاده والتهب وتعجب غاية العجب وعلم ان ذلك الفساد من تدبير الربيع بن زياد

قال مجد بن هشام وفي ثاني الايام وصلت بنو غطفان الى ديار بني عبس وعدنان في اربعة الاف عنان مع سيدهم الامير حسان فاكرمهم قيس وانزلهم في احسن مكان واحترمهم غاية الاحترام وقدم لهم الطعام والمدام وبعد ذلك جمع قيس سادات بني عبس الكرام وقال لهم يا بني الاعمام خذوا اهبتكم للقتال والحرب والنزال حتى نسير الى من اراد ان يسير الينا ويقدم بشره علينا فلما سمع القوم كلامه ثارت بهم الحمية ولعبت باعطافهم نخوة الجاهلية ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح خرجت الابطال وتلاحقت الرجال وهم قد غاصوا في الحديد وتسربلوا بالزرد النضيد وركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول ونشرت على راس قيس راية العقاب ودارت به العشائر والاحزاب وساروا لقتال خالد بن جعفر وهم مستوحشون لفقد عنتر لا سيما عروة بن الورد واسيد بن جنية فانهما كانا يحاربان محنة عظيمة هذا وقد جدوا في المسير وداموا على مسيرهم طول ذلك النهار وفي اليوم الثاني طلع من امامهم الغبار وثار من سائر الجهات واسودت به البراري والفلوات ثم انكشف للابصار وبان من تحته جيش جرار والكل ينادون يا لعامر ويتسابقون الحرب مثل الاسود الكواسر وبادي ملاعب الاسنة وخالد بن جعفر وكانا في اوائل العسكر الا ما تركنا من صباح وان شاء الله يكون لنا فيه الخير والنجاح ثم حملا كانهما اسد الصفاح وطلبا الحرب والكفاح فعند ذلك صاح

الملك قيس على بني عبس وعدنان ومن معهٔ من العربان البدار يابني عمي البدار خذوا لا نفسكم بالثار من هولاء الاشرار فلما سمعوا منهٔ ذلك المقال تقدمت الفرسان الى المجال بقلوب كالجبال والتقت الرجال بالرجال واشتبكت بينهم الرماح مثل اجام القصب وكثر الركض والخبب حتى كادت الجبال تثور وتقلب وهتكت السيوف الدروع واللبب وجرى الدم وانسكب مثل افواه القرب وعظم الويل والحرب وهان المال والمكسب ودنا الموت واقترب وثبت الشجاع الاغلب وولى الجبان وهرب خوفًا من الهلاك والعطب فما كان يرى في تلك الساعة الا رمح خارق وسيف بارق ودم دافق ولم يزالوا على ذلك الحال وهم في اشد نضال حتى كلت السواعد من القتال وتقهقرت بنو عبس وضاق عليها المجال وايقنت بالهلاك والوبال فارتدت الى الوراء وتفرقت في جوانب الصحراء وكان قد اقبل جيش الليل وتمم للهزيمة جند النهار الذيل فتراجعت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت كل طائفة منهم في ناحية من الارض . قال الراوي ولما قوّض الليل خيامه ورفع النهار اعلامه ركبت العساكر واصطفت الدساكر واقتتلت بنو عبس مع بني عامر وكان يومًا مهولاً كثير الاهوال والمخاطر تنطرت فيهِ المرائر وعميت النواظر وتقطعت الظهور وسالت الدماء من انابيب النحور وثبت الشجاع الصبور وولى الجبان المذعور وتقابضوا باللحى والشعور وكتب الدم على الارض سطور وحامت العقبان والنسور ونزل عليهم قدر الله المقدور وكان يومهم مثل يوم النشور فسبحان العزيز الغفور هذا وخالد يصيح الثار يابني عمي الثار من هولاء الفجار واظهر ملاعب الاسنة فروسيتهُ تحت الغبار وما صدّقت بنو عبس باقبال الليل وادبار النهار لانهُ كان قد قلّ منها الاصطبار فتفرقت في جوانب القفار وافتقد قيس رجالهُ فوجد قد فقد منهم خلق كثير المقدار فخاف من الهلاك والبوار وقال والله ان ابطأ علينا حامينا عنتر الى يوم اخر انقلع منا الاثر وصرنا عبرةً لمن اعتبر والصواب ان نرحل من هذا المكان ونعود الى الاوطان وندفع عن الحريم لان امامنا جيشًا عظيم وهم مصممون على هلاكنا اشد تصميم وما بقي في الامر الا الرجوع الى الاطلال والربوع وان نبذل جهدنا بضرب الحسام حتى نموت ونحن كرام

قال الراوي ثم انهم اقاموا في تلك البقعة حتى ذهب من الليل هجعة ورحلوا رحيل من ليس لهُ عودة ولا رجعة هذا وقد جدوا في قطع القفار وهم طالبون الاهل والديار فتبعتهم بنو عامر تحت ظلام الليل العاكر فادركوهم عند الصباح وقد زاد طمعهم فيهم وارتفع الصياح ومدوا اليهم قطع الرماح وكانت بنو عبس قد وصلت الى الاطلال وشاهدت الحريم والعيال

وهم في اشر حال فوقع بالنساء الخوف والفزع وعلا ضجيجهنّ وارتفع لما ا[illegible] جيش بني عبس قد رجع وجيش الاعداء من خلفهم قد طلع هذا وقد انتشب الحرب بين الفريقين واتصل وتطاعنا باطراف الاسل وسقطت الرؤوس من اعالي القلل وسال الدم وهطل وعلا الصياح من كل مكان وتقدم الشجاع وفر الجبان وارتفع القتام الى العنان وازدحمت الخيل في الميدان وصاحت عبلة مع باقي النسوان وقد كشفنّ الوجوه وارخين الشعور يابني العم اين البطل الغيور اين الفارس الجسور من يحمي الحريم في هذا اليوم العظيم قائلوا يابني الاعمام ولا تتركونا في قبائل العرب جواري وخدام

قال الراوي وما زال القوم في اشد قتال وحرب ونزال حتى ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال فعند ذلك رجعت كل طائفة الى ورائها وقد ايقنت بنو عبس بهلاكها وفنائها بعدما قتل منها جمع غفير واسر نحو مائتين من الفرسان المغاوير والابطال المشاهير ولما هدأ الليل زاد بكاء الاطفال وصياح النساء والعيال وباتوا وهم في غاية العناء والضير وقد آيسوا من الملك قيس بن زهير لان ملكه بعد عنترة قد انهدم وعلموا انه قد اشرف على الهلاك والعدم وبات قيس وهو يقول وحق البيت المعظم والشهر المحرم ما كانت هيبتنا الا بذلك البطل الادهم والليث الغشمشم فارس البدو والحضر وشاعر ربيعة ومضر ابو الفوارس عنتر فياليت شعري ما الذي جرى عليه من صروف القضاء والقدر وما الذي اصابه من الامر المنكر وهل علم بما نحن فيه من الخطر

قال الاصمعي هذا ما كان من بني عبس وماحل بهم من التعس والنحس واما ما كان من بني فزارة الطائفة الغدارة فانه كان قد دهمهم عبد الله اخو دريد بن الصمة في عشرين الفا من نخب الابطال واحاط بهم من سائر الافاق احاطة الاطواق بالاعناق وباض العين بسواد الاحداق فقاتلت بنو فزارة اشد قتال وثبتت على الاهوال ولولا الحارث بن ظالم لكانوا تاخروا وانهزموا وتفرقوا لانه قاتل معهم بنية صادقة وهمة فائقة لان الفارس الشديد والبطل الصنديد اذا كان في طائفة ضعيفة حماها وثبتها امام عداها وكذلك فعل الربيع بن زياد وزاد بذلك انبهار عمر قيس بن زهير لانه كان مسروراً بهلاك عنترة بن شداد

قال الراوي هذا ما جرى وكان من بني فزارة وبني عبس وعدنان واما ما كان من حديث عنترة بن شداد فانه لما حمله الربيع بن زياد واطلق عنترة من القيود والاصفاد بات تلك الليلة وهو في قلق وضجر يعد النجوم ويذكر فعاله ساعة من الدهر حتى طلع نجم سهيل واذا بمائة [illegible] من قبل حرب ابن [illegible]

على البنات ايش الفرسان والسادات يا للعرب امامن مجير امامن نصير ادركني يا ابا الفوارس فقد اتيتك مستجيراً فكن لي مساعداً ونصيراً لانها قد سبيت حريمي وعجزت عن دفع غريمي فلما سمع عنترة صوت ذلك المنادي في الليل الهادي اخذته الحمية وعصفت في راسهِ النخوة الجاهلية وصاح في اخيهِ شيبوب وقال لهُ ايها العزيز المحبوب قدم لي الجواد الابجر وشد عدتهُ عليهِ فقام شيبوب واسرجهُ وقدمهُ اليهِ فركب عنتر حصانهُ واطلق عنانه وركض نحو المستجير وتبعهُ شيبوب كانهُ البعير وكانت فرسان العرب في تلك الايام اذا استجار بها احد من الانام وسالتهُ عن حالهِ وما هو الداعي الى سوالهِ نسبوه الى الخوف وعيروه بذلك السوال وقد ذكر ذلك بعض الشعراء فقال ٠

يتشاغلون عن الصريخ تعللاً ... ويماطلون القول عند سوٌالهِ
واذا اتاهم صارخٌ في ليلةٍ ... ناموا وكانوا عالمين بحالهِ

وما قيل في حق الشجعان الذين لا يقدرون عواقب الزمان

قومٌ اذا نادى اليهم خائفٌ ... لبوهُ قبل سوالهم عن حالهِ
وحموهُ من اعدائهِ بتهددٍ ... حتى يعود مظفراً باماله

قال وما زال عنترة مجداً في مسيره وسرعة تشميره حتى صار وقت الغلس وكاد ضوء النهار يتنفس فاشرفوا على ارض وعرة المسالك كثيرة الافاق والمهالك فبينما عنترة سائر في ذلك المكان اذ دهمتهُ الخيل والفرسان وانقضت عليهِ مثل العقبان وصاحوا عليهِ من كل جانب وطلبوه بالاسنة والقواضب

قال الراوي وكانت هذه مكيدة وحيلة وورطة وبيلة قد باشرها الربيع بن زياد من حقهِ على عنترة بن شداد وكان قصدهُ ان يقتلهُ ويخفي اثرهُ ولا يعلم احداً خبرهُ لانهُ لما خرج من ديار بني فزارة وتعاهد بقتل عنترة لاخيهِ عمارة كما سبقت الاشارة انتخب خمسين عبداً من عبيدهِ الاجواد واكمن بهم في تلك الواد ونصب شركاً في ذلك المكان واتقنهُ غاية الاتقان بحيث لا ينكرهُ احد من الفرسان وانفذ ذلك الصائح ليستجير بعنترة وياتي بهِ بتلك الحيلة كما تقدم الخبر حتى اذا وصل اليهم واشرف عليهم يتبادرون اليهِ بالاسنة والنصال ويصطادونهُ بشرك الحبال كما يصطاد الصياد الغزال .

قال فلما شاهد عنترة ذلك الحال انصب عليهم كالعارض الهطال وصاح وزمجر والتقاهم بالاسمر والابتر وطعن الاول في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره واتاه الثاني فالقاه والثالث اورده فناه وما زال يبتر العبيد حتى قتل منهم عشرة من الصناديد وبددهم على ذلك الصعيد

وبعد ذلك تكاثرت عليهِ الرجال وطلبتهُ من اليمين والشمال ورشت بوجهِ الرمال وكان الابجر قد تعرقل بتلك الحبال . فلما نظرهُ عنتر الى ذلك الحال ايقن بالهلاك والوبال فترجل عن الابجر وصاح وزمجر وسل الصارم البتار وهجم عليهم تحت ستور الاعتكار وكان قد اشرف على البوار مما نزل عليهِ من التراب ورمي الاحجار . وما زال يدافع عن نفسهِ ويمانع حتى لعبت فيهِ السيوف القواطع والاسنة اللوامع فبينما هو في اشد الضيق اذ وقع عليهِ حجر كانهُ المنجنيق فوقع على قفاه في وسط الطريق وحل بهِ الاسف واشرف منهُ على التلف فانطبقت عليهِ الرجال وقالوا لهُ لقد وقعت ثم انهم ركبوا على ظهره وتمكنوا من كتافهِ واسر ولما ابصر شيبوب الى تلك الحال وكان قد قاتل اشد قتال اخذه العجب وعزم على الهزيمة والهرب خوفًا من الهلاك والعطب فقبضوا عليهِ كلمح البصر وقرنوه الى جانب اخيهِ عنتر . ثم تقدم الربيع واخوهُ عمارة وساعدا العبيد عليهِ بضرب العصي والحجارة حتى شدوه على ظهر الجواد وخرجوا بهِ من فم الواد وكان الفجر قد انفجر والصبح قد لوَّح وظهر فقال الربيع اعدلوا بنا عن الطريق واقصدوا راس المضيق وحكموا فيهِ السيوف والمزاريق فالتفت عنترة عليهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ وقال لهُ ويلك يا ابن زياد لقد اجتهدت غاية الاجتهاد حتى بلغت مني غاية مرادك فاقتلني ها هنا وعد الى اهلك وبلادك فقال لهُ عمارة لا وذمة العرب وشهر رجب لا نقتلك الا بعد ان نذيقك اليم العذاب ونقطع منك الاوصال والاعصاب ثم انهُ بعد ذلك الخطاب جلده بالسوط على كتافهِ حتى مزق جميع اطرافهِ فصاح عنترة من شدة الالم وقد ايقن بالهلاك والعدم وقال والله يا اخسّ العربان هذا الضرب لا يصلح الا لذليل مثلك جبان واما انا فما يصلح لي الا الضرب بالسيف الهندوان نعزوا انفسكم على فراقي اذا اصابتني يد الزمان فلما سمع عمارة كلامهُ اضطرم غضبًا وقال لاخيهِ الربيع اني قد عولت على قطع يديهِ وقلع عينيهِ وبعد ذلك نلقيهِ على وجه التراب حتى يتجرع غصص العذاب وتاكل لحمهُ الوحوش والذئاب لانهُ اساء الادب وافترى على سادات العرب فقال الربيع افعل ما بدا لك

قال مجد بن هشام . وما انهى الربيع من هذا الكلام حتى بان لهم غبار كانهُ الغمام السيار من جوانب ذلك القفار ومن تحتهِ جيش جرار قد علا صياحهُ ولمعت اسنة رماحهُ . فلما ابصر الربيع وعمارة الى ذلك الجحفل . حل في قلوبهم الخوف والوجل . وشاهدا الموت قبل حلول الاجل وقال الربيع لعمارة اقتل يا اخي عنترة واخاهُ الاخر ونرجع الى الاطلال قبل ان تدهمنا الرجال والابطال فعند ذلك سل عمارة حسامهُ وتقدم ليسقيهُ كاس حمامهِ وذلك الفجر

صهل ونفر وطلب الخيل بعنترة مثل السحاب اذا انحدر . لانهُ كان صاحبهُ عوده على طلب الخيل قبل ان تطلبهُ وكانت الفرسان لما ابصرتهم قصدتهم وقد انكرتهم وطلبتهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل السلاهب ومدوا اليهم اسنة الرماح واكثروا من حولهم الصياح فقال الربيع لاخيهِ عمارة انجو بنا قبل وقوع الخسارة . ثم انهما طلبا الاهل والديار وغاصا في عرصات القفار وقد ذابت اجسادها وتفتتت اكبادهما وكان قد بقي معهما عشرون عبداً من العبيد الوقاح فخطفتهم تلك الفوارس على اسنة الرماح وتقدم مقدم القوم الى عنترة وتامل فيهِ بالنظر فعرفهُ وعرف اخاه شيبوب الاسد الوثوب وكان في رقبتهِ حبل طويل رفيع وهو مكتوف اليدين يقوده عبد الربيع قال وكان هولاء الفرسان من قوم يقال لهم بنو خولان والمقدم عليهم مشاع بن حسان قد اتوا من ديار بني بارق وتلك الاوطان في طلب المعاش والمكسب كما جرى في مثل ذلك العوائد للعرب لانهُ كان قد بلغهم الخبر بما جرى على بني عبس من خالد بن جعفر فجدوا المسير في قطع البرّ الاقفر . الى ان وقعوا بشيبوب وعنترة ففرح مقدم القوم غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال الى اصحابهِ ابشروا بالغنى وبلوغ القصد والمنى من دون تعب ولا عنا لان هذا الفارس حامية هذه البلاد واسمهُ عنترة بن شداد وسيدنا الملك صفوان بن عاد لهُ عليهِ ثار واحقاد لانهُ قتل لهُ ثلاثة اولاد . واذا اتيناه بهِ نلنا غاية المراد ثم انهُ وعد قومهُ بالاموال والذهب وبلوغ الارب وعاد بهم طالباً الاهل والديار وهو في غاية الفرح والاستبشار وكان الربيع وعمارة قد جدَّا في قطع الطريق وساعدهما السعد والتوفيق حتى وصلا الى ديار بني فزارة بالسلامة وهما يعضان على زنودهما اسفاً وندامة لاجل انفلات عنترة وشيبوب من ايديهما الا انهما ايقنا ان الخيل الذي اخذتهما لا تبقي عليهما . وحدث الربيع حذيفة بتلك العبارة . واعلمهُ بقتل عنترة وعبيده كما سبقت الاشارة واقام الربيع بعد ذلك برهة من الزمان حتى دهمتهم قبائل العربان وجرى من القصة ما جرى وكان . قال الراوي هذا وقد جدت ابطال بني خولان بقطع البراري والكثبان حتى وصلوا الى الاوطان فلما استقر قرارهم وبرد نارهم ضرب الامير مشاع لعنترة وشيبوب اربع سكك من الحديد وربطهما بها الرباط الشديد ووكل بهما جماعة من العبيد وقال لمن كان معهُ من الرجال اعلموا ايها الفرسان ان هذين الاسيرين لا يزالان عندنا في الاعتقال حتى يحضر سيدنا صفوان غاية الاهمال ثم انهُ انتخب جماعة من ابطال بني خولان وسار بهم [illegible] علمهُ بذلك الشان . قال الراوي ولما سارت الابطال وخلا الحي من الرجال سمعت النساء باسر عنترة بن شداد وذكرته البنات والاولاد لانهم كانوا

يسمعون بشجاعتهِ وكرم اخلاقهِ وفصاحتهِ فصاروا ياتون اليهِ سرباً سرباً ويظهرون من رؤيتهم اليهِ عجباً الا ان هيبة كانت قد شاعت في سائر الاقطار واخباره قد سمعت بها الاحرار والعبيد وكان اخر من دخل اليهِ عجوز من العجائز الكبار . وكانت غريبة من تلك الديار . فلما راتهُ على تلك الصفة عرفتهُ حق المعرفة فالقت نفسها عليهِ وانكبت على تقبيل قدميهِ . وقالت لا اشغل الله لك سراً ولا ضيق لك صدراً . فوالله يعز عليّ يافارس الفرسان . وشاعر هذا الزمان ونتيجة الدهر والاوان ان اراك في الاسر والهوان فقالت لها النساء اينها الحرة الكريمة من اين لك معرفة بهذا العبد ابن الامة الذمية قالت العجوز لا تقولنّ عنهُ انهُ ابن امة وما هو الا صاحب الفضل ولهُ الف مكرمة فوق ذمة العرب الكرام اصحاب العهد والذمام ليس على وجه الارض اشجع منهُ ولا اكرم ولا يوجد لهُ مثيل بين العرب والعجم فقالت لها زوجة مشاجع اما شجاعته فقد سمعنا بها وهي تشهد على اعطافهِ فما الذي رايتِ من كرمهِ وحسن اوصافهِ حتى ذكرتهِ بالكرم وفضلتهِ على سائر الامم . بكرم الاخلاق وعلو الهمم فقالت لقد غمرنا بجزيل الاحسان واعطانا من المال ما يعجز عن وصفهِ اللسان . ولولاه لكانت حالت بنا الاحوال ونابتنا نوائب الاجال . وذلك ان ولدي لما اراد الزواج بابنة عمهِ بسام اغار على ابل هذا البطل الهمام فاخذ منها الف ناقة وجمل وعاد يطلب الاهل والطلل فتبعهُ هذا الاسود الجلند الكريم الاب والجد فخلص منهُ النوق والجمال ورجع بهِ اسيراً الى الاطلال فبكى ولدي بين يديهِ وشرح قصته عليهِ فلما سمع شكواه رحم صباه وساعده على بلوغ مناه واعطاه الجمال الذي جاء في طلبها وزاده بالف اخرى ليستعين بها وقال لهُ ارجع الى قومك وتزوج بابنة عمك ومتى قلّ ما بيدك من المال ارجع اليّ في الحال لانك قد عرفت الطريق ولا تعد تخاطر بنفسك فتعدم السعادة والتوفيق فرجع وهو مسرور الفؤاد من افعال عنترة بن شداد وتزوج ابنة عمهِ وقد زال همهُ وغمهُ ولهُ الان ونحن عائشون في خير هذا الرجل الكريم والفارس العظيم ولا يوجد في العرب عشيرة ولا قبيلة الا ولهُ فيها الف مكرمة ووصية

قال نجد بن هشام فلما سمعت النساء من العجوز هذا الكلام تعجبن من فرط [illegible] ومروتهِ وكرم اخلاقهِ وعلو همتهِ وصرنَ يتقربن اليه بخدمة [illegible] ويضحكنَ في وجههِ ويبدينَ الابتسام ويبرشن [illegible] اذا اراد المنام وهو [illegible] على [illegible] والاحكام

قال الاصمعي [illegible]

[illegible] والنذف وبعد ذلك نخبر عن [illegible] الاسود [illegible] وفي [illegible]

فارس شديد الباس قوي المراس يقال لا مبادر بن اياس وهو ينادي ويصيح من قلب جريح وفؤاد قريح اين انت يا مارية ذات الوجه الصبيح والقد المليح وحق العزيز الجبار لمثل هذا اليوم كنت لك في الانتظار حتى ابلغ منك ما احب واختار ثم انهُ اقتحم البيوت والمضارب واوقع السبي في النساء الكواعب . قال وكان السبب في قدوم هذا الجبار هو انهُ كان يهوى مارية بنت مشاجع بن حسان الذي كان عنترة عنده في الاسر والهوان وكانت ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال كانها البدر عند الكمال او الشمس قبل الزوال فخطبها من ابيها وبذل لهُ في مهرها الف ناقة براعيها فلم يجبهُ الى ما طلب وقال انا لا اترك ابنتي تتغرب الى قبائل العرب فلما بلغ مبادر ذلك الخطاب خرج عن دائرة الصواب وزادت به الاطماع وحل براسهِ الصداع وحلت الجارية في عينيهِ اكثر وجداً بعد الامتناع ومن يومهِ شرع في جمع العساكر حتى صار عندهُ هذا الجمع الوافر وكان قد بلغهُ بان الحي خالٍ من الفرسان وان مشاجع غائب عن الاوطان في ابطال بني خولان فاجمع رايهُ على اغتنام الفرصة وازالة الغصة وان يسبي مارية وياخذها غصباً ويملأ قلوب اهلها خوفاً ورعباً . ثم انهُ سار في ذلك الانثار بهمة واقتدار وما زال يقطع القفار حتى وصل الى تلك الديار عند اقبال النهار واوقع النهب في المضارب والابيات وعلا الصياح من سائر الجهات وضجت النساء بالعويل والنواح خوفاً من السبي والافتضاح هذا وقد اشتد بمارية القلق وفاض دمعها واندفق وخافت من الهتيكة والعار بين العرب الاخيار فنادت واذلاه واقلّة ناصراه وافضيحتاه اليوم تتحكم فينا العدى ويلبسنا العار على طول المدى ولما ابصرت العجوز التي وصفت لها عنترة ما حل بها من الغير تقدمت اليها في الحال لانها علمت انها مسبية لا محال وقالت لها يا حرة الاعراب انهُ لا ينجيك من هذا المصاب الا ذلك الفارس الاسود فالقي نفسك عليهِ واخضعي بين يديهِ واطلبي منهُ المساعدة والنجدة فهو يزيل عنكنّ هذه الشدة لانهُ قادر على هلاك الاعداء ولو كانوا بعدد رمل البيداء فلما سمعت ما ابدته من مقالها اجابتها هي وباقي النساء الى سوالها ودخلن من وقتهنّ على عنترة وهن منشورات الشعور ينادين بالويل والثبور ووقعن على قدميهِ وقبلن راسهُ ويديهِ وقلن يا حامية عبس وعدنان أجرنا من غدرات الزمان وارحم تذلل البنات والنسوان ثم تقدمت اليهِ مارية وقالت لهُ يا حامية بني عبس ويا من هو افرس من طلعت عليهِ الشمس اعلم اننا قد سمعنا من هذه العجوز صفة شدائدك وشدة حربك وحسن خصائلك فاتينا اليك قاصدين وبك مستجيرين طالبين منك المساعدة والنجدة على هذه المصيبة والشدة لاننا قد بلينا بامر عظيم وخطب جسيم وقد وقعنا

الان بين امرين خطرين ومرضين قائلين فنخاف ان اطلقناك من الاعتقال تغتنم الفرصة وتطلب الاهل والاطلال بعد ان تقتل الرجال وتنهب الاموال لانك معذور في هذه الامور وان نحن ابقيناك وتركناك هلكنا واياك ثم انها حدثته بحديث مبادر واوقفته على حقيقة القصة من الاول الى الاخر

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة منها ذلك الكلام اخذته الشفقة على النساء والبنات الابكار وصعب عليه فعل ذلك الجبار وقال لها يابنت الكرام وحق رب البيت الحرام ان انت اطلقتني من عقالي بذلت نفسي دونكن لاطراف العوالي واجتهد في حربي وقتالي حتى امزق شمل هولاء الانذال وافرقهم في الروابي والتلال وارجع الى ما كنت فيه من القيود والاغلال ولا اسير الى دياري الا باذن النساء والرجال لان الرجل الكريم لا يمن بالعطاء ولا يذم الزمان ولا يدحه ان جار عليه او سطا واعلي ان اسري ما كان الا بالقضاء والقدر الذي ليس للعبد منه مهرب ولا مفر. قال فلما سمعت منه ذلك الكلام صدقته لاجل ما قد شاع عنه من حفظ العهود والذمام وتقدمت اليه في الحال واطلقته مع اخيه من القيود والاغلال فركب على ظهر جواده واعتد بآلة حربه وجلاده وهجم على طوائف العدى بقلب لا يهاب الموت والردى وكان قد ابصر الخيل تجول بين الخيام والاطناب والسبايا تضج بالبكاء والانتحاب فاستعظم ذلك المصاب وصاح صيحة الاسد اذا خرج من الغاب ونادى يا اوغاد تنحوا عن الحريم والاولاد فقد اتاكم حية بطن الواد عنترة بن شداد ثم انه خاض العجاج واطبق عليهم انطباق البحر العجاج اذا هاج وماج وتلاطم بالامواج وجال فيهم كالليث العابس الذي لا يختشي من كثرة الفوارس فهزم الابطال ومدد الفرسان في المجال واخرجهم من الخيام بطعن الرمح وضرب الحسام وانشد وقال

اذا ما كنت في قوم نزيلاً ... وامسوا خائفين من الاعادي
ولم احمي حماهم طول عمري ... فلا بلغت من عبل مرادي
ولا قصفت كعوب الرمح كفي ... ولا كتمت حنوني بالسهاد
وما اسري ولم تك عيب ... وقد جرت في يوم الجلاد
اسرته بحيلة وقصدا رب ... له عشرة شديد في العناد
يسوق العدى رغماً في حال ... اذا طرق الرشاد او النساد

قال الراوي وما نظر مبادر الى فعال عنتر وكيف كسر رجاله وشتتهم في البر الاقفر صعب الامر عليه وكبر لديه لانه كان قد اشرف على نهب الاموال وسبي الحريم والعيال فانطبق على عنترة

في الميدان بقلب اقوى من الصوان وقال له ويلك يا اخس السودان من تكون من الفرسان حتى تعرضت لغنائم ابطال الزمان وقتلت جماعة من الشجعان فاجابه عنترة انا حامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان فدع عنك شقشقة اللسان وارجع الى ديارك والاوطان والا جرعتك كؤوس الهوان برأس هذا السنان وتركتك طريحًا على بساط الصحصحان تاكل لحمك السباع والضبعان وتشرب دمك الكلاب والغربان . قال فلما سمع مبادر كلام عنترة البطل الضيغم والليث الغشمشم ضحك وتبسم وقال له ويلك انت تدعي انك من بني عبس الكرام الذين اشتهروا بين الانام بالوفاء وحفظ الذمام واراك قد ركبت معنا مركب الخلاف وعاملتنا بالجور وقلة الانصاف فارجع الى اهلك وديارك ولا تتعرض لمصرعك وبوارك لان الاسراف هو عين البغي والانحراف وهو يقلع الاثار ويخرب الديار فقال عنترة وحق الاله الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلائق ما نحن الا اصحاب الوفاء وكرم الاخلاق وافضل العرب في سائر البلاد على الاطلاق فما الذي تريده من الانصاف حتى انصفك قبل ان اقتلك واتلفك قال اني بعد ان كنت اشرفت على نهب الحي واخذ محبوبتي اتيت انت وحلت بيني وبين بغيتي فقال عنترة اذا كنت تعلم ان البغي له عواقب مرّة تنتج منه المضرة فلماذا تعديت واسرفت وافتريت لانك خطبت من الرجال ابنته فما رضيت ان تكون بعلاً لها فاتيت انت في غيبته حتى تسبيها وتهتكها بين اهلها أهذا هو الوفاء والذمام فوحق زمزم والمقام والمشاعر العظام ان بقيتَ في ضعك ولم ترجع الى اهلك وموضعك وتخلِّ هذه الغنيمة والانعام والا اذقتك كؤوسَ الحمام بحد هذا الحسام وجعلتك مثلاً بين الانام ما طلعت الشمس وناح الحمام

قال نجد بن هشام فلما سمع مبادر منه هذا الكلام صار الضياء في عينه كالظلام لانه كان فارس بلاد اليمن وحامية صنعاء وعدن وحمل على عنترة بساعد شديد وقلب اقوى من الحديد لانه كان من الابطال الصناديد فالتقاه عنترة في المجال وصدمه صدمة الاسد وتطاعنا طعنًا يقرّب الاجال وتشيب منه الاطفال وانصر مبادر من عنترة قتالاً لم يكن له على بال فخاف على نفسه من الهلاك والوبال ومن شدة ما جرى عليه طعن عنترة بالرمح بين جنبيه فمال عنترة عن سنانه وتركه حتى وسع في ميدانه فهجم عليه وحمل ومال اليه مثل ثنية الجبل وصاح فيه فتخبل وضربه على عاتقه فاهلكه وبعد ذلك صاح في من بقي من الرجال وطلبهم من الجنب والشمال ونزل عليهم نزول الغيث اذا هطل وسقاهم من الموت كاسًا امرّ من الحنظل وقتل منهم من يوقف عن ساقه بطل وانصر باقي الرجال طعنًا يقرّب الاجل فحل في

قلوبهم الخوف والوجل فشردوا في السهل والجبل وما نجا منهم الا من سبق وعده وطلع بالاقبال سعده والباقون انطرحوا على وجه الصعيد كانهم حجارة جلاميد ورجع عنترة بعد ما خلص نساء القبيلة من تلك الورطة الوبيلة وهو مثل ثوب الارجوان مما سال عليهِ من دماء الفرسان وامر عبيد الحلة ان تجمع الاسلاب وهي ملء الارض والهضاب هذا وشيبوب في ركابهِ كانهُ ذكر النعام ولما وصلا الى الخيام استقبلتهُ الاماء والحرائر بالدفوف والمزاهر وتقدمت مارية اليهِ واثنت عليهِ وقبّلت راسه ويديهِ وقالت لله درك من فارس عظيم وبطل كريم لانك قد صنت البنات والنسوان وابدلت خوفنا بالامان وانقذتنا من نوائب الزمان

قال وكان شيبوب قد قطع راس مبادر وعلقهُ بالسنان واركزه امام مضرب مشاجع بن حسان هذا وقد عاشت من النساء الارواح وعلا منهنَّ الصياح وعاد فسادهنَّ الى الصلاح وتبدلت اتراحهن بافراح وهن يثنين على عنترة ويشكرن فعلهُ ويحمدن فضلهُ . فقال لهن عنترة وقد اظهر الطرب بالله عليكن يا مخدرات العرب ان تعيدوني الى ما كنت فيهِ من الاغلال والقيود فقلن لهُ لا وحق الملك المعبود لا عاد يقع على اطرافك الا نعومة الشعور والخدود لانك اوجدتنا من العدم الى الوجود فلما سمع عنترة كلامهن وشدة اقسامهن قال لاخيهِ شيبوب اني اقسم عليك بعلاّم الغيوب انك تعيدني الى الحديد ودع الله يفعل ما يريد فتقدم شيبوب اليهِ في الحال واعاده الى القيود والاغلال وشدد الحديد في رجليهِ من حنقهِ عليهِ واقام عنترة ينتظر العرضيات والامور المتقلبات

قال الراوي . هذا ما كان من ابي الفوارس عنترة وما جرى لهُ وتدبر . واما ما كان من بني عبس وخالد بن جعفر فانهم كانوا قد باشروا القتال مدة ثلاثة ايام مع الابطال وفي اليوم الرابع انكسرت بنو عبس وعدنان حتى اشرفوا على الهلاك والقلعان وضاقت في وجوههم البراري والقيعان وملكت بنو عامر على المناهل والغدران وضجت النساء بالعويل والصياح خوفاً من السبي والافتضاح والتمت الابطال بانفسها الى الهلاك وضعوا انهما عند هم من الموت فكاك وتدفقت جموع بني عامر كالبحور الزواخر والموج تضرب السيوف والخناجر حتى اخرجوهم من الديار وملكوا عليهم جميع الاقطار وتحصنت بنو عبس بالجبال . وايقنوا بالهلاك والوبال فقال لهم الملك قيس وقد اظهر الاكتئاب واستعظم المصاب وتحسر لفقد عنترة فارس الاعراب يا بني الاعمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لقد افتضحنا بين الانام فطاولوا القوم بالبراز الى ان تاتينا نجدة من عرب الحجاز فاجابوه الى ذلك المرام ودام الامر بينهم على مثل ذلك مدة ايام وكان الذي يلي برازهم الاسد الفاتك والصارم الباتك ملاعب

الاسنة غشم بن مالك فاسر منهم خمسين بطلاً من فرسان المعارك وكان آخر من برز اليهِ الامير شداد بن قراد فلما صار في الميدان واشتهر بين الفرسان تاملهُ ملاعب الاسنة فراى الشجاعه لائحة عليهِ تشهد لهُ لا عليهِ فاراد ان يلقي في قلبهِ الخوف الشديد ويعلم من هو من الابطال الصناديد فاندفق عليهِ كصاعقة الغضب وقال لهُ من تكون من فرسان العرب . انتسب ان كان لك نسب قبل ان يحل بك العطب فقال انا الفارس الامير شداد بن قراد المسمى بفارس جروة يوم الطراد فدونك والقتال ان كنت تدعي انك من الابطال قال ملاعب الاسنة انت والله سيدٌ كريم وكفوءٌ عظيم ثم انهُ حمل عليهِ ومال بكليتهِ اليهِ فالتقاهُ الامير شداد ووقع بينهما الحرب والجلاد وطال بينهما العراك والطراد حتى حجبهما الغبار عن اعين النظار وتطاعنا بالنصال وجرى بينهما عجائب واهوال تحير منها صناديد الرجال وما زالا في اشدّ قتال الى ان كلّ شداد ومل وضعف عزمهُ وانحل فهجم عليهِ ملاعب الاسنة هجمة الاسد وقد اشتد بهِ الغيظ والحرد وقبض على اطواق درعهِ والزرد فاقتلعهُ من سرجه واخذه اسيراً وقادهُ ذليلاً حقيراً فابتهج بنو عامر وانشرحت منهم الصدور واخذوا في الفرح والسرور هذا وقد علت من بني عبس الضجات وقلّت منهم الحركات وايقنوا بالفناء والممات وعاد ملاعب الاسنة الى ذيل العلم السعدي وقد ابدى الجور والتعدي وقال اويلكم يا بني عبس ابشروا بالتعس والنكس وابرزوا ان كان في فرسانكم من بقي والا فسلموا انفسكم لان التسليم لكم احسن واوفق

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس منهُ هذا الكلام استشاط غضباً واضطرم لهباً والتفت على من حولهُ من الفرسان والابطال والشجعان وقال لهم والله يا بني الاعمام لقد طالت بنا ممارسة القتال والصدام وقد فرغ منا الزاد وعجزنا عن مناولة الاستمداد حتى لم يكن امامنا الا السيوف القواضب وكثرة الجيوش والمواكب ووراءنا الا المهامه والسباسب والتسليم لنا اصوب وهو خير لنا واوجب ثم انهُ اظهر الجلد واخفى الكمد وعوّل ان يحمل على الفرسان وقد هاجت به البلابل والاحزان فمنعهُ نازح عن ذلك الشان واراد نازح ان يبرز الى ملاعب الاسنة غشم بن مالك فسبقهُ عروة بن الورد ومنعهُ عن ذلك ثم انهُ طلب ملاعب الاسنة وقصد اليهِ حتى صار بين يديهِ وحمل عليهِ وصدمهُ صدمة الاسد الرئبال واشتد بينهما الخصام والقتال واخذا في الانطباق والافتراق والطعن بالرماح الدقاق والضرب بالسيوف الرقاق حتى جرت الدماء من سواقي الاحداق وكان عروة قد تقهقر وتاخر وانحل عزمهُ وقصر فانقض عليهِ ملاعب الاسنة كالعقاب حتى حلك الركاب بالركاب وضايقهُ

ولاصقة وسد عليه طرقه وطرائقه ومد يده واقتلعه من ظهر الحصان والقاه طريحاً على بساط الصحصحان . قال فعند ذلك عظم على بني عبس الخوف والوجل وخاب منهم الرجاء والامل وايقنوا بالموت وحلول الاجل وعولوا على الهزيمة والفرار خوفاً من الهلاك والدمار فجعل يخيهم بالكلام ويحثهم على القتال والصدام وهو يقول لهم يا بني الاعمام لقد فتك فينا الرمح والحسام ودارت علينا كوؤوس الحمام فاصبروا صبر الرجال الكرام فقد هتكت البنات والنسوان وهلكت الابطال والشجعان وحلت علينا العبر وانفتح علينا حرب الاسكندر في غياب حامينا عنتر حتى صرنا عبرة للناظرين وآية للعالمين على مدى الايام والسنين فقاتلوا اعداءكم بقلوب قوية وهم عليه وابذلوا فيهم السيوف المشرفية والرماح السمهرية اذ ليس لكم من يحيي ارواحكم الا قوائم سيوفكم واسنة رماحكم ثم انه بعد ذلك المقال برز الى معركة القتال كانه الاسد الرئبال وتبعته الفرسان والابطال بقلوب اقوى من الجبال وقد هانت عليهم الاجال في بلوغ الامال فالتقتهم بنو عامر كالاسود الكواسر وطلبتهم من كل جانب وبذلت فيهم القنا والقواضب وسدت في وجوههم الطرق والمذاهب وهم يدافعون عن النساء والبنات الابكار وقد ايقنوا بالهلاك والدمار فبينما هم في اشد الاخطار واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار وانكشف عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان كانهم العقبان على خيول اخف من الغزلان وهم اكثر من خمسمائة عنان ابطال شجعان يقدمهم فارس بالحديد غاطس وهو طويل من الرجال على فرس ادهم رفيع الكفل وامامه رجل كانه الموت المعجل او سخط الله اذا انحدر ونزل بهم [illegible] الغزال اذا ذعره الصياد [illegible] الخيل وكان ذلك الفارس لما رأى كثرة الفرسان في ديار بني عبس وقد كان [illegible] ان القوم في ضرب وطعان فصاح بصوت كانه الرعد في الغمام وقد التهب فؤاده بنار الاضطرام يا ويلكم خلوا عن المضارب والخيام وارجعوا عن الحريم والعيال [illegible] وقرب الاجال فقد جاءكم فارس المعامع وخائض الاهوال في الوقائع الرفيع العماد القوي [illegible] من غير [illegible] عنترة بن شداد ثم انه كر وجال وحمل وفعلت الفرسان التي معه مثل فعله [illegible] بني عامر نزول الغيث اذا هطل وطعن في جمعهم طرف [illegible] وحسن الطعن فيهم وفصل [illegible] الرؤوس من [illegible] عامر فانه قاتل القتال [illegible] السيوف وطعن في المناكب [illegible] الرجال [illegible] جماجم الابطال [illegible] وقد عدت ارواح في [illegible] عنترة [illegible]

بالافراح وزالت عنهم الهموم والاتراح وعاد فسادهم الى صلاح ونادى الملك قيس الا ما ابركه من صباح ابشروا يابني عمي بالنصر والنجاح وعودوا الى الحرب والكفاح فقد جاءكم ليث البطاح والفارس الجحجاح الذي شاع ذكره واشتهر وخضعت لهيبته فرسان ربيعة ومضر ابن عمكم الامير عنتر

الكتاب الحادي والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وقد رده الكريم رب السماء بالسعادة والتوفيق ليعيننا على هذه الشدائد والضيق فهذا وقت ضرب الحسام وبلوغ القصد والمرام واخذ الثار من الاعداء اللئام فعند ذلك صاحوا وطلبوا الحرب والقتال وهزوا في ايديهم السمر الطوال وحملت الرجال والابطال فقاتلوا اشد قتال وانقلبت الدنيا بضجيج الحريم والعيال والاماء والعبيد والاطفال واتضح عندهم الحال بقدوم عنترة الاسد الرئبال فوقع ببني عامر الخوف واعتراهم الانذهال وتغيرت منهم الاحوال لانهم ابصروا من قتال عنترة ما يحير عقول الرجال وماجوا في اقطار البر كما يموج البحر اذا هبت به ريح الشمال وطلبوا الهرب والانفلال وكان خالد بن جعفر لما سمع صياح عنتر وشاهد فعله في ذلك اليوم المنكر خفق فواده وانذعر وخاف من وقوع الخطر فصاح على الشجعان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال يا بني الاعمام عودوا بنا الى المنازل والخيام حتى نقتل الاسارى بالحسام وننتقم منهم غاية الانتقام لانني اعلم ان الامر ينتهي بنا الى الانهزام ما دام قد وصل الينا هذا الشيطان الرجيم والوغد اللئيم ثم انه الوى عنان الجواد وتبعته الابطال والقواد وما وصل الى المضارب حتى سمع الضجة قد ارتفعت من كل جانب والسادات قد تخلصت واقبلت وهي مثل سهام المنايا اذا ارسلت لان شيبوب الصل الاغبر كان قد دخل عليهم وخلصهم من الاسر والضرر عند اشتغال العرب بقدوم اخيه عنتر وكانوا نحو مائتي فارس من الفرسان الجياد يتقدمهم عروة بن الورد وشداد بن قراد فلما نظر خالد الى تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال وخاف من الهلاك والوبال وقال لقومه اطلبوا بنا ديار بني فزارة وذلك الروابي والاكم حتى نبصر ما جرى لهم من عبدالله بن الصمة سيد بني جشم ونعلمه بان الجيش الذي انفذه معنا قد ولى وانهزم ثم انه طلب جوانب الفلا وهو خائف من الافات والبلا ولما ابصر ملاعب الاسنة الى راية خالد قد ولت وفرسانه قد تفرقت واستقلت طلب لنفسه الهرب خوفاً من وقوع العطب لانه ابصر من حرب عنترة ما يذهل البصر ويحير

الفكر ووقع في المتخلفين بعده الفنا ونهبت بنو عبس ارواحهم على اطراف القنا وخلصوا ما كان اخذ لهم من الاموال والجنائب وداروا بالامير عنترة من كل جانب وهنأوه بسلامته وسالوه عن سبب غيبته فحدثهم عنترة بما جرى له مع الربيع واخوته وكيف كان وصوله الى بني خولان وحديث الحريم والنسوان وخلاصه من الاسر والهوان ومجيء الفرسان الى نجدته وخدمته ومساعدته

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك ان عنترة كان قد اقام في بني خولان وهو مشدود اليد بن مقيد الرجلين . وفي اليوم الرابع قدم مشاجع بن حسان الى الاوطان بمن معه من الفرسان وهو الذي سار ليبشر الملك صفوان بن عباد في اسر عنترة بن شداد فابصر القتلى مطروحين حول الابيات من سائر الجهات . والنساء في غاية الفرح والطرب فتعجب من ذلك غاية العجب ودخل الى ابياته وهو حيران . وكان قد ابصر على باب مضربه رمحاً عالي السنان وعليه راس مادر كانه شيطان فسال عن الخبر فحدثوه بما فعل عنترة وكيف صان الحريم وقتل ذلك الجبار العظيم وكيف انه عاد الى القيود والاغلال بعد ذلك الحال . فتال فحار مشاجع ومن معه من الابطال وما فيهم الا من تحسر وقال والله لقد فعل هذا الرجل المفضال ما لا يفعله احد من سادات الزمان لانه صان الحريم والنسوان ورد نفسه الى القيود والاشراك بعد ما تمكن من الفكاك فوالله ان هذه زيادة في الكرم والمروة وحسن الشيم وكرم الاخلاق وعلو الهمم ويتعين الاحسان الى من يكون اذا حضر لا يتاخر ولا يتقدم ومثل هذا الذي يجب ان يتخذ صديقاً عند النوائب والشدائد ويرجى عند الضيق والاوابد . ثم انه بعد ذلك الكلام دخل مع سادات قومه على عنترة البطل الهمام فتقدم اليه وفك القيود من رجليه وقبل راسه وبين عينيه واخرجه الى وسط الحي واخلع عليه وهو يقول لله درك يا عبسي اليوم افديك بنفسي على ما فعلت معنا من الجميل الذي لم يفعله خليل مع خليل ثم امر عبيده بذبح النوق والاغنام وتضييف ابي الفوارس وخدم مع عنترة في الشرب والطعام . قال وكان في القبيلة رجل يقال له شيبوب من اولاد بعض عشيرة بن شداد لان عنترة كان قد قتل له اخوين وثلاثة اولاد فقال لمشاجع انت قد سرت الى الملك صفوان الاكبر وبشرته في وقوع عنترة وقد ضمنت له ان ترسله اليه لينال الجزيل الذي ليس قليل وارى انك ان عزمت على اطلاقه وندمت على ذلك لم تبق لك حجة تحتج بها اذا سالك عنه فقال مشاجع واي حجة تكون وفي من فعل هذا الاحسان الذي خلص النساء والنسوان بعد ما كن قد اشرفن على الهلاك والفضيحة فوالله لم تبق لك حجة تحتج بها عليه

فلا تنزين بعد هذا الكلام لهُ غريم ولا عدو قال ولما سمعنا النساء كلام مثير في حق عنترة صحن عليهِ من كل جانب واخذن اعمدة البيوت والمضارب وطلبنهُ مثل السلاهب ونزلن على رأسهِ بالأعمدة والتوت حتى كاد ان يموت ثم انهن التفتن على من حضر من الفرسان وقلن والله لو اتى الى هذا الرجل كسرى انو شروان او قيصر ملك عباد الصلبان او ابن ماء السماء الملك النعمان وارادوا لهُ الهلاك والقلعان لبسن نحن السلاح وقاتلنا عنهُ الى ان تذهب الارواح فوحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تسيروا في خدمتهِ الى اهلهِ وعشيرتهِ لاعدنا ضاجعناكم ابدا على طول المدى فقال الامير مشاجع ارجعن الى البيوت والمضارب لان هذا فرض علينا وما هو الامن بعض الواجب . ثم انهم باتوا تلك الليلة في سرور وافراح . ولما كان الصباح اختار مشاجع من قومهِ خمسمائة فارس كانهم الليوث العوابس . فركبوا الخيول وتقلدوا النصول وعولوا على المسير مع عنترة الى ديار بني عبس وتلك الطلول فمنعهم عنترة عن ذلك وشكر افعالهم وطلب منهم ان يبقوا في ديارهم واطلالهم فابوا وحلفوا ان لابد لهم من المسير في خدمتهِ ولا يعودوا عنهُ حتى يصل الى اهلهِ وحلتهِ فقال لهُ شيبوب دعهم يسيروا معنا الى الاطلال فانا اعلم ان بني عمنا يكونون قد اشرفوا على الهلاك والوبال من بني عامر الانذال واذا كان معك مثل هذه الفرسان يعينوك على نوائب الزمان فلا تكره الجميل والاحسان فامتثل الى ما بهِ اشار وساروا طالبين الاهل والديار وعنتر فرحان بمصادقتهِ لبني خولان وهو امامهم كانهُ الاسد الغضبان ولما تبطنوا البراري والسباسب تذكر عنترة ماجرى لهُ من النوائب وما قاسى من الاهوال والمصائب فانشد وقال

ارقتُ وهاجني البرقُ اليماني	يلوحُ كانهُ مصباحُ ثاني
واضرمَ في صميم القلب نارًا	كضربي بالحسامِ الهندوانِ
اذا هانتكَ منزلةٌ فدَعها	ولا تنزل بمنزلةِ الهوانِ
وفارقها الى بلدٍ سواها	ولا تأمنْ معاداةَ الزمانِ
ويتبعني صناديدٌ كرامٌ	بايديهم عصيُّ الخيلجانِ
واني قد حملتُ اليومَ رمحًا	ثمانٌ في ثمانٍ في ثمانِ
وسيفي مرهفُ الحدَّين ماضٍ	اخوضُ بهِ الوغى والموتُ دانِ
وكم من فارسٍ خليتُ ملقًى	عفيرَ الخدِّ مخضوبَ البنانِ
وانْ طربَ الرجالُ بشربِ خمرٍ	وغيَّب رشدهم خمرُ الدنانِ

فرشدي لا يغيبهُ مدام ولا اصغي لقهقهة القنانِ
احبك ياظلومُ فانتِ عندي مكان الروح من جسدِ الجبانِ
ولواني اقولُ مكان روحي خشيتُ عليكِ بادرة الطعانِ

قال فطرب مشاجع بن حسان ومن حضر من سادات بني خولان وقال له مشاجع والله ياسيد الفرسان ونادرة هذا الزمان لقد زهت بغرة وجهك الايام وتزينت بوجودك الاعوام لانك فقت على سائر الانام بالفروسية وفصاحة الكلام وحفظ العهود والذمام فلا زلت محروساً من الخطر ما طلعت الشمس وشعشع القمر فشكره عنترة على هذا المدح وقال له انت اولى بهذا الوصف والشرح ثم انهم جدوا في قطع القفار حتى وصلوا الى الديار فوجدوا الرماح خارقة والسيوف بارقة والفوارس شاهقة فخاض عنترة القسطل وفعل ما فعل وقتل من قتل كما تقدم الكلام في الاول . قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس من عنترة ذلك الكلام تعجب غاية العجب واخذه الفرح والطرب وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان احاديثك لها طراز بين عرب اليمن والعراق ونجد والحجاز وانا اشكر الرب القديم رب موسى وابراهيم الذي اوصلك سالماً الى الاوطان من نكبات الزمان ولابد ان نجازي فرسان بني خولان بما نقدر عليهِ من الاحسان ونتركهم لنا من جملة الحنفاء والخلان والان فقد زال عنا الخطر ونلنا بقدومك ما كنا نشتهيهِ من نجاح الظفر وبلوغ القصد والظفر وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر لاننا ان لم نقتله لا يقر لنا قرار ولا يسكن لنا ليل ولا نهار ثم حدثه بحديث بني فزارة وما حل بهم من التعس والخسارة وكيف انهم تظاهروا بعد الصفا والوفا بالغدر والجفا وكيف ان الربيع ارسل وعتبه بالكلام من مدة ايام وقال له نحن لولاك ما كان بيننا وبين خالد بن جعفر معاندة ولا حرب ولا مفاتنة وانا خائف يا ابا الفوارس ان يتم على بني فزارة امر من الامور وتطرقهم طوارق المحذور فتضيق منا الصدور والصواب ان ندركهم عند الصباح ابطال المعارك والكفاح ونكشف عنهم تلك الغمة ونساعدهم على قتال عدوهم من الصحبة لانه قد احاطهم من كل جانب وسد عليهم سائر الطرق والمذاهب فقال عنترة كيف اسير لنصرة اعدائي الذين يريدون هلاكي وفنائي والله انهم لو كانوا يقدرون على اكل لحمي لاكلوه ولو تمكنوا من شرب دمي لشربوه ولكن اكراماً لك ايها الملك الهمام والسيد القمقام فعلى ما تحقق بخلوص الطوية وصدق النية وادافع عنهم بالسيف والسنان على قدر الامكان وذلك يكون بعد وداع هؤلاء الفرسان اصحاب الفضل والاحسان ومكافاتهم على الجميل والمعروف لانهم خاضوا معنا الصفوف وتنوا

بصدورهم الاسنة والسيوف وعرضوا انفسهم لانياب الحتوف فقال مشاجع سيد بني خولان والله يافارس عدنان لو طارت رؤوسنا بين يديك لما تفضلنا ابدًا عليك وانا اقسم بالبيت المعظم وبالشهر المحرَّم اني لا اعود الى اهلي حتى تنقضي اشغالكم ويهدأ بالكم وتامنوا على حريمكم وعيالكم وتخرج الاعداء من اطلالكم فقال له الملك قيس جزاك الله عنا كل خير وكفاك كل شر وضير فوالله لا ننسى جميلكم ابدًا على طول المدى ثم انه انزلهم في الخيام ونحر لهم الجزور والاغنام واكرمهم غاية الاكرام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دخل بابطال بني عبس وعدنان وسادات بني خولان الى ديار بني فزارة وغطفان وعنترة في مقدمة الفرسان والى جانبه مشاجع بن حسان والى جانبه الاخر عروة بن الورد البطل القسور وابوه شداد الاسد الغضنفر وهو من افرح البشر في سلامة ولده عنتر هذا وعنترة يتأسف على مسيره الى بني فزارة لاجل نصرة الربيع وعمارة ولما وصلوا الى تلك الطلول وراوا الارض تضج من ازدحام الفحول وخفق الطبول وعطعطة الحبول وبني فزارة في حالة العدم من كثرة تلك الخلايق والامم لان بني جشم وهوازن احاطوا بهم من كل الاماكن واطبقوا عليهم بالعساكر والعدد المتكاثر وفاضوا عليهم مثل البحور الزواخر حتى كأن الساعة اقتربت او السماء عليهم بالشهب قد انقلبت والارض بهم اهتزت واضطربت وكان الحارث بن ظالم قد قاتل معهم في الايام السابقة قتال نعوذ منه الجن والعمالقة الا انه لما طال عليه الامر رجع الى المكر والغدر فترك القوم في الهيجاء وانهزم الى دياره طالبًا الخلاص والنجاة بعد ما اخذ ما وصلت يده اليه من الاموال والنوق والجمال وجد في قطع البراري والتلال وساعده السعد والاقبال الى ان وصل الى الاطلال وبعد ذلك لحست بني فزارة الابطال وداروا بهم من اليمين والشمال وارسلوا فيهم جوارح النهب والاستئصال وقتلوا منهم جماعة كثيرة وعصابة غزيرة وخسرت بنو فزارة غاية الخسارة ووقع السبي في الحريم وابصروا في اعينهم البلاء العظيم فبينما هم قد اشرفوا على الهلاك ولم يبق لهم مناص ولا فكاك اذ اشرفت عليهم فرسان بني عبس وعدنان وفي مقدمتهم عنترة ومشاجع بن حسان وابطال بني خولان وكان وصولهم اليهم ضحى النهار فاقتحموا القتام والغبار وحملوا على ذلك الجيش الجرار وطلبوهم من اليمين واليسار وكان خالد بن جعفر لما انهزم من وجه عنترة كما تقدم الخبر طلب ديار بني فزارة بعزيمة وهمة حتى اجتمع بعبد الله بن الصمة وحدثه بما جرى وكان ورجوع عنترة الى الاوطان بالابطال والفرسان وكيف انه مزق المواكب والكتائب وشتت الفرسان في بطون الاوعار والسباسب وقال له في اخر الكلام ايها البطل الهمام والليث الضرغام قاتلهم تحت جنح الظلام قبل وصول

بني عبس اليكم لانها قادمة عليكم وكان خالد بن جعفر قد ظن ان عبد الله يكسر بني فزاره ويقلع منهم الاثر قبل وصول بني عبس وعنتر فاستصوب عبد الله راية وامتثل وحمل على بني فزارة بذلك الجحفل وكانت بنو عبس قد حملت وطلبت الاعداء وقاتلت ولما ابصر هول القتام وكثرة الازدحام قصد البيارق والاعلام وخاض الغبار والقتام وطعن في صدور الابطال طعناً يقصر الاجال ونشيب من هوله الاطفال وكانت بنو خولان قد حملت لحملاته والله هنت من ضرباته وطعناته وتمنت انه يرجع معها الى الديار ويكون حلية ارضها وتلك الامصار فازدادوا له في المحبة وقد صارت له في قلوبهم منزلة ورتبة فقاتلوا وبذلوا المجهود وزادت نيران الحرب في الوقود ووقعت الاسنة في القلوب والكبود وغابت الابطال عن الوجود وخيم الغبار على رؤوسهم حتى بقي مثل الرواق الممدود وارتجت الارض من ازدحام العساكر والجنود ومالت الاعلام والبنود وعادت وجوه الرجال بعد البياض سود وتمت الابطال كانهم الاسود وكانوا بين قتيل محط ومسعود وغائب وموجود وحاضر ومفقود وما زالوا على ذلك الحال وهم في اشد القتال الى ان ملّت النفوس ولعبت الحوافر بالرؤوس وحل بني هوازن النحس والبوس لانهم راوا طعناً اشد من لهيب النار فخافوا من حلول البوار وطلبوا الهزيمة والفرار وتفرقوا كما تتفرق الاغنام من وجه سباع الآجام وتفرقوا بين الروابي والاكام والسيوف من خلفهم وامامهم تعمل في اجسادهم وكان من جملة المنهزمين خالد بن جعفر فانه كان قد خاف وانذعر عند سماعه صوت الامير عنتر وطلب البر الاقفر وما شاهد عبد الله بن الصمة ذلك الحال خاف من المهالك والهوان فصاح في الفرسان والابطال ومن كان يعتمد عليهم في القتال وعواقب الاهوال الفرار يا بني عمي الفرار قبل نزول الدمار فعند [illegible] وفرسان [illegible] مردة الجان لا تهاب الموت ولا تختشي حلول الموت ثم انه بعد هذا الخطاب [illegible] من معه من الخدم والاحزاب والاصدقاء والاصحاب وتفرقت خيلهم في متون الهضاب وبطون الاودية والشعاب وغنمت بنو عبس منهم غنيمة حسنة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم الا [illegible] القدر وما تفرقت الجيوش [illegible] بني عبس القلوب والمهجات [illegible] عنترة [illegible] الديار والاوطان وقد [illegible] وقدم [illegible] واخف [illegible]

[illegible]

[illegible]

قال الاصمعي ولما استقرت بنو عبس في ديارها واطمأنت في افكارها وتمهدت لقيس قواعد الملك والرتب وانقادت له هيبة عنترة سادات العرب اخذ يسلي عنترة بن شداد وياخذ بخاطره على ما فعلت به بنو زياد وقال له لا تحزن يا ابا الفوارس على ما اصابك من هولاء الاوغاد فقد جرى عليهم من المصائب ما لا يوصف واظهروا لنا الندم والاسف واما بذلك فرحان لان ظنهم قد عدموا مالاً وحسراناً

قال فعند ذلك بردت نار عنترة قليل ورق قلبه من جهة ذلك النبيل وكان قد جعل عنترة نديمه وجليسه وكاتمه وكان اذا حضر معه على الطعام والصرتصيرة عند شراب المدام [illegible] بحضرته وهو يعمل بذلك كله من اجل علته ابنة عمه فيقول له يا ابا الفوارس لا ترعج سرك ولا تضيق صدرك [illegible] الامر لا قد تيسر وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر لانه مادام جالساً لا يطيب لنا عيش ولا يهنأ عرس ولا ولائم ولا يمكني ان اغصب عمك ان يوصلك [illegible] كرهته لاني اذا غصبته على ما لا يريد خفت من سوء [illegible] من ذلك السبب لا اريد قال وكان عنترة قد اسمع [illegible] قصة خالد

قال الراوي [illegible] خالد بن جعفر [illegible] هرب وانهزم وفارق [illegible] من عساكر حتى وصل الى ديار بني عمرو [illegible] ومن قتل [illegible] بني عبس [illegible] [illegible] الامر العسير [illegible] في [illegible] قال له الاحوص [illegible] الملك الاسود وعلة [illegible] الاسود [illegible] طغى وتمرد [illegible] قد شربت [illegible] [illegible] الاسود [illegible] بني عبس [illegible] [illegible]

قال الراوي [illegible] بن جعفر [illegible]

ديار بني فزارة كما سبقت الاشارة قصد الملك النعمان ليعلمهُ ما جرى وكان واملُ انهُ يرسل معهُ جيشاً من الفرسان الى نصرة بني عبس وعدنان وبقيهُ حامية على تلك الاراضي والقيعان وكانت لهُ اخت في الحيرة وتلك المعالم يقال لها سلمى بنت ظالم وكانت متزوجة برجل قبيح السيرة عديم النخوة والغيرة قد انصعب بالمكر والخيانة يدعى سنان بن ابي حارثة وكانت داية نساء النعمان سيد قبائل العربان وكان للنعمان ولد صغير يسمى شرحبيل قد سلمها اياهُ لتهذبهُ وتربيه وكانت روحهُ معلقة فيهِ قال وما زال الحارث مجداً في المسير وسرعة التشمير حتى وصل الى الحيرة وتلك الثنية والحظيرة ودخل على النعمان وسلم عليهِ وقبل الارض بين يديهِ واعلمهُ بالواقعة [illegible] من بني عبس من النكال وطلب منهُ ان يمدهُ بالفرسان والعساكر لتقاتل بني عامر وتبقى حامية على تلك الاحزاب والعشائر [illegible] الى سوالهِ ولم يلتفت الى مقالهِ لانهُ كان [illegible] وتصرفات احوالهِ فخرج من عند النعمان ودخل على اختهِ وهو [illegible] فاستقبلته بالترحيب والاكرام وما اقام عندها اكثر من ثلاثة ايام حتى قدم [illegible] بني عامر [illegible] من سادات العساكر ودخلوا على الملك الاسود وهم في [illegible] وقصوا قصتهم [illegible] فقال الاسود لخالد بن جعفر [illegible] وصل الينا [illegible] جمعت بني عبس وعدنان قبائل العربان [illegible] الابطال [illegible] وقتلت [illegible] وحدث الحارث بن ظالم [illegible] وعن [illegible] الادية [illegible] من بني عبس وعنترة [illegible] وحضر الينا [illegible] ساعية [illegible] فقتل [illegible] في يوم واحد [illegible] عنترة [illegible]

[illegible]

[illegible] الاقارب والا [illegible]

[illegible] في بني عبس [illegible]

الى ما طلبناه وارسل معنا اخاهُ عبد الله فانتصرت بنو عبس علينا واوصلت شرها الينا وقتلت فرسانا واهلكت شجعاننا و بعد كل ذلك العمل ايها الملك المبجل ما اتيناك في طلب معاعدة او نجدة وما نريد منك الا ان تصلح بيننا وتخلصنا من هذه الشدة لانك ملكٌ عالي الهمة ومن شيم الملوك الشفقة والرحمة

قال فلما سمع منهم ذلك المقال شفق عليهم وضمن لهم اصلاح الحال وانزلهم في الخيام واكرمهم غاية الاكرام وذبح لهم النوق والجمال وقدمهم صافي المدام وافاض عليهم الخلع ليرفع عنهم الخوف والفزع ولما اصبح الصباح دخل بهم على اخيه الملك النعمان وحدثه بما جرى وكان وطلب لهم العفو والامان . قال وكان النعمان لما بلغه قتل الملك زهير استشاط غضباً واشتعل فوادهُ غمًا ولبست زوجته المجردة على ابيها السواد وواظبت على النوح والتعداد وكانت كلما سألت بعلها ان يساعد اهلها على اخذ الثار وكشف العار يقول لها متى طلبوا مني الامداد امدهم بالعساكر والاجناد ولكني اعلم انهم قادرون على اخذ ثارهم وبلوغ المراد ما دام فيهم عنترة بن شداد . قال وكان الملك النعمان يتمنى ان تذل له بنو عبس وعدنان حتى تدخل تحت طاعته وتسمع سنة العربان ولما دخل عليه الملك الاسود واخبرهُ بما جرى وتجدد تعجب من ذلك غاية العجب وعزم وفرح من الصلح بين طوائف العرب خوفاً من وقوع الفساد في اقطار البلاد ويظهر من الشر ما استتر وينفتح عليه سد الاسكندر . ثم انه التفت على اخيه وقال له يا ذا المفاخر اجمع لي الحارث بن ظالم حتى اصلح بينه وبين سادات بني عامر وانفذ معهم من يدبر احوالهم ويردهم عن حينهم وضلالهم واشترط عليهم ان عاد احد تعدى على الاخر كنت انا خصمه الاكبر ففرح الاسود واستبشر وفي الحال بعث خلف الحارث فحضر فوضع النعمان يده في يد خالد بن جعفر وطلب منهما ان يتحالفا على حفظ العهود والوفا وان يعيشا باقي عمرهما متصافيين وفي رياض الصفاء متوافقين فامتثلا الى ما امر وبادرا الى ما ذكر وقد امحى الحقد وذهب المكر واستترت الخواطر وزالت الغبون من سادات بني عامر وعمل النعمان لهم وليمة عظيمة ... وزادهم في الاكرام والبشاشة والترحيب والهشاشة وبقي معهم طول ذلك النهار الى ان دخل الليل بالاعتكار وهم يعيدون عليه حديث بني عبس وعدنان وما جرى لهم مع عنترة الفرسان في مواقف الضراب والطعان وما زالوا في ... حتى فرقت ... السادات فرجعوا الى المضارب والابيات

... يكون رشداً ...

... حارث ... قد خذه ... وتمغض ... وترمرم ... سمع مقالة خالد بن

جعفر في حق ابي الفوارس عنتر وكيف انه وصفه بالشجاعة وقوة الجنان وفضله على سائر الفرسان فاضمر له الشر والنكال لانه مجبول على الغدر والاحتيال وقال والله لافعلنَّ فعالاً اذكر بها الى الابد ما قام قائم وقعد واقتل خالد بن جعفر في حرم الملك النعمان ولا ابالي بحوادث الزمان وطوارق الحدثان ثم انه قوّى عزمه على ذلك الشان وصبر حتى نام كل يقظان فنهض قائمًا على الاقدام وهو نشوان من شرب كاس المدام وجعل يدور بين المضارب والخيام الى ان وصل الى الخيمة التي فيها خالد فدخل عليه وهو راقد وضربه بسيفه على رقبته فقطع راسه عن جثته ثم ركب جواده وطلب البرية والهرب خوفًا من الهلاك والعطب وهو لا يدري الى اين يذهب تحت اذيال الغيهب

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح طلب الاحوص بن جعفر اخاه خالدًا لانه كان عند صهره الاسود راقدًا فلما دخل على اخيه ورآه على ذلك الحال الذي هو فيه اضطرب جسمه واقشعر ووقف شعر راسه وازبأرّ وخاف وارتاب وغاب عن الصواب وعظم عليه المصاب ومزّق ما عليه من الثياب وعرف ان الذي فعل تلك الفعال هو الحارث بن ظالم ابن الانذال لانه يعلم انه مجبول على الغدر مطبوع على الدهاء والمكر فرجع عند الملك الاسود على الاثر واعلمه بذلك الخبر فجرى عليه ما لم يجرِ على قلب بشر واحس بان فؤاده قد انفطر واحترق وقبض على بني مرّة الاوغاد واوثقهم في القيود والاصفاد ودخل على اخيه الملك النعمان واخبره بما فعل الحارث الخوّان وكيف انه قتل خالدًا بن جعفر وانزل به الويل والضرر . قال محمد بن هشام فلما سمع الملك النعمان منه ذلك الكلام تشوّش فكره وضاق صدره وحلف انه لا بد له ان يقتل الحارث بن ظالم ويجعله عبرة بين العوام وقال هل بلغ من قدر هذا الوغد الفاجر ان يخرق حرمتي بين سادات العشائر ويقتل في حرمي اميرًا من امراء بني عامر فوالله اني لا اقابل هذا الوغد الا بالقتل والصلب ثم انه امر الابطال ان تضعه في الطرقات والتلال فركبت الفرسان صهوات الخيول وداروا يفتشون عليه في الاوعر والسهول ثم عادوا عند المساء وقالوا ايها الملك ما وقعنا له على خبر ولا وقفنا على اثر فزاد وزيد وزاد في الغيظ وتمكن وامر بصلب اصحاب الحارث على سور البلد فقال له اخوه الملك الاسود حاشاك ايها الملك العظيم ان تاخذ البريء بالسقيم فلو كان عند هؤلاء من فعله ادنى خبر لكانوا شردوا في البر لانهم لم يذنبوا ذنب وعندي من الصواب ان يقوّى البحث ويضبط خارج المدينة على سبيل الرهينة حتى يقع في اليد ذلك الوغد اللئيم والشيطان الرجيم فاجابه الملك النعمان الى ذلك الشان . قال الراوي وانه

كان من الحارث فانهُ كان قد تبطن القفار وسلك السهول والاوعار ولما صحي من سكره خاف من عواقب امرهِ فندم على ما فعل وعلم انهُ لا بد ان يقتل ويشرب كاس الاجل وعوَّل ان يقصد بعض الروابي والآكام ويتغلغل فيها الى ان يدركهُ الحمام ولا تشتفي بهِ الاعداء اللئام فلما صمم النية على ذلك خاف على اصحابهِ من المهالك فكرَّ راجعًا يطلب الحيرة وفي قلبهِ هموم كثيرة وهو تارة يستتر بين الجبال وتارة يقطع السهول والتلال الى ان وصل الى الحيرة عند اقبال الظلام فنزل عن ظهر جوادهِ واخذ يجول بين الخيام فوجد العبيد الموكلين باصحابهِ راقدين وكانوا نحو خمسين فذبحهم ذبح الاغنام وسقاهم كاس الحمام واطلق اصحابهُ من القيود والاصفاد وقال لهم اطلبوا ديار بني عبس الاجواد واستجيروا بقيس وعنترة بن شداد واما انا فلا بد لي من ان اتمم العمل واخذ بثاري قبل ان اقتل ثم انهُ فارقهم وسار على عجل وقد هان عليهِ الموت وشرب كاس الاجل ودخل على اختهِ سلمى وهو في ضيق حال وسوء بال فلما راتهُ وثبت اليهِ وسلمت عليهِ وقالت لهُ ايها الاخ المنصان ما الذي اوجب رجوعك الى هذا المكان بعد ان صرت في امان وتخطيت البراري والكثبان فوالله ان وقع فيك الان ماء السماء ليشربنَّ دمك كما يشرب الظمآن من زلال الماء فقال الحارث الى اين اذهب وقد نحل عزمي والملك النعمان قد صار عدوي وخصمي فوالله لم يجسر ان يساعدني احد من سادات العرب الا امت على بلوغ الارب قالت ما هو مرادك قل لي عليهِ حتى ابادر اليهِ فقال لها اريد منك الان ان تسلميني ابن الملك النعمان حتى التي بهِ اباه عند الصباح واطلب منهُ المغفرة والسماح فلعلهُ يغفر زلتي ويقابل عاية نغيتي فلما سمعت منهُ ذلك الخطاب رأتهُ عين الصواب فسلمتهُ الولد في الحال ولم تكن تعلم بما عندهُ من المكر والمحال فاخذ الغلام وكان عمره ثلاثة اعوام وسار حتى خرج البلد فركب جوادهُ ولم يعترضهُ احد وصبر قليلاً حتى اصبح الصباح وخرجت الناس الى الاشغال ومعاطاة المهن والاعمال فنادى بالمرة انا الحارث بن ظالم فارس الاعارب والاعاجم ثم حذف الولد من يده في الهواء نحو خمس قامات وتلقاه بسيفهِ ذي الحيات بحومة السيف فقطعهُ نصفين والقاه على الارض قطعتين وطلب البرية على مهر خوفًا من القتال والنزال وبلغ النعمان الخبر فبكى وتحسر وتبدل صافي عيشهِ بالكدر وقامت عليهِ القيامة ولطم على خديهِ اسفًا وندامة وصاح على الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وطلب منهم ان يتبعوا الحارث الفاتك فركبت الفرسان من بني لخم وشيبان وتبعوه في البراري والكثبان ولم تكن الا ساعة حتى ادركوهُ فصاحوا عليهِ وطلبوهُ فلما رآهم تبسم عليهِ ودار من حواليهِ تصوّر الموت بين عينيهِ فاظهر الجلد واخفى الكمد وهجم عليهم

كالاسد والشاهم بالصارم المهند وسطا عليهم واستطال وما زال ينثر الفرسان والابطال ويجول فيهم عن اليمين والشمال وينثرهم على الرمال حتى امسى المساء وحندست الغلساء وكان قد اشرف على العطب من شدة التعب فولى يطلب المهرب وقد ايقن بالهلاك وعلم انهُ لم يبقَ لهُ من الموت فكاك الى ان وصل الى صخرة كانت هناك فضربها بالسيف بقوة ساعده وزنده وكان قصده ان يكسره حتى لا يملكهُ احد من بعده فقدّها شطرين والقاها قطعتين وبقي السيف على حالهِ الاول لم يتثلم ولم يتغال ومازال في هزيمتهِ وفرارهِ حتى اقبلت عساكر النعمان على اثارهِ وكانوا قد ابصروا الصخرة حينما ضربها فاندهشوا عند ما شاهدوا ما حل بها فوقفوا في ذلك المكان وقالوا وحق ذمة العربان ما هذا الانسان الا من عفارية الزمان وما يتبعهُ الا من يكون قد فرغ اجلهُ وانتهى من الدنيا مرتحلهُ لانهُ اذا كان سيفهُ يعمل في الصخور هذه الاعمال فكيف يكون فعلهُ في ابدان الرجال . وسار الحارث وقد اراد بتلك الضربة ان يموت ويلقى ضريحهُ فسلمت بها روحهُ واما عساكر النعمان فلما شاهدوا ما جرى وكان رجعوا واعلموا الملك بذلك الشان فامر بالقبض على سنان وقال لهُ يا شيخ الضلال ومن هو مجبول على المكر والاحتيال اريد منك الان احضار الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم والا صابتك بالاقران وجعلتك عبرة في قبائل العربان على مدى الزمان فبكى سنان وطلب منهُ العفو والامان وضمن لهُ احضار الحارث خوفاً من العطب والهوان ثم ان النعمان كتب الى قبائل ربيعة ومضر واعلمهم بذلك الخبر وان الذي ياتيه بالحارث يعطيه ما طلب من الفضة والذهب

قال الراوي . واما ما كان من اصحاب الحارث فانهم كانوا قد جدّوا السير وسابقوا بمسيرهم الطير حتى وصلوا الى ديار بني عبس ودخلوا على الملك قيس بن زهير وحدثوه بقتل خالد بن جعفر ففرح واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وخلع عليهم خلع السنية وحمل لهم المواهب والعطية وعمل وليمة جمع فيها السادات الكرام وقدم لهم الطعام والمدام واكرمهم غاية الاكرام وبعد ان اكلوا وشربوا [illegible] وطربوا التفت الملك قيس الى بني عمهِ وقال [illegible] سمعت [illegible] عنترة وحديثهُ عنهُ [illegible] روحهُ واخذت [illegible] منهُ فقال نعم ايها الملك الهمام والصارم الحسام اني ما حدثتك عنهُ الا من كلام [illegible] ليس لهم عهد ولا ذمام فقال الملك قيس قد عولت على عرس الامير عنترة بعد ثلاثة ايام [illegible] اوقات الافراح في المساء والصباح [illegible] وقال [illegible] الان [illegible] الملك قيس [illegible] وقد صار عنترة عنده [illegible]

عند ابيهِ وقد الزمني ان ازف ابنتي اليهِ واسلم قيادها اليهِ وانا وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب لو بلغ راس هذا العبد الى اوج السماء لا يطيب على قلبي ان اسلمهُ عبلة ولو انها من بعض الاماء . قال الراوي . واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ عاد الى ابياتهِ وهو مسرور الفؤاد ولما اصبح الصباح الضاحك ومضى الليل بسوادهِ الحالك اذا باخيهِ شيبوب قد دخل عليهِ ووقف بين يديهِ وقال لهُ لقد وصلت الان اختك مروة من بني غطفان وهي باكية ولهانة واقول انها على نعالها حردانة وقد ارسلتني اليك يا ابن الاجواد حتى تحضر الى مواجهتها في بيت ابيك شداد فنهض الامير عنترة قائمًا على قدميهِ وسار من وقتهِ وسيفهُ الضامي بيدهِ وهو يتوكأُ مثل العصا عليهِ . قال الاصمعي . وكانت هذه مروة بنت شداد من غير زوجتهِ سمية متزوجة في بني غطفان برجل اكرم من سحاب الغيث يقال لهُ الحجاج بن الليث قد رزقت منهُ ولدًا كانهُ الهلال وسمتهُ المطال ولما بلغ سن الرجولية تعلم الفروسية حتى سار بطلًا مذكورًا وفارسًا مشهورًا وكان دابهُ ركوب الخيول وملاقاة الفحول وكان عنترة يحبهُ ويودهُ قربهُ . قال فلما دخل عنترة عليها ونظر اليها رآها باكية العين حزينة القلب زائدة البلا والكرب فسالها عن حالها وكيفية احوالها فقالت لهُ اعلم يا اخي ان ولدي خرج يغير على قبائل العرب في طلب الاموال والمكسب . وقد طالت عليَّ غيبتهُ حتى اشرفت من فقدهِ على العطب ولي مدة طويلة وانا لا آكل ولا اشرب فلما كانت ليلة امس غفلت عيني وانا كثيرة الافكار فرأيت ولدي في ارضٍ مسودة الاقطار وفي رجليهِ قيود من نار فانتبهت من منامي واذا انا بعبدٍ على باب خيامي وهو عظيم الجثة بوجهٍ هائل وعليه ثياب رثة في زيّ سائل وقال شيءٌ لله يا اهل الخير من قوت النفوس فخرجت اليهِ وفي يدي قطعة ترموس وقلت لهُ خذ يا جائع القلب وفارغ الضلوع وادعُ لولدي الغائب بالرجوع فقال لي وقد تبسم من هذا المقال اليس ولدك هو المطال قلت نعم وقد خرج من برهة غازيًا مع بعض اصحابهِ فاين رايتهُ لاني اراك عارفًا بهِ فقال هو ماسور يا بنت الاكارم عند لقيط بن زرارة سيد بني دارم ومعهُ اثنا عشر من الغلمان وباقي اصحابهِ قتلوا وشربوا كاس الهوان وقد اوثقهُ بين اربع سكك من الحديد وهو يقاسي العذاب الشديد وقد اتيت من عندهِ في زيّ رسول . وهو يسلم عليكِ ويقول اقصدي خالي واعلميهِ بحالي وقولي لهُ ان يسرع ويدركني قبل ان يقتلني اللقيط ويهلكني وها انا يا اخي قد اتيت اليك وجعلت اعتمادي من بعد الله لانك سيفنا القاطع وحصننا الذي نأوي اليهِ اذا اشتدت المعامع . قال فلما سمع عنترة كلام اختهِ زادت نكبتهُ وعظمت بليتهُ لانهُ كان يظن ان عقدتهُ قد انحلت ونحوسهُ قد

وولت فقال لاخته ارجعي الى ديارك وكوني مطمئنة في افكارك فمن قريب ياتي ولدك بالتحف والغنائم من اموال بني دارم ثم انه طيب قلبها وازال عنها خوفها ورعبها وانفذ رسولاً لعروة بن الورد يعلمه بما جرى للهطال وانه في بني دارم في الاسر والاعتقال ويامره ان ياخذ اهبة الحرب والقتال ثم اوصى اباه واعمامه بكتمان الحال خوفاً من القيل والقال وركب عنترة وفي صحبته ابوه شداد وجماعة من بني قراد ولما سمع عمه مالك بذلك الخبر فرح واستبشر وقال لعل هذا الولد يهلك في هذه الكرة ولا يعود من هذه السفرة الا انه لما ابصر ركوب عنترة في الليل تبعه مع جملة الخيل واظهر انه يريد المسير معه وطلب منه درعاً من الدروع فرده عنترة وساله في الرجوع وقال له ارجع الى حالتك واصلح حال ابنتك حتى نعود بابطال بني دارم ونستعين بها على الدعوات والولائم فقال له بحشه ودهاه وقد بكى بين الابطال والله ياابني لقد تنغص عيشنا باسر الهطال فقال عنترة لكل شيء ياعم وقت معلوم ولا يقدر الانسان ان يدبر امراً ما لم يدبره الحي القيوم خالق الكواكب والنجوم ثم تركه وسار وفي صحبته عروة بن الورد ورجاله الاخيار ولما توسطوا البر الاقفر التفت الى خلفه نحو الديار فتنهد وتحسر وانشد يقول من فؤاد متبول

اعادي صرفَ دهرٍ لا يعادى	واحتملُ القطيعةَ والبعادا
واظهرُ نصحَ قومٍ ضيعوني	وان خانت قلوبهمُ الودادا
أعلِّلُ بالمنى قلباً عليلاً	وبالصبرِ الجميلِ وان تمادى
تُعيّرُني العدى بسوادِ جلدي	وبيضُ خصائلي تمحو السوادا
سلي يا عبلَ قومكِ عن فعالي	ومَنْ حضرَ الوقيعةَ والطرادا
وردتُ الحربَ والابطالُ حولي	تهزُّ اكفُّها السمرَ الصعادا
وخضتُ بمهجتي بحرَ المنايا	ونارُ الحربِ تتقدُ اتقادا
وعدتُ مخضباً بدمِ الاعادي	وكربُ الركضِ قد خضبَ الجوادا
وكم خلّفتُ من بكرٍ رداحٍ	بصوتٍ نواحها تشجي الفؤادا
وسيفي مرهفُ الحدّينِ ماضٍ	تقدُّ شفارُهُ الصخرَ الجمادا
ورمحي ما طعنتُ بهِ طعيناً	فعادَ بعينهِ نظرَ الرشادا
ولولا صارمي وسنانُ رمحي	لما رفعتْ بنو عبسٍ عمادا

قال الاصمعي فلما فرغ من شعره وما ابداه من محاسن نظمه ونثره طربت لها الابطال والفرسان ومن حضر من الشجعان وقال له عروة بن الورد لله درك يافارس عدنان

وشاعر هذا الزمان على هذه الالفاظ الرقيقة والمعاني البليغة الدقيقة التي هي احلى من الشهد وازكى من روائح المسك والند فلا زالت بنودك مرفوعة على هام الثريا ولا برحت الويسة سعودك منصوبة فوق الكواكب مكانًا عليًّا فشكره عنترة على ذلك الكلام وبعد ذلك جدوا في قطع الروابي والاكام طالبين ديار بني دارم . قال ابو عبيدة وكان هذا لقيط بن زرارة الذي اسر الهطال كما سبقت الاشارة من الفرسان المعروفة والابطال الموصوفة وكانت العرب تسميه عقاب الحرب وفارس ميدان الطعن والضرب وكان السبب في اسره الهطال ابن اخت عنترة حديث عجيب وامر غريب نحب ان نسوقهُ على الترتيب وذلك انهُ كان قد ربي في مهد الكمال وحاز غاية الحسن والجمال وساعدتهُ السعادة والاقبال الى ان بارز الفرسان والابطال وقهر صناديد الرجال حتى عظم امرهُ وارتفع قدره وكان مع شجاعتـــهِ موصوفًا بالكرم والفصاحة وعلو الهمم ينشد لطائف الاشعار ويتمثل بظرائف النوادر والاخبار فمن اشعاره اللطيفة ومعانيهِ الظريفة قولهُ من جملة ابيات

واني من القوم الذين علمتهم اذا مات منهم سيدٌ قام صاحبهْ
نجوم سماء كلما غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تاوي اليهِ كواكبهْ
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبهْ

وكان معجبًا بنفسهِ متكبرًا على ابناء جنسهِ لا يقدّر العواقب ولا يخشى حلول النوائب وكان لهُ تسعة عشر اخًا كانهم البدور وكلٌّ بالادب مذكور ومشهور ومنهم الامير حاجب صاحب الراي الثاقب والفكر الدقيق الصائب الذي قل وجود مثلهِ في كثير من العرب في الفراسة والادب والشجاعة والحسب وكان اللقيط يستخف باخوتهِ غاية الاستخفاف ويعاملهم بالجور والاسراف لانهُ كان يريد ان يكون عليهم اميرًا ومدبرًا ومشيرا ولم يكن عنده منهم سوى الراس صغيرًا فصعب ذلك عليهم وكبر لديهم وشكوه الى ابيهم زرارة وحدثوه بتلك العبارة فاستدعاه اليهِ فحضر بين يديهِ وهو يميل في قميص رفيع ويتصنع في مشيهِ غاية التصنيع فاستشاط ابوه غضبًا واضطرم فوادهُ لهبًا وقال لهُ لقد ذهبت بك الخيلاء وغيرت عقلك الكبرياء حتى صرت تفتخر على اخوتك وتزدري باهلك وعشيرتك العليا كملت خصالك وبانت للناس افضالك وظفرت بالمراتب السامية ونلت المناصب العالية وملكت الف ناقة من عصافير النعمان او تزوجت بدرا ليمن بنت جابر بن صفوان او بارزت عنترة بن شداد

قال مجد بن هشام فلما سمع لقيط من ابيهِ هذا الكلام الذى هو اشد من ضرب الحسام احمرّت عيناهُ وزادت نيران جواه وقال لهُ يا ابتاه وكأني اذا نلت هذه الاشياء اكون

قد ظفرت بالمراتب العليا وافتخرت على اهل الدنيا قال اي نعم وحق خالق الامم واي فخر يكون اوفى من الزواج ببدر اليمن التي ضربت بها الامثال في مدائن صنعاء وعدن وتحدثت بها الناس في مجالس ملوك الزمن وبراز عنترة الفرسان في ساحة الميدان وان يكون في مراعيك الف ناقة من عصافير الملك النعمان سيد قبائل العربان فقال لقيط وحق الملك الجبار خالق الليل والنهار لم يبقَ للاعتذار مجالٌ ولا للادعاء مقال الا ببلوغ الامال ثم انهُ نهض في الحال وقد زاد بهِ الوجد والبلبال وطاش عقلهُ ووقع في الانذهال وكانت اخوتــــه تحمسهُ بالكلام استهزاء بهِ وتمزح معهُ بين اصحابهِ فاخذتهُ الحمية وعطفت في راسهِ نخوة الجاهلية وصعب ذلك الكلام عليه وقامت في مقل راسهِ امُّ عينيه وخرج وهو غضبان وقد زادت بهِ الاحزان ودخل على خالهِ وحدثهُ بحالهِ وكان من اكابر السادات يقال لهُ مراد بن عبد اللات فرق لشكواهُ لانهُ كان يحبهُ ويرعاه ووعدهُ أنهُ يعينهُ على بلوغ مناه . ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح ركبا جواديهما وكانا من الخيول الجياد واعتدّا بآلة الحرب والجلاد وسارا حتى ابعدا عن الاطلال ولما اوسعا في البراري والتلال التفت مراد على ابن اختهِ لقيط وقال الصواب ان نقصد ديار بني جابر بن صفوان قبل مسيرنا عند الملك النعمان ونخطب منهُ بنتهُ بدر اليمن التي تحسرت عليها ملوك الزمن فان انعم واجاب الى هذا الخطاب وطلب المهر والصداق قصدنا بلاد العراق وتسببنا في اخذ النياق وان ردنا بالخيبة والغضب ولم يجبنا الى هذا الطلب رجعنا على الاثر وقصدناه بكل ليثٍ قسور وبطل غضنفر فقال لقيط وحق خالق البشر الذي زين السماء بالنجوم والقمر ان لم احظَ بالمطلوب وانال غايــة المرغوب شمتت بي الاعداء والحساد وصرت مثلاً بين العباد ثم انهما جدّا في قطع البيد وكان خروجهما في وقت سعيد

قال الراوي كان هذا الملك المدعو بجابر كبير الجنود والعساكر . قد اتصف بالحلم والفضل وانتشر صيتهُ بين العرب بالجود والعدل وكان منعكفًا على عبادة الاصنام والسجود لها دون الملك العلام ولهُ بنت بديعة الجمال كانها الدر عند الكمال . الناظرها رائقة والحاظها راشقة ما نظرها احد الا وافتتن وكان يقال لها بدر اليمن وهي التي يقول فيها بعض واصفيها

البدر طلعتها والغصن قامتها والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤةٍ في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وكان ابوها قد بنى لهُ في قصرهِ غرفة جميلة البنيان واتقنها غاية الاتقان وفرشها باحسن الفرش الفاخر ورصع حيطانها بانواع المعادن والجواهر ووضع فيها صنماً من الذهب الاحمر

وكللهُ بالزمرد الاخضر وكان من فرط محبتهِ لابنتهِ وهب لها هذا الصنم ورد عنها الخطّاب من سائر الامم وكان يقول انني لا ازوج ابنتي للملك كان او امير الا لمن يامرني بهِ الصنم الكبير وما زال على مثل تلك الحال الى ان قدم لقيط وخالهُ الى تلك الاطلال فوجدا عمارات مكينة واماكن حصينة ونعماً لاتحصى وخيرات لاتستقصى فتعجب لقيط من ذلك الاقليم العظيم الذي لايقاس بالاقاليم والتفت الى خالهِ وقال ايها السيد المفضال في مثل هذا الوقت يجب على الانسان اطلاق اللسان وثبات الجنان ثم انهُ نزل على بعض الغدران وخلع ما كان عليهِ من ثياب السفر ولبس حلة معلمة بالذهب الاحمر وتعمم بعامة من الحرير الاخضر وتقلد بسيف مشطب واعتقل برمح مكعب وعاد الى ظهر الحصان وقصد قصر جابر بن صفوان ولما وصل الى ذلك المكان وابصر العبيد والغلمان قوّى جنانهُ واطلق لسانهُ وسلم عليهم ووقف بين يديهم فردوا عليهِ السلام وحيوه تحية الكرام وقالوا لهُ ما هي حاجتك يا غلام حتى نساعدك على بلوغ المرام قال ان حاجتي هي ان انشرف برؤية هذا الملك الكبير والسيد الخطير صاحب التاج والسرير لان لي في ذلك الحظ الاوفر والجاه الاكبر فاستاذنوا لي بالدخول عليه حتى اقبل يديهِ ورجليه فلما وقفوا على خطابهِ دخلوا على الملك وحدثوه بهِ وكان عندهُ جماعة من ارباب دولته وخواص مملكته وهم يشربون المدام ويسمعون الانغام فلما سمع ذلك الخبر فرح واستبشر وقال لهم اسالوه عن حسبهِ ونسبهِ وبلادهِ وعربهِ فان قال لكم انا هو لقيط بن زرارة احضروه اليّ ولكم عليّ حق البشارة وان كان رجلاً من اهل التجارة اعطوهِ مائة ناقة فتعجب الحاضرون من هذا الكلام وقالوا ايها الملك الهمام والصارم الصمصام بحق المعابد والاصنام من يكون هذا الرجل الذي ذكرته وما تريد بهذا الاسم الذي وصفتهُ فقال ان قصتي من اعجب العجب لم يسمع بمثلها بين العجم والعرب ومن اليوم فصاعداً اعلمت ان اموري قد استقامت والوية سعودي في فلك العلياء قد تسامت وذلك انهُ كان قد اعتراني السقام في بعض الايام من كثرة شرب المدام فدخلت على صنمي وطلبت منهُ كشف المرض وازالة ذلك العرض وقلت لهُ في اخر الكلام بحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان ترزق ابنتي بعلاً رفيع القدر عالي الذكر يكون من افخر العرب نسباً واشرفهم اماً وابا ثم اني بت تلك الليلة الى وقت السحر وانا كثير الهموم والفكر فرايت في منامي ولذيذ احلامي ان صنمي وقف امامي وقال لي قد سمعت كلامك واجبت مرامك وفي هذه الايام ابعث لابنتك بعلاً كانهُ بدر التمام شديد الباس قوي المراس اعظم العرب قدرا وافخمهم ذكرا واطوعهم انصارًا واعوانا واروعهم سيفًا وسنانا

قد وصل في الجاه الى ما وصل وحصل له المقام الرفيع الذي لغيره ما حصل وهو يأتي اليك في هذه الايام على سبيل الزيارة واسمه لقيط بن زرارة فاذا اتى وطلبها انعم عليه بها لانك تنال بمصاهرته غاية الارب وتتغلب بسيفه على قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب فانشرح صدري وطاب وزالت عني الهموم والاوصاب عند سماع هذا الخطاب وبقيت متفكرًا في امر ذلك الفتى واقول انه هذا الذي قد اتى

قال محمد بن هشام وما انتهى الملك من هذا الكلام حتى دخل لقيط عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم فترحب به الملك وعظمه واكرمه واحترمه واجلسه بالقرب من حضرته وقابله بما يليق بحشمته وبعد ذلك سأله عن اسمه وحسبه واهله وعربه فقال انا لقيط بن زرارة الذي شهدت فخاره الكواكب السيارة ودانت لعزته القروم وخضعت لهيبته ابطال الفرس والروم صاحب النسب العالي والفخر السامي المتعالي السابق الى قلة ابراج المعالي الملقب بعقاب الحرب يوم طعن العوالي وقد اتيتك خاطبًا وفي كريمتك بدر اليمن راغبًا فلا تردني خائبًا فلما سمع الملك منه هذا المقال وشاهد ما فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال فرح وزاد به الانذهال وقال له زاد الله توفيقك وارشد طريقك فقد قضيت حاجتك قبل ان تصل الينا وتقدم علينا لان الذي امرنا بقضائها لا نقدر على مخالفة كلامه ولا يمكننا ان نعترضه في اموره واحكامه ثم اكل معه الطعام وسقاه من صافي المدام وانتشر الفرح بين المضارب والخيام ودقت الطبول ونشرت الاعلام وامتلأت الدنيا بالافراح والمسرات وعظمت الولائم والدعوات وتزينت النساء والبنات ورقصت الاماء والمولدات ودارت بلقيط الفرسان والسادات ودامت الوليمة ثلاثة ايام في اكل الطعام وشرب المدام وفي اليوم الرابع انجز الملك نوبته وزفت اليه ابنته فصفا زمانه وانجلت احزانه لانه راى بدرًا لا يسترها ظلام الغيهب ولا يوجد مثلها في بنات العرب وكان قد شاهد من ابيها ما ابداه من المعروف وكرم الاخلاق فاستحى ان ياخذها بدون مهر وصداق فصبر الى ان اظلم الليل وطلع نجم سهيل فتركها وجاء الى خاله وحدثه بما خطر بباله فقال لقد نظرت موضع النظر والصواب ان نسير بهذا البر الاقفر ونقصد بلاد العراق في طلب المهر والصداق من الجمال والنياق وقد حسبت لك هذا الحساب وقرات عنوان الكتاب ثم انهما شمرا الذيل وسارا تحت ظلام الليل على ظهور الخيل وجدّا في قطع المراحل حتى ابعدا عن تلك المنازل . قال واما ما كان من بدر اليمن ذات الوجه الحسن فانها لما انتبهت من منامها ولم ترَ زوجها امامها رجفت اعضاؤها وزاد بلاؤها واشتعل فؤادها بلهيب النار

خوفًا من الهتيكة والعار ولما تعالى النهار اتت اليها امها في جماعة من النساء الاحرار فسالتها عن حالها وكيفية احوالها فحدثتها بذلك الخبر وكيف ان زوجها تركها في وقت السحر ولم يملأ عينهُ منها بالنظر فلما سمعت امها منها ذلك الخطاب غابت عن الصواب وقالت النساء والله لقد دبر ابوها بئس التدبير لانهُ رد عنها كل ملك وامير وسيد خطير واخيرًا زوجها برجل حقير عديم الحسب والنسب قد تركها وذهب وفضحها بين قبائل العرب. قال وشاعت هذه الاخبار في تلك الديار وعلمت بها العبيد والاحرار وندم ابوها على ما فعل وزاد عليهِ الهم والوجل. قال هذا ما جرى لهولاء من الاحوال واما ما كان من لقيط بن زرارة الاسد الريبال فانهُ كان قد قصد ديار الملك النعمان وتلك المنازل والاوطان وقد حدثتهُ نفسهُ ان يلقى كل من في ارض العراق ولا يعود الا بما يرضي بدر اليمن من المهر والصداق لانهُ كان قد زاد هواها على قلبه واخذ بمجامع لبهِ فجد في قطع الطريق وقد ساقتهُ السعادة الى النعمان بزمام التوفيق لان الله اذا اراد سعادة عبد من العبيد انفذ فيهِ حكمهُ وفعل بهِ ما يريد وسبب لهُ اسبابًا لا تهتدي اليها عقول ذوي الالباب وذلك انهُ التقى بالحارث بن ظالم وهو يهيم في تلك البراري والمعالم لاننا قد ذكرنا قبل الان انهُ قتل ابن الملك النعمان واحرق قلبهُ عليهِ وكان النعمان يتمنى ان يقع الحارث في يديهِ. ومن وقتهِ كتب الى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب وضمن لمن يأتي لهُ بالحارث الفضة والذهب وبلغ الحارث الخبر فايقن بالموت الاحمر واتخذ الوعر لهُ مسكنًا ورؤوس الجبال لهُ موطنًا وكان يقضي نهاره بصيد الوحوش في القفار ويصرف ليلهُ بالهم والافتكار حتى ضعفت من كثرة الجوع قوتهُ وقلت من شدة الخوف عزيمتهُ. وكانت قد تحدثت بحديثهِ العربان لما وصلت اليهم رسائل النعمان وكان قد وصل الى لقيط كتاب صحبة نجاب يامره بالقبض عليهِ اذا وصل الحارث اليهِ فلما رآه لقيط في ذلك اليوم عرفهُ من دون القوم فتقدم اليهِ حتى فاجاه ونادى وافرحاه بعد ترحاه اليوم قد تمت اموري وانتظم عقد سروري ثم التقاهُ بقلب اقوى من الحجر وصدمهُ صدمة الاسد الغضنفر وقال لهُ ويلك يا ابن ظالم اين بقيت تنجو من سطوة الهمام المصادم فارس الاعارب والاعاجم فعند ذلك اطلق الحارث عنانهُ وقوَّم سنانهُ واخذ معهُ في الجولان وانطبق كلٌّ منهما على صاحبهِ مثل الاسد الغضبان والتحما بعضهما التحام الصخرة الصماء وجرى بينهما حربٌ يعيد البصير اعمى ولا تدركهُ الابصار الا وهمًا. كان الحارث يقاتل قتال الخائف المغلوب ويصيح صيحات ترتج من هولها القلوب وتعيد النظر الصحيح مقلوب وما زالا في قتال شديد وضرب ما عليهِ من مزيد حتى تزعزعت اقطار البيد

هذا وقد سطا لقيط على الحارث واستطال لانهُ كان من فحول الابطال وصناديد الرجال الذين تضرب بهم الامثال في ميادين القتال وكان قد حاول الحارث حتى اضجرهُ والكربهُ واتعبهُ والهبهُ وطعنهُ بعقب الرمح فاقلبهُ فنزل اليهِ خالهُ وشد كتافهُ وبات لقيط في تلك المنزلة الى الصباح وبعد ذلك جدا في قطع البطاح وهو في غاية الفرح والانشراح لانهُ علم ان امره قد هان عند الملك النعمان وما زال يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار الى ان وصل الى الحيرة وتلك الديار فرأى النعمان خارج المدينة وهو جالس في قبتهِ وعليهِ ثياب الزينة ومن حولهِ الفرسان وسادات الاقاليم لان ذلك النهار كان يوم النعيم فلما رآهُ الخدام قصدوهُ بسرعة واهتمام وداروا حواليه ونثروا الفضة والذهب بين يديهِ وصاحوا صياح الافراح وانقلبت الارض بالضجيج والصياح فاندهش لقيط وتحير ما شاهد وابصر وقال للغلمان لقد غمرتموني بالجميل والاحسان قدعوني انشرف الان في خدمة الملك النعمان سيد هذا الزمان وخليفة كسرى انوشروان زادهُ الله مهابةً وجلالاً وسعادة واقبالاً حتى ازيد سروره كما زاد في سروري بالعطايا والمكارم لاني قد اسرت عدوهُ الحارث بن ظالم وها هو معي مشدود الكتاف وقد اشرف على الهلاك والتلاف فلما سمع القوم منهُ هذا المقال وراوا الحارث بن ظالم في الاسر والاعتقال ارتفعت اصواتهم وزادت مسراتهم وقالوا لهُ ابشر بالسعادة والشرف وكثرة العطايا والتحف وعادوا على الاثر وحدثوا الملك النعمان بذلك الخبر فطاب وانشرح وزال عنهُ الهم والترح وخفق فوآده من شدة الفرح وقال يا للنار والنور ان هذا اليوم من اعظم ايام السرور والغبطة والحبور ثم انهُ صاح على جماعة من الغلمان وقال لهم اقصدوا الحارث الخوان قبل ان يصل الى هذا المكان وابقوهُ تحت الحفظ والترسيم الى ان يمضي يوم النعيم واياكم ان تروني وجه ذلك المنحوس لاني ان نظرتهُ في هذا اليوم ابليتهُ بالعكوس وبدّلت النعيم بالبوس فاجابوهُ بالسمع والطاعة وفعلوا ما امرهم بهِ من تلك الساعة . قال ولما وصل لقيط الى امام النعمان ترجل عن ظهر الحصان ووقف وسلم واطلق لسانه وتكلم ودعا لهُ بدوام العز والنعم فلما سمع النعمان كلامهُ زاد ابتسامهُ ورد عليهِ سلامهُ واكرمهُ غاية الاكرام وتلطف معهُ في الكلام وامرهُ بالجلوس بين السادات الكرام لانهُ رآهُ فصيح اللسان قويّ الجنان ثم سالهُ عن حسبهِ ونسبهِ وقومهِ وعربهِ فحدثهُ بقصتهِ من اولها الى اخرها واوقفهُ على باطنها وظاهرها فقال اهلاً وسهلاً بك يا ابن زرارة لقد شفيت غليل قلبي في هذا اليوم وطفيت منهُ تلك الحرارة فتمنَّ واطلب ما تريد وابشر بغناك في هذا النهار السعيد فسوف يصل اليك المال الكثير فضلاً عن النوق العصافير وبعد ذلك رجع

الكتاب الثاني والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

النعمان الى قصره الكبير والى جانبهِ لقيط بن زرارة وكل سيد وامير فابصر لقيط ملكًا عظيماً وجنة ونعيمًا والوانًا من خاص الطعام واواني مملوءة من صافي المدام فاغتنموا اللذات والافراح وشربوا الراح وما زالوا في طرب وانشراح ثلاثة ايام على التمام وهم في سماع انغام وشرب مدام وفي اليوم الرابع خلع النعمان على لقيط الخلع السنية واجزل لهُ المواهب والعطية وامر لهُ بالف ناقة من النوق العصافيرية وسيرهُ في زي الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار فسار هو وخالهُ يقطعان الطريق وقد ساعدها التوفيق

قال الاصمعي هذا ما جرى للقيط عند الملك النعمان واما ما كان من ابي العروس جابر بن صفوان فانهُ كان قد اظهر الجلد واخفى الكمد ولم يصغَ الى عتاب احد وما زال على مثل ذلك الحال حتى قدم لقيط بالنوق والجمال فخرج الى لقاه في جماعة من اقرباه ولما التقى بهِ بردت نيرانهُ وزالت احزانهُ فتقدم اليهِ وسلم عليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وعتب عليهِ من اجل غيبتهِ ثم سالهُ عن سفرتهِ فحدثهُ بقصتهِ وبعد ذلك قدّم لهُ النوق العصافير وما جاء بهِ من الجواهر واقمشة الحرير التي تذهل البصر وتدهش النظر فاندهش الملك وتعجب واخذه الفرح والطرب وجدد الولائم وتهلل وعمل لابنتهِ عرسًا احسن من الاول والتقى لقيط زوجتهُ غير ذلك الملتقى وقد زال عنهُ العناء والشقا وبعد ذلك استاذن حماهُ في الرحيل الى عشيرتهِ وحدثهُ بما جرى لهُ مع ابيهِ واخوتهِ فاعطاه شيئًا من اموالهِ واذن لهُ بالمسير الى اهلهِ واطلالهِ وودعت بدر ابيها امها وجميع بنات عمها وسار ابوها لوداعها يومًا كاملاً وعاد الى اهلهِ مسرورًا شاملاً هذا وقد جد لقيط في قطع القفار والسهول والاوعار وقد بلغ منازل العلو والافتخار ولما قرب من الاطلال التقى بابن اخت عنترة المطال ومعهُ جماعة من الابطال فابصر مع لقيط تلك الهوادج والجمال والتحف والاموال فطمع فيهِ وتقدم اليهِ وهجم عليهِ وقال لهُ انزل عن جوادك وسلم لنا نفسك قبل ان تسكن رمسك فتبسم لقيط عجبًا وابدى للحرب سرورًا وطربًا وقال لهُ اخسأ فسوف ترى من قتالي العجب لان لي مدة ما خضبت سناني ولا رويت من الدماء بناني ثم انهُ صاح فيهِ وحمل وطلبهُ بذلك القد والشكل فرآه من اهل البراعة وهو في طبقة عالية من الشجاعة فقاتلهُ حتى اتعبهُ وطعنهُ بعقب الرمح فاقلبهُ ثم انهُ طلب باقي الرجال كانهُ الاسد الرئبال فانزل بهم الذل والاساءة واسر

منهم اثني عشر فارسًا ولما هدأت نيران القتال شدّ المطال ومن معهُ من الابطال وجمع الخيول والاموال وكان قد امسي المساء فبات في تلك الصحراء وبعد ان اكل الطعام وشرب المدام احضر المطال وهو مشدود في الاغلال والقيود وقال لهُ من تكون يا قرنان والى من تنتسب من العربان قال انا من بني غطفان ابن اخت عنترة الفرسان حامية بني عبس وعدنان وشاعر شعراء هذا الزمان الذي قهر جبابرة العرب واهل البغي والطغيان وهو الذي علمني الطعن بالسمر العوالي ولولا ضعف مناكبي واوصالي لما قدرت على قتالي على اني لست قطرة من سحابهِ ولا شرارة من التهابهِ لان الشجاعة عطية وسعادة وهبة من صاحب المشيئة والارادة فلما سمع لقيط بذكر عنتر اثر ذلك الكلام في قلبهِ اعظم اثر واشتاق الى لقائهِ كما تشتاق الارض العطشانة الى وابل المطر ثم انهُ التفت الى خالهِ وقال وقد استبشر ببلوغ الامال والله ما رايت ابرك من سفر هذا الطريق ولا اسعد من هذا التوفيق لاني ما خرجت من دياري واطلالي الا بسبب كلام ابي ومعيرتهِ لي وذلك لما رآني اتبختر واجر اذيالي والان هان الامر وتيسر وما بقي في الامر الا براز الامير عنتر الذي شاع ذكره بالفروسية وانتشر في قبائل ربيعة ومضر وما دام اني اسرت هذا الفارس الغضنفر فلا بد لهُ ان يسمع بهذا الخبر فيقصد هذه الاطلال لاجل خلاصهِ من الاعتقال فابارزه امام الابطال وفرسان المعارك والقتال وابلغ منهُ غاية اربي وانال المنزلة الرفيعة عند ابي ويعلو عند العرب مقامي ومنصبي وبعد ذلك اقصد ديار بني عبس وعدنان بالابطال والفرسان والقي الخوف في تلك الاوطان واسبي نساءهم قوة واقتدارًا واضرم في قلوب رجالهنَّ نارًا ثم انهُ بات تلك الليلة وهو مسرور الفؤاد على بلوغ المراد ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح جد في قطع القفار الى ان وصل الى الديار فاستقبلهُ ابوه احسن استقبال وفرح برجوعهِ سالمًا الى الاطلال وسالهُ عما جرى لهُ من الاحوال فحدثهُ بواقعة الحال وكيف ساعدتهُ صروف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن وملك النوق العصافير واتى بالمال الكثير. ففرح ابوه بعلو همتهِ وعلم انهُ اشد باسًا من اخوتهِ وقال لاولاده والله لقد ظهر الحق وانكشف حجاب الباطل عن جبين الصدق فها قد عاد اخوكم ظافرًا منصورًا موَيدًا مشكورًا فالتقوه بالفرح والسرور والغبطة والحبور وهنئوهُ بالسلامة واكرموه كل كرامة لانهُ قد بنى لهذه القبيلة عزًا مديدًا وصير لكم ذكرًا حميدًا فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر وتقدموا وسلموا عليهِ وهنأُوهُ بما قد وصل اليهِ فاعطى ووهب وفرّق الفضة والذهب وقد هانت عليهِ النوائب وقلت في عينيهِ المواكب وصغرت عنده النوائب ونما حديثهُ واشتهر في قبائل البدو والحضر. ومن شدة شوقهِ الى

لقاء عنتر فارس ربيعة ومضر ارسل رسولاً الى ام المطال يخبرها بواقعة الحال وان ولدها عنده في الاسر والاعتقال فسار الرسول بتلك الرسالة وقال لها عن لسان ولدها تلك المقالة اقصدي خالي واعلميه بسوء حالي فاني في عذاب شديد وهوان ما عليه من مزيد فلما سمعت كلامهٔ اتت الى عنتر واعلمتهٔ بالقصة كما تقدم الخبر فطيب قلبها وازال رعبها وسار من يومهِ في جماعة من الابطال لاجل خلاص المطال قاصد ديار بني دارم وتلك الرسوم والمعالم وهو يذم الزمان ويتعجب من تقلبات الدهر ونوائب الحدثان

قال مجد بن هشام ورجعنا الان الى سياق الكلام وما زال عنتر مجدًّا في مسيرهِ وسرعة تشميرهِ حتى اقترب من ديار القوم وبقي بينهُ وبينهم دون اليوم فعند ذلك قال لهُ ابوهُ الامير شداد ومن حضر من فرسان الطراد ماذا عولت ان تفعل يافارس البيدآء فقد قربنا من ديار الاعدآء قال من الراي ان نبادرهم بالقتال ونخلص ابن اختي المطال من الاسر والاعتقال وناخذ ما تصل يدنا اليهِ من الاموال ونفائس الاحمال لاني اريد ان اعمل ما احتاجهُ للعرس والولائم من اموال بني دارم لان الطارق علينا كثير وسوف يجتمع عندنا كل سيّد وامير وقد احببت ان اعمل وليمتي من مال هذا القرنان لاني سمعت انهُ وصل الى الاوطان بعد ما اخذ من الملك النعمان اموالاً لاتاكلها النيران وقد تزوّج بنت الملك جابر بن صفوان واصحب معهُ من التحف الحسان ما لا يوجد عند ملك او سلطان وانا اعلم ان هذا كلهُ من رزق عبلة بنت مالك واني ما قصدتهُ الا لذلك فقوُّوا قلوبكم على القتال والطعن بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال ولا تنظروا الى كثرة جمعهم وقلة عددنا فان الموت تحت مواطئ اسنة رماحنا ومواضي زردنا فلما سمعوا كلامهُ وفهموا مرامهُ اجابوه الى ما طلب وايقنوا بنوال القصد وبلوغ الارب فقال لهم شيبوب ان الصواب ايها السادة الانجاب ان تكمنوا في هذه الشعاب حتى اقصد ديار بني دارم وتلك الرسوم والمعالم ولا تبرحوا من هنا الى ان اعود اليكم واشير بالصلاح عليكم فقال عنترة وحق الملك المتعال لقد اصبت في هذا المقال ثم ان شيبوبًا بعد ذلك الكلام لبس ثوبًا قصيرًا من الخام طويل الاكمام وتعمم بعمامة لطيفة الهندام وضيق على وجههِ اللثام واخذ اخاه جريرًا وسارا بسرعةٍ واهتمام وجدٍّ في قطع الاكام . فوصلا الى ديار بني دارم عند اقبال الظلام

ولما اشرفا على المضارب تواثبت اليهما العبيد من كل جانب وسالوهما عن حالهما وحقيقة اخبارهما فقال لهم شيبوب نحن من بني عامر اهل المآثر والمفاخر وقد قطعنا البراري والدكادك واتينا برسالة الى الامير لقيط من عند سيدنا الاحوص بن جعفر وغشم بن مالك فابن

نجده يا وجوه العرب الاخيار لان مرادنا سرعة الرجوع الى الديار فقالوا له اطلب ذلك السرداق الكبير فانك تجد فيهِ السيد الخطير والبطل النحرير والامير ابن الامير فارس الاعارب والاعاجم المستخدم براعهُ للبذل والمكارم والحكم سنانهُ في جباه الليوث الضراغم لقيط بن زرارة سيد بني دارم فلما سمع منهم ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وشق المضارب والخيام حتى وصل الى ذلك الصيوان فراى لقيطًا جالسًا ومن حوله العبيد والغلمان والسادات والفرسان فدنا منهُ وقبل الارض ووقف في مقام العرض ثم قوّى جنانهُ واطلق لسانهُ وقال حيا الله السيد المحترم والليث الغشمشم والامير المعظم صاحب الجود والكرم وفارس العرب والعجم من دانت لعزتهِ الجبابرة وخضعت لهيبتهِ ابطال الفرس والقياصرة فقال لقيط وقد تعجب من فصاحة لسانهِ وقوة جنانهِ ووفور عقلهِ وحسن بيانهِ وانت حييت ياموالد العرب ابشر ببلوغ الارب واعلني بحاجتك حتى اقضيها وابلغك امانيها فقال شيبوب اني من بني عامر اصحاب المناصب والمفاخر وقد اتيت اليك رسولاً من عند مولاي الاحوص ابن جعفر سيد تلك الاحزاب والزمر وهو يقول لك ان تكون في غاية الاستعداد لقتال عنترة بن شداد لانهُ سائر اليك في جمع كثير من ابطال بني عبس المغاوير طالبًا خلاص ابن اختهِ المطال من الاسر والاعتقال وقد ارسلني اليك من شفقتهِ عليك وقال سر اليهِ وسلم لي عليهِ وحدثهُ بهذا الخبر ليكون على حذر خصوصًا من دواهي الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم وان كان المطال لم يزل باقيًا عنده في الاعتقال ينفذه اليَّ في عاجل الحال حتى ابعث لهُ عوضهُ مهما اراد من المال وان كان قد قتلهُ وعجل من الدنيا مرتحلهُ يبث عليّ براسهِ حتى اصير ممنونًا لهُ على طول الزمن او يجعلهُ حق هنائي لهُ في زواجهِ ببدر اليمن فلما سمع لقيط كلام شيبوب تعجب من حلاوة الفاظهِ التي تاخذ بمجامع القلوب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ما هذا العبد الا فصيح اللسان مليح الخصائل يصلح لقضاء الحوائج واداء الرسائل فلله در قبيلة عبيدها تشابه سادتها وصناديدها ثم قال لشيبوب اما ما ذكرت عن مولاك من جهة الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم فقد انقضى الامر فيهِ لاني اسرتهُ وسلمتهُ الى من ليس يستبقيهِ واما المطال فقد تركتهُ عندي في الاسر والاعتقال املاً بمجيء خالهِ عنترة الى هذه الاطلال في خلاصهِ من القيود والاغلال وابارزه امام الفرسان والابطال واعجل لهُ النكال وحينئذٍ يعلو مقامي ومنصبي بين اهلي وعربي وانال الثلاثة خصال التي عيرني بها ابي والا حاشى لمثلي ان يبيع عدوًّا اصديق بمال او نوق او جمال واني قد اقسمت بالهبل الكبير اني لا اترك من بني عبس لا صغيرًا ولا كبيرًا وقد عوّلت ان اسير في هذا البر الاقفر لملاقاة عبدهم عنتر

في جماعة من اخوتي واجنادي ولا ادعهُ يطيء بحوافر خيلهِ ارضي وبلادي لاني سمعت عنهُ انهُ كثير الفضول ويرمي نفسهُ في كل امر مهول وانا الذي انفذت الى بني غطفان واعلمتهم بهذا الشان وعلمت عبدي ان يقول لام المطال ذلك المقال حتى تطرح نفسها على اخيها عنترة ويأتي بجماعة من الابطال الى هذه الاطلال في طلب خلاص المطال من الاسر والاعتقال وما حسبتهُ قد صح وظهر واتضح قال وكان العبد الذي قصد ام المطال حاضراً في ذلك المكان وكان قد اعلمهُ بذلك الشان وقال يا مولاي اني ما برحت من ديار بني غطفان حتى سارت ام المطال الى بني عبس وعدنان قاصدةً عنترة في جماعة من النسوان فتقوى عنده اليقين واتضحت لهُ الدلائل والبراهين وصمم النية على المسير واستصوب ما ابداه لهُ شيبوب من التدبير ولما انطلى عليهِ المحال والخدع بالمقال قال لهُ شيبوب الراي عندي يا ايها السيد المفضال والاسد الريبال ان تسير بجميع الفرسان والابطال ومن تعتمد عليهم من صناديد الرجال حتى اذا التقيت بذلك العبد المحتال نقتلهُ وتنزل بهِ النكال وبعد ذلك نقصد ديار بني عبس وتلك الاطلال وتنهب المواشي والاموال وتسبي الحريم والعيال ومادام انك تكرمت علينا بهؤلاء الانذال اريد منك ان توكلني هذه الليلة بعذاب المطال ومن معهُ من الرجال حتى اشفي منهم غليل فوادي وانال بعذابهم غاية مرادي الى ان تعود انت من قتال الاعادي وبعد ذلك ارجع الى مولاي الاخوص بن جعفر بما يسره من الخبر لاني ما اتيت من الديار الا وهو يريد ان يغزوهم بكل فارس جبار ويقلع منهم الاثر في غياب عبدهم عنتر . لانهُ هو الذي يلقى دونهم المصائب . ويرد عنهم الاهوال والنوائب . ونحن من حين وقعت بيننا وبينهم العداوة والاحقاد جعلنا عليهم العيون والارصاد وهي تاتينا بحقيقة الاخبار في الليل والنهار ولولا ذلك لما كنا علمنا بمسير عنترة بن شداد الى هذه البلاد فقال لقيط وقد ابدى الابتسام ويلك يا غلام اما اعلمكم جاسوسكم عن عدد العسكر الذي خرجت لقتالنا مع عنتر قال نعم والله يا فارس الزمان ووحيد العصر والاوان اخبرنا انهُ تجهز بالف فارس من الشجعان من بني عبس وغطفان . قال الراوي وما قال شيبوب ذلك المقال واخبر ان عنترة معهُ الف فارس من الابطال الا حتى لا يترك لقيط في الاحياء احداً من الرجال الاجواد اذا سار اليه عنترة بن شداد فلما سمع لقيط كلامهُ غلب عليهِ ابتسامهُ وتعجب بنفسهِ وتكبر على ابناء جنسهِ وقال اذل الله ذاك العبد الذميم والوغد اللئيم ايريد ان يلقاني بالف بطل ويبلغ مني غاية الامل لا والله لاذيقنهُ ضرباً امر من الصبر وطعناً احرّ من لهيب الجمر تتحدث بهِ الناس على مدى الدهر ثم امر عبيده بتسليم المطال واصحابهِ الى عبد الاخوص

الذي هو من جملة احبابه وظن ان شيبوبا ممن يعتني به واوصاه بحفظهم وعقابهم وان لا يتوانى عن عذابهم فقال شيبوب سوف يبلغك عني ايها السيد المهاب ما صنع بهم من شنيع العذاب ولما اصبح الصباح ركب لقيط في ثلاثة الاف فارس كانهم الاسود العوابس وترك في الحلة خمسمائة من الابطال لحفظ الحريم والعيال وسار كانه الاسد الريبال ولما ابعد عن الاطلال استقبل مطلع الشمس وركب الطريق الواضح الذي ياخذ الى ارض بني عبس ولم يعلم ان الذي هو طالبه قد صار من خلفه يراصده ويراقبه. قال ولما خلا الحي من الرجال انفذ شيبوب اخاه جريرًا الى عنترة ليعلمه بواقعة الحال وان يسرع اليه ويقدم عليه ولما وصل جرير الى اخيه عنترة وحدثه بالخبر فرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وركب على ظهر جواده الابجر وصاح في من معه من الفحول فركبوا ظهور الخيول وتقلدوا بالنصول وطلبوا خيام بني دارم وتلك الرسوم والمعالم الى ان وصلوا الى المراعي ورماحهم تتلوى كالافاعي فانحط عنترة ومن معه من الابطال على النوق والجمال وساقوها باسنة الرماح الطوال ووقف عنترة حامية لمن يتبعه من الرجال ووصل الخبر الى الحي من بعض الرعيان فنفرت الفرسان وركب من تخلف في القبيلة من الشجعان وكانوا نحو خمسمائة عنان وطلبوا عنترة من اليمين واليسار بقوة واقتدار ولما راى عنترة الخيل قد تبادرت والفرسان قد تواردت حمل واطلق العنان وقوّم السنان وصاح بالابجر واستقبلهم بطعن يسابق القضاء والقدر وضرب لا يبقي ولا يذر ولم تكن الا ساعة من النهار حتى ولت بنو دارم وطلبت الفرار لانها ابصرت طعنًا احرّ من لهيب النار وكان قد قتل منها اوفى من ثلاثمائة فارس كرار وانهزم الباقون وتشتتوا في البراري والقفار والمفاوز والاوعار وطلب عنترة الابيات والمضارب واحاط بالحلة من جميع الجوانب فالتقاه ابن اخته المطال مع باقي الرجال الذين كانوا في الاسر والاعتقال وفي ايديهم الرماح الطوال والسيوف الصقال وكان الذي اطلقهم من شرك العقال شيبوب المحتال لانه كان قد اغتنم الفرصة عند غيبة لقيط من الاطلال ففكهم من القيود والاغلال واتى لكل واحد منهم بجواد من خيل لقيط الجياد وفرّق عليهم السلاح وقال لهم اطلبوا بني عبس وساعدوهم على الحرب والكفاح فركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول فراوا عنترة قد كسر الاعداء وفرقها في جنبات البيداء فتقدم المطال الى خاله عنترة وسلم عليه وشكره وقبل يديه فهناه عنترة بالسلامة من الاعتقال ثم هجم هو ومن معه من الابطال ونهبوا ما وقعت عليه ايديهم من الاموال ولم يتعرضوا للنساء والاطفال وبعد ذلك رجعوا طالبين الاهل والديار وهم في غاية الفرح والاستبشار ولما تمادى بهم السير والترحال تذكر عنترة ما جرى

عليه من الوقائع والاهوال في معركة القتال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

طربتَ وهاجتكَ الظباءُ السوارحُ غداةَ غدا منها سنيحٌ وبارحُ
تغالت بيَ الاشواقُ حتى كانما بزندين في جوفي من الوجد قادحُ
تعزّيت عن ذكرى سمية حقبةً فبح لانَ منها بالذي انت بائحُ
لعمري لقد اعذرتُ لو تعذرينني واحسنتُ فيما انني لك ناصحُ
اعاذلَ كم من يوم حربٍ شهدتهُ لـهُ منظرٌ بادي النواجذ كالحُ
فلم ارَ حيًّا صابروا مثل حينــا ولا كافحوا مثل الذي قد نكافحُ
اذا جئتُ لاقاني كميٌّ مدججٌ على اعوجيٍّ بالطعان برامحُ
نزاحفُ زحفًا او نكافحُ كتيبةً نطاعننا او يذكر الصلح صالحُ
ولما التقينا بالجفـار تضعضعوا وردَّت على اعقابهن المسالحُ
وسارت رجالٌ نحو اخرى عليهم الـ حديدُ كما تمشي الجمالُ الروائحُ
اذا ماشوا في السابحات حسبتهم سيولاً وقد جاشت بهنَّ الاباطحُ
فاشرعتُ راياتي وتحت ظلالها من القرم ابناء الحروب الجحاجحُ
ودرنا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائحُ
بهاجرةٍ حتى تغيَّب نورهـا واقبلَ ليلٌ يغبضُ الطرفَ سابحُ
تداعى بنو عبسٍ بكلِّ مهنَّدٍ حسامٍ بزيل الهامَ والصف جائحُ
وكل ردينيٍّ كأنَّ سنانهُ شهابٌ بدا في بهرة الليل واضحُ
فخلوا لنا عوذ النسـاء واجفلوا عباديدُ منهـا مستقيم وجامحُ
وكل كعوبٍ خذلة الساق ضخمةً لها مهلٌ في آل دارم طافحُ
تركنا ضرارًا بين عانٍ مكبلٍ وبين قتيل غاب عنهُ النوائحُ
وعمرًا وحبانًا تركنـا بقفرةٍ تعودهما فيها الضباع الكوالحُ

قال الراوي ولما فرغ عنترة من شعره وما ابداه من محاسن نظمهِ ونثره طرب عروة بن الورد ومن حضر وتعجبوا من افعال عنترة واثنوا على شجاعتهِ وشكروهُ على حسن جهاده وعلو همتهِ ثم انهم جدوا في قطع القفار طالبين الاهل والديار واذ قد ظهر لهم غبار كالغمام السيار فنظروا اليهِ حتى انجلى للابصار واذ قد بان من تحتهِ جيش جزار وبريق صوارم كانها شعل النار وهم ينوفون عن خمسة الاف فارس كانهم الاسود القناعس وبين ذلك عويل وصياح وبكاء ونواح ونوق وفصلان واصوات قد اقلقت البراري والقيعان فلما نظر عنترة الى ذلك

الحال اعتراه الانذهال وخرج عن دائرة الاعتدال وقال لاخيهِ شيبوب ويلك يا ابن الام من تكون هذه الابطال ومن هم هولاء الذين زعزع صياحهم الروابي والتلال فقال شيبوب ان صدقني حذري هولاء بنو عامر القشاعم وقد علموا بمسيرك الى بني دارم فاغتنموا الفرصة وقصدوا اطلالنا وسبوا حريمنا وعيالنا ونهبوا نوقنا وجمالنا قال لقد صدقت وصوابًا نطقت ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اشتهر الامر وبان وظهرت فرسان بني عامر كانهم الاسود الكواسر يتقدمهم ملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر وغيرهما من حماة العشائر. قال الراوي وكان السبب في هذا الايراد ان ملاعب الاسنة كان قد وضع على بني عبس العيون والارصاد فلما سار عنترة الى خلاص الهطال عادت الجواسيس واعلمتهُ بواقعة الحال فانجلت عن قلبهِ الهموم والادغال واقبل على الاخوص بن جعفر وحدثهُ بذلك الخبر ففرح واستبشر وعزم على غزو بني عبس في غياب عنترة ثم انهُ تجهز للسير وسار في خمسة الاف فارس نحرير من ابطال بني عامر المغاوير والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر يتقدمهم ملاعب الاسنة وسادات العشائر وكانوا قد جدوا السير وسابقوا بمسيرهم الطير فوصلوا الى حي بني عبس بعد غروب الشمس فكبسوهم تحت ظلام الليل ونزلوا عليهم نزول السيل واحاطوا بهم من كل الجهات وادار وا عليهم رحى المهالك والافات وما زال الدم يبذل والرجال تقتل الى ان اصبح الصباح واضاء نوره ولاح فعند ذلك ولت بنو عبس على الاعقاب وانفلت اشرا قلاب وتفرقت في بطون السهول ورؤوس الشعاب واختار الملك قيس الهزيمة على ضرب الرقاب وكان قد قتل من بني عبس جماعة من الرجال واسر منهم نحو مائتين من الابطال واخذت بنو عامر ما وصلت يدهم اليهِ من الاموال والنوق والجمال وساقوا النساء اسارى والعبيد والاماء اذلاء حيارى ولم يتركوا في تلك الديار غير الرسوم والاثار وبعد ذلك جدوا في قطع البر الاقفر حتى التقوا بفرسان بني عبس كما تقدم الخبر. قال الاصمعي ولما وقعت العين على العين وتقاربت فرسان الطائفتين ونظر ملاعب الاسنة الى عنترة فرح واستبشر والتفت على من حولهُ من الفرسان وقال لهم دونكم يابني الاعمام وهذا العبد الكشحان اقتلوهُ وخذوا منهُ بالثار واكشفوا عنا الذل والعار لانهُ في دون الثلثمائة فارس ونحن في خمسة الاف بطل مداعس فاستعدوا لقتاله وحربهِ ونزالهِ. قال هذا ما كان من بني عامر واما ما كان من عنترة الاسد الكاسر فانهُ لما تحقق الامر على الجلية وعلم بان عبلة مسبية خفق فوادهُ والتهب من شدة الغيظ والغضب واحمرت اماقي عينيهِ حتى صارت كانها الجمر اذا التهب وقال لابيهِ شداد ومن معهُ من الرجال هذا وقت

الاجتهاد في بلوغ المراد وابذال المجهود في تخليص النساء والاموال من ايدي هولاء الانذال لانهم نهبوا اموالنا وسبوا حريمنا وعيالنا وقد انت المقادير بخلاف ما في الضمير فاثبتوا واحموا ظهري حتى اريكم كرّي وفرّي والقي عنكم موجات هذا البحر بصدري فوحق البيت الحرام والرب الذي لا يغفل ولا ينام لا ادعهم يبعدون من هذا المكان حتى اخلص عبلة ومن معها من النسوان ولو كان حولها عشائر الانس وطوائف الجان ثم انهُ صاح وحمل وطلب ذلك الجيش والجحفل واقتحم نحوه بقلب اقوى من الجبل وفعلت رجالهُ مثلما فعل وانطبقوا على بني عامر كانهم الليوث الخوادر او الاسود الكواسر وهم ينادون عن فرد لسان يالعبس يالعدنان وعنترة امامهم كانهُ الغول وهو ينشد و يقول

اذا ما الصباح من الشرق لاحا وغرّدَ في الأَيكِ طيرٌ وناحا
تمايلَ سيفيَ في غمدهِ وبادى اليَّ يريدُ الكفاحا
ويهتزُّ رمحي اذا ما راى كهول الرجال تهزُّ الرماحا
ويسعدني يوم طعنِ القنا جوادي اذا سارَ فاتَ الرياحا
فياعبلَ قرّي ولا تفزعي عليَّ وقلي البكا والنواحا
تري بطلاً صادقــًا اينما تراهُ الفوارس تلقي السلاحا
فياساقيَ الموت حثَّ الكوءو س علينا فانا نريدُ الرواحا
ولا تسقني غيرَ قطر الدمـا اذا شربَ القومُ ماء وراحا
وخل الجماجمَ تفاحنـا وريحاننا في القتالِ الصفاحا
وغنّ لقلبيَ ذا المستهـام بذكر عبلَ وحيي الوشاحا
وكن صابرًا تحت ظلّ العجاج على الحرب ان كنت تهوى الملاحا

قال الراوي ثم انهُ صال وجال وحمل على الابطال بقلب اقوى من الجبال وطعن في المناكب والاوصال هذا وقد اختلطت الرجال بالرجال وانتشب بينهم القتال ودارت رحى المنايا والاهوال وجرى الدم وسال وكثر القيل والقال فلله در عنترة وما فعل في ذلك اليوم المنكر فانهُ اعمى النواظر واذهل الخواطر وفرّق العساكر وفتك في فرسان بني عامر وكان كلما ازدحمت عليهِ الشجعان وضاق على جماعتهِ الميدان يحمل ويطعن في الفرسان وينادي يالعبس يالعدنان وقد عاشت من النساء الارواح وعاد فسادهن الى الصلاح لما سمعن صوت عنترة ومن معهُ من الاقيال فاستبشرن بالخلاص من الاسر والاعتقال . قال مجد بن هشام وما زال القوم في اشد صدام حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار

فافترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلات بالقتلى جنبات تلك الارض وكان قد قتل في ذلك اليوم من بني عامر نحو تسعمائة بطل من نخب المحفل ولم يقتل من بني عبس الا خمسة وعشرون لا اكثر ورجع عنترة من معركة الطعان كانة شقيقة الارجوان وهو ينشد ويقول

صحا من سكره قلبي وفاقا وزار النوم اجفاني استراقا
واسعدني الزمان فصار سعدي يشق الحجب والسبع الطاقا
انا العبد الذي يلقى المنايا غداة الروع لايخشى المحاقا
اكر على الفوارس يوم حرب ولا اخشى المهندة الرقاقا
وتطربني سيوف الهند حتى اهيم الى مضاربها اشتياقا
واني اعشق السمر العوالي وغيري يعشق البيض الرشاقا
وكاسات الاسنة لي شراب الذ به اصطباحا واغتباقا
واطراف القنا الخطي نقلي وريحاني اذا المضمار ضاقا
جزى الله الجواد اليوم عني بما يجزي به الخيل العتاقا
شققت بصدره موج المنايا وخضت النقع لااخشى اللحاقا
الا ياعبل لو ابصرت فعلي وخيل الموت تنطبق انطباقا
سلي سيفي ورمحي عن قتالي هما في الحرب كانا لي رفاقا
سقيتهما دما لو كان يسقى به جبلا تهامة ما افاقا
وكم من سيد خليت ملقى يحرك في الدماء يدا وساقا

قال الراوي ورجعت بنو عامر الى الوراء وتفرقت في جوانب الصحراء وقد اعتراهم الاندهال وتغيرت منهم الاحوال لانهم راوا حربا لم تخطر لهم ببال ولما استقر الحال تقدم قواد العسكر وشكوا حالهم الى ملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر واعلموهما بما جرى عليهم في ذلك اليوم المنكر من سيف عنتر وقالوا لهما في اخر الكلام ايها السادة الكرام والامراء العظام ان اتانا يوم اخر مثل هذا النهار لم يبق منا ديار ولا نافخ ينفخ بنار ولاسيما اذا بلغ ذلك العبد الجبار بان ابنة عمه عبلة معنا في الاستيسار فقال الاخوص لقد صدقتم وصوابا نطقتم وان لم نبذل في قتاله المجهود لانال غاية المقصود قال ملاعب الاسنة وحق ذمة العرب وشهر رجب لولا خوفي عليكم من فرسان الحجاز كنت طلبت عنترة للبراز ولكنني خشيت ان يطول بيننا الحرب الى غروب الشمس وياتينا الملك قيس بطائفة بني عبس لاني اعلم ان قيسا لا بد ان يجمع علينا العساكر والجنود والدساكر ويطلب اثارنا ويتنسم اخبارنا وما بقي في الامر الا

ارسال السبي بني عبس تحت ظلام الليل العاكر مع مائة فارس الى ديار بني عامر وعند الصباح نبادر عنترة بالقتال والحرب والنزال فان ظفرنا به بلغنا غاية الامال والا انهزمنا وطلبنا المنازل والاطلال ونكون قد كسبنا المال والعيال فلما سمعوا منهُ هذا الخطاب راوهُ غاية الصواب ثم انهم في عاجل الحال انتخبوا مائة من الابطال وارسلوهم مع السبي الى الديار تحت ظلام الاعتكار. قال الاصمعي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ثارت الطائفتان للحرب والكفاح وكان اول من برز الى معركة الطعان وطلب براز الشجعان عنترة الفرسان فصال وجال ولعب برمحهِ العسال حتى حير عقول الرجال ثم نادى ابرزوا يا بني عامر فارس لفارس او خمسمائة لفارس وان طلبتم الجور والاسراف وقلة الحق والانصاف احملوا عليَّ في جميع الفرسان والابطال حتى اريكم قتالاً يشيب الاطفال وتتعوذ منهُ صناديد الرجال فعند ذلك ضجت فرسان بني عامر وماجت مثل البحور الزواخر وهجمت على عنترة كالاسود الكواسر فالتقتها بنو عبس وعنتر بقلوب اقوى من الحجر وثبتوا اشد ثبات وطعنوا فيهم بالرماح السمهريات وردوا الهجمات المتداركة بصدق النيات ونثروا رؤوس الابطال والسادات بقواطع الضربات وهتك عنترة ميمنة القوم بنوافذ الطعنات هذا وقد اشتدت المصائب والافات وعملت السيوف المشرفيات في الصدور واللبات وطلعت زوابع الرياح المختلفات وتحسرت النفوس على مافات وقطرت الدماء على الارض فغيرت الوان النبات وقاتلت بنو عبس اشد قتال والقت نفسها على الشدائد والاهوال لان الانسان اذا استقتل يقاتل واذا طابت لهُ المنية هانت عليهِ النوازل فلله در عنترة وما فعل فكم قطع من راس همام وبطل وكم دم بسنان رمحهِ بذل وكم من شجاع اورثهُ الخبل وابصر ملاعب الاسنة فعال عنترة واهوالهُ فاستعظم امره وتقدم بريد قتالهُ فالتقاه عنتر بقلب اقوى من الحجر وصدمهُ صدمة الليث الغضنفر واخذ معهُ في الحرب والقتال واختلف بينهما الطعن بالرماح الطوال ولم تكن الا ساعة من النهار حتى استظهر عليهِ عنترة غاية الاستظهار ومد يده الى صدره واراد ان ان يرجلهُ عن ظهر مهره واذ قد ظهر غبار وارتفع كانهُ السحاب اذا هجع وبعد تفريقه انجلع وبان من تحتهِ حديد يلمع ورماح شرّع ورجال لا تهاب الموت ولا تفزع ينوفون عن ثلاثة الاف فارس صيدع وهم ينادون يا للمشاجع يا لدارم يتقدمهم لقيط بن زرارة واخوتهُ القشاعم ولما قربوا من محل المعمعة وسمعوا النداء استدلوا بالصياح وعرفوا الاصدقاء من العدى فحملوا على بني عبس مثل السلاهب وقصدوهم باسنة الرماح الكواعب وابصر عنترة هذه النوائب وقد اتت اليهِ الفرسان من كل جانب واطلقت نحوه الاعنة ترك ملاعب الاسنة

يعد ما كان قد استظهر عليه وذل بين يديه وصار يمانع عن نفسه ويدافع ويتعلق باذيال المطامع ويطعن في صدور الرجال فيلقيهم قتلى على الرمال ولما رات بنو عبس كثرة العدد وازدياد المدد ايقنت بالهلاك ووقعت في سوء الارتباك وقاتلت قتال من ليس له من الموت فكاك . قال نجد بن هشام وما زال القوم في اشد صدام الى ان ولى النهار واقبل الظلام وافترقوا عن بعضهم البعض و نزلت كل طائفة منهم في ناحية من الارض وكان قد فقد من بني عبس وعدنان خمسة عشر من الفرسان وجرح عنترة وابوه الامير شداد واسر عروة وجماعة من بني قراد واحاطت بهم الاعداء من سائر الجهات وسكت عليهم سائر الطرقات وخلص لقيط منهم الاموال وفرح ببلوغ الامال . ثم انه اجتمع بالاخوص بن جعفر ومن معه من قواد العسكر فسلموا عليه وداروا حواليه وشكر الاخوص فعاله وحمد فضله وساله عن حالته فحدثه بنصته وكيف اتاه شيبوب برسالته واحتال عليه بذلك المقال حتى خلص الهطال من الاسر والاعتقال ونهب عنترة الاطلال فتعجبت فرسان بني عامر من دهاء شيبوب الاسد الوثوب . قال الراوي وكان السبب في مجيء لقيط حديث عجيب واتفاق غريب وذلك ان شيبوبًا لما دخل على لقيط كانت نم الخبر ءرف له تلك الحيلة على لسان الاخوص بن جعفر وسار لقيط في ثاني الايام يقطع البراري والاكام طالبًا عنترة بن شداد ومن معه من فرسان الطراد فبات تلك الليلة على بعض الغدران وفي اليوم الثاني جد في قطع البراري والكثبان فراى بين يديه خيلاً سائرة وعليها نحو مائة فارس غائرة فلما تحققهم بالنظر قال لاشك ان هولاء طليعة عنترة فامر قومه بالحملة عليهم فطلبوهم ومالوا اليهم وذلوا فيهم الرماح والسيوف فاسروا منهم من اسروا والباقون شربوا كاس الحتوف ثم انهم احضروا الاسارى امام لقيط بن زرارة فقال لهم ويلكم نحس العربان ابن تركتم عنتر الكشحان وفي كم هو سائر لقتالي من الفرسان قالوا والله يا اميرما وراءنا احد من البشر وما عندنا من عنترة خبر ونحن ما خرجنا الا في طلبه حتى نسقيه كاس عطبه فقال لهم انتم كذبتم فيما نطقتم وما صدقتم لانكم انكرتم عني اخباركم وكتمتم اسراركم والاخوص بن جعفر قد ارسل لي عبده واخبرني بسيركم الى اطلالي وما انتم سائرون الا في طلبكم حتى انكم سكنتم اماكني لانكم طائفة فزارية وعصابة عبسية قالوا وحق الركن والحجر ومن طاف بالكعبة من اهل ربيعة ومضر ما عندنا من هذا الحديث خبر واما قولك انا من بني عبس وفزارة فهذا القول حقيق ليس فيه ادنى شبه ولا اشارة لاننا لا ننكر احسابنا ولا نكتم انسابنا وما اتينا الى هذه الديار الا لقتل ذلك العبد الغدار ولاشك ان بغينا اوقعنا في هذه المصائب وسلط علينا غلمات الرجال وجور

الزمان الغالب. قال الراوي وكان الذي انفذ هولاء القوم لقتال عنترة بن شداد حذيفة بن بدر والربيع بن زياد وذلك ان عنترة لما سار من الاطلال طالباً خلاص ابن اخيه المطال من الاسر والاعتقال ارسل مالك ابو عبلة رسولاً الى بني فزارة يعلم الربيع بمسير عنترة الى قتال لقيط بن زرارة وكيف ان قيساً لج عليه بزواج عبلة الى عنترة وتقوّى عليه وتجبر واني لما رايتهم اتفقوا على هذا الاتفاق عولت على الهرب الى ارض العراق استجير بالملك النعمان سيد قبائل العربان فحدث للقوم ما اشغلهم عن ذلك الطلب وقد استرحت من المسير والتعب واريد منك المعاونة على هلاك ذلك العبد الغدار حتى لا يعود الى الديار فلما وقف الربيع على هذه القصة زالت عن قلبه الغصة واجتمع بحذيفة بن بدر واعلمه بذلك الامر فانتخب حذيفة مائة فارس كانهم الاسود القناعس وارسلهم في ذلك البر الاقفر لكي يفتكوا بعنترة فوقع بهم لقيط كما تقدم الخبر فقتل من قتل واسر من اسر. قال الراوي ولما وقف لقيط على حقيقة الحال خرج عن دائرة الاعتدال وعول ان يفرق الفرسان والابطال على الروابي والتلال في طلب عنترة ثم اقبلت عليه المنهزمون من بني دارم وحدثوه بما انزل بهم عنترة من البلاء والعظائم وكيف انه خلص المطال من الاسر والاعتقال وساق ما قدر عليه من الاموال والنوق والجمال وقتل ثلاثمائة من صناديد الرجال واما ذلك العبد الاغبر الذي اتى اليك في ذلك الزي المنكر وقال لك انا عبد الاخوص بن جعفر ما كان الا شيبوباً اخا عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت تجدّ خلف القوم في الطلب ربما تبلغ الارب لانهم جدوا في قطع القفار بالسير المتواتر وساروا من نواحي ديار بني عامر فلما سمع لقيط هذا الخبر تاسف وتحسر وجرى على قلبه ما لم يجر على قلب بشر لاجل ما تم عليه من شال شيبوب وقال وحق علام الغيوب لا رجعت عن هولاء العبيد حتي ابلغ منهم ما اريد ثم انه عرج عن الطريق وسار وجد في قطع القفار وفي قلبه لهيب النار وهو يود لو انه طار حتى يلحق عنترة وياخذ منه بالثار فادرك بني عامر في ذلك البر الاقفر وهم يقتتلون مع بني عبس وعنتر وجرى من القصة ما ذكرنا وخلص لقيط امواله كما شرحنا واخبرنا وبلغ غاية المرام ورجعنا الان الى سياق الكلام. قال محمد بن هشام ثم ان الاخوص بن جعفر بعد سماعه من لقيط ذلك الخبر حدثه بما فعل في بني عبس وعدنان وكيف انه فتك بالابطال والفرسان ونهب نوقهم وجمالهم وسبى حريمهم وعيالهم فقال لقيط هذا امر قد ابتدأنا فيه وما عدنا نرجع عنه ونخليه ولا بد ان نجمع على هذه القبيلة الجموع ونقلع منها الاصول والفروع ثم باتوا في تلك البطاح وهم في سرور وافراح وقد استبشروا بالنجاح واقاموا ينتظرون الصباح وكان عنترة

قد علم بمسير عبلة ومن معها من النساء الحرائر الى ديار بني عامر فاستشاط غضباً واضطرم لهباً واسودت الدنيا في عينيهِ وهانت المنية عليهِ وقال هذا والله ما كنت اخافهُ واخشاه ثم انهُ التفت الى من حولهُ من الرجال ومن يعتمد عليهم من الابطال وقال لهم ايها السادات الاخيار ما بقي في الامر الا انتظار النهار حتى ابرز الى هذه الكتائب التي دارت بنا من كل جانب واعيرهم بقلة الانصاف وكثرة الجور والإسراف واطلب منهم البراز فارس لفارس او خمسمائة لفارس فان بارزوني بلغت منهم ما اريد ولو كانوا بعدد رمل البيد وان هم أبوا وحملوا علينا ومدوا رماحهم الينا مزقت امامكم هذه العساكر وخلصتكم من طعن الرماح وضرب السيوف البواتر واحميكم بطاقتي وجهدي الى ان تصلوا الى ارض الشربةّ والعلم السعدي واعود الى الاعداء وحدي والتقيهم بقوَّة ساعدي وزندي حتى تمزّق الرماح جلدي ويصير لي حديث تذكرهُ الفرسان من بعدي فقال ابوهُ شداد والله ياولدي ومهجة كبدي ما فينا من يتخلى عنك وانت باقٍ حتى يلاقي ماتلاقي ولو بلغت ارواحنا التراقي وكذلك قال ابن اخيهِ المطال ومن معهُ من الابطال. قال وباتت تلك الطوائف تتقلب تحتَ مشيئة الرحيم الرحمن الذي لا يشغلهُ شان عن شان ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نهضت فرسان بني عبس الوقاح وتبادرت الى الحرب والكفاح وتحصنت باقي الفرسان بالصفاح لنهب الارواح وانقلبت الدنيا بالصياح وطلبوا بعضهم باسنة الرماح واذا بعنترة الفرسان قد برز الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب براز الابطال والشجعان وقد حدثتهُ نفسهُ اما ان يشفي قلبهُ او يسكن رمسهُ فصال وجال وترنح على سرجه ومال شوقاً الى القتال وملاقاة الرجال فانشد وقال

وانّا لقومٌ لا يُروِّعنا التنا ... ولا نختشي من حادثاتِ النوائبِ
رجالٌ متى يدعوا الى الحرب يسرعوا ... كمشي الجمال المسرعات المصاعب
ألا فابرزوا كي تنظروا ليث غابةٍ ... تخرُّ لهُ الفرسانُ خوفَ المعاطبِ
ولا يرهب الابطال في حومة الوغى ... ولا يختشي من معظمات الكتايب
سأريكمُ طعناً وحرباً مسدَّداً ... وضرباً يقدُّ الهامَ بين المناكب
فان عشتُ ابلغُ ما اروم وان امُتْ ... اموتُ قتيلاً من فراقِ الحبائبِ
عليكِ سلامُ الله يا بنةَ مالكٍ ... وها قد بذلتُ اليومَ قلبي وقالبي

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذا المقال هاجت عليهِ الاهوال واراد ان يبارز الابطال واذا بغبار قد ثار من ناحية بني عامر وتلك الديار حتى سدَّ منافس الاقطار واظلم منهُ ضوء

النهار واذا بغبار اخر قد ارتفع من ناحية ارض بني عبس وظهر وكان اعظم من الغبار الاول واهول لانهُ انكشف عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان كانهم اسود خفان على خيول اخف من الغزلان وهم ينادون عن فرد لسان يالعبس يالعدنان و يتسابقون للحرب مثل العقبان الا ان الغبار الاول الذي اقبل من ناحية بني عامر لهُ حديث ظريف يستحق ان يتلى على المنابر ويُكتَب بماء الذهب في بطون الدفاتر لانهُ انكشف و بان عن سبي بني عبس وعدنان يتقدمهم فارس صنديد كانهُ البرج المشيد ولهُ صياح وهام وهو ينادي يا لمرة يالمرة انا الحارث بن ظالم . ابشريا ابا الفوارس بالنصر والظفر فقد اتاك الليث الغضنفر . والصارم الذكر الذى فعلهُ في الحرب لاينكر . قال الراوى . وكان السبب في ذلك الامر والشان حديث من عجائب الزمان لاننا ذكرنا قبل الان ان الحارث بن ظالم قتل خالدًا بن جعفر في حرم النعمان وقتل ايضًا ولده شرحبيل وترك حزنهُ عليهِ طويل وقد ذكرنا ان لقيط بن زرارة سيد بني دارم التقى بالحارث بن ظالم فظفر بهِ واخذه اسيرًا وقاده الى النعمان ذليلًا حقيرًا واخذ عوضهُ النوق العصافير ومن التحف والدنانير ما لا يوجد عند سيد وامير وفرح النعمان بذلك غاية الفرح وزال عنهُ الهم والترح وامر ان يبقى تحت الحفظ والترسيم حتى ينتهي يوم النعيم ثم انهُ ارسل الكتب والرسائل الى سائر العشائر والقبايل يعلمهم بوقوع الحارث في قبضتهِ و يدعوهم ان ياتوا اليهِ و يشاهدوا قتلتهُ ولما بلغ المتجردة ذلك الخبر اخذها القلق والضجر وتنغص صافي عيشها وتمرمر وخافت على الحارث من الهلاك والضرر لانهُ كان قد قتل قاتل ابيها خالد بن جعفر واخذ لها بالثار وكشف عنها العار فاجتمعت ببعض عبيدها الذين جاؤا معها من بني عبس وتلك الديار . وكانت تركن اليهم . وتعتمد في سائر امورها عليهم وقالت لهم اريد منكم ان تترقبوا الفرصة وتدخلوا على الحارث وتزيلوا عنهُ تلك الغصة وتعطوهُ فرسهُ وسلاحه وقولوا لهُ ان يجد في قطع البر الاقفر و ينزل على اخي قيس وعنتر فانهما يحميانهِ من سائر البشر ولو كان خصمهُ كسرى او الاسكندر ومتى تم لكم هذا الامر اكتموه عن زيد وعمرو فقالوا لها السمع والطاعة وامتثلوا ما امرتهم بهِ من تلك الساعة وما زالوا يترقبون الفرص و ياتون اليهِ الى ان التمسوا غفلة الموكلين بهِ فدخلوا عليهِ فوجدوه يتقلب في الكتاف وهو مشرف على التلف وقد ايقن بالهلاك والممات واستد يقول

يابني عبس هل ارى من مجير ... منكم يبتغي فكاك وثاقي

بادروني قبل الصباح والا ... تهبوني على السيوف الرقاق

قد قتلت الهمام خالد عمرًا ... وعمير اللقاء عند التلاقي

فلما سمعوا شعره تقدموا اليهِ وقتلوا العبيد الذين حواليهِ وخلصوهُ من اسره وشداده واعطوهُ القحر بهِ وجلاده فركب ظهر الجواد وجدَّ في قطع الوهاد ولم يزل سائرًا كانهُ الطير الطائر حتى جاوز ارض بني عامر وتلك القبائل والعشائر فبينما هو يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار اذا بغبار من امامهِ قد علا وثار وحجب السماء عن الابصار ولاحت من تحتهِ اسنة الرماح وبريق الصفاح وبين ذلك عويل صبيان وبكاء نسوان فعدل عن الطريق خوفًا من التعويق وبعد ذلك انجلت الغبرة عن مائة فارس كالليوث العوابس تحتهم خيول اعوجية وعلى اكتافهم رماح خطية وسيوف هندية وهم يسوقون طائفة مسبية وكان هولاء الفرسان هم الذين انفذهم الاخوص بن جعفر مع سبي بني عبس وعدنان الى الاوطان فلما رأوا الحارث تسابقوا اليهِ وطلبوهُ وطمعوا فيهِ ولم يعرفوه فلما شاهد منهم ذلك الحال تاهب للحرب والقتال وناداهم ويلكم يا بني الزواني طمعتم في وحدتي وجهلتم قدري ومكاني انا هو الذي قتلت سيدكم خالد بن جعفر والبستكم بقتلهِ العار الاكبر فلما سمعت بنو عامر منهُ ذلك الخطاب غابوا عن الصواب واشتعلت قلوبهم بنار الالتهاب وقال بعضهم لبعض هذا الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم دونكم واياه حتى نعدمهُ الحيوة وناخذ بثار سيدنا الامير خالد ونسال بقتلهِ الفخر عند كل قائم وقاعد . ثم انهم حملوا عليهِ حملة رجل واحد وقد هاجت عليهم الشدائد وغرهم الطمع الرائد في بلوغ المقاصد ولم يعلموا بان الحارث تقيل العار يلقى منهم الالف والالفين تحت الغبار وفي دون ساعة من النهار فتك فيهم واستطال وقتل منهم سبعين من الابطال وعوَّلت الباقون على الهزيمة والانفلال وقد ذكرنا ما كان في الحارث من الشجاعة والقوة والبراعة لانهُ كان من الجبابرة الالفية المعدودين في زمن الجاهلية وكانت عبيد بني عبس وعدنان لما رات ما جرى وكانوا قد حلوا ساداتهم من الوثاق واركبوهم الخيول العتاق فثاروا كالاسود الكواسر واحاطوا بمن بقي من بني عامر وبذلوا فيهم الرماح والسيوف وجعلوهم فريسة لايايب الحتوف ثم انهم طلبوا الحارث وتقدموا اليهِ واكثروا من التكرمة والثناء عليهِ وسالوهُ الى اين هو قاصد في تلك البراري والفدافد فاخبرهم بواقعة الحال وما قاسى من الاهوال وكيف كان خلاصه عن يد المجردة بعد ما كان تمت تلك الشدة الزائدة وقد امرني ان اقصد ديار بني عبس وعدنان واستجير بقيس وعنترة الفرسان من نوائب الزمان فبينما انا قاصد تلك الارض والاوطان اذ التقيت بكم في هذا المكان وجرى من القصة ما كان

ففرح مالك ابو عبلة واستبشر وقال لهُ اعلم ايها البطل القسور والاسد الغضنفر لقد

جرى على الملك قيس في هذه المرة ما لم يجرِ على قلب بشر وقد حلت بنا وبه العبر ثم انهُ حدثهُ بحديث بني عامر وكيف كبسوهم تحت ظلام الليل العاكر ونهبوا اموالهم وسبوا النساء الحرائر وكيف هرب الملك قيس بباقي الفرسان خوفاً من الاسر والهوان وكيف التقى بهم عنترة عند عودتهِ من بني دارم وتلك الرسوم والمعالم بعد ما خلص ابن اختهِ الهطال من الاسر والاعتقال واقتتل معهم اشد قتال والقى نفسهُ على الشدائد والاهوال طمعاً في تخليص السبايا والاموال ولما ابصر الاخوص تلك الحال خاف على قومهِ من الهزيمة والانفلال فانفذ معنا تلك الابطال الى الاطلال فلما سمع الحارث منهم ذلك المقال اعتراه الاندهال وقال لهم ارجعوا بنا الى معركة الحرب والنزال حتى نعين عنترة ومن معهُ من الرجال واني اقول اننا لا نصل اليهِ الا ويكون قد قضى الاشغال وبلغ القصد والامال لانهُ ما توجه في امر الا ونال منهُ غاية المنال ولا قاتل عسكراً الا ونادى الله فيهِ بالوبل والوبال ثم ارتدوا راجعين والى نحو عنترة قاصدين الى ان التقوا بهِ وهو يصول ويجول ويطلب برازاً لفحول فتقدم منهم كل شجاع وبطل ونادى الحارث بذلك النداء وحمل هذا ما كان من حديث الغبار الاول

قال جهينة اليماني واما ما كان من خبر الغبار الثاني فانهُ كان غبار الملك قيس سيد بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان وقد جاء في طلب الاموال والحريم والعيال لانهُ لما انهزم من وجه بني عامر تحت ظلام الليل العاكر ونهبت بنو عامر القبيلة وراحت بالسبايا والاموال الجزيلة رجع الملك قيس الى الاطلال وجمع الفرسان والابطال وساروا خلف بني عامر على عجل وكان عددهم ثلاثة الاف بطل وجدوا في قطع البر الاقفر الى ان ادركوهم في قتال عنتر فصاح الملك قيس وحمل بقلب اقوى من الجبل وفعلت رجالهُ مثل ما فعل . ورجعنا الان الى السياق الاول . قال ولما سمع عنترة ذلك الصياح زالت عنهُ الهموم والاتراح وايقن بالتوفيق والنجاح وطلب الحرب والكفاح وكان لقيط بن زرارة قد حدث الاخوص بن جعفر وسادات بني عامر بما جرى لهُ مع الحارث بن ظالم من الاول الى الاخر وكيف انهُ حاربهُ واخذهُ اسيراً وساقهُ الى النعمان ذليلاً حقيراً فلما رآه في ذلك اليوم وقد عاد سالماً صاح وحمل في بني دارم وقصد عنترة والحارث بن ظالم وكان الملك قيس قد حمل في كواكب قوادهِ ومواكب اجنادهِ وطلب رايات بني عامر وحينئذٍ اختلطت العساكر بالعساكر واندفعت على بعضها كالبحور الزواخر وتقاتلت المياسر بالميامن والميامن بالمياسر وعملت السيوف البواتر في الضلوع والخواصر وفعلت الاسنة في المقل والمحاجر وسالت

الادمية من المناخر وتفطرت المرائر وهانت الاموال والذخائر ولعبت بجماجم الابطال الحوافر وانطرحت الفرسان عن الخيول الضوامر وتهتكت بالسيوف الستائر وضجت القبائل والعشائر ودارت على الرجال الدوائر وصار النهار في اعين الناس مثل الليل العاكر وهتف الوحش على القتلى بعد ما كان نافر وفعل عنترة والحارث بن ظالم الاسد الكاسر افعالاً تذهل البصائر وتحير العقول والخواطر لانهما فرقا الكتائب ومزقا المواكب وطعنا في الصدور والترائب واظهرا الاهوال والعجائب. قال وما زال القوم في اشد قتال وحرب ونزال الى ان ولى النهار واستحال واقبل الليل بالاسدال فافترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طائفة منهم في بقعة من الارض وخسرت في ذلك اليوم بنو عامر وبنو دارم وعاد لقيط من الحرب وهو خسران نادم وقد هلك من اصحابه اكثر من ستمائة فارس ومن بني عامر ما ينوف عن الف وخمسمائة بطل مداعس ثم اجتمع عنترة بالحارث بن ظالم وشكره على افعاله وسالهُ عن كيفية احوالهِ فحدثه بقصتهِ مع النعمان وما جرى لهُ وكان وكيف اطلقته المتجردة من الاسر والهوان وارسلت تقول لهُ مع العبيد والغلمان الحق باخي قيس وعنترة الفرسان واطلب منهما الذمام والامان فلما سمع عنترة كلامهُ وفهم قصده ومرامهُ طيب قلبهُ ووعدهُ بكل خير ودخل بهِ على الملك قيس بن زهير وحدثهُ بمقالهِ وما شاهد في ذلك اليوم من قتالهِ فهنأهُ الملك قيس بالسلامة واعطاه امانهُ وذمامهُ ثم انهم باتوا تلك الليلة في سرور وافراح وحظ وانشراح وباتت اعداؤهم في هموم واتراح ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح وثب كلٌ من العسكرين الى الحرب والكفاح وشهروا الصفاح ومدوا الى بعضهم البعض قطع الرماح والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال واشتد القتال وعظمت الاهوال وارتجت السهول والجبال من ضرب السيوف ووقع النصال وكانت لهم وقعة تشيب الاطفال وتذكر على مدى الايام والاجيال فلا ترى في تلك الساعة الا سيفاً بارقاً ورمحاً خارقاً ودماً دافقاً وما زالت رحى الحرب بينهم تدور ونيران الهيجاء تمور والاسنة تعمل في الخواصر والصدور الى ان وقعت الخسارة في بني عامر وبني دارم وثبتت بنو عبس فرسانهم بالطعن المتلازم وطيّر عنترة بحسامهِ القمم والجماجم وابرأ الكفوف والمعاصم والتقى ملاعب الاسنة بالحارث بن ظالم فتهاجما وتضاربا وتصادما وتحاربا حتى سالت من اجسادهما الدماء وغابت عن اعينهما الارض والسماء وهما في ضرب يقصر الاعمار وطعن احرّ من لهيب النار هذا وعنترة يجول في ساحة الميدان كأنهُ مارد من مردة الجان وهو يجدل الفرسان ويلقيها على بساط الاودية والكثبان ولما رات الاعداء منهُ تلك الحال اعتراها الانذهال

الا انهم ابصروا منهُ طعنًا مرًّا وضربًا لا تجد الابطال عليهِ صبرًا وهو ينثر الرؤوس عن الابدان نثرًا فاضطربت فرسانهم وتزعزعت شجعانهم واقشعرّت ابدانهم وانقلبت مواكبهم من الدائرة الموتلفة الى الدائرة المختلفة وطلبوا الهزيمة والفرار خوفًا من الهلاك والبوار وتفرقوا في بطون السهول والاوعار وابصر ملاعب الاسنة هذه النوائب وقد تفرقت الرجال في اقطار السباسب فولى من امام خصمهِ وطلب الهزيمة وكانت سلامة نفسهِ عندهُ اوفى غنيمة . ولما خمدت نيران القتال جمعت بنو عبس الغنائم والاموال وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان وقد بنوا لهم في فلك المعالي قصورًا مشيدة الاركان

ولما اصبح الصباح رحلوا بالحريم والعيال طالبين الديار والاطلال . هذا وقد سلم عنتره لعمهِ مالك الاموال والغنائم التي جاء بها من ديار بني دارم وقال لهُ يا عماه اني من يوم ملكت هذه الغنيمة تركتها برسم العرس والوليمة فقال يا ابن اخي متى وصلنا الى ديارنا وقر فيها قرارنا بادرنا في عمل العرس والافراح لاننا قد بلغنا غاية القصد وزالت عنا الهموم والاتراح فطاب قلب عنتر وفرح واستبشر وقد تسلى بذلك المقال ولم يعلم ان قول عمهُ زور ومحال

قال نجد بن هشام . وسمع الملك قيس هذا الكلام فقال وحق رب الانام ما نقيم بعد وصولنا الى الديار اكثر من ثلاثة ايام حتى نزف عبلة الى ابن عمها عنتر قبل ان ياتينا عايق اخر لان اعداءنا كثيرة ومصائب الدهر غير يسيرة لاننا لا نامن ملك النعمان ان يستنجد علينا بكسرى انوشروان ويركب علينا بفرسان العرب والاعاجم ويطالبنا بالحارث بن ظالم ثم انهم جدوا في قطع الروابي والتلال وعنترة راكب في اول الابطال والى جانبهِ الحارث بن ظالم الاسد الرئبال وهو يطيب قلبهُ ويعدهُ ببلوغ الامال ولما تمادى بهم السير والترحال تذكر عنترة بما جرى عليهِ من الشدائد والاموال في معامع القتال فجاش الشعر في خاطره وقال

ارضُ الشربَّة تربُها كالعنبرِ ونسيمها يسري بمسكٍ اذفرِ
وقبابها تحكي بدورًا طلَّعًا من كلِّ فاتنةٍ بطرْفٍ احورِ
ياعبلَ حبُّكِ سالبٌ الباننا وعقولنا فتعطَّفي لاتهجري
ياعبلَ لولا أن اراكِ بناظري ما كنتُ القى كلّ صعبٍ منكرِ
ياعبلَ كم من غمرةٍ باشرتُها بمثقَّفٍ صلبِ القوائمِ اسمرِ
فاتيتُها والشمسُ في كبدِ السَّما والقومُ بينَ مقدّمٍ ومؤخَّرِ
ضجُّوا فصحتُ عليهمِ فتجمَّعوا ودنا اليَّ خميسُ ذاكَ العسكرِ
فتكتُ هذا بالقنا وعلوتُ ذا مع ذاكَ بالذكرِ الحسام الابترِ

وقصدتُ قائدَهم قطعتُ وريدهُ   وقتلتُ منهم كلَّ قرمٍ اكبرِ
تركوا اللبوسَ مع السلاحِ هزيمةً   يجرون في عرض الفلاةِ المقفرِ
ونشرت راياتِ المذلةِ فوقهم   وقسمت سلبهم لكلّ غضنفرِ
ورجعتُ عنهم لم يكن قصدي سوى   ذكرٍ يدوم الى اوانِ المحشرِ
من لم يعشْ متعزّزًا بسنانهِ   سيموت موتَ الذلِّ بين المعشرِ
لابدَّ للعمرِ النفيس من الفنا   فاصرفْ زمانكَ في الاعزِّ الافخرِ

قال الاصمعي ولما فرغ عنترة من شعرهِ وما ابداه من محاسن نظمهِ ونثرهِ تعجب الحارث بن ظالم من فصاحتهِ وقوة قلبهِ وشجاعتهِ فعظم في عينيهِ وصفا لهُ قلبهُ واثنى عليهِ لانهُ كان من اخبث الرجال لا يصفو قلبهُ لاحد من الابطال ولم يكن عنده لاحد هيبة ولا وقار ولا حرمة ولا اعتبار وانما خوفهُ من النعمان هو الذي اذلهُ لانهُ يعلم ان العرب لا تشفق عليهِ ولا ترثي لهُ ولا تذكرهُ بشفة ولسان ولا تجيرهُ من الملك النعمان فلذلك ذلَّ لبني عبس وعدنان وجعل اعتمادهُ على عنترة فارس الفرسان . قال الراوي وما زالوا يقطعون القفار والسهول والاوعار الى ان اشرفوا على الديار فضربوا الخيام واستقر بهم المقام وعادت المنازل آنسة بسكانها ضاحكةً بقدوم قطانها بهجةً بالولائم والدعوات مبتهجة بالافراح والمسرات هذا وعنترة قد انزل الحارث بن ظالم في ابياتهِ وصار يقضي معهُ اكثر اوقاتهِ ويدفع عنهُ حملات الاتراح بشرب الخمر وتناول الاقداح وهو منتظر من عمهِ انجاز الميعاد ومن الملك قيس المعاونة والامداد . قال الراوي وكان مالك ابو عبلة قد قطع رجاه وعظم بلاه لعلمهِ ان ابنتهُ سوف تخرج من يدهِ ويتزوج بها عنترة بغير قصدهِ فاشتعل قلبهُ بلهيب النار وزادت بهِ الوساوس والافكار فاختلى بولده عمرو وتحدَّث معهُ في ذلك الامر فقال عمرو وحق الاله الخالق الذي لا تدركهُ ابصار الخلائق ان عندي اضعاف ما عندك ووجدي اليوم اعظم من وجدك ومن الراي ان ترسل رسولاً الى بني فزارة وتعلم حذيفة والربيع بهذه العبارة وتذكر لهما ان الحارث بن ظالم عدنا في الاوطان وقد استجار بالملك قيس وعنترة على النعمان ولا شك انهما يعلمان النعمان بهذا الخبر وحينئذٍ ينفتح باب الشر على قيس وعنتر ويأتيهما ما يشغلهما عنا ونبلغ ما نتمنى . فلما سمع مالك ذلك الخطاب راهُ غاية الصواب وارسل من وقتهِ كتابًا الى حذيفة والربيع بن زياد يعلمهما بذلك الايراد ويطلب منهما المساعدة والامداد على هلاك عنترة بن شداد . قال نجد بن هشام وبعد ذلك بخمسة ايام دخلت خميسة امة عبلة على عنترة وهي تبكي وتحسر وقالت احذر يا مولاي على نفسك من المهالك ولا تغتر

الكتاب الثالث والثلثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

بوعد عمك مالك فانهُ قد نقض عهدهُ واخلف وعدهُ واضمر لك الشرّ والنكال والهلاك والوبال وان الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد ارسل لهُ رسولاً نهار امس عند غروب الشمس يقول لهُ اخرج بعنترة غداً الى غدير ذات الاصاد واظهر لهُ المحبة والوداد كانك تريد ان تستشيرهُ في عرس ابنتك عبلة ونحن ندهمهُ بالابطال ونقتلهُ على حين غفلة ونجرحك انت ومن معك من الرجال حتى اذا رجعتم الى الاطلال وسالكم الملك قيس عن هذا الحال تكتمون عنهُ الخبر خوفًا من القتل والضرر وتقولون ما ندري بما جرى غير انها عبرت علينا خيلٌ غائرة ونحن سكارى على الغدير فوضعوا فينا السيف وفعلوا بنا كما ترى وحينئذٍ تستريح يا مالك من المعيرة والفضيحة والسمعة الرديئة القبيحة ونستريح نحن ايضًا من شرهِ وبلاه وخبثهِ ودهاه لانهُ لما سار الى بني دارم وتلك الرسوم والمعالم في طلب ابن اخته الهطال من الاسر والاعتقال انفذنا خلفهُ مائة من الابطال ليقتلوهُ وينزلوا بهِ النكال وكانوا من اطائب فرسان بني فزارة فالتقاهم لقيط بن زرارة فاهلك منهم سبعين واسر الباقين ونحن حتى الان من اجلهم في احزان. ثم ان خميسة قالت لعنترة اعلم يا فارس ربيعة ومضر ان هذا الحديث لم يسمع بهِ احد من اهل الحلة حتى ولا مولاتي عبلة وان الرسول الذي جاء عمك بهذه الرسالة وبلغهُ هذه المقالة يقال لهُ مكتوم بن عباد وهو من خواص عبيد الربيع بن زياد وقد اعلمني بهذا الخبر لانهُ يحبني دون سائر البشر ولولا محبتهُ لي الزائدة لما كان حدثني من هذا الحديث حتى ولا بكلمة واحدة ثم عادت خميسة من عند عنترة بعد ما اوصتهُ بالتيقظ والحذر فلما سمع عنترة من خميسة ذلك الخطاب غاب عن الصواب وكتم ما سمعه من المقال وصبر حتى يتضح لهُ الحال ويعرف الصدق من المحال

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان الربيع بن زياد لما وصل اليهِ رسول مالك بن قراد وحدثهُ بتلك العبارة كما سبقت الاشارة استشاط غضبًا واضطرم فوادهُ لهبًا عند ما بلغهُ ان عنترة قد عاد الى الاطلال وهو سالم ومعهُ الاموال والغنائم وفي صحبتهِ الحارث بن ظالم فاجتمع بحذيفة بن بدر وحدثهُ بذلك الامر وقال يا ابا حجار ما عاد يطيب لنا عيش ولا يقر لنا قرار ان لم نقلع من بني عبس الآثار وندبر على هلاك ذلك العبد الغدار لانهُ قد صار احسن من الاول حالاً وارغد عيشةً وانعم بالاً. وارتفع

قدرهُ وعظمَ امرهُ وانتشر صيتهُ وذكره ثم انهما اتفقا على هلاك بني عبس وعدنان وفتوة الفرسان ومن يومهما ارسلا الى الملك النعمان كتاباً صحبة نجاب يقولان لهُ اعلم ايها الملك الهمام والاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام ان عدوك الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم الذي قتل ولدك شرحبيل وترك حزنك عليه طويل . وقتل خالداً بن جعفر في حرمك وهرب من حبسك ونقمك هو الان في بني عبس بكل خير وقد اجارهُ عنترة والملك قيس بن زهير واعطياه الذمام وامناه من جميع الانام وقال قيس هذا الذي اخذ ثاري وكشف عني عاري وبلغني قصدي واربي وقتل قاتل ابي لا اسلمهُ لانسان من ملوك العربان ولو طلبهُ مني الملك النعمان اوكسرى انوشروان صاحب التاج والايوان او الحارث بن بني غسان لا سلمتهُ الا بعد حرب وطعان يهد الاركان وتحدث بهِ الناس على طول الزمان واما عنترة الذميم فلا نجسر ان نذكر للحضرة النعمانية والسدة الملوكانية ما ابداه من التهديد والوعيد لان عظمتكم اخبر بحماقتهِ وجهلهِ ومتصرفات احوالهِ وسوء فعلهِ ثم انهما بعد انفاذ هذه الرسالة ارسل الربيع الى مالك ابي عبلة يقول لهُ تلك المقالة وهو ان ياخذ عنترة الى غدير ذات الاصاد كما تقدم الايراد ويشاغلهُ بالحديث والمزاح ويميل عليهِ في شرب الراح . قال محمد بن هشام ورجعنا الان الى سياق الكلام وكان الامير عنترة قد تنغص عيشهُ وتكدر عند استماعه من خمسة ذلك الخبر واورثهُ اضطراباً وقلقاً واوغر صدره على عمهِ حقداً وحنقاً فكان تارةً يشتم عمهُ وولده عمرو وتارةً يتهم الربيع بذلك الامر لاجل القاء الفتنة والفساد وشماتة الاعداء والاضداد وقال في نفسهِ لابد لي من المسير اذا دعاني عمي الى الغدير اكشف حقيقة الحال ويظهر الصدق من المحال قال الراوي . وما زال عنترة في هموم وافكار الى ان تضاحى النهار واذا ابن عمهِ عمرو قد اتى اليهِ وسلم عليهِ وقال لهُ ان ابي يدعوك للمسير الى المنهل والغدير حتى يستشيرك في امر الزفاف ويعقد رايهُ معك في زواج ابنتهِ بلا خلاف لانهُ يريد ان يخلو بك سراً ولا يكتم عنك امراً فقال عنترة السمع والطاعة واني اكون المسعود في هذه الساعة ثم انهُ دخل الى مضربهِ وهو يدمدم كالاسد وافرغ عليهِ صدرية من الزرد مضاعفة العدد لا يعمل فيها المهند ولبس من فوقها ثوباً من الحرير الاصفر وتقلد بسيفهِ الضامي الابتر وخرج على الاثر وركب جواده الابجر وانطلق مع عمرو واخي عبلة وسار شيبوب وجرير في ركابهِ بالجملة بعدما حدثهما سراً بذلك الامر واوصاهما بالاحتراز والتيقظ من عمهِ مالك وولده عمرو وغدر الربيع وحذيفة بن بدر ثم انهم جدُّوا في المسير حتى وصلوا الى الغدير فوجد عنترة عمهُ في انتظاره من اول النهار والعبيد بين يديهِ يروّقون المدام وهم في شغل واهتمام فتلقاه عمهُ بالترحيب والاحترام

وزاد لهُ في الاكرام وقال اهلاً وسهلاً يا بن اخي ومعتمدي وسيفي وسندي فترجل عنترة اليهِ وقبل صدره ويديهِ وشكره واثني عليه

قال مجد بن هشام وما استقرَّ بهم المقام حتى قدمت العبيد لهم الطعام وبعد ان فرغوا دارت عليهم اقداح المدام ثم اخذوا في المشورة والكلام ولما طابت لهم الخلوة وعملت في رؤسهم النشوة قال مالك ابو عبلة لعنتر اعلم يافارس ربيعة ومضر اني ما اختليت بك اليوم الا حتى نذهب عنا العتب واللوم لان حبلي بحبلك قد انصل ومرادي منك قد حصل وما بقي لي منك منفصل فانفذ غداً الى اصدقائك وادعُ من تريد من اصحابك وحلفائك حتى نشرع في امر العُرْس وتبلغ مُناك لاني اريد ان اجمع كل من في الحلة من فقير وغني وامير وادعهم يرتعون في اكل الطعام وشرب المدام واكسو الارامل والايتام لان اسمك بين العرب كبير والحمد لله مالنا كثير وان احتجنا الى شيء نحرنا النوق العصافير فطاب قلب عنترة بهذا المقال وايقن ببلوغ الامال ومن فرط سروره قام على قدميهِ وقبل راس عمهِ ويديهِ وقال لهُ ما انا الا عبدك من قديم الزمان وتحت امرك الى الان وقد فوضت امري اليك وجعلت ذمام قيادي في يديك فابذل ما عندك من الاموال والنوق والجمال وان شاء الرب الكبير اخلفها عليك اضعافًا ايها الامير لاني لا اريد من الدنيا بعد بلوغ مرادي الا سيفي ورمحي وجوادي لانهم يعينوني على كيد الاعادي ومن الغد اشرع لك في تحصيل الخلع والخمر والنوق للنحر وبادر في انجاز هذا الامر ثم دارت عليهم الكاسات وغنت المولدات وطابت لهم الاوقات ونسي عنترة حلول المصائب والافات الى ان انصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار وقد طال على مالك وولده عمرو الانتظار هذا ومالك يميل على عنترة بشرب العقار ويشاغلهُ بذكر عبلة ويسقيهِ بالطاسات الكبار وفي قلبهِ منهُ شعل النار وكان العبيد يتغامزون على عنترة بالاحداق وعيونهم تلعب في وجوههم بالرياء والنفاق فعند ذلك صحا عنترة وفاق واحمرَّت منهُ الاماق وقد ظهرت لهُ تلك الدسيسة وصحَّ عنده كلام خميسة وكان شيبوب يدور بالعبيد من اليمين والشمال ويراقب الروابي والتلال كانهُ ابو الحصين المحتال ويحرس اخاه عنترة كما تحرس اللبوة الاشبال فبينما هو على مثل تلك الحال واذا بعمرو اخي عبلة قد تقدم وسل سيفهُ وهجم وعلى قتل عنترة عزم فعند ذلك صاح شيبوب باخيهِ عنترة صيحة الاسد وقد عدم الصبر والجلد وقال لهُ قم من بين هولاء الانذال والا نهبوا جسدك بالسيوف الصقال نوثب عنترة وثبة الليث وسل حسامهُ الضامي الذي لا يبقي ولا يذر وعوَّل ان يبذل في العبيد سيفهُ البتار واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس

الاقطار وعلا من تحته الصياح ولمعت اسنة الرماح وفي اوائل القوم حذيفة بن بدر والربيع بن زياد وهما يصيحان يالفزارة الاجواد هذا وقد تفرقت الخيول والجنايب وطلبوا عنترة من كل جانب بالقنا والقواضب فلما ابصر عنترة هذه الحال بان له الصدق من المحال وتقدم ليركب الجواد ويلتقي اولئك الاوغاد واذا بعمه مالك صاح بولده عمرو وقد لعبت براسه نشوة الخمر وقال ويلك اضرب هذا العبد بسيفك الصقيل وامنعه عن الركوب ياذليل فلم يبقَ له بعد قدوم هذه الفرسان الى النجاة من سبيل فتقدم عمرو بعزيمة واهتمام وضرب عنترة بالحسام فوقع السيف على ثيابه ونفذ الى الزرد المقدم ذكره فلم يعلم به وفي الحال ركب عنترة على جواده الابجر واستلب رمحه الذابل الاسمر وصاح وزمجر وطلب الخيل قبل ان تدهمه وهو يسب عمه ويشتمه ويقول له ياغدار يامكار وحق الملك الجبار لا بد لي ان اقابلك على هذه الفعال ولاحرمنك ان تلتذ بالماء البارد الزلال ثم انه استقبل الابطال بقلب اقوى من الجبال وانشد وقال

ساغسلُ عني العارَ والسيف قاضبٌ ... واصبر انَّ الحكم لله غالبُ
وتصغر في عيني بلادي اذا انثنت ... يميني بادراك الذي انا طالبُ
فان تهدموا بالغدر ركني فانه ... مكين ومني لاتنال المآربُ
ولي عزمات لا ابالي عن الذي ... اهمُّ به مهما تكون المصاعب
يادهمَ الفتى بين عينيه غرّةً ... يساعدني في الحرب ان انا ضاربُ
فزارة تبغي كلَّ يومٍ عداوتي ... ولابي زيادٍ للنساد تصاحب

قال نجد بن هشام ولما فرغ عنترة من هذا الكلام صال وجال وصدم الفرسان والابطال صدمة الاسد الرئبال وطعن في الخواصر والاوصال طعنا كنتوق الاعدال وشيبوب من ورائه كانه الغزال وهو يطعن بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وجرير ينادي خاب والله ظنكم يا نسل الفجار من هذا البطل الكرار والليث المغوار وكان النهار قد انقضى اكثره وبقي منه ايسره الا انه لم يات الليل بالسواد حتى مدد عنترة اكثر الفرسان على بساط المهاد وشفى منهم غليل الفؤاد وبلغ غاية المراد وابصر بنو فزارة منه ضربًا يقد المغافر وطعنًا يذهل النواظر ويحير الافكار والخواطر فعادوا على الاعقاب وطلبوا الروابي والشعاب واراد حذيفة ان يتبع رفقاه واذا بعنترة قد اطبق عليه وفاجأ وطعنه بعقب الرمح في قفاه فالقاه عن جواده الى الارض ابعد من رمحين ثم طلب الربيع بن زياد ومن معه من ابطال الطراد وكان الربيع قد خاف واستقتل لما راى طعنات عنترة

كأنها القضاء المنزل فخاب منه الامل وايقن بحلول الاجل وطلب الهزيمة والهرب خوفاً من الهلاك والعطب وهو يقول والله ما هذه حملات سكران ولا ضرب بائد نشوان وما يقاتل هذا الشيطان الا من تكون منيته قد حانت. ونفسه عليه قد هانت فقصد ديار بني فزاره وقد تبعه من احسب الربح وكره الخسارة وكان حمل بن بدر لما ابصر اخاه حذيفة قد وقع وانطرح على بساط الارض وانصرع ترك معركة القتال ونزل اليه في الحال وشده على بعض الخيول العوال ولعب سيف عنترة في اعناق من بقي من الرجال وكان الليل قد هجم واخفى وطئ الحافر والقدم فعاد عنترة بعدما اشفى فؤاده وبلغ قصده ومراده وبلغ المنهل والغدير وقلبه يغلي على عمه بنار السعير وكان قد عول ان يثخنه بالجراح ويسبي عبلة سيدة الملاح وكوكب الصباح ويكسيه العار والافتضاح فلما وصل الى الغدير لم يقع له على اثر ولا وقف على خبر فاستشاط غضباً واضطرم لهباً وارتد راجعاً الى الخيام وانطرح على فراشه ونام

قال الراوي وكان الملك قيس قد استدعى في ذلك اليوم الحارث بن ظالم والامير شداد وعروة بن الورد وزخمة الجواد وعمل لهم وليمة عظيمة لما قدر وقيمة وسقاهم من صافي المدام وزاد لهم في الترحيب والاكرام والتوقير والاحترام فرجعوا من عنده الى الابيات وهم سكارى كالاموات وكان الامير عنترة قد انتبه وقت السحر وهو في قلق وضجر فاستدعى باخيه شيبوب فحضر وقص عليه ذلك الخبر لانه كان في افكار واوهام وهو يظن ان الذي فعله كان في المنام وهواجس الاحلام فاعاد شيبوب عليه القصة بالتمام وكيف انه اقتتل مع بني فزارة واوقع بهم الذل والخسارة فلما سمع منه ذلك المقال اعتراه الانذهال وتغيرت منه الاحوال فبينما هو على تلك الحال اذا بخمسمائة قد دخلت عليه وقبلت يديه وقالت له يا ابا الفوارس وزين المجالس ان مولاتي عبلة تهديك مزيد السلام مع واجبات الاحترام وتقول لك ايها البطل الهمام والسيد القمقام ان اباها واخاها قد سارا على وجوههما في البراري والاكام وقد حلفا انهما لا يسكنان في الحي ما دمت انت حي فقال عنترة وقد تالم والتهب فؤاده وتضرم الى حيث القت رحلها ام قشعم اما كفاهما ما فعلا بي من الردى وينسباني الان الى الظلم والاعتدا فلا عمر الله بهما الاوطان ولا نجاهما من نوائب الزمان. قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك انه لما دبر مالك ابو عبلة ذلك التدبير واستدعى عنترة الى الغدير وجرى ما جرى من الامر المنكر وانصرمواكب بني فزارة قد فني منها الاكثر وذلك من نبال شيبوب وسيف الامير عنتر خاف واندعر واستحى ان يرجع الى الخيام خوفاً من العتب والملام وقال لولده عمرو انه لم يبق لنا في الديار مقام وقد عولت ان اسير الى الملك النعمان واستجير به من

جور هذا العبد الكشحان واقول له ان الحارث بن ظالم عند بني عبس وعدنان وقد اعطوه الزمام والامان وهو عندهم في اعز مكان فلا بد له ان يقصدهم بقبائل العرب و يقطع ما بينه و بينهم من الحسب والنسب ويكون ذلك لقلع اثارهم اكبر سبب ونكون قد بلغنا غاية الارب ونزوج اختك عبلة بمن يكون لها اهلاً ونعيش بنعمته ونعتز بهيبته. قال صاحب الحديث فلما سمع عمرو من ابيه ذلك الخطاب رآه عين الصواب ثم ان مالكًا قال للعبيد سيروا انتم الى الديار وقولوا لابنتي عبلة ان اباك قد هج على وجهه في القفار من جور ذلك العبد الغدار وخوفًا عليكِ من الهتيكة والعار فان كانت تختاره علينا وترضاه تذهب اليهِ وتطاوعه على ما يهواه وان ارادت صيانة عرضها من كلام الاوغاد تستجير باخي شداد او بعمها زخمة الجواد لانها ان كانت في بيت احد من اعمامها لا يقدر عنترة على هتك حرمتها وذمامها. ثم انه سار هو وولده من اول الليل وجدا في المسير على ظهور الخيل وعادت العبيد الى الخيام ودخلوا على عبلة وحدثوها بذلك الكلام فحملت الهم العظيم وقالت وحق زمزم والحطيم انه لا يوجد على وجه الارض بنت اشقى مني فياليت امي لم تلدني واما من قول ابي اني استجير باحد اعمامي خوفًا من ان يسبيني عنترة ويهتك حرمتي وذمامي فما اظن في ابن عمي هذا الظن الردي الذي لا يتحدث بهِ الا كل عدو ومعتدي لانه من اسد الناس سيرة واخلصهم سريرة عالي الهمم كريم الشيم بعيد القدم عن الظنون والتهم فياطالما ما خلصني من النوائب والاهوال والمصائب فكيف انه يسبيني من بين المضارب فوالله لا برحت من بيت ابي الى الابد ولا التجيت باحد و باتت تلك الليلة في البكاء والنوح ولما اصبح الصباح ارسلت جاريتها خميسة الى عنتر واوقفته على هذا الحديث كما تقدم الخبر فانذهل وتحير وطار من عينيه الشرر واخذته الوساوس والفكر فبينما هو كالمسلوب الهائم اذ دخل عليهِ عروة بن الورد والحارث بن ظالم فقام لهما على الاقدام وتلقاهما بالتوقير والاحترام واكرمهما غاية الاكرام ولما قر بهما القرار سالاه عن يومهِ الماضي وما جرى له فيهِ من شدة الوجد والهيام فقال والله لقد كان يومًا عديم التوفيق فلا جعل الله مثله الى حبيب او صديق ثم حدثهما بما وصل اليهِ وحيلة عمهِ مالك عليهِ وما جرى له مع بني فزارة وكيف اوقع بهم الخسارة وهزيمة عمهِ عن الاوطان خوفًا من معيرة الفرسان ثم قال واني لاشك ايها السادة الاقران انه قصد الملك النعمان دون كل انسان حتى يلقي الفتن والفساد في تلك البلاد ويفتح علينا باب الشر ويتعاطى اسباب النكد والضر وحينئذٍ يطول علينا المطال وما يعود ينجينا الا القتال والصبر على الاهوال فقال عروة لقد صدقت في هذا المقال والى مثل هذا الامر ينتهي الحال ولربما يرسل النعمان

الى قيس بعض من يعتمد عليه ويحثهُ في ارسال الحارث اليهِ وكذلك عمك يطلب ابنتهُ عبلة ويقيم في تلك البلاد ويتبعهُ الربيع بن زياد ويزوج عبلة باخيهِ عمارة ويضيع عليك ما قد فعلتهُ ولا تبلغ الامل الذي املتهُ فقال عنترة وحق الركن والحجر والبيت المطهر لو اتى النعمان بكل عرب البر الاقفر ومعهُ كسرى وقيصر وملوك بني الاصفر وارادوا ان ياخذوا من عبلة خصلة من الشعر لما كانوا يقدرون على ذلك الامر الا بعد ضرب يقد الحجر وطعن يعمي البصر فقال الحارث اما من جهة النعمان فلا تزعج سرك ولا تضيق صدرك فاني قادر ان ارد كتائبهُ وافرق جيوشهُ ومواكبهُ ولو كانت بعدد النمل او حبات الرمل اما عمك مالك فمن الصواب والراي الذي لا يعاب ان تتبعهُ وتترضاه وتترفق بهِ وتتلافاه وترده الى الحلة لاجل خاطر محبوبتك عبلة لانهُ من الواجب والفكر الدقيق الثاقب ان يذل المحب لحبيبه ولو كان الجفاء والهجر من نصيبهِ ولقد اجاد صاحب الانشاد

اذا ذلَّ المحب وبات يشكو ... الى احبابهِ شكوى السقيمِ
يقلُّ غرامهُ ويخف عنهُ ... لهيب توقد الشوق العظيمِ
ولاسيَما اذا كان التشاكي ... من البلوى الى القلب الرحيمِ

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة من الحارث هذا الكلام اغرورقت عيناه بالدموع وبكى من فؤاد موجوع وقال اما عمي فانهُ جد في الترحال وقطع البراري والتلال واما الملك النعمان فسوف يكون بيني وبينهُ ما يذكر الى اخر الزمان ثم غلب عليهِ الحال وتذكر ماقاساه من الشدائد والاهوال في وقائع القتال فانشد وقال

دهتني صروف الدهر وانتشب الغدرُ ... ومن ذا الذي في الناس يصفو لهُ الدهرُ
وكم طرقتني نكبةٌ بعدَ نكبةٍ ... ففرَّجتها عني وما مسني ضرُّ
ولولا سناني والحسام وهمتي ... لما ذُكرَت عبسٌ ولا نالها فخرُ
بنيتُ لهم بيتًا رفيعًا من العلي ... تخرُّ لهُ الجوزاء والفرغُ والغفرُ
سيذكرني قومي اذا الخيل اقبلت ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ
يعيبون لوني في السواد جهالةً ... ولولا سواد الليل ما طلع الفجرُ
وان كان لوني اسودًا فخصائلي ... بياضٌ ومن كفيَّ يستنزلُ القطرُ
محوتُ ذكري في الورى ذكرَ من مضى ... وسدتُ فلا زيدٌ يقال ولا عمرو

قال الراوي فما فرغ عنترة من شعرهِ حتى دخل رسول الملك قيس عليهِ وتمثل بين يديهِ وقال لهُ ان الملك قيسًا يدعوك اليهِ لان حذيفة ابن بدر قد ارسل لهُ رسولاً على

سبيل الشكوى وهو يقول ان له عليك دعوى لانك تعديت عليه وجرحته وقتلت رجالة وفضحته وهو مشرف على العدم من شدة الالم . قال فضحك عنترة وتبسم وقال الى حيث القت رحلها أُم قشعم لانه قد اضمر لي الشر والعناد مع الربيع بن زياد فوحق ذمة العرب لو قدرت على بني فزارة من اليوم فصاعداً لابلينهم بالعطب ولا ابقي منهم لا راسًا ولا ذنب ثم انه تقلد بحسامهِ الابتر وسار على الاثر حتى دخل على الملك قيس فسلم عليهِ وساله عن الخبر فقال له قد بلغني يافارس عبس ما فعلته امس وانك اسرفت في شرب الخمر حتى بدا منك ذلك الامر فقال عنترة وما الذي بدا مني من قبيح الاسباب حتى استوجب منك هذا العتاب فوحق رب الارباب اني ما سكرت ولا غاب لي صواب قال قيس اعلم ان حذيفة بن بدر ارسل لي يقول مع هذا الرسول اني بينما كنت قادمًا عليك حتى اهنيك بالسلامة واعتذر اليك وفي صحبتي الربيع بن زياد رجماعة من الفرسان الاجواد اذ ثار علينا عنترة بن شداد من جانب غدير ذات الاصاد وهو سكران لا يعقل على انسان فقتل رجالنا واهلك ابطالنا ثم تقدم اليَّ وهجم عليَّ ومد يدهُ بالسيف وضربني وما قلت الا انهُ اعطبني وما كفاه ما فعلهُ بنا حتي صار يشتمنا ويسبنا ويقول آه يااولاد الزنا ومعدن الخنا ما انيتم الا لقتلي وعدمي واهراق دمي ولولا عمهُ مالك بردهُ عن قتالنا والا كان تبعنا الى اطلالنا فان كان ياقيس هذا الفعل باذنك واختيارك اعلمنا حتى نحترز منهُ ونرحل عن جوارك وان كان بغير اذنك فعل هذه الفعال فالمراد ان تنفيهُ من هذه الاطلال حتى نعلم انك غضبت لغضبنا وراعيت حسبنا ونسبنا ثم قال الملك قيس لعنترة وحق خالق البشر لقد ضاق صدري عند سماع هذا الخبر لان عندنا اليوم من كثرة اعدائنا وهمنا ما يشغلنا عن معادات بني عمنا . قال الراوي فلما سمع عنترة من الملك قيس ذلك المقال قال ايها الملك المفضال وحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والاجال ان هذا الحديث كلهُ زور ومحال وما اتوا الا حتى يعاونوا عمي على قتلي وعدمي وسفك دمي ثم حدثه بالقصة التي جرت والحيلة التي تدبرت فقال قيس لقد صدقت وبالحق نطقت لان طريق الحق واضحة وشهوده على من عرفه لائحة ثم التفت الى الرسول واشار اليهِ ارجع الى مولاك حذيفة وسلم لي عليهِ وقل لهُ يقول لك قيس انهُ قد وقف على شكواك وفحص في دعواك فلم يجد فيما ادعيت بهِ على عنترة من ذلك الحديث والخبر ادنى دليل ولا برهان يشهد بهِ العيان ويقوم عليهِ البيان وان كل من يشور عليَّ بنفي عنترة من الاوطان يرد لي الهلاك والقلعان لاني رجل كثير الاعداء قليل الاعوان ثم ان قيسًا بعد هذا الكلام طيب قلب عنترة البطل الهمام وعاد عنترة الى الخيام

وموج الهم يلعب في فواده وكان اكثر همه وغمه لاجل غيبة عمه ثم استدعت عبلة وامها بعنترة فلما حضر قالت له ام عبلة اعلم يا ابا الابطال انه قد امسى بيتي خاليًا من الرجال وهذا هو الخراب الاكبر يا فارس البدو والحضر الصواب ان تقتفي من عمك وولده الاثر لاننا نخاف ان يفجعنا بهما من له على بني عبس دما فيعيد وجودهما عدما وتشمت بنا الاعداء والاضداد خصوصًا عمارة والربيع بن زياد وانت اخبر بهذا الامر وان تعقدت الامور ما لريد الا عمرو فقال عنترة انت تعلمين كم من مرة اضمر لي الشر والنكال والهلاك والوبال فلو كان يقول لي يا عنترة ارحل عن الحلة فاني لا اريد ان ازوجك بابنتي عبلة لكنت امتثلت ورحلت وعلى الله توكلت فلما سمعت عبلة منه ذلك المقال تبسمت عن ثغر انقى من اللآل وقالت ويلك كيف كنت تصبر عني وتقنع بالوعد والتمني فوالله ان هذا من المحال فدع عنك الرياء والرور في المقال واكشف خبر ابي واخي من دون ضجر ولا ملال ولا تواخذهما بتلك الفعال وانشدت تقول

اذا ما ادّعيت العشقَ عن امورهُ   ...   سفسك لا تأمنْ على السرِّ صاحبا
وذل اذا عزَّ الحبيبَ بوصالهِ   ...   ودم كاتمًا ان كنتَ تخشى العواقبا
ولا تدعِ في العشقِ حقدًا ونغصةً   ...   ولا تكُ في كلِّ الامور معاتبا

ثم قالت له انت تعلم ان العبد اذا كان يحب مولاته يجب عليه ان يحسن مداراتها ولا سيما اذا ملكت في يدها موته وحياته فقال عنترة والى متى تكون هذه المداراه فوالله لقد كرهت الحياه وضجرت مما اعمل من المعروف والمليح واجازى عليه بالقبيح ولكن هذا يهون على عبدك اذا كنتِ باقية على عهدكِ ثم انه عاد الى الخيام وقد زال بعض ما كان فيه من الغرام قال نجد بن هشام ولما اظلم الظلام ركب عنترة البطل الهمام واخذ في صحبته عروة بن الورد والحارث بن ظالم فارس الصدام وخرجوا من بين المضارب والخيام وشيبوب بين ايديهم كانه ذكر النعام وقد جدوا في قطع الروابي والآكام الى ان قربوا من ديار بني عامر وتلك القبائل والعشائر فاخفاهم شيبوب في بعض الكثبان وقال لهم انتظروني في هذا المكان حتى كشف لكم خبر القدوم واعود اليكم في هذا اليوم ثم تركهم وسار وتبطن جوانب القفار وانتظروه في الانتظار طول ذلك النهار واذا به قد اقبل كانه دعامه ومعه عبد اسود مثل الغمامه مقيد بالاكتاف مشرف على التلاف وهو يسوقه بحبل ويسحبه وكان كلما وقف يضربه فتعجب عنترة واندهل وتقدم الى اخيه على عجل وقال له من يكون هذا العبد الكشحان قال هذا عبد راجح بن الصباح سيد بني جبهان ومنه اخذت خبر عمك مالك وولده عمرو ومعدن

الخبث والغدر وقد ذكر لي انهما في اسر راجح بن الصباح وهو يتهددهما بالقتل في المساء والصباح ويعذبهما اشد العذاب فلما سمع عنترة هذا الخطاب غاب عن الصواب واشتعل قلبهُ بنار الالتهاب قال الراوي وكان السبب في اسر مالك وولده عمرو وذلك انهما لما توطنا في القفر جدًّا في قطع البراري والصحاصح حتى وصلا الى ارض قوم من العرب يقال لهم بنو صالح فالتقوا بالامير راجح ومعهُ دعد زوجتهُ وعبدمناة فارس عشيرتهِ وكان مالك وولده عمرو قد ابصرا المحمل والهودج المكلل فقال عمرو لابيهِ والله ما هذه الا عروس سائرة الى بعلها او امرأة طالبة اهلها وما معها غير فارسين من اوباش الرجال واني اريد ان احمل عليهم وانزل بهم النكال واخذ صاحبة هذا الهودج سبية تسلينا من ... الى ... اني ... بالضم والعناق الى ان نصل الى ارض العرق ونجتمع بالملك ... فقال لهُ ابوه دعنا يا ولدي من معاداة الفرسان وذكر ... سوان نال وحق ملك الديان لابد لي من ذلك الشان ثم انهُ اطلق لجواده العنان ... اللسان ... وجه المجال وصاح على الرجال ويلكم يا انذال خلوا عن الهوادج والاموال واطلبوا لانفسكم النجاة قبل الوبال فلما سمع راجح منهُ هذا المقال ... وعوّل ... ساحة المجال فقال لهُ عبد مناة ايها السيد المفضال من هم هولاء الانذال حتى تتعب نفسك معهما في القتال ثم انهُ رد الامير راجحًا وحمل على عمرو كانهُ البحر الطافح ولم تكن الا ساعة حتى ... اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وابصر مالك الى ذلك فذاب كبده وقل ... جلاده وكان مالك من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة فحمل على عبد مناة و... الجهود وتكافحا مكافحة الاسود وما زالا في عراك وطراد وقتال وجهاد ... قد استظهر على مالك غاية الاستظهار فصاح ... كاد ان يهلكهُ ويصرعه فوقع مالك عن مركبهِ وقد ايقن ... وعطبهِ فتقدم اليه راجح بن الصباح وقد زادت بهِ الافراح وشد كتافهُ . وقوّى سواعدهُ وطرافهُ . ثم سالهما عن حسبهما ونسبهما وعربهما فقال مالك اعلم يا وجه العرب اني انا مالك بن قراد وهذا ولدي عمرو ونحن من بني عبس الاجواد فربطهما على خيولهما بالعرض وسار بهما في تلك الارض وهو يقول وحق ذمة العرب وشهر رجب لا اتركهما حتى اعذبهما ... ثم قلب الاخوص بن جعفر ولقيط بن زرارة ثم انهُ جد في قطع القفار حتى وصل الى الديار فربطهما بين الكلاب وعذبهما اشد عذاب وارسل ذلك العبد الى لقيط بن زرارة والاخوص بن جعفر ليعلمهما بذلك الخبر فسار العبد وحدثهما بذلك وبينما هو راجع التقى بهِ شيبوب في تلك

الدكادك واتى به الى اخيه عنترة وحدثه بما جرى وتدبر فقال الحارث بن ظالم من الصواب ايها الفارس المهاب ان تلحق عمك وتخلصه من العذاب قبل ان يعظم المصاب وتصل الى راح فرسان الاعراب فتفوتك الامال و ينشغل منا البال وانا اعلم انه بعد هذه المرة يصير لك مثل بعض العبيد وتبلغ منه كل ما تريد فقال عنتر كم من مرة خلصته من الاسر والاهوال و هو يضمر لي الشر والنكال ولو لا ذلك الشنيع الكبير كنت عجلت له الهلاك والتدمير وهي عبلة منية الروح التي بين الجنبين واكراماً لعين تكرم الف عين ثم انهم ساروا يطلبون ارض العيزتين فعند ذلك تذكر عنترة حب عبلة بنت مالك بن قراد وما لها في قلبه من المحبة والوداد وما قاسى لاجلها في معامع الطراد فانشد وقال

عذابُك يا ابنةَ الساداتِ سهلُ ... وجوْرُ ابيكِ انصافٌ وعدلُ
فجوروا واطلبوا قتلي وظلمي ... وتعذيبي فاني لا املُّ
ولا اسلو ولا اثني الاعادي ... فساداتي لهم فخرٌ وفضلُ
اناسٌ انزلونا في مكانٍ ... من العلياء فوْق النجمِ يعلو
اذا جاروا عدلنا في هواهم ... وان عزّوا لعزّتهم نذلُّ
وما من حبّ عبلةَ فلّ عزمي ... تفلُّ الحادثات ولا يفلُّ
وكيفَ يكون لي عزمٌ وجسمي ... تراهُ قد بقي منه الاقلُّ
فياطيرَ الاراكِ بحق ربٍ ... براك عساك تعلم ابن حلوا
وتطلق عاشقاً من اسر قومٍ ... له في حبهم اسرٌ وغلُّ
ينادوني وخيلُ الموتِ تجري ... محلُّكَ لا يعادلهُ محلُّ
وقد امسوا يعيبوني بأمي ... ولوني كلما عقدوا وحلوا
لقد هانت صروف الدهر عندي ... وهانت أهلهُ عندي وقلوا
ولي في كل معركةٍ حديث ... اذا سمعته الابطال ذلوا
غلبت رقابهم واسرت منهم ... وهم في عظم جمعهمِ استقلوا
واحصنت النساء بحد سيفي ... واعدائي لعظم الخوفِ فلوا
اتيتُ عجاجها والخيل تجري ... [illegible] العوابس لا تملُّ
وارجع وهيَ قد ولّت خوافاً ... محيّرةً من الشكوى تكلُّ
وارضى بالاهانةِ مع اناسٍ ... أُراعيهم ولو قتلي احلوا
واصبرُ للحبيبِ وان جفاني ... ولم اترك هواهُ ولست اسلو

عسى الايام تنعمُ لي بقربٍ   وبعدَ الهجرِ مرٌّ العيشِ يحلو

قال مجد بن هشام وكان عنترة ينشد هذا الشعر والنظام والحارث بن ظالم يطرب من عذوبة الفاظهِ وفصاحتهِ ويتعجب من كرم اخلاقهِ وعلو همتهِ وقال لهُ يا ابا الفوارس وزين المجالس لو جرى لي بعض ما جرى عليك من الهموم والوساوس لكنت قتلت عمي وسلبت نعمتهُ واخذت ابنتهُ وسبيت زوجتهُ فقال عنترة والله ياحارث لاكان ذلك ابدًا ولو مت شوقًا وكمدًا وما فعلت الا ما يشتهون لاني اعلم ان كل صعب لابد ان يهون . ثم انهم بعد هذا الكلام جدوا في قطع الروابي والآكام مدة تسعة ايام وفي اليوم العاشر وصلوا الى مكان يقال لهُ غابة الاسد والبير الاسود وهي منازل بني جبهان وكان وصولهم عند المساء الى ذلك المكان فنزلوا هناك ونصبوا الخيام ودارت بينهم المشورة والكلام فقال لهم شيبوب من الصواب ايها السادة الانجاب ان تنتظروني في هذا الوادي حتى اقصد ديار الاعادي واقف لكم على حقيقة الاحوال وكم يوجد هناك من الابطال وارجع اليكم في عاجل الحال فقال عنترة وانا اسير في صحبتك ولا ادعك ان تذهب وحدك وتخاطر بمهجتك

الكتاب الرابع والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

لاني اشتهي ان ابصر عمي وهو مربوط مع الكلاب يقاسي الذل والعذاب لعل ان تخف عن قلبي نيران الالتهاب فقال شيبوب اني اخاف ان تقع علينا العين فنهلك لاني اذا كنت وحدي وطلبتني الابطال اهمز همزات الغزال اذا اذعره الصياد بالحال واروغ مثل الثعلب وتنقطع عني الخيل في الطلب واما انت فلا تقدر على الهرب نظراً لعظم جثتك وهول صورتك لانك مثل البعير فقال عنترة ما هذا الكلام يانسل اللئام فوحق من ارسى الجبال وخلق الانسان والهوام لو ان اهل الحي بعدد قطر الغمام ما تركت ان يصل اليك منهم لاشيخ ولا غلام ولا اعدل الى الانهزام وسوف ترى مني ما تذكره على طول السنين والايام فقال شيبوب اذا كان ولا بد لك من ذلك فاخلع عنك الحديد والبس ثياب العبيد حتى يتم لك ما تشتهي وتريد فاجابهُ الى ما طلب املاً بلوغ الارب ثم انهما احتطبا لها حزمتين من الحطب وكانت حزمة شيبوب صغيرة وحزمة عنترة وسارا بسرعة واهتمام تحت جنح الظلام حتى وصلا الى الخيام وما زالا يخترقان المضارب والقباب حتى وصلا الى المضرب الذي

رَبطا فيه مالك وولده عمرو مع الكلاب فرآهما شيبوب وقد تغيرت اجسامهما من شدة العذاب فالتفت الى اخيهِ عنتر وقد فرح واستبشر وقال انظر يا اخي الى عمك حتى يزول عنك همك وغمك فلما نظر عنترة عمهُ زاد همهُ وغمهُ واحترق فوأده والتهب ووضع عن ظهره حزمة الحطب واظهر على نفسهِ انهُ تعبان ويريد ان يستريح في ذلك المكان وفعل شيبوب مثل ذلك الشان الا انهما ما اقاما الا اليسير حتى خرج راجح بن الصباح من مضربهِ وجلس على السرير واخذ يسال الرعيان عن العشب والكلا وكل واحد يحدثهُ بما جرى لهُ في الفلا فقال لهُ بعض العبيد اعلم ايها الفارس الصنديد اني ابصرت اليوم العجب في جوانب البر والسبسب قال راجح وما الذي ابصرت ياوجه العرب قال بينما كنت اليوم في المرعى والابل بين يدي تسعى اذا بفارس ادهم كانهُ الليث الغشمشم او النسر القشعم راكب على جواد عالي القذال يسبق بسيره ريح الشمال وهو يطرد غزالة في تلك الروابي والاكام وامامه رجل كلون الظلام فوقفت انظر اليهما وهما يتسابقان في جوانب الصحصحان كانهما فرسا رهان اذا انطلقا في الميدان واذا بالرجل قد سبق الفارس بسرعة جريانهِ وقوة عصبهِ وجنانهِ وادرك الغزالة فقبض عليها وعاد بها الى الفارس وهو يجرها من قرنيها فاخذها منهُ وقبلها بين عينيها ثم اطلقها واشار اليها

اذهبي بالامان من كل شرٍّ عمرك كلهُ مدى الايامِ
وحماكِ الالهُ من كل سوءٍ ووقاكِ من شرّ رامي السهامِ
لكِ من عادة التكحل في العين كذا الجيدُ قد اهاجَ غرامي

ثم قال العبد وما انتهى ذلك الفارس من كلامهِ وشعرهِ ونظامهِ حتى ادركهُ من جانب البر الاقفر فارسان اخران وهما غائصان في الحديد والزرد النضيد ولما اجتمعوا ببعضهم البعض في تلك الارض عدلوا عن الطريق الواضح وتبطنوا الروابي والصحاصح وقصدوا غابة الاسد والبئر الاسود ولم ادر بعد ذلك ما جرى وتجدد . قال نجد بن هشام فلما سمع راجح من العبد هذا الكلام انذهل وتعجب وخفق فوأده واضطرب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ان صاحب هذا الانشاد هو عنترة بن شداد الذي قهر جبابرة الجاهلية وانتشر صيتهُ في بلاد العربية بالشجاعة والفروسية وما طرق هذه الاطلال الا لاجل خلاص اصحابهِ من الاسر والاعتقال وانا لا بد لي ان التقيهُ في الميدان وابارزه امام الفرسان واسوقهُ عند اصحابهِ سوق الاغنام وانتقم منهُ غاية الانتقام

قال الاصمعي وكان الامير عنترة قد تعجب عند ما حدّث العبد مولاه بذلك الخبر

وكيف حفظ شعره لانهُ كان قد اتفق لهُ مع اخيهِ شيبوب ذلك الحديث المقدم ذكره واما مالك ابو عبلة فانهُ كان قد فرح واستبشر عند سماعهِ من العبد وصف ذلك الفارس الغضنفر وعلم ان تلك صفات ابي الفوارس عنتر فارس البدو والحضر وانهُ ما قصد تلك الاطلال الا حتى يخلصهما من الاسر والاعتقال فالتفت على ولدهِ عمرو وقال وحق الاله المتعال ان صحت هذه القصة ونجوت من هذه الغصة اعاهد نفسي انني لا ارجع اتعرض لهُ ابدًا ولا اضمر لهُ شرًّا ولا نكدًا واصير لهُ خادمًا وعبدًا ولا انقض لهُ ذمامًا ولا عهدًا . لان تعرضي لهُ لا يؤدي الى خير بل يسبب لي الشقاء والضير قال الاصمعي ثم ان راحمًا التفت على من حولهُ من السادات والفرسان ومن حضر في ذلك المكان وقال لهم لقد ابطأ عليَّ خبر عبدي سرور بن جوهر الذي ارسلتهُ الى لقيط بن زرارة والاخوص بن جعفر لان غاية قصدي ومرادي قتل هذين الاسيرين حتى اشفي منهما غليل فوادي فقال لهُ بعض بني عمهِ ايها السيد المهاب ان هذا الراي ليس بصواب لانك ارسلت تدعو سادات الاعراب ومن تعتمد عليهم من الاصحاب مثل الاخوص بن جعفر ولقيط بن زرارة وغيرهما من الامارة ومن الراي ان تصبر حتى ياتوا اليك ويقدموا عليك لانك ان فعلت هذه الفعال يعتبون عليك لا محال فلما سمع راحم كلامهُ استصوبهُ واستحسنهُ واستنسبهُ وكان مالك وولده عمرو قد سمعا المقال ففاضت دموعهما كالغيث الهطال وايقنا بالهلاك والوبال قال نجد بن هشام . كل هذا يجري وعنترة وشيبوب يسمعان هذا الكلام وكلٌّ منهما متكيء على حزمة حطبهِ وقد سترهما الظلام بغيهبهِ ثم ان راحمًا نهض بسرعةٍ واهتمام وقصد المضارب والخيام وفي اثناء مسيره دخل على مالك وولده عمرو وقلبهُ يتوقد من شدة الغيظ بلهيب الجمر فوجدهما يبكيان ويصيحان وينتحبان فضربهما بالسوط من دون رحمة ولا شفقة فنزل عليهم مثل الصاعقة وما زال يضربهما بغيظ وحنق حتى ساح الدم من ابدانهما واندفق وهو يقول لهما لعن الله لحاكما ولعن قبيلة انتما منها ولا انقاكما لانكما عديما المروءة والانصاف كثيرا اللجاج والاسراف لا تعرفان الحق والعدل ولا لكما مكرمة في العطاء والبذل بل انكما مجبولان على الغدر ومن طبعكما الخبث والمكر ولا بد لي ان اعذبكما بانواع العذاب وابليكما باعظم مصاب ثم انهُ بعد ذلك الكلام اوصى فيهما العبيد والخدام ودخل للراحة والمنام وفرّق الظلام شمل الجلاس والقيام فعند ذلك قال شيبوب لاخيهِ عنترة احمل يا اخي هذا الحطب ودعنا نسير ونذهب قبل ان يقع بنا الانكار ويظهر امرنا بعد الاستتار فقال عنترة لا وحق من اعشب القفار وانزل الامطار وقدر الارزاق والاعمار لا اذهب من ههنا حتى يطلع ضوء النهار قال شيبوب وقد

انذهل وتعجب وخاف من وقوع العطب ماذا عولت ان تفعل يافارس العرب فقال اطرح هذا الحطب على هذه النار واهجم على هولاء العبيد الاشرار واضع فيهم الحسام واخلص عمي وولده قبل ان يذهب الظلام وان خرج رامح سقيته كاس الحمام ولا اكون قد خاطرت بنفسي واعود فزعاً من الرماح والسهام قال شيبوب اني اخاف من العواقب يا ابن الاطائب لانك متى فعلت هذه الفعال دهمتنا الرجال من اليمين والشمال واوقعوا بنا النكال فقال عنترة انا اخلصك من الاهوال ولوان اهل الحي في عدد الرمال لانهم اذا سمعوا صياح الابطال يطلبون النار الشديدة الاشتعال واكون انا قد خلصت عمي وولده من الاسر والاعتقال فخذهما انت وسر باامان ودعني انا للقاء الفرسان فقال شيبوب افعل ما اردت واحببت ولكن لاتلمني اذا رايت الغلبة وهربت فقال ويلك لا تفر ولا تذهب بل اقف امامي وانظر العجب واذا رايت الغلب ولاح لك لائح العطب فانج بنفسك واطلب الهرب ودعني انا اجد خلف القوم في الطلب ثم ان عنترة حمل حزمتهُ ووضعها على النار وسل سيفهُ الضامي البتار وطلب البيت الذي فيهِ عمهُ بقوة واقتدار وفعل شيبوب كفعلهِ ووافقهُ على عملهِ وكان العبيد الموكلين بمالك قد انطرحوا بين الخيام واستولى عليهم سلطان المنام فمال عنترة عليهم بالحسام وسقاهم كاس الحمام ودخل شيبوب المضرب كانهُ السلهب وحل مالك وولده من الاعتقال وهناهما بالسلامة من شرك العقال وقال لهما ايها السادة الاماجيد ليقم كل واحد منكما وياخذ سيفاً من سيوف هولاء العبيد واتبعاني وهرولا امامي حتى يحميكما اخي عنترة بحسامهِ الضامي واذكرا لهُ هذه النعلة ولا تبخلا عليهِ بزوجتهِ عبلة ففعلا ما امرهما شيبوب وسارا وقد زالت عنهما الكروب وطلبا عرض البر والفلاه وهما لا يصدقان بالنجاة واما عنترة فانهُ وقف على باب بيت رامح بن الصباح وامهلهُ حتى خرج على الصياح فضربهُ بالضامي على وريديه اطاح راسهُ من بين كتفيه وتبع اثر اخيهِ شيبوب من خوفهِ عليهِ هذا وقد اوقدت الاحطاب وعظم الالتهاب وعملت النيران بين القباب وتنابحت الكلاب وخرجت الرجال وقد حل بها الانبهار وما منهم الا من سل سيفهُ وبادر لكشف الاخبار وعاد الليل مثل النهار من وقيد النار هذا وشيبوب يصيح بمالك وولده ويحترق بهم الخيام وهو كانهُ الليث الضرغام وعنترة على اثره يضرب في الرجال ويصيح فيها صيحة الاسد الريبال وعدها على الرمال ثم انهم ركبوا من الخيول الشوارد وتبطنوا البراري والفدافد الا انهم لم يبعدوا عن تلك الرسوم والمعالم حتى التقاهم عروة بن الورد والحارث بن ظالم لانهما كانا قد سمعا الصياح وابصرا لمعان السلاح فاتيا الى نجدة عنتر ومعهما جواده الابجر فلما ابصراه فرحا باقبالهِ

وسالاه عن حاله فحدثهما بالخبر وما جرى له وتدبر ثم انهُ خلع ثيابه ولبس درعه وجلبابهُ وجدوا في قطع البطاح الى ان اصبح الصباح فعند ذلك اقبل الحارث على مالك ووبخهُ بالكلام واكثر لهُ من العتب والملام واوماً بيده الى نحو عنترة وقال لهُ من يكون لهُ مثل هذا الاسد الغضنفر هل يسوغ لهُ ان يبغضهُ ويفرعنهُ ويهرب كل يوم منهُ ويلقي نفسهُ في العذاب ويقاسي الهموم والاوصاب فقال مالك ايها السيد المهاب دعني من هذا العتاب فقد كان على عيني غشاوة اعمت مني البصر وقد زالت اليوم باذن خالق البشر ثم ان مالكاً ترجل عن جواده وتقدم الى عنترة وتذلل بين يديهِ واعتذر وقال لهُ يا ابن اخي ومعتمدي ومن هو عندي اليوم اعزّ من ولدي اني كنت اظهر لك المحبة بلساني واضمر لك الشر بقلبي وجناني والان فقد زال الجفا وتبدل البغض بالمودة والوفا واشهد الله وكفى بهِ شهيداً اني بعد هذا اليوم لا انقض لك عهداً لان في قلبي من شكرك مالا يصفهُ لسان وان انا خنتك بعد هذه المرة فلا اكون من بني انسان ولا انتسب الى بني عبس وعدنان لانك قد فعلت معي فعالاً لا انساها واحييت نفسي بعد هلاكها وفناها فما زلت اذكر لك هذه النعال ما دامت الايام والليال فاغفر ذنبي واشفق عليّ وانظر بعين الرافة اليّ لاني قد صرت من اليوم فصاعداً عبدك وابنتي عبلة مثل امتك في قبضة يدك تفعل ما تشاء وتختار وان يكن قد وقع من الخطاء فها انا واقفٌ في مقام الاعتذار قال فلما سمع عنتره كلام عمهِ زال عنهُ همهُ وزال الحقد من قلبهِ وخف عنهُ ما كان بهِ من كربهِ وترجل اليهِ واعتنقهُ وقد صدق كلامهُ وحققهُ وقال لهُ والله يا عماه لو فعلت بي اضعاف مافعلتهُ لما اقصر في خدمتك على طول المدى اذ ليس للعبد الا مولاه ولو اهانهُ واحياه فشكرهُ عمهُ واثنى عليهِ وقبل صدرهُ ويديهِ ثم انهم جدوا في قطع القفار وساروا يطلبون الديار واذا الغبار من خلفهم قد ثار حتى سدّ منافس الاقطار وبعد ذلك انكشف وبان عن خيل بني جبهان فلما نظر عنترة الى الخيل وقد اندفقت عليهم كالسيل الوى عنان جوادهِ ووقف والتفت الى نحو اصحابهِ وانعطف وقال لهم هذه خيل الاعداء قد سرت الينا واقبلت علينا فسيروا انتم في هذه البيداء حتى اردّ عنكم الاعداء وادركم عند المساء فقال عروة لا والله يافارس الحرب وسيد الابطال في مقام الطعن والضرب لانترك وراءنا ما يشغل الفكر ويتعب القلب ولا نرجع الا كلنا على فرد درب وقال الحارث مثل ذلك المقال وقد تأهب للقتال فقال عنترة ان الامر لا يوجب الى ما تقولان وان كنتما لا تطيعان افعلا ما تريدان واستمر مالك الكتائب وهي متلاحقة بهم من كل جانب فخاف من حلول النوائب فصاح هيا يا ابا الفوارس وعمدة الابطال الاشاوس

انت اليوم عليك المعتمد دون كل احد وعلى هذا اليوم اشكرك ما بقي الزمان يافارس عبس وعدنان . قال محمد بن هشام . فبينما هم في مثل هذا الكلام واذا بغبار اخر قد ارتفع وظهر وهو مقبل من ناحية بني دارم وتلك الطلول والمعالم ولم تكن الا ساعة من النهار حتى انكشف للابصار وبان من تحته مائة فارس من كل مدرّع ولابس والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر يتقدمهم لقيط بن زرارة الليث الخادر والعقاب الكاسر وقد اتى من بلاده في جماعة من ابطاله واجناده حتى يحضر قتل مالك ابو عبلة ويشفي منهُ غليل فؤاده . فلما راته بنو نبهان مالت اليهِ الابطال والفرسان ورفعوا اصواتهم بالصياح واعلموه بقتل سيدهم رامح بن الصباح وما فعلهُ عنترة من الامر المنكر فلما سمع منهم ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال لهم هذه فعال عنترة واخيهِ شيبوب العبد المحتال وبمثل هذا الاحتيال خلصا من حلتي المطال ونهبا الاموال وقتلا الابطال ومادام قد وقعت العين على العين فلا بد لي ان استوفي منهما الدين . ثم انهُ بعد مقاله حمل على عنترة واصحابهِ برجالهِ واطلقوا نحوهم الاعنة وعلت منهم الضجة والرنة وقد ارهج البر ببريق الاسنة هذا وقد عظم الامر على مالك وولده عمرو لانهما خافا من وقوع المخاطر فناديا باسم عنترة الاسد الكاسر واكثر الهُ من المدح في الباطن والظاهر فزاد بعنترة الفرح واتسع صدره وانشرح . وعلم ان فساد عمهِ قد انصلح ثم انهُ صاح وحمل كانهُ القضاء المنزل واستقبل الخيل بقلب اقوى من الجبل وفعل الحارث وعروة مثل ما فعل وحمل ايضًا عمرو اخو عبلة مع ابيهِ مالك خوفًا على انفسهما من المهالك فالتقتهم بنو دارم وجبهان بقلب اقوى من الصوان وعلا الصياح من كل مكان وارتفع الغبار الى العنان وعمل الطعن بالسنان والضرب بالسيوف اليمان . هذا وعنترة يصرخ في الابطال ويطعن صدور الرجال طعنًا يخرق الجبال ويجول فيهم عن اليمين والشمال ويبددهم على بساط الرمال وهو مثل الاسد الريبال واخوه شيبوب من ورائهِ مثل الغزال يحامي عنهُ بالنبال وفعل الحارث وعروة مثل تلك الفعال وقاتلا اشد قتال ودام الامر على الحال حتى صارت الشمس في قبة الفلك وكان عنترة قد سطا وفتك وضيق على القوم كل طريق ومسلك فتضعضع جمعهم وارتبك وتمزّقا شملهم وانهتك فهلك من هلك وهرب من هرب لايدري اية طريق سلك وكان من جملة من هرب الامير عبد مناة ولقيط فهجا على وجوههما خوفًا من العطب وقد احاط بهما البلاء المحيط وعاد عنترة والدماء يقطر من كتفيهِ وعمهُ لايفتر من الشكر لهُ والثناء عليهِ فقال عروة دع عنك يامالك هذا الكلام واوفِ لهُ عهدك بحفظ الذمام فقد اقرت جميع الناس بفضلهِ وان كنت تريد ان

تجازيهُ على جميل فعلهِ فعند وصولك الى الحلة انعم لهُ بزواج ابنتك عبلة لانهُ والله عين هذا الزمان ونتيجة الدهر والاوان وقاهر الابطال والفرسان وان الجبابرة بين يديهِ شبه النسوان فقال مالك صدقت يا ابا الابيض وانا اقسم بمن لا يعتريهِ الداء والمرض ولا يخشى من العارض في ملكهِ اذا عرض اني لو كنت اليوم في حلتي لزففت اليهِ ابنتي لاني لا اقدر على مكافاتهِ ولا يقدر على ذلك الا الله لأن احسانهُ قد فات كل احسان وقد عجز عن شكره اللسان فقال عنترة وقد زاد بهِ الفرح واتسع صدره وانشرح دع يا عروة عمي يصنع بي ما يشا فاني عبده ان احسن اليَّ او اساء ثم انهم جدوا في قطع البيداء وشيبوب سائر امامهم باسلاب الاعداء وعنترة لا يقر لهُ قرار ولا ياخذه هدو ولا اصطبار وهو يريد ان يصل الى الاحياء على عجل حتى يبلغ غاية الامل ولما تمادى بهم الترحال زاد بعنترة الوجد والبلبال وتذكر ما جرى عليهِ من الوقائع والاهوال في مواقف القتال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

طالَ الوقوفُ على رسومِ المنزلِ ... بينَ الكليلِ وبينَ ذاتِ الحرملِ
فوقفتُ في عرصاتِها متحيرًا ... اسل الديارَ كفعلِ من لم يسألِ
لعبت بها الانواء بعدَ انيسها ... والرامساتُ وكلُّ جونٍ مسبلِ
أفمن بكاء حمامةٍ في ايكةٍ ... ذرفت دموعُكَ فوقَ ظهرِ المحملِ
كالدرِّ او فضضِ الجمانِ تقطَّعت ... منهُ عقائدُ سلكهِ لم يوصلِ
لما سمعتُ دعاء مرَّةَ قد علا ... ودعاء عبسٍ في الوغى ومحلَّلِ
ناديتُ عبسًا فاستجابوا بالقنا ... وبكلِّ ابيضَ صارمٍ لم ينكلِ
وبكلِّ ميَّادِ الكعوبِ مثقَّفٍ ... في كفِّ كلِّ صميدعٍ لم يغفلِ
حتى استباحوا آل عوفٍ عنوة ... بالمشرفي وبالوشيج الذبَّلِ
إني امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصبًا ... شطري واحمي سائري بالمنصلِ
ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا ... اشدد وان نزلوا بضنكٍ انزلِ
ولقد ابيتُ على الطوى واظلُّهُ ... حتى انالَ بهِ كريمَ المأكلِ
واذا الكتيبةُ احجمت وتلاحظتْ ... ألفيت خيرًا من معمٍّ مخولِ
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني ... فرَّقتُ جمعهمُ بضربةِ فيصلِ
اذ لا ابادرُ في المضيقِ فوارسي ... حتى اوكَّلَ بالرعيلِ الاولِ
ولقد غدوتُ امامَ رايةِ غالبٍ ... يومَ الهياجِ وما غدوتُ باعزلِ

والخيلُ عابسةُ الوجوهِ كأنها | تسقي فوارسها نقيعَ الحنظلِ
جاءت زبيبة في الظلام تلومني | خوفًا عليّ من ازدحامِ المحفلِ
وأنت تخوّفني الحتوفَ كأنني | اصبحتُ عن عرضِ الحتوفِ بمعزلِ
فاجبتها انّ المنيّةَ منهلٌ | لا بدّ لي من وِرْدِ هذا المنهلِ
كفي ملامك لا ابا لك واعلمي | اني امرؤ ساموتُ ان لم اقتلِ
إنّ المنيّةَ لوْ تمثّلَ شخصُها | لي في العجاجِ طعنتُها بالاوّلِ
واذا حملتُ على الكريهةِ لم اقل | بعدَ الكريهةِ ليتني لم احملِ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره طرب الحارث من محاسن نظمه ونثره وقال له عروة حياك الله ياحامية عبس وعدنان وشاعر هذا الزمان فوالله لقد جمعت بين فصاحة الكلام ورقة المعاني ما لم يسبقك عليه امرؤ القيس ولا النابغة الذبياني فشكره عنترة على ذلك الكلام ثم انهما جدّوا في قطع البراري والآكام وشيبوب بين ايديهم كأنه ذكر النعام وهو يقطع بهم القفار والسهول والاوعار الى ان قربوا من الديار واذا باعرابي قد ظهر لهم من بين الروابي وهو يجد السير كأنه الطير فتبينوه فاذا هو عبد من عبيد الملك قيس بن زهير فلما رآهم هرول اليهم والتقاهم وسلم عليهم وحياهم وقال ياللعرب ما اركبها من طريق وما احسن اوقات السعادة والتوفيق فلما سمع عنترة كلامه زاد وجدهُ وغرامهُ واخذته الوساوس والفكر وقال له ما وراءك من الخبر قال اتيت حتى اقتفي اثرك واكشف خبرك لان مولاي قيساً قد اعتراه الغم من بعدك وتالم قلبه لفقدك ومن عظم ما جرى عليه ووصل اليه فرق عبيدهُ في جوانب البر الاقفر ليقتفي ملك الاثر فرجعوا ولم يقعوا على خبر وخرجت انا البارحة وراءك وضمنت على نفسي اني لا ارجع حتى اراك فبلغني الله المنى واراحني من التعب والعنا فقال عنترة دعنا من هذا الايراد يانسل الاوغاد وقص عليّ ما عندك من خبر ابي شداد وعمي زخمة الجواد وكان قصد عنترة بهذا السوال ان يقف على اخبار عبلة ذات الحسن والجمال قال والله ياابا الفوارس وعمدة الابطال الاشاوس ما بنو عبس الا في غاية التعس والنكس وذلك من كثرة الفتن ووقوع الحوادث والمحن فقال عنترة وقد اعتراه الاندهال ويلك ما الذي جرى بعدنا في الاطلال قال انت تعلم يامولاي ان حذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر والمرتعون ... والمكر لا يشتهي ان يبصر عند احد من بني عبس الاجواد لا ... ولا جواد من خيول الجياد ولا سيما عند الربيع بن زياد وهو يغويه على الشر والعناد والبغي والفساد وفي هذه الايام وقع بينه وبين مولاي قيس نفور وخصام وقد عقد

الرهان بين السادات والفرسان على سباق داحس والغبرا والناس في غاية الخوف من وقوع الفتنة الكبرى وقد ارسلني مولاي حتى اكشف اخبارك واقتفي اثارك لانه خاف ان تقع الحرب وانت غائب عن ديارك وهو الان في انتظاري وانتظارك

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان قيساً بعد غياب عنترة تنغص عيشهُ وتمرمر واخذهُ القلق والضجر وارسل العبيد في اثره حتى ياتوهُ بخبره فساروا واذ لم يجدوهُ عادوا اليهِ واخبروهُ وكان قد تقدم اليهِ بعض العبيد وقال لهُ ايها الملك السعيد اني اتيتك بخبر احب اليك من نوادر البدو والحضر وذلك لما ارسلتني في طلب عنتر سرت على الاثر وقطعت البر الاقفر واخذت اسال عنهُ الراحل والمقيم حتى وصلت الى ديار بني تميم فبت في حلة قوم يقال لهم بنو رياح واقمت عندهم الى الصباح فرايت عندهم مهراً ادهم محجل الاربع ململم يقال لهُ داحس كانهُ الليل الدامس وهو لرجل من سادات العرب قد اتصف بالجود والادب يقال لهُ كريم بن وهب فوحق الاله القادر العالم ما في السرائر ما رات عيني مثلهُ في خيل جميع العشائر فتعجب قيس من صفتهِ غاية العجب وتحسر قلبهُ عليهِ وتلهب

قال الاصمعي وكان هذا المهر اعجوبةً من عجايب الدهر وكانت امهُ حجرة يقال لها حلوى وابوه جواد يقال لهُ عقاب وبهِ تضرب الامثال في قبائل الاعراب ولم يكن مثلهُ عند الاكاسرة ولا تبابعة اليمن ولا المناذرة لانهُ جاز عن حد الصفات ووصفتهُ الابطال والسادات واكثروا فيهِ المقالات . قال ولما سمع الملك قيس صفتهِ تعلق قلبهُ بحبهِ وارسل الى صاحبه يقول مع رسول اني قد سمعت بخبر حصانك واريد من فضلك واحسانك ان تبيعني اياه وانا اعطيك مهما طلبت من المال سواه فمضى الرسول الى كريم بهذه الرسالة وبلغهُ هذه المقالة فصعب ذلك عليهِ وكبر لديهِ وخفق فوآده واضطرب من شدة الغيظ والغضب وصرخ من قلب قد احرقهُ اللهب والله ما قيس الا رجل قليل الادب أيظن اني تاجر ابيع الخيل مثل بعض العرب او يظن اني لا اركبها اصلاً او اني لست لها اهلاً فوحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والاجال لو ارسل يطلبهُ مني على سبيل الهدية والمحبة الاخوية لكنت ارسلتهُ اليه في الحال ومعهُ قطعة من النوق والجمال واما على سبيل البيع والشراء فهذا شيء لا يكون ابدا ولو سقيت كؤوس الردى فلما سمع الرسول منهُ ذلك الخطاب رجع على الاعقاب واعلم قيساً بذلك الجواب فزاد بقيس الهيمان واشتعل فوآده بالنيران وقال اكون ملك بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان ومرة وغطفان واطلب حاجة فما تقضى فوحق من اوسع اقطار الفضاء لاخذنَّ المهرَ قوةً واقتدارا واضرم سيفي في قلب صاحبهِ نارا ثم

انهُ في عاجل الحال صاح على الفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وامرهم باخذ اهبة القتال فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر وما تنصف النهار حتى خرجت الشجعان وتلاحقت الفرسان وهم قد غاصوا في السلاح واعتقلوا بالرماح وركب الملك قيس في الف فارس جحجاح وسار بهم يقطع الروابي والبطاح حتى اشرفوا على حي بني رياح فرأوا نعماً لا تحصى وخيرات لا تستقصى والقوم آمنون من نوائب الزمان غافلون على طوارق الحدثان وليس في الحي الا قليل من الفرسان لان كريماً كان غائباً عن الاوطان فقال قيس يابني عمي دونكم وهذه القبيلة فان اموالها كثيرة غير قليلة ثم انهُ زعق في اوائلهم وهجم بقلب اقوى من الحجر الاصم وتبعتهُ الفرسان والابطال مثل اسود الدحال فساقوا النوق والجمال واخذوا ما وصلت يدهم اليهِ من الاموال ونفائس الاجال وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال هذا وقد عظم المصاب وخاضت في بطون القتلى حوافر الدواب وكثر من النساء البكاء والانتحاب وكان داحس مقيداً بين الاطناب لان كريماً لما خرج من حلتهِ مع فرسان عشيرتهِ يطلب الغارة والمكسب من بعض قبائل العرب ترك الجواد في الديار خوفاً عليهِ من الدمار لانهُ كان عنده كالدرة اليتيمة واعزّ من مالك وعقيل عند جذيمة ولما ابصر العبد المتوكل بالحصان ماجرى وكان قد تقدم مسرعاً اليهِ واراد ان يفك القيد من رجليهِ فلم يقدر عليهِ فركبهُ وهو مقيد وقد غلب عليهِ الكمد واطلق لهُ العنان فمرّ بهِ ممر البرق وقت اللمعان وفي دون لمح البصر غاب عن النظر وامن عليهِ من الخطر وكان الملك قيس قد ابصرهُ وعرفهُ فزاد بهِ شغفهُ وتعجب منهُ كل العجب وتحسر قلبهُ وتلهب وجدّ وراءهُ في الطلب حتى دنا منهُ واقترب وصاح فيهِ على رسلك يامولد العرب قف قليلاً واسمع خطابي ورد عليّ جوابي فقال قل ما بدا لك حتى اسمع مقالك فقال اتبيع هذا المهر يا ابن الاطائب فقد وقع لهُ من يشتريهِ من سادات الاعارب فقال ما ابيعهُ الا برد الغنيمة ويعزّ عليّ ان انزل عنهُ بهذه القيمة ولا تظن أنك في هذا الشراء خاسر لا وحق الاله العالم ما في السرائر لان هذا القدر لا يساوي شعرة منهُ ولا قلامة الحافر لانهُ لا يوجد احسن منهُ ولا احلى بين خيول الملا ولو وزنت فيهِ ملء الارض ذهباً ما غلا قال لقد اشتريتهُ منك واعطيتك ذمامي وانا عند قولي وصدق كلامي فلما سمع العبد منهُ ذلك الخطاب انعم واجاب ونزل عنهُ وفك القيد من رجليهِ وسلمهُ اليهِ فركب قيس ذلك الجواد وقد طاب منهُ الفواد ونال غاية المراد وامر بني عبس أن يردوا السبايا والاموال ورجع من وقتهِ الى الاطلال وهو في غاية الفرح والسرور والغبطة والحبور. قال ووصل خبر داحس الى بني فزارة الاوغاد فاشتعلت في قلب حذيفة

نار الانقاد ومثل ذلك جرى على الربيع بن زياد واراد حذيفة ان يرسل بعضاً من عبيده
الاجواد ليقتل له ذلك الجواد فنهاه الربيع عن ذلك الصنيع وقال له من الراي ايها البطل
الهمام ان تصبر برهة من الايام حتى يكون الملك قيس قد سلاه وملّه و بعد ذلك ارسل له
من يقتله فاجابه الى سواله وامتثل الى مقاله

قال نجد بن هشام واتفق بعد ذلك بخمسة ايام ان حذيفة عمل وليمة عظيمة لها قدر
وقيمة وكان من جملة المدعوين من السادات المعتبرين ابن عم الملك قيس قرواش بن
هاني الذي اتصف بالفصاحة ورقة المعاني لانه كان قد قصد ديار بني فزارة على سبيل
النزهة والزيارة فاستدعاه حذيفة الى وليمته وقابله بما يليق بحشمته ولما فرغوا من اكل الطعام
اخذوا في شرب المدام و بعد ذلك جرى بينهم ذكر فرسان الجاهلية الذين اتصفوا بالشجاعة
والفروسية وانتشر صيتهم في بلاد العربية ولما انتهوا من احاديث الفرسان وما لهم من المواقف
في معامع الطعان دخلوا في ذكر الخيول الحسان وسباقها في البراري والكثبان قال قرواش
ايها السادات الكرام انه لا يوجد اليوم عند احد من الملوك العظام اسبق من جواد ابن
عمي داحس ولا اجود منه لمن يفاخر وينافس لانه اعجوبة لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه . وما
زال يبالغ في وصف ذلك الجواد حتى تنطرت من بني فزارة الاكباد فقال له حمل بن بدر
بسك يا قرواش وحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام انه لا يوجد على وجه الصحراء
اجود من خيولنا الغراء ولا اسبق من فرس اخي حذيفة الغبراء التي شاع ذكرها في كل مكان
وحسدته عليها الملوك والفرسان ثم انه بعد هذا الكلام صاح على من حوله من العبيد
والخدام وقال لهم اعرضوا خيلنا على الامير قرواش بن هاني حتى ينظر اليها بعين الاختبار
ولا يبقى لفرس ابن عمه عنده قيمة ولا مقدار فامتثلوا الى ما امر وعنوا كما ذكر وفي اقل من
لمح البصر جاؤا بالخيول النفائس وهي تتجلى كالعرائس في افخر الحلل والملابس وكان من
جملتها فرس حذيفة الغبراء وجواده واصل وبهما تضرب الامثال في جميع القبائل فعند
ذلك قال حذيفة لقرواش يا ابن الافاضل كيف رايت هذه الخيول الاصائل فقال قرواش
والله يا ابا جبار هذه الخيل ما تسوى عليقها ولا تصلح للفخار قال حذيفة وقد استشاط غيظاً
وغضباً واضطربت نار حميته وتاججت لهباً لقد خرجت عن الصواب وكذبت في هذا الخطاب
اتراهن عن ابن عمك قيس على سباق داحس والغبرا فقال اراهنك وحق صاحب المشيئة
والقدرة . قال نجد بن هشام . ثم انهما تلاججا في الكلام ووقع بينهما النفور والخصام وكان
حذيفة قد بغى وتكبر واستطال بالكلام على قرواش وتجبر فقال قرواش وقد استعظم الامر

واشتعل فؤاده بلهيب الجمر والله لقد غرك الطمع يا ابن بدر وما دام ان الامر انتهى على هذا الحال فلا بد لي ان اراهنك بين هذه الرجال حتى يظهر الصدق من المحال ويكون الرهن بيننا على عشرة من النوق ياخذها السابق من المسبوق قال حذيفة قد اجبتك وحق ذمة العرب الى هذا الطلب ثم انهما تعاهدا على الرهان واشهدا عليهما الفرسان ومن حضر من الاقران في ذلك المكان

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب قرواش جواده وسار وجد في قطع القفار فوصل الى حلة بني عبس عند نصف النهار ودخل على الملك قيس وحدثه بما جرى واعاد عليه جميع ما تم وطرا فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال لقد اخطأت في عقد هذا الرهان فوحق ذمة العربان ان تم هذا الشان وقعت الفتنة بين بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان على ممر الزمان ثم ان قيساً ركب في عاجل الحال في جماعة من الابطال وجد في قطع الهضاب فوصل الى بني فزارة قبل الغياب فوجد القوم في الخيام وهم في شرب مدام وسماع انغام وبين ايديهم موائد الطعام فنزل عن جواده وتقدم اليهم وسلم عليهم فلما راوه وقفوا اجلالاً له واكراماً وتعظيماً لقدره واحتراماً واجلسه حذيفة بجانبه في صدر المقام وباسطه بالكلام وزاد له في التوقير والاكرام ولما قربه القرار الح عليه في الاكل وشرب العقار فامتثل الى ما به اشار واخذ يتناول الطعام باللقم الكبار وفي قلبه من ذلك الامر لهيب النار فقال له حذيفة على سبيل المزاح وقد لعبت براسه نشوة الراح يا قيس ما اكبر لقمك ابعد الله عنا نقمك فوحق الركن والحجر والهبل الاكبر لو علمنا انك جايع ما عزمنا عليك ولا قدمنا زادنا الى بين يديك قال قيس اعلم ايها الامير والسيد الخطير اني ما اتيت لاجل اكل الطعام وشرب المدام وما اتيت الى هذا المكان الا لاذيل الرهان خوفاً من البغي والعدوان وهلاك الابطال والفرسان اذ ليس وراءه الا خراب الديار وقلع الاثار فلما سمع حذيفة كلامه زاد ابتسامه وقال وحق الملك الخلاق الذي قدر الاجال والارزاق اني لا ازيله الا باخذ الجمال والنياق الذي وقع عليها الاتفاق وحينئذٍ اكون مخيرًا في امر السباق فان شئت اخذتها بسيفي قهرًا ورغماً وان شئت تركتها عفوًا وحلماً فقال قيس دع عنك هذا الامر ولا تدخل في الحماقة يا ابن بدر قال اني لا ارجع عنه ولا بد لي منه الا ان كنت تعطيني النوق وتشهد على نفسك بانك المسبوق وكان قيس كلما تلطف معه في الخطاب يجيبه حذيفة باغلظ جواب وكان الحاضرون كلما راوا قيساً يذل لحذيفة ويخضع بين يديه يستهزئون به ويضحكون عليه فلما ابصر قيساً الى تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال واشتعل

فواده بلهيب النار وتخبل في امره وحار وهانت عليه الامور الكبار وقال لحذيفة يا ابا محجار لقد افتريت في كلامك ولم تقدر عواقب ايامك اتظن اني اخاف من تهديدك او اخشى من وعدك ووعيدك فوالله اني ما قصدت ترك الرهان الا خوفًا عليك من الهلاك والقلعان لان عاقبته ذميمة ونهايته غير مستقيمة وما دام الامر على هذا الحال فقد اجبتك الى ذلك السوال غير اني ارفض ذلك الرهن الذي انعقد واعقد معك رهنًا جديدًا يكون عليه المعتمد وهو ان يكون السباق على عشرين من النياق فقال حذيفة هي ثلاثون . فانف قيس وقال هي اربعون قال حذيفة هي خمسون فقال قيس هي ستون وما زالا يتزايدان امام السادات والفرسان حتى بلغ بها قيس الى مائة من النوق ياخذها السابق من السبوق فعند ذلك قال قيس يا ابا محجار اطلب لنفسك ما تحب وتختار فقد عقد الرهان وشهدت علينا السادات والفرسان قال اريد ان تضمر الخيل اربعين يومًا في النهار والليل حتى يبطل العتب والملام ولا يبقى للمسبوق عذر ولا كلام وبعد ذلك يصير اطلاق الافراس في حضور الناس وتكون مسافة الميدان مائة غلوة من دون زيادة ولا نقصان والفرس الذي يرد اولاً غدير ذات الاصاد يكون السابق فقال قيس قد اجبتك وحق الاله الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلائق فعند ذلك ضجت السادات والفرسان خوفًا من وقوع الشر والعدوان وقالوا والله ما كان جواد قيس الا مثل ناقة البسوس وان تم هذا الامر المنحوس صرنا مثلاً بين القيام والجلوس ثم التفت على حذيفة رجل من مشايخ العرب اصحاب المناصب والرتب وكان ذا حكمة كثير الادب قد طاف المشارق والمغارب ومرت به انواع التجارب يقال له اياس بن ثعلب وقال والله يا حذيفة لقد افتريت في الكلام ولم تقدر عواقب الايام فارجع ودع عنك الرهان فاني اخاف عليك من نوايب الزمان وطوارق الحدثان ثم انه بعد هذا المقال انشد وقال

حذيفةُ ما فيكَ من هجنةٍ ولا في طهارة قيس دَنَسْ
لانّ له سطـــوةً في الامور تسودُ به قومهُ ان جلسْ
فراهنْ لمن ليس في ملكه جوادٌ ولا لابسٌ فَرَسْ
ودعْ عنكَ قيسًا فقيسٌ له عناجيج اجدادها النسْ
[illegible] داحس في [illegible] فان [illegible] طار [illegible] داحسْ
جوادٌ اذا سار تحت الغبار رايت حوافره كالقبسْ

فقال حذيفة اني لا ارجع عن رهاني بعد ان رهنت لساني ولا بد لي من اخذ الجمال والنياق التي وقع عليها الاتفاق فلما سمع قيس منه هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وارتد

راجعاً الى الديار وفي قلبه لهيب النار . قال محمد بن هشام . ولما وصل الى الخيام امر العبيد بتضمير الجواد وان يجتهدوا في خدمته غاية الاجتهاد ثم انه ارسل ذلك العبد كما تقدم الايراد ليكشف له خبر عنترة بن شداد فامتثل وسار وجدّ في قطع القفار الى ان التقى بعنتر في البرّ الاقفر واخبرهُ بما جرى وكان من حديث الرهان وقال له قد ارسلني مولاي قيس حتى اكشف اخبارك لانه خائف من وقوع الفتنة وانت غائب عن ديارك وهو الان في انتظارك

قال محمد بن هشام ورجعنا الان الى سياق الكلام فلما سمع عنترة من العبد ذلك الخطاب جدّ في قطع المصاب فوصل الى بني عبس قبل الغياب ودخل على الملك قيس وسلم عليه وقبل الارض بين يديهِ فلما رآهُ الملك قيس فرح واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وقال له اهلاً بحامي عبس وعدنان وفارس فرسان هذا الزمان ثم سالهُ عن قصته وما جرى له في سفرته فحدثهُ بالقصة من اولها الى اخرها واوقعهُ على باطنها وظاهرها . ثم قال له ايها الملك العظيم الشان قد بلغني ما جرى بينك وبين حذيفة من امر الرهان فطب نفساً بهذا الاتفاق ولا تحمل هم السباق لانك انت الظافر بالجمال والنياق فقال الملك قيس اني خائف من عواقب الامر لان حذيفة كثير الغدر ولا سيما ان الربيع بن زياد عنده فهو يشير عليهِ بالخلاف والعناد ويزيدهُ في الضلال والفساد ضلالاً وفساداً ما عليهما من مستزاد وقد قصدت بني فزارة في جماعة من الفرسان وطلبت منهم ترك الرهان خوفاً من وقوع الفتن وخراب الوطن فما امتثلوا ولا اجابوني بل ضحكوا عليّ واحتقروني فطيب عنترة قلبهُ بحسن كلامهِ ثم عاد الى خيامهِ واجتمع بامهِ واعمامهِ

قال محمد بن هشام وفي تلك الايام وصل الى ديار بني عبس وعدنان سنان بن ابي حارثة من عند الملك النعمان ودخل على الملك قيس وسلم وجلس بين يديهِ وتكلم وقال له ايها السيد المحترم قد وقف الملك النعمان على جميع احوالكم وبلغهُ ان الحارث بن ظالم في اطلالكم وقد احترمتموهُ وحلفتم له بان رؤوسكم لا تطير الا بين يديهِ فارسلني الان في طلبهِ وقال لي لا ترجع اليَّ الا بهِ ومن الراي الاصوب ان تجيب النعمان الى ما طلب والا يطلب اليك طوائف العرب ويحل بك الهلاك والعطب فلما سمع قيس منهُ ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال له انت تعلم يا شيخ الضلال بان الرجل قد قتل قاتل ابي وبلغني غاية قصدي واربي واني لا اقدر على مكافاتهِ الا بحفظهِ ومراعاتهِ فارجع من يومك وقل للملك ما قد رايتهُ وقل للنعمان باني قد اجرت الحارث بن ظالم من جميع الاعارب والاعاجم فقام سنان وركب جواده وقصد دياره وبلاده

قال الراوي وكان قد بلغ بني فزارة رجوع عنترة الى الاوطان ومعهُ اموال لاتاكلها النيران فاستشاط حذيفة غضباً وتكدر عند سماعه ذلك الخبر واجتمع باخيهِ حمل وقد اضطرب فؤادهُ واشتعل وقال لهُ وحق ذمة العرب وشهر رجب ان في قلبي من هذا العبد الزنيم نار الجحيم وقد حرت في امري ولا بد لي ان اشفي منهُ غليل صدري اذ لولاه لكانت بنو عبس تحت طاعتي وامري فقال حمل وحق رب العباد ما بقيت تبلغ من قيس المراد ما دام قد حضر عنترة بن شداد لانهُ فارس الفرسان ونادرة هذا الزمان وقد ابصرت قتالهُ وشاهدت افعالهُ والصواب ان تزيل الرهان خوفاً من الشر والعدوان وبعد ذلك ننتظر لذلك العبد الدوائر وتقتلهُ في بعض البراري والفلوات وان كنت تريد السلام وعلو الجاه ورفعة المقام ارسلني الى قيس حتى اظهر لهُ النصيحة واحذره من العار والفضيحة واحوجهُ ان ياتي اليك بنية صحيحة ويسالك ترك الرهان امام السادات والفرسان وبذلك يرتفع قدرك ويعظم امرك ويزداد بين الناس فخرك ولا تتعرض لرجل مسعود فتمسي مقهوراً مكمود ويشمت بك كل عدو وحسود .

قال الراوي وما زال حمل يخدع اخاه بمثل هذا الخطاب حتى انعم واجاب وبعد ذلك ركب وسار حتى وصل الى بني عبس وتلك الديار فدخل على الملك قيس وجلس بين يديهِ وتكلم وقال لهُ انت تعلم ايها السيد المحترم والليث الغشمشم ان اخي حذيفة قبيح الخصال مذموم الفعال لايقدّر العواقب ولا يخشى حلول النوائب وما اتيت الى المكان الا لاصلاح الشان وفسخ عقد الرهان خوفاً من البغي والعدوان والهلاك والقطعان فان اجبتني الى هذا السوال وبلغتني الامال يحسب ذلك ذلك من حسنة الحلم والافضال والا حربت الديار والاطلال وضربت بنا الامثال ما دامت الايام والليال . قال فلما سمع الملك قيس كلام حمل اجاب وامتثل لانه كان كريم الاصل قد حصل بالحلم والفضل وقال وحق ذمة العرب لم يكن لي في هذا الرهان من ارب لاني اعلم انه يؤدي الى الحرب والتعب والنصب كثرة القيل والقال اوجبت تلك الفعال وها انا قد جبتك الى سوالك وامتثلت في مقالك ثم ان قيساً ركب وسار مع حمل واخذ في صحبتهِ عمهُ الامير مهلهل وقصد ديار بني فزارة على عجل ولما تبعضوا المنولات اخذ حمل يمدح الملك قيس ويمدحه في حديثه بهذه الابيات

يا قيسُ انَّ مع الرهانِ لحاجـــةً فيها المدامُ وثعلب مذمومُ
اني اخافُ على اخي من شؤمـــهِ يلقى كما لاقى الفتى كلثومُ
جاريتَ اخاهُ على المعـــالي فانثنى وهو الشقيُّ وأنفـــهُ مرغومُ

انتَ المؤيدُ في الامورِ جميعها   وهو الذميم وانت صاحٍ كريمُ

قال الراوي وما زال حمل يذم اخاه حذيفة نظمًا ونثرا ويمدح الملك قيس سرًّا وجهرا حتى تعجب كل من معهُ من الرجال وما زالوا يقطعون الروابي والتلال حتى وصلوا الى بني فزارة قبل الزوال . قال الراوي وكان سنان بن ابي حارثة لما خرج من ديار بني عبس وعدنان وهو غضبان اطرق مفكرا وبقي متحيرا وقال لاصحابهِ قد عولت ان اقيم في بني فزارة لعلي ان ارجع بعد هذه الاهانة والخسارة وادبر على بني عبس آشم تدبير واقلع منهم الكبير والصغير واما انتم فسيروا الى ارض العراق وحدثوا الملك النعمان ان يجمع العساكر من سائر الافاق ويرسلها لقتال بني عبس وعدنان وعنترة الكشحان ثم انهُ قصد ديار القوم من ذلك اليوم واجتمع بالربيع وحذيفة بن بدر وحدثهما بذلك الامر فلما سمع حذيفة منهُ ذلك المقال قال اذا كان الامر على هذا الحال فقد بلغنا الامال وحظينا بالنوق والجمال ثم ان حذيفة حدَّث سنانًا بما جرى بينهُ وبين قيس من امر الرهان واعلمهُ انَّ اخاه قصد ديار بني عبس وعدنان لاجل اصلاح الشان فقال سنان اني اشير عليك ايها السيد المنصان ان لا تجيب الملك قيس الى ترك الرهان لبينما تكون اصحابي وصلت الى عند الملك النعمان وسوف ترى ما يحل ببني عبس من الذل والهوان فاستحسن حذيفة رايهُ واستصوبهُ واعجبهُ واستنسبهُ . قال ولما وصل قيس الى ديار بني فزارة كما سبقت الاشارة ابصر الى سنان وهو جالسٌ بين السادات والفرسان والى جانبه حذيفة والربيع بن زياد وجماعة من اكابر القواد فنزل عن ظهر الجواد وتقدم اليهم وسلم عليهم فلما رآهُ حذيفة اظهر الضجر والملل وصاح على اخيهِ حمل ويلك يا قرنان من هو الذي اشار عليك ان تاتي بالرجل الى هذا المكان فوحق ذمة العربان لو سالني كسرى انوشروان في ترك الرهان لما اجبتهُ الى هذا السوال ولا بد لي من اخذ النوق والجمال

قال نجد بن هشام فلما سمع قيس منهُ هذا الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام اعتراه الخجل واضطرب فوادهُ واشتعل وعاد الى ظهر جواده بعد ان نزل وجد في قطع القفار حتى وصل الى الديار فوجد قومهُ لهُ في الانتظار وهم من اجله على مقالي النار فلما ابصروه تقدموا اليهِ وعنفوهُ وقالوا والله لقد جهلت بمسيرك مع حمل بن بدر الى قوم قد اضمروا لك الشر والغدر وهذا الحديث اذا سمعهُ بعض اعدائك لامك على فعالك واستخف بعقالك فقال وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم ما فعلت الا فعل الرجل الكريم الذي يقدر عواقب الزمان ويطلب سلامة الاهل والخلان ثم انهم افترقوا بعد ذلك الكلام الى المضارب والخيام قال ولما انقضي الاجل واتى الميعاد اجتمع قيس وحذيفة على غدير ذات الاصاد وانتخبا لهما

راكبين من رجال القبيلتين ليركبا داحس والغبراء ويطلقاهما في تلك الصحراء

قال سعيد بن مالك فبينا هم على مثل ذلك اذ اقبلت بنو ذبيان وفرسان بني غطفان لانهم كانوا قد سمعوا بخبر الرهان فقصدوا ذلك المكان لاجل الفرجة على السباق والوقوف على من يفوز بالجمال والنياق وكان الملك قيس قد اوصى عنترة ان يقيم في الاطلال هو ومن يلوذ بهِ من الابطال خوفًا من اسباب الشر ووقوع النكد والضر فاجابهُ الى سوالهِ وامتثل الى مقالهِ وصبر حتى خرج الملك قيس بباقي رجالهِ فعند ذلك تقلد بحسامهِ الابتر وركب جوادهُ الابجر وطلب البر الاقفر وسار شيبوب بين يديهِ كانهُ الصل الاغبر حتى ادرك الناس فلما رأوهُ امسكوا عن اطلاق الافراس وعند وصولهِ اليهم وقدومهِ عليهم نادى معاشر العرب من عدنان وسادات بني عبس وغطفان وفرسان فزارة وذبيان وكل من قد حضر في هذا المكان انتم تعلمون اني صنيعة الملك زهير بن جذيمة صاحب الفضل الواسع والاخلاق الكريمة وهو الذي الحقني بالنسب وترك لي المنزلة الرفيعة عند سادات العرب اهل المناصب والرتب ولكنهُ لم يعش حتى كنت اجازيهِ وعلى بعض صنيعهِ اكافيهِ واترك ملوك العرب تطيعهُ وتهاديهِ وقد عاندني فيهِ الزمان وطرقتهُ طوارق الحدثان وقد خلف هذا الولد العبسي وهو الملك قيس فدتهُ نفسي الذي فاق على اقرانهِ وافتخر على ابناء زمانهِ بفضلهِ واحسانهِ ووفور عقلهِ وحسن بيانهِ وما انا الا عدهُ من جديد وقديم وبهِ اعتز في كل هول عظيم وما اريد ان اكون في قيد الحياة واراهُ يذل لاعداه والان فقد حكم الملك الخلاق بهذا السباق واني اقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام والرب الباقي على الدوام الذي لا يغفل ولا ينام لئن تعدى حذيفة وظلم لاسقينهُ بسيفي كؤوس النقم ولاجعلنّ بني فزارة حديثًا لسائر الامم واقيم الحرب على ساق وقدم

قال نجد بن هشام فلما انتهى عنترة من هذا الكلام ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين الاهل والقرائب وكان حذيفة قد انتخب لجرتهِ رجلاً من بني ذبيان يقال لهُ مالك بن سنان وانتخب الملك قيس لجوادهِ داحس رجلاً من بني عبس الاشاوس اسمهُ سابق بن حابس فلما صار كل واحد منهما على ظهر فرسهِ اقبل قيس على صاحبهِ الذي اختارهُ لنفسهِ واوصاهُ بالجواد خوفًا من شماتة الاعداء والحساد وانشد وقال

لا تُرسلنْ لهُ العنانَ كلّهُ ... وان علاهُ عرَقٌ وبلّهُ
وامسح بساقيكَ واحسن سلّهُ ... انك ان اتعبتهُ تملّهُ

فلما سمع حذيفة من قيس ذلك المقال اوصى صاحبهُ بفرسهِ الغبراء وانشد وقال

لا ترسلن لها العنان كلها وان علاها عرق وبلها
واسمح بساقيك واحسن سلها انك ان اتعبتها عملها

قال فلما سمع عنترة شعر حذيفة تبسم وقال وحق البيت الحرام لقد سبقت يا ابا محجار واخذت نوقك الابكار لان قوافي الشعر ما قلت ولا معاني الكلام اضمحلت حتى قلت شعر الملك قيس نفسهُ وهذا ما يدل على ان فرسك تابعة فرسه فلما سمع حذيفة كلام عنترة طار من عينيه الشرر واخذه القلق والضجر وحلف بخالق الارواح ورازق الاشباح انهُ لا يسابق الا عند الصباح وما اراد بذلك المقال الا ليدبر لداحس ابواب المحال

قال الراوي وكان ذلك اليوم قد انقضى اكثرهُ ولم يبقَ الا ايسرهُ ولما سمعت العرب ذلك الخطاب عوَّلت على الانصراف والذهاب واذا بشيبوب اخي عنتر صاح بصوتهِ الجهير هيا يابني عبس وعدنان وفزارة وذبيان ومرة وغطفان ومن حضر في هذا المكان من السادات والفرسان امهلوا عليَّ القليل واسمعوا مني كلامًا يشفي الغليل ويبقى ذكره جيلًا بعد جيل فوقفت الابطال واجتمعت من حولهِ الرجال وقالوا قل ما تشاء يا ابا رباح لعل ان يكون في كلامك السلام والصلاح فقال ايها السادات والامراء عما قد سمعتم اليوم ما جرى في مسئلة السباق بين داحس والغبرا ومرادي الان ان اراهن في محضر الجمعين باني اسبق الفرسين ولو طار كل واحد منها بجناحين ولكن بشرط ان فزت بالسباق اخذ الجمال والنياق التي وقع عليها الاتفاق وان كنت المسبوق اعطي خمسين من النوق فقال لهُ بعض مشايخ العرب وقد تعجب من كلامهِ غاية العجب ويلك ان سبقت تكون قد بلغت الارب وان سُبقت تعطِ نصف الطلب فما هو السبب قال شيبوب اعلم ايها السيد المنتخب اني اجري على قدمين والخيل تجري على اربع قوائم وذنب . قال فتضاحكت من مقالهِ الابطال وتعجبت من شرطهِ جميع الرجال واجابوه الى ما ندب نفسهُ اليهِ وطلبوا الفرجة من دون الخيل عليهِ ثم انهم بعد ذلك الكلام ارتدوا الى المضارب والخيام هذا وعنترة يقول لشيبوب ايها الاخ المحبوب ما هذا الرهن الذي عقدتهُ والشرط الذي اشرطتهُ اتقدر على سباق الفرسين وقد شهدت بسرعة جريانهما اهل الثقلين فقال لا بد لي من ان اسبقهما ولو طار كل واحد منهما بجناحين فاذا سبقتهما نلت الشرف الاكبر وانتشر صيتي واشتهر في قبائل ربيعة ومضر وهابتني فرسان البدو والحضر . قال الراوي واما ما كان من حذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر فانهُ لما عاد الى المضارب وقلبهُ من شدة الحزن لاهب استدعى بعبدٍ لهُ يدعى حابس بن غالب وكان شجاعًا جريًا وجبارًا قويًا وقال لهُ سر في هذا الليل واكمن في حفرة على طريق الخيل

فتى طلع النهار وانبسطت الشمس في جوانب الاقطار اجعل بالك على الفرسين وكن لها رامقًا فان جاء داحس سابقًا الطمه في وجهه وبين عينيه وردهُ عن الغاية حتى تتقدم الغبرا عليه لاني اخاف ان يسبق الغبرا وابقى معيرة عند عرب الصحرا فامتثل العبد امر مولاه وفعل كما اوصاه قال ابو عبيدة ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اجتمع بنوفزارة وذبيان وسادات بني عبس وعدنان ومن جاورهم من الاصدقاء والخلان الى ذلك المكان حتى ازدحم الميدان من كثرة الرجال والفرسان والمشائخ والشبان فبعد ذلك ركب الرجلان ظهر داحس والغبرا ودقا جنبيها بكعبيها وصاحا بين اذنيها فمرّا بها مر البرق الخاطف او الريح العاصف وفي دون لمح البصر غابا عن النظر وكان داحس قد تاخر من شدة الكر وتقدمت عليه الغبرا في ذلك البر فسر الفزاري بذلك وانشرح وصاح على العبسي من شدة الفرح وقال له سبقت يا اخا عبس فعز نفسك بعد هذا اليوم بالتعس والنكس فقال العبسي وقد زاد به القلق وتحسر قلبهُ واحترق من شدة الغيظ والحنق كذبت يا اخا فزارة فسوف تبصر من نقع بها الخسارة فاصبر حتى تقطع هذه الحجارة . لان الاناث تعمل في الحصى ما لا تعمله في الوطا ثم انهُ قوّى جنانهُ وصاح في داحس واطلق لهُ عنانهُ فمر به اسرع من الطير الطائر وخيل لراكبه انهُ على ظهر الفلك الدائر فقطع تلك الصحراء وظهر غباره امام الغبراء بعد ما كان قد تاخر للوراء فنادى العبسي للفزاري وافرحاه بعد ترحاه هل لك من حاجة الى ابن بدر فتجرع الان من وراءي مرارة الصبر وكان شيبوب قد جد في السير وسابق بمسيره الطير وهو يعدو بجانب داحس جواد قيس بن زهير . قال الراوي وكان العبد دامس الذي اكمن لداحس لما راه قد اقبل في تلك الفلاه وسبق فرس مولاه تقدم اليه وفاجاه ولطمهُ لطمة عظيمة بين عينيه كادت ان تقضي عليه فطاش الجواد من تلك اللطمة وانصرع وتاخر حتى كاد ان يقع وابصر شيبوب ذلك الامر فاشتعل فواده بلهيب الجمر وعلم ان ذلك من تدبير حذيفة بن بدر فوثب على ذلك العبد وثبة الفهد وطعنهُ بالخنجر في صدره فشق امعاه واعدمهُ الحياه وهمّ ان يعود الى داحس ويحسن فيه المداراه واذا بالغبراء قد مرت مثل عواصف الرياح وهي طائرة في ذلك المرس بغير جناح فخاف شيبوب من العاقة وان يثبت عليه رهن السباق وتؤخذ منهُ الجمال والنياق فطلب عرض الفلا وجد في المسير وسابق بمسيره الطير الذي يطير حتى اقبل على الغدير واقبلت بعدهُ الغبرا وداحس في الاخير واثار اللطمة بين عينيه ودموعه جارية على خديه وكانت السادات والفرسان ومن حضر في ذلك المكان قد تعجبوا عند قدوم شيبوب الاسد الوثوب واندهلوا من شدة جريانه وقوة عصبه وجنانه

ولما اقبلت الغبراء ارتفع من بني فزارة الصياح و بدت عليهم وسائم الافراح واقلبوا بصراخهم تلك البطاح واخبر شيبوب الملك قيس بحديث داحس وما جرى عليهِ من العبد داس فلما سمع منهُ ذلك الخبر طار من عينيهِ الشرر وكادت مرارتهُ ان تنفطر وقال وحق الركن والحجر ومن طاف بالبيت واعتمر من امة ربيعة ومضر ما كانت هذه اللطمة الا نقمة على بني فزارة وسوف يحل بهم النكال و يعود ربحهم الى خسارة لان حذيفة لم يطالب السباق طمعاً بالجمال والنياق وما قصد بذلك الا فتح باب الشر ومعاطاة اسباب النكد والضر

قال نجد بن هشام هذا وقد كثر الكلام وهاج الخصام حتى كاد ان يقع بينهم ضرب الحسام فعند ذلك ترجلت المشائخ ودخلت بين الامراء والسادات وكشفوا روؤسهم خوفاً على البنين والبنات وهم يصيحون كفوا عن القتال والا حل بكم الوبال وصرتم احدوثة بين الانام على مدى السنين والايام . قال وما امسى المساء حتى استلم شيبوب الجمال والنياق التي وقع عليها الاتفاق ورجع الملك قيس الى المضارب والخيام وعنترة يسليه بالكلام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نحر شيبوب النوق والفصلان وعمل وليمة للسادات والفرسان ومن يلوذ بهم من الخدم والغلمان وانقلبت الديار بالافراح ودارت على القوم الاباريق والاقداح واشرقت الاقطار بشرب كاس الراح وبلغ الخبر بني فزارة الطائفة الغدارة فاستعظموا ذلك الامر واجتمعت جهالها بحذيفة بن بدر وقالوا لهُ ايها الامير والسيد الخطير تكون من السابقين وتاكل اموالنا عبيد بني عبس المنافقين فانفذ الى قيس وطالبهُ بحقك فقد شهدت سائر الرجال بسبقك فان اجاب وامتثل تكون قد بلغت الامل وان امتنع وابى اخذناها منهُ غصباً واثرناها عليهِ حرباً فزاد بحذيفة الغضب واشتعل فواده من شدة الغيظ والتهب وصاح على ولده ندبة وكان يكنى بابي فراقة وقال لهُ ادهب الى قيس بن زهير دون عاقة وقل لهُ يقول لك ابي ادفع اليهِ سبقهُ سراً والا اخذه منك جهراً وفضحك بين العرب مرة اخرى . قال الراوي وكان عند حذيفة في تلك الساعة رجل من مشائخ العشيرة قد اتصف بالفضل وحسن السيرة يقال لهُ خميصة بن عمرو فنهاه عن ذلك الامر وقال لهُ زاد الله توفيقك وارشد طريقك ان قيساً لم يسبقك الى المراتب العلية والمناصب السامية وانما فرس سبق اخرفما في هذا من ضرر فوالله اني لا ارضى لك بهذه النعال لانها نقص في العقل والكمال وما يوصف الانسان الا الجود والاحسان والعفو عند المقدرة والامكان والراي ان تقتصر عن هذا اللجاج الذي يورث الهلاك والهجاج لان مثل قيس يجب ان ينصف ولا يظلم وان سالمت فرسان بني عبس كان لجاهك اسلم فلما سمع حذيفة من خميصة

ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال وشتمهُ في حضور الرجال فوثب الشيخ على قدميه وخرج من امامهِ وقد صعب عليهِ وهو ينشد ويقول من فؤاد متبول

البغي شؤمٌ يا ابا حجارِ   فتكانهُ كطوارق الاسحارِ

الكتاب الخامس والثلثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فاحذر مصاربهُ اذا جرَّدتهُ   وانصف ولا تلبسْ ثياب العارِ
واسال خبيرًا عن ثمود واهلهِ   لما طغوا وبغوا على الجبّارِ
يخبركَ كيفَ اتاهمُ في ليلةٍ   امرٌ من الله العزيز البارى
فابادهم تحت الظلام فاصبحوا   بين الطلول شواخصَ الابصارِ

قال الاصمعي فلما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليهِ لان البغي والعجب كانا قد لعبا بعطفيه ثم التفت على ابن اخي الحال وقال لهُ سر الى قيس وطالبهُ بالنوق والجمال ثم انهُ ركب وجد في السير حتى وصل الى حي بني عبس ودخل على ابيات قيس بن زهير فلم يعثر بهِ لان قيساً كان غائبًا عن مضربهِ ولم يكن هناك الا زوجته المدللة فلما راتهُ قالت لهُ في اي شيء اتيت وما الذي تريد من صاحب البيت قال انيت ان اطلب زوجك بحقنا وان يعترف بسبقنا فقالت واي حق لكم يا آل بدر اما تخشون من عاقبة البغي والغدر فارجع الان على عقبك ولا تسعَ في هلاكك وعطبك وتشكر الرحيمَ الرحمن لانك لم تجد الملك قيساً في هذا المكان والا كان قتلك وعجل من الدنيا مرتحلك فلما سمع كلامها عاد على الاثر وحدث اباه بذلك الخبر فاستشاط غضبًا وقال لهُ ويلك يا الكيعهل اقتنعت بكلام المدللة بنت الربيع فعد الى قيس وقل لهُ ان يدفع اليَّ حقي ويعترف بين الناس بسبقي قبل ان اثيرها عليهِ حربًا واخذ مالي منهُ غصبًا فقال ابو فراقة ان النهار قد مضى وزال وانقضى فعند السحر اقصد ديار بني عبس وادخل على قيس قبل طلوع الشمس واطلب منهُ النوق والجمال في حضور السادات والابطال ولا ارجع الا ببلوغ الامال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما تم لهم من الاخبار واما ما كان من قيس فانهُ كان قد رجع الى ابياتهِ في اخر النهار وهو نشوان من شرب العقار فلما ابصرتهُ زوجتهُ على تلك الحال صبرت عليهِ حتى صحي من المدام ثم حدثتهُ بحديث ابي فراقة وما جرى بينها وبينهُ من

الكلام فزاد حنقهُ وكثر قلقهُ واطرق مفكرًا وبقي متحيرًا وبات تلك الليلة وهو في قلق الفكر مشتغلاً في هذا الامر . قال الاصمعي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دخل عليهِ عنترة للسلام وفي صحبتهِ جماعة من السادات الكرام فرآه في قلق وضجر وهموم وفكر فسالهُ عن ذلك فحدثهُ بالخبر فقال لهُ لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فوحق من سطح الغبرا ورفع الخضرا وشرَّف الكعبة الغرا ان لم يرجع حذيفة عن هذا الامر لامزقنَّ شمل بني بدر واقتل حذيفة القربان ولو انهُ في حجر كسرى انوشروان او الحارث سيد بني غسان

قال محمد بن هشام وما زال عنترة يحمس قيسًا بالكلام حتى زاد بهِ الهيام وهان عليهِ شرب كاس الحمام واذا بابي فراقة قد دخل عليهِ وتمثل بين يديهِ وقال لهُ يقول لك ابي ادفع اليهِ حقهُ وانت كريم والا اخذه وانت ذليل كظيم فقال لهُ قيس وقد اسودَّت الدنيا في عينيهِ وكاد من الغيظ ان يغشي عليهِ ويلك ثكلتك امك وعدمتك اهلك وبنو عمك هل بلغ من قدرك ان تخاطبني بمثل هذا الخطاب ثم طعنهُ برمح بين ثدييهِ ابرز السنان من بين منكبيهِ فانطرح قتيلا وفي دمائهِ جديلا فاوثقهُ عنترة عرضًا على ظهر جواده واطلق الجواد الى ناحية ارضهِ وبلادهِ وقد بلغ غاية مراده وشفى غليل فواده فسار بهِ الجواد يقطع الطريق وقد صار من الدماء مثل الشقيق ولما وصل الى المراعي وابصرتهُ الرعيان اقشعرت منهم الابدان واخذوه الى الحي من دون عاقة وقالوا وحق الكعبة لقد قتل ابو فراقة فتواثبت الرجال وخرجت الابطال ومزق حذيفة ثيابهُ وعلا بكاؤهُ وانتحابهُ وارتج الحي من الصياح والعويل والنواح وخرجت زوجتهُ وهي تبكي عليهِ وتنعيهِ وتنادي باسمهِ وترثيهِ ومن حولها الحرائر والاماء وما بينهنَّ الا من خضبت وجهها بالدما هذا وحذيفة يدور بين المضارب وقلبهُ من شدة الحزن لاهب وهو يصيح من فوادٍ قريح وقلب جريح يا لفزارة البدار البدار لاخذ الثار يابني عمي بادروني بالسيوف والقنا واشفوا غليل فوادي ببلوغ المنى وفعل سنان بن ابي حارثة مثل هذه الفعال لانهُ كان كثير المكر والاحتيال فتناخت الابطال وتبادرت الاقيال وشهروا الصفاح وداروا من حول حذيفة بالسيوف والرماح ووعدوه انهم يفدونهُ بالنفوس والارواح وركبوا في عاجل الحال وساروا طالبين الحرب والقتال ولم يبقَ في الاطلال الا النساء والاطفال والمشايخ والعيال وكان الربيع بن زياد قد ندم على مجيئهِ الى تلك البلاد وقال اني لا اقاتل قومي ولا اقصد الاذية اليهم ولا اكون لهم ولا عليهم لان حذيفة كان قد [illegible] ان [illegible] مشورة الربيع بالكلية واكثر لهُ من الاكرام والعطية فهانت نفسهُ عندهُ وكثر قلقهُ ووجده وعزم على الرجوع الى ديار بني عبس وتلك الربوع

قال الاصمعي وكان الملك قيس بعد قتلهِ ابن حذيفة ايقن بالفتنة والحروب المخيفة فاستعد للحرب ومواقف الطعن والضرب وامر العبيد ان تنادي على الابطال باخذ اهبة القتال فغاصت الفرسان في الحديد وركبت الابطال الصناديد وركب الملك قيس وعنترة في اول العسكر وجدوا في قطع البر الاقفر ولم يتخلف في الديار الا النساء والاطفال الصغار وكان من جملة المتخلفين الحارث بن ظالم الاسد العرين لانهُ قال اني لا اقاتل بني عمي حتى يستقيم امري ويزول همي وغمي

قال الراوي والتقت بنو فزارة بني عبس عند طلوع الشمس ولما تقابل الفريقان والتقت حلقتا البطان ارتفع الصياح ولا حتى ارتجت اقطار الفلا وارهج البرمن لمعان السيوف وبرق القنا وعول عنترة ان يهرق الدما ويبذل السيف في بني فزارة وينزل بهم الفناء ويشفي غليل الفواد من الاعادي والحساد واذا بحذيفة قد برز الى معركة الجلاد ومقام الحرب والطراد وهو لابس ثياب الحداد ولما صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين نادى برفيع صوتهِ وقال ويلك ياقيس ان قتل الاطفال ليس بمحمود بين الرجال انما صاحب الافضال هو الذي يبارز الابطال في معامع القتال ويرجع ببلوغ الامال فلما سمع قيس منهُ ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقصد نحوه ومال بقلبٍ اقوى من الجبال وبرد عنترة عن ساحة المجال وصدم حذيفة صدمة الاسد الرئبال ثم انهما تقابلا وتصادما وتناضلا وتلاحما وتطاعنا طعناً وافياً وتضاربا ضرباً شافياً وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال حتى خيم عليهما الغبار وحجبهما عن الابصار وكانت بنو فزارة قد ايست من اميرها وسيدها ومشيرها فعلت منهم الاصوات وارتفعت الضجات وشهروا السيوف والرماح وعولوا ان يحملوا على بني عبس ببنيات صحاح فعند ذلك اقبل عنترة على عروة بن الورد وابيهِ شداد وقال لهما احملوا على هولاء الاوغاد حتى نشفي منهم غليل الفواد قبل ان يحملوا علينا ويصلوا الينا

قال محمد بن هشام وما انتهى عنترة من هذا الكلام حتى تقدمت مشايخ القبيلتين وعقلاء الطايفتين واختلطوا بين الفرسان وحذروهم من غدرات الزمان وقالوا لهم كفوا يابني الاعمام عن القتال والخصام بحق رب الانام واتركوا عنكم اللجاج والعناد الذي يجدد الاحقاد ويرمل النساء وييتم الاولاد ويشمت بنا الاعداء والحساد فيكفينا ما للعرب علينا من الدما ومالنا في اقطار الارض من الغرما وما زالت المشايخ تخنهم بالكلام وتعنفهم بالملام حتى خمدت نار الفساد بعد ذلك الانقاد ورجع حذيفة وقيس عن القتال وانفصل الحال على ان قيساً يعطي دية ابي فراقة ماية ناقة فانعم قيس واجاب الى ذلك الخطاب لانهُ كان

قريب الرجوع طيب الاصول والفروع فاستشاط عنترة غضباً واضطرم فواده لهباً وقال ايها الملك الجليل ما هذا الفعل الوبيل انوخذ منا دية قتيل وسيف عزنا في ايدينا طويل فلما سمع قيس من عنترة ذلك الخطاب تدم على ما اجاب هذا وحذيفة يسمع ويرى وهو على ظهر فرسه الغبرا فقال اسكت ما الذي غرك ان تقول هذا الكلام فوحق البيت الحرام لولا حضور هولاء الشيوخ الكرام اهل الوقار والاحترام لكنت افنيتكم في هذه الايام وتركت نساءكم ارامل واولادكم ايتام ايقتل قيس ولدي ومهجة كبدي وتقول له لاتحمل دية ولا تعط فدية فلما سمع عنترة خطابة غاب صوابة وزاد التهابة والتفت عليه وقال وحق الاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال وارسى شوامخ الجبال انك اذل واحقر من ان تقتل كلباً من كلاب عنترة ولولا خوفي من حرمة هذه الاطفال وكهولة هولاء الرجال لكنت بينت لك اولاد الزنا من اولاد الحلال واريتك الذل والهوان بحد هذا السيف اليمان . قال نجد بن هشام فلما سمع حذيفة منه هذا الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام بان في وجهه الغضب وعبس وقطب وخفق فواده واضطرب وقال لمن سعى في الاصلاح اني لا اصالح وحق خالق الاشباح ولو نهبتني العدى بشفار الصفاح فقال له اخوه حمل لاتحمق ولا تجهل اصلح امورك مع بني عبس وغض النظر عما جرى بالامس لانهم جمرة العرب ونخبة الادب ومنتهى الفخر والشرف لمن اقر بالفضل واعترف وانت الذي تعديت وظلمت وافتريت وامرت عبدك دامس ان يلطم جوادهم داحس حتى رده عن طريقه ولم يقتل ولدك الامن قلت سعده وتوفيقه لانك انفذته اليهم وطالبتهم بشيء لا حق لك به عليهم وبعد ذلك فالصلح اسلم ومن طلب الحرب وتعدى فقد ظلم فاقبل الفدا ولاتتعدَّ ولا تفتح علينا باب الشر وتتعاطَ اسباب النكد والضر ثم انه بعد هذا المقال انشد وقال

حذيفة ترك الحرب عنك مروّة ... ولا سيما حرب الفوارس من عبس
وخلي جواد البغي لاتركبنّه ... فيلقيك في بحر من التعس والنكس
فدعهم لنا حصناً اذا جارت العدى ... علينا صباحاً بالمسوّمة العبس
وان كان قيس غادراً في فعاله ... فانت الذي علمته الغدرَ بالامس

قال الراوي فلما انتهى حمل من شعره ونظامه شكرته سادات العرب على حسن اهتمامه والزموا حذيفة باخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتدا وعادت الابطال الى الديار وقد خمدت تلك النار وحمل قيس الى حذيفة ماية ناقة سود الحدق وعشرين راساً من الخيول السبق واستقر بعد ذلك حال الناس وتمكنت القواعد على الاساس

قال نجد بن هشام واتفق بعد ذلك بعشرة ايام خرج مالك بن زهير والامير عنترة والحارث بن ظالم الاسد الغضنفر طالبين الصيد والقنص واوسعوا في جنبات الفلا لانتهاز الفرص الى ان حمي عليهم الحر وهوجر البر فعدلوا عن الطريق وقصدوا واديًا عميقًا وكان يقال له وادي الغضا وماء القطا فراوا فيه قبيلة من فقراء الاعراب يقال لهم بنو غراب فطلبوا الغدير وشربوا من الماء لانهم كانوا في غاية العطش والظمإ فوجدوا شيخًا قد احناه الكبر وغيرت احواله العبر ومعه ابنة له كانها القمر طويلة القوام كثيرة الابتسام حركاتها في القلوب ساكنة ولفتاتها للخلق فاتنة فلما رآها مالك اندهش وحار واشتعل قلبه بلهيب النار فعدل الى ابيها ومال اليه وساله عن حاله بعد ما سلم عليه وقال له اترضاني ان اكون لك اهلاً ولابنتك بعلاً حتى اغنيكم بالعطايا والاموال وازيل عنك ثياب الفقر والاذلال فقال ان هذا غاية مرادي وفيه مسرة فوادي فمن تكون يامولاي من سادات العرب اهل المناصب والرتب قال انا مالك بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فلما سمع منه هذا المقال اعتراه الاندهال وقال له كيف يكون ذلك ايها السيد المفضال وانا رجل فقير الحال كثير العيال فقال مالك لاتظن ان المال يزيد الانسان في الفضل والكمال انما الحسب والنسب والعقل والادب عند سادات العرب اخير من الفضة والذهب

قال نجد بن هشام فبينما هما في مثل هذا الكلام واذا بعنترة والحارث قد اقبلا عليهما بعد ما شربا واسقيا جواديهما فقال مالك لعنترة اعلم ايها الاسد الغضنفر اني كنت استجهلك غاية الاستجهال كلما كنت تشكو اليّ من تباريح الوجد والبلبال وكنت اقول ليس العشق الا بجنون حتى ذقته في هذه الساعة عند نظري الى هذه العيون فعلمت انك من اصبر الانام واقواهم جلدًا على نار الغرام فضحك عنترة وابدى الابتسام عند سماعه هذا الكلام وقال له يامولاي لقد جرى عليك كل هذا في دون ساعة فكيف حال من له شهور واعوام يسال ولا تقبل له شفاعة هذا وقد فرح الشيخ واستبشر وعلم ان امره قد تيسر وقال ايها السادة الكرام والله ما كاني معكم الا في منام فاقبلوها مني بدون صداق محدود وهذا غاية ما اقدر عليه من بذل المجهود فقال مالك اني لا اتزوجها بدون مهر واتقى معيرة بين العرب على مدى الدهر بل اني احمل اليك ما يغنيك وبعد دخولي عليها ترى مني ما يرضيك فتقدم الشيخ الى مالك واعطاه يده وازوجه وعاقده وعاد مالك وقد بلغ المراد وفي صحبته الحارث بن ظالم وعنترة بن شداد ولما وصل الى الخيام دخل على اخيه قيس وحدثه بذلك الحديث على التمام فلما سمع منه ذلك الخطاب قال له اما كان يوجد في بنات عمك الكواعب الاتراب

ما يغنيك عن اتصالك ببنات بني غراب فقال مالك لا تلمني على ما لا يطاق لان للمحبة اسباب وارزاق قسمها الواحد الخلاق قال فبينما هما على مثل ذلك واذا بعنترة قد دخل عليهما فسمع قيسًا يلوم الامير مالك فقال لهُ ايها السيد المعظم اعلم ان اخاك ما تعدى ولا ظلم وما فعل الا ما سبقهُ اليهِ سائر الامم ويجب عليك ان تحمد الرب القديم رب موسى وابراهيم الذي لم يقع لك مع بعض بنات ملوك الاقاليم فاجبهُ الان الى ما يشتهيهِ لانهُ لم يكلفك الى امر تتعب فيهِ

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انفذ مالك الى الشيخ النوق والجمال والتحف الغوال وانفذ العبيد والخدام وفي صحبتهم الجزور والاغنام وبواطي المدام . وامرهم بتعجيل الوقت لما في قلبهِ من الغرام. ولما وصلت تلك النعم الى بني غراب خرجت الى لقائها الشيوخ والشباب . وقضوا اوقاتهم باللذات والسرور والغبطة والحبور . وذبحوا الاغنام والنوق واوصلوا الصبوح بالغبوق . وقد زالت عنهم الاتراح والهموم . ولما انقضى الوقت المعلوم لبس مالك في زي الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار وركب في حلل الكمال وكان جمالهُ قد فاق على كل جمال ووجههُ ازهى من نور الهلال وقوامهُ احسن من الغصن اذا مال وسار عنترة معهُ الى تلك الديار خوفًا عليهِ من طوارق الاسحار وركبت معهُ عشرة ابطال من فرسان عشيرتهِ وخمسة من اخوتهِ فساروا وهم يتمايلون في حلل الاعجام حتى وصلوا الى بني غراب ونزل مالك في خيمة الزفاف ونزلت اخوتهُ من حولهِ بلا خلاف هذا وقد انقلب الحي بالاغاني والصياح ودارت على القوم اقداح الراح وزادت المسرات والافراح ودقت الاماء بالمزاهر والدفوف ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف ومازالوا على مثل ذلك حتى مضى النهار الضاحك واقبل الليل بسواده الحالك فزفوا الجارية الى الامير مالك . فاندهش من جمالها وظرفها ودلالها لانهُ ابصر منها شمسًا لا يسترها غيهب ولا يرى مثلها في بنات العرب وكذلك ابصرت هي منهُ من الحسن والجمال ما يفوق على السحر الحلال فضم كل منهما جبهتهُ اليهِ ورشف كاس المحبة من شفتيهِ وما زالا على تلك الحال الى ان سكرا من كاس خمر الوصال وكان لهما ليلة احلى من رجوع الشباب بعد الهرم لم يرَ احد مثلها من العرب والعجم فيما تقدم .قال الراوي .وعند الصباح تبدلت افراحهما باتراح ورشقها الزمان بسهام ما لجراحهِ من صلاح لانهُ ما وهب الا ونهب وما استقام الا وانقلب وماصفا الا وكدر وماحلا الا ومرمر وكان السبب في ذلك حذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر لانه لما قبل قيس الدية ورجع الى الديار قالت لهُ زوجتهُ ما الذي فعلت يا ابا جبار بعت دم

ولدي ومهجة كبدي بشيء يسير من المال والنوق والجمال ولبست ثياب العار على مدى الاجيال والاعصار فوالله لا كنت لك اهلاً ولا كنت لي بعلاً لاني لا ارضي برجل جبان ذليل مهان ثم انها بعد ذلك العذل والملام منعته عن دخول الخباء ثلاثه ايام وفي اليوم الرابع دخل عليها فوجدها تبكي من فواد متبول وهي ترثي ولدها وتقول

حذيفةُ لا سلمتَ من العداةِ ولا وقيتَ شرَّ النائباتِ
أيقتلُ نُدبةً قيس وترضى بانعامٍ ونوقٍ سارحاتِ
وتلبس ياحذيفة ثوب ذلٍّ وعار لايزول الى المماتِ
اما تخشى اذا قال الاعادي حذيفةُ قلبهُ قلبُ البناتِ
فدَع ما قالهُ حَملُ ابن بدرٍ فكلٌّ مقدّرٍ لابدَّ ياتي
وخذ ثاري باطرافِ العوالي وبالبيض الحدادِ المرهفاتِ
والا تخلني ابكي نهاري وليلي بالدموع الجارياتِ
لعلَّ منيتي تأتي سريعاً وترميني سهامُ الحادثاتِ
أحبُّ اليَّ من بعلٍ جبانٍ تكونُ حياتهُ شرَّ الحياةِ
فياأسفي على المقتول ظلماً وقد امسى قتيلاً في الفلاةِ
ترى طيرَ الاراكِ ينوح مثلي على اعلى الغصون المائلاتِ
وهل تجدُ الحمائمُ مثل وجدي اذا رميت بسهمٍ من شتاتِ
فيايومَ الرهانِ فجعتُ فيهِ بشخصٍ جازَعن حدِّ الصفاتِ
فلا زالَ الصباح عليكَ ليلاً ووجه البدرِ مسودَّ الجهاتِ
وياخيلَ السباق سقيتِ سمّاً مذاباً في المياه الجارياتِ
ولا زالت ظهورك مثقلاتٍ باحمال الجبال الراسياتِ
لانَّ سباقكِ التي علينا هموماً لاتزال الى المماتِ

قال الراوي فلما سمع حذيفة هذه الابيات تناثرت من اجفانهِ العبرات وزادت بهِ الحسرات وشاعت هذه المرثية بين نساء العربان وتناشدتها الابطال والفرسان وسمتها مشهرات الاحزان ثم التفت عليها وقال وحق الاله المتعال اني ما قبلت من قيس الدية الا وقصدت له الاذية لان سبب هذه الحادثة كانت بتدبير سنان بن ابي حارثة لانهُ لما راى المشايخ الكبار قد خرجوا الينا واقبلوا بالاطفال علينا قال اعلم ان ابنك قد مات وانصرع وليس لهُ من مرتجع والصواب ان تقبل ما اشور بهِ عليك وتسمع وهو انك تاخذ من قيس المال وتدع

عنك القيل والقال ونترك على بني زهير العيون والارصاد الى ان تظفر بواحد منهم ونقتله وقد بلغت المراد وبعد ذلك الحرب بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك . قال محمد بن هشام وما زال يلاطفها بالكلام حتى رقت ولانت ورجعت الى طاعته كما كانت وفي اثناء ذلك بلغهُ خبر الامير مالك وانهُ قد تزوج في بني غراب فسار في مائة فارس من نخب الاعراب وقصد تلك النواحي والهضاب وكان وصوله الى هناك عند الصباح فراى الناس في غفلة وهم راقدون من تعب الافراح فاستبشر بالغنيمة والنجاح وطلب قبة الزفاف بقلب لا يهاب الموت ولا يخاف وتبعته الابطال والفرسان ومن معهُ من الشجعان فعند ذلك سارت العبيد واهتزت الارض من قريب وبعيد ووقع الصياح في الفرسان الصناديد هذا وقد انتبه عنتر كانهُ الاسد الغضنفر واستلب رمحهُ الاسمر وركب ظهر جواده الابجر وتقدم ليكشف حقيقة الخبر وركبت الابطال من بني غراب وكانوا دون الخمسين من الشيوخ والشباب وتفرقوا من اليمين والشمال وطلبوا الحرب والقتال ولما اقترب عنترة من قبة الزفاف علم انهم من بني فزارة بلا خلاف وانهم ما قصدوا تلك الدكادك الا لقتل الامير مالك وكان قد عرف حذيفة ومن معه من اخوته وسادات قومه وفرسان عشيرته فنادى ويلك يا ابا حجار يا باغي يا غدار لقد حدثتك نفسك بالمحال فسوف يحل بك النكال لانك فعلت بئس الفعال ثم زعق على الفرسان وطلبهم ولعب بالرمح في جوانبهم فلما ابصر حذيفة افعالهُ خاف ان تخيب امالهُ فحاول ان يغتنم الفرصة ويدخل الى القبة ويقتل مالك ويزيل ما بقلبه من الغصة واذا بمالك قد خرج وهو في ثياب النوم فراى القتال يعمل بين القوم لانهُ كان قد سمع الصياح فخرج وهو يتمايل من شرب الراح فنظر الى عنترة وهو في اشد قتال والفرسان محيطة به من اليمين والشمال فاخذتهُ الحمية وعصفت في راسه نخوة الجاهلية واراد ان يري زوجتهُ بعض شجاعته فركب جواده واستلب الرمح عن باب خيمته وطلب حذيفة ومن معهُ من اخوته وهو ينادي انا مالك بن زهير لعدوي الشر والضير والى صديقي النجاح والخير ثم انهُ صاح في الحصان وهو سكران ويده غير متمكنة من العنان فانطرح على بساط المهاد كانهُ طود من الاطواد فادركهُ حذيفة في الحال وضربهُ بالصارم النفصال فوقع الى هامته فنزل الى نصف قامته ولما علم انهُ قد تمكن منهُ ارتد راجعاً عنهُ وصاح على من حولهُ من الرفاق والصحبة يا لثارات ولدي ندبة ثم انهُ خاف على نفسه من عنتر فانهزم وطلب البر الاقفر وقد انطفأت ناره وقر قراره واخر الله في طول حياته وكانت هزيمته سبباً لنجاته وكان قد قتل من اصحابه الاكثر ولم يسلم منهم الا الايسر ولما عاد عنترة من خلف الابطال بعد ما

مزّق شمل من بقي منهم في الروابي والتلال التي بمالك وهو على اخر نفس فراه يختبط في دمه بين رجلي الفرس فلما نظر اليه اسودت الدنيا في عينيه والقي نفسة عليه ولطم راسة ومزق لباسة وصاح واما لكاه واسيداه واعزاه يابدر الكمال و زينة الابطال وسيد سادات الرجال اتشرب انت كاس الوفاة وانا في قيد الحياة ثم انهٔ وضع راسة على احدى ركبتيه وجعل يقبل عارضيه وانحدرت دموعة على خديه واجتمعت الفرسان من حواليه ففتح مالك عينيه فراي عنترة بين يديه وهو يبكي عليه فاراد ان يتكلم فلم يقدر من شدة الالم فاوما اليه بيده مظهراً لهُ اشارة الوداع وهو في حالة النزع فاشتد بعنترة الحال واحترق قلبة بنار الاشتعال واذا بزوجته قد خرجت من بين المضارب وهي مكشوفة الراس منشورة الذوائب وحولها جماعة من الاهل والقرائب ولما وصلت اليه القت روحها عليه فضمتهُ الى صدرها وقد حارت في امرها وانشدت تقول من فواد متبول

ابكيك لا للنعيم ولا للبؤس　　بل للمعالي والسيف والترس
ابكي على سيدٍ فجعتُ بهِ　　ارملني يوم صبحة العرس

قال مجد بن هشام وما انتهى من هذا الكلام حتى قضى مالك نحبهُ ولحق ربهُ فشده عنترة بعمامته على ظهر الحصان وطلب بهِ حي بني عبس وعدنان وهو لا يصدق بالوصول الى الديار لما في قلبه من لهيب النار ولما تبطن الروابي والتلال انشد وقال

ألا ياغرابَ البين في الطيران　　اعرني جناحًا قد عدمت بناني
ترى هل علمتَ اليوم مقتل مالكٍ　　ومصرعهُ في ذلةٍ وهوان
فان كان حقًا فالنجوم لفقده　　تغيب ويهوى بعده القمران
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس　　ولا كان يومٌ فيهِ حلَّ رهان
لقد كان يومًا اسود الليل عابسًا　　يخاف لداه طارق الحدثان
فلله عينا من راى مثل مالكٍ　　عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ　　وليتهما لم يرسلا لرهان
وليتهما كانا جميعًا ببلدةٍ　　واخطاهما قيسٌ فلا يريان
فقد جلبا حينًا وحربًا عظيمةً　　تبيدُ سراةَ القوم من غطفان
وقد جلبا حينًا لمصرع مالكٍ　　وكان كريمًا ماجدًا الهجان
وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها　　ويطعن عند الكر كل طعان
بهِ كنت اسطو حينما جدّت العدى　　غداة القنا تحوي بكل يدان

فقد هدَّ ركني فقده ومصابه — وخلى فؤادي دائم الخفقان
فوالله لا زالت جفوني قريحة — عليه بدمع زائد الهطلان
ولا زلت في همٍّ مقيم وفكرةٍ — ولا زال قلبي زائد الاحزان
الى ان ارى يوماً عظام حذيفةٍ — مقسمةً والطير منهُ داني
فوا اسفا كيف انثنى عن جواده — وما كانَ سيفي عندهُ وسناني
رماه بسهم الموت رامٍ مصممٌ . — فيا ليتهُ لما رماه رماني
فسوف ترى ان كنت بعدك باقياً — وامكنني دهرٌ وطول زماني
وأُقسم حقًا لو بقيت لنظرة — لقرت بها عيناك حين تراني

قال الراوي ثم انهُ جد في قطع البيداء حتى وصل الى الاحياء وهو في قلق عظيم وغم جسيم وكان قد اصاب اخوة مالك مثل ذلك فالتقاهم الملك قيس وباقي الاصحاب بالبكاء والانتحاب وقد استعظموا المصاب ومزّقوا ما عليهم من الثياب ومن خلفهم النساء والبنات الكواعب الاتراب وامهُ تماضر تدق على صدرها وقد حارت في امرها الى ان وصلت الى ولدها وهو معارض على ظهر الجواد فحضنتهُ وصاحت حتى فتتت الاكباد ولطمت النساء من حولها واقلبن الارض بالنواح والتعداد هذا وتماضر تبكي من فواد متبول وهي ترثي ولدها وتقول

كأنَّ العين خالطها سناها — لغيبتكم فلم تطعى كَراها
أعلى ولدي وزين الناس طرًّا — اذا ما النار لم ترمن صلاها
لئن حزنت بنو عبس عليهِ — فقد فقدت بنو عبس فتاها
فما للضيف ان هبت شمالٌ — مزعزعةٌ يجاوبها صداها
لسيدكم وحاميكم تركتم — على الغبراء منهدم رحاها
ترى الشمّ الجحاجح من بغيض — تبدد جمعها يوماً راها
فيتركها اذا اضطربت بطعن — وينهبها اذا اختلفت قناها
حذيفة لا سقيت من الغوادي — ولا روّتكَ هاطلة نداها
كما افجعتني بفتىً كريم — اذا وُزنت بنو عبس وفاها
فدمعي بعده ابدًا هطول — وعيني دائمٌ ابدًا بكاها

قال الراوي فلما سمعت الناس منها هذه الابيات ارتفعت منهم الضجات وثارت فيهم النخوات واراد قيس ان يدفن الامير مالكاً فما امكنتهُ امهُ من ذلك بل قالت لهُ اصبر الى الصباح

حتى اشبع عليهِ من البكاء والنواح وبعد ذلك اسير بنفسي الى بني فزارة الطائفة الغدارة واطالبهم بثار ولدي ومهجة كبدي فقال لها قيس وقد عظم الامر عليهِ هذا شيء لا نحوجك اليهِ ولا نمكنك من المسير الى ديار الاعداء لان النساء لا يشفي غليلهن الا الفرج والبكاء واما نحن فسيوفنا حداد ورماحنا مداد ورجالنا شداد وابطالنا انجاد وانا اقسم برب العباد لا قعدت عن ثار اخي حتى افني بني بدر جمعا واقتل حذيفة واخوته واقلع اثارهم قلعًا ثم انهم عادوا الى المضارب وعلا الصياح من كل جانب وبدبت النوادب وواظبوا على البكا والاحزان ولم ياخذهم عن مالك صبر ولا سلوان

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من حذيفة بن بدر المجبول بالمكر فانهُ عاد الى الديار عند اقبال النهار وليس معهُ من رجالهِ الا القليل لانهُ من فرحه بقتل مالك تركهم امام عنترة بحالة الذل والتنكيل ولما وصل التقاه سنان بن ابي حارثة لانهُ كان في انتظاره وهو الذي دبر هذا التدبير وترك الارصاد على بني عبس حتى جرى من القصة ما كان ولما اشرف حذيفة التقتهُ الابطال والفرسان من جملتهم الربيع بن زياد وسنان فسالوه عن حالتهِ وما جرى لهُ في سفرتهِ وقال لهُ سنان ما فعلت في ذلك الامر الذي دبرنا قال قدرنا على الطير وصدناه فقال وبعد صيدهِ قال ذبحناه فتغطى هذا القول على الربيع من دون الجميع فتعجب منهُ وعلم انهُ سر مكتوم عنهُ فقال لحذيفة ما معنى هذا الكلام اخبرني ايها الخل الوفي اتخفون عني امرًا وتكتمون عني سرًّا فقال حذيفة لا بد ان نخبرك بذلك فاعلم اننا قد قتلنا ابن سيدكم الامير مالك فلما سمع الربيع هذا الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام وقال لقد اسرفت يا ابن بدر في ارتكاب هذا الامر فوحق من اوسع البيد وامر البحر بعد هيجانهِ ان يهدا ما كانت قتلتهُ الا ميشومة عليكم وعاقبتهُ مذمومة لديكم فقال حذيفة والله يا ابن زياد ما كان التشوم الا حولك وحول بني عبس الاوغاد فوحق ذمة العرب الكرام لولا ما بيننا من حرمة الجوار والذمام لكنت طيرت راسك بهذا الحسام يا ابن اللئام وانا اقسم برب الانام ان بقيت عندنا اكثر من ثلثة ايام اسقيتك كاس الحمام فارحل عنا وكن من حرب قومك ومتى التقينا بظهر لك شوم قولك ولومك ثم انهُ لوى عنان الجواد وطلب ابياتهُ وهو يشتم الربيع بن زياد واما الربيع فانهُ عاد الى مضربه وهو يبكي من شدة ما حل بهِ ولما وصل الى الخيام حدث اخوتهُ بما جرى على التمام وقال لهم هذا جزاء من يترك الاهل والاقرباء ويلتجئ الى الغرباء فوالله لاذكرنَّ حذيفة بهذه الفعال ولاتركنهُ يندم على هذا المقال ثم انهُ صبر حتى اظلم الليل وطلع نجم سهيل فركب مع اخوتهِ ومن يتعلق بهِ من اهلهِ

وعشيرته وقصدوا ديار بني عبس فوصلوا اليها عند طلوع الشمس فرأوا الدنيا مقلبة بالصياح والعويل والنواح وسائر بني عبس في جوانب البر وقد وضعوا الامير مالكًا في القبر فمزّق الربيع ثيابهُ وقد زاد بكاؤُهُ وانتحابهُ وقال يالها من مصيبة قد فتتت الاكباد واشمتت بنا الاعادي والحساد ونائبة جلّت عن النوائب وسوّدت سائر الجهات والجوانب ونكبة كلّت عن حملها المناكب فوالله لقد انفلّت مضارب سيوفنا القواطع وانهدمت اركان حصننا الموانع واصبحت الدنيا من احبابنا بلاقع ونقرحت الجفون بفيض المدامع ثم انهُ بكى من فواد متبول وانشد يقول

يالها من رزيّةٍ لاترامُ ومصاب حارت بهِ الاوهامُ
ياجفوني عساكِ أن تسعديني بالبكا فالكرى عليكِ حرامُ
ساعديني فقد فقدتُ غلامًا ليس تسخي بمثلهِ الايامُ

قال ثم ان قيسًا اعتنق الربيع وبكى واعتذر اليهِ وشكا وبعد ذلك رجعا الى المضارب والخيام ولما اظلم الظلام دسّ قيس الى الربيع امةً لهُ يقال لها رعية بنت سريع لكي تنظر الى اعمالهِ وتقف على حقيقة احوالهِ فدخلت بين ابياتهِ في الحال واختبأت بين حدائج الجمال واذا بزوجتهِ قد عرضت لهُ فدفعها وقال أبعد مقتل مالك ترجو النساء ان تلد مثلهُ ثم خنقتهُ العبرة وزادت عليهِ الحسرة فانشد وقال

منع الرقادُ فما اغمض حاري من حادثِ النبإِ العظيم الساري
أفبعدَ مقتل مالكِ ابن زهير ترجو النساء عواقبَ الاطهارِ
ما ان ارى في قتلهِ لذوي النهى الا المطيَّ تُشدُّ بالاكوارِ
ومسارعًا صدأ الحديد عليهمِ فكأنما تطلى الوجوه بقارِ
من كانَ مسرورًا بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتنا بصدرِ نهارِ
يجد النساء حواسرًا يندبنهُ يلطمنَ اوجههنَّ في الاسحارِ
قد كنَّ يخبأنَ الوجوهَ تستّرًا فاليوم حين بدونَ للنظّارِ
يضربنَ حرّ وجوههنَّ على فتى عفّ الشمائلِ طيّب الاخبارِ
رحب الذراع صميدعٍ ذي نجدةٍ حامي الحريم وكاشفٍ للعارِ
واذا اعتصمت بهِ اعتصمت بفارسٍ ماضي العزيمة كالعرينِ الضاري

قال نجد بن هشام فلما سمعت الجارية هذا الشعر والنظام خرجت تحت جنح الظلام وسارت الى ان دخلت على قيس مولاها وحدثتهُ بحديث الربيع بن زياد وما جرى بينهُ وبين

زوجه من الايراد ففرح قيس وطاب منهُ الفواد

قال سعيد بن مالك وكانت بنو فزارة بعد قتل الامير مالك غزت بني غراب واخذوا ما وصلت يدهم اليهِ من الاموال والثياب وبعد ذلك بثلاثة ايام راى عنترة الامير مالكًا في المنام وهو يقول لهُ يافارس عدنان نمت عن اخذ ثاري نوم الامان ونسيت ما كان بيني وبينك من قديم الزمان وقد نهبت بنو فزارة نوقي وجمالي وثيابي واموالي وشتتوا شمل اصحابي فلما سمع عنترة ذلك الخطاب انتبه من منامهِ كانه المجنون المصاب وقد هانت عليهِ المصائب وسار الى بني فزارة تحت ظلام الغياهب وخلص الاموال وقتل جماعة من الابطال وعاد الى الاطلال واعلم الملك قيس بتلك الاحوال واقام عنترة بعد ذلك في الديار وهو في غاية القلق والافتكار لا يهدا لهُ بال ولا يقر لهُ قرار حتى ياخذ بالثار ويكشف عن بني عبس العار . قال نجد بن هشام واتفق بعد ذلك بخمسة ايام ارسلت عبلة امتها خميسة الى عنتر تقول لهُ اعلم يافارس ربيعة ومضر ان لي مدة من الزمان وانا مواظبة على البكاء والاحزان حتى ضاق صدري وتضعضعت مني الاركان واريد ان اخرج في هذه الليلة مع جماعة من بنات عمي الى الغدير لاجل النزهة والتسيير لعل ان تخف همومي واحزاني واشتهي منك ان تخرج وترعاني خوفًا من وقوع الاسباب التي لم تكن في الحساب فلما سمع عنترة من خميسة هذا الخطاب نزل على قلبهِ احلى من الجلاب واستراح فوآده بعد ما كان متعبًا فاجاب بالسمع والطاعة وعادت الامة الى عبلة من تلك الساعة واعلمتها باجابة عنتر فزال عنها القلق والضجر ولما كان المسا اخذت جماعة من بنات عمها الابكار اللواتي كانهن الاقمار وخرجت بهنَّ الى الغدير وهي كانها البدر المنير . قال الراوي واعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التي تروى وتذكر ان عمارة بن زياد كان قد ترك على عبلة العيون والارصاد فلما بلغهُ ذلك الخبر فرح واستبشر وايقن بنوال القصد وبلوغ الوطر ثم انهُ تزيى بزي النسوان وقصد ذلك المكان فلما راى عبلة وهي كانها القمر اشتد بهِ جواه وغلبهُ هواه فهجم عليها وقبلها بين عينيها فتبدل سرورها بالتراح وعلا من البنات الصياح وكان عنترة قد اكمن بالقرب من ذلك المكان فلما سمع الصياح وابصر ما كان وثب وثبة النمر الحردان الى ان وصل الى عمارة القرنان فقبض على اذيالهِ وجذبهُ جذبة الاسد الغضبان فالقاه على بساط الارض وقد رضت عظامهُ اي رض فغاب عن صوابهِ ولما نظر عنترة الى حالهِ قال لهُ قم يا نذل فوالله لولا حرمة ما بيننا من الذمام لكنت قطعت راسك بهذا الحسام فلما سمع منهُ هذا الكلام التهب فوآده واشتعل واوشك ان يذوب من شدة الخجل هذا وقد تضاحكت عليهِ البنات وبعد ذلك

رجعن الى الابيات واقام عمارة في ذلك المكان الى وقت السحر وقد جرى على قلبهِ ما لم يجر على قلب بشر لانهُ خاف من الفضيحة والسمعة القبيحة فنهض واغتسل ورجع على عجل ودخل على امهِ واخوتهِ وحدثهم بقصتهِ فقال لهُ الربيع ما الذي احوجك الى هذه الفعال فوالله لقد تركتنا مثلاً بين الرجال قال عمارة اني لاعدت اخرج من المضارب ولا يراني ماش ولا راكب حتى ناخذ بثاري ونكشف عاري لاني وحق خالق البشر ان الموت الاحمر كان اهون عليَّ وايسر من ان تراني عبلة في حالة المذلة وهي تستهزئ بي وتصفق بكفها والبنات يضحكن عليَّ وينظرن بعين النقصان اليَّ فتبسم الربيع من هذا المقال وتغيرت منهُ الاحوال وقال من الصواب ان تكتم هذا الحال فقال عمارة واحسرتاه وقلة ناصراه ثم انهُ خرج من المضارب وقلبهُ من شدة الحزن لاهب . قال الراوي وشاع هذا الحديث في الحلة وتسامعت بهِ الناس بالجملة فضحكت على عمارة النساء والبنات وقالت فيهِ بعض النسا هذه الابيات

عمارة دَع هوى الخود الرداحِ ودَع عنك التعرُّض للملاحِ
فلا تطمع بعبلة ان تراها ترى الاهوال من ليث الكفاحِ
فلا البيضُ الصحاحُ تصل اليها لسطوتها ولا سمر الرماحِ
وقد اطمعت نفسك في هواها واملأت البراري بالنواحِ
وما زال اللجاجُ عليك حتى ملأْتَ نقا ثيابك بالسراحِ
واضحكت البنات عليكَ جمعًا واتتنت الروابي والبطاحِ
وصرت لكلّ من يصغي حديثًا وهزءًا في المساء وفي الصباحِ
فانت اذلُّ من ركب المطايا واجبنهم من القوم الشحاحِ

قال الراوي وشاعت هذه الابيات بين الابطال والسادات وتناشدتها النساء والبنات وعمارة يسمع باذنيهِ وقد عظم ذلك الامر عليهِ

قال نجد بن هشام وفي تلك الايام ارسلت المتجردة الى اخيها قيس كتاب مع نجاب تقول لهُ اعلم يا اخي ان النعمان قد ارسل اليكم اخاه الاسود بعسكر كثير العدد فكونوا في غاية الحذر على قتال هذا العسكر قال وكان السبب في هذه الحادثة الرسل الذي كان قد انفذهم سنان بن ابي حارثة لانهم لما دخلوا على النعمان واخبروه بان الحارث بن ظالم عند بني عبس وعدنان وان قيسًا قد اجاره واعطاه الذمام وكذلك عنترة قد تجاسر في الكلام وقال لو طلبهُ كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان لما سلمتهُ اليهِ ولا مكنتهُ ان يراه بعينيه ولا بد لي من ان اقيم الحرب على ساق وقدم وافني العرب والعجم ولا ابالي

باحد من الامم واذبح الجميع ذبح الغنم فلما سمع النعمان هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام واحضر اخاه الاسود واعلمهُ بما جرى وتجدد فقال لهُ الاسود اعلم يا اخي ان هولاء القوم قد طمعوا في دولتنا واستخفوا بهيبتنا والصواب ان تدهمهم بالعساكر وكثرة الابطال والدساكر واسير انا اليهم واضيق جوانب الارض عليهم واتركهم عرضةً للسيوف وفريسةً لانياب الحتوف لان جميع العرب قد اصبحت اعداهم وهم يتمنون موتهم وفناهم فلما سمع النعمان من اخيهِ هذا الكلام استبشر ببلوغ المرام وامر النجابة ان تسير الى قبائل العربان وتامرهم بالمسير مع اخيهِ الاسود الى قتال بني عبس وعدنان وفي دون عشرة ايام اجتمع نحو اربعين الف عنان من الرجالة والفرسان وكان من جملة مقدمي العساكر لقيط بن زرارة وملاعب الاسنة فارس بني عامر فركب الاسود في ذلك الجيش الجرار وطلب حي بني عبس وتلك الديار قال الراوي . ولما وقف قيس على حقيقة الخبر اخذه القلق والضجر واجتمع بعنترة بن شداد ومن يعتمد عليهم من السادات والقواد واعلمهم بواقعة الحال واستشارهم في امر القتال فلما سمعوا كلامهُ وفهموا قصده ومرامهُ قالوا ليس في الامر الا لقاء الاعداء ولو كانوا بعدد رمل البيداء فلما سمع الحارث بن ظالم هذا المقال التفت على قيس وقال اني انا المطلوب ومن اجلي ثارت هذه الفتن والحروب وعليَّ يجب كشف الكروب فقال عنترة من الصواب ايها السادة الانجاب ان نسير الى بني فزارة الطائفة الغدارة ونسبي الحريم والعيال ونرسل فيهم جوارح النهب والاستئصال قبل ان يشغلوا قلوبنا عند الحرب والقتال فاستصوب قيس هذا المقال ومن حضر من الرجال ثم ان قيسًا ركب في عاجل الحال وركبت معهُ الفرسان والابطال وساروا تاركين الديار وهم في اربعة الاف فارس كرار والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر وفي دون ساعة وصل الخبر الى حذيفة بن بدر فعظم عليهِ ذلك الامر وركب في خمسة الاف فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس وجد في قطع القفار وفي قلبهِ من بني عبس لهيب النار الى ان التقى بهم بذي المريقب وهو تل مشهور كثير الاحجار والصخور ولما وقعت العين على العين ارتفع الصياح من الطائفتين والتفت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وانتشب بينهم القتال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وارتفع الغبار من كل جانب حتى عاد النهار مثل الغياهب واظهر عنترة الاهوال والعجائب وطير الرؤوس عن المناكب وسطا سطوة من لا يخاف العواقب ولا يفزع من حلول النوائب فيالهُ من يوم عبوس لعبت فيهِ الخيل بالرؤوس وطلبت الموت النفوس وكرهت الدروع والملبوس وعجزت عن حمل السيف والدبوس ولم تزل المكافحة بينهم قائمة ونار الحرب

دائمة الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فافترقوا عن بعضهم البعض وباتت كل طائفة منهم في ناحية من الارض وكانت بنو فزارة قد خسرت غاية الخسارة وقتل منها نحو الف فارس من كل ليث عابس ومن شدة ما جرى على حذيفة استدعى بسنان واستشاره في ذلك الشان فقال له يا ابن بدر اني كنت خائفاً عليك من عواقب هذا الامر وقد نهيتك عن قتال بني عبس وعدنان لحين قدوم عساكر النعمان وما بقي في الامر الا القتال والثبات في مواقف الاهوال

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضأ بنوره ولاح ركبت الابطال الخيول وتقلدت بالنصول وتقدم حذيفة الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان وصاح على بني عبس وقال اعلموا ايها السادات والابطال ان للقبيلة عليّ حقاً لا اضيعهُ واحسن الناس من اهتدى للحق واتبعهُ اننا سادات آل بدر اصحاب النهي والامر الذين اشتهروا بالجود والكرم وانتشر صيتهم بالفضل بين العرب والعجم وقد عادانا الزمان ورمانا بسهام الحدثان واما انتم فقد اسعدتكم الايام واقبلت عليكم بالعز والاكرام وقتلتم منا ابطالاً وسادات قد اتصفوا بالفضل والكرامات وقد انقضى فيهم الامر وفات ونريد الان ان نحفظ من بقي منا من الاهل والقرائب والاصحاب والحبائب فاخرجوا لنا اولاد الملك زهير حتى نتقارع بالسيوف بين هذه الصفوف فكل من ظفر منا بصاحبه بلغ غاية الارب ونال اعلى الرتب وان لم تجيبونا الى هذا الطلب اطلقنا اعنة الخيل وسرنا تحت ظلام الليل وقصدنا قبائل العربان وتركنا لكم الاموال والنسوان وجمعاً عليكم الابطال والفرسان . ثم انهُ بعد هذا الكلام طلب العراك والصدام فالتقاه قيس بقلبٍ قوي وجنان جري فلما ابصر عنترة تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال وتقدم الى قيس وقال ما هذه الفعال ايها السيد المفضال فوحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والاجال ما ادعك تخرج انت واخوتك الى هولاء الانذال ولا اسمع فيكم كلام العذال واني انوب عنكم في امر القتال فقال قيس يا ابا الفوارس ليس في شجاعتك من خلاف ولكني لا اريد ان اعدل عن طريق الانصاف وادع العرب تقول ان اولاد الملك زهير قد اكتفوا بعنترة في كل ملمة وضير واريد منك ان تقبل سوالي في قتال الاعادي حتى اشفي منهم غليل فوادي لاني اعلم انك اذا برزت اليهم ما يقاتلونك بل يعيبون نسبك ويشتمونك ويحجون عليك بالعبودية ويعيرونك فلما سمع عنترة كلام قيس تاخر واضمر في نفسهِ انهُ اذا راى احداً من اولاد الملك زهير قد رجع وتقهقر يحمل ويعيثهُ على بني بدر ويركب معهم مركب الغدر ثم حمل قيس مع باقي اخوتهِ وكذلك فعل حذيفة مع من يلوذ بهِ من عايلتهِ ولما

تقابل الفريقان صاحت الابطال والفرسان وتقدموا للضراب والطعان . واذا بمشايخ بني فزارة قد خرجت الى معركة الصدام وهم مكشوفو الرؤوس حفاة الاقدام وبين ايديهم الشيخ الكبير المعتمد لخدمة الاصنام وهو ينادي عن فرد لسان واذل بني فزارة وذبيان واحسرتاهُ على بني عبس وعدنان بالله عليكم ايها السادة الامجاد ترك البغي والعناد ولا تقطعوا ما بيننا من الانساب باللجاج والكياد ولا تشمتوا بنا الاعداء والحساد ولا تعجلوا على قلع اثاركم بالسيوف الحداد فكانكم بمنادي الموت قد اتاكم وسهام الحمام قد وافاكم فايقظوا انفسكم قبل الفوات واغمدوا سيوف البغي فانها اقطع من المرهفات وانظروا كم اهلك اللجاج قبلكم من الامم وكم طحن الدهر من اولاد ادم وبعد ذلك فما ندعكم ان تقتتلوا بعضكم البعض وتهرقوا دماءكم على وجه الارض ثم قبض كل واحد منهم عنان فارس من الفرسان وردهُ عن الضرب والطعان واضطرّوهم الى الصلح والامان وخوفوهم من عواقب البغي والعدوان فامتثل الملك قيس الى ما فعلوه واجابهم الى ما طلبوه وقال لهم قد اجبت سوالكم وامتثلت مقالكم ولكن بشرط اشرطهُ عليكم في الاول يكون عليهِ المعوّل قال سنان ما هو الشرط ايها السيد الكريم والملك العظيم فقال قيس يعطينا حذيفة رهائن من اولاد السادات والفرسان تكون عندنا تحت الحفظ في الاوطان الى ان تنفصل ونتنا مع الملك النعمان وبعد ذلك نطلقهم بامان . قال نجد بن هشام فلما سمع سنان من قيس هذا الكلام اجابهُ الى ذلك المرام خوفًا من ضرب الحسام ورجع في الحال واجتمع بحذيفة ومن معهُ من الرجال وقال لهُ ايها السيد المنتخب اجب قيسًا الى ما طلب والا حل بنا الدمار وتفرّق شملنا في سائر الاقطار ثم انهُ جمع بينهُ وبين قيس وحلفا لبعضهما البعض وعادت القبائل من تلك الارض . قال وما اجاب قيس الى صلح بني بدر الا خوفًا من عواقب البغي والغدر وكان عنترة بن شداد قد رجع مع الملك قيس وهو غير طيب الفواد لانهُ لا يريد ان يخالف اولاد

الكتاب السادس والثلثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

الملك زهير في امر من الامور ورجع حذيفة الى بني فزارة وهو مذلول مقهور ثم انهُ جمع الاولاد الذي وقع عليهم الشرط وقد عظم عليهِ ذلك الامر لانهُ لم يكن يخطر في فكرهِ قط وكانوا نحو مائتين وعشرين من ابن عشرة الى ابن عشرين وانفذهم الى الملك قيس وكانوا كالبدور

الاهلة والهودج فلما اقبلوا الى خي بني عبس اخلى لهم الملك قيس مكاناً لطيفاً في جانب الحلة ورتب لهم الرواتب واقام عليهم التوكيل فطابت قلوب بني عبس من هذا القبيل

قال مجد بن هشام . وبعد ذلك بثلاثة ايام بلغهم الاخبار من بعض السفار بقدوم الملك الاسود الى تلك الديار وانه قد اتى ليقلع منهم الاثار ويبيع اولادهم ونساءهم في اقصى بلاد اليمن ولا يترك منهم من ياكل الزاد ويشرب اللبن فلما سمع الملك قيس هذا الخبر اخذه القلق والضجر وقال ساء قالة وخزي مقالة فوحق السميع العليم لاتركنه بين الخيام مع الحريم يطحن الحنطة والشعير ولو جمع علينا كل من في الارض كبيراً مع صغير ثم انه في ساعة الحال انفذ خلف عنترة والحارث بن ظالم وباقي الابطال واستشارهم في امر القتال فقال الحارث وحق ذمة العرب وشهر رجب لاسار الى قتال هولاء الانذال الا انا في عشرة من الابطال فلما سمع عنترة من الحارث هذا المقال قال لابد ان نكون جميعنا يداً واحدة ونبذل نفوسنا بين يديك في المساعدة والمكافئة والمجاهدة ونضرب بالسيوف حتى لا يبقى منا نسمة واحدة ثم انه بعد ذلك الكلام التفت الى الملك قيس وقال له الى متى هذا الانتظار وعساكر الاعداء قد صارت بقرب الديار فهلم بنا حتى نقلع فروعهم واصولهم قبل ان يطأوا ارضنا بحوافر خيولهم فقال قيس اصبر حتى نحترز على الاولاد والعيال كي لا يبقى عليهم لنا مجال ولا يمكنهم الوصول الينا بحال من الاحوال واريد ان ارسل لبني غطفان ومن جاورهم من الاصدقا والخلان واطلب منهم المساعدة والامداد واتركهم لحفظ الحريم والاولاد لاني خائف عليهم من حذيفة بن بدر ان يرجع الى المكر والغدر ويغتنم خلو الديار ويفعل بهم ما يحب ويختار ولا سيما وقد صالحنا في هذه المرة من تحت شفار السيوف واعطانا رهائن خوفاً من شرب كاسات الحتوف ثم ان قيساً انفذ من وقته الى بني غطفان يامرهم بالمسير اليه بالابطال والفرسان وكذلك ارسل الحارث بن ظالم الى قومه رجلاً من الابطال يدعوهم الى القتال والنزال ويخبرهم بواقعة الحال وكيف ان عساكر النعمان قد حدث في طلبه من كل مكان وكان له في بني مرة فوارس واعوان واصدقاء وخلان وله اخ يقال له قسورة قد اتصف بالشجاعة والمقدرة وكانت العرب تسميه الفتاك وتسمي الحارث الهتاك فكتب اليه الحارث ولج عليه في السوال وقال له لا تدع يا اخي في القبيلة احداً من الرجال الا وتاتي به في عاجل الحال

قال مجد بن هشام وبعد ذلك بثلاثة ايام اقبلت طائفة بني غطفان في ثلاثة الاف عنان فتلقاهم الملك قيس بالاحترام والتوقير واكرم الكبير منهم والصغير ثم انه انتخب منهم الف رجل من الابطال وفي مقدمتهم ابن اخت عنترة الهطال وترك الالفين لحفظ الحريم والعيال

تحت لواء حازم بن سنان احد سادات بني غطفان وسار الملك قيس طالب ارض العراق وتلك المعالم والافاق وهو في خمسة الاف فارس عبسية من اهل الشجاعة والحمية والكل بالدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح السمهرية والخيول العربية وفي اوائلهم فارس الطراد وحية بطن الواد القادح النار من غير زناد الامير عنترة بن شداد والى جانبهِ عروة بن الورد والحارث بن ظالم الفارس الفرد . قال الراوي هذا ما كان من بني عبس وعدنان واما ما كان من الاسود اخي النعمان فانهُ كان قد سار من عند اخيهِ في ثلاثين الف عنان من الابطال والفرسان وما زال مجدًّا في مسيره الممدود الى ان وصل الى وادي الاخدود فاجتمع حولهُ من سكان تلك الديار عشرة الاف فارس كرار فسار في اربعين الف من الابطال الذين تضرب بهم الامثال ولما اقترب من الانبار وعول على النزول في تلك الديار واذا باوائل الجيش قد اضطرب وماج ووقع فيهِ الصياح والارتياح فوقفت الابطال وتراعقت الرجال فاندهش الملك الاسود وتحير وسال عن الخبر فقالوا ايها السيد الخطير قد ظهر علينا اسد بقدر الثور الكبير هايل المنظر يطيرُ من عينيهِ الشرر فلما سمع الاسود هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال لهم يا ويلكم ما هذه المصيبة التي اصابتكم كلكم امن اجل اسد اضطرب جمعكم وارتعد وهو كلب من كلاب البر فكيف يكون حالكم اذا التقيتم بفحول الفرسان في معامع الطعان ثم انهُ تقدم اليهِ فراه يضرب بذنبهِ جنبيه وينهم نهماً لما راى الرجال تصيح عليهِ وشرار النار يطير من عينيهِ وهو كبير الراس اسود بسواعد مثل العمد ولهُ اظافر احد من الخناجر وانياب ومخالب امضى من القواضب فلما رآه الملك الاسود خاف وانذعر وصاح على باقي العسكر فسلت سيوفها وبادرت اليهِ وهجمت بالسيوف والرماح عليهِ فكسر بحطماتهِ رماحها وقتل اكثرها واعدمها ارواحها فرجعت عنهُ وهي تلطم بعضها البعض وتتواقع على وجه الارض فزاد الاسود الغيظ والحرد واراد ان يترجل اليهِ ويخاطر بمهجتهِ بن يديهِ واذ قد برز اليهِ غلام من بني بكر بن وايل يقال لهُ جراح بن فاضل فترجل عن ظهر الجواد وخلع عنهُ عدة الحرب والجلاد حتى بقي في قميص رفيع قصير قد نسج بالوان الحرير ثم هزَّ سيفهُ في يده حتى لاح الموت من افرنده وطلب الاسد بقلبٍ اقوى من الجلمد فاضطرب الاسد وتقدم وزمجر ونهم وانحط عليهِ انحطاط الصاعقة النازلة من السماء او حجر المنجنيق الذي لا يرد بعد ما يرمى فلما رأى الغلام قوى باعه وثبات ذراعه زعق بهِ زعقة عظيمة كانها الرعد القاصف او الريح العاصف وضربهُ بالسيف بين عينيهِ خرج من بين فخذيه فشطره شطرين ووقع على الارض قطعتين ثم انهُ عاد الى جواده ولبس آلة حربهِ

وجلادين [illegible] بجانب الملك الاسود قد داروا من حواليه واخذوه الى عند الملك واوقفوه بين يديه فسلم وخدم ودعا له ولاخيه النعمان بدوام العز والنعم فتعجب الاسود من فصاحة لسانه وقوة جنانه فاثنى عليه وقبله بين عينيه ثم سالهُ عن حسبهِ ونسبهِ واهلهِ وعربهِ فقال يامولاي انا من بني وايل واسمي جراح بن فاضل وما اتيت الى خدمتك الا لما سمعت بقوة عزمك وهمتك وانك طالب قتال بني عبس وعدنان ومن جاورهم من العربان فاتيت اليك حتى ابين شجاعتي بين يديك فلما سمع الاسود كلامهُ زاد ابتسامهُ وامر لهُ بالخلع السنية واجزل لهُ من المواهب والعطية فتبسم الغلام ورد الخلع والانعام فغضب الاسود وعظم ذلك الامر عليهِ وكبر لديهِ وقال لهُ كانك استخففت باحساني واحتقرتني بين ابطالي وفرساني فان كانت قليلة فانا اعطيك اضعافها من التحف الجميلة لان مالنا كثير وفضلنا عم الكبير والصغير فتبسم جراح وقبل الارض ووقف في مقام العرض وقال والله ياملك الزمان ونتيجة الدهر والاوان ما قل عندي عطاك ولست انا ممن يجحد فضلك ونعماك وانما ما فعلت شيئًا من عظيم الفعال استحق بهِ هذه الخلع والاموال لان قتل اسود الدحال لايخطر لي على بال ولا اريد ان يشاع عني هذا الخبر في قبائل ربيعة ومضر بان جراحًا قتل كلبًا من كلاب البرية واخذ عليهِ الجوائز السنية ولكني لا اخذ الجوائز الجياد الا بعد قتلي عنترة بن شداد فلما سمع الاسود هذا الكلام داخلهُ الطرب وانكشف عنهُ الهم والكرب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لئن وفيت بهذا الضمان قدمتك على ساير الابطال والفرسان وغمرتك بجزيل الاحسان ثم تاخر الغلام بعد ذلك الكلام وتقدم بعدهُ لقيط بن زرارة بخفة وشطارة وقال ايها الملك المويد ان هذا الغلام قد ضمن على نفسهِ قتل عنترة العبد الاسود الذي قد طغى وتمرد وانا اضمن لك اسر الملك قيس او قتلهُ مع سائر اخوتهِ واهلهِ ثم تقدم بعدهُ ملاعب الاسنة وضمن على نفسهِ اسر بني زياد وقتل ابطال ال قراد فطاب قلب الاسود بهذا الضمان وزالت عنهُ الهموم والاحزان ثم انهُ جدّ في قطع البراري والتلال الى ان وصل الى ارض يقال لها الكلال وهو مكان واسع كثير الغدران والمنابع فراى فيهِ خيامًا ومضارب وخيلاً وجنائب

قال الراوي وكان هولاء الفرسان من بني عبس وعدنان وكان لهم في ذلك المكان ثلاثة ايام وهم في انتظار عساكر النعمان لان قيسًا كان قد جد في المسير مع ابطال بني عبس المغاوير حتى وصل الى تلك الارض المزهرة فالتقى باخ الحارث الامير قسورة ومعهُ الف فارس من اهل الشجاعة والمقدرة وكان قد جاء بهذه الفرسان لمساعدة بني عبس وعدنان

على قتال عساكر النعمان فسلموا على بعضهم البعض واقاموا ثلاثة ايام في تلك الارض ·

قال محمد بن هشام وفي اليوم الرابع وصل الملك الاسود كما تقدم الكلام فركبت فرسان بني عبس الاطائب ظهور الجنايب واشهروا البيض الصفاح وهزوا في ايديهم قطع الرماح وطلبوا الحرب والكفاح ففرحت عساكر العراق بهذا الاتفاق وتقدموا بهمة وحمية طالبين قتال الطائفة العبسية فعند ذلك صاح الاسود على من حولهُ من النقباء والخدام وامرهم ان يردوا الناس عن ضرب الحسام حتى ينزل في الخيام ويستقر بهِ المقام وبعد ذلك يرسل الى قيس رسول ويسمع منهُ ما يقول فامتثلوا الى ذلك المقال وردوا الفرسان عن الحرب والقتال هذا وقد ضربت السرادقات ورفعت الازدهارات وامتلأت بالعساكر الاودية والغابات حتى ضاقت الارض بعد الاتساع وارتج من صحيح القوم البقاع وكثر في عين الجبان العدد وقل عند الشجاع كثرة المدد وما استقر بالملك الاسود النزول حتى انفذ الى الملك قيس رسول واصحبهُ بكتاب يتهدد قيساً بهِ بغليظ الخطاب ويقول لقد اسات الادب يا ابن جذيمة وارتكبت اموراً غير مستقيمة وذلك بخروجك عن طاعة اخي الملك النعمان سيد قبائل العربان وخليفة كسرى انوشروان واحتشادك لعدوهِ الحارث بن ظالم الفتاك الغاشم الذي استخف بعظمتهِ ورفعة مقامهِ ولم يقدر عواقب ايامهِ وقد نهاك مراراً فما انتهيت وما فعلت الا ما اشتهيت فان كنت تريد اصلاح حالك وسلامة فرسانك وابطالك سلم لنا الحارث الخائن الناكث قبل ان تضحي رجالك ممدودة على وجه التراب ومنازلكم مساكن للبوم والغراب وبعد فالسلام على من طاع ووافق والخيبة على من عصي وشاقق وكان اول من التقى بالرسول الامير عنتر لانهُ كان في اول العسكر فسار بهِ الى عند الملك قيس وسلم عليهِ واوقف الرسول بين يديهِ فاعطاه الكتاب فاخذه وقراه ولما وقف على حقيقة فحواه استشاط غضباً واضطرم فؤاده لهباً وقال للرسول ارجع الى مولاك وقل لهُ ان يزيل طمعهُ لان لابد لنا من هلاكهِ وهلاك كل من معهُ وكان عنترة قد ندم على عدم قتلهِ الرسول قبل الوصول فهم ان يضربهُ بالسيف ويسقيهُ كاس الحيف فمنعهُ الملك قيس عن ذلك واقسم عليهِ بتربة اخيهِ الامير مالك فرجع الرسول الى عند الملك الاسود وحدثهُ بما جرى وتجدد فزاد بهِ الغيظ والحرد وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ان هولاء القوم تجبروا وطغوا وتكبروا وما بقي في الامر الا مبادرتهم بالطعان حتى يروا باعينهم الذل والهوان

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الملك الاسود بكل فارس جحجاح ورفعت على راسهِ الاعلام والبيارق وسلت من حولهِ السيوف البوارق وعوّل ان يصف

عساكرهم وبرعبهم نساكره فيا لمهلكة فرسان بني عبس لانها كانت قد ركبت عند طلوع الشمس وطلبت الحرب والجلاد وفي اوائلها الحارث بن ظالم وعنترة بن شداد هذا وقد تصايحت ابطال العراق واقلست بصياحها الافاق واحاطت ببني عبس من سائر الاطراف وتساوت العبيد والاشراف وحمل لقيط بن زرارة وملاعب الاسنة في بني عامر وتلاطمت ببعضها البعض العساكر واختلط الاخر بالاول والاول بالاخر وعملت السيوف البواتر في الضلوع والخواصر وفتحت ابواب المقابر وارتفع الغبار من وقع الحوافر وبان الرابح من الخاسر فلله در عنترة بن شداد والحارث بن ظالم وفرسان آل قراد فانهم فرقوا المواكب والصفوف والتقوا بصدورهم الاسنة والسيوف واوردوا اعداءهم موارد الحتوف لان هجماتهم كانت اشد من هجوم الذئاب وعنترة فيهم كانه اسد الغاب ولولا كثرة العدد وتزايد المدد لما كان بقي احد من عساكر الملك الاسود وما انتصف النهار حتى حير عنترة بفعاله الابصار وقتل منهم كل ليث مغوار وبطل كرار وعاد هو واعمامه وقد اروى من دمائهم حسامه ورجع الحارث واخوه قسورة بعد ما فتكا في الميسرة ونزلوا في المضارب والخيام ورجع الاسود عن معركة الصدام وهو لا يلتفت الى احد من الايام لانه ابصر من قتال بني عبس ما يحير العقول ويعيد النواظر الصحيحة حول ولما استقر بعنترة النزول تذكر ما جرى له في ذلك اليوم المهول فانشد يقول

عجبت عبيلة من فتىً متبذّل ... عاري الاشاجع شاحب كالمنصلِ
شعث المعارف ناهج سرباله ... لم يدّهن حولاً ولم يترجلِ
لا يكتسي الاّ الحديد اذا اكتسى ... وكذاك كلّ مغاور مستبسلِ
قد طال ما لبس الحديد وانما ... صدأ الحديد بجلده لم يغسلِ
فتضاحكت عجبًا وقالت يا فتىً ... لا خير فيك كانها لم تحفلِ
فعجبت منها حين زلّت عينها ... عن ماجد طلق اليدين شمردلِ
لا تصرميني يا عبيل وراجعي ... في البصيرة نظرة المتاملِ
فلربّ املح منك دلاً فاعلمي ... واقرّ في الدنيا لعين المجتلي
وصلت حبالي بالذي انا اهله ... من ودّها وانا رخيّ المطولِ
يا عبل كم من غمرة باشرتها ... بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
فيها لوامع لو شهدت زهاءها ... لسلوت بعد تخضب وتكحّلِ
اما تريني قد نحلت فمن يكن ... غرضًا لاطراف الاسنة ينحلِ

ولربَّ ابلجَ مثل بعلك بادنٍ ضخمٍ على ظهرِ الجواد مهبَّلِ
غادرتهُ متوسدًا اوصالهُ والقوم بين مجرَّحٍ ومجدَّلِ
فيهم اخو ثقةٍ يضاربُ نازلاً بالمشرفيّ وفارسٍ لم ينزلِ
ورماحنا تكف النجيع صدودها وسيوفنا تخلي الرقاب فتختلي
والهام تدرج في الصعيدِ كانما تلقي السيوف بها رؤوس الحنظل
ولقد لقيتُ الموت يومَ لقيتهُ متسربلاً والسيف لم يتسربلِ
فرأيتنا ما بيننا من حاجزٍ الاَّ المجنُّ وفصل ابيض فيصلِ
ذكرٌ اشقُّ بهِ الجماجم في الوغى واقولُ لاشلّت يمين الصيقلِ
ولربَّ مشعلةٍ وزعتُ رعالها بمقلّصٍ نهد المراكل هيكلِ
سلسُ المعذّرِ لاحقٌ اترابهُ متقلبٌ عبثًا بفاس المسحلِ
وكأنَّ هاديهُ اذا استقبلتهُ جذعٌ اذلَّ وكانَ غير مذللِ
وكأنَّ مخرجَ روحهِ في وجههِ سربان كانا مولجين لجيألِ
وكأنَّ متنيهِ اذا جردتهُ ونزعت عنهُ الجلَّ متنا آيلِ
ولهُ حوافر موثقٌ تركيبها صمُّ النسور كانها من جندلِ
ولهُ عسيبٌ في سبيبٍ سابغٍ مثل الرداء على الغني المتفصلِ
سلسُ العنانِ الى القتالِ وعينهُ قبلاء شاخصة كعين الاحولِ
وكأنَّ مشيتهُ اذا نهنهتهُ بالنكل مشية شاربٍ مستعجلِ
فعليهِ اقتحم الوقيعة خائضًا فيهِ وانتض انقضاض الاجدلِ

قال نجد بن هشام ولما نزل الاسود في الخيام استدعى بالفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال ووبخهم على تقصيرهم في القتال فقال لقيط ايها الملك لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فليلة غدٍ تبيت اعداك في اسرك وتنال غاية المراد من عنترة بن شداد لان الفرسان الذين ضمنوا لك اسر ابطال بني عبس وعدنان لم يبرز احد منهم الى معركة الصدام بل ابقوا انفسهم الى تالي الايام حتى يظهروا شجاعتهم امامك ويبانوا خدمتك وانعامك ومن الصواب ايها الملك المهاب انك غدا تصباح تنهي القبائل عن الحرب والكفاح حتى تبرز الفرسان والقواد الذين عليهم الاعتماد وحينئذٍ ترى منهم ما يسر الفؤاد ففرح الاسود وابدا الابتسام عند سماعهِ هذا الكلام . قال نجد بن هشام هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من بني عبس الكرام فانهم لما نزلوا في الخيام افتقدوا القتلى والمجروحين فوجدوا قد قتل منهم نحو

مائة وعشرين وجرح اوفى من مائة وسبعين وكان قد اتاهم الخبر عن لسان بعض البشرانه قد قتل من عساكر العراق خمسة الاف وكسور ففرحوا بذلك وعلم الملك قيس انه منصور وقال لمن حوله من ابطاله واهله قلبي يحدثني باننا نكسر الاعدا ولو انهم بعدد رمل البيداء ولكن بعد ان يقتل منا ابطال وفرسان لايخلف مثلهم الزمان لاننا طائفة قليلة وكل فارس منكم احب اليّ من قبيلة . قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت العساكر واصطفت الدساكر ولما انبسطت الشمس على وجه الارض حتى التقت الصفوف بعضها البعض وكان اول من قصد الميدان وطلب براز الفرسان جراح بن صايل فارس بني وائل الذي قتل الاسد وضمن قتل عنترة الملك الاسود فصال وجال وطلب براز عنترة الاسد الريبال وانشد وقال

فخرُ الشجاع مقالهُ وفعالهُ ... وثباتهُ يومَ اللقا وقتالهُ
والصبرُ في يوم الطعان فضيلةٌ ... تبقى لمن شهدت بهِ احوالهُ
والذلُّ يذري بالفتى لو انهُ ... من آل هاشم عمهُ اوخالهُ
ما كل من سلَّ الحسام بكفهِ ... وسعى الى المجد الرفيع ينالهُ
من لم يخض بحر العجاج ويصطلي ... نار الهياج تقطعت اوصالهُ
فاشفوا فوادي بالبراز وقدموا ... مني شجاعًا قد دنت اجالهُ
عبدٌ لهُ في كل ارضٍ وقعة ... مذكورة طول المدى تبقى لهُ
فاليوم امحو رسمهُ بمهنّدٍ ... قد فرّقت شمل العدى اهوالهُ

فبرز اليهِ عنتر كانه الاسد الغضنفر ونزل عليهِ نزول القضاء والقدر واجابهُ على شعره يقول

ياضامنًا قتلي وكانَ مقالهُ ... قول الكذوب وغرّهُ افعالهُ
فابرز لتلقى عكس ما قد قلتهُ ... وترى الذي فينا يصح مقالهُ
فانا الذي خضعت لهُ جن الفلا ... والأسدُ تخشى حربهُ وقتالهُ
نلتُ الفصاحة والشجاعة والعلى ... وسعود نجمي قد بدا اقبالهُ
ان كنتَ انت ضمنتَ قتلي فاوفهِ ... فالحرّ يوفي بالذي قد قالهُ

ثم انهما تكافحا اشد كفاح حتى تثلمت في ايديهما البيض الصفاح وضاقت منهما الصدور بعد الانشراح وكان قد ارتفع عليهما الغبار ومضى اكثر النهار وهما في قتال احر من لهيب النار قال مجيد بن هشام ولما ابصر ملاعب الاسنة قتال عنترة مع الغلام قصد معركة الطعان في عشرة من الفرسان الذين ضمنوا للاسود قتال بني عبس وعدنان ولما ابصر الحارث بن

ظالم ذلك الامر المنكر خاف ان يغدروا بعنتر فاطلق العنان وقوم السنان وتقدم الى
ملاعب الاسنة وقال له ما هذه الفعال التي لم يسبقك اليها احد من الابطال تريد ان
تبرز الى رجل قد خرج الى خصمه من بعد ما ناداه باسمه فقال ملاعب الاسنة والله ان الغدر
كله من طباعك ولولا حاجتك الى بني عبس لما اظهرت شدة حربك وقراعك على انهم
لا يسلمون من دواهيك وغدرك اذا اصطلح مع النعمان امرك فانك لم تزل تذكر بالقبائح عند
كل غادٍ ورائح لانك قتلت سيدنا خالد بن جعفر وهو نائم وقد ظننت انها فضيلة من
بعض المكارم وقتلت ولد النعمان وهو طفل صغير وعم شرك الكبير والصغير واما قولك
اننا نغدر بعنترة فهذا امر لا نعرفه ولا عندنا للملك قيس ذكر يذكر وما برزنا الى معركة
الطعان الا حتى نفي الضمان للملك الاسود اخي النعمان ونطلب الثار والفخار بطعن الرمح
وضرب السيف البتار حتى تبان منزلة الفارس الكرار ثم انه حدثه بحديث الفرسان الذين
ضمنوا على انفسهم ذلك الضمان فلما سمع الحارث كلامه تبسم وقال له والله يا غشم ما هذا الا
غاية الجهل ونقص في العقل ومع ذلك انك لم تذكرني للملك الاسود ولا ضمنت له راسي
دون كل احد وقد علمت اني عدوه الاكبر وفي حرم اخيه النعمان قتلت سيدكم خالد بن
جعفر فقال ملاعب الاسنة وحق الملك المعال انك لم تخطر لنا على بال وما قلنا انك لم
تزل باقياً في ديار بني عبس وتلك الاطلال لانك قد تعودت على الهرب في رؤوس الجبال
والاودية الخوال فقال الحارث لقد صدقت وصواباً نطقت واليوم اريك من فعالي ما تحدث
به الناس على مدى الايام والليالي ثم انه حمل على ملاعب الاسنة وعلت بينهما الضجة والرنة
وحمل اخوه قسورة على الفرسان العامرية بقوة وحمية هذا وقد مدت الرماح السمهرية
وسلت السيوف المشرفية وارتفع عليهم الغبار حتى غابوا عن الابصار كل هذا وعنترة مع
خصمه جراح في اشد صدام وكفاح وما زالا على تلك الحال الى ان عول النهار على الارتحال
وكان عنترة على خصمه قد استطال فقاتله حتى انعبه وطعنه في جنبه فاقلبه وساقه اسيراً
وقاده ذليلاً حقيراً وسلمه الى بني قراد ورجع الى معركة الحرب والجلاد وكان الحارث
بن ظالم قد اسر غشم بن مالك وكذلك اخوه قسورة قتل ثلاثة ابطال من فرسان المعارك
ولما شاهد الملك الاسود ما حل باصحابه غاب عن صوابه واراد ان يقتحم بنفسه معركة
الصدام فمنعته بني لخم وجذام عن ذلك المرام وبرزت الى ساحة الميدان وتبعتها طوائف
العربان فالتقتهم بنو عبس وعدنان بقلوب اشد من الصوان وانعقد الغبار الى العنان
وارتجت السهول والوديان من صهيل الخيل وضجيج الفرسان وعمل السيف والسنان في صدور

الاقران وجرى من الدماء طوفان وتمددت القتلى على بساط الصحصحان وما زالوا في اشد ضراب وطعان حتى تفرقد الفرقدان وغابت الثريا وادبر الدبران واظلم الجو وما لت كفة الميزان وانباع المشتري بانجس الاثمان ونطح الثور بقرنه الجدي فقطع منهُ مواصلة الابدان ولطم المريخ هام الجوزاء فانصدعت بعد ما كانت كالسنديان وسما سهيل على السماك فضربهُ بحيع قان وانحط مستقي الدلو فهبط بعد ارتفاعهِ على كيوان وهجم الاسد على الثور فخضع لهُ وطلب الامان وكان يوماً عظيم الشان لم يسمع بمثلهِ من قديم الزمان فيهِ كلت اليدان وتساقطت الابطال والشجعان وجاء الحق وذهب البهتان وافتخر الشجاع على الجبان

قال الراوي - وما امسى المساء حتى انكسرت عساكر النعمان وتفرقت في السهول والكثبان وكان من جملة الماسورين الملك الاسود وجماعة من الفرسان الذين عليهم المعتمد مثل ملاعب الاسنة ولقيط بن زرارة وجراح بن فاضل وغيرهم من الامارة فوكل الملك قيس بهم جماعة من الرجال وعند الصباح رحل طالب الاهل والاطلال واذ قد اقبل عليهم جماعة من العبيد والابطال الذين كانوا تركوهم لحفظ الحريم والعيال وهم يند بون ويبكون ويصيحون وينادون واذلاه واحرباه وامصيبتاه ادركونا يابني عبس بالقنا والقواضب واكشفوا عنا الاهوال والمصائب فلما سمع الملك قيس ذلك المقال خفق فؤاده واعتراه الاندها ل وسال عن حقيقة الحال فقالوا بعد غيابكم من الاوطان قصدنا حذيفة بالابطال والفرسان فخلص الرهائن ونهب الاموال وقتل اربعمائة من الاطفال وسبى البنات والنسوان واخذ ما عز وترك ما هان فغاب الملك قيس عن الصواب عند سماعه هذا الخطاب فسلم الاسارى الى الحارث بن ظالم واصحبهُ بمائة فارس من بني عبس القشاعم وقال لهُ سر بهم الى ديارنا حتى نقصد بني فزارة وناخذ منهم بثارنا وبعد ذلك ننظر من النعمان ما يتجدد وندبر على قدر ما نرى في حق اخيهِ الملك الاسود ثم اوصاه بحفظ الاسارى وسار من وقتهِ الى ديار بني فزارة وفي صحبتهِ عنترة بن شداد وفرسان بني عبس الاجواد وجدوا في قطع البطاح حتى ادركوا ديار القوم عند الصباح فالتقاهم حذيفة بالابطال وانتشب بينهم القتال فلله در عنترة وما فعل في ذلك اليوم المكدر فانهُ قاتل قتال الحنق ونثر الرجال نثر الورق وطعن في النحور والحدق وما اقبلت جيوش الظلام حتى انحصرت بنو فزارة في الخيام وحل بهم البؤس والانتقام وبلغت بنو عبس المراد وشفت منهم غليل الفؤاد وخلصت النساء والاولاد واسرت من بني فزارة اكثر من خمسمائة اسير ما منهم الا كل مقدم وامير . قال الراوي - ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح سلم قيس الاسارى الى امهات الاولاد فقتلت كل امرأة

قاتل ابنها وشفت منهُ غليل الفؤاد وكان فيهنَّ نساءُ قاسيات القلوب قد الفن الوقائع والحروب فشربن دماءهم وخضبن الصدور والجيوب كل هذا يجرى وحذيفة راكب في اول الجيش يسمع ويرى ولما ابصرت بنو فزارة تلك الفعال طلبت الجرب والنزال فالتقتها بنو عبس بقلوب كالجبال واشتد بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتقطعت المناكب والاوصال وقاتل حذيفة قتال من قد استقتل ومثل ذلك فعل اخوهُ الامير حمل واما بنو عبس فانها اختارت الهلاك والعطب على الهزيمة والهرب وفعلت افعال سادات العرب وصبرت لما رات قتال فارسها عنترة البطل الاوحد وربحت مع قلتها على كثرة ذلك العدد وما زالوا على مثل ذلك الى ان ولى النهار الضاحك واقبل الليل بسواده الحالك فعند ذلك افترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طائفة منهم في ناحية من الارض ثم ان قيسًا استدعى باخيهِ الحارث وضم اليهِ مائة من الابطال وارسلهُ مع الحريم والعيال الى الاطلال ولما كان الصباح رجع القوم الى الحرب والكفاح وما زالوا في اشد قتال وصدام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اسر حذيفة سيد بني فزارة ووقع بقومهِ الفناء والخسارة واسر اخوه يزيد على يد الهطال وتفرقت الجموع والابطال · وضجت النساء والعيال · والبنات والاطفال فبينما هم على تلك الحال واذا بالصياح قد ارتفع من ناحية خيام بني عبس وكان صياحًا مزعجًا تنفر منهُ النفس فعادت الرجال تطلبهُ وتكشف خبره وسببهُ ولما تتابع الجيش وارتجع خف عن بني فزارة البلاء وارتفع ولو كان فيهم قوة الى الحرب والصدام لكانوا رجعوا الى ضرب الحسام ولما ارتد قيس عن المحاربة سال عن ذلك الصياح وما سببهُ فتقدم اليهِ ثلاثة من الابطال وهم من اصل المائة نفر الذين كان قد ارسلهم مع الأسود وباقي الاسارى الى الاطلال وقالوا اعلم ايها السيد المفضال ان الحارث بن ظالم قد عاد الى المكر والاحتيال وخلص الاسارى من الاسر والاعتقال واتينا لنعلمك بواقعة الحال فلما سمع قيس منهم ذلك المقال التهب فؤاده سار الاشتعال وقال لهم وهل هذا الذى جرى عليكم قبل وصول الظعن والعيال اليكم فقالوا وحق الاله الدائم الى الابد ما راينا مما ذكرت احد فتنهد قيس وتلهف من شدة الاسف وقال لقد عاد ربحنا الى خسارة وطمعت فينا بنو فزارة فقال عنترة وقد قاس الحديث بخبرتهِ وذكا· فطنتهِ واللّٰه يا ملك بني قلبي يحدثني بان السبب الاكبر الذى اوجب الحارث الى ارتكاب هذا الامر المنكر هو ان الاسارى قد فجعوا على الحارث في فعالهِ ووبخوه على سوء اعمالهِ وعاهدوه انهم يامنوه من الملك النعمان ويأخذوا لهُ منديل الامان فاطلقهم من الاسر والهوان واراد ان يسير بهم الينا ويعين بني فزارة علينا فالتقى بالحريم

الى العيال فاخذهم وسار وقصد بهم العراق وتلك الديار فقال قيس ان كان الامر كما ذكرت يا ابا الابطال فقد صرنا احدوثة للناس على ممر الايام والليال لانهُ متى وصلت النساء الى عند الملك النعمان تباع كل واحدة منهن في مكان والان قد وقعنا بين امرين خطيرين وداثين قاتلين لاننا ان تبعنا الحارث بن ظالم قصدت بنو فزارة اطلالنا . وسبت حريمنا وقتلت اطفالنا وان نحن اقمنا هاهنا انقلعت اصولنا وخاب مامولنا فقال عنترة من الصواب ايها الملك المهاب ان تقيم في هذا المكان مع الابطال والفرسان واسير انا لقتال اولئك الانذال ولا اعود اليك الا حتى اخلص الحريم والعيال واقود اليك الاسود في السلاسل والاغلال فضحك قيس من ذلك المقال وايقن ببلوغ الامال وقال لهُ اذا كان الامر على هذا الحال خذ معك ما شئت من الرجال فقال عنترة وحق الملك المتعال الذي قدر الارزاق والاجال لاسرت خلفهم الا في عشرة من الابطال ولو كان في صحبتهم سكان الفلا اوجن الارض السفلى ثم انهُ اخذ معهُ عروة بن الورد ونازح بن اسيد وابن اخيهِ الهطال وتمام العشرة من ابطال بني عبس الصناديد وسار واخوه شيبوب بين يديهِ وهو يعض على الحارث كفيهِ

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان قيسًا لما سلم الاسارى الى الحارث بن ظالم وارسلهُ الى الديار بمائة فارس من بني عبس القشاعم فسار الحارث الى ديار بني عبس وكان وصولهُ اليها عند طلوع الشمس فاقام في تلك الاطلال ثلثة ايام وثلث ليال وفي اليوم الرابع وجد الاسارى يتشاورون في الخلاص من شرك الاقتناص وكان لقيط قد نظر الى الحارث الخوان وهو يجول من مكان الى مكان فقال لهُ ما اقل مداراتك بملوك الزمان كانك خلقت من حجر الصوان لمضرة كل انسان فقال الحارث وكيف ذلك ايها السيد المنصان فقال لقيط لانك قتلت ولد النعمان وهيجت الفتن في قبائل العربان وبعد ذلك الشان قد لاح لك وجه الامان وانت لم تزل مقيماً على العصيان وقبلت لنفسك العيشة الذميمة واستجرت بعبد لاقدر لهُ ولا قيمة فكانك بجيوش النعمان وقد اقبلت من كل مكان فيحل بك الانتقام وتشرب كاس الحمام وقد رايت لك من الراي السديد والفكر الرشيد ان تطلق الاسود من الاعتقال ومن معهُ من الابطال وتطلب منه السماح والغفران وانا اضمن لك عنده العفو والامان وغض النظر عما كان وتكون قد محوت فعلك الاول بالاخر وصرت مشكورًا عند عرب البوادي والحواضر فلما سمع الحارث هذا المقال اعتقهم من الاسر وانصلحت منهم الاحوال ثم انهم جدوا في قطع الروابي والتلال فالتقوا بظعن بني عبس ومعهم الاموال والعيال الذي كان ارسلهم الملك قيس مع اخيهِ الحارث الى الاطلال

فدا روا عليهم من اليمين والشمال واخذوهم اسارى وقادوهم اذلاء حيارى ثم ان الاسود التفت الى الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم وقال له سر انت الى ديار بني فزارة مع اخيك وساعدهم على قتال اعاديك ومتى وصلت الى الحيرة ارسلت لك نجدة من عند اخي الملك النعمان بعد ما اخذ لك منديل الامان فلما سمع الحارث ذلك المقال تغيرت منه الاحوال والتهب فواده بنيران الاشتعال وعلم ان القوم خافوه وان هو عاداهم اهلكوه فدار راس جواده وطلب اهله وبلاده وما زال مجداً في مسيره وسرعة تشميره حتى وصل الى بني فزارة واجتمع بصهره سنان بن ابي حارثة اصل كل بلية وحادثة وحدثه بما جرى وكان وكيف اخذ الاسود ظعن بني عبس وعدنان وقصد ارض العراق وعاد هو الى نصرتهم بذلك الاتفاق

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بسره ولاح برز الحارث الى الميدان بغير زيه المعلوم وانزل ببني عبس الاتراح والهموم وقتل جماعة من سادات الرجال واسر الملك قيس وعشرة من الابطال واحضرهم امام سنان وسادات العشيرة والاعيان فطلب سنان من قيس الامير حذيفة وباقي الرجال حتى يطلقه من الاسر والاعتقال فاجابه قيس الى مقاله بعد ما وبخ الحارث على فعاله وقبيح اعماله وقال له قاتلك الله ما اشنع طبعك ولعن اصلك وفرعك لانك لاتفرق بين القبيح والاحسان فوالله لقد خسرت في هذه التجارة غاية الخسارة ولا بد ما يعم شرك بني فزارة فقال الحارث ياقيس وابن للزمان علي سلطان وقد اخذت الامان من الملك النعمان وما نعتكم الا بثمن الاثمان حتى اشتريت اوفى منكم قيمة واعظم وهو الذي خضعت لهيبته سائر الامم من العرب والعجم ثم انه بعد ذلك القتال اطلق الملك قيس من الاعتقال فسار الى اهله وعشيرته واطلق حذيفة مع اخوته وبعد ذلك التقت بنو فزارة ببني عبس وعدنان واختلط بينهم الضراب والطعان وما انتصف النهار حتى كسر الحارث جموع بني عبس وشفى منهم غليل النفس فهانت على الملك قيس الحياة وطلب الموت من شدة ما دهاه فبينما هو كذلك وقد اشرف على المهالك واذا بغبار اسود قد ارتفع الى عنان السماء وانعقد واقبل مثل البحر اذا ازبد ثم انكشف عن عشرة فرسان كانهم العقبان على خيول اخف من الغزلان والكل ينادون عن فرد لسان يا لعبس يا لعدنان وفي اوائلهم فارس امجد كانه الاسد فلما شاهد القتال هجم على بني فزارة هجوم الليث الغضنفر واندفقت الابطال الذين معه اندفاق المطر وفي دون ساعة تاخرت بنو فزارة وعاد ربحهم الى خسارة هذا وقد فرحت ابطال بني عبس وزال عنها التعس والنكس والتقى قيس بعنترة احسن ملتقى ودعا له بطول العمر والبقا وتصافحا وتعانقا . قال وكانت عنترة قد قضى الاشغال واسر الاسود

واعادهُ الى الاعتقال وسلمهُ الى الحارث بن زهير ومن معهُ من الرجال وعاد في عاجل الحال ليكشف عن بني عبس الاثقال ثم ان قيساً حدثهُ بما جرى وكان من الحارث الخوان وكان الحارث قد تعجب وانبهر من قدوم عنترة وايقن بانحطاط المرتبة والخسارة بعد الغلبة فما كان لهُ داب الا انهُ تقدم امام عنترة اسد الغاب ونادى اهلاً وسهلاً بالاسد الكرار والبطل المغوار وفارس الاقطار المحسن الى كل من اسا وحامي الاطفال والنسا اغفر زلتي يا فارس الفرسان لاني قد ندمت على ما فعلت غاية الندم والان قد بلغ الامر المنتهى وعلمت ان اجلي قد انتهى وقد اليت على نفسي يا ابا الابطال ان لا احاربك قط في مجال ولو كان غيرك لبذلت معهُ جهدي ودافعت عن نفسي بقوة ساعدي وزندي الى ان اقع تحت رجلي جوادي ولا اعيش ذليلاً في اسر الاعادي فهل لك ان تصطنعني يا فارس الصدام حتى اكون لك عبدًا على مدى الايام فقال عنترة ومن عاد يصدقك في مقال بعد هذه الفعال قال الحارث انت تعلم ايها السيد الكريم والبطل العظيم ان سيفي هذا يعادل عندي الاصنام التي على البيت الحرام فخذه مني واعف عني وان انا خنتك بعد هذه المرة تكون امي زانية غير حرة فحار عنترة من فعالهِ واستحى من ذلهِ وسوالهِ فغلبت المروة عليهِ واغمد سيفهُ وتقدم اليهِ وقال لهُ سر امامي فقد اعطيتك ذمامي فسار الحارث امام عنتر كانهُ الاسد الغضنفر هذا والفرسان تنظر وترى وقد حارت ما جرى فعند ذلك صاح حذيفة باعلى صوتهِ وقال ويلك يا حارث ما هذه الفعال كانك خشيت من قتال عنترة ابن الانذال حتى ساقك امامهُ بدون حرب ولا نزال . قال فضحك الحارث والتفت نحو عنترة وقال لهُ واحرباهُ عليك يا فارس البدو والحضر من معيرة العرب اللئام الذين لا يقدرون عواقب الايام بقولهم ابن امة واقل فعالك معي هذه المكرمة فوحق ذمة العرب وشهر رجب لا سرت في صحبتك ايها السيد المفضال الا حتى ابيض وجهي معك بقتل حذيفة ابن الانذال ثم انهُ استل الحسام وضرب عنترة على راسهِ قاصدًا قتلهُ واخماد انفاسه فشق الخودة ونزل السيف الى جبهتهِ فسال دمهُ على وجههِ ولحيتهِ فصاح عنترة من شدة الالم صيحة الليث الغشمشم وهجم عليهِ وتقدم ومد اليهِ سنان الرمح المقوَّم واراد ان يطعنهُ ويقضي عليهِ فولى الحارث من بين يديهِ وكان النهار قد انقضى فعاد عنترة الى بني عبس وهو في حالة التعس والنكس وبات تلك الليلة وهو لا يصدق بالصباح حتى يخرج الى مقام الحرب والكفاح ورجع ايضاً الحارث الى بني فزارة وبشر حذيفة بتلك البشارة فقال لهُ حذيفة وحق ذمة العرب وشهر رجب لقد اشفيت الغليل وفعلت فعلاً تذكر بهِ جيلاً بعد جيل

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح تواثبت الرجال الى ظهر الخيول وافتقدت الرماح والنصول وايقنت ببلوغ المامول وكان اول من برز الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان عنترة الفرسان فصال وجال وطلب براز الابطال وانشد وقال

نفسوا كربي وداووا عللي ... وابرزوا لي كلَّ ليثٍ بطلِ
وانهلوا من حد سيفي جرعًا ... مرةً مثل نقيع الحنظلِ
واذا الموتُ بدا في جحفلٍ ... فدعوني للقاء الجحفلِ
اينَ من كانَ لقتلي طالبًا ... رامَ يسقيني شرابَ الاجلِ
ابرزوهُ وانظروا ما يلتقي ... من سناني تحت ظل القسطلِ
قسماً ياعبلَ يا اختَ المهى ... بثناياكِ العذاب القبلِ
وبعينيكِ وما قد ضمنت ... من دواهي سحرها والكحلِ
انني لولا خيالٌ طارقٌ ... منكِ ما ذقتُ هجوعَ المقلِ
اترى تنبيكِ ارواح الصبا ... باشتياقي نحو ذاك المنزلِ
فسقى الله لياليكِ التي ... سلفت صوبَ السحاب المهطلِ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذا الانشاد تفتتت من بني فزارة الاكباد وطلب حذيفة الحارث ليستشيره في امر عنتر فلم يقف لهُ على خبر فسال عنهُ فقيل انهُ قد هرب ومعهُ عشرة فوارس من انذال العرب

قال الراوي وكان الحارث لما غدر بعنترة بن شداد ولم يبلغ منهُ غاية المراد ايقن بان عنترة سوف يخرج عند الصباح الى الميدان ويطلب قتالهُ بين الشجعان فيحتاج ان يخرج اليهِ ويخاطر بنفسهِ بين يديهِ فصبر الى ان اختلط الظلام ورقد كل مستيقظ ونام فعند ذلك شمر الذيل وسار في عشرة من ابطالهِ تحت ظلام الليل بعد ما ساق قطعة جيدة من نوق بني فزارة وجمالها وقتل جماعة من رجالها وابطالها وقصد الى نحو مكة واعمالها ولما بلغ حذيفة الخبر اخذه القلق والضجر وتنغص عيشهُ وتكدر وقال لعن الله الحارث ولا ابقاه ولا حفظهُ ولا رعاه لانهُ لا يرعى حرمة الرفيق ولا يحفظ مودة الصديق وانا اعلم انهُ ما هرب وفر الا فزعًا من عنتر لانهُ جرحه بالمكر والخداع وهرب منهُ اليوم عند الحرب والقراع . قال وكان عنترة في انتظار الحارث حتى يبرز اليهِ لقتال فلما طال عليهِ المطال اشتد بهِ الحنق فصاح وزعق وحمل على بني فزارة وانطلق كانهُ البلاء اذا طرق وحملت بنو عبس من ورائهِ كانها الغيث اذا اندفق واصطدمت الرجال بالرجال والابطال بالابطال ووقع الانفصال

بعد الانفصال وعظمت الاهوال وكثر القيل والقال وتمددت القتلى على بساط الرمال وضجت النساء من ضيق المجال وكان يوماً كثير المخاوف والاهوال فيه زلزلت الارض زلزالها واظهرت القيامة اهوالها

قال مجد بن هشام فبينما القوم في اشد قتال وصدام واذا بغبرة كانها الغمام قد اقبلت عليهم من جوانب البر والاكام فلما راتها الرجال انكفوا عن ضرب الحسام وظنوا انه غبار الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم وقال الملك قيس هذا غبار الحارث الخوان وما عاد حتى جمع له طائفة من العربان و بعد ذلك انكشف ذلك الغبار لاعين النظار وظهر من تحته عشرة من النجب الحجازية ومن فوقها رجال مكية كانهم البدور المضية وخلفهم عشرة عبيد ابطال صناديد ولما قربوا من القوم دخلوا بين الصفوف واشهروا الرماح والسيوف ونادوا معاشر العربان اغمدوا سيوف البغي والعدوان فقد ازعجتم قلوب سادات الحرم اهل الفضل والكرم ياويلكم هذا السيد المعظم والشيخ المكرم عبد المطلب بن هاشم الذي شاع فضله في الاعارب والاعاجم فامهلوا على بعضكم البعض واسمعوا ما يقول ولا تعصوا له امراً ان كنتم من ذوي العقول وما زالوا يتهددوهم بالمقال حتى انكف الرجال عن القتال وامسكوا ايديهم عن الحرب والنزال وبعد ذلك تقدم السيد عبد المطلب بهمة واقتدار وقد شملته الهيبة والوقار وصاح بصوت يسمعه الاقصي والادنى وقال الحمد لله رب زمزم ومنى المستحق الحمد والثنا الذي قهر العباد بالموت والفنا وتنزه عن الزوجة والابناء وتعالى عن الاسماء اشكره شكراً يليق بحضرته واشهد على نفسي انني عبده وابن امته ثم انه اومأ الى الطائفتين بيديه وقال يا آل عبس وعدنان وفزارة وغطفان لقد كفاكم ما جرى وكان من الهلاك والقلعان فتلافوا الان امركم ما دمتم تملكون الارواح وانصفوا بعضكم بعضاً لعل فسادكم يعود الى صلاح ولا تختاروا الفنا على البقا ولا تبيعوا اوقات النعيم بالشقا وما زال عبد المطلب يصلح فساد القلوب بعذوبة كلامه حتى ترجلت سادات القبيلتين ووقعت على اقدامه وكان اول من قدم عليه وتمثل بين يديه حذيفة بن بدر وهو لا يصدق بذلك الامر لانه كان قد ايقن بالهلاك وسوء الارتباك وتقدم بعده الملك قيس وحياه وقبل يديه ثم انه دعاهم للصلح فاجابوه وحلف قيس وحذيفة الى بعضهما البعض واطلقا من كان عندهما اسارى في تلك الارض ففرحت بذلك البنات والنسوان والاطفال والغلمان وفي دون ساعة احضروا الطعام وكؤوس المدام وجلس عبد المطلب مع مشايخ البيت الحرام واجتمعت القبيلتان ودارت عليهم الاقداح وتبدلت احزانهم بافراح واقام عبد المطلب معهم ثلاثة ايام في

سرور وغبطة وحبور وكان أكثر حديثهِ مع حية بطل الوادِ الامير عنترة بن شداد لانهُ كان يسمع بفصاحتهِ وقوة باسهِ وشجاعتهِ فلاجل ذلك تقرّب منهُ غاية التقريب واتخذهُ اعز من الاخ الحبيب وكان اذا غاب عنترة من المحضر وذكره احد بما لا يليق من الكلام ينهاهُ عن ذلك ويلومهُ غاية الملام ويقول لهُ لا تغتب ولا تحدث فيمن غاب لان لطايف ابن ادم الشجاعة والكرم وحسن الشيم لان العبد الكريم النجيب افضل عند الله من الجبان الحسيب النسيب. قال الراوي - ثم ان قيساً حلف على عبد المطلب ان يزوره الى دياره ويطئ باقدامهِ ارضه وامصاره حتى تنال ال عبس من بركتهِ وتتشرف بخدمتهِ فاجابهُ الى ذلك الامر واخذ معهُ حذيفة وآل بدر ورحل قيس وهو فرحان وارسل اخوتهُ الى الحلة لنحر النوق والفصلان وما وصلوا الى الحلة الا وقد تقدمت الجفان وحضر الخمر العتيق بالطاسات والاباريق فانغمسوا في بحار الطرب وماج الربا بالضجيج وانقلب وراق لهم الوقت وصفا ونام عنهم صرف الزمان وعفا ثم ان عبد المطلب سال الملك قيساً في اطلاق الملك الاسود اخي النعمان من الاسر والهوان وقال لهُ اذا فعلت ذلك الشان اصطلح امرك مع النعمان لانهُ سيد قبائل العربان وخليفة كسرى انو شروان لان الله سبحانهُ وتعالى لا يرقي الانسان الى اعلى درجات السعادة ما لم يكن لهُ بذلك مشيئة وارادة ولو لم تكن في ذلك عناية من رب السماء والارض لما ارتفعت درجات بعضكم على بعض لان جميع البشر تشبه بعضها بعضاً في الاشباح والصور غير انهُ يوجد بينها تفاوت عظيم كبعد الشمس عن القمر

الكتاب السابع والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال نجد بن هشام. فلما سمع الملك قيس من عبد المطلب هذا الكلام اجابهُ الى ما طلب وقد تعجب من عذوبة الفاظهِ غاية العجب وفي الحال احضر الملك الاسود الى بين يديهِ وامر بحل كتافهِ واخلع عليهِ بعدما اعتنقهُ واعتذر اليهِ فقام لهُ عبد المطلب على الاقدام واجلسهُ بجانبهِ على الطعام واكرمهُ غاية الاكرام ثم قال لهُ اعلم ايها الملك الكريم والسيد العظيم ان اخاك الملك النعمان هو نائب كسرى انو شروان على قبائل العربان فيجب عليهِ ان يصلح فساد القبائل ولا يفعل فعل الرجل الجاهل الذي لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول النوائب وقد رايت بعينيك الاهوال والعجائب وكيف فرق البغي شمل عساكرك في اقطار

وعند سماعه لهذا الامان فرح الاسود بذلك الكلام واستبشر ببلوغ المرام ثم سار من وقته وساعته واخذ الحارث في صحبته ولما دخل على اخيه النعمان راه جالساً في صدر الديوان ومن حوله السادات والفرسان والعظماء والاعيان فحيا وسلم وجلس بين تلك الامم ثم تقدم بعده الحارث وقبل الارض ووقف في مقام العرض ودعا له بطول العمر والبقا وشكا اليه ما يلقى وقال قد اخطات اليك والحكم بين يديك فان صفحت عما فرط مني وغضيت النظر عني يكون لك علي المنة العظيمة واليد البيضاء الكريمة فلما سمع منه ذلك الكلام امنه واعطاه الذمام حياء من السادات الكرام وقد تذكر ما فعل بولده فهاجت النار في سائر جسده غير انه اظهر الصبر والجلد واخفى الغيظ والكمد وامر له بالجلوس فجلس بجانب الملك الاسود

قال مجد بن هشام وبعد ان اكلوا الطعام وشربوا المدام جرى بينهم حديث فرسان الجاهلية الذين اتصفوا بالشجاعة والفروسية فاخذ الاسود يمدح الحارث ويصفه بالشجاعة وقوة الباس ويقدمه بالفروسية على سائر الناس ويذكر ما له من الحيل والخداع والمواقف الرفيعة في مقام الحرب والقراع فقال النعمان اما حيل الفرسان وقت الغلبة فهي عين الفروسية المتخذة وان لم يكن الرجل مع شجاعته من ذوي الاحتيال فلا يعد من صاديد الابطال . قال فلما سمع الرجال منه ذلك المقال قالوا لقد صدقت وصواباً نطقت وما زالوا يصفون اهل الشجاعة والمكارم حتى انتهوا الى حديث الحارث بن ظالم فاخذوا يصفون شجاعته وقوته وبراعته وما له من الوقايع المذكورة والغارات المشهورة فعند ذلك التفت عليه النعمان امام السادات والفرسان وقال له حدثنا يا حارث باحسن اخبارك وما جرى لك في اسفارك وما الذي بلغ من جسارتك في الغارات وهجومك في الليالي المظلمات لنقطع بها الوقت ويزول عنا المقت فقال له اني احدثك بقصة عجيبة ونادرة غريبة جرت لي منذ ايام عند عودتي من البيت الحرام وذلك اني كنت خرجت مع عشرة من فتاك العرب في طلب الغزو والمكسب ومازلنا نقطع القفار والسهول والاوعار ونصل سير الليل بسير النهار حتى وصلنا الى ارض ذات مياه غزيرة واشجار كثيرة كانها روضة من رياض الجنان كثيرة الوحوش والغزلان ماؤها احلى من السكر وهواؤها ارق من نسيم السحر فبينما نحن ندور في جوانبها ونتامل في حسن مناظرها وغرائبها لاح لنا فيها بيت من الشعر مضروب وبجانبه خباء منصوب وعلى باب ذلك الخباء سيف صقيل وجواد مسروج ورمح طويل واذا نحن بغلام كانه البدر التمام اول ما اشتدت اوصاله وبان حسنه وجماله وهو جالس يطبخ الطعام فلما دنونا منه حييناه بالسلام وقلنا له يا ابن الكرام هل عندك من الزاد ما نسد به رمق الفواد لانه قد

اضر بنا السفر في هذا البر الاقفر فرفع الغلام راسهُ الينا وتبسم وقال اهلاً وسهلاً باهل الجود والكرم لقد شرفتموني فتفضلوا واضيفوني حتى اخدمكم وتقر بكم عيوني وهوذا القدر على النار قد راج فابشروا بالراحة بعد الانزعاج فوحق ذمة العرب وشهر رجب ما جلست اصلحهُ الا لمن يا كلهُ ويذوق ملحهُ لان الطعام لا يصلح الا للاكل ولا المال الا للعطا والبذل ثم انهُ تلقانا بالترحيب والاكرام والتبجيل والاحترام وبعد ان جلسنا وقرّ بنا القرار اتانا بترامس مخبوزة من اول النهار مع قصعة كبيرة مملوّة من لبن القراح المبرد في هبوب الرياح وهو مسرور الفواد وقال تروّوا من هذا الى ان يستوي الزاد فاكلنا وشربنا من القصعة واطلقنا خيلنا في المرعى واخذت انا واصحابي نتحدث في امر هذا الغلام وانفرادهِ في البراري والاكام عن سائر الانام فبينما نحن في مثل هذا الكلام اذ وقعت عيني على صبية من داخل الخيام معتدلة القوام كثيرة الابتسام بديعة الحسن والجمال والبهاء والدلال كانها البدر عند الكمال او الشمس قبل الزوال فلما نظرت اليها ووقعت عيني عليها زاد هواها على قلبي واخذ بمجامع لبي وقلت لا بد لي من اخذها قوة واقتدارًا واضرم في قلب هذا الغلام نارًا وان اكن ضيفهُ ونزيلهُ وشملني معروفهُ وجميلهُ لانها ملكت بحسنها فؤادي وسلبتني لذيذ رقادي كل هذا والغلام جالس يصلح لنا الطعام ولا ادري في فسخ الذمام ولما انتهى الطعام وضعهُ في المنسف وقدمهُ الينا ووقف وقال يا وجوه العرب الاجواد تقدموا وكلوا من هذا الزاد واعذروني لما بدا مني من التقصير بهذا الزاد اليسير فاكلنا حتى اكتفينا ولما فرغنا وانتهينا تقدم الغلام ليرفع مائدة الطعام فقلت لهُ من تكون هذه الصبية التي كانها العروس المجلية فقال ما تريد بهذا السوال ايها السيد المفضال قلت اعلم يا وجه العرب الكرام انا قوم من الناس الذين لا يعرفون الحلال من الحرام وقد حلفنا بالبيت الذي يحج الناس اليهِ ان كل من احسن الينا نسيء اليهِ واساءةً وجب علينا اكرامك نظرًا لصغر سنك واكلنا طعامك فخذ من خيولنا اي جوادٍ تريد وانجُ بنفسك في جوانب هذه البيد وخل لنا الخبا والجواد وهذه الجارية التي سلبت مني الفواد فلما سمع الغلام هذا الكلام عبس بعد الابتسام وقال ايها السادة الكرام لا تفعلوا فعل اولاد الحرام ولا تسنوا سنة قبيحة بين الانام لان هذه الصبية اختي من ابي وامي وهي كاشفة همي وغمي ومن فرط حبي اليها وغيرتي عليها انفردت بها بين البراري والكثبان حتى لا ينظرها انسان وقد خطبها مني السادات والفرسان فما سمحت بها لاحد من الخلان وذلك لاجل بغضها للرجل وخوفها من غدر الجهال واما اريد منكم ايها الموالي ان تقبلوا سوالي وترحلوا بامان من هذا المكان فقلت يا فتى لا بد لنا من اخذ هذه الجارية وهذا

الجواد ولو كان حولك جماعة من الابطال الشداد فدع عنك هذا المقال وارحل سيف عاجل الحال والا نهبنا جسدك بهذه السيوف الصقال واسنة الرماح الطوال فلما سمع الغلام هذا الكلام قال يا وجوه العرب ان كنتم لا ترجعون عن هذا الطلب فاصبروا عليّ قليلاً حتى ادخل على اختي واودعها قبل ان اضحي قتيلاً ثم انه دخل المضرب وهو يبكي وينتحب وقال لاختهِ اعلمي يا بنت الكرام قد نزل علينا قوم لئام لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يقدرون عواقب الايام وقد طمعوا فيكِ وانا عولت ان اقاتلهم واحميك فان انا قتلت اندبيني بين النساء ما اصبح الصباح وامسى المساء وان انا نصرت فالحمد للرب القديم رب موسى وابرهيم ثم انه ركب ظهر الجواد بعد ما افرغ عليهِ آلة الحرب والجلاد هذا واخته معلقة في ركابهِ وهي تقبلهُ وتبكي على شبابه ثم انه استلب رمحهُ من على وجه التراب ورد اخته الى خلف الحجاب وانشد يقول من فوادٍ متبول

ودعيني يا هندُ قبلَ هلاكي　　واسعديني على العدى بدعاك
فعسى خالق السماواتِ والارضِ أن ينجي من الهلاك اخاكِ
قد ملينا بقومٍ سوء لئامٍ　　ليس فيهم من يرقُّ لشاكِ
ضيعوا حرمةَ الضيافةِ بغياً　　واستحلوا دمي وهتكَ حماكِ
فقفي وانظري فعالي اذا ما　　جالت خيول العدى نحو خباكِ
واندبيني اذا بقيتُ طريحاً　　بعدَ قتلي مع النساء البواكي
واذا ناحَ في الاراكِ حمامٌ　　فاسعدي بالبكا حمامَ الاراكِ
يا ابنة العامري اذا انصفوني　　في برازي افنيتهم في هواكِ
واذا القومُ اسرفوا وتعدّوا　　في قتالي جعلتُ روحي فداكِ

ثم ان الغلام بعد هذا الكلام نادى يا هند قد قلت لكِ سرًّا وها انا اكرر عليكِ الكلام جهرًا انه قد نزل علينا قومٌ لئام غير كرام لا يرعون حرمة ولا يحفظون ذمة وانا اقسم برب الانام انني لا اسلمك اليهم حتى اشرب كاس الحمام ثم انه تقدم الينا اسرع من لمح البصر وقال ويلكم أما انتم من البشر أما عاشرتم اهل البدو والحضر فلعن الله اباكم ولا حفظكم ولا رعاكم لانكم من اراذل العرب الذين اتصفوا بالغدر وقلة الادب فابرزوا لي فارسًا لفارس وان حملتم بجمعكم عليّ فلا بد ما ازيل عنكم الوساوس فلما سمعت يا ملك الزمان هذا الكلام من الغلام علمت انه من الابطال العظام وان الذي يخرج اليهِ في الاول يقتلهُ ولو كان فارس السهل والجبل فقلت لبعض اصحابي ان يخرج اليهِ فاجابني الى ذلك وحمل عليهِ وانشد يقول

خلّ عنك الحرب يانذل العرب   سلم المهر سريعاً والسلب
خلّ هند قبل اسباب العطب   واقبل النصح وجدّ في الهرب

فصير الغلام حتى اقترب منه صاحبي وقال اخبرني عن اسمك ايها الخائن الغبي لاني اقسمت من بعد فراقي اهلي وعربي اني لا اقاتل من كان اسمه كاسم ابي فقال له اني ادعى بناهش قال له الغلام ان شاء الله تنهش منك النواهش ثم اجابه على شعره يقول

دون هند والجواب والسلب   سيف اذا سل من الغمد نهب
وفارس كالليث من نسل العرب   لو نظر الموت عياناً ما هرب

ثم انه بعد هذا الكلام هجم هجمة الليث الضرغام وطعنه بالرمح في صدره خرج السنان يلمع من غفارة ظهره فلما نظرت الى فعاله توقفت عن قتاله خوفاً من حربه ونزاله لاني رأيته قوي الجنان لا يقدر عواقب الزمان ولا يهاب لقاء الفرسان وقلت في نفسي من الصواب ان اصبر عليه حتى يجندل من معي من الاصحاب وبعد ذلك ابرز اليه وهو تعبان واطرحه قتيلاً على بساط الصحصحان وما ارجع الى اهلي واعود حتى اعانق تلك الجارية واخذ اسلاب الجميع وانال المقصود فقلت للرجل الثاني اخرج اليه واحمل عليه فخرج كالاسد الغضنفر وصاح فيه وزمجر فحمل عليه الغلام حتى وافاه وطعنه بالرمح في احشاه فبدد امعاه وحمله بجندله . . ماه واتاه الثالث فالتاه والرابع ترك القفر ماواه والخامس قطع من الدنيا مناه والسادس اورده فناه والسابع جعله عبرة لمن يراه والثامن الحقه رفقاه والتاسع ناحت عليه اهله واقرباه فقلت للعاشر دونك واياه ولا ترجع عنه حتى تعدمه الحياة فغضب من مقالي وقال ما قصدك الا هلاكي ووبالي حتى تبلغ الامال وتفوز بهذه الاموال وتاخذ هذه الجارية ذات الحسن والجمال فلما رايت مكره قد غلب على مكري خرجت الى الغلام وقد ضاق صدري فاستقبلني اشد استقبال وقال لي اعلمني من انت ومن تكون من الرجال قبل ان يقع بيننا القتال فقلت انا هو الحارث بن ظالم فارس الاعارب والاعاجم قال لقد صدقت وانك لظالم وابن ظالم وانا اسم ابي الحارث التغلبي وقد اليت على نفسي باني لا اقاتل من يكون اسمه كاسم ابي فرجعت اعدو عند صاحبي مثل ذكر النعام وحدثته بما قاله لي الغلام فلما سمع مني ذلك الكلام ضحك وتبسم ولكز جواده وتقدم وصدمه بقلب اصلب من الجلاميد وكان يعد من الفرسان الصناديد فتصادما بالرماح وتضاربا بالصفاح وما زالا في اشد ضراب وطعان وقتال يحير الاذهان حتى اختلف بينهما طعنتان قاتلتان وكانت طعنة صاحبي الى الغلام اسبق فوقعت على كتفه فجرحته وقد سال دمه واندفق واما

طعنة الغلام فلما وقعت في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره فلما نظرت الى تلك الحال اعتراني الانذهال واستقبلته بقلب اقوى من الجبال فالتقاني كالاسد الغضنفر وقد عاينت من قتاله الموت الاحمر ثم انه قلب السنان وطعنني بعقب الرمح فالقاني على بساط الصحصحان وعاد وكتفه تقطر من الدم فتلقته اخته وهي تتبسم فضمدت جراحه ونزعت عنه آلة الحرب ثم رجع اليّ وفادني كالكلب وقال اتدري من انا قلت لا وحق رب العباد قال انا هو الامير عباد وابي يقال له الحارث التغلبي وقد وهبتك نفسك اكراماً لاسم ابي ثم لاطفني بالكلام وتخلق معي باخلاق الكرام وقال لاخته دونك واياه فترحبي به واكرمي مثواه لانه دخل الى خيامنا واكل من طعامنا وشملة ذمامنا ثم احضر لي الماء والزاد ولما طاب مني الفواد اتاني بقدح من الخمر فشربته ثم سكب لي الثاني فنهلته وتحالفت انا واياه برب العالمين اننا لانخون بعضنا على مدى الايام والسنين وبعد ذلك خلع عليّ الخلع السنية واعطاني جواداً من اطائب الخيول العربية وقال لي قد صرت الان اخي بعهد الله وصديقي ما دمنا في قيد الحياة واريد منك ايها البطل الهمام ان تسمح لي قليلاً حتى انام لاني في غاية التعب والملال من شدة ما لاقيت في مقام الحرب والقتال ثم انه دخل الخبا واتكأ على ركبة اخته وكبا فصبرت عليه حتى ازهرت الكواكب ومضي من الليل جانب فرفعت ذيل المضرب ودخلت عليهما مثل السلهب فرأيتهما نائمين وهما متعانقان فقلت في نفسي هذا وقت اغتنام الفرصة وازالة الغصة فسللت حسامي الفصال وضربته به في عاجل الحال فقسمته نصفين وطرحته على الارض قطعتين فانتبهت الصبية من المنام ولما رأته على تلك الحالة تواترت عليها الاسقام ووقعت عليه تبكي وتنوح وتنحب بقلب مجروح وتلطم خدودها وتعض من شدة الاسف زنودها حتى ملات الارض بالصياح والبكاء والنواح وهي تقول لهفي عليك ايها الاخ الحبيب والسيد النجيب لقد كنت زينة حياتي وبهجة ايامي واوقاتي فيا ليتني كنت فداك ولا شمتت بك اعداك ثم نظرت اليّ شذراً وقالت لقد اسات الادب يا انذل العرب ولم ترع من الذمة ما وجب اهذا جزاء المعروف ياقليل الهمة وعديم الذمة ثم القت نفسها عليه وجعلت تقبله بين عينيه وانشدت تقول من فواد متبول

منع الرقاد لحادث اضناني ودنا العزاء وعادني احزاني
جزعاً عليك وحق ذاك لمثله كهف اللهيف وغيثة اللهفان
والمرتجى عند الشدائد ان غدا دهر حروب معضل الحدثان
لهفي عليك اذا اليتيم تخاذلت عنه الاقارب ايما خذلان

فاذهب اليك فقد حويت من العلى يا ابن الأكارم ارجح الرجحان
فلابكينك ما حييت وما جرت هوجاء معطفة بكل مكان

ولما انتهت من شعرها جذبت خنجر اخيها فوضعتهُ في صدرها واتكأت عليهِ فخرج من ظهرها ثم اني نهبت ما وجدتهُ هناك من الاموال والتحف الغوال وسلبت ما على الصبية واخيها من الثياب واخذت سلب من لي من الاصحاب وتركتهم ما كلاً للوحوش وكواسر العقبان وهذه قصتي ياملك الزمان .

قال نجد بن هشام وما انتهى الحارث من هذا الكلام حتى وثب شيخ كبير من سادات العرب اصحاب المناصب والرتب وقال لقد كذبت يا حارث في حضرة هذا الملك المهاب فان كنت صادقًا في هذا الخطاب ارنا علامة من علائم هذا الشاب التي يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان فلما سمع الحارث كلامهُ زاد ابتسامهُ وقال هذا سيفهُ وهذا خاتمهُ فبكى الشيخ وانتحب واشتعل قلبهُ والتهب وعض على لسانهِ وشفتيهِ حتى كاد من فرط الحزن ان يقضي عليهِ وصاح واولداه واسفاه واحسرتاه هذا والله ولدي ومهجة كبدي فتعجب النعمان من هذا الحادث العجيب والاتفاق الغريب غير انهُ انتهر الشيخ وشتمهُ وقال لهُ اسكت ولا تكلمهُ لانهُ اكل طعامنا وتحملهُ ذمامنا وما كان قصد النعمان ذلك الشان الا خوفًا من الحارث الخوان لانهُ كان يعلم ما فيهِ من شدة الباس وقوة المراس وانهُ اذا امر بقبضهِ لا يسلم نفسهُ ما لم يقتل جملةً من الناس ثم ان النعمان بعد ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وامر السقاة ان تدير كاس المدام ففرح الحارث وانشرح وزال عنهُ الهم والترح وكان يظن انهُ ينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويابى الله الا ما اراد وما كل ما تمنى المرء يدركهُ من المراد هذا والسنة الاقدار تناديهِ من وراء الحجاب كيف الخلاص والى ابن الذهاب وما زالت الخدام تسقيهِ من صافي الشراب حتى سكر وغاب فعند ذلك امر النعمان الغلمان ان يقبضوه فقبضوا عليهِ وكتفوه واستخفوا بهِ واهانوه وبانواع العذاب عذبوه ثم خرجوا بهِ الى خارج المدينة وصلبوه وبعد ذلك احرقوه هذا وقد فرح النعمان بذلك الاتفاق وصفا لهُ الوقت وراق

قال نجد بن هشام واتفق في بعض الايام انهُ بينما كان النعمان جالسًا في الديوان وحولهُ جماعة من الاكابر والاعيان دخل عليهِ رجل من الغلمان واعلمهُ بقدوم فارس بني غسان وكان السبب في ذلك الشان انهُ كان قد انتشى في بلاد حوران رجل شديد البطش يقال لهُ مقري الوحش قد بارز الفرسان وقهر الشجعان في ساحة الميدان وهو من الطائفة النصرانية

و به تضرب الامثال في الفصاحة والفروسية وكان كثيراً ما يغير على قبائل العرب ويرجع بالغنائم والمكسب وكان اذا نهب الجمال وعاد بها الى الاطلال ذبحها وفرقها على الوحوش في البراري والتلال ولما عظم امره وارتفع قدره وانتشر صيته وذكره خطب ابنة ملك حوران وكان من اشهر ملوك العربان اصحاب الاكاليل والتيجان قد اتصف بالكرم والفضل والانصاف والعدل واسمه مجير بن سهل وكان له بنت اسمها مسيكة وكانت كريمة الاخلاق لينة العريكة قد خلقت في وقت سعيد واعطيت من الحسن والجمال كما تريد عديمة المثال كاملة الاعتدال كانها الغصن الميال تنشد لطائف الاشعار وتتمثل بظرائف النوادر والاخبار فمن اشعارها الرقيقة ومعانيها الدقيقة قولها

ماس كالغصن في الرياض ومالا فبذلنا عليه روحاً ومالا
قمرٌ في منازل الحسن يسري تستعير البدور منه الكمالا
ياعذولاً يلومني في هواهُ ما رات مقلتيكَ ذاكَ الجمالا
ان تجلى فكالغزالة حسناً او رنا لحظهُ رايت الغزالا
قلت لما بدا وتهت غراماً هكذا هكذا والا فلالا

وكان قد خطبها كثير من الملوك والفرسان وابوها يردهم بالذل والحرمان وكان يقول انا ما ازوج ابنتي الا لرجل قد اكتمل بالفصاحة والادب وفاق بالشجاعة والفروسية على فرسان العرب وما اريد لابنتي الا ما يسر قلبها وقت المنام ويحميها من الاعداء اللئام وما زال يمنع عنها الخطاب ويرد عنها الطلاب حتى خطبها مقري الوحش من ابيها نظراً لادبها وحسن معانيها فاجابه الى ذلك الطلب وطلب منه المهر حسب ما جرت به عادة العرب وهو الف ناقة من النوق العصافير وخمسة الاف من الدنانير فلما سمع مقري الوحش ذلك الخطاب انعم واجاب وفي ساعة الحال ركب في جماعة من الابطال وجد في قطع البراري والكثبان طالباً ديار الملك النعمان ولما تمادى به الترحال انشد وقال

اسيرُ الى ارض العراق بهمة معظمة مذخورة للعظائم
واقهرُ فرسان البلاد باسرها وتخضع لي الابطالُ عند التلاحم
وتشهد لي الفرسان في حومة الوغى بطعن القنا يوماً وضرب الصوارم

وما زال يقطع القفار والسهول والاوعار ويصل سير الليل بسير النهار حتى اشرف على الحيرة وتلك الديار ثم انه ارسل رجلاً من اكابر قومه ليعلم النعمان بقدومه فسار الرسول حتى وصل الى الديوان واعلم الحاجب بقدوم فارس بني غسان وانه ما جاء من بلاده الا

ليبارز الابطال ويحظى بالنوق والجمال

قال نجد بن هشام فلما سمع الحاجب بحديث مقري الوحش وما فيهِ من الشجاعة وقوة البطش دخل على النعمان وحدثهُ امام السادات والاعيان بقدوم مقري الوحش اليهِ وقص قصتهُ عليهِ وقال لهُ في اخر الكلام اعلم ايها الملك الهمام ان هذا الفارس من اعظم الفرسان الذين اشتهروا في بلاد العربان بالشجاعة وقوة الجنان ومن عادته اذا وقع في يده اسير سيدًا كان اوفقيرًا لا ياخذ منهُ الا ناقة واحدة ثم يطلقهُ وان وقع في يده مرة ثانية من عليهِ واطلقهُ واما في الثالثة فيقتله وعلى اديم الارض يجدله واذا عاد الى دياره والاطلال ومعهُ النوق والجمال ينحرها للوحش في الفلاة ويجعلها على سبيل الزكاة ولاجل ذلك شاع ذكره في جميع الافاق في الفروسية ومكارم الاخلاق وتحدثت بهِ العرب في بلاد الحجاز ونجد والعراق وسموه فارس النياق وقد اذلَّ بسيفهِ فرسان بني غسان وقهر ابطال بلاد الشام الى حد نجران ولما ساد على الاقران واشتهر ذكره في بلاد العربان خطب بنت ملك حوران فاجابهُ الى ذلك الشان بعد ما اشترط عليهِ ان يسير الى بلاد العراق وياتيه بالمهر والصداق من المال والنياق ويفعل بابطالها كما فعل بابطال الشام ويفتخر على الخاص والعام وها هو قد وصل الينا وقدم علينا وقد ارسل لي يقول مع رسول اضمن لي عند الملك النعمان اني لا اطالبهُ بمال ولا فصلان حتى ابارز فرسانهُ في ساحة الميدان واطرحهم على بساط الصحصحان . قال نجد بن هشام فلما سمع النعمان من الحاجب هذا الكلام تعجب غاية العجب واخذه الفرح والطرب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ان فعل هذه الفعال لاعطينهُ مهما طلب واجعلهُ سميري ووزيري ونديمي وسميري لان الفارس القادر والشاطر النادر يغني عن جمع كثير من العساكر ولا سيما اذا كان جسورًا على النائبات فهو يكون لنا عدة في جميع الاوقات وبعد ان اسمع مقالهُ واشاهد افعالهُ ارسلهُ الى بني عبس وعنتر حتى يقلع منهم الاثر ثم انهُ امر حاجبهُ الكبير ان ياتيهُ بذلك الفارس الشهير فسار الحاجب حتى التقى بمقري الوحش ومن معهُ من الفرسان فسلم عليهِ واعلمهُ بما جرى من حديثهِ امام النعمان ثم سار به حتى ادخله عليهِ وقدمهُ بين يديهِ فرآه رجلًا طويل القامة عريض الهامة كانهُ طود من الاطواد او من بقايا قوم عاد لونهُ اشقر وجبينهُ اغر تلوح الشجاعة على عطفيهِ تشهد لهُ لا عليهِ وعلى وجههِ دلائل واثار تدل على انهُ لاقى الشدائد والاخطار فلما دخل سلم وترحم ودعا لهُ بدوام العز والنعم فترحب به واجلسهُ بجانبهِ وامر الخدام ان تاتي بالطعام والمدام وبعد ان اكلوا وشربوا والدوا وطربوا قال لهُ النعمان قد بلغني يا فارس غسان ما شهدت لك بهِ جميع الابطال من الفروسية وحسن

الخصال وانك بارزت صناديد الفرسان وقهرتهم في ساحة الميدان وواظبت على الغزوات وشننت الغارات وشاع حديثك في سائر المواضع والجهات واريد الان ان اكلفك بقضية بالحر الملة النصرانية وهي ان تقصد بلاد الحجاز وتلك الاراضي والمنازو ونقتل لنا عنترة بن شداد نسل الاوغاد وهو عبد اسود قد طغى علينا وتمرد فان انت قتلته او أسرته فابشر بما تناله من السعادة والشرف وبما يصل اليك من الهدايا والتحف لان جميع الابطال عجزت عنه وفرسان القتال خافت منه فلما سمع مقري الوحش هذا الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال وحق المسيح والدين الصحيح الذي قام بالمعجزات العظام وشهدت بصحة صدقه سائر الانام هذا الذي كنت اريده ايها الملك الهمام لانك اذا شهدت لرجل بمثل هذه الشهادة وانها قد خدمته السعادة حتى اذل الابطال وقهر صناديد الرجال واسرته انا او قتلته في ساحة المجال وانزلت بقومه الذل والخبال يرتفع بذلك قدري فوق ما ارتفع واخذ الطبقة الاولى على كل فارس صيدع وما دام الامر على هذا الحال فما عدت افارق هذه الاطلال حتى اذل اعداك وابلغك غاية مناك ومتى اصبح الصباح اختبرني بمبارزة فرسان الكفاح حتى ترى قتالي ويتضح لك صدق مقالي فلما سمع النعمان مقالة اشتهى ان يرى فعاله فقال له يافارس الشام اني لا اكلفك في شيء من ذلك في هذه الايام حتى تاخذ لنفسك راحة في هذا المقام وتلتذ بالشراب والطعام . هذا ومقري الوحش قد نزل في قلب النعمان باعلى مكان وانزله في دار تصلح له ولمن معه من الفرسان وارسل له جميع ما يحتاج اليه وصار عنده اعز من روحه التي بين جنبيه واقام مقري الوحش في عز واكرام مدة عشرة ايام وبعد ذلك طلب من الملك النعمان مبارزة الابطال والفرسان فاجابه الى ذلك الشان وامر المنادي ان تنادي على العساكر بالركوب حتى يظهر الغالب من المغلوب فركبت الشجعان وتبادرت الاقران وركب الملك في موكب عظيم ومحفل جسيم وانعقدت على راسه الرايات والاعلام وكان ذلك اليوم من اعظم الايام لم يرَ مثله في المواسم العظام ولما تكامل عدد الرجال في ساحة المجال برزت الى بعضها الفرسان ولعبت في حلقة الرهان فعند ذلك برز مقري الوحش الى ساحة الميدان ولعب على ظهر الحصان واظهر ما عنده من الابواب الحسان حتى تعجبت من فعاله جميع الشجعان ثم انه اطلق لجواده العنان وبادر الى لقاء الاقران فلب اقوى من الصولجان فبرز اليه فارس من بني وائل عليه للشجاعة علائم ودلائل وهو غارق في عدته مشتمل بلامته فلم يدعه مقري الوحش ان يبتل العنان بل انه ضايقه على ظهر الحصان واخرج رجله من الركاب ورفسه في صدره القاه على وجه التراب ثم برز اليه رجل من بني شيبان وجال

معهُ في ساحة الميدان ولم يكن الا كلمح البصر حتى لستطال عليهِ مقري الوحش واستطهر وصدمهُ صدمة الاسد الغضنفر واقتلعهُ من ظهر الجواد القاه على بساط المهاد فكسر لهُ ثلاثة اضلاع فتعجب كل من حضر وارتاع ولما ابصرت الفرسان افعالهُ وشاهدت قوة حربه وقتالهُ صارت تخرج اليهِ عشرة عشرة وهو يردها خاسرة منكسرة ثم انهُ حمل على نحو مائة من الابطال فشتتهم وانزل بهم النكال ولم يزل على مثل ذلك الحال الى ان عول النهار على الارتحال وكان قد قاتل اشد قتال وفعل فعالاً تعجز عنها صناديد الرجال حتى لم يترك بطلاً الا وعلم عليهِ ولا فارسًا الا واوصل سنان رمحهِ اليهِ وقد قرت لهُ جميع الابطال بالغلبة وشهدوا لهُ بعلو المرتبة

قال نجد بن هشام وفي ثاني الايام برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان وحلف بالاله المتعال انهُ لا يبرز لهُ اقل من الف فارس من الابطال فعند ذلك حملت الالف فارس عليهِ ودارت حواليهِ ومدت رماحها اليهِ فصرخ فيها صرخة عظيمة وحمل عليها بقوة وعزيمة وهو يطعن في ظهورها ولباتها و يعلم على مقاتلها ويبطل طعناتها ولم يزل على تلك الحال الى وقت الزوال وقد علم على اكثر الرجال فعند ذلك حملت عليهِ بقية الابطال وداروا بهِ من اليمين والشمال فالتقاهم بقلب كالجبال وقاتلهم اشد قتال وعلم عليهم باطراف العوال ثم انهُ رجع من ساحة الميدان فدارت بهِ الفرسان والحجاب والاعيان وقدموه الى الملك النعمان فاخلع عليهِ الخلع الحسان وغمره بالخير والاحسان وقدم لهُ الخيول الغالية الاثمان وعقد على راسهِ الرايات والاعلام وقدمهُ على الف فارس همام من كل ليث عابس واسد ضرغام فشكر النعمان على ما اسداه ودعا لهُ بطول الحياة وقال لهُ اني لا استحق هذه الخلع الجياد الا اذا اتيتك براس عنترة بن شداد فلما سمع النعمان منهُ ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال لهُ اعلم يا فارس الشام ان فعلت ذلك المرام ما ادعك تعود من عندي الا في زي الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار فشكره على ذلك المقال وعلم ان الدهر قد جاد عليهِ بالخير والافضال ثم انهُ اقام عند النعمان برهة من الزمان وهو يزيد لهُ كل يوم في الاحسان ويشرب معهُ خمر الدنان

قال نجد بن هشام وفي تلك الايام شاع قتل الحارث بن ظالم في قبائل العربان واتصل ببني عبس وعدنان وفزارة وذبيان ومن جاورهم من الاصدقا والخلان فاكثرت عليهِ التاسف والاحزان وكان اكثرهم تاسفًا حذيفة بن بدر لانهُ كان يتكل عليهِ في الشر والغدر واما بنو عبس فقد سرها ذلك الخبر وزال عنها القلق والضجر وعلمت ان ركن بني

فزارة قد ابهلهم ولان وجودهم صار كالعدم فواظبت على الافراح وشرب الراح وقال عنتر قبح الله من ظلم واعتدى واهلك الحساد والعدى لان المظالم مذمومة وعاقبة التجبر والبغي ميشومة وكان الملك قيس قد صفا قلبهُ لحذيفة بن بدر ولم يعلم بما في قلبهِ من الخبث والغدر فكان يقضي معهُ اكثر الاوقات بالنعيم واللذات وينادمهُ في الولائم والدعوات وكان بنو عبس قد جدوا في عرس الامير عنتر فارس البدو والحضر وكانوا يتقربون بالهدايا اليهِ وشرعوا في زف عبلة عليهِ فبينما هم على مثل ذلك الشان اذ قد وصل الى حذيفة كتاب من عند الاسود اخي النعمان يخبره عن فارس الشام وما فيهِ من الشجاعة والاقدام وهو يقول لهُ ابشر يا حذيفة ببلوغ المرام فقد دنا من بني عبس القلعان الى اخر الزمان لانهُ قد وصل الى اخي النعمان فارس لا كالفرسان وشجاع قد نزع الشجاعة من قلوب الشجعان وهو من عمدة الطايفة النصرانية وفخر الملة المسيحية وفارس ميدان الشجاعة والفروسية يقال لهُ مقري الوحش صاحب الهمة والبطش قد بارز الابطال وقهر صناديد الرجال وفاق على سائر الاقران بفصاحة اللسان وقوة الجنان ففرح بهِ اخي وانعم عليهِ لما راى الفرسان مثل النساء بين يديهِ وقد عول ان يرسلهُ الى بني عبس وعدنان ومن جاورهم من اوباش العربان حتى يقلع اثارهم ويخرب ديارهم ويهلك كبارهم وصغارهم ومتى وصل اليك وقدم عليك تلقهُ بالترحيب والاكرام والتعظيم والاحترام وكن عوناً لهُ على بني عبس اللئام فهو يبلغك منهم المرام والسلام ختام

فلما قرأ حذيفة ذلك الكتاب ووقف على فحوى هذا الخطاب فرح واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وايقن ببلوغ القصد والوطر كل هذا وبنو عبس ليس عندها من ذلك ادنى خبر لانها كانت مهتمة في عرس الامير عنتر وفي اثناء ذلك ارسل قيس يدعو حذيفة ومن لهُ من الاولاد الى وليمة عنترة بن شداد ويقول لهم ايها السادة الامجاد اريد منكم ان تجملوا ابن عمكم عنترة بحضوركم الى وليمتهِ ومبادرتكم الى دعوتهِ لانكم من اخبر الناس بحالهِ وقصتهِ وما قاسى من الاهوال في طول مدتهِ . فلما سمع حذيفة قول قيس عن عنترة انهُ ابن عمكم اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليهِ من مزيد لكنهُ اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وقال الى الرسول ارجع الى قيس وقل لهُ نحن لانحتاج الى عزيمة لاننا من اصحاب العرس والوليمة ومتى بلغ ابن عمنا غاية المنى كان ذلك عندنا من اعظم الافراح والهنا لانهُ على كل حال حامينا وابن عمنا وكاشف في الشدائد همنا وغمنا ولكنك تعلم ان اكثر النساء لم يزلن لابسات ثياب السواد وهنّ مواظبات على النوح والتعداد حزناً على من قتل اهلهنّ من

الرجال والاولاد والصواب ان تتلافى قلوبهن بشيء من المال ونحر لهن النوق والجمال وتجبر قلوبهن السقيمة والا ما تهنينا بوليمة ولا التذذنا باكل طعام ولا بشرب مدام . قال محمد بن هشام وكان قصد حذيفة بهذا الكلام ان يطاول الامر حتى يقدم فارس الشام ويكون عوناً لهم على بني عبس الكرام ويبلغ منهم غاية المرام ولما وقف الملك قيس على هذا الجواب راه غاية الصواب فاخذ يجمع الارامل والايتام ويقدم لهم انواع الطعام ويجبر قلوب النسا والصبيان اصحاب الاحزان ويقول لهم ياالاولاد الاعمام ان الماضي لايرجع والبكاء على الميت لايفيد ولا ينفع واريد منكم ان تقللوا من البكاء والتعداد وتخلعوا عنكم ثياب السواد لاجل هولاء الرجال الاجواد الذين دعوناهم الى عرس ابن عمنا عنترة بن شداد ثم ان قيساً كسا العريان واشبع الجوعان ولما انتجزت الاشغال وبطل البكاء والاعتوال امر ان تزين الحلة بالهوادج والاكلة وبعد ذلك زين ابياته ومضاربه وجحف خيله وجنائبه ونشر اعلامه ورفع مراتبه ثم برزت البنات والنسوان وقد لبسن من سائر الالوان وعلقنَ في اعناقهن عقود اللولوء والمرجان وتضمخن بالطيوب والادهان وكان احسن بيوت الحلة بيوت بني قراد وافرح الخلق عنترة بن شداد وقد اظهر ما عنده من التحف والذخائر والمعادن النفيسة وانواع الجواهر والعمارية الفضة الذي اتى بها من عند كسرى ملك العجم وكذلك التاج الذي لم يوجد مثله عند ملوك الامم والقلائد الثمينة وثياب الديباج فزادت الحلة في الابتهاج هذا وقد ذبحوا الجمال والنياق وصفا لهم الوقت وراق حتى صار اصفى من دموع العشاق طاب لهم الزمان وغفلت عنهم طوارق الحدثان وشربوا من خمر الدنان وهم في الذ عيش واهناه وانعم بال وارخاه . ولما راجت الوليمة انفذ الملك قيس حذيفة واخوته وسادات عشيرته فاحتار حذيفة في قصته واحضر سنان بن ابي حارثة الى حضرته وحدثه بتلك الرسالة وقص عليه تلك المقالة وقال له في اخر الكلام اعلم ياابن الكرام قد اتاني رسول من عند صهري الاسود في هذه الايام يعلمني بقدوم العساكر والفرسان مع فارس بني غسان لقتال بني عبس وعدنان وان اكون في غاية الاستعداد للمساعدة والامداد وانا خائف ان يتهنأ عنترة بوليمته ويدخل على زوجته ويبلغ القصد والامل قبل ان يقتل ومرادي الان ان انقض العهد الذي بيني وبين بني عبس ولا احضر ولائمهم ما شعشع القمر واشرقت الشمس لان افراحهم تهيج احزاني واتراحي وقتل انطالهم هو غاية سروري وافراحي فياليت شعري كيف يكون حال الامير عمارة بن زياد اذا دخل عنترة بعبلة وبلغ المراد

قال الراوي وكان الحساب الذي حسبه حذيفة صحيح . لان عمارة كان سقيم القلب

غير مستريح ولم يكن يلتذ بطعام ولا بمنام ولا سيما عند سماعه بزفاف عبلة في تلك الايام وكان كلما سمع اصوات الافراح احاطت به امواج الهموم والاتراح وقل منه الاصطبار وعدم الهجوع والقرار وكانت اخوته وامه حاملين همه ولم يحضر منهم للوليمة غير الربيع لانه كان اعقل من الجميع بصيرًا في العواقب صبورًا على النوائب قد طاف المشارق والمغارب ومرت به انواع التجارب وقاسى من الامور بردها وحرها وذاق حلوها ومرها وعرف خيرها وشرها فواظب مع الملك قيس في الولائم والدعوات والافراح والمسرات وكانت اخوته في كل يوم تقصد المراعي وتتفرق في جوانب القفار وتشتغل بشرب العقار

قال الراوي ومن غريب الاتفاق الذي يستحق ان يؤرخ في بطون الاوراق ان رجلاً من بني فزارة يقال له حصين بن ضمضم وهو ابن خالة حذيفة الذي مرّ ذكرهُ وتقدَّم خرجَ يومًا الى الصيد والقنص واوسع في البرّ لانتهاز الفرَص فالتقى بطالب اخي الربيع في جوانب البرّ وهو جالس تحت شجرة يستظل بها من الحر يشرب العقار ويتغنى بلطائف الاشعار ومواشيهِ من حولهِ في المرعى وعبيده امامها تسعى فقال لهُ يا ابن زياد هل امنت على نفسك من العطب حتى صرت تتغنى وتطرب قال نعم يا ابن ضمضم ما دام العز في ساحاتنا والنصر في راحاتنا فسيوفنا حداد ورماحنا مداد وخيولنا جياد ونحن قاهرون الاعادي والحساد فلما سمع حصين مقالهُ تغيرت احوالهُ وتقدم اليهِ وقد شق كلامهُ عليهِ وطعنهُ بالرمح في صدره خرج السنان يلمع من ظهره فتركهُ ملقىً مكانه وطلب اهله واوطانهُ وعند وصولهِ الى الاطلال دخل على حذيفة واعلمهُ بواقعة الحال فشكر فعلهُ وحمد فضلهُ

قال هذا ما جرى لهؤلاء من الابراد واما ما كان من بني زياد فانهم بينما كانوا جالسين في الخيام اذ اقبلت عليهم العبيد والخدام وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فسالوهم عن سبب تلك المصائب فحدثوهم بقتل الامير طالب فقالوا من قتلهُ وانزل بهِ العدم قالوا حصين بن ضمضم فعند ذلك ارتفع الصياح وزاد البكاء والنواح. وانقلبت الافراح بالاتراح. ولبست الفرسان العدد والسلاح واعتقلوا بالرماح

قال الراوي هذا وقد عظم على بني زياد المصاب ومزقوا ما عليهم من الثياب ولاسيما زوجة الملك قيس لما بلغها ذلك الخبر تنغص عيشها وتمرمر وهدمت جميع ابياتها ولطمت على خدودها وجناتها وبعد ذلك ركبت بنو زياد في جماعة من الرجال الشداد وقصدت ديار بني فزارة الطائفة الغدارة وعند وصولهم الى تلك الاطلال التقاهم حذيفة بالفرسان والابطال وقال لهم اعلموا ايها السادات الاماجيد والفرسان الصناديد ان قاتل القتيل

هو زوج ابنتي ولا اسلمهُ الا باتلاف مهجتي وما قتلهُ الا وهو سكران فارجعوا بامان وغضوا النظر عما كان ونحن نعطيكم دية المقتول مهما طلبتم من النوق والخيول بكل رضىً وقبول حتى لانكون خرجنا عن العهد والايمان الذي اوثقهُ بيننا عبد المطلب شيخ العربان فلما سمعوا كلامهُ وفهموا قصده ومرامهُ رجعوا واعلموا الملك قيساً بذلك الامر وما حدثهم به حذيفة بن بدر فاستشاط غضباً واضطرم فواده لهبًا وقال ان هذا الرجل سيء الاخلاق مجبول على الغدر والنفاق لافائدة في جواره ولا بد لنا من قطع اثاره وخراب دياره . قال نجد بن هشام وما انتهى قيس من هذا الكلام حتى اقبل عليهِ نجاب من صدر البر وهو يرفل بنجيبهِ في ذلك القفر ولما وصل اليهِ سلم عليهِ وقال له ان اختك المتجردة ارسلتني اليك وهي تسلم عليك وتقول لك ان تكون في غاية الاستعداد للحرب والجلاد ومقاومة الاعادي والاضداد لانهُ قادم عليك من عند الملك النعمان عساكر كثيرة وجيوش غفيرة وفي صحبتهم فارس جبار لا يصطلى له بنار وقد ضمن للملك قتل عنتر وانهُ لايبقي منكم انثى ولا ذكر فاستعدوا للحرب وكونوا على حذر

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس من العبد هذا الكلام خفق فواده واضطرب وايقن بالهلاك والعطب واستعد من ذلك اليوم لقتال القوم وفي ثاني الايام وصلت العساكر مع مقري الوحش فارس الشام وفي صحبتهم بني فزارة اللئام هذا وقد ارتفعت الضجات ودقت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات فانذهلت بنو عبس عند قدوم تلك العساكر وكثرة الجيوش والدساكر وتقدم مقري الوحش فارس بني غسان ومعهُ جماعة من خواص الملك النعمان فوقف تحت الرايات والاعلام وهجمت العساكر نحو الخيام

قال الراوي وكانت بنو عبس قد تاهبت للقتال وفي اوائلها عنترة الاسد الرئبال . ولما ابصر تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال وقد هانت عليهِ الاهوال في بلوغ الامال فصاح وحمل وقاتل واستقتل . وصرخ صرخات متواليات اهتزت لها الجبال الراسيات . وضرب فيهم بالحسام ضربًا يشيب منهُ الغلام قبل الفطام فتراجعت الفرسان من هول هيبتهِ وقد ارتعدت ابدانهم من عظم سطوتهِ هذا وهو يدعس فيهم دعس الجمال حتى انزل بهم الذل والخبال فبينما هو يطعن في صدور الفرسان ويمددها على بساط الصحصحان هجم عليهِ حصين بن ضمضم وطعنهُ في وجههِ براس السنان وكان الليل قد اظلم فقال خذها ايها العبد الادهم من يد حصين بن ضمضم فوقع السنان في محجر عينيهِ فجرحه وسالت دماه فصرخ عنترة صرخةً ارتجت لها الفلاه وحمل على من والاه فلم يقف امامهُ الا من دنت حياته واقترب فناه

قال الراوي هذا كله يجري ومفري الوحش واصحابه تنظر وترى وما فيهم من جرد في يده الحسام ولا باشر الحرب والصدام لان مفري الوحش كان امرهم بذلك لما رأى انتشاب الحرب في الظلام الحالك وقال ان هذا القتال لا فخر فيهِ ولا فائدة لان الشجاع والجبان في هذه الساعة بمنزلة واحدة وهذا مما يكسر ناموسنا ويوقعنا بالخسارة وربما نهبت العرب الغرباء اموال بني عبس وفزارة ومع ذلك فان الملك النعمان لم يامرنا بهلاك هولاء الفرسان وما انفذنا الا حتى ناخذهم اليهِ ونقودهم اسارى الى بين يديهِ لانهم من اقاربهِ على كل حال وما يريد منهم الا الطاعة لهُ في جميع الاحوال وانا وحق ديني وما اعتقده من صدق يقيني كنت قادرًا وحدي ان اقضي الاشغال واعود في هذا الليل بالسبايا والاموال ولكني وجدت من الاوفق ان اصبر الى طلوع النهار وبعد ذلك افعل ما احب واختار

قال الراوي وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وكان قد قتل من بني عبس ثلاثمائة فارس بلا خلاف وقتل من بني فزارة والعرب الغرباء ثلاثة الاف حتى تخضب وجه الربي من دم بني فزارة والعرب الغرباء

قال الراوي ولما هدأت نار الحرب وبطل الطعن والضرب اقبلت اصحاب الملك النعمان على مفري الوحش فارس بني غسان وقالوا لهُ كيف رأيت فرسان بني عبس وعدنان فقال لهم وحق الاله القادر والانجيل الطاهر ما هم الا من اشد الناس باسًا واقواهم قوة ومراسًا فقالوا لهُ دعنا نحمل عليهم بباقي الرجال لانهم في غاية التعب والملال قال ليس هذا بصواب ولا يشكركم عليهِ احد من ذوي الالباب لان بني عبس على كل حال طائفة قليلة وقد قاتلت قتالاً شديدًا في هذه الليلة الطويلة . وثبتت مع قلتها امام هذه القبائل والتقت بصدورها هذه العساكر والجحافل وقد جرح اكثرهم واشرفوا على الهلاك والذين سلموا منهم لا يقدرون على نقل السواك وقتالنا لهم في مثل هذا

الكتاب الثامن والثلثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

الوقت من اعظم العار ومن الراي ان نتركهم حتى يرتاحوا في هذا النهار وعند الصباح اخرج الى الميدان وأأسر منهم الابطال والفرسان فقالوا افعل ما تريد ايها البطل الصنديد فانا عن امرك لا نحيد

قال نجد بن هشام ثم انهم ترجلوا عن ظهور الخيل وكان قد اقبل الليل ورجعت الابطال وهي في غاية التعب والملال وكان عنترة قد رجع من ساحة الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليهِ من دماء الفرسان وطلب لنفسهِ الراحه بعد ما افتقد جراحه فدخل الملك قيس عليهِ واحاطت فرسان عبس حواليهِ وسالوه عن جراحه وما لاقى في حربهِ وكفاحه فقال اني لا ابالي بهذه الجراح وهي عندي الذ من شرب الراح وما اخشى الا ان اموت واعدم قبل ان اقتل حصين بن ضمضم

قال الراوي وكان حصين من ابغض الناس لعنتر ويتمنى له الموت الاحمر ويذمه في كل محضر لان عنترة كان قد قتل اباه وتركه عليهِ يتحسر وقد ذكره في معلقتهِ حيث يقول

ولقد خشيت بان اموت ولم تكن للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والنادرين اذا لم القهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزرَ السباع وكل نسر قشعم

قال الراوي وكان الملك قيس قد تبسم من كلام عنتر وعلم انه فارس البدو والحضر فدعا له وشكر فعله ثم انه نهض الى تدبير الرجال ومداراة الابطال ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت كماة القبائل . وتقدمت حماة الجحافل ولمعت النصول . وارتجت من وقع حوافر الخيول الجبال والسهول . واستعدت بنو عبس الكرام للحرب والصدام ونشرت الرايات والاعلام ورفعت على راس الملك قيس راية العقاب واحاطت بهِ الغلمان والحجاب وتقدم عنترة بن شداد في موكب بني قراد وقد اظهر الجلد واخفى الكمد خوفًا على قومهِ من كثرة العدد وانقطاع المدد وعند ما عولت الابطال على الحرب والقتال خرجت جماعة من حجاب النعمان وردت الرجال والفرسان عن معركة الطعان وقالوا تمهلوا ايها الشجعان حتى يبرز فارس بني غسان الى ساحة الميدان ويقضي الاشغال ويبلغ الامال

قال نجد بن هشام فلما سمعت العرب ذلك الكلام امتثلت ورجعت واما بنو فزارة فقد غرها الطمع فطمعت وقال حصين لحذيفة ايها السيد الماجد ما هذا التدبير الفاسد . أيكون النعل لنا وياخذ الاسم غيرنا فوحق ذمة العرب وشهر رجب اني لا ارضى بهذا ابدًا ولو مت كمدًا ولا بد لي ان ابرز الى معركة الطراد وابلغ غاية المراد من قتل عنترة بن شداد لاني اريد ان يكون قتله على يدي حتى اكون اخذت بثار والدي ثم انه بعد ذلك المقال خرج الى معركة القتال بقلب اقوى من الجبال ولما صار في ساحة الميدان طلب براز عنترة

فارس الفرسان وانشد وقال

يا أمّ قربي واهجي واستبشري فاليومَ اخذُ ثارك من عنترِ
واذا رأيتِ الطير ينهش لحمهُ تحت العجاجة فاحمديني واشكري

فلما سمع عنترة مقالهُ تغيرت احوالهُ فبرز اليهِ في الحال وانشد وقال

ياعبلَ لايحزنكِ جرحي وابشري بالنصر من سيف الغلام الاسمرِ
يا عبلَ لاتخشي عليَّ من العدى واملي جفونكِ بالكرى لاتسهري
يا عبل دون خباك في غسق الدجى رجل حكى الليث الهمام القسوري
فلئن بكيتِ فانَّ دمعكِ في الحشا امضى من الرمح الاصمّ السمهري
هلّا سألتِ الخيلَ يا ابنة مالكٍ ان كنت جاهلةً بما لم تخبري
يخبرك من خاضَ العجاج بانني فرّقتُ جمعَ القوم فوق الابحرِ
وتركتُ جمعَ فزارةٍ متبدّدًا في البرِّ يرجفُ قرمهم من عنترِ
انَّ الشجاعَ جراحهُ في وجههِ وجراحهم يومَ اللقا في الاظهرِ

قال مجد بن هشام ثم انهُ بعد هذا الكلام هجم على حصين بن ضمضم هجوم الليث الغشمشم وتضاربا بالسيوف على القمم وارتفع الغبار عليهما وخيم هذا ومفري الوحش قد زاد بهِ الحنق والتهب فوادهُ واحترق لما رأى تقدم بني فزارة عليهِ وعدم اكتراثها بهِ والتفاتها اليهِ وقال وحق ديني . وما اعتقدهُ من صدق يقيني ما بني فزارة الا قليلة الإنصاف . وكثيرة الجور والاسراف ثم انهُ جعل يتامل في عنتر ويمعن فيهِ النظر وقد اشتهى ان يرى قتالهُ وحربه ونزالهُ فنظر الى رجل لا كالرجال و بطل لا يقاس بالابطال فقال في نفسهِ وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا الفارس اعجوبة الزمان يحق لهُ ان يوصف في كل مكان وان انا اسرتهُ في البراز اكون فارس الشام والحجاز

قال الراوي وكان عنترة قد ضايق حصينًا واتعبهُ وصاح في وجههِ فارعبهُ وطعنه بالرمح في صدرهِ خرج يلمع من ظهره ولما وقع على الارض . ماجت بنو فزارة في الطول والعرض وعولوا على اخذ الثار وكشف العار فمنعهم حجاب الملك النعمان عن ذلك الشان وقالوا لهم اصبروا ايها الابطال والفرسان حتى ننظر ما يفعل فارس غسان لانهُ قائد القواد وعليهِ الاتكال والاعتماد فان ظفر وساد بلغنا المراد والا حملنا وبذلنا غاية الاجتهاد فلما سمع بنو فزارة هذا الخطاب امتثلوا لامر الحجاب ورجعوا خوفًا من اللوم والعتاب فعند ذلك برز مفري الوحش الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان وهو راكب على حجرة

دهماء كأنها الليلة الظلماء مضمرة الخواصر مدورة الحوافر وفي يده قنطارية صفراء خطية وعليه درع معلم بالذهب وعلى راسه بيضاء تلتهب مثل الكوكب مرسوم عليها إشارة الصليب وهي معتدلة التركيب . فلما صار في معركة القتال صال وجال . ولعب برمحه العسال حتى حير عقول الابطال

قال الراوي ثم انه تقدم نحو عنترة بقلب اقوى من الحجر وهو مثل الاسد الغضنفر وقال له ويلك يا عبد السوء لقد اشرفت على الهلاك وانت غارق في بحر هواك اما سمعت بفعالي اما بلغك صفة قتالي نوحش ديني وما اعتقده من صدق يقيني اني مشفق عليك من الهوان وعلى قومك من القلعان لانكم من اشد الفرسان في معامع الضرب والطعان وقد حملتم انفسكم اثقل الاوزان في معاداتكم الملك النعمان سيد قبايل العربان وخليفة كسرى انوشروان لان كل انسان يطلب لنفسه المراتب الرفيعة وعلو الشان غير انه يجب على الرجل العاقل والحاذق الفاضل ان يسمع كلام النصاح ويخشى من الفضيحة والافتضاح وانت قد اشتهرت في هذه الديار بالفروسية والاقتدار وانتشر صيتك عند الكبار والصغار لانهم لم يروا غيرك من الفرسان المشاهير والابطال المغاوير وهكذا كل من لايرى السبع يصف الضبع واراي عندي يا ... لمني نفسك من قريب حتى احلف لك على القربان والصليب اني اخذ لك الامان من الملك النعمان واتخذك لي من اعز الاصدقاء والخلان على مدى الزمان والا كان ... نفسك لقتالي وحربي ونزالي فتنحط منزلتك بعد العلو ويشمت بك كل حسود وعدو

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك المقال خرج عن دايرة الاعتدال وقال له دع عنك شقشقة اللسان يا موحش من خالق الانسان وجعل هذه الصورة القائمة تنطق بكل لسان لابد لي ان اقلع مملكة النعمان ولو اتى اليها بعساكر خراسان وطوايف الجان ثم ان عنترة صاح وحمل فالتقاه مقري الوحش بقلب اقوى من الجبل واصطدما والتحما وهمهما ودمدما واختلفت بينهما الضرب بالسيوف الصقال والرماح الطوال ووقفت الرجال تنظر ما يجري لهما من عجايب الاهوال لانهما كانا ... افرس فرسان الجاهلية وبهما تضرب الامثال في الشجاعة والفروسية ولم يزالا في اشد ضراب وطعان وقتال تتعوذ منه مردة الجان حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح وتثلمت البيض الصفاح وخدرت منهما الاكتاف وايقن كل واحد منهما بالاتلاف وكانا ... عنترة ... بحر ... وقد حجبهما الغبار عن الابصار وابصر مقري الوحش من قتال عنتر ما يذهل النظر ... البصر فاندهش وتحير وقاتل

القتال المنكر املاً بنوال القصد و بلوغ الوطر وكان النهار قد ارتحل واقبل الليل وانسدل فانفصلا عن بعضهما البعض ولم يبلغ احدهما من صاحبهِ الامل

قال الراوي ولما رجع عنترة الى قومهِ سالهُ الملك قيس عن خصمهِ فقال اعلم ايها الملك السعيد انهُ من اشد الفرسان الصناديد وقد رايت من قتالهِ العجب فعلمت انهُ من اشجع فرسان العرب لايخاف طعن الرماح ولا يهاب لذع الجراح

قال الراوي وكان عنترة قد انحل شداد جرحه وقت القتال وسالت دماؤه حتى صار في اسوإ حال لكنهُ اخفى الكمد واظهر الجلد والجلد مرتاً على تربية من ذلك العسكر الكثير العدد ثم انهُ بعد ذلك الكلام انثنى الى الخيام وقد رقدت في الاكام واجتمعت النسا حواليه وعبلة تبكي وتندب عليه فقال لها لاتبكي يا سيدة الملاح ركوب الصباح فان بكاك اعظم عليَّ من الم الجراح

قال الراوي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر واما ما كان من مقري الوحش الاسد الغضنفر فانهُ عاد من الميدان وهو معبس الوجه غضبان وذلك لعدم بلوغه المراد من عنترة بن شداد

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضا نوره ولاح تبادرت الفرسان الى الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف وتعدلت المئات والالوف وكان اول من برز من الابطال الى معركة القتال مقري الوحش الاسد الريبال فصال وجال وطلب براز عنترة وانشد وقال

نسيمك يا أرض الشآم يطيب ... لداوي عليلا في حشاه لهيبُ
وهبي عسى يلقاك ريحٌ مسيكةٍ ... فانفاسها في طي نشرك طيب
فتاة يبيتُ المسكُ تحتَ لثامها ... فتسرجهُ من ريقها فيطيبُ
اذا خطرت يهتزُّ لينُ قوامها ... كما اهتزَّ في ريح الشمال قضيبُ
وان نظرتْ ابصرتَ عينَ غزالةٍ ... شجيا قلبها عند العشية ذيبُ
تقولُ وقد حان الرحيل وادمعي ... تفيض وتدعو مغرماً فيجيب
اما للقا يامقري الوحش عودةٌ ... فقلتُ لها انَّ الرجوعَ قريبُ
وسرتُ الى النعمان والملكِ الذي ... لهُ ابنٌ ما حل السحابُ رقيب
وبارزتُ فرسانًا كرامًا اعزةً ... وعدتُ ورمحي بالدماء خضيبُ
وسيرني في جحفلٍ نحو فارسٍ ... تفرُّ لهُ الفرسانُ وهو نجيبُ
فان لم اهدّ اليومَ بالسيف ركنهُ ... فلا سرَّ قلبي بالوصال حبيب

قال الراوي وما اتم مقري الوحش من هذا المقال حتى برز اليه ابن اخت عنترة المطال لان عنترة كان قد تاخر عن الركوب الى معركة الكفاح نظراً الالم الجراح فانكر مقري الوحش تلك الحال وقال للمطال ابن عنترة ابن الانذال فان كانت جراحه منعته عن القتال فانا وحق المسيح والدين الصحيح اصبر عليه حتى يستريح وقد نهيته امس عن قتالي وحذرته من حربي ونزالي فلم يسمع مقالي لان اجلهُ قد اقترب وسوف يحل به العطب فلما سمع المطال منهُ ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال له والله يا فارس الشام انهُ ما تخلف عن قتالك الا احتقاراً لك [illegible] امثالك [illegible] الحرب والقتال ولا تحتقر الرجال ثم انشد وقال

سيملك يا ارض الحجاز يطيب فهي على وجه [illegible] طيب
وقولي لمقري الوحش يرجع لاده سالياً والا [illegible] وهو سايب

قال الراوي ثم انهما حملا على بعضهما البعض وقد صاح كل واحد [illegible] على صاحبه وانقض واخذا في الكفاح والخصام والمارقة والالتزام واختلف بينهما الطعن في [illegible] المقام ولم تكن الا ساعة من النهار حتى وقع السيف في [illegible] المطال واخذه القلق والانبهار وقل منهُ الاصطبار وايقن بالهلاك والدمار لانهُ لم يكن من رجاله ولا من [illegible] في مجال [illegible] اظهر [illegible] واخفى الكمد [illegible] الهلاك [illegible] على [illegible] مقري الوحش [illegible] فقصد هلاكه [illegible]

قال [illegible] كذلك واذا [illegible] الرواة [illegible]
[illegible] كالداهية [illegible]
[illegible] مقري الوحش [illegible] من [illegible]
[illegible] المطال وصاح على مقري الوحش وطلب منهُ القتال. قال الراوي وكان ذلك الرجل المذكور هو الامير عنترة الفارس المشهور وكان قد بلغهُ قتال مقري الوحش مع المطال فخاف عليه من الهلاك والوبال فركب جواده وادركهُ في ساحة المجال وفصل تلك النصال فلما راه مقري الوحش استشاط غضباً واضطرم فؤاده لهبا [illegible] الخنا رجعت الان الى خساسة اصلك وخساسة فعلك وبقضت [illegible] والذمام خوفاً من شرب كاس الحمام فقال له عنترة قد [illegible] كلامي وتمرمرما الذي [illegible] مني من الخلاف حتى تعيرني بقلة الانصاف قال لانك ادخلت بيني وبين المطال بعد ما كان اشرف معي على الهلاك والوبال فقال عنترة انت تدعي انك فارس الانام وقاهر كل بطل همام وتفتخر باسرك لهذا الغلام فوحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق

والاجال لو كان لي اعداء مثل هذا الغلام بعدد الرمال ما جعلتهم لي على بال فدع عنك المحال ولا تفتخر الا بلقاء الابطال على ان هلاك هذا الصبي لا يسعك ولا اخماد ذكره يرفعك وانت ما اتيت الا في طلبي وقصدك هلاكي وعطبي فدونك والقتال لعلك تبلغ الامال فان انت قهرتني او اسرتني وقتلتني تبقى بني عبس من بعدي سائبة ويصيبها من سيفك كل نائبة لان ليس فيها من يلقاك من بعدي فكن مصمماً ودع عنك الجور والتعدي فان ظفرت بذلك بلغت الفخار وبلغت ما تحب وتختار ثم هاج بهِ الوجد والبلبال فانشد وقال

سنعلم ايا يبقى طريحاً ... حليف الذل مجدولاً تريبا
واي الفارسين يظل ملقىً ... على الرمضاء في دمهِ خضيبا
عليهِ الطير عاكفة تنشهُ ... ووحش البر كان لهُ سليبا
الا يامقرياً للوحش اين ... دعوتك والفراسة لن تجيبا
اتيت بجحفلٍ تحمي دماهُ ... وهن تخشى اسود الغاب دئبا
فما عذري اذا شدت العوالي ... [illegible] الاسد [illegible]
[illegible] الاقدام في رهج المنايا ... اذا [illegible] المعامع والحروب

قال الراوي فلما سمع مقري الوحش من عنترة هذا المقال اسرع مثله في الشمال فاطلقا الخيل [illegible] واحد في الطعان [illegible] وغابت بينهما الصحة [illegible] وارتفع عليهما [illegible] وانعقد وعاد بياض النهار كالليل الاسود

قال الراوي وماجرى لاحد من الفرسان في ذلك الزمان مثل ما جرى لمقري الوحش وعنترة في ساحة الميدان من شدة الحرب واختلاف الطعن والضرب وما في الطائفتين الا من اخذه القلق وزاد بهِ الخوف والارق وعلمت بنو عبس انها بعد عنترة تتفرق وتتشتت شملها وتمزق فدعت [illegible] السمر ونهشت اناملها اسفاً وندماً واجرت عوض الدموع دماً وارتفعت اصوات الحرائر [illegible]

قال الراوي وما زال مقري الوحش وعنتر في قتال شديد [illegible] ما عليهِ من مزيد حتى حمي الحر وهجر الدرو [illegible] من تحتهما الخيل واشرفا على الهلاك والويل فافترقا في تلك الساحة لياخذا لانفسهما الراحة ثم رجعا الى ساحة الجول [illegible] الحرب [illegible] فانشد عنترة وقال

الا اعلمَ مقري من تعالى ... ترى مني الصحيح بلا محالِ
وقومي انظري ضربي وطعني ... شبيه النار تضرم باشتعالِ

الا يامقريًا للوحش ارجع ... فان لقاكَ لم يخطر ببالي
وفي ذا اليوم تنظر ليث غاب ... تخرُّ لهُ صناديد الرجال
قسيبي مرهف الحد بن ماض ... يقدُّ بحدّهِ صمّ الجبال
اذا ما سلَّ سال دم نجيع ... وهال غرارهُ اسد الدحال
واسمرُ كلما رفعتهُ كفي ... يلوح سنانهُ مثل الهلال
تراهُ اذا تلوّي في يميني ... تسابقهُ المنية في شمالي
وما ولىَّ شجاع الحرب الا ... وبين يديهِ شخص من مثالي
ملات الارض خوفًا من حسامي ... فبات الناس في قيل وقال

قال الراوي فلما سمع مقري الوحش منهُ هذا المقال اعتراه الانذهال وتغيرت منهُ الاحوال واجابهُ على شعره وقال

الا يا صاحب القول المحال ... تقدَّم للقا وانت قالي
الا يا كل عبس تاعرفوني ... في ذا اليوم اصدق في مقالي
سأقتل عنترًا بالسيف جهرًا ... واتركه طريحًا في الجبال
واغدو وفي حبالي واعدو ... لنحو مسيكة في حسن حال
صدقت لها الصداق صدق ... واتبعت المقالة بالفعال

قال الراوي ثم انهما تصاعا وتصاربا وتباعدا وتقاربا ولعبا بالرماح الطوال وجدا في القتال واظهرا ما عندهما من شدة الباس وايقن كل واحد منهما بالاياس وما زالا كذلك حتى مضى اكثر النهار واقبل الليل بالاعتكار وابصر عنترة فعال مقري الوحش واهوالهُ فاستعظم قتالهُ وعلم انهُ من اخير الانام بطعن الرمح المدام فسل حسامهُ وفاجاه وضرب رمحهُ فابراه وطعنهُ طعنة قوية قاصدًا اقتلهُ بالكلية فتبت مقري الوحش للطعنة حتى دنت منهُ فسبحها بعزمه وقوته واتكا على الرمح بقوتهِ فقصمهُ نصفين ووقع على الارض قطعتين ثم سل سيفهُ وقاربهُ وبذل في حربه وطال بينهما الكفاح والصدام تحت حنح الظلام هذا وقد ضجت العساكر وحردت السيوف البواتر وانكر القريب اقاربهُ وكان كل فريق يحسب حساب صاحبهُ كل هذا ومقري الوحش مع عنتر في اشد قتال تتعود منهُ صناديد الرجال وتشيب من هولهِ الاطفال وبنا طال بينهما الكر والفر اوسعا في جوانب البر وتبعهما الامير شيبوب الليث الوثوب فهذا ما جرى لهولاء من عظيم الامر واما ما كان من حذيفة بن بدر فانهُ لما ابصر تلك الحال اعتراه الانذهال فصاح في بني فزارة ومن يعتمد عليهم من اهل

القوة والشطارة وقال دونكم ايها الفرسان قتال بني عبس وعدنان . قال الراوي فلما سمعوا منهُ ذلك الخطاب حملوا كاسود الغاب وطلبوا الحرب والكفاح ومدوا الى بني عبس قطع الرماح واشهروا الصفاح فالتقتهم بنو عبس وجرى بينهم قتال شديد ما عليهِ من مزيد حتى كلت سواعد الرجال من شدة القتال ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان اصبح الصباح واضا بنوره ولاح فعرف كل فريق فريقهُ وبان لهُ عدوهُ وصديقهُ وكان الملك قيس قد افتقد عنتر فلم يقف لهُ على خبر فضاق صدره وتكدر لانهُ ابصر فرسانهُ قد اشرفت على الهلاك ووقعت في سو الارتباك فخاف عليها من الاذلال والتفرق في البراري والتلال فصاح فيها وقال اتبعوني الى راس العلم السعدي حتى احميكم على قدر طاقتي وجهدي لان العدد كثير والجمع غفير فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر وقصدوا ذلك العلم وتركوا المال والنعم والبيوت والخيم والاولاد والحرم

قال الراوي فعند ذلك تسابقت الابطال لنهب الحريم والاموال واشتغلت بتلك الحال عن اتباع الرجال ووقع النهب في الابيات وتهتكت المخدرات وارتفعت الضجات وسبيت المدللة زوجة الملك قيس وابنتهُ الجمانة وتماضر والدتهُ السيدة المنصانة واتصل السبي الى ابيات بني زياد ووقع النهب في ابيات بني قراد وسبيت عبلة وسمية زوجة الامير شداد وكانت اشد النسا حزنًا عبلة بنت مالك بن قراد وهي تنادي باسم عنتر الاسد الريبال وتلتفت الى اليمين والشمال فلم تسمع من يجيبها من الابطال هذا وعرب الثريا قد وقعت في نهب الاموال واخذت ما وصلت يدها اليه من نفايس الاحمال وفي دون ساعة قلعت المضارب والقباب وعولت على الذهاب وكانت بنو عبس قد استراحت من كرب الطعان وعادت ارواحها الى الابدان فلما راوا نساءهم تساق شبه الانعام رجعن يشرن الى رجالهنَّ بالايادي لم يبق احد من بني عبس الابطال الا [illegible] قال لقيس ايها السيد المفضال ان ضرب رقابنا بالسيوف النواضب تهون علينا من هذه المصائب وقد اخطات في هذه الفعال وكان الواجب ان لا تترك الحريم والعيال وها قد سبيت النساء والاطفال ونهبت الذخاير والاموال وصرنا مثلاً على مدى الاجيال فقال اني لم افعل ذلك الا خوفًا عليكم من المهالك وقد اتيت بكم الى هذا المكان حتى تستريحوا ساعة من الزمان ثم تبصروا باعينكم سبي البنات والنسوان فهناك يبان الرجل الغيور من الذليل والجبان من الشجاع النبيل وها نحن قد اشتركنا في المصائب والعطب ولم يبق غير الجد والطلب لان حاميتكم الامير عنتر قد انقطع عنهُ الخبر ولا شك انهُ هلك واندثر فالمراد ايها

الرجال والفرسان والابطال ان يعرف في هذه الساعة كل واحد منكم غريمه ويخلص منه ماله وحريمه قبل ان تتفرق النساء في الاقطار وتباع بيع الخدم والجوار

قال الراوي ثم كشف راسه وحنف لباسه وانحدر من ذلك المكان وتبعته الابطال والفرسان بقلوب كالصوان وهم في غاية الحزن والكدر لفقد الامير عنتر وما فيهم الا من يبكي عليه ويتحسر خوفًا على هلاكه وفقده وكان كل واحد منهم يطلب لنفسه الموت من بعده ثم انهم صاحوا وحملوا على المواكب وافترقوا عليهم من كل جانب فالتقتهم عساكر النعمان بوجوه وقاح ... الرماح ووقع الحرب والكفاح وجري الدم وساح وما في الطائفتين ... الدار الدار البدار البدار . قال الاصمعي ولا زالت رحى الحرب بينهم تدور ... الشيات تمور والاسنة تعمل في الخواصر والصدور حتى كلت السواعد من القتال ... وضاقت عليها المجال فبينما هم في اشر حال والرماح تنهشهم من ... قد ... وجوانب الارض ارتجت وتزلزلت وارتدت ... جوانب الصحراء وانقلبت مواكبها من الدائرة المؤتلفة الى الدائرة ... وتركت ما معها من الغنائم والاموال وسمعت ... مية فوادي قد اتاك الشجاع المنتخب والليث ... عنتر فارس العرب

قال ... من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح ... وان عنترة هو الذي فرق الابطال وشردهم ... وطلب راس العلم السعدي وهو يحمد ... عنترة ... قد ... البيدا وهو يكر على الاعدا ويفري الوحش ... الخيل ويقطع من يقصد اليه واخوه شيبوب كانه البرق الخاطف ... العاصف وهو يصيح ... الرجال ويرميها بالنبال فلما نظر قيس فعال عنتر نادى ابشروا يا بني عبس بالنصر ... واشكروا رب العباد على رجوع حاميتكم عنترة بن شداد ... على ... واحملوا عليهم من كل جانب حتى لا يهرب منهم هارب ... ذلك القتال وسمعوا صوت عنترة وقد ادوت له الجبال علت منهم الاصوات وارتفعت الصيحات وايقنوا بخلاص النساء والبنات فحملوا من سائر الجهات واخلصوا في القتال النيات هذا وقد قلت من بني فزارة الحركات واندهلت منهم السادات وايقنوا بالهلاك والممات لانهم كانوا يظنون ان الامير عنتر قد قتل واندثر فلما

ازاوا وشاهدوا فعله وابصروا ان مقري الوحش ناصحه خابت مطامعهم ورجفت قلوبهم واضالعهم وايقنوا بالهلاك ووقعوا في سوء الارتباك

قال ابو عبيدة وكان السبب في ذلك حديث عجيب وامر مطرب غريب احب ان اسوقه على الترتيب وذلك لما ابعد مقري الوحش وعنتر في جوانب البر الاقفر وتبعهما شيبوب على الاثر كما تقدم الخبر جرى بينهما قتال شديد ما عليه من مزيد ولم يزالا في اشد كفاح الى ان اصبح الصباح وكانت الخيل من تحتهما قد تعبت وقصرت ولو لم تكن كريمة الاصل ما صبرت وابصر مقري الوحش ثبات عنتر فاندهل وتحير لانه كان يظن في فكره ان لا يوجد من يقاومه في فرسان عصره فعند ذلك نادى يا فارس العرب قد هلكنا من التعب فدعنا من القتال لاني ابصرت من حربك اشد الاهوال واتخذني لك من جملة الاصدقا والمحبين على طول الايام والسنين وما اتيت من بلاد العراق الا في طلب المهر والصداق فاتفق لي هذا الاتفاق والان قد فوضت امري اليك وجعلت اتكالي بعد سيدي المسيح عليك ثم حدثه بقصته من اولها الى اخرها واوقفه على باطنها وظاهرها فلما سمع عنترة مقالة اجاب سواله وتقدم اليه وقبل راسه وبين عينيه وشكره واثنى عليه ثم انهما تصاحا وتوادا وعلى حفظ المحبة والزمام تحالفا وتعاهدا ورجعا على الاثر يطلبان قتال العسكر ولما اشرفا على معركة القتال وابصر عنترة ما حل ببني عبس من الاهوال وعبلة مسبية وقد حلت بها ابشع بلية وهي تنادي وامصيبتاه وابن عماه يا وحشتي لما ... ...قال ... الاطيار وحامي الاحرار فاشتعل فواده بنار وقل منه الاصطبار وقال مقري الوحش دعني انا لليمين وانت لليسار حتى نلملم هولاء الفرسان الذين تفرقوا في جنبات القيعان فاجابه مقري الوحش الى ذلك الشان وكان قد وقع لعنترة في قلبه هيبة ... ... لان ابطال الطعان كانت تعشق الشجعان كما تعشق الرجال النسوان ... ... القتال وفعل ما ذكرناه من الفعال واما عنترة فكان قد غاب رشده واظهر من الشجاعة ما عنده ... ... الكتائب ومزق المواكب وفعل فعالاً تدهش النواظر وتعمي البصائر ... ... الرجل ... يخطف ... الابطال ويلقيها على وجوهها وقفاها حتى ادرك ... ... ساها وطيب قلبها وازال خوفها ورعبها وقال لها اقلي من الخوف والنزع ما دام ... ... الاسد الاروع والفارس الصمدع الذى يفترس الفرسان ولا يشبع ثم انه سلبها الى اخيه شيبوب وارتد على الاعداء كالبلا المصبوب فاوقع في قلوبهم الرعب وقتل اكثر فرسانهم من الطعن والضرب هذا وقد عادت ارواح بني عبس اليهم بقدوم حاميهم عنترة عليهم فقويت قلوبهم ونالوا من العدى مطلوبهم فقاتلوا

اشد قتال ونازلوا اعظم نزال فما كنت ترى في تلك الساعة الا سيفًا بارقًا ورمحًا خارقًا ودمًا دافقًا ولم تزل المكافحة بينهم قائمة ونار الحرب متصلة دائمة حتى ارتفع الغبار ونسردق وصار النهار مثل الغسق ولمع عازم المنايا وبرق وتناثرت الروءوس مثل الورق ويبس اللسان بالحلق والتصق واظهر مقري الوحش صاحب النخوة والحمية ما عنده من الشجاعة والفروسية فقاتل في ذلك اليوم القتال المنكر ودحرج الروءوس مثل الاكر واهلك كل من كان امامهُ من جبابرة العسكر وما تنصف النهار حتى ولت طوائف العرب وطلبت لانفسها الهرب خوفًا من الهلاك والعطب لانها ابصرت ضربًا امر من الصبر وطعنًا احرّ من لهيب الجمر وتبعتهم جموع بني فزارة وهم في غاية ما يكون من الخسارة ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب اجتمع الملك قيس مع اكابر عشيرتهِ وهناوا عنترة بسلامتهِ وسالوه عن قصتهِ وما جرى لهُ مع مقري الوحش في غيبتهِ فحدثهم بما جرى وكان وانهُ صار لهُ من اعز الاحباب والخلان فتعجبوا غاية العجب واخذهم الفرح والطرب بمصاحبة ذلك الليث الاغلب والفارس المنتخب

قال الراوي وبعد ذلك افتقدوا المال والحريم والعيال فوجدوا تماضر ام الملك قيس قتيلة وعلى وجه الارض جديلة فاستعظم اولادها المصاب وغابوا عن الصواب ومزقوا ما عليهم من الثياب وعلت اصواتهم بالبكاء والانتحاب وسال قيس عن حقيقة ذلك الامر فقيل له ان قاتلها حمل بن بدر فاقسم باعظم الايمان انهُ لا يبقي من بني فزارة انسان ثم اخذوها الى الحلة وغسلوها وحفروا لها ودفنوها ودخل عنترة على الملك قيس وعزاه ودعا لهُ بطول العمر والحياه وانشد يقول من فواد متبول

جازت ملماتُ الزمانِ حدودها ... واستفرغت آياتها مجهودها
وقضت علينا بالمنونِ فعوَّضت ... بالكرهِ من بيض الليالي سودها
بالله ما بال الاحبة اعرضت ... عنا ورامت بالفراقِ صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطنت ... بعد البيوت قبورها ولحودها
حرصت على طول البقاء وانما ... مبدي النفوس ابادها ليعيدها
عبثت بها الايامُ حتى اوثقت ... ايدي البلى تحت التراب قيودها
فكانما تلك الجسومُ صوارمٌ ... تحت الحمام من اللحود غمودها
نسجت يدُ الايام من اكفانها ... حللاً والقت بينهنَّ عقودها
وكسا الربيعُ ربوعها انوارهُ ... لما سقتها الغاديات عهودها

وسرى بها نشرُ النسيم فعطرت ... نفحاتُ ارواح الشمال صعيدها
هل عيشة طابت لنا الأوقد ... ابلى الزمانُ قديمها وجديدها
او مقلةٌ ذاقت كراها ليلةً ... الا واعقبت الخطوبُ هجودها
او بنيةٌ للمجد شيدَ اساسها ... الا وقد هدم القضاء وطيدها
شقت على العليا وفاةُ كريمةٍ ... شقت عليها المكرماتُ برودها
وعزيزة مفقودة قد هونت ... مهجُ النوافل بعدها مفقودها
ماتت تماضر في الفلاةِ قتيلةً ... يالهف نفسي اذ رات توسيدها
لو حملت هذي الهموم شوامخٌ ... ضعفت والقت صخرها وربودها
ياقيسُ انّ صدورنا وقدت بها ... نارٌ باضاعنا تشبُّ وقودها
فتعزَّ عنها فالعزاء شجيةٌ ... ياسيداً ان يسترق حميدها
وانهض لاخذ الثار غير مقصرٍ ... حتى نبيدَ من العداةِ عديدها

قال مجد بن هشام فلما سمع الملك قيس من عنترة هذا الشعر والنظام بكي بدموع سجام ثم انه جمع الابطال والفرسان من بني عبس وعدنان وقال لهم اعلموا ان الاعداء قد تفرقت وتبددت مواكبها وتمزقت وقد عملنا ما عملنا وما بلغنا املنا ومرادي الان ان ابذل المجهود في نوال المقصود لانه لا يقر قرارنا ولا ينطفي لهيب نارنا ما لم نقلع من بني فزارة الاثر ونجعلهم عبرة لمن اعتبر لانهم قد بالغوا في عداوتنا ولم يراعوا حق قرابتنا وقد بلغ الامر حده بقتل والدتنا لان قتل الحريم هو العار العظيم وانا اعلم ان خيلهم لا تجاوز هذا البر نظراً لتعبها وشدة الحر وان القوم الان على جفر الهباه وهم يظنون ان ليس لنا قوة ان نتبعهم في هذه الفلاه . ومرادي ان اتبعهم بالابطال والفرسان وادركهم في ذلك المكان واقطع منهم الفروع والاصول وابلغ غاية المامول فساعدوني على هذا العمل ووافقوني لبلوغ الامل فقالت له الابطال افعل ما تريد ايها الملك السعيد فنحن عن امرك لا نحيد . فقال عنترة انا اقضي لك هذا الامر وابلغك مرادك من بني بدر ولا احوجك الى العنا والنصب والكد والتعب قال انا اعلم انك قادر على ذلك يافارس المعارك ولكني اريد ان اشفي فوادي بيدي واقتل حذيفة واخوته حتى تنطفي نار كبدي. قال الراوي . ثم انهم ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول وجدّوا في قطع الطريق وساعدهم السعد والتوفيق فادركوا سادات بني فزارة على جفر الهباه وهم نازلون على المياه . قال الراوي . وكانت بنو فزارة قد خسرت في هذه المرة غاية الخسارة ولم ينجُ الا القليل من ساداتهم وقد هلكت اكثر فرسانهم وحماتهم . والذي سلم منهم طلب

لنفسه الهرب خوفاً من الهلاك والعطب واستجار بقبائل العرب لانهم علموا ان ال عبس وعدنان سوف تدركهم بالابطال والفرسان ولا تترك منهم انسان ولم يقصد حذيفة واخوته ذلك المكان الا وقد طلبوا لانفسهم الهلاك والقلعان فوصلوا وهم في غاية التعب والكد والنصب وما فيهم من يقدران يرفع بنانه ولا يحرك لسانه

قال الراوي . ثم انهم نزلوا على الماء وسرحوا خيلهم في تلك البيداء واخذ حذيفة ولده حصن وضمه الي صدره وقبله في نحره وكان ولداً نجيباً وحاذقاً لبيباً صورته حسنة وله من العمر خمس عشرة سنة وقال له يا ابني هذه قبلة الوداع الذي ليس بعده من اجتماع ثم ان حذيفة جعل له ديدباناً يراقب لهم جوانب البر واضجع هو واخوته الى جانب النهروقد هجروا المنازل والاطلال والنساء والعيال وايقنوا بالهلاك والوبال قال وكان زمان القوم ينقضي باللجاج والكياد وحمل الاحقاد والوقائع والغزوات والحروب والغارات فلا يعرفون الحرام من الحلال ولا يبالون بسفك الدماء ونهب الاموال وكان هذا دابهم على مدى الايام والليال

قال الراوي وما رقد حذيفة واخوته الا القليل وما فيهم الا من هو في صفة قتيل حتى اقبلت عليهم فرسان بني عبس واسنة رماحهم تلمع في شعاع الشمس وكان حذيفة في ذلك الوقت يبكي من قلب قريح وفواد جريح ويعاتب اخوته من شدة الغيظ والغلبة وانحطاط المنزلة والمرتبة وهو يقول وحق الاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال ان الموت اهون عليَّ من هذا الحال فلو علمت انكم تطيعوني على ما اريد لامرتكم بقتلي واهراق دمي على الصعيد لان القتل اجمل بي من معادات بني عبس الذي افنيت عمري في حروبهم وما شفيت منهم غليل النفس هذا وقد احاطت بهم بنو عبس بالخيل والجنايب وملكوا عليهم الطرق والمذاهب ووقف المالك قيس واخوته تحت الاعلام ونادى ويلكم يا بني بدر اللئام الى كم احلم وانتم تجهلون واوفي وانتم تغدرون واصدق وانتم تكذبون فمن عاد يخلصكم الان من هذه السيوف المرهفات وهولاء الابطال اصحاب العزيمات ويلك يا حذيفة لم يبقَ للاعتذار مجال ولا للاستقالة مقال انسيت قتلك لاخي مالك صاحب الفضل والكمال والحسن والجمال وما قدمت يداك من قبيح الفعال وضربك للاطفال بالنبال وقولك لامي في هذا اليوم لما سبيتها من وسط القوم وقد سالتك ان تسترها وتنجدها وتنصرها فقلت لها وهل قصدي يا تماضر غير هتك سترك وذبح اولادك على صدرك ويلكم يا لئام اما حسبتم حساب حوادث الايام تحلفون وتكذبون ثم تعاهدون وتغدرون

قال الراوي فلما سمع حذيفة منه ذلك الخطاب غاب عن الصواب فصاح وقد استقتل

وايقن بحلول الاجل وقال ويلك يا ابن زهير لقد اطلت في كلامك وزدت في عتبك وملامك فوحق من اهلك الامم السالفة وانبت الازهار بالالوان المتخالفة لو حلفنا لكم كل يوم الف مرة غدرنا وعلى ذبحكم لانبقي اذا قدرنا فافعل ما تريد وتختار ولا تدع منا من يقلع منكم الاثار لان ليس فينا من يجرد في وجوهكم الحسام ولا يدافع عن نفسهِ غلبات الحمام لاننا وحق من خلق الانسان وسواه وانزل الغيث واجراه اردنا ان نقتل بعضنا البعض ونستريح من الحياة ما دمتم على وجه الارض ولكن يا وجه العرب بحق ما بيننا وبينكم من صلة النسب لا ياتي احدكم الى احدنا من قدام ويضربهُ بالحسام حتي لاتقع عينهُ في عينيهِ فيشق ذلك عليهِ بل ياتي من وراه ويحزه من نقرة قفاه لان الموافقة صعبة ووقوع العين على العين اعظم نكبة ثم ان حذيفة نكس راسهُ بعد هذا الكلام وبكا بدموع سجام فصاح الملك قيس هيا يا بني الاعمام دونكم وهولاء اللئام فعند ذلك ترجل قرواش بن هاني وفي يده حربة ماضية وعلى الارواح قاضية وضرب بها حذيفة في صدره خرجت تلمع من ظهره وابتدره الحارث بن زهير وضربهُ بسيف اخيهِ مالك فقطع راسهُ وهد اساسهُ وانشد يقول

فلو نبشوا المقابر عن اخينا وشاهد حربنا اذ لانبالي
فليتَ الارضَ شقت عنهُ يوماً ليبصر فعلنا عند النزالِ
حذيفة والفتى حمل بن بدرٍ وجابر مع بزيدٍ مع بلالِ
تركناهم بجفر الارض صرعى باسيافٍ مهندةٍ صقالِ
سراة الناس كانوا اين حلوا واسد الحرب في يوم القتالِ

قال نجد بن هشام وما فرغ الحارث من هذا الكلام حتى ترجل الربيع بن زياد عن ظهر الجواد وقال واحرباه عليك يا مالك يا صاحب الاوصاف الحميدة والوجه الضاحك اليوم اخذ لك بالثار واطفي ما بقلبي من لهيب النار ثم انهُ هجم على الامير حمل بقلب اقوى من الجبل وطعنهُ براس السنان القاه قتيلاً على بساط الصحصحان وانشد يقول

سقينا بالهباة سراة بدرٍ كؤوساً من صدا بيض وسمرِ
ودرناها عليهم مترعاتٍ فمالوا في الفلاةِ بغير سكرِ
وكانوا اعظم الاقوام قدراً واوفى همةً في كلِّ امرِ
اذا ركبوا جياد الخيل ثارت عجاجة خيلهم في كل قطرِ
وان وهبوا يفيض عطا نداهم على الاقطار من برٍ وبحرِ
فغرهم الزمان فخادعونا وصرف الدهر يخدع كل حرِ

ولولا غدرهم لبكيت حزنًا فواأسفي على ابناء بدر

قال الراوي ثم تقدم بعده زيد بن الاسلع الفارس الصيدع فقتل بلال بن بدر الموصوف بالخبث والغدر وتتابعت من بعده اصحاب الثارات فقتلت باقي السادات وامتزج الجفر بالدما وانكشف ستر بني فزارة بعد الصون والحما واضحت جثث قتلاهم ماكلاً لوحوش البر وطيور السما فاستعظم قيس هذا الامر وتحسر على فقد بني بدر وندم على ذلك غاية الندم والتهب فواده وتضرم وبكا بدموع سجام ونادى واحسرتاه عليكم يابني الاعمام والابطال الكرام والملوك العظام ثم انشد بقول من فواد متبول

ان يوم الهباة اورثني الذل فاصبحت ظالمًا مظلوما
يوم فقدي سراة ال بدر وكانوا للعالمين نجوما
كان قتلي بما جرّهُ البغي عليهم وما جنوهُ قديما
لطمول داحسًا وكانَ جوادًا قتلوا مالكًا وكانَ كريما
فجعوني بمالك بن زهير سيدًا كان فيهم معلوما
كان ثاري بمالك بن زهيرٍ قد حملني الاسى والهموما
فقتلت الجميع منهم لاطفي بدماهم ناري فزادت سموما
ليتني كنت قبل فقد آلِ بدرٍ قتيلاً او فقدتُ النعيما

وقال ايضًا

تعلَّم انَّ خيرَ الناسِ طرًّا على جفرِ الهباءة ما بريمُ
فلولا ظلمهُ ما زلت ابكي عليهِ الدهرَ ما طلعَ النجومُ
ولكنَّ الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعهُ وخيمُ
أظنُّ الحلمَ دلَّ عليهِ قومي وقد يستجهل الرجل الحليمُ
الاقي من رجالٍ منكراتٍ فانكرها ولست انا الظلوم
ومارستُ الرجالَ ومارسوني فمعوجٌّ عليَّ ومستقيمُ

قال الراوي ولما فرغ قيس من هذه الابيات تصاعدت من بني عبس الزفرات وانهلت من اجفانهم العبرات وتقدم حصن بن حذيفة وقد مزق ثيابهُ وعلا بكاوه وانتحابهُ وقبل يد الملك قيس وتمثل بين يديه ودموعهُ تجري على خديه وقال لهُ ايها العم المبجل ان كان قلبك لم يشتف بهذا العمل فاذبحني بيدك حتى تنطفي نيران كبدك ثم سل سيف ابيهِ وسلمهُ اليهِ ووقع على رجليهِ فزادت بالملك قيس الاحزان واضرمت في قلبهِ النيران وجرت دموعهُ

من الاجفان وقال له والله ياولدي لو انك من اول الحال فعلت هذه الفعال ما كان نالكم منا هذا المنال والان قد مضي ما مضي وفات الامر وانقضي ولك مني وعلى قومك الذمام على مدى الايام وانت هو المقدم على العشيرة بعد ابيك وانا احفظك واراعيك ثم ان قيساً اقام تلك الليلة في ذلك المكان وهو كثير الهموم والاحزان ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح عول على المسير والرواح واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار ومن تحته صريخ ونواح وبكا وصياح وهم يتجاورون كالسيل وسوادهم اشد من سواد الليل

قال الراوي فالتفت الملك قيس على من حوله من الانفار وقال لهم اكشفوا لنا خبر هذا الغبار فعند ذلك تجارت الفرسان وغابت نحو ساعة من الزمان ثم رجعوا الى الاثر وحدثوه بالخبر وقالوا هذه نسا بني فزارة قد اقبلت باطنابها عند ما بلغها فقد ساداتها ورجالها وهن منشورات الذوايب والشعور مهتكات الستور وفي ايديهن السيوف المشرفية والرماح السمهرية يطلبن قتالنا وحربنا ونزالنا فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال وحق الملك المتعال انه يحق لهن ان يفعلن هذه الفعال ويطلبن منا الحرب والقتال لاننا فجعناهن بالسادات وتركناهن من بعدهم بالويل والحسرات ثم التفت على حصن وقال له اركب الان ورد النسا الى الاوطان ثم ارجعوا وادفنوا قتلاكم واستعينوا بالله على ما بلاكم ثم ركب الملك قيس في باقي الرجال وطلب الاهل والاطلال وقد استعظم ذلك الامر المهول وهو ينشد ويقول

رجعتُ ونومُ جفني قد جفاني	وقلَّ تجلدي ووهي جناني
وعاد مسامري نجمَ الثريا	نعم والنسرُ ثمَّ الفرقدان
وبتُّ أُراقبُ الجوزاء حتى	تقاربَ عن أواخرها التداني
وابكي والنجومُ مطلعات	كأنَّ بجانبي وخز السنان
لما لاقت بنو بدر ابن عمرو	على حفر الهباة من الهوان
شفيتُ النفسَ من حمل بن بدر	وسيفي من حذيفة قد كفاني
فان اكُ قد شفيت بهم غليلي	فلم اقطع بهم الا بناني
وجرُّوا الحرب عدواناً وظلماً	بسبق الخيل في يوم الرهان
ولجوا في عداوتنا فلاقوا	كما لاقت بنو عبد المدان
فلو طلبوا الامان عفوت عنهم	ولكن خالفوا والخلف داني

قال الاصمعي ولما وصلت بنو عبس الى ديارها وقر فيها قرارها دخلت الفرسان على قيس

وهنا وبالنصر وعزوه في بني بدر وهو من شدة الحزن ذائب الروح والجسد محترق بنار الكمد لا يعي على احد ولم يزل على تلك الحال مدة سبعة أيام مع الليا ل . وفي اليوم الثامن دخل عليه عنترة بن شداد ومقري الوحش والربيع بن زياد وسادات بني عبس الاجواد واخرجوه من بيت الاحزان وقال لهُ عنترة الفرسان انت اليوم ملك العربان من بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان وحكمك نافذ في القبائل والبلدان والذي حل باعداك من النوائب هو من سعادتك يا ابن الاطائب فلا زالت بنودك مرفوعة على هام الثريا ولا برحت الوية سعودك منصوبة فوق الكواكب مكانًا عليًا

قال نجد بن هشام ولم يزل يلاطفهُ بالكلام حتى سقاه المدام وانساه حوادث الايام ولما كان اليوم التاسع صنع الملك قيس مادبة عظيمة لها قدر وقيمة . واستدعى اليها السادات والابطال والقادات ولما غنت المولدات ودارت الكاسات اخذوا يتحادثون بالكلام وما جرى لهم مع بني فزارة في معارك الصدام فقال الملك قيس وحق الملك الديان لم نلق في حروبنا من الهوان اشد يومًا من قتال بني فزارة وغطفان لما التوا مع قبائل العربان وحجاب الملك النعمان وما فرج عنا في ذلك اليوم الشديد الا حاميتنا عنترة البطل الصنديد والامير مقري الوحش الفارس المجيد فانهُ قاتل اشد قتال وفعل فعالاً تعجز عنها صناديد الرجال

قال الراوي فعند ذلك وثب مقري الوحش على قدميهِ وشكر الملك قيسًا واثنى عليهِ وقال لهُ والله يا ملك الزمان ونتيجة هذا الدهر والاوان اني كنت اعد نفسي من اشجع الامم ولا يوجد من يبارزني في العرب والعجم قبل ان القى هذا الفارس الادهم والليث الغشمشم ولما قاتلتهُ في ساحة الميدان واخبرتهُ في مواقع الضرب والطعان علمت انهُ من اوحد فرسان هذا الزمان وليس لهُ من شبيه بين الشجعان وان الفروسية قد قسمت فرقتان من دون زيادة ولا نقصان الفرقة الاولى لجميع العباد والثانية لعنترة بن شداد

قال الراوي فلما سمع عنترة منهُ ذلك الكلام وثب قائمًا على الاقدام وتقدم اليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وشكره واثنى عليهِ وقال لهُ يا وجه العرب ومن قد اتصف بالشجاعة والادب ما انت الا السيد والمولى وما ذكرتهُ من جميل الصفات انت بهِ احق واولى فمن اخلاقك تعلم الناس جميل الاخلاق وذلك بسماع صفاتك الشائعة في سائر الافاق لانك عين هذا الزمان ونتيجة هذا الدهر والاوان وقد مدحتني بين السادات والفرسان وانت احق بالمديح والشكران ثم انهُ التفت الى من حضر في ذلك المحضر وقال اعلموا ايها السادات الاكارم والاسود الضراغم اني عبد لهذا البطل الهمام والصارم الصمصام فخر الملة المسيحية وعمدة الطائفة

النصرانية وفارس ميدان الفصاحة والفروسية وقد ضمنت لهُ ان اجمع شملهُ بزوجتهِ وابذل مهجتي دون مهجتهِ وهذا الامر لا بد لي ان اشرع فيه حتى اجازيهُ على بعض معروفهِ واكافيه لانكم تعلمون اني اوقفت نفسي على جمع شمل العشاق ورد لهفة كل مشتاق املاً بان غصني تزول ومدتي تقصر بعد الطول ولكن دهري قد عاندني وكلما طلبت منهُ القرب ابعدني واني لا اتكلم بهذا على سبيل الشكوى ولا هو اعتراض على هذه البلوى لان كل بداية لها نهاية اما بالهلاك والبلا واما ببلوغ القصد والمنى ثم غلب عليهِ الحال فبكى وانَّ واشتكى

قال الراوي فلما علم عمهُ مالك بحالهِ وكثرة شوقهِ وبلبالهِ نهض اليهِ وتلافاه وقبل راسه وتراضاه وقال لهُ كن مطمئن الخاطر وحق الاله القادر العالم ما في السرائر متى فرغت الوليمة شرعنا في امورنا وادرنا كاسات سرورنا وانت تعلم ايها الليث الغشمشم انهُ كان انجز الحال وبلغت الامال لولا قدوم عساكر النعمان وتقلبات الزمان والان فقد انكشفت عنا بسيفك الشدائد وهلك العدو والحاسد والضد والمعاند وعادت المياه الى مجاريها واعطي

الكتاب التاسع والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

القوس باريها ولا يمنعنا عن مرادنا احد لا ابيض ولا اسود وانهُ يحفظ لنا هذا الملك العظيم والسيد الكريم صاحب الافضال العظيمة قيس بن زهير بن جذيمة . قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس منهُ ذلك الكلام قال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام اني لا اشرب المدام ولا التذ بطعام حتى تزف عبلة الى ابن عمها عنتر فارس ربيعة ومضر وينال ما كان عليهِ يتحسر ثم قال لمالك عد الى خيمتك وجهز امر ابنتك

قال الراوي ولما شاع هذا الخبر فرحت بنو قراد بزفاف عبلة الى عنتر ورقصت الجوار وغنت البنات الابكار وزالت الهموم والاتراح وامتلات القلوب من الافراح . قال الراوي ثم ان مالكاً استدعى بعنترة اليهِ ولما دخل عليهِ قام لهُ اجلالاً واكراماً وتعظيماً واحتراماً وترحب بهِ واجلسهُ الى جانبهِ ثم قدم لهُ الطعام وسقاه من صافي المدام وقال لهُ اعلم ايها البطل الهمام قد صفت لك نيتي ومرادي ان ازف اليك ابنتي لانك صرت عوني وعمدتي فارسل الان واستدع اصدقاءك ومن يعز عليك من احبابك وحلفاءك فلما سمع عنترة كلام عمهِ مالك شكره لذلك ورجع وهو مسرور الفواد وقد ايقن ببلوغ المراد واجتمع بعروة بن الورد

وحدثه بالخبر ففرح واستبشر ثم امره عنترة بان يكتب الكتب الى الحلفاء والاصحاب ومن يعتمد عليهم من الاصدقاء والاحباب يعلمهم بقصته ويدعوهم الى وليمتهِ فامتثل عروة الى ما امره بهِ عنتر وكتب الكتب الى سادات ربيعة ومضر وكان من جملة من كاتب من السادات والفرسان الامير بسطام سيد بني شيبان ومشاجع بن حسان سيد بني خولان ونعمة بن الاشطر صاحب جبل الدخان وروضة بن منيع وحصن المازني ومعدي كرب الزبيدي وجبار بن عامر الكندي وابن اخت عنترة المطال وغيرهم من السادات . وانفذ الكتب صحبة النجاب الى قبائل العرب من بعُد منها ومن اقترب ثم قال عنترة لعروة يا ابا الابيض اركب في جماعة من رجالك ومن تعتمد عليهم من ابطالك وسر الى بلاد الشام واقصد تجار الخمر واشتر لنا من المدام ما يكفي الوليمة عشرة ايام لان الطارق علينا كثير والوارد غزير فركب عروة في جماعة من الابطال وقصد تلك الاطلال

قال نجد بن هشام وكان الملك قيس امر العبيد والخدام باخراج المضارب والخيام ونصب السرادقات والاعلام وقيام القباب ومد الاطناب فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر وكان ذلك اليوم من اعجب الايام لم يسمع بمثلهِ في سالف الاعوام . فيهِ نصبت الخيام الملونة والمضارب المزينة ونحرت الجزور وسكبت الخمور واخذ الناس الفرح والسرور

قال الراوي ولما ابصر عنترة تلك الحال فرح ببلوغ الامال وكان يركب كل يوم في جماعة من الرجال ويقصد الاودية والجبال ويصطاد السباع والضباع حتى صار عنده سبعمائة سبع وستمائة لبوة وتسعمائة ضبع وتركها في وادٍ كثير الاشجار بقرب الديار بعد ان كوى اكفها بالنار واقام عليها رجالاً تقوم بخدمتها في الليل والنهار

قال نجد بن هشام وفي تلك الاثناء حضر عروة من بلاد الشام ومعهُ من انواع المدام ما يكفي الوليمة عشرة ايام ثم ان عنترة امر اخاه شيبوبًا في العجل ان يذبح الف ناقة وجمل ويتركها في رؤُوس الجبال والكثبان لتاكلها النسور والعقبان فامتثل الى ما حكم وفعل كما رسم ونادى ايتها الطيور الطائرة والنسور الكاسرة هلمي الى ضيافة الامير عنتر فارس ربيعة ومضر وادعي لهُ بالنصر والظفر واشكريه ما طلعت الشمس والقمر ثم انهُ بعد تلك الفعال رجع الى اخيهِ في الحال وقال لهُ يا ابا الفوارس اليوم حضرت الطيور الى وليمتك وقد شملتها نعمتك فقال اذا كان هذا اليوم للطيور غدًا يكون للوحوش والنمور

قال جهينة اليماني ولما كان اليوم الثاني اخذ شيبوب خمسة الاف من النوق والفصلان وساقتها امامه العبيد والرعيان وطلب بها المناهل والغدران الى ان وصلوا الى الاماكن

التي عرفوها فبركوا الجمال ونحروها وعروها من جلودها وتركوها ووقف شيبوب تحت راس رابية ونادى ايتها الوحوش الضارية قد اضافكم اليوم عنترة بن شداد حامية بني عبس الاجواد فكلوا واشبعوا واشربوا وارتعوا . قال الراوي ولما اصبح الصباح امر عنترة بنحر الجزور وسكب الخمور وبعد ان اكلوا الطعام وشربوا المدام رقصت النساء والبنات وضربت بمزاهرها المولدات وطابت لهم الاوقات وامنوا من طوارق الحادثات وركبت الابطال ظهور الخيول وتقلدوا النصول وتطاعنوا بالرماح وتجالدوا بالصفاح على سبيل اللعب والمزاح وكان فرحهم بعنترة من اعظم الافراح . قال الراوي . فبينا القوم في اكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان عن سادات بني غطفان يقدمهم الامير المطال وهم في الفين وسبعمائة من الابطال فاستقبلهم عنترة احسن استقبال وانزلهم في اعز مكان وامر ان يذبحوا لهم الجزور والفصلان فذبحوا الذبائح وقدموا لهم الطعام وسقوهم صافي المدام وباتوا تلك الليلة في ترحيب واكرام

قال الراوي . ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اذا بغبار قد علا وثار وبعد ساعة انجلى للابصار وبان من تحته سادات بني مازن يقدمهم حصن اخو مالك بن زهير في الرضاع وهم في ثلثة الاف فارس من ابطال القراع فالتقهم بنو عبس وعدنان وذبحوا لهم النوق والفصلان وشكروا فعلهم وحمدوا فضلهم . قال الراوي واذا بغبار اخر قد ارتفع وبعد تفريقه اجتمع حتى اسودت به البراري والقفار وحجب ضوء شمس النهار ثم انكشف للعيون والابصار وبان من تحته سادات بني زبيد الاخيار يقدمهم الامير معدي كرب وهو في خمسة الاف فارس من شجعان العرب فترحب بهم عنترة غاية الترحيب وانزلهم منه بمكان قريب ونحر لهم النوق والاغنام وقدم لهم الطعام والمدام وشكرهم على ذلك الاهتمام وباتوا تلك الليلة في سرور وافراح وحظ وانشراح . قال الراوي . ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اذا هم بغبرة عظيمة قد ارتفع قتامها فركبت الفرسان لملتقاها وعنترة امامها وفي دون ساعة انكشف عن فارس مضيق اللثام معتدل القوام فتينته الفرسان ورمقته الابطال والشجعان واذا به العقاب الكاسر والليث الخادر الامير حجار بن عامر ومن خلفه تسعة الاف فارس من بني كندة اصحاب الشجاعة والشدة فالتقاه عنترة احسن ملتقى وشكره ودعا له بطول البقا وانزله هو وقومه في احسن مكان ونحر لهم النوق والخرفان واكثر لهم من خمر الدنان ثم جاء بعد ذلك روضة بن منيع في خمسة الاف فارس كالليوث العوابس فرحب به عنترة وحياه وشكره واحسن ملتقاه ثم ورد بعده نعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان في عشرة الاف من الفرسان

فاستقبله عنترة بالتعظيم والاحتفال والتكريم

قال الراوي ثم قدم الامير بسطام في خمسة الاف عنان ومن حوله سادات بني شيبان فالتقاه عنترة وسلم عليه وصافحه وقبل راسه وبين عينيه وهو يقول مرحبًا بك يا ابا اليقظان وفارس الفرسان ثم انزلهم في المضارب والخيام واكرمهم غاية الاكرام وشكرهم على هذا الاهتمام وذبح لهم النوق والاغنام وقدم لهم المدام وبعد ذلك تتابعت الرجال وتواردت السادات والابطال والنساء والاطفال . قال الراوي وكان الذي اجتمع في عرس الامير عنتر من سادات ربيعة ومضر وفرسان البدو والحضر ما ينوف على مائة الف اكثرهم من العظماء والاعيان وفرسان المعارك والطعان هذا عدا البنات والنسوان والاطفال والصبيان والعبيد والغلمان حتى ضاقت الارض من كثرة الامم وازدحام العالم فمنهم من نزل في الجبال ومنهم من نزل في بطون الاودية الخوال ومنهم من طلب رؤوس الروابي والتلال حتى لم يعد الاخ يعي على اخيه ولا الوالد على ابيه

قال الاصمعي وقد بلغني من اهل التحقيق وذوي المعارف والتدقيق عدة ما انفقه عنترة في هذه الوليمة من الاموال الجسيمة فكان مبلغًا عظيمًا ومقدارًا جسيمًا لا يستوفيه قلم الكاتب ولا يحصيه رقم الحاسب وكانت الناس تاكل وتشرب وتفرح وتطرب والفرسان ترمح على ظهور الخيل وتلاعب والسقاة تدور بالكاسات على الامراء والسادات والاماء والحرائر تدق بالدفوف والمزاهر قال الراوي وما زال القوم في هناء وسرور وغبطة وحبور واكل طعام وشرب مدام وسماع انغام مدة سبعة ايام على التمام وفي اليوم الثامن قدم الامير بسطام سيد الطائفة الشيبانية ما جلبه لعنترة على سبيل الهدية من التحف السنية فكانت اربعة الاف ناقة سود الحدق حمر الوبر ومائتين راسًا من اطائب الخيل الغرر وثلاثمائة ثوب من الديباج المذهب ومائة عقد من نفيس الجوهر مفصلة بقطع الياقوت الاحمر ومائة نافجة من المسك الاذفر وسأله قبولها واشار يمدحه بهذه الابيات

هل للفضائلِ عن مديحكَ معدلُ ... ام غيرُ بابكَ للانام مؤمّلُ

يا من له صيغ الكلامُ جميعهُ ... شعرًا لتقصرَ عن مدى ما تفعلُ

عرسٌ جميلٌ في القلوب وقد بدا ... بجميع انواع الهنا يتسربلُ

سعدٌ به خصصتَ ما من مفخرٍ ... الا وفيه لك الذراعُ الاطولُ

كرمٌ واقدامٌ وراييٌ نافذٌ ... ما الغيث ما اسد الثرى ما المنهلُ

بطلُ الفوارس ان تضايق جحفلٌ ... ليث الكتايب ان تلاحق جحفلُ

اخلاقهُ شهدٌ لطالب رفدهِ ... لكنهُ يومَ الكريهة حنظلُ
يامن اذا ورد العفاة جنابهُ ... اغناهمُ جدواهُ عن أن يسالوا
اقبل هديةَ من اتاكَ بفرحةٍ ... يامن لهُ في الجودِ باعٌ اطول
لم امتدح احداً سواك وانني ... بصفات مجدك في الورى اتمثلُ
ما لي اليك وسيلة اولى بها ... ابدًا ولا سبب بهِ اتوصلُ
الا خليلٌ صادقٌ ما شانهُ ... شيءٌ يكدر صفوهُ ويحولُ

قال الراوي فسر عنترة من كلامهِ غاية السرور وشكره على حسن صنيعهِ المشكور ثم تقدم بعده الفارس المنتخب الامير معدي كرب وقبل عنترة بين عينيهِ وتمثل بين يديهِ وقدم لهُ الفين وخمسمائة ناقة سود الحدق حمر الوبر ومائة ثوب من الحرير الاحمر وعشرة عقود من نفيس الجوهر وسالهُ قبولها وانشد وقال

يوم بعرسك اشرقت انوارهُ ... وعلا بطالعك السعيد منارهُ
ياعنتر الفرسان ابشر بالمنى ... وبلوغ سؤلٍ في الثناء فخاره
فالليل ابن نزلت زال ظلامهُ ... والقفر ابن حللت حلّ قفاره
فانعم باقبال الهدية سيدي ... ياصاحبًا تاهت بدارك داره

قالَ الراوي ولما فرغ معدي كرب من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات وشكره عنترة واثنى عليهِ ثم وثب بعده الامير حجار على قدميهِ وقدم لعنترة الفي ناقــة حمراء الوبر وعشرة عقود من الجوهر ومائة ثوب من الاطلس الاحمر وسالهُ قبولها وانشد يقول

أرى الجودَ كلَّ الجودِ اذ أنتَ للندى ... تصول وذلّ الناس حين تصولُ
عظمت الى ان فقت كلَّ معظمٍ ... يناديك للانصار وهو اصيلُ
واجزلت ما توليهِ نطقــًا ونائلاً ... فلفظك عذبٌ والعطاء جزيلُ
لقد نلت فصلاً للسماحــة معجمًا ... وفعلاً على رغم الحسود جميلُ
يهنيك هذا العرس يافارس الوغى ... ويا اوحد الفرسان حين تجولُ
تقبّل فدتك النفس مني هديتي ... وأعذرْ لتقصيري فانت خليلُ

قال نجد بن هشام ولما فرغ حجار من هذا الشعر والنظام شكره عنترة واثنى عليهِ وقبلهُ بين عينيهِ ثم نهض بعده حصن المازني وقدم لهُ سبعمائة جواد من الخيول المطهمة الحسان وثلثة الاف من النوق والصلان ومائة ثوب من الحرير الاخضر وعشرة عقود من الجوهر وخمسين نافجة من المسك الاذفر وسالهُ قبولها وانشد يقول

تهنا بهذا العرس يافارس الوغى وبشراك في ما كنت عنتر ترغبُ
فانت الى الخيرات اول سابقٍ فابشرْ فقد ادركت ما كنت تطلبُ

قال الراوي ثم نهض بعده مشاجع بن حسان سيد بني خولان وقبل راس عنترة بين الابطال والفرسان وقدم له من الهدايا والتحف الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان واشار يقول

هنئتَ ياعينَ الزمانِ وانجب بك لا ازال اهنئ الازمانا
اضحى بنعمتك الصديق مهنّا وغدا بسطوتك العدوُّ مهانا
اوليتنا نصرًا واوليت الندى كرمًا فانت حقيقةً مولانا
فاقبل هديّةَ ذي ودادٍ صادقٍ ياكهفنا يا تاجنا وحمانا

قال الراوي ثم نهضت بعد ذلك سادات العشاير وقدمت لعنترة ما اتت به ومعها من الاقمشة والجواهر والخيول الضوامر فقبل عنترة الجميع واثنى على الرفيع منهم والوضيع قال واتفق لعنترة في ذلك العرس من الابهة والفخر ما لم يسمع بمثله من قديم الدهر

قال الراوي وكان الملك قيس من افرح العباد لعنترة بن شداد وكذلك بنو عبس الاجواد فكان عندهم ذلك اليوم من اعظم الاعياد ما عدا عمارة بن زياد فانه زاد كمده وتفتت كبده وذاب جسده وضاقت عليه المذاهب واغلقت في وجهه ابواب كل الجوانب واجتمع باخيه الربيع وقال له اعلم ايها الاخ الحبيب والحاذق اللبيب اني ما عدت اقيم في الحياة وانصر ذلك العبد قد دخل على عبلة وبت في حال الهوان والمذلة فقال الربيع والله ياعمارة ان في قلبي من هذا العبد الغدار لهيب النار ولست تعلم كم من مرة دبرنا على هلاكه بكل سبب ورميناه في مهاوي العطب ويرجع سالمًا بالغنائم والمكسب قال يااخي انك طفت سائر الاقطار ونادمت الملوك الكبار اما تعرف بعض الحشايش المهلكة فتدلني عليها وترشدني اليها حتى ارسمها بتركها امامه في الطعام فابلغ القصد ولا ينم والا انفطرت مرارتي ومت بحسرتي فقال الربيع انني اعرف من العقاقير القاتلة والحشائش القاتلة ما لا يعرفه غيري في هذا الزمان من حكماء العرب واليونان ولكني اخاف ان انا دبرت هذا التدبير تاتي المقادير بخلاف ما في الضمير وياكله غيره من السادات المشاهير وينجو هو من الموت ويسلم ويبقى غيره في العدم وقد انفتح لي باب من اعظم الابواب فان نجحنا وكان اتم عليه من الموت والعذاب وهو اني لما خرجت الى بلاد العراق جلبت معي حشيشة يقال لها ذات الحناق عرفني بها بعض حكماء السودان وقال لي هذه الحشيشة اذا اكلها الانسان انطفت حرارته وارتخت منه المفاصل والاضلاع ويبقى عامًا كاملاً لايقدر على الجماع وتبرد احشاؤه ويعظم

بلائه وربما انقلبت شهوته الى خلفه ويفتضح بين اهله والفه

قال الراوي ففرح عمارة واستبشر لما سمع بهذا الخبر وقال وحق زمزم ومنى ان تم هذا الامر ونجحنا فهو اشد من القتل على ذلك الولد الزنا فاعطني من هذه الحشيشة ما تيسر حتى اشفي غليلي وابلغ القصد والوطر فقال الربيع ومن اين لك من يتسبب في ايصالها اليه ويضعها في الطعام بين يديه قال يا أخي جاريتي كحلا لانها صديقة خميسة امة عبلة وانا اعلم انها تدعوها الى الوليمة وتطلب منها المساعدة العظيمة وتكون هي مستعدة لهذا الشان فاذا جلس عنترة للطعام في اي موضع كان تضعها امامه في بعض الجفان وقد انقضى الشغل وهان فاذا نجحنا بهذا العمل بلغت الامل وقرّت اقراري وبرد لهيب ناري

قال الراوي وكانت هذه الجارية كحلا موصوفة بالحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وكان عمارة يحبها ويلتذ بقربها وهي التي كانت تشغله عن عبلة وتسليه عنها في اكثر الاوقات لانها كانت من الحسنات وكان اذا نظرها الانسان يظنها عبلة عند الالتفات لان جفون عيونها تشبه عينيها وهي تشابهها في مشيها وخطاها وكان عمارة يحبها مثل محبته لعبلة ويهواها [illegible] يومنا ها [illegible] في نفس عمارة وتعشق عبلة [illegible] وكان عمارة كلما احبها من المرات ترداد بها المحبة ويتصاعد [illegible] لما ذكره [illegible] من تلك الحشيشة ما يكفيه وارضاه بكتمان الخبر عن سائر البشر خوفا من عواقب الامر وفرح عمارة غاية السرور واستدعى بجاريته كحلا فلما دخلت عليه وتمثلت بين يديه قال لها اريد منك يا كحلا اذا دعتك خميسة جارية عبلة وطلبت منك المساعدة في نقل الطعام ووضعه امام السادات الكرام والملوك العظام ان تضعي هذا النبات في بعض الجفان وتتركيها برسم عنترة فلما سمعت كحلا كلامه [illegible] قصده ومرامه اجابته الى ما طلب وقالت له اعلم ايها السيد المنتخب ان خميسة [illegible] من اول النهار تطلب حضوري مع بعض الجوار وانا كنت لك في الانتظار حتى استاذنك بالمسير اليها والقدوم عليها واريد منك ان تعلمني بحقيقة هذا النبات وما فيه من الخواص [illegible] اخبرني [illegible] خوفا من الهتيكة والقصاص فقال لها لا تخافي ولا تفزعي فما هو الا انه يبغض الانسان بمشوقه بعد المحبة وازدياد المودة والصحبة واني اعلمك فرط محبتي لعبلة وما قاسيت من اجلها في الجملة وقد غلبني عليها هذا الماكر والعبد الوغد ومراده ان يتمتع بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها واموت انا وجدا وغراما وشوقا وهياما . واريد ان اطعمه هذا النبات حتى انه

يبغضها دون كل النساء والبنات فقالت له طب نفساً وقر عيناً فاني افعل ما تريد وعن امرك لا احيد ولو شئت اطعمته اياها من يدي وبلغت غاية مقصدي لانه يحبني . ويرغب قربي ويودني وكثيراً ما يمرح معي ويرفع مكاني وموضعي ويقول لي يا كحلا انت من اشبه الناس بابنة عمي عبلة فاذا رأيتك طاب قلبي وانشرح وزال عني الهم وانترح فقال لها عمارة . يا حرة العرب هذا الذي كنت اريد وارغب فان أجبتني الى هذا الطلب ابشري ببلوغ الارب ونوال الفضة والذهب ثم بات تلك الليلة وهو طيب القلب بهذا الكلام وقد خف عنه بعض الوجد والغرام. قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اصبح الحي يرهج باصوات الفرح والسرور هذا وقد نحرت الجزور وسكبت الخمور وبرزت ربات الخدور اللواتي كانهن الدرر وقد ارخين الذوائب والشعور على الاكتاف والخصور وعليهن الثياب المقصبة والعصائب المذهبة وغنت الجواري والاحرار ورقصت البنات الابكار وركبت الابطال من كل جانب وازدحمت الكتائب والمواكب وركب الامير بسطام سيد بني شيبان ونعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان ومعدي كرب ومشاجع بن حسان وجبار بن عامر فارس الميدان والملك قيس سيد بني عبس وعدنان وروضة بن مبيع والهطال وغيرهم من الفرسان والابطال وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح وذلك على سبيل اللعب والمزاح حتى ارتج الدرمن كثرة العدد واشرق بلمعان البيض والزرد وما زالوا في ضرب وكر وطعن وفر حتى حمي الحر وهو جر البر وصاح الجندب وصر فعادوا الى الخيام . واكلوا الطعام وشربوا المدام

قال الراوي وكانت كحلا جارية عمارة التي سبقت اليها الاشارة قد حضرت في ذلك اليوم مع جملة المولدات وفي يدها ذلك النبات فحانت منها التفاتة فابصرت محبوبها سعيداً وهو واقف في الخدمة مع جملة العبيد وعليه ثوب من الديباج الاحمر وعلى راسه عمامة من الحرير الاخضر فخيل لها انه احسن من كل من حضر وازهى من الشمس والقمر فزاد هواه في قلبها واخذ بمجامع لبها وقالت في نفسها ان مولاي عمارة لا عمر الله له دارا قد ذكر لي عن هذا النبات العجيب وما فيه من الخواص الغريب حتى اذا اكله عاشق من العشاق تغير قلبه عن حبيبه بعد ذلك التوق والاشتياق واريد ان عنترة يتهنأ هذه الليلة بعبلة واطعم عمارة من هذا النبات حتى تصيبه تلك العلة لعله يبغضني وعن الخروج الى الصحراء لا يمنعني لكي اجتمع بمحبوبي وانال غاية مطلوبي . قال الراوي ولما تصور في فكرها هذا الخاطر اجتمعت بامة عبلة خميسة واوقفتها على تلك الدسيسة وقالت لها مرادي ان اطعم مولاي عمارة

من هذه الحشيشة لعلة يكرهني واستريح من تلك العيشة وليس لي احد سواك لهذا العمل يا بنت الكرام لانه لا ينكر عليك اذا قدمت له الطعام لاني اخاف ان انا قدمته اليه يظهر امري عليه . قال محمد بن هشام فلما سمعت خميسة منها ذلك الكلام ابدت الضحك والابتسام واخذت منها ذلك النبات ووضعته في قصعة من الطعام وقصدت عمارة حتى وصلت اليه فسلمت عليه ووضعت تلك القصعة بين يديه وقالت له اعلم يا مولاي ان امتك كحلا مشتغلة بخدمة مولاي عنتر وقد ارسلتني اليك بهذا الطعام المفتخر ففرح عمارة واستبشر وزال عنه القلق والضجر وايقن بنوال القصد وبلوغ الوطر وقال وحق خالق البشر ما وقفت كحلا في خدمة ذلك العبد الوغد الا وقد انتهى غاية المنى ولا بد انه يذوق من ذلك الدواء ويصير هو وعبلة بالسواء ثم انه مال على القصعة حتى اكل جميع ما فيها وشرب باقيها

قال الراوي هذا ما كان من عمارة القربان واما ما كان من سادات العربان والابطال والفرسان فانهم لما فرغوا من اكل الطعام دارت عليهم اقداح المدام واخذت النساء في اللهو والطرب وطرحت عنها الوقار والادب وبرزت البنات الابكار واختلطت الاماء والاحرار وكشفن عن وجوههن البراقع وظهرت الاقمار الطوالع وسرت النواظر والمسامع ومالت اغصان القدود من شدة الطرب وفرحت الناس لعنترة ببلوغ الارب وكان لهم يوم من اعجب العجب لم يسمع بمثله في قبائل العرب من بعدها ومن اقترب فيه اشرقت بدور الحلل وتوردت الخدود من الحياء والخجل وقالت النساء الكواعب والاتراب اننا ما عدنا نستتر خلف الحجاب ولا نغادر دونها الا باب حتى تخرج عبلة للجلا وتظهر بين الملا

قال الراوي فعند ذلك دخلت على عبلة المواشط فارخين ذوائبها واصلحن حواجبها والبسنها الحلي والحلل الملونات والثياب الكسرويات والملابس المذهبات وقد ذكرنا قبل الان ما جاء به عنترة من عند كسرى انوشروان من الاقمشة النفيسة والتحف الحسان كالزمرد والياقوت البهرمان واللؤلؤ الذي يعادل خزينة الزمان فالبسنها من احسن تلك الثياب التي تدهش عقول ذوي الالباب وهي حلة من الحرير الاخضر مرصعة بقطع الجوهر وجعلن في عنقها عقدًا من الياقوت الاحمر ووضعن على راسها تاج كسرى الذي لا يوجد مثله عند ملوك البشر وكانت عبلة كما تقدم الخبر بديعة الجمال واحسن من الشمس والقمر فاشرق المكان من نور وجهها وازهر

قال الراوي فبينا الناس في حظ وانشراح واكل طعام وشرب راح واذا بالمواشط قد خرجن من باب الخيام وبين ايديهن صبية معتدلة القوام كانها البدر التمام الحاظها

راشقة والارواح اليها شائقة وارباب الالباب لها عاشقة كما قال فيها بعض واصفيها

بدوية لعب الجمال بقدها ... وبعطفها فاهتز لين قوامها
وتلفتت فرمت نبال جفونها ... فسطت علينا صائبات سهامها
فتنت جميع الخلق عند زفافها ... لما بدت كالبدر عند ظلامها
أسرت قلوب العاشقين وقد بدوا ... في اسرها سكرى حميًا كلامها
نادت محاسنها الى عشاقها ... لاتجهلوا فتمسكوا بذمامها

هذا وهي تمشي وتتبختر وتعجب بنفسها بين كل من حضر وبيدها سيف مشهر يدهش البصر ويذهل النظر فتعجب الناس من فرط ذلك الحسن والجمال وقالوا الله اكبر فيا خسارة هذا الحسن والبياض في ذلك السواد وانما القضاء والقدر لا يرد حرص العباد وكانت النساء قد اقلبن البطاح بالزراغيط والصياح الى ان اجلسنها على كرسي الجلا بين تلك الملا وكانت عبلة قد احتقرت الرجال وهانت عندها صناديد الابطال لانها سبيت جملة مرار وسافرت الى جميع الاقطار وقاست المشقات والاخطار فكانت تبتسم عجبًا بنفسها وافتخارًا على ابناء جنسها فيلمع البرق من بين ثناياها عند ابتسامها وترشق من جفونها القلوب بصائبات سهامها وتخطر فتسلب العقول بلين قوامها فلما راها عنترة على تلك الحال زاد به الخبال وغرق في بحر البلبال واشتدت به الغيرة والحمية وعصفت في راسه نخوة الجاهلية فهجم عليها هجمة الاسد الضرغام ودخل بها الى المضارب والخيام فزاد بالحساد الحسد وذابت قلوب الاعداء من شدة الغيظ والكمد

قال الراوي وابصر عمارة ذلك الحسن والجمال والبهاء والكمال فانقطع ظهره وانصرع ووكف طرفه وهمع وهمّ ان يقوم فوقع وقال ياليتني ما حضرت ولا نظرت فلا هناك الله بها ياابن الالف قرنان وسلط عليك وعليها غلبات الدهر وافات الزمان كما عجلت علينا بعدم اتمام الفرجة عليها والوداع من رؤية وجهها وعينيها فلما سمع محبو عنترة منه ذلك المقال قالوا له والله ياعمارة انه يحق له أن يفعل تلك الفعال ويصون ذلك الحسن والجمال ويغتنم الاوقات ويحذر من نزول الافات لانه قاسى من الشدائد والاهوال ما لم يقاسه احد من صناديد الرجال فقال عمارة وحق البيت المعظم ان هذه الليلة من اعظم ليالي النعم . قد فاز بها ذلك العبد الادهم ثم انه قام وانصرف وهو يعض كفيه من شدة الاسف الى ان وصل الى خيمته وقد اضطرمت النار بمهجته واجتمع بجاريته كحلا واراد ان يبرد ناره بوصالها ويتمتع

بحسنها وجمالها فلم يرَ نفسهُ كما كان يعهد فاستشاط غضباً واضطرم فؤاده لهباً والتفت على كحلا بعين الغضب وقال لها يا قليلة الادب لايكون فرط منك الفرط واطعمتني ذلك النبات بالغلط فقالت كحلا اني اعطيتهُ لخميسة جارية عبلة وقلت لها ان تطعمهُ لعنتر ولا تعلم احداً من البشر ولم ادرِ بعد ذلك ما جرى وتدبر فلما سمع عمارة ذلك الخبر خاف وانذعر وتنهد وتحسر وقال لقد فضحتني عند كل انثى وذكر لان خميسة قد اطعمتني اياه في قصعةٍ من الطعام ولكن آه ثم آه من هذه الاحكام والمصائب العظام واغبناه من ذلك الاسود الحجام . ثم انهُ وقع في قلبهِ الخوف العظيم واحترق فؤاده بنار الجحيم

قال نجد بن هشام ولما دخل عنترة بعبلة الى الخيام كما تقدم الكلام خلا بها خلوة الحبيب بمحبوبهِ وكانت تلك الليلة عند عنترة اعظم من ليلة العيد لانهُ بلغ من زمانهِ ما يشتهي ويريد وبات تلك الليلة في سرور وانشراح حتى بدت غرة الصباح

قال الراوي فعند ذلك قصدتهُ العظماء والاعيان والابطال والفرسان يتقدمهم الملك قيس في سادات بني عبس وعدنان فلما وصلوا اليهِ ودخلوا عليهِ هنأُوه بالعرس وجلسوا حواليهِ فالتقاهم بالفرح والسرور والغبطة والحبور وقال لهُ الملك قيس كيف كانت ليلتك البارحة مع الظبية السارحة فقال لهُ عنتر بعد ان حمد وشكر وحق خالق البشر اني ما نلت أربي وبلغت غاية مطلبي الا بهمتك اولاً وآخراً وما انا الا عبدك باطناً وظاهراً ثم انهُ أخذ يمدحهُ بهذه الابيات

أيا من حوى الفخرَ العميمَ ومن غدَتْ	لهُ هممٌ تعلو على الأنجمِ الزهرِ
فما عبلـةٌ الا فتـاةٌ بديعـةٌ	سقاها غمامُ الحسن من وابل القطرِ
مرنَّحةُ الاعطافِ مهضومة الحشـا	منعمةُ الاطرافِ واضحـةُ الثغرِ
هي البدرُ حسنـاً والنساء كواكبٌ	فشتانَ ما بينَ الكواكبِ والبدرِ
سرى حبها في أعظمي ومفاصلي	كما ظلَّ مني في العروقِ دمٌ يسري

قال نجد بن هشام ولم يزل القوم في اكل طعام وشرب مدام وسماع انغام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع رحلت السادات والفرسان ومن اجتمع هناك من العربان هذا وقد طاب لعنترة الوقت وزال عنهُ المقت . قال الاصمعي فبينما القوم في فرح وسرور وغبطة وحبور واذاهم بغبار قد ارتفع وثار وسد منافس الاقطار وبعد ساعة انجلى للابصار وبان من تحتهِ اكثر من خمسماية عنان كانها جوارح العقبان على خيول اخف من الغزلان والكل بالدروع الداودية والرماح السمهرية والصوارم المشرفية وفي اوايلهم فارس صنديد كانهُ البرج المشيد فبدلت

الافراح بالاتراح وعلا من النساء الصياح ولما ابصر عنترة تلك الحال ثار كانه الاسد الريبال وركب الجواد وتهيا للحرب والجلاد وطلب ذلك الغبار وتبعه كل بطل مغوار واسد كرار والى جانبه مقري الوحش الفارس الفرد والى جانبه الاخر عروة بن الورد . قال الاصمعي . وكان هذا الفارس من بني قحطان يقال له العوثبان بن السميع وهو فارس صيدع وكان قد خرج من ارضه في طلب المعاش والمكسب كما جرت في مثل ذلك عوائد العرب وما زال يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار يصل سير الليل بسير النهار الى ان وصل الى ارض الحجاز وتلك الديار وكان قد انشغل بصيد الوحوش والغزلان حتى اشرف على ديار بني عبس وعدنان قال الراوي ولما التقاه عنتر صاح فيه وزمجر وقال له من تكون من فرسان البدو والحضر أما سمعت بفعالنا وشدة حربنا وقتالنا فنحن بني عبس الكرام الضاربين بالحسام الملقبين بفرسان المنايا والموت الدوام فقال له العوثبان ويلك يا قرنان تخوفني بذكر بني عبس وعدنان ونحن ابطال الزمان ثم صاح فيه وحمل فتلقاه عنترة بقلب اقوى من الجبل وجالا واوسعا في المجال وتطاعنا طعنًا يقرب الاجال

قال الراوي وابصر عنترة الى نساء بني عبس الكواعب قد اصطفت خارج المضارب وعبلة بينهن كانها البدر بين الكواكب فهمهم ودمدم وتكلم بكلام لا يفهم وانطبق على خصمه وهجم وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فانطرح قتيلاً وبدمائه جديلاً وحمل بعده على الرجال ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال ونثرهم بالحسام تحت القتام وتبعتهم فرسان بني عبس وشفت منهم غليل النفس ورجعت الابطال بالغنائم والاموال وهم مسرورون ببلوغ الامال وعنترة امامهم كانه الاسد الريبال وهو ينشد ويقول

دعني اجدُّ الى العلياء في الطلبِ ... وابلغ الغاية القصوى من الرتبِ
لعلَّ عبلة تضحي وهيَ راضية ... على سوادي وتمحو صورة الغضبِ
يا عبلَ قومي انظري فعلي ولا تسلي ... عني الحسودَ الذي ينبيك بالكذب
اذ اقبلت حدق الفرسان ترمقني ... وكل مقدام حربٍ مال للهربِ
فما تركتُ لهم وجهــاً لمنهزمٍ ... ولا طريقًا ينجيهم من العطبِ
فبادري وانظري طعنًا اذا نظرت ... عينُ الوليد اليه شاب وهو صبي
خلقتُ للحربِ احميها اذا بردت ... واصطلي نارها في شدةِ اللهبِ
بصارمٍ حيثما جرّدته سجدت ... له جبابرة الاعجام والعربِ
وقد طلبتُ من العلياء منزلة ... بصارمي لا بامي لا ولا بابي

فمن اجاب نجا ممن يحاذرهُ ومن ابي ذاق طعم الحرب والحرب

قال محمد بن هشام ثم عاد عنترة ومن معهُ من الفرسان الكرام الى المضارب والخيام ودانت لهم الايام وكانوا يصرفون اوقاتهم بالافراح والمسرات والملاهي والدعوات وكان عنترة قد اخذ مفرج الوحش سميرًا ورفيقًا وخليلاً وصديقًا وكان كثيرًا ما يسالهُ عن حالهِ ويسليه برقة حديثهِ ومقالهِ لانهُ كان عارفًا باحوال العشاق وما يقاسونهُ من حر الفراق

قال الراوي واتفق ان الامير عنتر خرج ذات يوم من مضربهِ وقت السحر وقصد مضرب مفرج الوحش الاسد الغضنفر فسمعهُ يتاوه ويتحسر وينشد ويقول من فواد متبول

نسيمك يا رياض الشام نام ... اذا ما زارني ابرا سقامي
فهبي ما استطعت على فوادي ... عليل يشتكي كربَ الغرام
وان وافيت عهدي فاحملي لي ... الى محبوبتي طيبَ السلام
وان خطرت مسيكة من خباها ... وماست بين اطناب الخيام
سليها ان تمنّ عليّ وهنا ... بطيف تحت استار الظلام
قصدت الى العراق وقلت اني ... اعود بنعمة الملك الهمام
والقى كل جبار عنيد ... بطعن الرمح مع ضرب الحسام
فلاقاني فتى من آل عبس ... كأنّ حسامهُ شعل الضرام
اذا خاض العجاجة يوم حرب ... يشيّب فعلهُ راس الغلام
ويقطع سيفهُ سبل المنايا ... ويسبق رمحهُ رسل الحمام
همام قد بنى مجدًا رفيعًا ... لآل بغيض من دون الانام
وان نادى به يومًا فقير ... اظل عليهِ ظلاً من غمام
وجاد بنعمةٍ منهُ وفضل ... كفيض البحر يومًا وهو طام
وقد فوضت امري نحو ليث ... كريم الجد مرفوع المقام
فان جاد الزمان بجمع شملي ... بهِ وبسيفهِ العضب الحسام
والا همت بين الوحش حتى ... يذيب الشوق لحمي مع عظامي

قال الراوي فلما سمع عنترة هذه الابيات تناثرت من جفونهِ العبرات فرفع راسه الى نحو السماء وقال اللهمَّ يا من ليس لهُ حاجب فيقصد ولا اله غيره فيُعبَد اجمع شمل كل محب بحبيبهِ وبرد ما بقلبهِ من كربهِ ولهيبهِ ثم ان عنترة دخل وسلم عليهِ وسالهُ عن حالهِ فنهض مفرج الوحش اليهِ وشكره على فعالهِ وقال لهُ ايها الشقيق والصاحب الصديق اني بكل خير ما دمت في

انعامك وتحت ظل رمحك وحسامك فقال عنترة لا والله يا فارس الشام واشجع كل بطل همام انهُ لا يجب على العاشق ان يشكر ايامه الا اذا كان حبيبهُ امامه يراه يتدلل عليهِ ويهز قوامه فحينئذٍ يزول عنهُ العنا والتعب ويحق لهُ ان يفرح ويطرب لان النظر الى وجه المحبوب ينعش القلوب ويزيل الهموم والكروب ونحن على كل حال ظلمناك واطلنا بالوعد الذي وعدناك والان لم يبقَ للاعتذار مجال ولا التطويل مقال وما بقي في الامر الا المسير الى بلاد الشام وخلاص محبوبتك بحد الحسام حتى يطيب قلبك وتزول عنك الاسقام لان عندك من الشوق والغرام والوجد والهيام ما يهد الجبال الرواسي ويفتت الحجر القاسي على انني ما اتيت اليك ولا قدمت عليك الا حتى اشاورك في الركوب الى الصيد والقنص فسمعت منك ما اشغلني عن تلك الفرص فشد عزمك واوصالك حتى نسير في قضاء اشغالك وبلوغ مرادك وامالك

قال الراوي ثم ان عنترة في ساعة الحال انفذ اخاه شيبوبًا في طلب عروة ورجالهِ الابطال يامرهم بالركوب والاستعجال وانفذ ايضًا الى ابن اخيهِ المطال ومن يعتمد عليهم من صناديد الرجال الذين اشتهروا بالنخوة والحمية والشجاعة والفروسية فقال مفري الوحش يا ابا الفوارس اخر هذا الامر والزم بيتك حينًا من الدهر فان عندي مصطبر ولا ياخذني من ذلك هم ولا ضجر قال عنترة لا وحق الملك الديان خالق الانس والجان ان معاشرة النسوان لا تلهوني عن قضاء حوائج الخلان فاستعد الان للركوب والمسير ودع عنك التواني والتقصير . قال الراوي فتعجب مفري الوحش من عالي همتهِ وفرط محبتهِ ثم انهُ ركب ظهر حرتهِ بعد ما اعتد بلامتهِ واحضر شيبوب جواد عنترة الابجر فركب في الحال وركب ايضًا عروة بن الورد والمطال في ثلاثين من الابطال

قال الراوي وبلغ الملك قيس ذلك الخبر فخرج لوداع الامير عنتر وهو يتاسف على فراقهِ ويتحسر فاوصاه عنترة بالحريم والعيال وبعد ذلك رحل بمن معهُ من الرجال وجدوا في قطع البر والفدفد حتى وصلوا الى مكان يقال لهُ برقة ثهمد فتذكر عنترة ابنة عمهِ عبلة بنت مالك وما قاسي لاجلها في مواقف الاهوال والمعارك فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

بين العقيق وبين برقةِ ثهمدِ　　طللٌ لعبلةَ مستهلّ المعهدِ
يا مسرحَ الارامِ في وادي الحمى　　هل فيكَ ذو شجنٍ يروح ويغتدي
في ايمن العلمين درس معالمٍ　　اوهى بها جلَدي وبانَ تجلّدي

من كل فاتنةٍ تلفت جيدها مرحاً كسالفة الغزال الاغيدِ
ياعبلَ كم يشجي فوادي بالنوى ويروعني صوت الغرابِ الاسودِ
كيف السلوُّ وما سمعتُ حمائماً يندبن الا كنت اوّل منشدِ
ولقد حبستُ الدمعَ لا بخلاً به يوم الوداع على رسوم المعهدِ
وسأَلت طيرَ الدوح كم مثلي شجا بأنينهِ وحنينه المترددِ
ناديتهُ ومدامعي منهلَّة ابن الخليُّ من الشجيِّ المكمدِ
لو كنت مثلي ما لبثتَ ملوناً وهتفت في غصن النقا المتأَودِ
رفعوا القباب على وجوهٍ اشرقت فيها فغيبت السهى في الفرقدِ
واستوكفوا ماء العيون باعينٍ مكحولةٍ بالسحر لا بالاثمدِ
والشمس بين مضرَّجٍ ومبلجٍ والغصن بينَ موشحٍ ومقلدِ
يطلعنَ بين سوالفٍ ومعاطفٍ وقلائدٍ من لؤلوءٍ وزبرجدِ
قالوا اللقاء غدا بمنعرج اللوى واطولَ شوق المستهام الى غدِ
وتخالُ انفاسي اذا رددتها بين الطلول محتْ نقوشَ المبرَدِ
وتنوفةٍ مجهولةٍ قد خضتها بسنان رمحٍ نارهُ لم تخمدِ
باكرتها في فتيةٍ عبسيةٍ من كل أروعَ في الكريهة أصيدِ
وترى بها الرايات تخفقُ والقنا وترى العجاجَ كمثل بحرٍ مزبدِ
فهناكَ تنظرُ آل عبسٍ موقفي والخيلُ تعثرُ بالوشيج الاملدِ
وبوارق البيض الرقاق لوامعٌ في عارضٍ مثل الغمام المرعدِ
وذوابل السمر الدقاق كأنها تحت القتام نجوم ليلٍ أسودِ
وحوافر الخيل العتاة على الصفا مثل الصواعق في قفار الفدفدِ
باشرتُ موكبها وخضت غبارها وطفيت جمرَ لهيبها المتوقدِ
وكررْتُ والابطال بينَ تصادمٍ وتهاجمٍ وتحزُّبٍ وتشددِ
وفوارس الهيجاء بين ممانعٍ ومدافعٍ ومخادعٍ ومعربدِ
والبيض تلمع والرماح عواسلٌ والقوم بينَ مجدَّلٍ ومقيدِ
وموسد تحت التراب وغيره فوق التراب يأنُّ غير موسدِ
والجوُّ اقتم والنجوم مضيئةٌ والأُفق مغبرٌّ العنان الاربدِ
اقحمت مهري تحت ظل عجاجة بسنان رمح ذابلٍ ومهندِ

الكتاب الاربعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال نجد بن هشام فلما فرغ عنترة من هذا الشعر والنظام طربت الابطال الكرام وقال لهُ مفرج الوحش فارس الشام لله درك على هذه الالفاظ والمعاني التي لم يسبقك عليها امرؤ القيس ولا النابغة الذبياني لانك ما تركت من انواع الحماسة والنسيب مقالاً لشاعر لبيب وان افصح الامم هو بين يديك كالابكم فشكرهُ عنترة واثنى عليهِ وقالت لهُ ابطال بني عبس وغطفان يا فارس غسان لقد قلت عن فارس عبس بعض ما فيهِ وكثير من الناس تطلب بان تلحق طرفاً من مساعيهِ لانهُ نادرة الزمان وليث الميدان قال وكانت هذه الابيات من مختارات اشعار الجاهلية وهي من جملة قصيدة عنترة المعروفة بالعقيقية التي علقها على البيت الحرام بعد معلقتهِ الميمية وشرح فيها قصتهُ على التمام ومن قتل ومن اسر من فرسان المعارك والصدام كما سيأتي الكلام . قال الاصمعي هذا وشيبوب يقطع بهم البراري والقفار والمفاوز والاوعار وكانت كلما تلاحقت بهم الرجال يردها عنترة الى الاطلال ويقول ليس امامنا امر يوجب اكثر من هذه الابطال فتعجب مفرج الوحش وتحير من شجاعة ابي الفوارس عنترة كيف انهُ يريد ان يلتقي عساكر حوران في ثلاثين فارساً من بني عبس وغطفان وفيهم كل بطل همام واسد ضرغام

قال الراوي وما زالوا يقطعون الروابي والسهول حتى وصلوا الى ديار نبا وتلك الطلول فوجدوا تلك الارض مملوءَة من الخيام والرايات والاعلام فلما ابصر مفرج الوحش تلك الحال اعتراه الانذهال والتفت على الامير عنترة وقال اعلم ايها الاسد الرئبال اني ما كنت اعهد في هذه الارض قبل الان الا الصعاليك والفقراء من بني غسان فانتظروني في هذا المكان ساعة من الزمان حتى اكشف الخبر ثم لكز الجواد وساق على الاثر فقال لهُ شيبوب انا اسير عنك يا فارس العصر وآتيك بحقيقة الامر قال مفرج الوحش اني اخبر منك ببلادي واحرص على بلوغ مرادي وبعد ذلك جدَّ في السير وساق بسيره الطير حتى اشرف على الخيام المصونة والرايات المصرونة

قال الراوي وكان السبب في اجتماع هذه الفرسان ونزولها في ذلك المكان هو لاجل مسيكة ست مصر صاحب ارض حوران وابنة عم مفرج الوحش فارس بني غسان لانهُ بعد

مسير مفري الوحش الى الملك النعمان ترادفت على ابي مسيكة الخُطّاب من احياء الاعراب وكثرت عليها الطلاب وابوها يصدّهم وعن زواجها يردّهم ويقول لهم قد خرج امرها من يدي ويد امها وزوجناها بمفري الوحش ابن عمها قال وما زال مجير يرد الخطاب بهذا الخطاب حتى وصل خبرها الى غدير بن الحارث الوهاب ملك الشام وتلك الهضاب وكانت بنو غسان تسميه بدرَ النصرانية وسراجَ الملة المسيحية وكان من اكرم العرب .قد اتصف بالفضل والادب فلما سمع بخبر مسيكة وما هي فيهِ من الحسن والجمال والبهاء والكمال هام بها وتعلق قلبهُ بحبها ودخل على ابيهِ وحدثهُ بذلك الخبر وانهُ قد عشقها بمجرد السماع قبل وقوع النظر فلما سمع كلامهُ وفهم قصده ومرامهُ صعب ذلك عليهِ وكبر لديه وقال لهُ ياولدي ومهجة كبدي نكون ملوك غسان وامرنا نافذ في جميع البلدان ونتزوج ببنات حوران اللواتي لا قدر لهنَّ ولا شان فاتركها وامتنع عنها وانا ازوجك بصبية من بنات عمك تكون احسن منها فعظم مصابهُ وزاد التهابهُ وخرج من عند ابيهِ في الحال واجتمع بمن يعز عليهِ من الرجال وشرح لهُ محبتهُ لمسيكة بنت مجير وما في قلبهِ لاجلها من نار السعير فقال لهُ اعلم ايها السيد الماجد انهُ ليس لقضاء حاجتك غير وجه واحد وهو ان ترسل الى مجير رجلاً من اعيان الرجال يخطب منهُ ابنتهُ ذات الحسن والجمال فان اجاب بالسمع والطاعة يرحل باهلهِ الى ارض العراق من تلك الساعة وانت تقصده الى هناك حتى اذا سمع ابوك بذلك يعذرك لاجل عشقك وهواك وربما ياتي بنفسهِ اليك ويترضّاك ويبلّغك قصدك ومناك

قال الراوي فلما سمع غدير من مساعد ذلك الكلام تهلل وجههُ بالفرح وابدى الابتسام وايقن بلوغ المرام وقال وحق المسيح والدين الصحيح لقد صدقت وصواباً نطقت ثم اجتمع ببعض القواد الذين عليهم الاعتماد فحدثهُ بتلك المقالة وارسلهُ الى ابي مسيكة بتلك الرسالة فسار الرجل حتى وصل الى مجير وحدثهُ بما امره بهِ الامير غدير فقال لهُ انهُ يكون لي في ذلك الشرف الاكبر والحظ الاوفر غير انهُ قد خرج من يدي امرها وازوجتها بمفري الوحش وقد سار لياتي بمهرها فرجع الرسول في الحال واعلم مولاه بما ابداه مجير من المقال فصعب ذلك عليهِ وكبر لديه وانفذ من يومهِ الى تلك الاطلال الفين من صناديد الابطال لكي ينهبوا الاموال ويسبوا الحريم والعيال وياتوا بهم الى ارض الاعناك وهو يلتقيهم الى هناك ولما وصلت العساكر كبسوا القوم تحت ظلام الليل العاكر واخرجوا مسيكة من خباها واسروا امها واباها ثم ساروا بهمة وحمية يطلبون بدر النصرانية هذا ومسيكة تبكي على نفسها خوفاً من الانهتاك وعلى ابيها واخيها من الهلاك

قال الراوي ثم انهم جدوا في قطع البيداء فالتقوا بغدير في ارض تيماء فانسع صدره وانشرح وامتلأ قلبهُ من الفرح وطيب قلب ابي مسيكة وزاد لهُ في التوقير والاحتفال ووعده بالخلع والاموال فانعم لهُ بزواج ابنتهِ وطفي ما بهِ من نار حرقتهِ

قال الراوي وفي ذلك الوقت اشرف عليهم عنترة بن شداد ومفري الوحش الفارس الجواد وفرسان بني عبس وآل قراد كما تقدم الايراد وصار مفري الوحش يكشف الخبر و يقتفي الاثر . قال وكانت بنو غسان قد ابصرت غبار عنترة ومن معهُ من الفرسان فابتدر منهم جماعة من الابطال وتقدموا الى مفري الوحش في عاجل الحال ولما دنوا منهُ عرفهُ بعض الرجال فقال له اما انت فارس النياق الذي قصدت بلاد العراق في طلب المهر والصداق قال مفري الوحش نعم وحق البيت المعظم ولكن اعترضني الزمان وغدر بي وخان ولم اظفر بما اريد وكان طالعي غير سعيد واما انتم فما هو سبب نزولكم في هذا المكان ومن هو المقدَّم عليكم من الفرسان وما الذي جرى بعدي في الاطلال وما عندكم من اخبار مسيكة ذات الحسن والجمال فقال لهُ اما سؤالك عن بدر الكمال و بهجة الايام والليال مسيكة البهاء والدلال فقد صادها احد الفرسان المغاوير والسادات المشاهير وقد اسر اهلها وخرب الديار وقتل العبيد والاحرار قال مفري الوحش وقد زادت نيران كبده وعدم كل صبره وجَلَده وأحس ان روحهُ فارقت ميتها في جسده و يلك ومن تجاسر على هذا الامر العظيم وفعل هذا الفعل الذميم قال هو السيد المحترم والليث الغشمشم سراج الملة المسيحية غدير بن الحارث الملقب ببدر النصرانية . قال الراوي ثم انهُ حدثهُ بالقصة من اولها الى اخرها واوقفهُ على باطنها وظاهرها وقال لهُ في اخر الكلام اعلم ايها البطل الهمام اني اشور عليك ان تعود وترجع قبل ان تقع في قبضة الاسد الادرع والفارس الصميدع لانهُ قد علم بانك تحبها وتلتذ بقربها فقال لهُ مفري الوحش اعلم ياهذا ان الزمان قد انقلب وصالحني بعد العناء والتعب وبلغني غاية الارب واريد منك ان تقضي لي هذه الحاجة وتدع عنك كلام اللجاجة وهو ان تعود الى صاحبك غدير وتنصحهُ بان يترك لي مسيكة بنت مجير و يرحل من هذه الارض و يسير فان اجاب وامتثل سامحناه على ما عمل وان ابى وطلب القتال والحرب والنزال فهو الخاسر لامحال لان في صحبتي رجالاً اشد من الاسود واقوى من الفهود لايخافون طعن الرماح ولا يهابون لذع الجراح بل عندهم الذ اللذات ظهور الخيول واشهى الشهوات ملاقاة الفحول

قال الراوي فلما سمع ذلك الفارس من مفري الوحش هذا الخطاب غاب عن الصواب وقال ايها السيد المهاب ان هذا الجواب لايليق ان يقال بحق احقر الاعراب فكم بالحري

في حق ابن الحارث الوهاب انظن انك في ثلاثين من الفرسان تلقى جموع بني غسان وتعوذ سالمًا من نوائب الزمان فقال مقري الوحش ما هذا الفشار والهذيان وحق البيت والاركان اني لا اخاف من ترادف الميامن والمياسر ولو اجتمعت عليَّ فرسان القبائل والعشائر ثم انشد وقال

حلفتُ يمينًا بالحطيم وزمزمِ ومن طاف بالبيتِ العتيقِ المحرَّمِ
لاصطلينَ الحربَ في حومة الوغى والقاكمُ بالسمهريِّ المقدَّمِ
أنوخذُ اهلي انها لمصيبةٌ عليَّ وسيفي في يميني ومخذمي
ألم تعلموا يا آل غسانَ انني سموتُ بفعلي بين عربٍ واعجمِ
ألم تعلموا اني اذا الحرب اضرمت او اشتعلت نيرانها بالتضرمِ
اخوضُ لظاها ثم اطفي لهيبها واردي الى هيجانها كل ضيغمِ
فدونكمُ حربي ستلقون فارسًا شجاعًا قويًا في اللقا غير متخمِ

قال الراوي ثم انهُ بعد نظمهِ طعن ذلك الفارس في فؤاده فنكسهُ عن ظهر جواده وطعن الثاني فمزق احشاه والرابع فاعدمهُ الحياة هذا وقد صاح فيهم وهجم وهاج كما يهيج الاسد الغشمشم فانطبقت عليهِ الرجال وضيقوا عليهِ المجال وداروا بهِ من اليمين والشمال وهو يعطي السيف حقهُ والرمح مستحقهُ ويجندل الابطال ويطرحها على الرمال . ونظر عنترة اليهِ والفرسان تدور من حواليهِ فصاح على عروة بن الورد وقال لهُ ايها البطل الهمام ادرك فارس الشام بمن معك من الابطال الكرام والا قتلهُ هولاء اللئام قبل بلوغ المرام حتى امسك عليهم المضيق ومنافذ الطريق ثم ان عنترة الفرسان اطلق لجواده العنان وقوَّم السنان ومسك الطريق على بني غسان وحمل عروة بمن معهُ من الابطال وطلب مقري الوحش في ساحة المجال بقلب اقوى من الجبال وصاح دونك وهولاء الانذال ولا تخشَ من الهلاك والوبال فان وراءك ليوث البطاح واسود الكفاح وانشد وقال

الا يا بني الانذال من آل غسانِ اتتكم ليوثُ الحرب من آل عدنانِ
تبيدكمُ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ وتلقيكمُ ما بين قفرٍ وكثبانِ
بكل حسامٍ يقطع البيض والكلا واسمرَ عسالِ المهزةِ مرّانِ

قال الراوي . ثم انهُ حمل بعد انشاده وقد اجاد في حربهِ وجلاده وكان قد بلغ بدر النصرانية ذلك الحال وما فعلهُ مقري الوحش في الابطال وكم اهلك من الاقيال فاستشاط غيظًا واضطرم فؤاده لهبًا وركب ظهر الحصان وصاح على من حولهُ من الفرسان وقال دونكم

هولاء الكلاب فحملت رجالة مثل اسود الغاب وعلا القتام والضباب وتمددت الرجال على ادم التراب ونزل على فرسان بني غسان العذاب وقد عاينت من فرسان الحجاز ما يشيب الشباب هذا وفارس بني عبس الادهم وليثها الغشمشم واقف في ناحية من القتام وهو ينتظر من فرسان الشام الفرار والانهزام ولما طال عليه المقام خاف على فرسان عبس الكرام فصرخ وطلب الرايات والاعلام واجرى الدماء كفيض الغمام وهو ينشد ويقول

انا الفارس الضرغام حين تراني ... اذا فرَّ يومَ الروع كل جبانِ

ابيدُ الاعادي يومَ مشتجرِ القنا ... بابيضَ ماضي الشفرتين يماني

ولي صارمٌ فيهِ المنايا قديمةٌ ... وتبدو الرزايا فوق راس سناني

ولي سطوةٌ لا يستطيع نوالهـا ... مدى الدهر مخلوقٌ من الثقلانِ

سلي عنيَ الابطال يابنة مالكٍ ... ولا تجهلي يوم النزال مكاني

قال الراوي ثم انهُ صاح وزعق وعلى فرسان بني غسان انطبق وقدَّ بحسامهِ الدروع والدرق ونثر الرءوس مثل الورق وابصرت عساكر غسان منهُ اشد الاهوال فاعتراها الاندهال وقالت نعوذ بالله من شر هولاء الفرسان الذين كانهم مردة الجان او عفاريت سيدنا سليمان خصوصًا ذلك الاسود الذي حمل من ورانا واباد اقصانا وادنانا

قال الراوي وكان عنترة يطعن في الابطال ويمدّدَها على وجه الرمال ولم يزل على تلك الحال حتى فرق عن غدير سائر الرجال ثم صاح فيهِ وهجم عليهِ وطعنهُ بالرمح بين ثدييهِ خرج السنان يلمع من بين كتفيه فوقع الى الارض صريعًا يخج علقًا ونجيعًا وانعطف على باقي الفرسان ومدد اكثرها على بساط الصحصحان والباقون ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وما رجع عنترة من خلف المنهزمين حتى حل مقري الوحش ابا مسيكة ومن معهُ من الماسورين واطلقهم من شديد الوثاق وحدثهم بما جرى لهُ مع النعمان في ارض العراق واعاد عليهم قصتهُ مع عنترة بن شداد وما جرى لهُ معهُ في معمعة الحرب والجلاد ووصف لهم كرمهُ وفروسيتهُ في البراز واستشارهم في المسير الى بلاد الحجاز فقال مجير لقد تكلمت بالصواب واشرت بالامر الذي لا يعاب لانهُ لم يبقَ لنا بعد هذا اليوم معاملة مع القوم ولا بد للحارث ان يطالبنا بهذه الاسباب ويصلبنا في غوطة دمشق على الاخشاب ويقول بسببكم قتل ولدي ومهجة كبدي ونحن من هذا اليوم ضيوفكم وتحت قبضة سيوفكم فافعلوا بنا ما تشتهون ودبروا ما تريدون ففرح مقري الوحش واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وحدث بذلك الامير عنتر فسر بهذا الخبر وقال لهُ لا تضيق صدرك ولا تشغل بذلك فكرك فخذهم جميعًا معك

ولا تمنع احدًا ممن يريد ان يتبعك فان اموالي بفضل الله كثيرة ونعمتي غزيرة

قال الراوي فشكرهُ مقري الوحش واثنى عليهِ وقبلهُ بين عينيه ثم انهم باتوا تلك الليلة في ذلك المكان وعند الصباح رحلوا طالبين الاوطان وفي اوايلهم مقري الوحش فارس الطراد والى جانبهِ الامير عنترة بن شداد وهما من افرح الناس ببلوغ المراد

قال الراوي وما زال القوم يقطعون القفار والسهول والاوعار الى ان اشرفوا على الديار فوجدوها خاليـة من السكان لا يسمع فيها سوى صياح البوم ونعيب الغربان فاندهش عنترة من هذا الحال وزاد بهِ الوجد والبلبال وقال لعروة بن الورد ومن معهُ من الرجال اهذا الذي نراه في يقظة ام في منام فياليت شعري ما فعلت باهلنا حوادث الايام ثم زادت بهِ الاشواق وغلبت عليهِ غصةُ الفراق فبكى وانتحب وفاض دمعهُ وانسكب وانشد يقول من فوأد متبول

يادار اينَ ترحّلَ السكّانُ ... وغدَتْ بهم من بعدنا الاظعانُ
يالامسِ كانَ بكِ الظباء اوانسًا ... واليوم في عرصاتكِ الغربانُ
يادارُ عبلة اينَ خيّم قومها ... لما سرت بهمِ المطيُّ وبانوا
ناحت خميلاتُ الاراك وقد بكى ... من وحشةٍ نزلت عليهِ البانُ
يادار ارواح المنازل اهلهـا ... فاذا نأوا تبكيهم الابدانُ
ياصاحبي سل ربعَ عبلة واجتهد ... ان كان للربع المحيل لسانُ
ياعبلَ مادام الوصال لياليًا ... حتى دهانا بعده الهجرانُ
ليتَ المنازل اخبرت مستخبرًا ... اينَ استقرَّ باهلها الاوطانُ
ياطائرًا قد بات يندب الفهُ ... وينوح وهو مولهٌ حيرانُ
لو كنتَ مثلي ما لبست ملونًا ... حسنًا ولا مالت بكَ الاغصانُ
اينَ الخليُّ القلب ممن قلبهُ ... من حرِّ نيران الجوى ملآنُ
عرني جناحك واستعر دمعي الذي ... افنى ولا يفنى لهُ جريانُ
حتى اطير مسائلاً عن عبلةٍ ... ان كان يمكن مثليَ الطيرانُ
كم ذا يجرعني الزمان علاقماً ... ما لايطيق لحملها نهلانُ
لكنَّ لي جلدًا على حمل الاسى ... همٌّ يزيد وما لهُ نقصانُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات تمايلت لها السادات وتناثرت من اجفانها العبرات وتقدم عروة بن الورد الى عنتر وقال له ايها الاسد الغضنفر والصارم الذكر اصبر

على ما اصابك ودهاك ولا تكدر عيش اصحابك واصدقاك وتشمت بك اعداك فقال عنترة ما دام الامر على هذا الحال ليس لنا نزول في هذه الاطلال حتى نقتفي من اهلنا الاثار ونقف على حقيقة الاخبار

قال الراوي وكان لرحيل بني عبس خبر وحديث واصله من سنان بن ابي حارثة الخبيث لانه كان قد جمع بني فزارة من سائر الافاق وطلب بهم ارض العراق وهم في حزن واكتئاب وبكاء وانتحاب ولما قربوا من الحيرة التقى سنان بالملك الاسود خارج البلد فلما راه بكى وتنهد ورفع صوته وانشد

كن معينًا لنا على الحادثاتِ ... ومجيرًا يا ابن الكرام السَرَاةِ
خيم الذلُّ في ديار بني بد ... رٍ وصارتْ مهدومة العرصاتِ
وتشفَّتْ بهم قلوب الاعادي ... حين امسوا صرعى بجفر الهباةِ
حذفوا من حذيفة الراس بالسيـ ... ـف فاضحى رزقًا لوحش الفلاةِ
لو رايت الغديرَ طالماءُ فيهِ ... احمر اللون من دما الساداتِ
ونسانا كما ترى سارحاتٍ ... قد جرحنَ الخدود بالعبراتِ
يتسابقن نحونا بنواحٍ ... كنواح الحمائم الهاتفاتِ
كان يوم السباق يومًا مشومـًا ... ليت اني فديتهُ بحياتي
سابقونا بداحس ورمونا ... بعده بالمصائب السابقاتِ
وهمُ اليوم في نعيمٍ مقيمٍ ... وسرورٍ قد جاز حدَّ الصفاتِ
يصرفون الزمان بالقصف والعز ... ف وشرب المدام واللذاتِ
فاغثنا يا ابن العلى وأجرْنا ... واعنَّا على اللئام الطغاةِ

قال نجد بن هشام ولما فرغ سنان من هذا الشعر والنظام ابكى النواظر وحير العقول والخواطر ومن شدة ما جرى على الاسود ترجل من على ظهر الحصان وقال ويلك يا سنان دع عنك شكوى صروف الزمان وحدثني بواقعة الحال فقد قطعت ظهري بهذا المقال فقال لقد ذبحت بنو عبس سادات بني بدر ومزجوا دماءهم بماء النهر ثم اعاد عليه القصة على التمام وقدم اليهِ حصن بن حذيفة وقال لهُ ايها الملك الهمام لم يتركوا من ابناء بدر غير هذا الغلام فاستشاط الاسود غضبًا واضطرم فواده لهبًا وقال لسنان ويلك يا قرنان وما فعل الزمان بفري الوحش فارس غسان الذى ضمن لنا هلاك بني عبس وعدنان فقال لقد اصطحب مع عنترة بن شداد وصار لهُ من جملة الاعوان والاجناد وهو الذي مزق شمل

الفرسان الذين ارسلهم الملك النعمان

قال الراوي ولما بلغ اخت حذيفة الخبر تنغص عيشها وتغرمر وخرجت من الابيات وحولها النساء والبنات وهنّ منشورات الذوائب والشعور يلطمن الخدود ويقرعن الصدور ولما التقت بحصن ابن اخيها ضمتهُ الى صدرها وبكت على اهلها وذويها ثم ان الاسود اجتمع باخيهِ النعمان وحدثهُ بما جرى وكان فعظم ذلك الامر عليهِ وكبر لديهِ واقسم بالنور والنار انهُ لا بد لهُ ان يقصد بني عبس بعسكر جرار ويقلع منهم الاثار ويبيع نساءهم في سائر الاقطار . قال الراوي ثم انهُ ارسل الكتب الى سادات القبائل يستدعيهم بالحضور اليهِ في الفارس والراجل وكانت المتجردة لما وقفت على حقيقة ذلك خافت على اخيها قيس وقومها من المهالك خصوصاً عندما ابصرت الجيوش والمواكب وابطال الحلل قد اقبلت من كل جانب فارسلت الى اخيها بعض الغلمان تعلمهُ بما جرى وكان وتقول لهُ اياك يااخي ان تسمع هذه المرة من عنترة او غيره من الفرسان وتقيم في الد.. والاوطان لان الملك النعمان قادم عليكم بجيوش لاتحصى بلسان والراي عندي ان تقصدوا بلاد اليمن وتقيموا في تلك المعاهد والدمن وتبعدوا عن الوطن والا شتتكم العدى ولا يعود يجتمع لكم شمل ابدا فالحذر الحذر قبل وقوع الخطر لان هذا الملك يجب ان تخشى منعة جانبهِ نظراً لكثرة جيوشهِ ومواكبهِ

قال الراوي ولما بلغ الملك قيساً هذا الخبر اضطرب وخاف وايقن بالمحاق والتلاف ثم انهُ اجتمع بسادات بني عبس الاجواد الذين عليهم الاعتماد وحدثهم بذلك الكلام وقال لهم اعلموا ايها السادات الكرام ان النعمان قاصد الينا بجمع غفير وعدد كثير والصواب ان تاخذوا اهبتكم للمسير خوفاً من الهلاك والتدمير ويكون مسيرنا جميعاً كرة واحدة كما اشارت علينا اختي المتجردة لان اهل هذه الديار قد اصبحت اعدانا وما منهم الا من يتمنى هلاكنا وفنانا فاستعدوا للرحيل واسرعوا في الجد والتعويل حتى نقصد بلاد اليمن وتلك الاحزاب والعشائر قبل ان تصل الينا العساكر لانها كثيرة الجبال الشواهق صعبة المسالك والمضائق فقال لهُ اخوه الحارث أَرحل بالاموال والانعام ونترك عنترة في بلاد الشام والراي عندي ان ننتظره ستة او سبعة ايام ونستشيره في هذه الامور العظام فقال الربيع اذا قدم عنترة فلا بد عنا ان نرحل ويلزمنا ان نقاتل حتى نقتل وليس عندي اصوب من الهرب والفرار من العطب فاستصوب قيس راي الربيع وقال اني اخاف ان يبطىء عنترة علينا وتدركنا الاعداء قبل قدومهِ الينا ونندم على فعالنا بعد سبي حريمنا وعيالنا وليس

في الامر وفق من الاتساع في البيداء قبل ان تدركنا الاعداء ومتى قدم عنترة وسمع اخبارنا اتبع اثارنا واني لا ارحل من هذا المكان حتى اترك لهُ عبدين ينتظرانهِ في بعض الاودية والكثبان حتى اذا قدم عنترة ومن معهُ من الرجال يعلمانهِ بواقعة الحال

قال نجد بن هشام ثم انهم اخذوا اهبتهم في ثلاثة ايام وبعد ذلك رحلوا بالحريم والاموال والانعام والرجال ولما تبطنوا القفار وابعدوا عن الديار اخذوا يتشاورون على اي العرب ينزلون ويستجيرون فقال الربيع لقيس من الصواب ايها الملك المهاب ان تنزل على جبال نهلان ونكون في جوار بني حريقة وكهلان لان سيدهم الملك الرميم من اجل الناس قدرًا وارفعهم ذكرًا واوفاهم عهدًا واصفاهم ودًّا ومع كل هذه الاوصاف البديعة والمناقب الرفيعة يتمنى لكم النجاح والخير اكرامًا لابيك الملك زهير لانهُ كان قد خلصهُ من اسر بني الريان واعطاه الذمام والامان . قال الراوي فلما سمع قيس هذا الخطاب انعم واجاب ثم انهم جدوا في قطع الروابي والكثبان حتى اشرفوا على جبال نهلان فارسل الملك قيس بعض الابطال يعلم الملك الرميم بواقعة الحال ويستاذنهُ بالنزول في تلك الاطلال

قال الراوي وكان هذا الرميم من اعيان الملوك . قد اتصف بالفضل وحسن السلوك وكانت بلادهُ كثيرة الحصون والقلاع لايجزع من يلتجيء اليها ولا يرتاع وموقعها في الجهة الشرقية من بلاد اليمن وهو الحاكم على تلك الاطلال والدمن وكانت ملوك العرب تهابهُ وتراعيه وتخشى شدة باسهِ ونقمته فلما وصل رسول الملك قيس اليهِ وقص ذلك الحديث عليهِ ركب في سادات قومهِ الى لقاه واستقبلهُ واكرم مثواه وسالهُ عن حالهِ وسبب مجيئهِ من دياره واطلالهِ فحدثهُ بما جرى وكان وانهُ ما قصد تلك الديار الا فزعًا من الملك النعمان لاجل ما جمع عليهِ من الابطال والفرسان فقال الرميم لقد بلغتنا هذه الاخبار وان رُسُلَ النعمان قد طرقت هذه الديار تدعو العرب الى المسير اليهِ وسرعة القدوم عليهِ لاجل قتال بني عبس وعدنان ومن جاورهم من العربان فسار اليهِ من يخاف صولتهُ ويخشى شره وسطوتهُ واما نحن فما اجبناه ولا احتفلنا برسولهِ ولا اكرمناه لان جبالنا كما ترى شاهقة ورماحنا خارقة وسيوفنا ماحقة ولقد اصبت بقدومك علينا ومجيئك الينا الان لابيك علينا حقًا لا نضيعهُ وبيننا وبينهُ حبل من الوداد لا نقطعهُ فانزل في اي مكان شئت من هذه الارض واحكم فيها بالطول والعرض ثم انهُ بعد ذلك الايراد اخذ قيسًا والربيع بن زياد وسادات بني عبس الاطايب وسار بهم الى المضارب بعد ما امر باقي العشيرة ان تضرب خيامها على المناهل وتسرح اموالها على اخصب المنازل وقام هو بخدمة الملك قيس واخوتهِ وسادات

قومهِ وعشيرتهِ واكرمهم غاية الاكرام واضافهم ثلاثة ايام واعطاهم الامان والذمام ورجع قيس وقد ضربت لهُ الخيام واركزت من حولها البيارق والاعلام وطاب لهم المقام

قال نجد بن هشام ونظرت بنو حريقة اموال بني عبس وكثرتها وحسن مضاربها وزينتها وخيولهم الحجازية وسرادقاتهم الشامية ونوقهم العصافيرية فطمعت بنهب اموالهم واحتقرتهم لقلة رجالهم فكانوا يطردون عن المراعي نوقهم وجمالهم ويضربون اولادهم واطفالهم وكان الذي اطمعهم في هذا الامر فارسهم الاخيل بن عمرو لانهُ كان شديد الباس قوي المراس فصار يفتح عليهم ابواب الشر ويتعاطى معهم اسباب النكد والضر طمعًا بنهب اموالهم وقتل ابطالهم وسبي حريمهم وعيالهم وما زال الامر على مثل هذا الشان حتى وصل الى بني حريقة نجاب من عند الملك النعمان وقال للملك الرميم اعلم ايها السيد الكريم ان الملك النعمان نائب الدولة الفارسية طالب هلاك هذه الطائفة العبسية التي ظغت وتجبرت وبغت وقتلت ابناء بدر واكثرت من الفساد والغدر وقد جمع لقتالها مائة قبيلة من العربان وعول ان يسير اليها بسائر الفرسان ويقلع منهم الاثر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر فبلغهُ انهم قد ساروا اليك ونزلوا عليك طمعًا في جبال نهلان وان يحموا بها الاموال والنسوان وهو يقول لك ان كنت تعرف مقامهُ ورفعة قدره واحترامهُ اسرع في طرد القوم من هذا اليوم او انك تقاتل معهُ يوم وصولهِ اليهم وقدومهِ عليهم وتكون لكم الاموال والنوق والجمال ولهُ الاسرى والعيال وان كنت لا تمتثل الى هذا الكلام وقد اعطيتهم الامان والذمام فيفعل بكم كما فعل في بني نزار ويحل بكم الهلاك والدمار

قال نجد بن هشام فلما سمع الرميم من الرسول هذا الكلام وما اجتمع عند النعمان من العساكر والجنود والدساكر اشكلت عليهِ قصتهُ وضاقت بهِ حيلتهُ فاجتمع بسادات الحلة واستشارهم في هذا الامر وكان من جملتهم فارسهم الاخيل بن عمرو فقال لهُ الاخيل وحق منشي السحاب لقد تعديت ايها الملك المهاب وخرجت عن طريق الصواب باعطائك الذمام الى من لا يستاهل غير ضرب الرقاب وقد كنت عولت على نهب اموالهم وقتل فرسانهم وابطالهم لاني اعلم ان ليس لهم صديق في قبائل العرب واين نزلوا حل بهم الهلاك والعطب ونحن على كل حال احق بهذه الاموال

قال الراوي ثم انهُ التفت على رسول النعمان وقال لهُ ارجع الى ملك العربان وقل لهُ بان يكون مطمأنّ الخاطر فان الامر لا يحتاج الى كل هذه العساكر فنحن ناتي باعدائهِ الى بين يديهِ ولا نمن بهذه الخدمة عليهِ وفي هذا اليوم نبعدهم عن الجبال ونجعل لنا طريقًا الى نهب

الاموال وقتل الرجال فاستصوب هذا الراي جميع الفرسان ومن حضر من السادات في ذلك المكان

قال الراوي وعاد رسول النعمان بعد ان زاد لهُ الربيع في الانعام وقال لهُ قل للملك الهمام اننا امتثالاً لامره قد تركنا ما بيننا و بين بني عبس من العهود والذمام . قال نجد بن هشام وما قال الربيع هذا الكلام الا خوفًا من قبيلتهِ ان تخرج من طاعتهِ لانهم كانوا قد طمعوا في نهب اموال بني عبس وسبي نسائهم فاضطر ان يتبعهم ويطلب رضاهم

قال جهينة اليماني . ولما كان اليوم الثاني اذا هم بغبار قد علا وثار وسد منافس الاقطار وبعد ساعة انكشف للابصار وبان من تحتهِ اموال ونوق وجمال ومن خلفها ابطال وفرسان كانها مردة الجان على خيول اخف من الغزلان يقدمهم فارس الطراد وحية بطن الواد وقادح النار من غير زناد الامير عنترة بن شداد ففرحت بنو حريقة غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالوا ان نزول هولاء القوم في ارضنا من كمال حظنا وسعدنا لاننا قد حظينا بالمال والمكسب من دون عناء ولا تعب

قال الراوي وكان السبب في قدوم عنتر الاسد الغضنفر انهُ لما وصل الى الاوطان ورآها خالية من السكان تحسر وتنهد وانشد من الشعر ما انشد فبينما هو على تلك الحال اذ ظهر العبدان اللذان تركهما قيس في الاطلال واخبراه بمسير القبيلة الى بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن فصعب ذلك عليهِ وكبر لديهِ وقال لمن معهُ من الفرسان وحق الملك الديان خالق الانس والجان لو اني ادركتهم في هذا المكان لما كنت ارضى برحيلهم عن الاوطان خوفًا من اسم الهزيمة والهوان بل كنت الاقي طوائف العربان الذين تجمعوا من سائر البراري والكثبان وافرقهم بسيفي ورمحي الهندوان ولو انهم بعدد رمل وادي كنعان ثم انهُ بعد ذلك رحل على الاثر وهو ينشد ويقول

طربتُ وهاجني البرق اليماني وذكرني المنازلَ والمغاني
واضرمَ في صميم القلب نارًا كضربي بالحسامِ الهندوانِ
لعمرك ما رماح بني بغيضٍ تخون اكفهم يومَ الطعانِ
ولا اسيافهم في الحرب تنبو اذا عرف الشجاع من الجبانِ
ولكن يضربون الجيش ضربًا ويقرون النسور بلا اجفانِ
ويقتحمون اهوال المنايا غداة الكرِّ في الحرب العوانِ
اعبلة لو سالتِ الرمح عني اجابك وهو منطلق اللسانِ

بأني قد طرقت ديار تيا بكل غضنفرٍ ثبت الجنانِ
وخضتُ غبارها والخيل تهوي وسيفي والقنا فرسا رهانِ
وبدر قد تركناه طريحًا كأنّ عليهِ حلة ارجوانِ
شككت فؤادهُ لما تولى بصدرٍ مثقفٍ ماضي السنانِ
فخرّ على صعيد الارض ملقىً عفيرَ الخد مخضوب البنانِ
فعدنا والفخار لنا لباسٌ نسود بهِ على اهل الزمانِ

قال مجد بن هشام فلما فرغ عنترة من هذا الشعر والنظام شكرتهُ الرجال الكرام وقال لهُ مفري الوحش فارس الشام لله درك يافارس عبس وعدنان ونادرة هذا الزمان على هذه الالفاظ الرشيقة والمعاني الدقيقة فشكره عنترة على ما ابداه هذا وشيبوب يقطع بهم جوانب الفلاة وكلما وقعوا برجال سائرة سلبوها او بحلة قوم نهبوها . قال ولم يزالوا يجدون السير و يسابقون بسيرهم الطير الى ان وصلوا الي تلك البلاد كما تقدم الابراد واجتمعوا ببعضهم البعض ونزلوا في تلك الارض وعادت ارواح بني عبس اليهم بقدوم حاميتهم عنترة عليهم وامتلات قلوبهم من الافراح وزالت عنهم الهموم والاتراح وكان عنترة قد عتب على الملك قيس برحيلهِ عن الطال واستعجزه على ما فعل فقال لهُ والله ياابا الفوارس وزينة الابطال الاشاوس ما رحلت من الاطلال الا خوفًا على الحريم والعيال لان اختي المتجردة اخبرتني عن امر عظيم الشان وما قد جمعهُ بعلها الملك النعمان من القبائل والفرسان على انني لو كنت اعلم بان عودتك قريبة المزار لكنت بقيت في الديار وانما خفت بانك تبطيء في بلاد الشام وتندم على المقام ويصح فينا المثل السائر بين الخاص والعام وهو انهُ لا يصل الترياق من بلاد العراق الا ومات الملسوع واستراح الراق . فلما سمع عنترة كلامهُ علم انهُ لم يبقَ في اليد من حيلة فاقام وقد تبع رضا القبيلة وراى اجتماعه بعبلة غاية القصد والوسيلة الا انهُ لم يستقر بهِ المكان حتى دخلت عليهِ جماعة من عبيد بني عبس وغطفان وشكوا اليهِ الضيم والهوان وقالوا ياحامية عبس وعدنان لعن الله الغربة والعيش الذميم والاحتياج في الدنيا الى غير كريم لاننا من يوم نزلنا في هذا المكان نطرد ونهان ونسب ونشتم ولا نجسر ان نتكلم فقال عنترة وقد المتهُ شكواهم ورق لذلهم وبكاهم ويلكم يااخس العربان ولمَ تصبرون على الذل والهوان وتذلون لابناء هذا الزمان واهل الارض جميعًا لنا وهم فيها كالخدامين من قبلنا ومن اليوم فصاعدًا زاحموا هولاء الانذال واسقوهم الى المراعي بالنوق والجمال ومن كلمكم بما يصعب عليكم ويغمكم جودوا على راسهِ بعصيكم ولا تخافوا من هذا الامر ولا يهمكم وان عظم

عليكم الحال ونصعب وشاققتكم انذال العرب اعلموني حتى اريكم ما افعل فطابت قلوب العبيد بهذا المقال وتاهبوا للشر والقتال وفي ذلك اليوم ارسل الاخيل رجلاً الى الملك قيس يقول لهُ عن لسان الملك الرميم نريد منك ايها السيد الكريم ان ترحل بقومك عن هذا المكان وتوسع في البر عن جبال نهلان لان فرسان العشيرة ومقدمي العربان شكوا الي من ضيق المجال على المواشي والجمال وانا اخاف ان يتم عليكم امر من بعض الجهال فيضيع ما ابديناه لكم من جميل الفعال

قال الراوي . فلما سمع الملك قيس هذا الخطاب حار في رد الجواب ولم يكن لهُ داب الا انهُ قال ياهذا الشاب ارجع الى صاحبك وسلم عليهِ واعلمهُ باني قد اجبتهُ الى ما انتدبني اليهِ لان الارض ارضهُ ونحن في جواره وما نقيم بها الا على اختياره واريد منهُ ان يمهلني ثلاثة ايام حتى نرجع عنكم بسلام ونوسع في البراري والاكام فرجع الرسول الى صاحبهِ ليعلمهُ بما سمعهُ من الكلام هذا وقد اشتد الامر على الملك قيس وزاد فانفذ خلف الربيع بن زياد وحدثهُ بما سمعهُ من المقال واستشاره بالرحيل من تلك الاطلال فقال الربيع . وحق ذمة العرب وشهر رجب ما ارسل اليك القوم بهذا الخطاب الذي هو اشد من ضرب الرقاب الا تعللاً لفتح باب الشر ومعاطاة اسباب النكد والضر لانهم قد طمعوا في قتالنا وراودتهم انفسهم بنهب اموالنا وسبي حريمنا وعيالنا والراي عندي ان نجمع المواشي والاموال ونسرحها بين ايدينا في هذه الجبال وندخل الى بلاد اليمن ونسكن في تلك المعاهد والدمن والا وقعت بيننا و بين هولاء الانذال الفتن فقال الملك قيس لقد تكلمت بالصواب واشرت بالامر الذي لا يعاب غير اني اخاف يا ابن زياد من عنترة بن شداد لانهُ اذا سمع بهذا الايراد يشمر ساعديهِ للحرب والجلاد وحينئذ يعظم علينا الامر ويزداد قال الربيع انهُ لا يلزمنا ان نعلمهُ بهذا الخبر بل نقول لهُ ايها السيد الغضنفر اننا من اجلك قد لزمنا هذا المقام حتى قدمت علينا من بلاد الشام وعند وصولك عولنا ان نرحل الى اقاصي بلاد اليمن ونقيم في تلك الاطلال والدمن حتى ينقطع عنا طلب الملك النعمان ونامن على اموالنا من كل انسان ونطمان قلوب البنات والنسوان فلما سمع قيس كلامهُ استصوبهُ واستحسنهُ واستنسبهُ وقال لهُ اعلم اخونك بهذا المقال ومن تعتمد عليهم من الرجال حتى اعلم انا عنترة و باقي الابطال ونرحل في كتمان سر واختفاء حال . قال الراوي وما امسى المساء حتى شاع الخبر في القبيلة بين الرجال والنساء واستعدوا للرحيل وسرعة التحويل قال ولما بلغ الخبر ابا الفوارس عنتر استشاط غضباً واضطرم فواده همًا وقال وحق رب العباد لقد اخطأ الملك قيس بمجيئهِ الى

هذه البلاد وامثالهِ لراي الربيع بن زيادوانا اعلم انهُ لابد لعرب اليمن ان تطمع فيناوتسوق اموالنا ومواشينا والصواب ان نبذل فيهم رماحنا ونصالنا والا نهبنا وسبيت عيالنا ثم استدعى بمفري الوحش فحضر وقص عليهِ ذلك الخبر . فقال لهُ يا ابا الابطال . ولماذا تسمع انت هذا المقال وتصبر على الاهانة والاذلال فدبر ما تراه حسناً برايك السديد وفكرك الرشيد فاني اجيبك اليهِ واوافقك عليهِ . قال نجد بن هشام . فبينما هما في مثل ذلك الكلام اذ قد دخل عليهما رجل من صعاليك بني عبس فسلم عليهما وبكى بذلة وانكسار نفس وقال لعنترة اجرني يافارس الاقطار من طوارق الليل والنهار قبل ان يلحقني العار والذل والشنار ثم انهلت دموعهُ كالامطار وتتابعت على خديه شبه المدرار فلما سمع عنترة مقالهُ شفق عليهِ وتعجب مما جرى لهُ ونالهُ لانهُ كان من جيرانهِ ومن جملة الصعاليك الذين يعيشون في انعامهِ واحسانهِ فقال لهُ قل ما بدالك واعلمني بحقيقة احوالك حتى ابلغك امالك قال الراوي كان لهذا الشيخ بنت بديعة الجمال كانها الهلال قد اتصفت بالادب والكمال وحسن الخصال فلما نزلت بنو عبس في هذه الارض والاطلال نظرها غلام من بني حريقة الانذال يقال لهُ غادر بن جفال فرشقتهُ من جفونها بسهام واورثتهُ الخبال والسقام وما زال يكابد الوجد والغرام حتى احترم لذيذ المنام وكان كثيرًا ما يقف لها في الطريق ويحادثها بالكلام ولما علم ابوها بحالها سالهُ في تركها واهمالها وحجبها في الخباء خوفاً من الاقرباء فاستشاط غادر غضباً واضطرم فوادهُ لهباً وقصد اباها وتهدده بالكلام وقال لهُ ان لم تمكنني من ابنتك طيرت راسك بحد الحسام وجعلتك مثلاً بين الانام فخاف الشيخ واضطرب وايقن بحلول العطب فقصد الامير عنتر وحدثهُ بذلك الخبر

قال نجد بن هشام فلما وقف عنترة على قصة الشيخ وما ابداه من الكلام اراد ان يتبعهُ الى الخيام ويقتل ذلك الغلام فمنعهُ مفري الوحش من ذلك المرام واقسم عليهِ بالاله المتعال ان يستقر في مكانهِ وهو ينوب عنهُ في قضاء الاشغال

قال الراوي ثم نهض مفري الوحش في عاجل الحال وسل سيفهُ الفصال وسار مع الشيخ وقتل لهُ ذلك الفاجر المعروف بغادر وطرحهُ بجانب خيام بني حريقة اللئام وعاد الى ابياتهِ ونام . قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اتاه الامير شيبوب الليث الوثوب وامره بالركوب والارتحال وقال لهُ لا تركب الا وانت في غاية الاستعداد القتال وكان قد انفذ خلف عروة بن الورد يعلمهُ بهذا الحال ويقول لهُ ايها السيد المفضال لا تركب انت ومن معك من الرجال والا وانتم مستعدون الى لقاء الابطال لان الغدر قد لاح في

قلوب بني حريقة الانذال وهم يرومون نهب ما معنا من الاموال فامتثلا الى ذلك المقال وفي اقل من ساعة حمّلت العبيد الجمال والكدش والبغال واما عنترة فانهُ رفع عبلة الى محملها وسلم الى شيبوب زمام جملها وقال لهُ سر بها في اول الاموال ثم رفع امهُ زبيبة على بازل من الجمال وسلم زمامهُ الى جرير المحتال وامره ان يتبع اثر شيبوب وباقي العيال وركب الملك قيس في باقي اخوتهِ ومن يلوذ بهِ من سادات عشيرتهِ هذا وقد قلعت الخيام والمضارب وركبت بنو عبس ظهور الجنايب وتقدمت العبيد بالاموال والنسوان وتاخرت الابطال والفرسان . قال الراوي واجتمع عنترة بالملك قيس وسلم عليهِ وتمثل بين يديهِ وقال لهُ الى اي مكان تريد ان تقصد بنا قال بالقرب من هذه السباسب في مكان مناسب ولكن بشرط ان لا تبعد عنا حتى تكفينا شر ما نتعنى . على انك ما ارسلت عبلة في اول الحامل الا حتى يختار لها شيبوب احسن المنازل فتبسم عنترة من ذلك المقال وقال لهُ نعم ايها السيد المفضال لانها قرة العين والروح التي بين الجنبين . قال نجد بن هشام فبينما هما في الحديث والكلام اذ قد ارتفع القتام وكثر الزحام واقبلت بنو حريقة بكل فارس جحجاح وانتشروا في جوانب البطاح وفي ايديهم السيوف والرماح يتقدمهم الاخيل بن عمرو الفارس المذكور والبطل المشهور وهو ينهم كما ينهم الاسد ويهز في يده رمحه المسدد و ينادي الى اين تذهبون يا كلاب بني عبس وعدنان واخس العربان من بعد قتلكم ابن عمي غادر فابشروا بالموت من يد فارس بني حريقة الاسد الكاسر . قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان فرسان بني حريقة عند ما سمعت صهيل خيل بني عبس عند الرحيل ورغاء الجمال في وقت التحميل خرجت مع العبيد الى اطراف الخيام وكان الليل قد ارخى غسق الظلام فراوا غادراً قتيلاً مطروحاً جديلاً فصاحوا وبكوا وانوا وشكوا واجتمعوا بفارسهم الاخيل بن عمرو واعلموهُ بذلك الامر فعظم ذلك عليهِ واسودت الدنيا في عينيهِ وقال واحرباه من هولاء الاقوام والفجرة اللئام قد كنا معولين على قتالهم ونهب اموالهم وسبي حريمهم وعيالهم فسبقونا الى هذه الفعال ولكن وحق الاله المتعال لا بد ان انتقم منهم غاية الانتقام واجعلهم مثلاً بين الانام

قال الراوي ثم انهُ ركب ظهر الحصان وصاح في الابطال والفرسان فركبت فرسان القبيلة وحماتها وتبادرت ليوثها وكماتها وقد ذكرنا ما كان في قلوبهم من بني عبس من الحسد الذي قد اذاب الجسد فما صدقوا بوقوع الفتنة ونزول هذه المحنة حتى ركبوا ظهور الجنايب وتبادروا من كل جانب . قال الراوي ولما ابصر عنترة تلك الحال وشاهد الفرسان والابطال قال لعروة بن الورد هذا الذي كنت اشتهي واريد ايها الفارس الصنديد حتى اشفي فوادي وابلغ

غاية مرادي فدونكم واياهم ولا تخافوا من صياحهم ونداهم ثم انه التفت الى مقري الوحش وقال له اعلم يا فارس النياق ان هذا الاتفاق هو من سعادتك لاجل ان تحظى على مهر زوجتك فجودوا في الطعن والضرب وابضعوهم بكل سيف عضب ولا يكون اعتمادكم في هذه المرة على اخذ الاسرى لان أخذ الامير ذل وخيبة وقتل الفارس الشهير هو عين العز والهيبة فالذي لا يحكّم سنان رمحه في صدور الفرسان طمع فيه الذليل والجبان فقال له مقري الوحش والله يا فارس عدنان ونادرة هذا الزمان اني بعد تشريفي بنور طلعتك البهية لا احتاج الى وصية لانك قد هديتني الى طريق المعالي ونوال الشرف المتعالي وانا اعلم ان الفخر لا ينال بين سادات الرجال الا بضرب اعناق الابطال في ساحة المجال ثم انه بعد هذا المقال طلب مواكب الاعداء بقلب كالجبال وتبعه عنترة والهطال وفارس بني عبس الاقيال وصاحوا بهم فخبلوهم وحملوا عليهم فاذهلوهم وطعنوا في صدورهم فبلبلوهم فلله در الامير عنتر وما فعل في ذلك اليوم المنكر فانه نثر الفرسان ومددها على بساط الصحصحان وما زال ينثر الرجال ويجول فيهم عن اليمين والشمال وهو مثل الاسد الرئبال حتى التقى بالاخيل وهو مشتغل بالقتال ينكس ابطال المجال ويصيح يا بني الاعمام دونكم وضرب الحسام ونهب اموال هولاء اللئام فلما سمع عنترة منه هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال وصاح فيه وقال والله يا ابن الانذال ان دون الاموال وسبي الحريم والعيال طعنًا يزلزل شامخات الجبال وضربًا يشيب مفارق الاطفال قال الراوي ثم انه طلبه اشد الطلب واطبق عليه مثل السلهب وصاح فيه صيحة الغضب واقتحمه اقتحام الاسد وطعنه بالطويل الاملد فخاض الرمح في احشائه والقاه يخبط بدمائه ولما ابصرت بنو حريقة قتل فارسها الاخيل حل بها الخوف والوجل فمالت منهم السادات وطلبوا عنترة من سائر الجهات ومدّوا اليه اسنة الرماح وقد اكثروا من الصياح وهم ينادون شلت يداك وقطعت مفاصلك واعضاك يا ولد الزنا وتربية الخنا فقد قتلت لنا فارسًا يساوي بلاد الحجاز ولا يوجد نظيره في الابطال عند البراز فقال عنترة ويلكم يا اولاد العواهر ونسل الاشرار الفواجر سوف ترون مني ضربًا يبهت النواظر وطعنًا يحير العقول والخواطر وقد حلفت بالاله الازلي القادر اني لا اترك منكم سامعًا ولا ناظر الا من يعتصم برؤوس الجبال ويترك كل ما يملكه من الاموال حتى تتعلموا مكارم الاخلاق وتنزعوا عنكم الغدر والنفاق وتفوا حق الجيرة والرفاق

قال مجد بن هشام ثم انه بعد هذا الكلام الهب الحرب واحماها والتقى الابطال بالضرب واجرى دماها ووضع السيف في صدورها وقفاها ونادت بنو عبس باسمها وكناها وجاوبت

بعضها بصياحها ونداها . هذا وقد عرفت الفرسان نعيمها وشقاها وافرقت بين شدتها ورخاها وابصرت بنو حريقة صوت الموت حذاها فعظم مصابها وبلاها واضطربت قلوبها وتقطعت كلاها فتركت الاموال والعيال والتجأت الى روءوس الجبال لانها ابصرت من فرسان بني عبس ما لم يكن لها على بال فساقت بنو عبس نوقها وجمالها واخذت اسلابها واموالها وعفت عن سبي البنات والنساء المخدرات ورحلوا من تلك الاطلال وعنترة في اوائل القوم كانه الاسد الريبال والى جانبه مقري الوحش وعروة بن الورد والمطال ومن يعتمد عليهم من صناديد الرجال فتذكر عنترة معركة القتال وما لاقى من الاهوال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

حَكِّمْ سيوفَكَ في رقابِ العذَّلِ … وإذا نزلتَ بدارِ ذلٍّ فارحلِ
وإذا بليتَ بظالمٍ كنْ ظالماً … وإذا لقيتَ ذوي الجهالةِ فاجهلِ
وإذا الجبانُ نهاكَ يومَ كريهةٍ … خوفًا عليكَ من ازدحامِ الجحفلِ
فاعصِ مقالتهُ ولا تحفلْ بها … واقدمْ اذا حقَّ اللقا في الاوَّلِ
واخترْ لنفسكَ منْزلاً تعلو بهِ … او متْ كريمًا تحتَ ظلِّ القسطلِ
فالموتُ لاينجيكَ من آفاتهِ … حصنٌ ولو شيَّدْتهُ بالجندلِ
موتُ الفتى في عزةٍ خيرٌ لهُ … من أنْ يبيتَ اسيرَ طرفٍ اكحلِ
إنْ كنتُ في عددِ العبيدِ فهمتي … فوقَ الثريَّا والسماكِ الاعزلِ
أو انكرتْ فرسانَ عبسٍ نسبتي … فسنانُ رمحي والحسامُ يقرُّ لي
وبذابلي ومهنَّدي نلتُ العلا … لا بالقرابةِ والعديدِ الاجزَلِ
ورميتُ رمحي في العجاجِ فخاضهُ … والنارُ تقدحُ من شفارِ الانصلِ
خاضَ العجاجَ محجَّلًا حتى اذا … شهدَ الوقيعةَ عادَ غيرَ محجَّلِ
ولقد نكبتُ بني حريقةَ نكبةً … لما طعنتُ صميمَ قلبِ الاخيلِ
وقتلتُ فارسَهم ربيعةَ عنوةً … والهيذبانَ وجابرَ بنَ مهلهلِ
وانا ابنُ سوداءِ الجبينِ كأنَّها … ضبعٌ ترعرعَ في رسومِ المنزلِ
الساقُ منها مثلُ ساقِ نعامةٍ … والشعرُ منها مثلُ حبِّ الفلفلِ
والثغرُ من تحتِ اللثامِ كأنهُ … برقٌ تلألأَ في الظلامِ المسدلِ
ولقدْ اصبتُ من المعيشةِ لينَها … واصابني منهُ الزمانُ بكلكلِ
ودخلتُ ابنيةَ الملوكِ عليهمِ … ولشرُّ قولِ المرءِ ما لم يفعلِ

ولربَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنما   تغلو عداوة صدرهِ كالمرجلِ
ازجرتهُ عني فابصر قصدهُ   وكويتهُ فوقَ النواظر من علِ
يا نازلينَ على الحمى ودياره   هلاّ رأيتم في الديار تقلقلي
قد طالَ عزكمُ وذلي في الهوى   ومن العجائبِ عزكم وتذللي
لا تسقني ماء الحياةِ بذلّةٍ   بل فاسقني بالعزّ كاسَ الحنظلِ
ماء الحياةِ بذلّةٍ كجهنمٍ   وجهنّمٌ بالعزّ اطيبُ منزلِ

قال الاصمعي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات وقد تعجبت من فصاحتهِ وشجاعتهِ وقال لهُ مفري الوحش لا فضَّ الله فاك وبلغك غاية قصدك ومناك وحكم ماضي سيفك في رقاب اعداك فلقد فقت على الاقران بالشجاعة وفصاحة اللسان

الكتاب الحادي والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ومنتهى البيان فعذوبة الفاظك اذكى من روائح الطيب واحلى من عطفات الحبيب فشكره عنترة واثنى عليهِ ووهبهُ ما وصل من الغنيمة اليهِ حتى صار في نعمة عظيمة واموال جسيمة . قال الراوي وما زال القوم يقطعون البراري والكثبان حتى ابعدوا عن جبالي نهلان وباتوا تلك الليلة في ارض كثيرة المياه والغدران وعند الصباح عولوا على الرحيل وشدت العبيد النياق للتحميل فتقدم عنترة بن شداد ودخل على الملك قيس في جماعة من الرجال الاجوادِ وقال لهُ اعلم ايها الملك العظيم والسيد الكريم ان صديقنا مفري الوحش فارس غسان قد فارق الاهل والاوطان وتبعنا الى هذا المكان وقاتل بين ايدينا الابطال والفرسان ومن الصواب ان تجبر قلبهُ وتخفف عنهُ كربهُ وتزف اليهِ ابنة عمهِ حتى تزول شدة همهِ وغمهِ ويطيب لهُ عندنا المقام ويسلو بلاد الشام لانه من اشد الفرسان باساً واقواهم مراساً

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس من عنترة هذا المقال ابدى الضحك والابتسام وقال لهُ افعل يا ابا الفوارس ما تريد ودبر هذا الامر برايك السديد فعند ذلك امر عنترة العبيد والغلمان ان تذبح النوق والفصلان وتنصب قدور الطعام وتصف انية المدام فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر واجتمعت سادات بني عبس الكرام واظطوا على الاكل والشرب

ثلاثة ايام هذا وقد كسا عنترة الارامل والايتام وغمر بفضلهِ الخاص والعام وخلع على مفرّي الوحش حلة من ملابس الملك كسرى لم يلبس احد مثلها من سادات الورى وكذلك عبلة البست مسيكة اجلّ ملابسها وزينتها بالفخر عقودها وقواديسها هذا وقد ضربت قبة الزفاف وانجز الامر بلاخلاف ونحرت الجزور وسكبت الخمور واخذ القوم في الفرح والسرور ودارت بمسيكة الجوار ورقصت النساء والبنات الابكار ونثرت على مسيكة النثار وتعجبن من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد ذلك اخلوها على مفرّي الوحش في ذلك المكان وهي كأنها الغزال العطشان فاجلت عن قلبهِ الهموم والاحزان وكذلك ابصرت هي منه رجلاً كامل الاوصاف وكانت لهما ليلة احلى من رجوع الشباب بعد الهرم لم ير احد مثلها فيما تقدم من العرب والعجم فباتا متمتعين بالسرور والهناء بعد التعب والعناء

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح رحلوا من تلك الديار وجدّوا في قطع القفار والمفاوز والاوعار وعنترة ومفرّي الوحش يحرسونهم في الليل والنهار وما زالوا على تلك الحال مدة ايام وليال حتى تبطنوا بلاد اليمن وتغلغلوا في تلك المفاوز والدمن فبعد ذلك شكت النساء من شدة تواتر السير وقالت الجمانة الى ايها الملك قيس بن زهير الى اين انت قاصد بنا يا اتاه في هذه البراري والفلاه فقد اسقمنا التعب وصرنا مثلاً بين العرب

قال الراوي ولم يزالوا يجدّون في مسيرهم غاية الجدّ حتى وصلوا الى ارض قوم من العرب يقال لهم بني سعد وكانت واسعة الاقطار كثيرة المياه والاشجار روائحها ذكية ومراعيها بهية فنزلوا في تلك الاطلال وامنوا على الحريم والعيال وسرحوا فيها النوق والجمال وقد امتلأت بهم تلك الارض في الطول والعرض

قال الراوي وكان الحاكم على بني سعد رجلاً من صناديد الابطال يقال لهُ معاوية بن النزال فلما بلغهُ نزول بني عبس في اطلالهِ اجتمع بني عمهِ ومن يعتمد عليهم من رجالهِ وكانت قد وصفت لهُ اموالهم وكثرة نوقهم وجمالهم وقال لهم اعلموا ايها الابطال والفرسان قد نزلت علينا طائفة بني عبس وعدنان وانتشرت في بلادنا واراضينا وملكت مناهلنا ومراعينا وقد بلغني انهم منهزمون من وجه الملك النعمان وقد ساقوا معهم اموال العربان واني اخاف من عرب القفار ان تتبعهم الى هذه الديار وتطالبهم بالثار فينهبون اموالنا مع اموالهم ويسبون عيالنا مع عيالهم ومرادي أن يذهب احدكم الى هولاء القوم في هذا اليوم ويأتينا بالخبر اليقين وهل انهم راحلون ام مقيمون لاني لم ارَ احداً منهم اتى الينا في طلب الذمام ولا جاءنا بتحية وسلام فقال لهُ بعض العقال عند سماعهِ هذا المقال اعلم ايها الاسد

الريبال ان هولاء القوم غرباء في هذه الاطلال فلا تعدل عن اخلاق الكرام ولا يدخل عليك المحال وقد كثرت عليهم الاعداء والحساد فالتجأُ وا الى هذه البلاد والراي انك تحسن اليهم الجوار وتجبر قلوبهم بالاقامة في هذه الديار فان افضل الناس من ردّ لهفة الملهوف واحسن الى الجيران والضيوف وعاملهم بالاحسان والمعروف ولاسيما مثل هولاء القوم الذين شاع ذكرهم في الافاق وضربت بشجاعتهم الامثال في بلاد نجد والعراق ومن الصواب ايها الملك المهاب ان تمنّ عليهم بتلك الارض التي نزلوا فيها وان يسرحوا اموالهم في نواحيها وتشكر الرب القديم رب زمزم والحطيم الذي اوسع مرعاك واحوج اكرم الناس ان تنزل في ارضك وحماك فقال معاوية وقد اعجبهُ ذلك الكلام وزالت عن قلبهِ الاوهام قد اشتهيت يابني الاعمام ان اقف على اخبار هذه القبيلة الكريمة وهل هي راحلة ام مقيمة لاني اخاف أَن يداخلهم فينا الطمع ونقع بسوء المصرع ولا بد من كشف الخبر حتى نكون على حذَر

قال نجد بن هشام ثم انهُ بعد هذا الكلام استدعى بعجوز من اهل الفصاحة والاحتيال وقال لها اُريد منك ياام الرجال ان تركبي ناقتك وتسيري من هذا المكان وتقصدي خيام بني عبس وعدنان وتدخلي على بعض النسوان وتساليها عن احوالهم وما الذي اوجب رحيلهم من اطلالهم وهل هم مقيمون ام راحلون لان النساء قليلات العقول كثيرات الفضول يبحن بالاسرار ويفشين ما اكتتم من الاخبار فلما سمعت منهُ هذا الكلام ابدت الضحك والابتسام وقالت لهُ السمع والطاعة وانا ذاهبة اليهم من هذه الساعة ثم انها ركبت على ظهر ناقتها وقصدت بني عبس من وقتها وساعتها حتى وصلت الى الخيام واجتازت بمضارب بني قراد الكرام فرات خيامهم بابهى زينة وهي مجللة باقمشة الحرير الثمينة فوقفت على باب رفيع العماد وكان ذلك باب مضرب سمية زوجة الامير شداد فلما راتها تقدمت اليها وسلمت عليها وطلبت منها شربة من الماء فخرجت اليها سمية وسقتها وبعد ذلك حلفت عليها وانزلتها وادخلتها الى مضربها واضافتها لانها راتها امراة غريبة الزي فعلمت انها من غير حي . قال نجد بن هشام وكانت هذه العجوز فصيحة الكلام تسحر بلسانها كل بطل همام فحادثت سمية ومازحتها وسالتها عن القبيلة واستخبرتها فحدثتها سمية بما جرى لهم من الاول الى الاخر واوقفتها على الباطن والظاهر وكيف انهم نزلوا على بني حريقة وقتل عنترة حاميهم الاخيل وفعل بهم ما فعل . قال نجد بن هشام فبينما هما في الحديث والكلام اذا بعبلة قد اتت اليها ودخلت عليها ووجهها يضيء كالقمر وهي معصبة بعصابة من نفيس الجوهر ويفوح منها روائح المسك والعنبر فلما دخلت حيت وسلمت وبعد ذلك تحدثت وتكلمت فلما ابصرت العجوز حسنها

وجمالها وقدها واعتدالها تعجبت غاية العجب لانها رات بدراً لا يستره ظلام الغيهب فقالت لسمية يا امراة العم من تكون هذه العجوز قالت هي امراة سعدية من هذه الديار وقد دخلت عليّ في هذا النهار وطلبت مني الماء لانها في غاية العطش والظما

قال الراوي فعند ذلك التفتت عبلة الى العجوز وقالت لها بكلام الدلال من هو المقدم عليكم من الرجال قالت العجوز هو معاوية بن النزال صاحب النسب العالي والفخر السامي المتعالي فقالت عبلة لماذا لم يقدم على ملكنا ويسلم عليهِ ويعرض ارضهُ ومراعيه بين يديهِ اما سمع بابطالنا الاجواد وحامينا عنترة بن شداد فاذا عدت اليه اعلميهِ بحالنا واشيري عليهِ بان يكرم ساداتنا وابطالنا والا انزلوا بهِ وبقومهِ الضرر وجعلوكم عبرة لمن اعتبر فبهتت العجوز من فرط حسنها وقوة جنانها وعذوبة الفاظها وفصاحة لسانها وقالت لها ايتها السيدة العظيمة والحرة الكريمة ومن هي انا عند معاوية بن النزال حتى احدثهُ بمثل هذا المقال

قال الراوي وبعد ذلك خرجت عبلة وسارت الى مضاربها وقد اندهشت العجوز وزاد فكرها بها ثم انها التفتت الى سمية وقالت لها ياسيدة العرب من يقال لهذه الجارية وزوجة من هي من اصحاب المناصب والرتب فقالت هي عبلة بنت مالك بن قراد وزوجها هو الامير عنترة بن شداد حامية عبس وعدنان وفارس هذا الزمان الذي شاع ذكره في كل مكان واكل غفارة الملوك من بني قحطان واذل بسيفهِ ابطال العربان قال وما زالت سمية تحدث العجوز بحديث عنتر. وكم قتل وكم اسر حتى حيرت منها الفكر

قال الراوي وبعد ذلك نهضت العجوز السعدية وودعت الاميرة سمية وركبت ظهر ناقتها وسارت الى قبيلتها ودخلت على معاوية بن النزال واعلمتهُ بواقعة الحال وقالت لهُ في اخر الكلام دع عنك ذكر بني عبس الكرام واسمع مني حديثاً يبقى ذكره ما بقيت الليالي والايام ثم انها وصفت لهُ عبلة وجمالها وقدها واعتدالها وما عليها من الحلي والجواهر والملبوس الفاخر وكثّرت ما لبني عبس من الاموال وما ذكرت لها عبلة من ذلك المقال

قال الراوي فلما سمع كلامها تغيرت احوالهُ وزاد بلبالهُ وصاح من شدة ما جرى لهُ باللعرب العربا لابد لهذه الجارية ان تكون لهلاك القبيلة سببا وان لم آخذها وانال المراد هلكت وحق رب العباد لان قلبي قد مال الى روْية بهاها قبل أن اجتمع بها واراها فقالت العجوز لا تضيق صدرك وفوادك فان القوم في ارضك وبلادك وانا اعلم ان امرهم اليك يرجع ويعود وها انا ابذل في اجتماعك بها غاية المجهود ومن الصواب ايها الملك المهاب ان لا تتعرض لهم في ليل او نهار لاني سمعت عنهم حديثاً يحير الافكار فقال لها معاوية لا تحملي

هم هذا المقال ولو كنت اريد لهم الهلاك والوبال لكنت وضعت فيهم السيوف الحداد والرماح المداد وجعلتهم مثلاً بين العباد وما منعني عن هذا الشان الا عقلاء قومي خوفًا من البغي والطغيان وما ذكرت الان من الكلام يحوجني الى فسخ الذمام غير اني لا اقاتل هذه القبيلة وافنيها الا بعد وقوع نظري على هذه الجارية التي وصفتها والتامل في حسنها ومعانيها قالت العجوز اني عند الصباح اسوقها اليك وترى ماتقربه مقل عينيك فقال وكيف ذلك يا ام الرجال وماذا عولت ان تفعلي من الفعال اعلميني حتى ينشرح صدري ويطيب . ويخف عني بعض هذا اللهيب قالت قد عولت عند الصباح ان انتخب عشرة من عبيدك الوقاح واجعلهم ان يكمنوا في بعض البطاح واقصد انا مكان القوم وازورهم كما زرتهم في هذا اليوم وادخل على تلك المراة واقول لها اني لما عدت من عندك البارحة وانا متعجبة من حسن عبلة وجمالها وقدها واعتدالها فوصفتها الى بناتي فلما سمعن بصفتها تشوقن الى معرفتها فاتيت بهن على سبيل الزيارة والسلام وعند وصولنا الى اطراف الخيام اخذتهن الدهشة والخوف والرعشة عند مشاهدتهن هذه المضارب الملونات وسماعهن صياح الابطال والسادات وقلن والله يا امي ما فينا من تقدران تدخل بين هذه المضارب وفيها مثل هذه الرجال الاطايب ولم يبقَ في الامر الا اننا نستريح قليلاً ثم نرجع بدون فائدة ونكون قد خسرنا مشاهدة تلك السيدة فلما سمعت مقالهن تالم قلبي لحالهن فتركتهن في اطراف الخيام واتيت اليكِ يا بنت الكرام اسالك الخروج بعبلة عندهن لانهن في الانتظار واكرم الناس من يجبر القلوب ويقبل الاعتذار ولا ازال اكلمها بمثل هذا المقال حتى ينطلي عليها المحال ثم اخرج بها الى اطراف هذه البيد واسلمها الى العبيد وعند وصولها اليك افعل بها ما تريد . قال نجد بن هشام فلما سمع معاوية من العجوز هذا الكلام خف عنه بعض ما كان به من الغرام ورقد تلك الليلة وهو كثير الاهتمام

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انتخب عشرة من عبيده الشداد وارسلهم مع تلك العجوز بنت الاوغاد فسارت بهم وجدت في قطع الاكام حتى قربت من الخيام فعند ذلك التفتت عليهم وقالت اسبقوني الى المكان الفلاني واكمنوا فيه وتفرقوا في اطرافه ونواحيه حتى اتيكم بالجارية العبسية التي فاقت بحسنها على كل حرة عربية فامتثلوا ما امرت وفعلوا ما ذكرت وكانت قد اصحبت معها من الطيب ما يناسب كل حبيب وعند وصولها الى خيام بني قراد دخلت بيت سمية زوجة الامير شداد ومن الاتفاق العجيب والامر الغريب ان عبلة كانت عندها في ذلك الوقت فلما رأتها العجوز زال عنها

الهم ولمقت فحيتها بالسلام وقالت قد اتيتكما ببناتي في هذه المرة وقصت لها ما ذكرنا من الكلام ثم اعطتها الطيب المذكور وطلبت منها غض النظر عما وقع منها من القصور فقالت سمية يا ابنة الاطايب وهل تركتِ بناتك خارج المضارب . قالت اي وحق الملك الجبار قد تركتهن بين الاشجار وهنَّ يتقلبنَ على مقالي النار فقالت سمية لعبلة هلمي بنا الى اطراف الحلة حتى نبلغ هذه العجوز المقصود ثم نرجع ونعود فقالت عبلة ليس هذا الراي بصواب ولا يشكرهُ احد من ذوي الالباب لاني اخاف أن يصل هذا الخبر الى ابن عمي الامير عنتر فيعتب عليَّ على هذا الامر المنكر قالت سمية اذا شاع هذا الامر واشتهر فانا اكفيكِ شرَّما ياتي من الضرر واقول لهُ اني اخرجتها بل غصب . فلا ياخذك من ذلك خوف ولا رعب ولكن بشرط ان تغيري ثيابك وتكتمي هذا الامر عن امك وباقي اصحابك فعند ذلك همت عبلة أن تخرج بهمة وحمية وتفعل ما امرتها بهِ سمية واذا بابن عمها الامير عنتر قد اقبل كانهُ الاسد الغضنفر وهو يتلهف ويتحسر فقالت لهُ سمية لما رأتهُ على تلك الحال ما الذي اصابك يا ابا الابطال فاني اراك في هم وكدر وقلق وضجر قال وكيف لا يكون ذلك وقد اتفق راي قيس والربيع بن زياد وجماعة من الابطال الاجواد أن ياخذوا قطعة من النوق والجمال ويهدوها الى معاوية بن النزال خوفًا من القيل والقال فاذا فعلوا هذا الفعل الذميم طمعت فينا ملوك هذه الاقاليم وقصدتنا الى هذا المكان بالابطال والفرسان وانا وحق رب الارباب كان عندي من الصواب والراي الذي لا يعاب ان يصبروا حتى ياتينا رسولهُ بجواب ونسمع ما يرسل لنا من الخطاب فان كان لا يرضى بجوارنا قلعنا اثارهُ وملكنا ديارهُ واهلكنا كباره وصغاره ونحمي هذا المكان ونلقي هيبتنا في قلوب العربان ومن تعرَّض لنا انزلنا بهِ الذل والهوان

قال نجد بن هشام ثم انهُ بعد هذا الكلام التفت فرأى تلك العجوز وهي كانها اللبوةُ الشمطاء او الحية الرقطاء فلما رآها نفر قلبهُ منها وقال لسمية من هي هذه العجوز الغريبة ايتها السيدة الاديبة فاعلمتهُ بحالها واوقفتهُ على حقيقة احوالها

قال الراوي فلما سمع هذا الحديث والايراد خفق منهُ الفواد خوفًا على ابنة عمهِ من الاعادي والحساد ثم انهُ نهم كانهم الاسد وصاح صيحة تفلق الحجر الجلمد وجرَّد حسامهُ وتقدم الى حمار وحشٍ كان امامهُ وضربهُ بهِ قطعهُ نصفين والقاه الى الارض قطعتين وقال ويلكِ يا عجوز السوء وحق من خلق العباد واوسع المهاد وتفرَّد بالوحدانية والبقا وهو الالهُ الذي لا يزول ولا يشقى ان لم تصدقيني فيما اتيتِ بهِ من يومك والا خضبت هذا السيف من

دمك ودم قومك ويلك اما انت داية معاوية بن النزال صاحب هذه المنازل والاطلال وقد عدت اليه بالامس من هنا يابنت الانذال ووصفت له ابنة عمي عبلة وما فيها من الحسن والجمال وما هو الا قد انفذ في صحبتك جماعة من الرجال حتى تسلميهم عبلة بالمكر والاحتيال . قال الراوي ولم يكن هذا غيب من عنترة وانما الذي جعله ان يكشف حقيقة الخبر هو انه كان قد ابصر الطيب الذي جاءت به العجوز كثير المقدار لا يوجد له مثيل الا عند الملوك الكبار ولاسيما مجيئها مرتين لبيت سمية فانكر امرها وعلم بالطوية

قال مجد بن هشام ولما سمعت العجوز من عنترة ذلك الكلام تنهدت وبكت وأنت واشتكت وقالت له يامولاي لا تفعل هذه الفعال . فقد حدثتك نفسك بالمحال فمن اكون انا ياابا الابطال عند معاوية بن النزال حتى يرسلني في مثل هذه الاشغال . قال الراوي واراد الامير عنتر ان يكشف حقيقة الخبر فقال يابنت الكرام والى اي مكان ارادت تسير بكم هذه العجوز بنت اللئام قالت كان مرادها ان تسير بنا الى جواسب هذه الكثبان بزعمها ان بناتها بانتظارنا في ذلك المكان وما دام الامر كذلك فسر انت والكشف ما هنالك وانا وسمية يا ايها البطل الهمام نحفظ هذه العجوز الى ان ترجع بسلام

قال الراوي ثم ركب عنترة جواده الابجر وسار معه شيبوب الثعبان الاغبر وخرجا من المضارب والخيام وقصدا تلك الروابي والآكام فوجدا اولئك السودان وهم بانتظار العجوز في ذلك المكان فلما ابصرهم الامير عنتر صح عنده ذلك الخبر فقال لاخيه شيبوب خذ على هولاء العبيد منافذ الطريق حتى لا يهربوا ونعدم التوفيق فامتثل شيبوب ما امر وفعل كما ذكر فوجدهم تسعة عبيد وكان العاشر قد هرب وغلغل في جواسب البيد فصاح شيبوب فيهم وقال اعلموا يابني الانذال ان العجوز التي جاءت بكم الى هذا المكان وقعت في يد فارس بني عبس وعدنان وحدثته بما جرى وكان وانها ما اتت الى هذه الديار الا حتى تحتال على اخذ جارية من الجوار وحدثته بقصتكم على التمام وانكم بانتظارها خارج الخيام فاصدقونا الخبر قبل وقوع الخطر فلما سمعت العبيد منه ذلك المقال حدثوه بواقعة الحال وقالوا وحق الاله المتعال ان تلك العجوز بنت الانذال هي التي اشارت بهذا التدبير على معاوية بن النزال وقد اطمعته بالمحال . قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة منهم ذلك الكلام صاح وزمجر وانقض عليهم كانه الاسد الغضنفر والتقاهم بالاسمر والابتر فطعن الاول في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وضرب الثاني فالقاه والثالث اورده فناه والرابع جعله عبرة لمن يراه والخامس الحقه برفقاه والسادس اعدمه الحياة والسابع قطع من الدنيا مناه والثامن ترك

القبر ماواه والتاسع ناحت عليهِ اهلهُ واقرباه

قال الراوي ثم انهُ امر شيبوباً بجمع الاسلاب ورجع كانهُ اسد الغاب وقلبهُ من شدة الغيظ على العجوز يقدح بالشرر حتى وصل الى علة وحدثها بالخبر فاستشاطت غضباً واضطرم فوادها لهباً ووثبت في الحال اليها وانحذفت عليها وضربتها بنعلها على راسها فاعدمتها جميع حواسها ثم انها قبضتها من رقبتها بكل قوتها فماتت من وقتها وساعتها فعند ذلك قال شيبوب لاخيهِ عنتر اني اعلم ايها السيد الغضنفر بانك بلغت بقتلك هولاء العبيد الوطر ولكني قد حسبت لك حساباً اخر واقول انهُ يكون لنا فيهِ الهلاك الاكبر لان قلبي يحدثني بان العبد الذي سلم وقت القتال لابد انهُ يكون قد قصد مولاه معاوية بن النزال وحدثهُ بواقعة الحال فيضمر لنا الشر والنكال وينتقم من الملك قيس والربيع بن زياد ومن معهم من الرجال الاجواد لانهم لابد ان يكونوا قد وصلوا اليهِ ونزلوا عليهِ وبعد ذلك يدهمنا بالعساكر ويهجم علينا القبائل والعشائر طمعاً بنهب اموالنا وسبي اهلنا وعيالنا

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة هذا الكلام تغيرت منهُ الاحوال وقال وحق الاله المتعال لقد حسبت حساب الرجل الخبير وهذا امر يؤدي الى الهلاك والتدمير ان لم نحسن فيهِ التدبير وقد اوقعنا الربيع في امر خطير ثم انهُ احضر اخاهُ جريراً في الحال وقال لهُ اعلم ان الملك قيساً قد سار في جماعة من الرجال عند معاوية بن النزال الذي قد ظهر منهُ الغدر والضلال ومرادي منك ان تغير ثيابك وتسير الى بني سعد في هذا اليوم وتاتينا باخبار القوم فقال السمع والطاعة وما انا اسير لاكشف خبرهم من هذه الساعة ثم انهُ تزيا بزي العبيد الرعاه وجد مسرعاً في قطع الفلاه ليكشف الخبر ويرجع الى اخيهِ عنتر

قال نجد بن هشام ثم ان عنترة انفذ الى مقري الوحش فارس الشام وعروة بن الورد البطل الهمام وباقي الابطال والفرسان الكرام واخبرهم بما جرى وكان وامرهم بالركوب والاستعداد الى لقاء الاعادي والاضداد قال وكان الملك قيس قد ترك مكانهُ اخاه الحارث فلما سمع بذلك الحادث ركب في الحال وركبت معهُ الرجال والابطال واتسعوا في تلك الصحرا وهم بانتظار ما يتم ويجري ولم يبقَ في الخيام الا البنات والنسوان وهنَّ في غاية الخوف من السبي والهوان . قال نجد بن هشام وما اظلم الظلام حتى قدم جرير على اخيهِ عنترة وقال لهُ اعلم ايها الاسد الغضنفر لقد صدق اخي شيبوب في كلامهِ لان معاوية قد فسخ بذمامهِ واسر الملك قيساً ومن معهُ من الرفاق بعد ما اخذ ما معهم من الاموال والنياق وما رجعت اليك الا وهم في الشد والوثاق يلومون بعضهم بعضاً على ما اصابهم من ضيق الخناق

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان الملك قيساً ومن معهُ من الرجال لما وصلوا بالمهاري والمال الى عند معاوية بن النزال طالبين منهُ الذمام والامان وان يعيشوا بجواره في تلك الاوطان فلما رآهم زاد طمعهُ فيهم واراد ان يؤذيهم لانهُ كان قبل ذلك اليوم يريد قتالهم ونهب اموالهم وقد ارسل تلك العجوز بنت اللئام لتاتيهُ بعبلة بدر التمام من كثرة ما اصابهُ من العشق والغرام والوجد والهيام لانها كانت قد وصفت لهُ حسنها ومعانيها فاشتعل قلبهُ بنيران الهوى وازداد حبهُ فيها الى ان جرى من القصة ما جرى وقتل عنترة العبيد ومددهم على اديم الثرى وكان الذي هرب منهم دخل على مولاه ونعى اليهِ رفقاه فلما سمع مقالتهُ تغيرت احوالهُ والتفت على الملك قيس ومن معهُ بعين الغضب وقال لهم يا كلاب العرب تقتلون عبيدي ودايتي وتاتون اليَّ تطلبون ذمامي وحمايتي ثم انهُ امر فرسانهُ فقبضوا على الجميع بعد ما اخرق بهم وكلمهم الكلام الشنيع وارسل في ساعة الحال يستدعي الفرسان والابطال ويحثهم على الحرب والقتال

قال الراوي فلما وقف عنترة على حقيقة الخبر اخذه القلق والضجر والتفت على من حولهُ من بني عبس الكرام وقال لهم ماذا تقولون يابني الاعمام في كبس هولاء اللئام قبل دخول الظلام فقال مقري الوحش هذا هو الصواب والرأي الذي لا يعاب فابشر ياابا الفوارس بالنصر من الملك الوهاب لان الحذر لا يدفع القدر وان ركوب الخطر من اسباب الظفر فقال شيبوب اني لا اشير عليكم بقتالهم وحربهم ونزالهم لانهم في عدد غفير وجمع كثير ولا بد انهم يجمعون علينا القبايل ويطلبوننا بالفارس والراجل فتبطل الشجاعة عند المكاثرة وتعود تجارتنا معهم خاسرة ومن الصواب ان ترحلوا من هذا المكان بالحريم والصبيان وتتركوا الخيام والاموال وتبعدوا على اثر العيال حتى اذا اشرفوا على هذه الاطلال ووجدوها خالية من الرجال يقولون ان بني عبس لما سمعت بمسيرنا اليهم وقدومنا عليهم نجت بحريمها وعيالها واخلت لنا خيامها واموالها وانا اعلم ان اكثرهم يشتغلون بنهب الاموال ولا يصل الينا منهم الا بعض العبيد والموال فاذا تم لكم هذا الحال بلغتم الامال وهانت عليكم الاحوال وشفيتم غليلكم منهم باطراف الرماح الطوال وتحكمتم في منازلهم والاطلال لان رجالة اليمن اشد من الابطال

قال نجد بن هشام فلما سمع القوم من شيبوب هذا الكلام استحسنهُ الخاص والعام وقال شداد وحق خالق الاشباح لقد اصاب في رايهِ ابو رياح فاختاروا لكم مكاناً نسير اليهِ ونعتمد عليهِ حتى نحفظ فيهِ الحريم ونامن من كل عدو وغريم فقال شيبوب لاخيهِ عنترة اعلم ايها

الاخ الشفوق انهُ يوجد امامنا عقبة يقال لها عقبة الفروق وهي كثيرة الشعاب والوديان ومنها يتوصل الانسان الى البراري والكثبان العديمة السكان ومن الراي ان نقصد ذلك المكان بالحريم والنسوان ونتعلق بتلك الشعاب ونأمن على انفسنا من شياطين الاعراب .
قال الراوي فلما سمع عنترة منهُ ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب فاسرعوا بنا ايها الابطال بالمسير الى تلك الاطلال فعند ذلك تقدمت العبيد بالعيال وتاخرت الفرسان والابطال وركبت النساء في الهوادج على ظهور النوق واستقبلوا الطريق الذي يؤدي الى عقبة الفروق .
قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من معاوية بن النزال صاحب تلك المنازل والاطلال فانهُ لما قبض على الملك قيس والربيع بن زياد وجماعة من سادات بني عبس الاجواد انفذ الى سائر الحلل المتقاربة اليهِ واعلمهم بنزول بني عبس عليهِ وذكر لهم تلك القضية وما معهم من الجمال والنوق الحجازية فلما سمعوا تلك الرسالة ووقفوا على تلك المقالة نفروا من كل جانب وقصدوا تلك الاطلال والسباسب طمعاً بنهب الاموال والجنائب وهم معتقلون بالسيوف المواصل وفي ايديهم الرماح الذوابل وما طلعت الشمس وبدت غرة الصباح حتى لمعت الاقطار بالزرد والسلاح وظهرت الابطال الوقاح واراد معاوية ان يجمعهم في جحفل واحد ويهجم بهم على بني عبس ويبلغ المقاصد فلم يمتثلوا امره ولم يطيعوه ولم يتفقوا معهُ ولم يجيبوه بل تبادرت منهم الفرسان وقصدت خيام بني عبس وعدنان وعند وصولهم الى ذلك المكان وجدوها خالية من السكان موحشة من البنات والنسوان وابصروا النوق والجمال وهي سارحة في تلك البراري والتلال فقال بعضهم لبعض اذل الله فرسان الحجاز لانها قليلة الثبات في معامع البراز فقد رحلت في جميع فرسانها وابطالها . وفدت انفسها باموالها ثم دخل بعضهم الى الخيام بسرعة واهتمام وهم يتسابقون الى نهب الاموال والنوق والجمال فبينما هم على تلك الحال اذ قد اشرف عليهم معاوية بن النزال بالفرسان والابطال ولما بلغهُ رحيل بني عبس وعدنان بالبنات والنسوان صعب ذلك عليهِ وكبر لديهِ لان عشقهُ لعبلة اورثهُ الخبال وغيَّر منهُ الاحوال فصار يصيح على الفرسان والابطال والشجعان ويقول يا ويلكم دعوا هذا النهب فان جميعهُ لكم واني سوف اقسمهُ لكم بالسوية اذا افنينا هذه الطايفة الحجازية لان في صحبتها من النساء والبنات الابكار اللواتي كانهن الاقمار ما لا يوجد لهن نظير في سائر الاقطار وما زال يرد الرجال عن نهب الاموال حتى رد اكثر الابطال وسار بهم على اثار بني عبس الاخيار وهو في جحفل جرار

قال الراوي وكانت ابطال بني عبس سائرة خلف العيال متاهبة للحرب والقتال الا انهم

لم يصلوا الى قبة الفروق وذلك المكان حتى ادركهم بنو سعد بالابطال والفرسان وطلبهم من كل مكان وهم يصيحون يالقحطان ولما ابصر عنترة فرسانهم وابطالهم وسمع صياحهم ومقالهم غاب رشده واظهر من الشجاعة ما عنده وصاح على بني عبس الكرام هيا يابني الاعمام فقد اتاكم الامر كما تشتهون وتريدون وترغبون فدونكم هولاء الانذال حتى يعرفوا قدركم عند القتال . قال الراوى ثم انهُ بعد ذلك المقال لوى عنان الحصان وطلب الابطال والفرسان بقلب اقوى من الصوان وصاح فيهم بصوت ارتجت لهُ البراري والقيعان ونادى ويلكم اوغاد غير امجاد اما علمتم اني البطل الجواد الرفيع العماد القادح النار من غير زناد عنترة بن شداد ثم انهُ حمل وهجم وهمهم ودمدم وتكلم بكلام لا يفهم وطعن في صدور الرجال برمحهِ العسال وفعل فعال صناديد الابطال واعطى السيف حقهُ وكافأ كل احد بما استحقهُ وقطع من الحياة امالهُ ورزقهُ ولما ابصرت بنو عبس قتالهُ فعلت فعالهُ فمدت رماحها وجردت بيضها وصفاحها والتقت الابطال والفرسان وفي اوائلها مقري الوحش فارس بني غسان هذا وقد التقت الشجعان بالشجعان واتصل الضرب والطعان وعمل الصارم اليمان في المناكب والابدان وكان يوماً عظيم الشان لم يسمع بمثلهِ من قديم الزمان فلله در بني عبس عند عودتها فقد شفت غليل قلوبها عند حملتها لانها ضربت الجماجم فنثرتها وجزّت رقاب الاعادي وبددتها وصاحت في المواكب ففرّقتها وارجفت الابدان واقلقتها وسفكت الدماء واهرقتها وملأت البقاع بالدماء وغرقتها

قال الراوي وابصرت بنو سعد من بني عبس ضرباً مرّاً وطعناً لاتجد عليهِ الابطال صبرًا فقاتلت حتى قل نشاطها وكثر من شدة الحرب اغتياظها وكان معاوية بن النزال قد قاتل اشد قتال خوفاً على قومهِ من الانفلال وما زال يقاتل ويحارب ويناضل حتى سمع وقع مضارب عنترة مثل الصواعق والرجال تنفر من بين يديهِ كما ينفر القطا من امام الباشق فاعتراه الانذهال وخاف من الهلاك والوبال وصاح على من حولهُ من الرجال وقال وحق الاله المتعال ما قلت ان هذه القبيلة على قلتها تفعل هذه الفعال وما دام الليل قد اقترب فاطلبوا لانفسكم الهرب قبل وقوع العطب والا صرتم مثلاً في قبائل العرب ثم انهُ لوى عنان جواده وطلب الهزيمة وكانت سلامة نفسهِ عنده اوفى غنيمة فعند ذلك ولت كتائب بني سعد وتبعتهم بنو عبس وهم يصيحون في اثارهم صياحاً اشد من دوي الرعد . قال الراوي ولما هدأت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب قال عنترة لعروة سر في الف فارس من الابطال واقصد الحريم والعيال حتى اني اتبع هولاء الانذال واخلص الملك قيساً ومن معهُ

من الرجال ونسترد ما التاهناك من الاموال والنوق والجمال ونترل في بني سعد الذل والنكال فاجابهُ عروة الى ذلك المقال وسار في ساعة الحال وتقدم عنترة بباقي الفرسان طالباً خلاص سادات بني عبس وعدنان

قال الراوي واما ما كان من معاوية فانهُ عند وصولهِ الى خيام بني عبس وعدنان تقدمت اليهِ العبيد والفرسان الذين بقوا لنهب الاموال فرأوه على غير حال ولا يعقل على نفسهِ من شدة الفزع والخوف والجزع وابصروا فرسانهُ من خلفهِ منقطعين من عشرة ومن عشرين فلم تخف عليهم هذه الامور وعلموا ان سيدهم معاوية مهزوم ومكسور فسالوه عن حالهِ فحدثهم بما جرى وكان وما شاهد من قتال بني عبس وعدنان وقال لهم في اخر الكلام اعلموا يابني الاعمام انهُ لم يسلم معي من هذه الخلائق الا من كان جواده سابق . فلما سمعوا منهُ هذا المقال اعتراهم الانذهال وخرجوا عن دائرة الاعتدال وتركوا ما كانوا قد اخذوه لبني عبس من الاموال وقالوا اذا كان الامر على هذا الحال فما عندك من الراي ايها السيد المفضال قال من الراي ان اقصد ساداتهم الذين عندي في الاسر والاعتقال واظهر لهم الخضوع والاذلال واعتذر اليهم على ما بدا مني في حقهم من سوء الفعال واطلقهم من القيود والاغلال بعد ان يعطونا ذمامهم على الحريم والعيال فان اجابونا الى ذلك خلعت عليهم وارسلتهم الى اهلهم ثم اني اسير بكم على آثارهم ونستعين ببني تميم على هلاكهم ودمارهم

قال الراوي فلما سمع بنو سعد هذا الخطاب رأوه عين الصواب ثم انهم ساروا يطلبون خيامهم باجتهاد ومعاوية يحدثهم بما رأى من شجاعة عنترة بن شداد ومن معهُ من فرسان بني عبس الاجواد . قال نجد بن هشام وعند وصولهم الى مضاربهم والخيام اشرفت فرسان بني عبس الكرام تحت غسق الظلام يقدمهم عنترة ومفرج الوحش فارس الشام وحوافر خيولهم قد زلزلت البيداء وهم مقبلون مثل الغمامة السوداء الا انهم لما قربوا من المضارب صاحوا وحملوا من كل جانب فلم يجدوا فيها من محارب ولا من يطاعن ويضارب فعلموا ان اعداءهم قد انهزمت في اقطار السباسب

قال الراوي فنزلوا عن ظهور الخيول وباتوا تلك الليلة في تلك الطلول ولما اقترب الصباح تقلدوا البيض الصفاح واعتقلوا الرماح وركبوا الجرد القداح وطلبوا حي بني سعد الا انهم ما غابوا عن المضارب واشرقت عليهم الشمس حتى التقوا بالملك قيس وسادات بني عبس ومعهُ جميع اخوتهِ والربيع بن زياد ورفقتهُ وهم على الخيول الغالية الثمن وعليهم الخلع التي هي اجود ملابس ملوك اليمن ومعهم اضعاف ما أُخذ لهم من الاموال وما كانوا

قدموه الى معاوية بن النزال من التحف الغوال والنوق والجمال فلما رآهم على تلك الحال علم انهُ قد اصاب فيا قال وان معاوية قد اخذ منهم الذمام على الحريم والعيال فعند ذلك ترجل هو ومن معهُ من الابطال وتقدم الى الملك قيس ومن معهُ من الرجال وهناهم بالسلامة من الوبال والخلاص من شرك الاعتقال فحدثهُ قيس بما جرى وكان وقال لهُ بعلو همتك يا ابا الفرسان قد رُدت اموالنا وصلحت احوالنا لان الرجل لما عاد منهزمًا دخل علينا واعتذر الينا وطلب منا الذمام على البنات والنسوان فاعطيناه الذمام والامان وعرض علينا سائر اموالهِ ونوقهِ وجمالهِ

قال مجد بن هشام ثم انهم بعد هذا الكلام عادوا الى المضارب والخيام وهم في غاية السرور والغبطة والحبور فعند ذلك تفرقت الابطال وجمعت الخيل والجمال وساروا طالبين الاهل والعيال وعنترة امامهم كانهُ الاسد الريبال وهو ينشد ويقول

الا قاتل الله الطلولَ البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشيء الذي لاتنالهُ ... اذا ما هو احلولى الا ليتَ ذا ليا
رحلنا فاوحشنا الحجاز واهلَهُ ... فمن بعدنا الايام صارت لياليا
وما بلغ النعمان منا مرادهُ ... وما اشمت الرحمن فينا الاعاديا
ونحن منعنا بالفروقِ نساءنا ... نصرّف عنها مشملاتٍ غواشيا
حلفت لهم والخيل تدمي نحورها ... نزايلكم حتى تهزّوا العواليــا
عواليَ زرقا من رماحٍ ردينةٍ ... هرير كلابٍ يتقينَ الافاعيــا
ألم تعلموا انَّ الاسنَّةَ احرزت ... بقيتنا لو أنَّ للدهرِ باقيــا
ونحفظ عورات النساء ونتقي ... عليهنَّ ان يلقينَ يومًا مخازيا
وانّا ابينا ان تصبّ لثاتكم ... على مرشفاتٍ كالظباء عواطيا
وقلت امرءٌ قد اخطر الموت نفسهُ ... الا من لامرٍ حازم قد بدا ليا
حلفتُ لقومي والقنا يقرع القنا ... يمينًا بمن ارسى الجبال الرواسيا
باني اردُّ الخيلَ وهي خليَّة ... وفرسانها تبكي الغداة شواكيا
فبادرتها بالطعن حتى تركتها ... ترى السهلَ من خوف المنية واديا
ومن قال اني سيدٌ وابن سيدٍ ... فسيفي وهذا الرمح عمي وخاليا
دعوني واتّي السيف في الحرب حقهُ ... واشرب من كاس المنيةِ صافيا
ويصبح جسمي بالقفــار مجندلاً ... يقسمهُ وحشٌ يطوف الفيافيا

قبيحٌ على مثلي ينام موسَّدا   يقاسي الردى والليل قد جنّ داجيا
تعالوا الى ما تعلمونَ فانني   ارى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات ثم انهم جدوا في قطع الفلوات حتى ادركوا النساء والبنات واذا بغبار من خلفهم قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار وبعد ساعة ارتفع وتزويع وضربته الرياح الاربع فانكشف وبان عن ابطال وفرسان على خيول اخف من الغزلان

قال الراوي وكان هذا غبار معاوية بن النزال وقد جاء في نهب الاموال لانه لما اطلق الملك قيسًا واصحابهُ من الاعتقال وارسلهم الى اهلهم بالخلع والاموال التفت على من حولهُ من الرجال وقال لهم اعلموا ايها السادات والابطال اني ما فعلت هذه الفعال الا لاجل بلوغ الامال لاني خفت من هذه الطايفة العبسية والعصابة العدنانية وقلت في نفسي بانها سوف تخلص ساداتها غصبًا ونسوق حريمنا شرقًا وغربًا والان فقد تبدل خوفنا بامان وامنا على حريمنا من هذا الشان ولا بد لنا ان ندركهم وننهب اموالهم ونهلكهم

قال الراوي ثم انهُ ركب في خمسة الاف رجل من كل فارس مشهور و بطل مذكور وكان قد تبعهُ جابر سيد بني تميم في جيش عظيم وجدوا في المسير وسابقوا بمسيرهم الطير حتى ادركوا القوم في ذلك اليوم

قال الراوي ولما ابصرهم عنتر طار من عينيهِ الشرر وصاح على الفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقال دونكم هولاء الانذال وبادروهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ثم انهُ بعد هذا المقال لوى عنان الحصان وطلب معركة الطعان وتبعتهُ الابطال والفرسان بقلوب اقوى من الصوان والتقوا ذلك الجحفل العظيم واقتتلت بنو عبس مع بني سعد وتميم ولم يزالوا في اشد حرب وجلاد حتى لعبت السيوف في الاجساد وتقطعت القلوب والاكباد وافتخر الشجاع وساد وطلع الغبار من تحت حوافر الخيل وصار النهار مثل الليل فللهِ درُّ الامير عنتر وما فعل في ذلك اليوم المنكر فانهُ فرّق الكتائب ومزّق المواكب واظهر الاهوال والعجائب وفعلت بنو عبس في ذلك اليوم ما ازعج قلوب القوم

قال الراوي هذا وعنترة قد طلب معاوية بن النزال فادركهُ وهو يصادم الابطال ونخيها على الحرب والقتال فانطبق عليهِ وطعنهُ بالرمح بين ثدييه خرج السنان من بين كتفيه فوقع على الارض صريعًا يمج علقاً ونجيعًا ولم تكن الا ساعة من النهار حتى ولت الاعداء وتفرقت في جوانب القفار واستولت بنو عبس على الاسلاب والرحال وعادوا الى

الحريم والعيال وهم في احسن حال وانعم بال وباتوا تلك الليلة في سرور وافراح وبسط وانشراح ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح عزموا على الرحيل من ذلك الطلل المحيل لانهم رأوا ارضاً موحشة مقفرة مدهشة قليلة النبات كثيرة المهالك والافات فرحلوا يطلبون غيرها من قلة مائها وخيرها وقد وقعت هيبتهم في قلوب اهل اليمن وسكان تلك الاطلال والدمن ثم انهم جدوا في قطع المهاد وفي مقدمتهم مقري الوحش وعنترة بن شداد هذا وعنترة قد ذكر ما جرى له في ارض المصانع من الاهوال والوقايع فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكتتم في ضمائره فانشد وقال

اذا كشفَ الزمان لك القناعا ومدَّ اليكَ صرفُ الدهر باعا
فلا تخشَ المنيــة والتقيهـا ودافع ما استطعتَ لها دفاعا
ولا تختر فراشًا من حريرٍ ولا تبك المنازل والبقاعا
وحولك نسوة يندبنَ حزنًا ويهتكنَ البراقع واللفاعا
يقول لكَ الطبيب دواك عندي اذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داء يردُّ الموت ما قاسى النزاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبرًا مشاعا
اقمنا بالذوابل سوق حربٍ وصيرنا النفوس لها متاعا
حصاني كان دلاَّل المنايا فخاض جموعها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيبًا يداوي راس من يشكو الصداعا
انا العبد الذي خبِّرتُ عنهُ وقد عاينتني فدَع السماعا
ولو ارسلت رمحي مع جبانٍ لكان بهيبتي يلقى السباعا
ملاتُ الارض خوفًا من حسامي وخصمي لم يجد فيهِ اتساعا
اذا الابطال فرَّت خوف باسي ترى الاقطار باعًا اوذراعا

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها الابطال والسادات وحفظوها حفظ الايات وكان اكثرهم طربًا مقري الوحش الاسد الغضنفر فاطنب في مدح عنترة واثنى عليهِ وشكر امام من حضر وقال لهُ لله درك من شاعر مجيد وفارس صنديد فوالله ما تركت لشاعر مقالاً ولا لفارس مجالاً ولولا سيفك القاطع لكنا هلكنا في هذه الحروب والمعامع وصرنا مثلاً عند كل ناظر وسامع

قال نجد بن هشام ومازالوا يقطعون البراري والاكام مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي

عشر اشرفوا على ارض واسعة الجنبات كثيرة المياه والنبات ماؤها احلى من الشهد وهواؤها اذكى من روائح الند فنزلوا فيها وسرحوا اموالهم في نواحيها . قال الراوي ولما قر بهم القرار في تلك الديار قال قيس لشيبوب نحن في اي مكان من بلاد العربان قال اعلم اننا قد اقتربنا الى البحر الزاخر وهذه الارض يقال لها اميا عراعر وصاحبها ملك عظيم الشان قوي السلطان كثير الجنود والاعوان يقال له مسعود بن مصاد وهو معدود من اكابر ملوك هذه البلاد وقومه هم بنو كلب بن وبرة الذين اشتهروا بالشجاعة والقدرة وهذه القبيلة تنيف على عشرة الاف بيت مجتمعة يخرج من كل بيت الفارس والفارسان والبعض يخرج منه اربعة والراي عندي ايها الملك الهمام ان تقصدوا هذا الملك وتطلبوا منه الذمام . قال نجد بن هشام فلما سمع الملك قيس هذا الكلام التفت الى الربيع بن زياد واستشاره بالمسير الى مسعود بن مصاد فقال الربيع ليس بهذا من باس وما زالت الرجال تقصد بعضها وتحامي في اموالها عن عرضها لاننا قد مللنا من الحرب والقتال والطعن والنزال وكم جهد الانسان ان يتعب ويلقي نفسه الى مهاوي العطب ونحن اذا رشونا في بعض اموالنا فهو احسن لنا من ان تنهب العرب خيلنا وجمالنا ثم انهم باتوا تلك الليلة في تلك البطاح ولما اصبح الصباح لبس الملك قيس افخر ثيابه ثم ركب الجواد وركب الربيع بن زياد وجماعة من اكابر القواد وكان قد عرض على عنترة ذلك التدبير وساله ان يركب معه ويسير الى مقابلة مسعود بن مصاد صاحب تلك الارض والبلاد فما اجابه بجواب غير انه صاح وهمهم وتكلم بكلام لا يفهم ولم يعجبه ذلك الامر المبهم وسار قيس والربيع بن معهما في ذلك اليوم طالبين حلل القوم . قال الاصمعي وكان هذا الملك مسعود صاحب اميا عراعر من الملوك الاكابر اصحاب الجنود والعساكر وكانت خيامه مضروبة بارض الرياض على ماء يقال لها الفياض وهو كثير البرك والحياض وكانت تلك الارض كثيرة الاشجار والبساتين والازهار وفيها من غرائب الوحوش والاطيار ما يحير الافكار ويدهش الابصار . قال ولما وصل الملك قيس بمن معه الى تلك القبيلة وشاهدوا تلك المناظر الجميلة اخذتهم الدهشة واستولت عليهم الرعشة وكانت قد اعترضتهم الرجال وقصدتهم الفرسان والابطال وسالوهم عن احوالهم ومن يكونون من العرب اصحاب المناصب والرتب فقال الربيع نحن قوم من بلاد الحجاز وتلك الديار قد جئنا نطلب منكم الذمام والجوار فقالوا لهم اهلاً وسهلاً بوجوه العربان ابشروا بطيب الجوار والامان وجلالة القدر ورفعة الشان لانكم اذا كنتم في جوار هذا الملك العظيم السلطان عادوا من شئتم من ملوك الزمان وقد امنتم طوارق الحدثان

قال نجد بن هشام فشكرهم الربيع على ذلك الكلام وبعد ذلك سارت بهم الحجاب نحو المضارب والقباب فراوا خياماً اكثرها من الحرير الاحمر والاخضر وهي مزركشة بالذهب الاصفر . قال الراوي فاندهش الملك قيس وانبهر من حسن ذلك المنظر وقال الربيع لقيس والله ما هذا الملك الامن اكابر ملوك العربان وربما يقارب الملك النعمان في الهيبة ورفعة المكان فلم يخب سعينا عليهِ ولا قصدنا اليهِ لان مثلهُ يجب ان يقصد ويزار ويستعان بهِ على النوائب والاخطار لاسيما اننا غرباء في هذه الديار وانا اسالك يا ابن الامجاد بحق رب العباد لا عدت تصغي من الان فصاعداً الى كلام عنترة بن شداد لانهُ يرغب في الحرب والجلاد

قال نجد بن هشام ولما صاروا بقرب الخيام توائبت اليهم العبيد والخدام وقابلتهم بالبشاشة والابتسام وسلموا عليهم بلين الكلام وقالوا لهم اعلموا يا وجوه العرب اصحاب المناصب والرتب ان الملك قد خرج الى الصيد والقنص وقد اقترب وقت مجيئه من اغتنام الفرص ولكن يوجد في هذا المكان من ينوب عنهُ في الضيافة من العبيد والغلمان وسوف ترون ما يسركم لواقمتم حيناً من الزمان ثم بسطوا لهم الوسايد والطراريح واكثروا من الفرش المليح وانزلوهم امام السرادق واحضروا لهم الطعام اللائق واسقوهم من المدام الرايق

قال الراوي وما اقاموا غير بضعة من النهار حتى ارتفع الغبار من جوانب القفار ثم انجلى للانصار وبان من تحتهِ موكب عظيم ومحفل جسيم وكلهم بالبرود اليمنية والسيوف الهندية ومن تحتهم الخيول العربية يقدمهم الملك مسعود وعلى راسهِ الرايات والبنود فلما نزلوا في الخيام نهض الملك قيس على الاقدام وتقدم اليه وسلم عليه وكذلك فعل الربيع بن زياد ومن حضر من سادات بني عبس الاجواد فرد عليهم السلام وترحب بهم وباسطهم بالكلام فقال لهُ الملك قيس اعلم ايها السيد الكريم والملك العظيم اننا قوم من عرب الحجاز وتلك البراري والمفاز وقد غدر بنا الزمان وعادانا الملك النعمان فاضطرنا الامر الى الدخول في الاخطار وقطع البراري والقفار فما نزلنا في مكان قط الا وداخل اصحابهُ فينا الطمع واتصل الحرب فيما بيننا ووقع وقد التجأنا الان اليك وجعلنا اعتمادنا من بعد الله عليك لكي نعيش تحت ظلك الحريز وامان جنابك العزيز هذا اذا كان لك في ذلك ارادة وساعدتنا عليك اوقات السعادة والا اوسعنا في البراري والاكم وجاورنا الوحوش وسباع الاجم ان كان حظنا قد قل من بني ادم واتفقت على حربنا العرب والعجم

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك مسعود من قيس هذا الكلام رق لهُ قلبهُ ومال لعذوبة الفاظهِ لبهُ وكان قد رأى عليهِ ذلك الزيّ الفاخر واللباس الباهر فعرف انهُ من سادات

بعض العشاير فقام له على الاقدام واعتنقة امام السادات الكرام وجبر قلبة بلين الكلام وقال اهلاً وسهلاً بوجوه العرب اصحاب الحسب والنسب فوالله العظيم رب زمزم والحطيم اننا لا نبخل عليكم بمالنا لا كثيراً ولا قليل ولا تركنا لنوائب الدهر عليكم من سبيل ولا نتخلى عنكم حتى تلعب خيل اعدائكم بروؤسنا وتفارق اجسادنا نفوسنا فآمنوا على اموالكم وحريمكم وعيالكم ونوقكم وجمالكم

الكتاب الثاني والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وانزلوا في اي مكان شئتم من هذه الارض واحكموا في طولها والعرض وابشروا بالامان من نوائب الزمان ولو كان مع خصمكم النعمان كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان

قال الراوي ثم انه خلع عليهم الخلع وازال عن قلوبهم الخوف والفزع واكرمهم على خاص رجاله الامجاد اكراماً ليس فيه مستزاد وقدم الى كل واحد منهم عمامة وجواد وزاد لهم في الانعام ونحر لهم النوق والاغنام وصنع لهم افخر الطعام وسقاهم من صافي المدام وباسطهم بالكلام وبعد ذلك سالهم عن حسبهم ونسبهم واهلهم وعربهم فقال الربيع اعلم يا صاحب الاخلاق الكريمة ان هذا هو قيس بن زهير بن جذيمة سيد بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان واخته زوجة الملك النعمان ثم حدثه بالقصة من اولها الى اخرها واوقفه على باطنها وظاهرها . قال نجد بن هشام فلما سمع منه ذلك الكلام عظم امرهم ورفع قدرهم وما امسى المساء حتى قاد لهم الجنائب وقلدهم بالسيوف القواضب وصرف معهم ليلة في انشراح وترحيب كانت الذ واحلى من اجتماع العاشق بالحبيب وما زالوا في بسط وانشراح وشرب راح الى ان اصبح الصباح وبعد ذلك طلبوا منه الاذن بالمسير فقال مسعود اعلموا يا وجوه العرب الكرام ان حق الضيافة ثمانية ايام فخدم قيس وشكر واستاذنه في العودة واعتذر وقال له ان الاوقات بيننا طويلة والايام متتابعة غير قليلة ولا بد ان نجتمع مع بعضنا ونعيش في نعمة جليلة ثم انهم رجعوا من عنده حامدين شاكرين والى انعامه ذاكرين وقد فرحوا بما سمعوا ونظروا وامنوا بعد الخوف واستبشروا وحمدوا الله وشكروا وكان افرحهم الربيع بن زياد فقال الى قيس اعلم ايها الملك الجواد هذا خير لنا مما يمن علينا عنترة بن شداد نسل الاوغاد ويرمينا كل يوم في هموم وانكاد . قال الراوي وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى قومهم فحدثوهم بما جرى وكان

ففرحت الابطال والفرسان وجعلوا يتسابقون الى المنازل ويختارون احسن المراعي والمناهل
هذا والربيع يقول للملك قيس ايها الاسد الغضنفر ان الحسد بين البشر اولة النظر ونحن
قوم قد كثرت اموالنا وزادت نوقنا وجمالنا والراي ان ننزل على بعد من القوم ونجعل
بيننا وبينهم مسافة يوم او دون اليوم حتى لا نضيق على رعيانهم المنازل وتزاحمهم على المراعي
والمناهل ولا ندع علينا مقالاً للجهال اذا ابصروا كثرة ما عندنا من الاموال والنوق والجمال
خوفًا من ان يوشوا بنا الى الملك مسعود فينقض ما بيننا وبينهُ من الذمام والعهود فقال
قيس لقد صدقت وصوابًا نطقت لان المثل يقول من لا يقدر العواقب ليس لهُ في الدهر
صاحب ثم انهم ابعدوا في تلك السباسب وضربوا الخيام والمضارب وسرحوا المواشي
المختلفة الالوان والنوق العصافير وما قد توالدت من الفصلان فضجت الارض بارتفاع
الاصوات وسدّ القفار من كثرة الانعام المجازيات

قال الراوي ولما استقامت امورهم وظهر سرورهم عمد الملك قيس الى قطعة من النوق
والمهار وجللها بثياب الديباج التي تصلح للافتخار وسلمها الى بعض العبيد وامرها ان تسوقها
بين يديه وسار حتى قدم على الملك مسعود وسلم عليهِ وقدم تلك الهدية اليهِ وسالهُ قبولها
فصعب ذلك لديهِ وقال لهُ والله يا قيس ان هذا يصعب عليّ ويعظم لديّ ولو لم يكن رد
الهدية اخراقًا في صاحبها وفشل لما كنت قبلت منها لا ناقة ولا جمل لانكم على كل حال قوم
غربا وقد قاسيتم على هذه الاموال حروبًا وتعبًا حتى وصلت معكم الى هذه المنازل والربي
وان اخذتها منكم على هذا الوجه هو عين الطمع والشراهة في حب الدنيا التي تضرُّ ولا تنفع
فقال قيس ان قبولك اياها منا هو غاية الشرف لنا والفخار وبذلك تجبر قلوبنا بعد الانكسار
لاننا لم نامن على نفوسنا من غلبات الزمان وطوارق الحدثان الا بنزولنا عندك في هذه
الاوطان وقد طابت لنا بجوارك الغربة ونسينا الاهل والاحبة فلا زالت ارضكم نعم حمى
ولا برح عدوكم حزينًا نادما فشكرهُ مسعود على هذا المقال وامر عبيده بسوق الخيول والجمال
واضمر في نفسهِ انهُ يعوض عليهم بمثلها امثال ثم انهُ قال لقيس ايها السيد المحترم لماذا ابعدتم
عنا وارضنا واسعة ومياهنا متتابعة فقال ما ابعدنا الا حتى لا تزدحم عبيدنا وعبيدكم على
المراعي والحمى خصوصًا عند ورود الماء وان القلوب اذا كانت قريبة الوداد لا يضرها
البعاد لان خيولنا جياد ورماحنا مداد وعزمنا بهيبتك امضى من السيوف الحداد

قال نجد بن هشام فلما سمع منهُ ذلك الكلام تعجب من حسن ادابهِ ورقة خطابهِ واضافهُ
ذلك اليوم عنده في عزّ واكرام وشرب مدام وسماع انغام ومن الغد رجع قيس بالخلع المرضية

والتحف اليمنية هذا وعنترة وابن اخته المطال ومفري الوحش ونازح وعروة وجماعة من الابطال مشتغلون بالبسط والانشراح وشرب الراح في المساء والصباح وكلما نص [illegible] فعال قيس والربيع يصعب عليه ويكبر لديه وقال الى من حواليه وحق ذمة العرب وشهر رجب ان اخذ مال الانسان في الذل والهوان هي الغبينة العظيمة وانحطاط القدر والقيمة ولا يصلح بذل المال الا لصعلوك عديم او لارملة او يتيم او لقاصد من قصاد العرب او لشاعر من اهل الادب او انه يوخذ منه بالسيف او ينهب فيكون بذلك معذورًا وله سبب واما من يحمل ماله ويهاديه ويرشو به اعاديه ليحفظه ويحميه فهو لا خير فيه

قال نجد بن هشام وكان عروة كلما سمع منه هذا الكلام يقول له دعهم يا ابا الفوارس يفعلون ما يريدون ويدبرون ما يشتهون واعلم ان الهدايا والتحف والعطايا جرت بها العوائد بين الملوك واهل البلاد وما في هذا الامر من فساد فقال مفري الوحش وحق رب العباد هذا مما يطمع فينا مسعود بن مصاد

قال الراوي وكانت فرسان اميا عراعر وجهالها كلما نظرت الى فرسان بني عبس وحسن احوالها وما لها من الاموال والعدد يلعب في قلوبها الحسد . قال الراوي واعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التي تروى وتذكر ان الملك مسعود ركب ذات يوم الى الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص وعند رجوعه جاءت طريقه على خيام بني عبس الذياب الطلس وكان قومه قد وصفوا له احوالهم ونوقهم وجمالهم وما هم فيه من النعمة والملك العظيم والحشمة فتعلق قلبه بالنظر لانه كان حديث السن ولم يبلغ الكبر فقال لمن حوله من الرجال وحق الاله المتعال قد تعلق قلبي بالنظر الى هولاء القوم ولم اجد لي فرصة مثل هذا اليوم لاني اريد ان ادخل الى بين الخيام وحدي ولا يكون معي غير عبدي حتى لا تنكر عليَّ النسوان ولا يعلم بحالي انسان فسيروا انتم الى الديار وانا الحق بكم عند آخر النهار . قال الراوي ثم انه اخذ عبده وطلب ابيات بني عبس وكان ذلك الوقت عند غروب الشمس ثم دخل بين الاطناب واخذ يتامل في تلك القباب فراى اموالاً لا تحصى ونعمًا لا تستقصى وراى اكثر المضارب من الديباج والحلة كانها بحر عجاج من كثرة العبيد والغلمان والجواري الحسان والخيول المختلفة الالوان فاندهش وتحير من ذلك المنظر لانه شاهد من التحف والذخائر ما لا يوجد في باقي العشائر

قال نجد بن هشام ولما صار في اواخر الخيام ابصر هناك سرادقات من الديباج الاحمر تذهل البصر وتدهش النظر وقد ضربت على راس رابية خضراء مشرفة على الصحراء وامامها

حين من الماء وحول تلك العين مولدات وإماء وهنَّ مشتغلات باللهو والطرب وقد طرحن عنهنَّ الوقار والادب وعلى باب السرادق جارية بديعة الجمال كاملة الاعتدال اذا قابلت طلعتها النجوم انخسفت واذا راتها نور الشمس انكسفت وعلى تلك الجارية حلة من الحرير الاحمر مزركشة بالذهب الاصفر وفي عنقها عقد من نفيس الجوهر وهي متكئة على كتف بعض المولدات وبين اياديها النساء والبنات تتلفت التفات الغزال وتتبسم عن ثغر انقى من اللآل فلما راها مسعود افتتن بميل اعطافها واستطار فواده باهتزاز اردافها وزاد به الخبال ووقع في الانذهال وغرق في بحر الوجد والبلبال غير انهُ شجع نفسهُ وتقدم بالحصان حتى صار بقرب النسوان ونادى هيا يابنت الملوك العظماء اكرمي عليَّ بشربة من الماء فقد اضر بي العطش والظماء فقالت لهُ تلك الجارية اصبر ايها السيد النبيل حتى اتيك بما يبرد الغليل ويشفي العليل ثم انها طلبت الخبا وهي تهتز طربًا وعجبا فلما ابصر مسعود تلاطم امواج اردافها وطول قامتها واعطافها ناداها بالله ياسيدة الاحرار لا ترسلي لي الماء مع احد من الجوار بل تمي احسانك عليَّ وعودي بهِ اليَّ لاني اريد ان اشربهُ من اياديك الحسان وسوف اشكرك على طول الزمان فقالت السمع والطاعة وانا اتيك بهِ من هذه الساعة ثم انها عادت في الحال اسرع من الغزال وفي يدها طاسة من الماء الزلال ولما اقتربت منهُ قالت خذ ياوجه العرب تهنأ واشرب فاخذ مسعود الطاسة من يدها وصار يشرب ويتامل فيها وهو يتحرق ويتغصص وقد ضاقت عليهِ الدنيا حتى صار كانهُ الطاير المحبوس في القفص ولما اطال النظر اليها فلم يخف ذلك عليها فقالت لهُ من فواد ملهوف وقد ضجرت من الوقوف يافتى ان كان قصدك الماء فقد ارتويت وان كنت ضالاً عن الطريق فعد من حيث اتيت ولا تطل النظر اليَّ فيطول تحسرك عليَّ اما سمعت المثل السائر من اطلق ناظره اتعب خاطره وقد قال الشاعر

وكنتَ اذا ارسلتَ طرفكَ رائدًا لقلبكَ يومًا اتعبتكَ النواظرُ
رايتَ الذي لا كلهُ انتَ قادرٌ عليهِ ولا عن بعضهِ انتَ صابرُ

قال محمد بن هشام ثم انها بعد هذا الكلام اخذت الاناء من يده وعادت الى الخيام وقد رشقت فواده بسهام وتركتهُ لا يرد جوابًا ولا يبدي خطابًا ولم يكن الماء لهُ الا عطشًا والتهابًا ثم انهُ عاد يطلب اهلهُ والبنات يضحكن عليهِ وقد هانت نفسهُ عنده وصغر ملكهُ في عينيه

قال الراوي وكان الملك قيس في ذلك اليوم قد سار مع عنترة وجماعة من اكابر القوم واوسعوا في البر طالبين الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص

قال الاصمعي وكان وصول مسعود الى الخيام عند اقبال الظلام فدخل مضربهُ وقد زاد بهِ الغرام وانطرح على الفراش يتقلب ويتململ ويتفكر في ما يفعل ولما طال عليهِ الليل تحسر وتنهد وبكى وانشد

أقولُ لما طار عني الكرى قد طلتَ يا ليلُ ألّا تصبحُ
وكيف يلتذ بطيب الكرى من قد براه سقمٌ مبرحُ
من كان لا يسعدُ في عشقهِ فحالــهُ تفسدُ لا تصلحُ

قال الراوي وكانت امهُ تلك الليلة قد اتت الى زيارتهِ فرأتهُ على غير حال من شدة الوجد والبلبال فقالت لهُ اعلمني بما جرى لك ولا تخفِ عني احوالك حتى اتلافى قصتك وازيل عنك غصتك لانك قد خرجت اليوم للصيد وانت مثل الاسد وعدت الينا وانت لا تعي على احد وقد بلغني انك دخلت الى خيام بني عبس واراك قد رجعت بحالة التعس والنكس فلما سمع كلامها تنهد وبكى وأنّ واشتكى ثم باح لها بسرِّه وحدَّثها بحقيقة امرهِ فشقّ ذلك عليها وكبر لديها واسودت الدنيا في عينيها وقالت لهُ لقد اهنت نفسك بعشقك هذه الجارية التي هي ليست من ابناء جنسك ومن يكونون هولاء القوم حتى تصل نسبك بانسابهم وحسبك باحسابهم وانت صاحب النسب الفاخر وعمدة الاوائل والاواخر وحكمك نافذ في البوادي والحواضر فان سمعت مني اصرف عنك هذا الحال ولا تذل نفسك للوجد والبلبال فلما سمع من امهِ ذلك المقال زاد بهِ الهم والخبال وقال لها لا تزيديني غمًّا بعد ذلك فان هذا جنون منك لقلة عقلك وانا اقسم باعظم الاقسام انهُ لا بد لي من اخذ هذه الجارية الرشيقة القوام ولو انها من رعاة الاغنام فقالت ان كان امرك كذلك وهو ينتهي بك الى المهالك فانا اجعل روحي فداك واساعدك على بلوغ مناك ومرادي الان ان اقصد هذه الجارية في حالة الانفراد وانظر اليها ان كانت تستحق العناء والتعداد وهل هي من البنات الكواعب الاتراب ام انها متزوجة ببعض الاعراب حتى ادبر على قدر ما ارى ونكون قد بلغنا المنى من دون تعب ولا عنى

قال الراوي ثم انها شاغلتهُ بالكلام حتى هجم الصبح وولى الظلام فبعد ذلك سالتهُ عن ابياتها وطلبت منهُ ان يصف لها صفاتها فوصف لها تلك المضارب والخيام والرسوم والاعلام ثم قال لها في اخر الكلام اذا وصلت الى ذلك المكان وشاهدت البنات والنسوان فانها لا تخفى عليك وذلك من فرط حسنها الباهر وكثرة ما عليها من الملبوس الفاخر واللآلي والجواهر. قال الراوي ولما عرفت امهُ الصفة وحققت المعرفة شدت ناقتها وتزيت بزي

العجائز الكبار اللواتي زالت عنهن النعم وبقي فيهن الاثار ثم انها ركبت وجدت في قطع الاكام حتى اشرفت على مضارب بني عبس وتلك الخيام وابصرت تلك المضارب والاعلام وهي الابيات التي اشار ولدها عليها فقصدتها الى ان وصلت اليها .

قال الراوي وكانت تلك المضارب للامير عنترة فارس المشارق والمغارب والجارية التي رآها مسعود بن مصاد هي عبلة بنت مالك بن قراد الا ان العجوز لما رات عبلة تقدمت اليها وسلمت عليها وقد اندهشت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وظرفها ودلالها فقالت في نفسها ما هذه الجارية الا من بنات ملوك الزمان اصحاب الاكاليل والتيجان وكانت عبلة لما نزلت العجوز عن ناقتها مشت اليها والتقتها واكرمتها غاية الاكرام وقدمت لها ما راج من الطعام

قال الراوي وكانت ام مسعود من افصح نساء العرب . قد اشتهرت بالعقل والادب اذا تكلمت تثني اليها الاحداق وتلوي نحوها الاعناق لفصاحتها وعذوبة الفاظها وبلاغتها ولما قر بها المقام التفتت على عبلة وقالت لها يابنت الكرام اعلميني باسمك وكنيتك فوالله لقد تشرفت ارضنا بروية طلعتك وازدهت بنور بهجتك فقالت لها عبلة يابنت السادة الامجاد انا يقال لي عبلة بنت مالك بن قراد قالت اكرمت واكرمت امك ومن يلوذ بك من اهلك وبني عمك فهل انت ذات بعل يسمى ام ذات خدر وحمى فاجابتها عبلة وقد تبسمت من فحوى كلامها ومعانيه هل عندك من تريدين ان تزوجيه قالت ام مسعود اي وحق الاله المعبود ان كنت خالية من الرجال ابشري بالسعد والاقبال فقالت لها عبلة وقد اعتراها الانذهال ولكن من يكون هذا الانسان من الابطال والفرسان قالت اعلمي يامنية النفس هو ذلك الفارس الذي عبر بالامس وطلب منك الماء فسقيته فكانك ما عرفته فقالت اي نعم وحق خالق الامم اني ابصرته في اخر النهار فعلمت انه من السادات الكبار اصحاب الفضل والاعتبار وذلك لما عليه من الهيبة والوقار قالت العجوز اتعلمين من هو من الرجال فقالت واية معرفة للنساء ربات الحجال بصناديد الابطال قالت اعلمي ان هذا نادرة الزمان واوحد العصر والاوان صاحب النسب العالي السابق الى قلة ابراج المعالي هذا الذي لم تلد مثله امة ولا حرة مكرمة هذا هو الرجل الذي انتم في ذمامه وامانه وعائشون في فضله واحسانه هذا هو الامير مسعود بن الامير مصاد سيد هذه الاراضي والبلاد الذي شاع ذكره واشتهر في قبائل ربيعة ومضر وذل لسيفه كل بطل قسور واسد غضنفر من فرسان البدو والحضر وهو ولدي ومهجة كبدي وقد ملكت قلبه وفؤاده ومنعت عنه رقاده

والزمتيه فراشه ووساده لانك لما سقيتيه الماء لم تزيديه الا عطشاً وظماء وبعد ذلك فان كنت ذات خدر وبنتاً بكر فاعلميني بحقيقة الحال وابشري بالسعد والاقبال وان كنت ذات بعل فعاهديني عهداً واجعلي بينك وبينه وعداً وسترين ما يصل اليك من الاموال والتحف الغوال

قال نجد بن هشام فلما سمعت عبلة منها ذلك الكلام اسودّت في عينيها الاقطار وبدلت خدودها بعد الحمرة بالاصفرار وكسي وجهها بعد الجلنار لون البهار وقالت لها ان كنت ترغبين في ابنك وتحبيه فاعدليه عن هذا الجنون الذي هو فيه والا قتله بعلي ولو كان ملك ملوك الارض في الطول والعرض قال الراوي فقالت لها ام مسعود وقد صعب ذلك عليها وغابت عن الوجود من يكون بعلك من الفرسان وسادات هذا الزمان هل هو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان او قيصر صاحب العظمة ورفعة الشان ام الملك النعمان سيد قبائل العربان فقالت عبلة انه اجل واشهر واعظم واقدر من كسرى وقيصر وملوك البدو والحضر فبعلي هو الفارس الكرار والبطل المغوار والغشمشم القهار المشبع الاطيار تحت الغبار صاحب الاخبار السائرة والغارات المتواترة الرفيع العماد الطويل النجاد حية بطن الواد الضارب بالسيوف الحداد والطاعن بالرماح المداد قادح النار من غير زناد الذي فاق على اقرانه وساد واشتهر ذكره في سائر البلاد واذلّ بسيفه جبابرة العرب واهل البغي والعناد الامير عنترة بن شداد ولا تظني ياخالتاه ان ملكنا اخذ من ابنك الذمام بعلم زوجي ورضاه ولكن الملك قيساً جمع المشايخ والمقدمين وسادات العشيرة المعتبرين وقال لهم لا تعلموا حامينا بهذا الامر المبين والا لو اعلموه بواقعة الحال لكان قلع اثاركم من هذه الاطلال وفعل بكم كما فعل في بني سعد وتميم ولو كانت ابطالكم بعدد رمل وادي بني سليم قال نجد بن هشام فلما سمعت ام مسعود منها هذا الكلام صعب عليها واسودت الدنيا في عينيها وقالت والله ما انت الا معجبة بنفسك ومتكبرة على ابناء جنسك وهذا المقال يجلب عليك الشر والنكال فاستشاطت عبلة غضباً واضطرم فوادها لهباً وشتمتها بالكلام وطردتها من الخيام وقالت لها وحق زمزم والمقام لو لم تكوني قد اكلت معي الطعام لكنت اسقيتك كاس الحمام وجعلتك عبرة بين الانام فاذهبي عند ابنك الان وودعيه لاني اخاف انك بعد هذا اليوم تطلبينه فلا تجدينه . قال الراوي فلما سمعت ام مسعود منها ذلك المقال خرجت عن دائرة الاعتدال ونهضت في سرعة الحال وقالت يا بنت الانذال لقد تكلمت بكلام لم تجسر ان تتكلم به صناديد الابطال ثم انها ركبت ناقتها وطلبت حلتها

قال الراوي واما عبلة فانها بعد مسير العجوز ندمت على خلاصها غاية الندم وقالت وحق البيت المعظم لوكنت سمعت كلامها قبل ان تاكل زادي لكنت قتلتها وشفيت منها غليل فوادي ومابقي في الامر الا اني اكتم هذا الحديث والخبر عن ابن عمي الامير عنتر خوفًا من وقوع الفساد وإثارة الفتن ونحن في اقصى بلاد اليمن متشتتون عن الوطن

قال الراوي وكانت ام مسعود قد وصلت الى الديار عند اخر النهار فوجدت ابنها قد قتلة الوجد والتذكار وهو لها في الانتظار فحدثته بواقعة الحال وما جرى بينها وبين عبلة من المقال فلما سمع منها ذلك الخطاب غاب عن الصواب وصار كانه المجنون المصاب واحتار في رد الجواب فكان تارةً يقول انه لابد لي ان انقض ما بيني وبين بني عبس من الذمام واخذ هذه الجارية بحد الحسام وتارة يقول اني اخاف من عواقب البغي والعدوان واشتهار هذا الحديث في قبائل العربان . قال الراوي هذا وقد زاد بمسعود الارق والضجر ومن شدة ماجرى عليهِ من قلة النوم وكثرة السهر استدعى برجل من مشايخ القبيلة قد احناه الكبر وكان هذا الرجل قد اعتنى بهِ ورباه من ايام صباه وكان مسعود يستشيره في اكثر الاوقات ويذخره لحل المشكلات لانهُ كان من دهاة الرجال يسمى جندلة بن بلال فلما حضر قص عليهِ ذلك الخبر ووصف لهُ عبلة وحسنها وجمالها وقدّها واعتدالها وظرفها ودلالها ثم قال لهُ في اخر الكلام اعلم ياابن الكرام اني قد عولت على نقض العهد الذي بيني وبين بني عبس وعدنان واخذ هذه الجارية بالصارم اليمان لاني قد حرت بامري وعيل صبري وما احضرتك الا حتى تشير عليَّ بما فيهِ الصواب واسمع ما تبديهِ من الخطاب فقال الشيخ جندلة وقد علم انَّ القصة مشكلة والله ياسيدي ومن هو عندي اعز من ولدي ان لم تحسن في هذه القصة التدبير والا يؤول امرها الى التدمير لان نقض العهود والذمام ليس هو من شيم الكرام واعلم ياصاحب السعادة والهم ان لم يقتل بعل هذه الجارية او يعدم لايمكنك ان تصل اليها ولا تقدر عليها والرأي عندي ان تبقى مع هولاء الاقوام على ما انت عليهِ من المحبة والامتزاج التام حتى اني ادبر على هلاك بعلها باي وجهٍ كان واخفي رسمهُ في هذا المكان لانهُ اذا قتل زوجها واستغنت عنهُ ترسل الى ابيها وتخطبها منهُ وتتزوج بها على رؤوس الاشهاد وتكون قد بلغت المراد ولا يجسر احد ان يتكلم في حقك من العباد

قال الراوي فلما سمع مسعود من الشيخ ذلك المقال خف عنهُ بعض الاشتغال وقال لهُ اريد منك ان تتعاطى هذا الامر على عجل ولا تدعني تحت الوعد والامل لاني في غاية الضجر والملل فقال الشيخ اني سوف اجتهد لك في التدبير وانتظر العرضيات والمقادير وان

كان لا يمكنك الاصطبار وليس لك طاقة على الانتظار فانا اقول لزوجتي ام هلال ان تسحرها لك وتجمع بينك و بينها في الحال وقد ابصرت منها في هذه الصناعة العجائب والغرائب ومن دابها ان تجمع العشاق بالحبائب ولو كانت المسافة بينهم من مشرق الشمس الى المغارب ولكن ايها الملك المهاب اذا اجتمعت بها تكون غائبة عن الصواب مثل السكران الطافح من الشراب او المجنون المصاب حتى اذا رجعت الى عقلها تفتضح مع اهلها و بعلها فحينئذٍ يمكنك نقض العهود والقاء السيف في تلك القبيلة والجنود و يكون ظاهر الامر بين العرب انهم قد بادوك بالشر وقلة الادب . قال الراوي فلما سمع مسعود منه هذا الخطاب راه غاية الصواب وقال والله اني قد سمعت عن زوجتك عجائب في صناعة السحر فعليّ بها حتى استشيرها في هذا الامر لعل ان يكون لي على يدها الفرج من قريب و يزول عني هذا الاحتراق واللهيب فقال جندلة السمع والطاعة وانا اتيك بها من هذه الساعة وهي من اشطر الناس في هذه الصناعة لانها اذا ارادت ان تحول الجبال وتاتيك بمحبوبتك في ساعة الحال كان ذلك اهون عليها من شرب ماء الزلال

قال الاصمعي وكان لجندلة امراة من عجائب الايام قد عبرت عليها السنون والاعوام وكانت ساحرة ماكرة عاهرة فاجرة يقال لها سعاد بنت الزرقا . قد مارست الاهوال والشقا وكانت العرب تسميها بالكاملة نظرًا لكمال مكرها ودهائها وكثرة فجورها وقلة حيائها الا ان مسعودًا لما طلبها غاب جندلة قليلاً ثم اتى اليه بها فنظر مسعود الى خلقتها وتامل في صورتها فاذا هي عجوز واية عجوز كانها حنش في تموز بوجه اغبر قبيح المنظر لو عاينها ابليس لتطير من شكلها الاقشر . وكان دابها جمع العاشقين وتفريق المحبين وكانت كما قال الشاعر

مقلعةُ النواجذ والثنايا كمثل البوم في الربع الخرابِ

فلما راها مسعود على تلك الحال اقشعر جسمه واعتراه الانذهال وذم الهوى والامور المقدورة التي احوجته الى مشاهدة هذه الصورة

قال الراوي ثم انه قص عليها قصته وطلب منها محبوبته وسالها ان تجمع بينه و بينها عن قريب وشكا اليها ما فيه من النيران واللهيب فتبسمت فرحًا وقالت له تعال عندي وحيدًا فريدًا لكي ابلغك كل ما تريد لان مرادي ان اسير بك الى قرب خيامها واتي بها اليك وهي تمشي على اقدامها وادع العار و باقي الخدم يلقوها الى جانبك وعقلها في عدم ثم يردونها الى مكانها قبل ان تذهب جيوش الظلم . قال الراوي فلما سمع كلامها زال عنه الهم والترح وامتلأ قلبه من الفرح ووعدها بالاموال والانعام واقام ينتظر اقبال الظلام

قال الاصمعي هذا ما كان من مسعود بن مصاد واما ما كان من فرسان بني عبس الاجواد والامير عنترة بن شداد فانهم عادوا من الصيد الى الحلة وكان وصولهم ذلك اليوم الذي عادت فيه ام مسعود من عند عبلة الا ان عنترة لما دخل على ابنة عمه وجدها على غير حال وهي مضطربة الاحوال لونها مختطف وجسمها مرتجف فاشتعل قلبه وزاد همه وكربه وقال لها ما حالك يابنت مالك فقالت له اعلم يابن العم وقاك الله الهم والغم اني لما اصبحت في هذا النهار وجدت في جسمي بعض فتور وانكسار فهذا هو الذي اوجب ذلك الاصفرار فقال عنترة ليس هذا الارتجاف من مرض وما هو الا بسبب امر قد عرض ثم انه اقسم عليها بالاله المتعال ان تعلمه بواقعة الحال فعند ذلك حدثته بالقصة من اولها الى اخرها واوقفته على باطنها وظاهرها

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة منها ذلك الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال وحق ذمة العرب الاجواد لامحقن اثار مسعود بن مصاد واهلك فرسان هذه البلاد واقتل الربيع بن زياد الذي كان سببًا في هذا الفساد . قال الراوي فقالت له عبلة من الصواب ان نصبر حتى نرى ما يتجدد من الامور لاني قد اجبت ام مسعود جوابًا اصلب من الصخور فان كان ابنها لم ينته بهذا المقال فحينئذ افعل انت ما تريد من الفعال ثم انها اقسمت عليه بحياتها ان يكتم هذا الحديث عن فرسان القبيلة وساداتها خوفًا من ان تفتضح بين اهلها وجاراتها فلما سمع كلامها سكت على المضض وقلبه يحترق من ذلك الامر الذي له عرض .

قال الراوي هذا ما كان من عنترة الفرسان واما ما كان من قيس سيد بني عبس وعدنان فانه لما قدم من الصيد كما تقدم الايراد اخذ يهيئ امره لضيافة مسعود بن مصاد وهو في غاية الفرح والسرور والغبطة والحبور وامر العبيد والخدام ان يذبحوا الجزور والاغنام ويشرعوا في تجهيز الطعام ووضع المدام ويكثروا من القلايا والشوايا و يطبخوا من لحوم الضحايا ثم انه امر ثلاثة من اخوته ان يسيروا و يدعوا الملك مسعودًا الى وليمته فساروا وهم الحارث وورقاء وجندل واخذوا في صحبتهم من بني عبس مائة بطل ولما دخلوا على الملك مسعود قابلهم بالبشاشة والاحترام واكرمهم غاية الاكرام واراد ان يضيفهم فلم يجيبوه بل انهم دعوه الى الوليمة بعد ما خدموه واحتفلوه فامتثل واجاب وقد فرح بالمسير الى ديار الاحباب ثم انه قام ولبس الفخر ثيابه ونبه على اكابر قومه واحبابه بعد ما احضر الساحرة الى محل خلوته واعلمها بحديث قيس ودعوته وقال لها ها انا سائر الى ديار الحبيب فارشديني برايك المصيب حتى يبرد ما بقلبي من اللهيب فقالت سر على عجل وابشر ببلوغ الامل وانا

اعلم ايها الملك الهمام ان قيسًا يبقيك عنده ثلاثة ايام في عز ولي كرام وعند رجوعك اجعل وداعك له عند هجوم الظلام واقصد كثيب الصفا عند بزوغ القمر فترى الامر قد تيسر لاني اكون بانتظارك في تلك الرابية التي هي تجاه ابيات تلك الجارية وعند وصولك الى تلك الاطلال تجدني قد قضيت الاشغال وجمعتك بمحبوبتك ذات الحسن والجمال

قال الراوي فشكرها على ذلك المقال ثم انه ركب وسار واخذ في صحبته جماعة من الرجال الاخيار حتى وصل الى خيام بني عبس وعدنان ولما رأته الابطال والفرسان اعلموا قيسًا بذلك الشان فالتقاهم في جماعة من السادات والاعيان ولما وقعت العين على العين ترجلوا الى وجه الارض وسلموا على بعضهم البعض وقد مشت بين يدي مسعود الاماء والحرائر وفي ايديهن الدفوف والمزاهر وكان قيس قد البسهن افخر الملابس وزينهن بالعقود النفائس ودخل مسعود الى المضارب وترجل امامه كل راكب واجلسه الملك قيس في اعلى المراتب وضربت المولدات بالدفوف ولعبت العبيد بالرماح والسيوف واجتمعت الرجال الكرام ودارت عليهم كاسات المدام وكان قيس قد التفت على رجاله الاجواد فلم يرَ عنترة بن شداد ولا احد من بني قراد فارسل يستدعيهم في الحال مع جماعة من الرجال

قال الراوي وكان عنترة لما نظر ما فعل قيس في حق مسعود بن مصاد نما غيظه وزاد وارسل خلف مقري الوحش وعروة بن الورد وجماعة من الرجال الاماجد فلما دخلوا عليه وتمثلوا بين يديه رأوه على غير حال وهو في قلق وضجر يتاوه ويتحسر فقالوا له اطلعنا على امرك ولا تخفه في صدرك فحدثهم بحديث مسعود بن مصاد وعشقه لعبلة ثم استشارهم فيما يفعل وهل يقتل مسعودًا مجازاة له على ذلك العمل فقال مقري الوحش الراي عندي ان لا نحرك ساكنًا حتى نسير الى دعوة الملك قيس ونشاهد ذلك الخبيث الخائن وبعد ذلك نفعل على قدر ما نرى من حاله ونقابله على سوء افعاله فبينما هم في مثل هذا الايراد واذا بالرجال الذين ارسلهم الملك قيس قد اشرفوا على عنترة بن شداد ودعوه مع سادات بني قراد ومقري الوحش وعروة بن الورد وباقي الرجال الاجواد . قال الراوي فسار عنترة الى الوليمة وفي صحبته كل صاحب همة وعزيمة الا انه لما وصل خدم وسلم ودعا للملك قيس بدوام العز والنعم فقام قيس له على الاقدام واكرمه غاية الاكرام واخذ يحادثه ويخاطبه ويسائله ويجاوبه هذا وقد تعجب الملك مسعود من طول قامته وعظم هامته وكان كلما رآه هاجت نيران جواه لانه علم انه زوج محبوبته فتولدت في قلبه بغضته ولكنه صبر مؤملاً ببلوغ المراد لان قلبه تعلق بوعد الساحرة بنت الاوغاد

قال محمد بن هشام ثم ان العبيد والخدام قدمت لهم الطعام فاكلوا وشربوا المدام وقد طربت السادات الكرام وكان مسعود كلما قام وقعد ينظر الى ابيات عبلة ويتنهد وعنترة ينظر اليهِ وقد صعب ذلك عليهِ ثم انهُ التفت الى مقري الوحش وقال ايها السيد الكريم اما تنظر الى فعال هذا الوغد اللئيم فقال مقري الوحش وما الذي تريد ان تفعل من العمل قال مرادي أن اضرب رقبتهُ بالسيف اليمان واذيقهُ كاس الهلاك والهوان فلما سمع منهُ ذلك الخطاب قال ليس هذا بصواب لان الملك قيساً قد دعاه الى هذه الوليمة السعيدة وان انت قتلتهُ في ابياتهِ صار هو خصمك في هذه البلاد البعيدة والراي عندي يا ابن الحرة الكريمة ان نصبر حتى تنقضي هذه الوليمة ومتى عول على الرحيل الى الديار تبعناه في جوانب القفار وقلعنا منهُ الاثار . قال الراوي فطاب قلب عنتر وفرح واستبشر و زال عنهُ بعض القلق والضجر وكان الملك قيس قد غلب عليهِ السرور والفرح والتفت الى عنترة وناولهُ القدح وقال لهُ قد اشتهيت ان تنشدنا شيئًا من اشعارك الحسان امام هولاء السادات والفرسان حتى يزيد فرحنا وسرورنا ويزداد طربنا وحبورنا فقال سمعًا وطاعة وانشد من تلك الساعة

ذكرتُ صبابتي من بعد حين ... فعادَ ليَ القديمُ من الجنونِ
وحنَّ الى الحجاز القلبُ مني ... فهاجَ غرامهُ بعدَ السكونِ
أتطلب عبلةً مني رجالٌ ... اقلُّ الناس علمًا باليقينِ
رويدًا انَّ افعالي خطوبٌ ... تشيبُ لهولها روسُ القرونِ
فكم ليلٍ ركبت بهِ جوادًا ... وقد اصبحتُ في حصنٍ حصينِ
ونادانى عنانٌ في شمالي ... وعاتبني حسامٌ في يميني
اياخذ عبلةً وغدٌ ذميمٌ ... ويحظى بالغنى والمال دوني
فكم يشكو كريمٌ من لئيمٍ ... وكم يلقى هجانٌ من هجينِ
وما وجد الاعادي فيَّ عيبًا ... فعابوني بلونٍ في العيونِ
وما لي في الشدائدِ من معينٍ ... سوى قيس الذي منها يقيني
كريمٌ في النوائب ارتجيهِ ... كما هو للمطامع يصطفيني
لقد اضحى متينًا حبلُ راجٍ ... تمسك منهُ بالحبل المتينِ
من القوم الكرام وهمْ شموسٌ ... ولكن لا توارى بالدجون
اذا شهدوا هياجًا قلتُ اسدٌ ... منَ السمر الذوابل في عرين
ايا ملكًا حوى رتب المعالي ... اليكَ قد التجأتُ فكن معيني

حللتَ من السعادة في مكانٍ رفيعِ القدر منقطعِ القرينِ
فمن عاداكَ في ذلٍّ شديدٍ ومن والاك في عزٍّ مبينِ

قال نجد بن هشام فطربت السادات الكرام عند سماعها هذا الشعر والنظام حتى غلبت الافراح على اقداح الراح ثم ان عنترة بعد ذلك الانشاد اخذ عروة ومقري الوحش الفارس الجواد وسار بهما الى المضارب والخيام وصرف معهما تلك الليلة بالحديث والكلام هذا ومقري الوحش يقول لعنتر والله يافارس ربيعة ومضر لقد شفيت الغليل في انشادك تلك الابيات وما فيها من المعاني والاشارات فقال عنترة اعلما ياوجوه العرب الاجواد انني لو لم انشد ما سمعتموه من الانشاد لانفطرت مرارتي وذاب مني الفواد وذلك مما ابصرت من افعال مسعود بن مصاد لانهُ كان كلما قام وقعد ينظر الى مضارب عبلة ويتنهد وذلك من فرط عشقهِ وغرامهِ فيها وكنت انشد القصيدة وهو مبهوت في معانيها

قال نجد بن هشام واقام الملك مسعود عند الملك قيس في عز واكرام وانشراح تام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلب العودة الى اهلهِ والاطلال فقدم لهُ الملك قيس ما كان يذخره من السيوف الصقال والخيل والاموال والنوق والجمال فحمد مسعود فضلهُ وشكر فعلهُ ولم ياخذ منها غير سيف بارق ورمح خارق ومهر سابق وقال لهُ ليس رغبتي الا فيك وفي رجالك لا في اموالك ونوالك ثم رد اليهِ اموالهُ وودعهُ ودعا لهُ فسار معهُ الملك قيس الى خارج الخيام في قومهِ ورجالهِ واراد ان يصل معهُ الى اهلهِ واطلالهِ فحلف عليهِ وزده الى الخيام ولما ابعد مسعود في البر والاكام صرف كل من معهُ من الرجال واخذ معهُ خمسة ابطال والشيخ جندلة بن بلال وساروا تحت ظلام الليل وهم سكارى على ظهور الخيل قاصدين تلك الرابية والاكام التي فيها الساحرة بنت اللئام ولما قربوا من ذلك المكان التفت مسعود على من حولهُ من الفرسان وذكر لهم ما قالهُ عنترة البطل الهمام من الشعر والنظام وقال ان نفسي تحدثني يابني الاعمام بان الرجل قد علم بتعرضي لابنة عمهِ وقد ذكر ذلك في شعره ونظمهِ ثم انهُ تحسر وتنهد وتنفس الصعداء وانشد

افتحوا للمحب في الوصل بابا وامنحوهُ عني السلام جوابا
قد عمدتمْ قلوبنا بجفاكم وجعلتمْ ربع الوفاء خرابا
وسقيتم كاس السهادِ جفونًا اظهرت فوقها الدموع حبابا
لاتظنوا اني سكبتُ دموعًا فيكمُ بل سلبتُ قلبًا مذابا
ان يكن اذنبَ المتيمُ ذنبًا في هواكم فانهُ قد تابا

وقال ايضاً

كيف السبيلُ الى أنّ ابلغَ الاربا والعقل من لوعة الهجران قد سلبا
وكم الاقي من الاشواق في ولهٍ كأنّ دهري عليّ الان قد قلبا
وبعد هذا وهذا كلهِ فاذا بلغتُ قصدي فلا هماً ولا تعبا

قال الراوي هذا ما كان من مسعود بن مصاد واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ كان قد طلب من مقري الوحش فارس الشام ما وعده بهِ من الكلام وقال لهُ والله يااخي ان عاد هذا القرنان سالمًا الى الاوطان انفطرت مرارتي ومت من وقتي وساعتي وان لم تساعدني على بلوغ قصدي والا خرجت اليه وحدي واقتلهُ واجندلهُ واعجل من الدنيا مرتحلهُ فقال مقري الوحش طب نفسًا ياابا الفوارس فان عندي اعظم مما عندك من الهموم والوساوس

قال الراوي ثم انهما بعد هذا الكلام ركبا ظهور خيولهما وانسلا تحت جنح الظلام وتبعهما عروة بن الورد الاسد الضرغام وقد علمت علة بما عولوا عليهِ من المرام

قال نجدابن هشام ولما ابعدوا عن الخيام لاحت لهم نار تُضرَم وتُشعَل في اسفل الجبل فقال عنترة لعروة ياابا الابيض سلّ سيفك البتار واكشف لنا خبر هذه النار لاني لم ارها قبل الان وما اقول الا انهُ بعض الرعيان اوقدها في ذلك المكان ونخاف ان يرانا عند قتلنا مسعود . فيكون علينا من جملة الشهود فقال عروة وحق رب الارباب لقد نطقت بالصواب واشرت بالامر الذي لا يعاب ثم انسلّ بيده الحسام وقصد تلك النار بسرعة واهتمام ثم رجع وعاد وهو طائر الفؤاد فقال لهُ عنترة ما بالك رجعت فما الذي رايت وسمعت قال ابصرت شيئًا ما ابصرت قط في حياتي مثلهُ ولا شاهدت شكلهُ لاني لما دنوت من النار رايت عندها عجوزًا شمطا وهي تنفخ مثل الحية الرقطا مشمرة الاذيال والاطراف شنيعة الاوصاف وهي تدور حول النار من اليمين واليسار وتلقي فيها حوافرَ الدواب واظلاف الغنم وتتكلم بكلام لا يفهم ومن حولها مقامع الحديد والواح النحاس وتماثيل الصور المختلفة الاجناس التي تذهل عقول الناس ومن خلفها وامامها ضجات وصيحات وزعقات منكرات قد ارتجت منها البراري والفلوات واما والله ياابا الفوارس قد حرت مما ابصرتُ وشاهدتُ ونظرتُ وما اقول ان العجوز من بني ادم ولو انها ابصرتني لما تركتني انقل قدمًا على قدم

قال الراوي فلما سمع عنترة هذا المقال اعتراه الاندهال والتفت على مقري الوحش وقال ما تقول ايها السيد المفضال في هذا الحال فقال اني لا اشك بانها ساحرة خاينة ماكرة . واقول انها ما خلت بنفسها في هذه القفار الا لعمل من الاعمال الكبار وما بقي في الامر الا اننا نسير

اليها وتتفرج عليها ثم نقتلها بعد ذلك ونخفي امرها في تلك الدكادك فقال عروة وحق زمزم والحطيم انني في غاية الخوف من هذا الامر العظيم لانها متى علمت بنا صاحت على مردة الجان الذين جمعتهم في ذلك المكان فيهجمون علينا ويوصلوا اذيتهم الينا ونكون قد خرجنا حتى نقتل مسعود فنموت موت القرود ويشمت بنا كل عدو وحسود فقال عنترة وما معنى هذا الكلام يا ابا الابيض فوحق الاله الذى امره لا ينقض لو اجتمع ابليس مع طوائفه اللئام قاومته بحد هذا الحسام واريتك من فعالي ما يحير الاوهام

قال نجد بن هشام ثم انهم بعد هذا الحديث والكلام جدوا في قطع الروابي والآكام كانهم ليوث الاجام ولم يزالوا على تلك الحال حتى اشرفوا على النار وعاينوا تلك الاحوال وابصروا العجوز وهي تعزم وتدمدم في الكلام وتكرر العزايم والاقسام وكانت كلما دارت حول النار سبع مرات بالتمام تقول العجل العجل الي هذا المقام وهي تومىء بيدها الى مضارب عبلة والخيام وتنادي باسمها واسم امها وتشير الى تلك الابيات باطراف كمها

قال الراوي فلما سمع عنترة بذكر عبلة التجم لسانه وتغير جنانه وقال لاصحابه وحق رب الارباب لو لم نخرج هذه الليلة ونطلع على هذه الامور والاسباب والا كانت هذه الساحرة ابنة الكلاب انفذت الى اهلنا من يتوكل بهم ويسوقهم سوق الدواب وبعد ذلك يحملون المضارب بما فيها وترمينا هذه العجوز بدواهيها وانا اقسم بالاله المعبود ان هذه الامور من دسايس الملك مسعود ثم انه بعد هذا المقال جرّد حسامة الفصال وهجم على العجوز هجمة الاسد الرئبال وقال لها ويلك يا بنت الانذال ما الذي بينك وبين ابنة عمي عبلة حتي تفعلين في حقها هذه الفعال ولما انتهى من كلامه عول ان يضربها بحسامه فصاحت فيه صيحة ارتجت منها السهول والجبال ويبست يده في عاجل الحال وقالت له ارفق عليّ يا وجه العرب والا حلّ بك العطب لان عمار الارض وارهاط الجان من حولي ينتظرون امري ويسمعون قولي وان كانت قد عصفت في راسك الغيرة والحمية على ابنة عمك العبسة فانا غيرتي اشد من غيرتك يا ابا الابطال وهي التي قد احوجتني ان افعل هذه الفعال

الكتاب الثالث والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

لاني كنت قد زوجت ابنتي الى الملك مسعود ابن مصاد سيد هذه الاراضي والبلاد

وما دخلت عليهِ في هذه الايام الا وهي احسن من البدر التمام ولم تزل عنكَ في عزّ واحترام ورفعة المقام الى ان قدمتم انتم الى هذه الارض ونزلتم في نواحيها ونظر مسعود الى ابنة عمك فعشقها وهو بها وهجر ابنتي حتى لم يعد يلتفت اليها ولا يعنّ عليها فاعتراها الهزال من شدة الوجد والبلبال ولما رأيتها على تلك الحال خفت عليها من الهلاك والوبال فصبرت على بعلها حتى اتى الى دعوة ملككم ومشيركم وسيدكم فاتيت الى هذا المكان وجمعت ارهاط الجان ولما رايتهُ قد قرب من ابيات الجارية التي يهواها علمت ان هذا هو الوقت الذي يصلح العمل فيهِ للبغضة حتى انهُ يسلوها فاضرمت هذه النار وكررت الاقسام على ارهاط الجان والعمار بناء ان ينزعوا محبتها من جنانهِ ولا يعود يذكرها بلسانهِ . قال نجد بن هشام . فلما سمع عنترة منها ذلك الكلام انطلى عليهِ المحال وانخدع وعوّل ان يعود ويرجع واذا بصوت من خلفهِ ارتجت منهُ الروابي والتلال وقائلٌ يقول ويلك يابنت الانذال لقد كذبت في المقال واذا بهِ مفري الوحش الذي اشتهر بالشجاعة وقوة البطش قد جرّد سيفهُ البتار وهجم عليها هجمة الاسد الكرار وضربها ضربة جبار فقطعها نصفين والقاها على وجه الارض قطعتين وفي الحال تلاشت تلك الخيالات وهدأت الاصوات والضجات وزالت عنهم الاوهام وهانت وعادت يد عنترة كما كانت والتفت عنترة على مفري الوحش وقال يافارس غسان انهُ ما عاقني عن قتلها الا انعقاد اللسان وارتعاش الجنان فكيف قدرت عليها واوصلت سيفك اليها فقال اعلم ياأخي ان معي تعويذة كتبتها لي القسوس والرهبان من تاليف حكماء اليونان اذا حملها الانسان لا تفعل فيهِ مردة الجان وتنقذه من غوائل الزمان فقال عنترة والله انها نافعة وفصائلها قاطعة . قال نجد بن هشام . فبينما هم في الحديث والكلام واذا شيبوب قد وصل اليهم واشرف عليهم فقال لهُ عنترة لاي سبب تركت الحلة ومن خلّفت عند عبلة قال ويلك أدرك عبلة وانظر الى ماجرى عليها والا خرجت روحها من بين جنبيها لاني تركتها في أشنع حال وهي تكابد الاهوال فلما سمع عنترة مقالهُ تغيرت احوالهُ واطلق جواده في تلك السباسب وطلب الابيات والمضارب وقد ضاقت عليهِ المذاهب وقلبهُ من ذلك الخبر لاهب وتبعهُ عروة ومفري الوحش فارس الشام حتى وصلوا الى الخيام فوجدوا عبلة مطروحة خارج الابيات مثل الاموات ولها زفرات وشهقات وهي لا تعقل على احدٍ ولا تفرق بين الابيض والاسود وقد تحجّرت عيناها وزاغت اماقها والزبد خارج على اشداقها فلما راها عنترة على تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال وترجل اليها ووقف بين يديها وضمها الى صدره وقد حار في أمره

قال الراوي فعند ذلك تقدم مفري الوحش الى عنتر وقال له لاتخف يا فارس ربيعة ومضر ثم وضع تلك التعويذة على راسها فلم يمض الا القليل حتى فاقت على حواسها فاختلجت اعضاها وفتحت عيناها فابصرت الى امها وعنترة ابن عمها فاستحت وسترت وجهها بكفها واطرقت الى الارض بطرفها فسالها عنترة عن حالها وما الذي جرى لها ونالها فقالت والله يا ابن العم لست ادري ومن هذا الامر قد ضاق صدري وحار فكري لانني بينما كنت جالسة في الابيات واذا بشخصين قد دخلا عليّ وهما من اشنع المخلوقات رؤُ وسهما مثل رؤُوس الدواب وارجلهما كارجل الكلاب وفي ايديهما انواع المزاريق والحراب فلما رايتهما غبت عن الصواب فسحباني من غير امري وقد سلبا عقلي وفكري الى ان كان مني ما كان وما عقلت على نفسي الا الان فقال عنتر وقد انذهل وتحير وهل تشعرين بعد ذلك في جسمك بضعف وفتور او في عقلك بنقص ونفور قالت لا والله لقد زال ذلك الضيم عني وما انا الان الا كما تعهد مني . فطاب قلبه وزال همه وكربه وقد علم ان تجاب مفري الوحش لا يتقوّم بمال وانه يستحق التعظيم والاحتفال نظرًا لما فيه من المنافع الحسان لانه يعين الانسان على مقاومة الجان والسحرة والكهان الذين لا تعمل فيهم السيوف والنصال والرماح الطوال ثم انه حدث عبلة بواقعة الحال و بعد ذلك دخل بها الى الخيام وقدم لها شيئًا من الطعام .

قال الراوي هذا ما كان من عنترة بن شداد واما ما كان من مسعود بن مصاد فانه بعد ما ودع الملك قيسًا كما تقدم الايراد صرف من معه من الاصحاب وقصد جبل الصفا وتلك الهضاب وفي قلبه لهيب النار ولما تبطن القفار قال له جندلة ابن الاشرار وهو زوج تلك الساحرة الخائنة الماكرة اريد منك ان تعطيني في هذه الليلة حق نعيي حتى افتخر على اهلي وعربي وذلك من بعد دخولك على محبوبتك و بلوغ قصدك و بغيتك فقال مسعود ابشر يا عماه بالاموال الكثيرة والخيرات الغزيرة فسوف يصل من المال اليك ما تقر به مقل عينيك فقد كنت عندي قبل الان من اعز الاصحاب والخلان مسموع الكلمة مرفوع المقام فكيف في هذه الساعة يا ابن الكرام

قال الراوي ولم يزالوا يقطعون القفار الى ان وصلوا الى كثيب الصفا ودنوا من تلك النار فرأوها خامدة بعدما كانت متقدة والعجوز مطروحة قتيلة وقد التهب جسدها واحترق فزاد بمسعود الغيظ والحنق لانه كان كلما ابصر النار وهو على الطريق يتامل بالنجاح والتوفيق الى ان ظهر الحق وبان له الكذب من الصدق وكان زوجها جندلة قد نزل اليها وبكى عليها ونتف لحاه وتحسر على ما دهاه ثم انه قال لمسعود وحق من اشرق الشمس

وفضل اليوم على امس ما قتل زوجتي الا بنو عبس وان لم تاخذ بثاري يامسعود والا مت موتَ القرود وانا مقهور مكمود لانها لم تقتل الا بسببك وقد خاطرت بنفسها لاجل بلوغ اربك فقال مسعود وقد حار واخذه الانبهار وقطع املهُ من عبلة شمس النهار ابشر ياجندلة باخذ الثار وكشف العار فسوف ترى ما تحب وتختار ثم انهُ ارتد راجعًا الى الديار وفي قلبهِ لهيب النار وقد اسودت في عينيهِ جوانب الاقطار

قال الراوي هذا ما كان من مسعود بن مصاد واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ لما اصبح الصباح واضاء بنو رهِ ولاح اراد ان يعلم الملك قيسًا بما قد جرى فما مكنتهُ عبلة من ذلك المرام وقالت لهُ ان انت حدثتهُ بهذا الكلام تجلب عليَّ العار والمذلة ولا يعود يمكنني ان اقيم في الحلة وذلك من الهتيكة والفضيحة والسمعة القبيحة

قال الراوي فلما سمع عنترة منها ذلك الخطاب رآهُ غاية الصواب فصبر على مضض وقد كتم في قلبهِ ذلك المرض خوفًا على عرض ابنة عمهِ من كلام اصحاب الغرض ومن شدة ما اعتراه جمع اصحابهُ وندماه واحبابهُ ورفقاه ومن كان يعتمد عليهِ في شدتهِ ورخاه وباسطهم بلطيف الكلام وتناول معهم اقداح المدام وشكا لهم ما هو فيهِ من الوجد والغرام وتباريح العشق والهيام وكيف انهُ يخاف على ابنة عمهِ عبلة من كيد اللئام فقالوا لهُ يا ابا الفوارس ما هذه المخاوف والاوهام التي اشغلت منك القلب وذكرك قد شاع في الشرق والغرب وهيبتك قد وقعت في قلوب فرسان الحرب وابطال الطعن والضرب فمالك واسع وسيفك قاطع وما منا احد الا وهو لامرك مطيع وسامع فاشرح صدرك واطرد همك وواظب على الافراح مع ابنة عمك . قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة ذلك الكلام طاب قلبهُ وزال كربهُ وقال لمن حضر وحق الركن والحجر ان وجودنا في هذا المكان هو عين الخطر لان مسعودًا يتمنى لنا الموت الاحمر ولا بد لهُ ان يدهمنا يومًا بالجنود والعسكر فيقلع منا الاثر فيجب ان نكون على حذر فقال مقري الوحش لقد صدقت وصوابًا نطقت ومن الراي ان ننظر لنا مكانًا في اطراف هذه البلاد نقصدهُ بالحريم والاولاد ونشرب فيهِ المدام وناكل الطعام ونصرف الاوقات بالافراح والمسرات ثم نرجع الى الخيام عند اقبال الظلام الى ان نبصر ما يحدث ويجرى وحينئذٍ ندبر على قدر ما نرى

قال الراوى ثم انهم كتموا امرهم واخفوا سرهم وركبوا في ساعة الحال وداروا حول القبيلة من اليمين والشمال وما رجعوا حتى اختاروا لهم مكانًا واسع الجنبات كثير الزهور والنبات والاشجار المختلفات وكانوا في كل يوم ينفذون العبيد والخدام بالمدام والطعام

وكان عنترة يخرج مع ابنة عمه عبلة وكذلك مقري الوحش يخرج مع زوجته مسيكة بالجملة وينفردون بانفسهم في ذلك المكان مع من لهم من الاصدقاء والخلان ثم يرجعون الى المضارب والخيام عند اقبال الظلام هذا واهل الحي تتعجب من فعل عنتر وما يعلمون بما جرى وتدبر بل ان العقلاء فيهم يقولون ان هذا الرجل يحب ابنة عمه مفتون وقد قاسى من اجلها الشدائد والاهوال وكأنه يريد ان يخلو بها في الروابي والتلال ويشبع من حديثها ومقالها ويتمتع بوصالها . قال الراوي وكان الملك قيس قد استدعى عنترة الى بين يديه ولامه على ذلك وعتب عليه وقال له يا ابا الفوارس وزينة المجالس ما بالك اشتغلت عنا في هذه الايام وانفردت في الروابي والآكام مع مقري الوحش فارس الشام فقال عنترة اعلم يا صاحب السعادة بلغك الله الارادة اني اينما كنت اكون مغمورًا باحسانك وتحت كنف كرمك وامتنانك غير انه لا يخفاك ادام الله عزك وعلاك ان مقري الوحش فارس غسان قد هجر الاهل والاوطان وتبعنا الى هذا المكان وقاتل بين ايدينا صناديد الفرسان وقاسى من اجلنا الاهوال والاخطار وان لم نجبر قلبه والا تركنا وسار

قال الراوي وكان عنترة يحتج بمثل هذا الكلام بين يديه ويعتذر اليه ثم رجع بعد ذلك الى ما كان عليه . قال نجد بن هشام واتفق بعد ذلك بعشرة ايام ان عنترة خرج مع مقري الوحش فارس الشام وفي صحبته عروة بن الورد وان اخيه الهطال وجماعة من الفرسان والابطال الى الصيد والقنص واغتنام الملاهي والفرص وتركوا الحريم والنسوان في ذلك المكان وعندهن العبيد والغلمان

قال نجد بن هشام ولما تبطنوا البراري والآكام ظهر عن يمينهم خيل متسابقة وفرسان زاعقة وفي ايديهم سيوف بارقة ورماح خارقة فتبينهم عنتر واذا هم مائة فارس غضنفر . قد اطلقوا اعنتهم وقوموا اسنتهم وهم يتسابقون في تلك السباسب مثل السلاهب وقد انقسموا الى فرق ومواكب . قال الراوي فلما ابصر عنترة تلك الحال التفت على مقري الوحش وقال اعلم ايها السيد المفضال لا شك ان هذه الرجال قد تبعتنا من بني سعد وتلك الاطلال حتى تاخذ بثار سيدها معاوية بن النزال واريد اليوم ان الحق به هولاء الفجار واطفئ ما بقلبي من لهيب النار فقال مقري الوحش ان لم يلحقنا الا هولاء الضاجير فالامر يسير وسوف يحل بهم الهلاك والتدمير لان احقر رجالنا قادر ان يلقاها ويبدد اقصاها وادناها غير ان قلبي يحدثني بان مائة فارس لا يمكنها ان تتبعنا الى هذه الديار وتطلب منا اخذ الثار بعد ما شاهدت قتالنا وانصرت فعالنا وانا خائف على عبلة ومسيكة من هذا الامر لانهما في

حالة الانفراد في جوانب البر فقال عنترة وقد اعتراه الانذهال وتغيرت منهُ الاحوال اذا كان الامر على مثل تلك الحال فدونك انت وهذه الابطال وخذ معك عروة وابن اختي المطال حتى اعود انا الى الحريم والعيال

قال الراوي فما اتم عنترة من هذا المقال حتى خرج موكب اخر من بين تلك الجبال اكثر من الاول عدداً واعظم مدداً واختلطوا مع الاولين وهم يتسابقون اليهم مثل الشواهين فقال عنترة لمقري الوحش والله يافارس الشام لقد اصبت في ما ابديتهُ من الكلام وما حسبت الاحساب من قد حنكتهُ الدهور والاعوام

قال الراوي ثم انهُ اطلق راس الحصان وطلب مكان الحريم والنسوان وشيبوب يركض بين يديه والاعداء من كل جانب تصيح عليه وهم يقولون ويلك ياابن الامة الى ابن انت راجع وعبلة قد سبيت وابعدت عن هذه المواضع فسلم لنا نفسك الان قبل ان نضحي جثتك طعماً للنسور والعقبان

قال نجد بن هشام فلما سمع مقري الوحش منهم ذلك الكلام قال كذبتم يانسل اللئام فوحق الاله المتعال ان دون ما قلتم ضرباً يسابق الاجال وطعناً يهد راسيات الجبال ولا يبقي على عم ولا خال ثم انهُ صاح وحمل وتلقاهم بقلب اقوى من الجبل وفعل عروة والمطال مثل ما فعل هذا وقد جد القتال وعظمت الاهوال وخطف مقري الوحش مهج الابطال وطعن في صدور الرجال طعناً يقرّب الاجال وهو يدور بهم من اليمين والشمال كانهُ الاسد الرئبال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير عنتر فارس ربيعة ومضر فانهُ كان قد اطلق عنان جواده الابجر كما تقدم الخبر وفي قلبهِ لهيب النيران الى ان وصل الى ذلك المكان الذي فيهِ النسوان فراهنّ مسبيات ينثرن الدموع والعبرات وحولهن نحو مائتي فارس كالليوث العوابس تحتهم خيول اعوجية وعلى اكتافهم رماح خطية وسيوف هندية تسابق المنية فلما ابصر عنترة هذا الحال خرج عن دائرة الاعتدال وصاح على شيبوب وقال لقد صدق مقري الوحش فيما قال وقد دهينا من كل جانب ورمانا الزمان بسهام المصائب ثم انهُ صاح وزمجر واطلق على الخيل عنان جواده الابجر وتلقاهم بطعن يسبق لمح البصر وضرب يوافق القضاء والقدر وقلب اقوى من الحجر وجعل يجول من اليمين والشمال وهو يجندل الابطال في ساحة المجال حتى طرح اكثرهم على الرمال

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان الملك مسعوداً لما عاد الى حلتهِ اقام

العزاء جندلة على زوجتهِ وكان قد دخل على مسعود في بعض الايام وقال لهُ من الصواب ايها الملك الهمام ان تجتنب بني عبس اللئام لانهم قد انصفوا بالغدر واشتهروا بالخبث والمكر وهم الذين قتلوا زوجتي واحرقوا عليها مهجتي لاني بعد رجوعنا عنهم انفذت اليهم ابنتي وقلت لها لا تبرحي من ابيات هولاء اللئام حتى تعرفي قاتل امك من بين الانام فسارت البنت وعادت بعد ثلاثة ايام وقالت اعلم يا ابتاه ان عبدهم عنترة هو الذي قتل امي واعدمها الحياة لانهُ كان قد خرج عند فروغ الوليمة في جماعة من الابطال يترصد مسعوداً عند رجوعه الى الاطلال حتى يقتلهُ وينزل بهِ النكال فالتقى بامي وهي مشغلة بسحرها وعملها فهجم عليها وقتلها ولولا اشتغال قلبهِ وعودتهِ الى ابنة عمهِ عبلة لما كان ملكنا رجع سالمًا الى الحلة

قال نجد بن هشام وكان قصد جندلة بهذا الكلام فسخ الذمام الذي بين مسعود وبني عبس الكرام لانهُ لم يكن على الحقيقة قد ارسل ابنتهُ غير انهُ قصد تهيج الفتنة حتى ياخذ ثار زوجتهِ فحسب هذا الحساب ونطق بهذا الخطاب وقد صدق واصاب وهذه من جملة ذكاوة الاعراب .

قال الاصمعي ولم يزل جندلة يتكلم في حق بني عبس وعنتر بما لا ينبغي ذكره بين البشر حتى اورث مسعوداً اضطرابًا وقلقًا واوغر صدره عليهم حقدًا وحنقًا فقال لهُ مسعود لقد اشرت عليَّ جملة امرار ان لم يقتل هذا العبد الغدار ما نبلغ من زوجتهِ ما نختار واريد منك من اليوم فصاعدًا ان تجعل عليهِ العيون والارصاد وتكمن لهُ جماعة من الابطال الشداد حتى اذا خرج على حالة الانفراد يقتلونهُ ويخفون اثره ولا يعلم احد خبره وان ارسل الملك قيس يعاتبني على ما قد جرى اقول لهُ ان عبدكم قد تعدى وافترى لانهُ قتل امرأة من نساء العرب بدون ذنب ولا سبب ولما علم اهلها بذلك قصدوه وانزلوا بهِ المهالك فقال جندلة ان كان عزمك قد اشتد على قتل ذلك العبد فابشر ببلوغ المراد ومسرة الفواد لانهُ قد بلغني في هذه الايام من بعض الانام ان عنترة لم يعد يفارق عبلة بل انهُ في كل يوم ياخذها من الحلة ويقصد بها مروج الفصلان وتلك الروابي والكثبان وينزل بها على المناهل والغدران فيأكل معها الطعام ويشرب المدام ويعود بها الى الخيام عند اقبال الظلام والصواب ان تعلم بحالك جماعة من مقدمي رجالك وتقدمهم على خمسمائة من صاديد ابطالك واسير انا في صحبتهم الى تلك الديار واكمن في جوانب القفار ونصبر عليهِ الى ان ينتصف النهار ويكون قد سكر من شرب العقار فنبادره من كل جانب ونقصده بالاسنة والقواضب ونضرب رقبتهُ وننسي زوجتهُ وان عتب عليك الملك قيس تقول لهُ ان هذه الخيل ليست من ارضنا

بل هي من بني سعد واويس قد قصدتكم الى هذه الاطلال حتى تاخذ منكم بثار سيدها معاوية بن النزال وانا لابد لي من ان اسير اليهم وانهب اموالهم واقتل رجالهم واسبي حريمهم وعيالهم فتكون قد ارضيتهُ بهذا الكلام ورفعت عنك العتب والملام وبعد نهاية هذه القصة تغتنم الفرصة وتخطب عبلة وتزيل عن قلبك الدبلة والغصة

قال الراوي فلما سمع مسعود من جندلة هذا المقال امل ببلوغ الامال وقال لهُ وحق ذمة الاعراب لقد تكلمت بالصواب واشرت بالامر الذي لا يعاب واما قولك بان يخرج خمسمائة من الفرسان المغاوير الى قتال ذلك العبد الشرير فما هذه الفائدة بهذا العدد الكثير قال لانهُ فحل لا كالفحول وقد سمعت عنهُ افعالاً تحير العقول وتترك العيون الصحاح حول . ومع ذلك ايها الملك السعيد انهُ لا يخرج منفرداً في جوانب البيد بل يخرج في صحبتهِ جماعة من الابطال والعبيد وقد بلغني من بعض الناس ان معهُ فارساً قويّ المراس يقاربهُ في الشجاعة وقوة الباس يقال لهُ مقري الوحش ويكنى بفارس النياق وهو من اخبر الناس بطعن الرماح الدقاق وما دبرت هذا التدبير ايها السيد الخطير الا خوفاً من الفشل وخيبة الامل فلما سمع مسعود منهُ ذلك الخطاب راهُ في غاية الصواب ثم انهُ استدعى بجماعة من مقدمي الابطال واعلمهم بواقعة الحال فلما سمعوا منهُ هذا الكلام اجابوهُ الى ذلك المرام واستعدوا من وقتهم لقتال عنتر واخذوا في صحبتهم نحو خمسمائة بطل وكمنوا بهم في جوانب البر الاقفر الى ان التقوا بعنترة في تلك السباسب فانقسموا الى فرق ومواكب وتقدم جندلة بن بلال في مائتين من الابطال الى نحو الحريم والعيال فوجد عبلة وحدها ومسيكة زوجة مقري الوحش عندها ففرح واستبشر وانقض عليها مثل الاسد الغضنفر فسباها وحملها في الهودج وعول ان يعود ويرجع واذا بعنترة قد ادركهُ في الحال وفعل ما فعل من الفعال

قال الراوي وما زال ينثر الابطال بحسامهِ الفصال حتى مدد اكثرهم على الرمال وشاهد جندلة من قتال عنترة ما يدهش النظر ويعمي البصر فانذهل وتحير وطلب الهزيمة والفرار فيمن بقي معهُ من الانفار خوفاً من الهلاك والدمار لانهُ ابصر طعناً يسابق الاجال وضرباً يهد الجبال ويشيب الاطفال

قال الراوي وعاد عنترة الى عبلة وسنانهُ يقطر من الدم فراها تضحك وتبتسم لانها رات الاعداء بين يديهِ اذل من الكلاب وهو اشد من اسد الغاب فانشرح صدرها وطاب وزالت عنها الهموم والاوصاب وقالت لهُ لله درك من بطل جسور حامي ربات الخدور فوالله انك فارس الفرسان ونتيجة الدهر والاوان ومثلك تكون الابطال والفرسان فشكرها

على ذلك الكلام ثم انهُ ارسلها في ومسيكة مع اخيه شيبوب الى الخيام وطلب هو مقري الوحش وابن اخيهِ المطال وعروة بن الورد الاسد الريبال الا انهُ لم يصل الى معركة القتال حتى كان النهار قد عول على الارتحال فراى الحرب بينهم قائمة ونارها متصلة دائمة وقد دارت الرجال باصحابهِ من كل ناحية مثل الاسود الضارية هذا ومقري الوحش يطعن في صدور الابطال طعنًا يسابق الآجال فلما شاهد عنترة تلك الحال صاح وهجم وحمل كانهُ الاسد الغشمشم وطعن في الصدور والقمم طعنًا يورث البؤس والنقم ونثر بسيفهِ الجماجم والقمم ولم يمض الا القليل حتى هربت الاعداء من وجهِ عنتر مثل القطا اذا نفر وطلبوا البر الاقفر واجتمع بمقري الوحش الاسد الريبال وعروة بن الورد وابن اخيهِ المطال وهنأَهم بالسلامة والخلاص من الاضامة ثم حدثهم بما جرى لهُ وكان وكيف انهُ خلص الحريم والنسوان وبعد ذلك ارتدوا راجعين الى المضارب وعنترة يذم الزمان الذي لا يصغى لصاحب ولا يلين لعتب عاتب فانشد وقال

اری لي كلَّ يومٍ مع زماني | عتابًا في البعادِ وفي التداني
يريد مذلتي ويدور حولي | بجيش النائبات اذا رآني
كاني قد كبرتُ وشاب راسي | وقلَّ تجلدي ووهى جناني
الا يا دهر يومي مثلُ امسي | واعظمُ هيبةً لمن التقاني
وما اوهى مراس الحرب ركني | ولا وَصَلتْ اليَّ يد الزمانِ
وما دانيت شخص الموت الا | كما يدنو الشجاعُ من الجبانِ

قال نجد بن هشام وكان وصولهم الى الخيام عند اسدال الظلام فوجد عنترة الملك قيسًا لهم في الانتظار وهو من اجلهم على مقالي النار لانها كانت قد بلغتهُ الاخبار من شيبوب عند اخر النهار وكان كلما عول ان يركب ويقتفي من عنترة الاثر يشاغلهُ شيبوب بالحديث والخبر حتى قدم الامير عنتر ففرح الملك قيس واستبشر وسالهُ عما جرى وتدبر فحدثهُ بواقعة الحال وقال وحق الالهِ المتعال مافعل هذه الفعال وارسل الينا هذه الابطال الا صديقك مسعود ابن الانذال طمعًا في سبي حريمنا والعيال وانا لا بد لي معهُ من يوم يشيّبُ الاطفال فقال لهُ الملك قيس يا ابا الفوارس ويا زينة المجالس ماهو الذي بينك وبين الملك مسعود حتى يدهمك بالفرسان والجنود وقد اخذنا عليهِ المواثيق والعهود قال عنترة انا اعلمك بحقيقة الخبر لتكون على حذر . اعلم انهُ قد هام بحب ابنة عمي عبلة وجمالها وقد صور لهُ العشق ان يقتلني لكي يتسبب في وصالها ثم حدثهُ بتلك القصة من اولها الى اخرها واوقفهُ على باطنها

وظاهرها وقال له في اخر الكلام اعلم ايها الملك الهمام ان اجله قد اقترب وسوف يحل به العطب فقال الملك قيس وقد ابدى الابتسام والله يا ابا الفوارس انك تنغص عليّ عيشك مدى الدوام في هذه الافكار والاوهام ومع كل ذلك فانك لا تلام لان العاشق المفتون كثير الشكوك والظنون فمن فرط عشقه وشدة لهيبه يتصور له ان كل الناس كلفة بعشق حبيبه والصواب ان تصبر حتى نقف على الخبر اليقين لان اخاك شيبوبًا ذكر لنا بان هذه الخيل من بني سعد وبني القين . قال مجد بن هشام ثم ان عنترة بعد ذلك الكلام ارتد راجعًا الى الخيام وفي قلبه لهيب النار وقد قل منه الاصطبار وبات بليلة طويلة ما اخذه رقاد ولا ذاق شيئًا من الزاد . قال الراوي هذا ما كان من عنترة بن شداد واما ما كان من جندلة بن الاوغاد فانه كان قد جدّ في قطع المهاد حتى وصل الى الحلة ودخل على مسعود بن مصاد وحدثه بما جرى وكان وكيف ان عنترة فتك في الابطال والفرسان وفعل افعالاً تعجز عنها مردة الجان فلما سمع مسعود منه هذا الخطاب غاب عن الصواب غير انه اظهر الجلد واخفى الكمد وقال وحق الركن والحجر والهبل الاكبر لانقضنّ عهدي مع بني عبس واقلع منهم الاثر بعد ما اقتل عبدهم النحس المدعو بعنتر ولا اترك منهم من يخبر بخبر فقال جندلة انا اعلم ايها الملك المبجل انك قادر على هذا العمل ولكن انما نخاف اذا فعلت ذلك المرام ونقضت العهد والذمام يقع علينا العتب والملام ونصير معيرة عند العرب الكرام على مدى السنين والايام لان القوم قد اكلوا من طعامك واستظلوا بظل حمايتك وذمامك وحيث ان الامر قد امتد وبلغ هذا الحد فانا اتولاه على غير هذا الاسلوب وابلغك ما تريد من لقاء المحبوب بحيث لا يلومك احد من العرب وتكون قد بلغت الارب فلما سمع مسعود من جندلة هذا المقال خمد عنه بعض الاشتعال وقال له ما الذي عولت ان تفعل من الفعال قال مرادي ان اركب عند طلوع الشمس واقصد الملك قيس سيد بني عبس واقول له اعلم ايها الملك الكريم قد بلغ الملك مسعودًا ماجرى لكم بالامس مع بني سعد وتميم فقصدوكم الى هذه الاطلال لياخذوا منكم بثار سيدهم معاوية بن النزال فعظم ذلك الامر عليه وكبر لديه وقال اكون انا الملك مسعود بن مصاد سيد هذه الاراضي والبلاد وبنو عبس قد نزلت تحت ذمامي واماني وشملهم فضلي واحساني وتقصدهم بنو سعد الى هذه الديار لاجل اخذ الثار . هذا من اكبر العار فامر العساكر ان يتبعوهم فطلبوهم ولم يدركوهم وقد عول الملك ان يركب في سائر الابطال ويقصدهم الى المنازل والاطلال ويسبي عيالهم ويقلع اثارهم وياخذ اموالهم ويخرب ديارهم فاذا انطلى عليه هذا الكلام اخطب لك منه عبلة بدر التمام واقول له اعلم

ايها الملك الهمام ان الملك مسعوداً يقريك السلام ويقول انك عند ما استدعيتهُ الى الوليمة من مدة ايام وقعت عينهُ على جارية في بعض المضارب والخيام فعشقها وهويها وزادت رغبتهُ فيها وكان قد سال عنها بعض رجال الحلة فقيل لهُ ان اسمها عبلة وقد ارسلني اليك حتى اقصّ هذا الخبر عليك لتبادر عنهُ الى خطبتها وتسرع في طلبها وتعطي اباها كل ما طلب من الفضة والذهب ويطلب منك المساعدة حتى تكون القبيلتان قبيلة واحدة وان كانت الجارية ذات بعل قل لزوجها ان ينزل عنها والملك مسعود يزوجه بجارية تكون احسن منها وانا اعلم ان هذا الامر لا يكون لانهُ يورث البغضة والغبون لا سيما عنترة فارس بني عبس وعدنان فانهُ لا يصبر على الذل والهوان وبهذه الوسيلة يقع بيننا وبينهم النفور والخصام ويتكلمون في حقك ما لا يليق من الكلام وحينئذٍ تبذل فيهم حسامك وتبلغ منهم غاية قصدك ومرامك ولا يعود يلومك احد من العرب اصحاب الحسب والنسب لانهم يكونون سببًا لوقوع الفتنة وجلب المحنة فاستصوب مسعود منهُ ذلك الكلام وامل ببلوغ المرام

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب جندلة جواده وسار وجدّ في قطع القفار فوصل الى خيام بني عبس عند نصف النهار وكان الملك قيس صاحب الراي والتدبير قد جمع في صباح ذلك اليوم جماعة من الفرسان المشاهير وابطالها المغاوير وحدثهم بقصة مسعود بن مصاد وعشقهِ لعبلة بنت مالك بن قراد ثم قال لهم اعلموا يا وجوه بني عبس بان تلك الخيل التي قصدت عنترة نهار امس لم تكن من بني سعد وتميم بل هي من جملة عساكر مسعود صاحب هذه المنازل والاقاليم واني ما جمعتكم الى هذا المكان الا لاستشيركم في هذا الشان قبل ان يثور الشر ويعظم الامر لاني اصبحت بعيدًا عن الوطن غريبًا في بلاد اليمن فلما وقفوا على حقيقة الخبر اخذهم القلق والضجر وتنغص عيشهم وتمرمر وقالوا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر اذا كان الامر كما تقول فما نحن الا في مقام الخطر لان هذه القصة مشكلة وعاقبتها معضلة وقد وقعنا في مصيبة عظيمة وداهية جسيمة ونخاف ان نحن خالفنا مسعوداً بن مصاد فيما اراد يقصدنا بالعساكر والاجناد ويقلع منا الاثر ويجعلنا عبرةً لمن اعتبر

قال الراوي وكان عمارة بن زياد حاضرًا في ذلك المقام فلما سمع هذا الكلام نهض قائمًا على الاقدام ورفع صوتهُ امام الابطال والفرسان ومن حضر في ذلك المكان وقال اني اشير عليكم ايها السادة الانجاب براي يكون فيهِ الصواب وهو ان تلزموا عنترة بن شداد بتسليم عبلة الى الملك مسعود بن مصاد هذا اذا كنتم تريدون سلامة القبيلة وخلاصها من

هذه الورطة الوبيلة لان عنترة قد قضى وطره منها وهو اليوم في غنيً عنها

قال الراوي فلما سمع الحارث بن زهير كلامه ثارت بهِ الحمية ولعبت باعطافهِ نخوة الجاهلية وقال لهُ لقد اخطأْت يا وهاب في هذا الخطاب لان هذا الامر هو غاية الاخراق والاذلال ولا يصبر عليهِ احد من الرجال فدع عنك قول المحال فوحق الاله المتعال الذي قدَّر الارزاق والاجال لا يوجد اليوم مثل عنتر في سادات البدو والحضر وما هو الا مثل الدرة اليتيمة عند من لا يعرف لها قدرًا ولا قيمة اما سمعت ما قال فيهِ الشاعر

وإذا تفاخرتِ الملوكُ رأيتها ... بأَبي الفوارسِ عنترٍ تتجمَّلُ

يافارسًا كملتْ صفاتُ علائهِ ... والحربُ تسعرُ والمنيَّة تشعلُ

فاْفخرْ ودُم شرفًا فما من مفخرٍ ... الاَّ وفيهِ لكَ الذراعُ الاطوَلُ

قال نجد بن هشام وما انتهى الحارث من هذا الكلام حتى دخل عنترة وسلم وجلس بين تلك الامم وقد علم انهم يتشاورون وفي امرهِ يتكلمون فقال لهم ما بالكم يا بني الاعمام اني اراكم في حديث وكلام فقال الملك قيس سلامتك يا ابن العم فما في كلامنا من شيء يجلب الهم والغم

قال سعيد بن مالك فبينما هم كذلك واذا بجندلة رسول مسعود بن مصاد قد اشرف عليهم في تلك الساعة كما تقدم الايراد فتقدم الى الملك قيس وسلم عليهِ ووقف بين يديه فاستقبلهُ الملك قيس احسن استقبال واجلسهُ بين السادات والابطال ولما قرَّ بهِ المقام التفت الى الملك قيس وقال اعلم ايها السيد المفضال ان الملك مسعودًا ارسلني اليك وهو يسلم عليك ويهنئك بسلامة فارسكم عنترة من الخطر لانهُ قد بلغهُ ما جرى بينهُ وبين تلك الابطال الذين قصدوكم نهار امس الى هذه الاطلال وكيف انهُ انزل بهم النكال ومدد اكثرهم على الرمال فاستشاط الملك غضبًا من تلك القضية وحلف برب البرية انهُ لا بدَّ لهُ ان يتبعهم الى اطلالهم ويسبي حريمهم وينهب اموالهم لانهم دخلوا الى دياره وتعرضوا لكم وانتم نازلون في جواره وما زال جندلة يحدثهم بزخاريف الكلام ويذكر محبة مسعود لهم دون الانام حتى دعا لمسعود كل من حضر في ذلك المقام وقالوا حيا الله ذلك الملك الكبير والسيد الخطير والامير ابن الامير صاحب النخوة والحمية والهمم السنية حفظهُ الله وايده ورفعهُ واعلى يده لانهُ قد اعطانا الذمام وبادأنا بالجميل والاكرام حتى سلونا الاوطان وطاب لنا في جواره المكان

قال نجد بن هشام ثم ان جندلة بعد ذلك الكلام نهض قائمًا على الاقدام والتفت الى الملك قيس دون كل احد وقال اعلم ايها السيد الاوحد ان مولاي مسعودًا لما حضر الى

وليمتكم من مدة ايام نظر الى جارية في بعض الخيام كانها البدر التمام فاحبها وهويها وزاد عشقه فيها فكتم عن الناس حالهُ وقد ارسلني اليكم الان لاخطبها لهُ لان مراده ان يصل نسبهُ بانسابكم حتى يعتز بذلك جنابكم وتخافكم الاعداء وتهابكم وهو يطلب منك في ذلك المعاونة والمساعدة لتصير القبيلتان قبيلة واحدة ويقول لك لا تعتب عليهِ في هذا الطلب لانهُ لم يفعل الا ما سبقهُ اليهِ سادات العرب وهو مع ذلك احق من كل من طلب وخطب فان كانت الجارية ذات خدر وبنتًا بكر فقل لابيها ان يطلب مهما اراد من المال والنوق والجمال وان كانت ذات بعل فقل لزوجها ان ينزل عنها والملك يزوجهُ بجارية تكون احسن منها بعد ان يرفع مقامهُ ويحسن اليهِ ويعطيه من التحف والاموال ما تقر بهِ مقل عينيهِ

قال الراوي ثم ان جندلة التفت على سادات بني عبس الكرام وقال لهم ما عندكم ان تقولوا في هذا الكلام فقال لهُ عمارة وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر انهُ يكون لنا في ذلك الشرف الاكبر والحظ الاوفر ولكن نريد منك ايها السيد الكريم ان تعلمنا بحق زمزم والحطيم من تكون هذه الجارية التي نادى بسعادتها الرب القديم ورزقها هذا الحظ النعيم فقال جندلة قد بلغني من بعض الرجال الاجواد ان اسمها عبلة بنت مالك بن قراد وهي متزوجة برجل يقال لهُ عنترة بن شداد قد اخذها من ابيها قهرًا وغصبًا وهذا النكاح غير جائز عند العرب العربا لانهُ لا يسوغ للمراة ان تتزوج بغير جنسها الا ان تطرد وتسبي . قال الراوي فتعجب الملك قيس وكل من حضر من هذا الكلام المنكر وبان لهم صدق كلام الامير عنتر غير انهم سكتوا عن رد الجواب ولم يجسر احد ان يتكلم بخطاب فقال عمارة وحق ذمة العرب وشهر رجب لقد بالغت يا جندلة معنا في النصيحة وقلت مقالاً لا تقبلهُ الا اصحاب العقول الرجيحة وهذا هو زوج الجارية حاضر يسمع ويرى فان كان مراده صيانة النسا وحقن الدما فلينزلنَّ عنها الان ويسلمها الى ذلك الملك العظيم الشان وان هو امتنع وابى فوجوه العشيرة تاخذ هامتهُ غصبًا ويزوجونها بالملك مسعود بن مصاد ويفدون بها الحريم والاولاد

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة من عمارة ذلك الكلام اسودَّت الدنيا في عينيهِ وما بقي يبصر ما بين يديهِ وصاح عليهِ بصوت يصدع الحجر ويصم اذآن الدب الذكر اسكت يا جبان يا ذليل يا مهان فوحق ذمة العرب لئن عدت فتحت فمك يا قرنان لاسقينك كاس الهوان بحد هذا الصارم اليمان ولو كنت في حجر ملوك بني غسان او كسرى صاحب التاج والايوان واتركك عبرة لكل انسان ما بقي الزمان فلما سمع عمارة كلام عنتر اندهل وتحير

والتجاؤا الى جبل هناك يقال لهُ الغمام وضربوا في سفحهِ الخيام وحصنوا فيهِ الحريم والعيال والنوق والجمال واستعدوا للحرب والقتال فلما ابصرهم عقاب وقد التجآوا الى ذلك الجبل ايقن ببلوغ الامل وقال لاصحابهِ ها قد هان علينا العمل لان هولاء القوم لم يلتجئوا الى هذا المكان الالاجل المدافعة عن الحريم والنسوان وانا اعلم انهم يخسرون لامحال ثم انهُ اخذ ينخي الرجال ويحرضهم على الحرب والقتال ويقول لهم مهما اخذتم من الاموال والتحف الغوال فانا اقسمهُ لكم بالسوية وما اريد من الغنيمة الا عبلة العبسية

قال الراوي وبعد ذلك صاح وحمل وفعلت رجالهُ مثلما فعل فالتقتهم بنو عبس بقلوب كالجبال واختلف بينهم القتال وعظمت الاهوال وانقلبت الدنيا بالصياح ونثرت الجماجم من على هامات الاشباح وكثر الزحام وقل الكلام وتزلزلت الوهاد وتكسرت الرماح المداد وكان لهم يوم من الايام الطوال يذكر على مدى الايام والاجيال

قال الراوي ولم يزالوا على تلك الحال الى ان اقبل الليل بالانسدال فعند ذلك التفت عنترة على من حولهُ من الرجال ومن يعتمد عليهم في مواقف الاهوال وقال لهم اثبتوا على الحرب والكفاح وانا اضمن لكم تفريقهم قبل الصباح فامتثلوا ما امر وفعلوا كما ذكر وقاتلوا الى وقت السحر بقلوب اصلب من الحجر واتفق لهم ليلة مظلمة شديدة الريح معتمة فما كنت تسمع الا وقع الحوافر وقعقعة السيوف البواتر وصهيل الخيول الضوامر وصلصلة الحديد ولمعان الزرد النضيد فللهِ در عنترة وما فعل فانهُ سطا سطوة الشجاع البطل وقاتل قتال من قد استقتل فكان تارةً ينادي لعروة بن الورد البطل الهمام وتارة ينادي لمقري الوحش فارس الشام ويحرضهما على القتال والصدام وتارة يطعن بالرمح اللهذم وتارة يضرب بالحسام واخوهُ شيبوب يرمي من حولهِ بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وكان اذا خف من بين يديهِ الجمع وبانت لهُ حقائق البذل والمنع ينادي على الابطال ويحثها على الحرب والنزال وينشد ويقول

يا عروة ابن الوردِ ليثُ عبسي كُنْ آمنًا من غلبات الأُنس
واعلم باني قد بذلت نفسي للموت حتى يطمئن عرسي

قال الراوي ولما اصبح الصباح وقع عنترة بعقاب خال الملك مسعود وهو يحرض الابطال والجنود فتقدم اليهِ وهجم عليهِ وحك ركابهُ بركابهِ وفرق عنهُ زمر اصحابهِ وضربهُ على عاتقهِ فاطلع السيف يلمع من علايقهِ وبعد ذلك وقع الفناء في بني كلب بن وبرة وانكسروا اتم كسرة وتفرقوا في البراري والهضاب ورجع بنو عبس بالغنائم والاسلاب وهم يثنون على عنتر

ويشكرون فعلهُ في ذلك اليوم المنكر وكان من جملة من بالغ في وصفهِ واطنب وفضلهُ على جميع فرسان العرب عمرو اخو عبلة الفارس المنتخب وقد ذكر لاختهِ عبلة ما شاهد من فروسيتهِ عند حملتهِ وقال وحق الاله المتعال لقد فعل بعلك في هذه الليلة فعالاً تشيب رؤُوس الاطفال وتعجز عن مثلها فراعنة الرجال فضحكت عبلة وابدت الابتسام عند سماعها من اخيها ذلك الكلام وتقدمت الى عنترة واثنت عليهِ وقبلتهُ بين عينيهِ وهنأتهُ بالسلامة والكرامة بكل كرامة فشكرها على كلامها وحسن اهتمامها وقال لها اعلمي يا قرَّة العين والروح التي بين الجنبين لابد لي ان اقصد الملك مسعود واترك جثث فرسانهِ طعماً لجوارح العقبان وكواسر الاسود وان كان عندك ادنى شك في مقالي فاسالي اخاك عمرًا عن قتالي ثم انهُ بعد هذا الكلام نزل للراحة في المضارب والخيام وهو يتذكر ما جرى لهُ في ذلك اليوم المهول وينشد ويقول

سلي يا عبلَ عمرًا عن فعالي ... باعداكِ الأُولى طلبوا قتالي
سليهِ كيفَ كانَ لهم جوابي ... اذا ما خابَ ظنك في مقالي
اتونا في الظلام على جيادٍ ... مضمَّرةِ الخواصر كالسعالِ
وفيهم كل جبارٍ عنيدٍ ... شديد البأس مفتول السبالِ
ولما اوقدوا نار المنايا ... باطرافِ المثقَّفة العوالي
نفاها اسودٌ من ال عبسٍ ... بابيضَ صارمٍ حسن الصقال
اذ ما سلَّ سالَ دمًا نجيعًا ... واخرقَ حدهُ صمَّ الجبالِ
واسمر كلما رفعتهُ كفي ... يلوح سنانهُ مثل الهلال
تراهُ اذا تلوَّى في يميني ... تسابقهُ المنية في شمالي
ضمنت لهُ الضمانَ ضمانَ صدقٍ ... وانبعت المقالة بالفعال
وفرَّقتُ الكتائبَ عند ضربٍ ... تخرُّ لهُ صناديد الرجالِ
وما ولى شجاعَ الحربِ الا ... وبين يديهِ شخصٌ من مثالي
ملأت الارضَ خوفًا من حسامي ... فباتَ الناس في قيلٍ وقال
ولو اخلفت وعدي فيك قالت ... بنو الانذال اني عنكِ سال
ولو امسى عمارة في مقامي ... يريد حماك ياذات الجمال
لاضحى لحمهُ للطير رزقًا ... وانت مع السبايا في الحبال

قال الراوي فلما سمعت عبلة تلك الابيات ازدادت سرورًا وشكرت عنترة شكرًا كثيرًا

وقالت والله ياابن العم ازال الله عنك الهم والغم ما انا الا قد سمعت عنك من اخي كلما يقرّ به خاطري ويزيد حبك في قلبي وضمائري ولكني سمعتك تذكر في شعرك عمارة بن زياد نسل الاوغاد فما الذي يحوجني ان احتمي تحت ظل ذلك القرنان ما دمت انت تحفظني وترعاني من نوائب الزمان فوالله ما عمارة . الا احقر من ذبلة حمارة ليس له فضل يذكر ولا علم ينشر فقال لها عنترة اني ما ذكرته في شعري الا بسبب كلامهِ الذي اوغر بهِ صدري لانهُ لما حضر جندلة من عند مسعود بن مصاد في طلبك اشار عمارة الى قيس ان يسلمك له والا انقلعت القبيلة بسببك قال نجد بن هشام فبينما هما في الحديث والكلام واذا بمقري الوحش قد اتى اليهِ وسلم عليهِ وقال له يا ابا الفوارس ما هذا القعود عن قتال الملك مسعود أَما سمعت قول الشاعر حيث يقول

لاتقعدنَّ على نارٍ وما خمدت ... انَّ القعودَ على النيران خسرانُ

فلم يبقَ في الامر الا المسير اليهِ والهجوم عليهِ قبل ان يجمع علينا القبائل ويقصدنا بالفارس والراجل فهلمّ بنا حتى نجد في قلع اثاره وخراب دياره وامصاره فقال عنترة لو كان الامر لي لما كنت نزلت عن ظهر الابجر الا بعد ان اقلع منهُ الاثر وابلغ غاية القصد والوطر وانما رأيت اصحابنا قد اصبحوا في غاية التعب فقلت امهل عليهم اليوم وغداً حتى انهم يستريحون وبعد ذلك نسير اليهِ ونوقع بهِ العطب قال مقري الوحش دبّر برأيك السديد ما فيهِ الصلاح ودعنا نقصده عند الصباح قال الراوي ولما مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار ركب عنترة في جماعة من الابطال الذين كان يعتمد عليهم في الحرب والقتال ويكشف عنهم المصائب والاهوال وقصد الملك قيساً واستاذنهُ في المسير الى اميا عراعر حتى ينجز امر مسعود قبل ان يجمع عليهم القبائل والعساكر وقال له ياملك الزمان ليس في الامر ما يوجب انزعاجك ومسيرك الى قتال ذلك القرنان بل اقم انت واخوتك في هذا المكان وانا ابلغك غاية المقصود من الملك مسعود ولو كان في صحبتهِ قبائل عاد وثمود فقال الملك قيس اني لا ارضى لنفسي بالتاخير في القعود ولا بد لي ان اسير معك وابذل المجهود ثم انهُ ركب من وقتهِ وساعتهِ بابطال

الكتاب الرابع والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

عشيرتهِ وترك في القبيلة الربيع مع اخوتهِ وساروا من اول الليل على ظهور الخيل . قال الراوي

هذا ما جرى لهولاء من الايراد واما ما كان من مسعود بن مصاد فانهُ كان بانتظار خالهِ حتي يعود اليهِ بعبلة ويبلغهُ امالهُ فبينما هو في الانتظار يتقلب على جمر النار اذ قد وصل اليهِ جماعة من المنهزمين وهم منقطعون من عشرة ومن عشرين ونعوا اليهِ خالهُ عقاب . وذكروا لهُ ما حل بعسكره من اليم العذاب فلما سمع منهم ذلك الخطاب صعب عليه وكبر لديه واسودت الدنيا في عينيه حتى كاد يهلك من الغيظ والحنق وتمنى انهُ لم يخلق وقال والله يا بني الاعمام ما قلت الا اننا ننتصر على هولاء الاقوام وما كنت اظن اننا نلقى منهم هذا الملتقى ونشقى معهم هذا الشقا وقد اهملنا امرهم فوصل الينا شرهم والا لو كنت سرت بنفسي مع العسكر لكنت بلغت منهم الوطر وارحتكم من شر ذلك العبد المدعو بعنتر الذي طغى وتجبر والان ما بقي في الامر ايها السادة الكرام الا المسير اليهم بكل بطل همام وليث ضرغام والا شمتت بنا طوائف العرب والاعجام وصرنا مثلاً بين الانام على مدى السنين والاعوام

قال نجد بن هشام فلما انتهى من هذا الكلام قال لهُ احد السادات وكان من اكابر قومهِ يقال لهُ زيد بن عبد اللات وحق خالق الارض والسموات ما تكون معهم الا في مقام الخطر ولو سرت اليهم بقبائل البدو والحضر وسكان البر الاقفر ما دام فيهم ذلك العبد الاسود الذي ناره في الحرب لا تخمد والراي عندي ايها الملك المهاب ان تجمع في هذه الليلة من تعتمد عليهم من الاصحاب والحلفاء والاحزاب لاجل السهر والملاحظة والحرس والمحافظة والا دهمنا ذلك العبد وافترسنا افتراس الاسود وبلغ ما غاية المقصود

قال نجد بن هشام فلما سمع مسعود من زيد ذلك الكلام قامت عيناه في ام راسهِ وانزعجت جميع حواسهِ وقال لهُ اذلك الله بين الرجال لانك مذلول السال . فما تكلمت بهذا المقال الا لضعفك وشدة خوفك فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا بد لي ان اقتل ذلك العبد المدعو بعنتر واذبح بني عبس ذبح البقر وابيح نساءهم في قبائل البدو والحضر واجعلهم مثلاً يذكر ما طلعت الشمس والقمر

قال الراوي ثم انهُ انفذ من وقتهِ الى قبائل اليمن يستنجد بحلفائهِ واصدقائه ومن يعتمد عليهم في تلك الدمن ويعلمهم بما جرى بينهُ وبين بني عبس من الاول الى الاخر ويطمعهم في نهب الاموال وسبي النساء الحرائر ويطلب منهم سرعة القدوم بالابطال والعساكر الى اميا عراعر ثم انهُ نادى بقومهِ باخذ اهبة الحرب والكفاح وما اصبح الصباح حتى صار في سبعة الاف فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس وهم قد غاصوا في الحلق وتكسوا بالدرق وركبوا الخيول السبق وركب الملك مسعود وهو غائص في الحديد مسربل

بالزرد النضيد ونشر على راسهِ الاعلام والرايات ودارت بهِ الفرسان والسادات هذا وقد ارتجت الاراضي والفلوات من اختلاف الاصوات ووقع حوافر الخيول الصافنات

قال الراوي وما ابعدوا عن الابيات حتى اشرفت عليهم مواكب بني عبس من سائر الجهات وهم مثل الاسود الضاريات يتقدمهم عنترة بن شداد البطل الهمام ومقري الوحش فارس الشام ولما وقعت العين على العين حملت على بعضها فرسان الطائفتين وجرى بينهم قتال شديد ما عليهِ من مزيد ولم يزالوا على تلك الحال وهم في اشد قتال تنعوذ منهُ صناديد الرجال حتى عظم الخوف والوجل ودارت عليهم رحات الاجل وغاب عن اعينهم السهل والجبل وحار الشجاع واستقتل وانهل سحاب الدماء وهطل ووقعت الاسنة في المحاجر والمقل وخاب الرجاء والامل ووقع في القلوب الضجر والملل و تمزقت الصدور باطراف الاسل فلا ترى في تلك الساعة الا رمحًا خارقًا وسيفًا بارقًا وفارسًا شاهقًا ودمًا دافقًا هذا وعنترة قد فرّق الكتائب ومزق المواكب واظهر الاهوال والعجائب وكان قد طلب رايات الملك مسعود وهو ينكس الاعلام والبنود و يشق في تلك العساكر والجنود و يطعن طعنات في القلوب والكبود تشيب الاطفال في المهود وتترك الوجوه البيض سود حتى وصل الى اعلامهِ وفرق الفرسان من قدامهِ ومال اليهِ وهجم عليهِ وقاتلهُ حتى اضجره واكربهُ وطعنهُ بالرمح في صدره فاقلبهُ فمال الى الارض يختبط في دمهِ و يبحث في كفهِ وقدمهِ

قال الراوي فلما نظرت رجالهُ ما حل بهِ من رمح عنتر فما منهم الا من ارتعد وانذعر وايقن بالموت الاحمر فعند ذلك مالوا من اليمين والشمال وتفرقوا في بطون السهول ورؤوس الجبال ورجع بنو عبس عنهم بالغنائم والاموال وعنترة في اوائلهم كانهُ الاسد الاكول وهو ينشد و يقول

بصدرِ سنانِ السمهريّ المثقّفِ ... أزلتُ لظى قلبي ونارَ تلهفي
وقد كانَ في قلبي همومٌ كثيرةٌ ... الى ان هوى مسعود من حدّ مرهفي
تركتُ طيور الجوّ تحجل نحوهُ ... وتقسم من اعضاه قسمة منصفِ
اتانا بجيشٍ كالغمام وحولهُ ... سيوفٌ يلوحُ الموتُ فيها ويختفي
الا هل اتاها أنّ يوم عراعرٍ ... شفى سقمًا لو كانت النفس تشتفي
فجئنا على عمياء ماء فاجمعوا ... بارعن لا خلٍّ ولا متكشفِ
تماروا بنا اذ يمدرون حياضهم ... على ظهرِ مقضيّ من الامر محصفِ
وما نذروا حتى غشينا بيوتهم ... بغبية موتٍ مسبل الودق مزعفِ

فظلنا نكرُّ المشرفية فيهم وخرصان لدن السمهري المثقف
علالتنا في يوم كل كريهةٍ باسيافنا والقرنُ لم يتفرّف
ابينا فلا نعطي اللواء عدونا قياماً باعضاء السراء المعطف
بكل هتوفٍ عجسها رضويةٍ وسهمٍ كسير الحبيري المونفر
فان يك عزٌّ في قضاعة ثابتٌ فان لنا في رحرحان واسقفٍ
كتائب شهباً فوق كل كتيبةٍ لواء كظل الطائر المتصرفِ

قال فطربت الفرسان من هذه الابيات وتناشدتها الشعراء والسادات وهي من جملة قصائد عنترة المختارات ثم انهم جدوا في السير وسابقوا بسيرهم الطير يتقدمهم عنترة ومفرج الوحش والملك قيس بن زهير وعنترة لا يصدق بالوصول الى جبل الغمام لما في قلبه من الوجد والغرام وما زالوا يقطعون القفار والسهل والاوعار حتى وصلوا الى الجبل عند طلوع النهار وهم في غاية الفرح والاستبشار فالتقتهم الاماء والحرائر وفي ايديهنَّ الدفوف والمزاهر واستقبلنهم بالبشرى والبشر وهنانهم في ذلك النصر فزادت افراحهم وزالت همومهم واتراحهم ونزلوا في المضارب والخيام واكلوا الطعام وشربوا المدام واقاموا في ذلك الجبل مدة خمسة ايام وهم في سرور وافراح وحظ وانشراح وفي اليوم السادس طلع من امامهم الغبار والقتام وثار من سائر الجهات كما يثور الغمام وسمعوا فيه صياحاً يقرع الاذان ويذهل الخواطر والاذهان وبعد ساعة انكشف العيان وبان من تحته عشرة الاف من الفرسان كانها مردة الجان على خيول اخف من الغزلان وهم ينادون عن فرد لسان يالقحطان يا شيبان وقد امالوا رؤوس الخيل نحو بني عبس وعدنان. قال الراوي وكانت هذه العساكر من جملة القبائل والعشائر الذين كاتبهم مسعود بن مصاد وطلب منهم المساعدة والامداد كما تقدم الايراد. قال الراوي فلما نظرت بنو عبس الى كثرة الرجال استعدوا للحرب والقتال وانحدروا اليهم بقلوب كالجبال وفي اوائلهم حية بطن الواد الامير عنترة بن شداد ومفرج الوحش الفارس الجواد ولما تقابل الفريقان والتقى الجمعان انطبقت العساكر على العساكر كانها البحور الزواخر وعملت السيوف البواتر في الصلوع والخواصر هذا وعنترة يهدر كانه الاسد الكاسر ويجول في الميامن والمياسر ويطعن طعناً يذهل البصائر ويعمي النواظر فتعجبت الفرسان من فعاله واندهلت من هول قتاله وما زالوا على تلك الحال وهم في اشد قتال الى ان ولى النهار واستحال واقبل الليل بالانسدال فعند ذلك انكفأت تلك الطوائف عن الحرب ورجعت عن مقام الطعن والضرب وهم يتعجبون من قتال عنتر وما فعل في ذلك

اليوم المنكر وكيف انهُ فرّق الفرسان في ساحة الميدان وفعل افعالا تعجز عنها مردة الجان فقال لهم احد الابطال اعلموا ايها الرجال ان فرسان هذه القبيلة من اشد الناس باسا واقواهم مراسا لا يهابون الموت ولا يخشون حلول الفوت قد اتصفوا بالجود والكرم وشاع ذكرهم في سائر الامم ولو لم يكونوا من اشجع الناس في القتال لما كانوا دخلوا الى هذه الاطلال وقتلوا الملوك ونهبوا الاموال وهولاء هم الذين ذكرتهم الشعراء ونقلت عنهم الملوك والكبراء . هولاء هم جمرة العرب اصحاب الحسب والنسب الذين ذكرهم الشيخ عبد المطلب و بالغ في وصفهم واطنب حيث يقول

دلّت على اسلافهم اخلاقهم ... وكذا الفروعُ ادلّة الاعراقِ
قومٌ ضياء البشر في ابشارهم ... تحكي غريب محاسن الاخلاقِ
ان اكرموا فضحوا الانام تكرمًا ... او يسالوا ردوا جواب نطاقِ
واذا العدو اتاهم فرماحهم ... رُسلُ المنون تشكّ بالاعناقِ
قومٌ تلاقي المرهفاتِ جباهُهم ... في يوم ملحمةٍ ويوم سباقِ
لا يخشون من الكماة لانهم ... سادوا الورى بالفضل والاشفاقِ

قال الراوي فلما سمعوا منهُ ذلك المقال اعتراهم الانذهال وايقنوا بالهلاك والوبال هذا ما جرى لهولاء من الحديث والخبر واما ما كان من بني عبس وعنتر فانهم رجعوا طالبين الجبل وهم في غاية الفرح ببلوغ الامل

قال الاصمعي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وثب كلا العسكرين الى البراز والكفاح فعند ذلك جرّدت عساكر اليمن سيوفها وحملت وفعلت بنو عبس مثل ما فعلت وكان اول من قصد ساحة القتال مفري الوحش الاسد الريبال فصال وجال وانشد وقال

مسيكةُ قبل بينكِ ودّعينا ... ومني بالوصالِ وزوّدينا
وان جدّ الفراقُ وكان حتمًا ... وجارَ البينُ فينا فاندبينا
وان هبّ النسيمُ عليك وهنًا ... وذكرَكِ المنازلَ فاذكرينا
تركنا دارنا بالشامِ قفرًا ... بنا كانت تسرُّ الناظرينا
تركناها لسكانٍ سوانا ... وآلفنا اناسًا اخرينا
اناسٍ انزلونا في محلٍ ... من العلياء اعيى الطالبينا
اسود دابهم سمرُ العوالي ... واسيافٌ تقدُّ الدارعينا
فقرّي يا مسيكة واطمئني ... ولا تصغي لقولِ الحاسدينا

فنحنُ العادلينَ اذا حكمنا ونحن المهلكين اذا ابتلينا
ونحنُ النازلين بكل ثغرٍ ونحنُ العازمين اذا عصينا
ونحن الشاربين الماء صفوًا ويشربُ غيرنا كدرًا وطينا
ملأنا سائرَ الاقطارِ خوفًا وبتنا نحنُ فيها آمنينا
تطيعُ اكفنّا سمرُ العوالي وعنترةٌ غدا المقدام فينا
همامٌ كلما كثرَ الاعادي رأيناهُ لنا حصنًا حصينا

قال نجد بن هشام فلما فرغ مفري الوحش من هذا الشعر والنظام طلبتهُ الفرسان من سائر القبائل وقصدتهُ بالرماح الذوابل وكانوا اكثر من ماية فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس فلما رأى كثرة عددهم وتزايد مددهم قال لهم ايها السادة الاشراف هذا من طريق البغي والاسراف ليس من طريق العدل والانصاف فابرزوا ان شئتم فارسًا لفارس او عشرة لفارس فلما سمعوا كلامهُ رجعوا عنهُ وقد خجلوا منهُ

قال سعيد بن مالك فبينما هو كذلك واذا بفارس قد خرج اليه وهجم عليه وكان من سادات بني بارق يقال لهُ طارق بن سابق وفي يده رمح خارق وسيف ماحق . فصال مع مفري الوحش وجال ولعب برمحهِ العسال واخذ معهُ في الصدام والقتال ولم تكن الا ساعة من النهار حتى اخبره مفري الوحش غاية الاختبار وكان قد جاولهُ وحاربهُ وطعنهُ بعقب الرمح فاقلبهُ ثم صال وجال ولعب برمحهِ العسال وطلب براز الابطال فبرز اليهِ جبار عظيم الشان يقال لهُ سعد بن صفوان فالتقاه مفري الوحش بقلب كالصوان واخذ معهُ في الضراب والطعان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا

قال الراوي فعند ذلك طلبتهُ الابطال وتصايحت عليهِ الرجال واحاطوا بهِ من اليمين والشمال فلما رأى قلة انصافهم اجتهد في هلاكهم واتلافهم فهجم عليهم هجمة الاسد الغضنفر وتلقاهم بطعن يسبق لمح البصر وضرب يوافق القضاء والقدر وقلب اقوى من الحجر وقتل منهم نحو ماية فارس ولما رأت عساكر اليمن قتالهُ تتابعوا اليهِ من كل جانب وطعنوه بالقنا والقواضب

قال الراوي فعند ذلك صاح عنترة بن شداد في فرسان بني عبس وقراد فحملت من كل شعب وواد وطلبوا الحرب والكفاح وشهروا الصفاح ومدوا الى اعداهم قطع الرماح وحينئذٍ اختلطت المواكب بالمواكب واختلفت رسل المنايا بين مغلوب وغالب وارتفع القتام والغبار وكثرت المخاوف والاخطار وجرى بينهم قتال شديد ما عليهِ من مزيد قال

الراوي ولم يزالوا في اشد ضراب وطعان حتى جرت الدماء مثل الغدران وطاب الموت وهان وبان الشجاع من الجبان وتمددت القتلى مثل البطائح وحامت فوق رؤوسهم الطيور الجوارح وكان القتال في القلب اشدّ من الاطراف فجرى بين القوم ساعة من ساعات التلاف وكان عنترة قد غاص في تلك الكتائب ومزق المواكب واظهر الاهوال والعجائب ونثر الفرسان من على ظهور الجنائب وما زال على تلك الحال وهو يجندل الرجال ويخطف مهج الابطال حتى ادرك مقري الوحش في ساحة المجال وكان قد اشرف على الهلاك ووقع في سوء الارتباك من شدة القتال والعراك وهو يمانع عن نفسه ويقاتل وقد احاطت به المواكب والجحافل فصاح واحرباه لقد هلك فارس النياق واشرف على الهلاك والمحاق ثم انه صاح وحمل بقلب اقوى من الجبل وسطا عليهم سطوة الشجاع البطل وضرب الرقاب واري القتال وابصرت عساكر اليمن منه اشد الاهوال فخافوا من الهلاك والوبال لانهم ابصروا الموت حقًا فتفرقوا عنه غربًا وشرقًا وكان الليل قد اظلم واعتكر فعند ذلك رجع الامير عنتر وتبعته الفرسان على الاثر وكانوا قد ربحوا على ذلك الجمع الكثير وقتلوا منهم نحو خمسماية رجل واسروا نحو مائتي اسير ولما وصلوا الى الجبل وكلوا بالاسارى جماعة من العبيد وامروهم ان يضربوهم الضرب الشديد قال الراوي ولما اصبح الصباح تجمعت عساكر اليمن في تلك البطاح واستعدت للحرب والكفاح وفي تلك الساعة وصلت اليهم ثلاث قبائل من العرب وهم يزيدون عن عشرة الاف فارس منتخب وكانت هذه الطوائف من اقصى بلاد اليمن ومنازلها في سواحل البحر من حدود جدة الى صنعاء وعدن وكانت من اشد الناس بأسًا واقواهم مراسًا لا تهاب الموت الاحمر ولا تعرف خالق البشر بل كانت تعبد البحر اذا زخر وتسجد له كلما هاج وهدر . قال الاصمعي وكان المقدّم على هولاء القوم الارجاس رجل قويّ المراس قد اتصف بين الناس بالشجاعة وقوة الباس يقال له ناجح بن راجح وكانت العرب تلقبه بعفريت السواحل لانه كان يغزو القبائل ويقاتل الفارس والراجل ويسبي الحريم والحلائل . قال الراوي وكان قد بلغه خبر عنترة بن شداد وما جرى له مع الملك مسعود بن مصاد فقال في نفسه ان دام هذا البطل في ذلك البلاد فاز بالذكر دوني وانحطت منزلتي عند العرب واحتقروني فلا بد لي من المسير اليه والقدوم عليه واخذ روحه من بين جنبيه وبعد ذلك انهب الاموال واسبي الحريم والعيال لانني لا ازال اطوف الاقطار وانهب ما في ايدي العبيد والاحرار حتى ابلغ غاية الارب واعود بالفضة والذهب ثم انه جمع هذه الطوائف من العرب وسار بهم بسرعة واهتمام يقطع البراري والاكام حتى وصل الى

جبل الغمام كما تقدم الكلام فالتقتهُ عساكر اليمن بالتوقير والاكرام والتعظيم والاحترام واستبشروا بقدومه واملوا ببلوغ المرام ثم انهم حدثوه بما جرى لهم مع بني عبس وعدنان وما قتل لهم من الابطال والفرسان فلما سمع كلامهم طيب قلبهم وازال خوفهم ورعبهم ووعدهم بهلاك الاعداء ولو كانوا بعدد رمل البيداء وكانت بنو عبس قد اعتراها غم جسيم من قدوم هذا الجيش العظيم لانها كانت قد استعدت للقتال ومبارزة الابطال في ساحة المجال

قال الراوي ولما شاهد عنترة تلك الطوائف القادمة تاهب للمقاحمه والمقاومة وتتابعت خلفهُ الفرسان والابطال بقلوب كالجبال واذا بعفريت السواحل قد برز الى ساحة الميدان كانهُ مارد من الجان وصاح على بني عبس وقال ما بالكم قد توقفتم عن القتال واعتصمتم في روؤس الجبال فان كان ذلك من كثرة الرجال فانكم معذورون على كل حال وانا لا اريد سوى الانصاف كما جرت عوائد العرب الكرام حتى لا يكون لكم سبيلاً للملام وقد اليت على نفسي اني لا اخرج من الميدان حتى تبرزوا اليَّ وتطلبوا مني الامان فابرزوا وانظروا ثم تحدثوا واخبروا

قال الراوي فلما سمعت الفرسان والابطال من ناجح ذلك المقال زال عنها الخوف والوجل وايقنت ببلوغ الامل فعند ذلك برز اليه بعض الفرسان فالتقاه ناجح بقلب كالصوان واخذ معهُ في الضراب والطعان وكان ناجح من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة فضايق خصمهُ ولاصقهُ وسد عليهِ طرقهُ وطرايقهُ وضربهُ بالسيف على عاتقهِ خرج يلمع من علائقهِ فالقاه قتيلاً وفي دمهِ جديلاً ثم صال وجال وطلب براز الابطال فبرز اليهِ فارس ثانٍ من بني عبس وعدنان يقال لهُ عوف بن سنان فلم يدعهُ ناجح ان يفتل العنان حتى اتصهُ واكربهُ وطعنهُ بالرمح في صدره فاقلبهُ فلما شاهد عروة ما فعل هجم عليهِ وحمل

قال الراوي وكان عنترة قد رجع الى الجبل لما ابصر الملك قيساً قد تاخر في باقي الجحفل ولما اجتمع بهِ لامهُ على التاخير وقال لهُ ايها السيد الخطير لقد اطمعت فينا هولاء الطناجير بهذا التدبير وقطعت من الخوف قلب الكبير والصغير فطب نفساً وكن امناً من طوارق المحن ومن كل من في بلاد اليمن ممن اكل الخبز وشرب اللبن ما دام هذا الراس مركباً على هذا البدن فوحق من ادار الافلاك وحكم على الاعمار بالموت والهلاك لا تركت في هذه البلاد ملكاً سواك ثم انهُ انزلهُ الى معركة الصدام وعاد عنترة طالباً الحرب والخصام فوجد عفريت السواحل قد اخذ عروة بن الورد اسيراً وسلمهُ الى اصحابهِ ذليلاً حقيراً

قال الراوي فاستشاط عنترة غضباً واضطرم فواده لهباً واراد ان يبرز الى ساحة الميدان

ويقاتل ذلك القرنان فمنعهُ مفري الوحش من ذلك الشان وقال لهُ يا ابا الفوارس ويا زين المجالس لا تضيق صدرك ولا تشغل من هذا القبيل فكرك فانا اكشف لك العار وابلغك ما تحب وتختار من هذا اللئيم الغدار

قال الراوي ثم انهُ بعد ذلك المقال طلب معركة القتال بقلب اقوى من الجبال فالتقاه عفريت السواحل كانهُ القضاء النازل وزعق فيهِ صوتًا كالرعد الهائل وتطاعنا بالرماح الذوابل على الصدور والمقاتل واختلف بينهما الطعان حتى جاء الحق وذهب الباطل ولاح للموت عليهما علائم ودلائل وتحدثت فيهما السنة القبائل هذا وقد طال عليهما النهار واخبرا بعضهما البعض غاية الاختبار وسمع عنترة صوت عفريت السواحل تحت الغبار فعلم انهُ فارس ثقيل العيار لا يصطلى لهُ بنار فخاف على مفري الوحش من الهلاك والدمار وقال لمن حولهُ من الرجال وحق الاله المتعال لقد خاطرنا بفارس غسان في قتال هذا الشيطان

قال نجد بن هشام ودام بين مفري الوحش وناجح القتال والصدام واختلف بينهما الطعن في ذلك المقام حتى عاد بياض النهار الى ظلام من كثرة الهجوم والالتزام وكان ناجح قد استعظم قتال مفري الوحش لانهُ راه شديد البطش لا يخاف طعن الرماح ولا يهاب لذع الجراح فعلم انهُ من الفرسان الوقاح وانهُ من اخبر الامم بطعن الرمح اللهذم فهجم عليهِ وفاجاه وضرب رمحهُ فابراه واستلب من تحت فخذه حربة اسرع من القضا واحدٌ من البلاء وامضى فزجها بيده واراد ان يطعنهُ بها في جسمهِ فخاف مفري الوحش من وقوع الخطر فاحترز على نفسهِ بالدرقة واستتر فلما راه ناجح انهُ كثير الحذر صاح فيهِ صوتًا يصدع الحجر وطعنهُ بالحربة في جنبهِ الايسر فوقعت في فخذه خرجت من الجانب الاخر فوقع عن ظهر الجواد الى د اط المهاد كانهُ طود من الاطواد فبادر اصحاب ناجح اليهِ وهجموا عليهِ وشدوا كتافهُ واوثقوا سواعده واطرافه واخذوه الى معسكرهم اسيرًا وساقوه ذليلاً حقيرًا فلما انصر الامير عنتر ذلك الفعل المنكر سكر من دون خمر واحمرت عيناه من شدة الغيظ حتى صارت مثل لظى الجمر وانقض على عفريت السواحل وصاح فيهِ صوتًا كالرعد الهائل وطعنهُ بالرمح الاسمر طعنةً لا تبقي ولا تذر فالتقاه بالدرقة فانكسر ثم هجم على عنتر اسرع من لمح البصر فالتقاه عنترة بالحسام وتصادما اعظم صدام واشتد بينهما القتال واتسع عليهما المجال واخذا في الجد والخداع والوصل والانقطاع الى ان انصرم النهار واقبل الليل بالاعتكار وهما في قتال احر من لهيب النار وقد ايقنا بالهلاك والبوار من شدة الحرب ومواقع الضرب الذي يذهل النظر ويعمي البصر وكان اكثرهما فزعًا عفريت السواحل لانهُ راى عنترة كالجبل الذي لا تزعزعهُ

الزلازل او البحر الذي لا يعرف لهُ قرار ولا ساحل فرجع عنهُ تحت جنح الظلام وعاد عنترة الى جبل الغمام وفي قلبهِ على مفري الوحش وعروة النار التي لا تطفى واللهيب الذي لا يخفى ففرح الملك قيس بسلامة عنتر واثنى عليهِ وشكر وسالهُ عن خصمهِ ناجح بن رامح فقال وحق من اوسع البيد وانبع الماء من صم الجلاميد ما هو الا من الابطال الصناديد ويحق لهُ ان يلقب بعفريت السواحل اذ ليس لهُ في فرسان هذه القبائل من مماثل وما هو الا في طبقة مفري الوحش البطل الشجاع وما اسره الا بالحيلة والخداع ثم ان الامير عنترة استدعى باخيهِ شيبوب الصل الاغبر فلما حضر قال لهُ اريد منك الان ان تقصد جموع بني قحطان وتكشف لنا خبر عروة ومفري الوحش الاسد العرين وتعود الينا بالخبر اليقين فقال شيبوب اني ابذل المجهود في كشف الاخبار واعود اليك قبل طلوع النهار ثم انهُ خلع ثيابهُ ولبس ثوباً من الخام قصير الاكمام ونزل من جبل الغمام وطلب مضارب القوم بسرعة واهتمام حتى صار بين اطناب الخيام فوجد العرب في جدال وخصام من اجل ناجح وعنترة البطل الهمام فمنهم من كان يفضل ناجحًا على عنتر ومنهم من كان يقول ان ناجحًا افرس واقدر ولو لم يكن افرس اهل زمانه واوحد عصره واوانه لما كان اسر هذين الفارسين اللذين طار صيتهما في الخافقين قال مجد بن هشام وما زال شيبوب يشق المضارب والخيام وهو يسال عن مضرب ناجح بن رامح حتى وصل الى خيامهِ فوقف هناك مع جملة عبيده وخدامهِ وكان عفريت السواحل جالسًا على ركبتيهِ والنار تضرم بين يديه ومن حولهِ الحجاب والغلمان والسادات والفرسان وكان مع هذه القوة والشجاعة قبيح المنظر افطس الانف غليظ المشفر فصار شيبوب ينظر اليهِ مع جملة من حضر فبينما هو كذلك اذ قد دخل على عفريت السواحل جماعة من سادات القبايل فتقدموا اليهِ وهم يعربدون كالسكارى واستشاروه في قتل الاسارى ولما اكثروا عليهِ الكلام قال لهم اعلموا يا وجوه العرب الكرام اني ما اتيت من بلادي الى هذه الاطلال في طلب المال والنوق والجمال لان اموال العرب مباحة لي من القريب والبعيد . اخذ منها ما اختار واترك لهم ما اريد وما قصدت هذه الديار الا في طلب علو المنزلة والافتخار على سائر فرسان الاقطار وقد عولت الان ان اظهر فروسيتي لهذه القبيلة التي شاع ذكرها في بلاد العربان حتى اذا قبضت على فرسانها وسبيت حريمها ونسوانها ابحت لهذه الطوائف اموالها ونوقها وجمالها ولكن لا يصح هذا الكلام ايها السادة الكرام الا بعد ان اقبض على اسودهم البطل المغوار والليث الكرار الذي خرج اليَّ اخر النهار لاني رأيتهُ من اشد الجبابرة الذين اتصفوا بالشجاعة والمقدرة واريد ان ابقي هذين البطلين في عزازة واكرام

لبعد نهاية الحرب والصدام حتى اذا وقعت في يد ذلك الاسد الريبال افدي بها نفسي من الاعتقال ولا تظنوا اني قلت هذا الكلام من شدة الفزع والخوف والهلع لا وحق البحر اذا زخر وهاج وهدر ولكن الرجل العاقل والحازم الفاضل يجب عليه ان يقدر العواقب ويحد الامور بالراي الصايب والفكر الدقيق الثاقب ولا يامن غدرات الزمان ولا يحدث نفسة بالغلبة في كل وقت واوان ثم انة بعد هذا الكلام تفرقت عنة العرب الى المضارب والخيام ولما اراد المنام حانت منة التفاتة في ذلك المقام فرأى شبوبًا واقفًا مع جملة الخدام وعليه ثوب اسود من الخام فانكر امره ودعاه اليه واوقفة بين يديه وقال لة من اي العرب انت يا غلام اصدقني بالكلام والاقطعت راسك بهذا الحسام فبكى من فواد جريح وقلب قريح وقال اعلم يا صاحب الشجاعة والقدرة اني من بني كلب بن وبرة فقال وعلى من انت لابس ثياب السواد قال على مولاي الملك مسعود بن مصاد سيد هذه الاراضي والبلاد الذي قتلة عنترة بن شداد نسل الاوغاد وقد انفذني مولاي حسان بن مسعود اليك وهو يسلم عليك ويطلب منك ان ترسل لة الاساري الذين وقعوا في يديك حتى يبلغ منهم اقصى مراده ويشفي بعذابهم غليل فؤاده وسوف ترى منة ما يسر خاطرك ويقر بة ناظرك وما جاسست الى اخر الناس وانا خامد الانفاس الا حتى احدثك بذلك سرًا ولا اكتم عنك امرًا ولست اريد ان اثقل عليك بالكلام ايها البطل الهمام لان الليل قد مضى اكثره وبقي ايسره فان كنت لا تقضي حاجة مولاي وتبلغني ما اريد من اعداي فاني الج على وجهي في الافاق واقصد بلاد العراق واقيم فيها تحت ظل الملك النعمان سيد قبائل العربان الذي اتصف بالجود والاحسان واني اشير عليك براي يكون لك فيه الحظ الاوفر والجاه الاكبر فان رايتة صوابًا فافعلة والا فاتركة واهملة فقال لة ناجح وقد اندهل من كلامه وتعجب بماذا تشير عليَّ يا وجه العرب قال متى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح تقصد ساحة الميدان وتبارز عبد بني عبس وعدنان وتأسره في معركة الطعان وبعد ذلك تسير بالجميع عند الملك النعمان فهو ينضاك على جميع السادات والشجعان لانة يتمنى لهذه القبيلة الهلاك والقلعان وقد اباح دماءهم لجميع العربان وما تعود من بلاد العراق وتلك الديار الا وانت في زي الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار ولا سيما اذا بارزت امامة الابطال وقهرت صناديد الرجال لان الملك النعمان يعشق الشجعان كما تعشق الرجال النسوان وكانت هذه الطائفة العبسية والعصابة العدنانية من اقرب الناس اليه واعزهم عليه وكان يتمنى لهم النجاح والخير ومن فرط محبته لهم تزوج باخت ملكهم قيس بن زهير غير انهم اخيرًا تمردوا عليه وتكبروا وبغوا وتجبروا ولم

يعودوا يسمعون لهُ كلاماً ولا يرفعون لهُ مقاماً ولا يحفظون لهُ عهداً وذماماً وها انا قد اوقفتك على حقيقة الحال فدبر ما ترى ايها السيد المنضال

قال مجد بن هشام فلما سمع ناجح من شيبوب هذا الكلام تعجب من تقلبات الايام واندهل من ذلك الاتفاق لانهُ كان قد عول تلك الليلة ان يرحل الى بلاد العراق ويقصد الملك النعمان سيد قبائل العربان خوفاً من عواقب الامور وطوارق المحذور لانهُ كان قد خاف من عنتر لاجل ما وقع في قلبهِ من الخوف والحذر وقال في نفسهِ لو انني ملكت اموال بني عبس وعدنان وفرقتها على من اجتمع معي من العربان لا يدخل في قسم كل ماية بطل اكثر من ناقة او جمل ومع ذلك اني احتاج الى قتال ذلك العبد الاسود الذي ناره في الحرب لا تخمد واخاف ان انا التقيتهُ في الميدان اقع من بعد الربح في خسران وقد سمعت ان هولاء القوم من اعداء النعمان ومن الصواب ان اسير بهذين الاسيرين اليه واقدمهما بين يديه واخذ منهُ ما يسر قلبي من الخلع والانعام واستريح من القتال والصدام لان الشجاعة بالتدبير خير من القتال الكثير

قال الراوي ثم انهُ قال لشيبوب وقد تعجب من حلاوة الفاظهِ التي تاخذ بمجامع القلوب ما اسمك يا غلام لانني اراك لي من انصح الانام فقال يا مولاي اسمي شعيب بن الريب فقال اعلم يا شعيب لقد اشرت عليَّ بالصواب وتكلمت بالامر الذي لا يعاب والان فقد اشتد عزمي برايك السديد وفكرك الرشيد وقد علمت انك موفق وسعيد وقد ذكرت لي ان مرادك تترك هذه الافاق وتقصد بلاد العراق فانا اخذك في صحبتي واساويك بروحي ومهجتي واستشيرك في كل الامور لانني اراك نجيباً وحذور . فشدّ عزمك وحيلك وان كان لك حاجة فاعلمني بها حتى اقضيها لك فقال شيبوب لا زلت يا مولاي للقاصدين ملاذاً وللراغبين معاذاً واني لا اريد منك الا ان تكون بخير محفوظاً بعناية الله من كل ضير . وجل قصدي وغاية المراد ان لا ترحل من هذه البلاد الا باسر عنترة بن شداد والا انهدم مجدك وانحط سعدك اترضى يا مولاي لنفسك المزية وانت صاحب الهمة والعزيمة والاوصاف العطرة والمكارم المشتهرة فذكرك قد اشتهر في سائر الاقطار عند الكبار والصغار وقدرك ارفع من ان نقضي حقهُ زاخرات البحار والراي عندي ان تقيم الى الصباح وتطلب معركة الكفاح وتبارز ذلك العبد الكشحان في ساحة الميدان وتاخذه اسيراً الى الملك النعمان

قال مجد بن هشام وما زال شيبوب يحدث ناجحاً بزخاريف الكلام حتى انطلى عليهِ المحال واجابهُ الى ذلك المقال ولما انتصف الليل وطلع نجم سهيل قال ناجح لشيبوب قم يا شعيب

الان واقصد ذلك الصيوان وارقد عند العبيد المتوكلين باعداك وساعدهم على عذابهم هناك حتى يطيب قلبك ويقر قرارك وتخف عنك لهيب نارك لانهُ قد تحقق عندي بان وجهك سعيد ومبارك فعند ذلك وثب شيبوب اسرع من الفهد وقصد الخيمة التي فيها مقري الوحش وعروة بن الورد فالتقتهُ العبيد بالترحيب والاكرام وقدموا لهُ الطعام والمدام ثم باسطوه بالكلام واحترموه غاية الاحترام فوجدوه كثير المزاح يحب اللعب والانشراح ولما انتهى من اكلهِ وشرابهِ وحديثهِ وخطابهِ قال للعبيد يابني الخالة الكرام اين هو فارس الشام الذي شاع ذكره بين الانام لاني قد سمعت عنهُ اخبارًا تحير الاوهام فقالوا لهُ هو ذلك الرجل الطويل الاشقر الذي كانهُ الاسد الغضنفر وما اسره سيدنا الا بعد حرب يدهش البصر ويعمي النظر فتقدم شيبوب اليه ولطمهُ بين عينيه وقال لهُ لعن الله بطنًا حملك فما اشجعك وما ارجلك ولكنك قد وقعت بسوء عملك ولا بد ان يحملك مولاي ناجح الى الامير حسان بن الملك مسعود ويشفي بقتلك القلوب والكبود وان وقع بيدنا ذلك العبد الاقشر المسمى بعنتر بلغنا غاية القصد والوطر لانهُ هو الذي قتل مولاي مسعود . وترك اهلنا تلبس عليهِ الثياب السود فقال لهُ مقري الوحش وقد اغتاظ من ذلك المقال والله ياابن الانذال لقد ساء فالك وخابت امالك فلا بد لعنترة ان يفرق هذه القبائل ويمزق شمل هذه الجموع والجحافل ويقاتل جميع الابطال ويخلصنا من الاسر والاعتقال

قال سعيد بن مالك وكان عروة كلما سمع مقري الوحش يشتم شيبوبًا ينهاه عن ذلك ويقول لهُ يافارس الشام لا تغلظ بالكلام هذا هو شيبوب اخو عنتر فارس ربيعة ومضر وما القى نفسهُ في الخطر الا ليخلصنا من قبضة هذا الاسد الغضنفر هذا ومقري الوحش يقول لهُ ياابا الابيض الى كم انت توجع قلبي بكلام المحال الذي هو اشد من ضرب الصارم القصال فمن اين يقدر شيبوب ان ياتي الى هذا المكان وما هو الا من عبيد الملك حسان وانا والله لا اصبر عن جوابهِ ولا اسكت عن خطابهِ فوحق من ادار الافلاك وقضى على الانفس بالهلاك ان ضرب الرقاب اهون عليَّ من ان اسمع هذا الخطاب

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح تواثبت الرجال الى صهوات الخيول وجردت الفرسان النصول واصطفت القبائل واعتدلت الجحافل وتقدمت الابطال الشداد الى معركة الطراد وكان اكثرهم قلقًا الامير عنترة بن شداد فبرز الى ساحة الميدان بقلب اقوى من الصوان وطلب قتال الابطال والفرسان وهو ينشد ويقول

لا يطفئ اليومَ نيراني ولا حرقي الا اختلاف القنا والطعن في الحدق

ولا يزيلُ همومي غيرُ معمعةٍ   تسيلُ فيها الدما كالعارض الدفقِ
وانثرُ الهـــام بالعضبِ اليمان كما   ترمي العواصفُ والارياحُ للورقِ
واتركُ الخيلَ في الاقطار شاردةً   تدوسُ في جيف القتلاء والحدقِ
تعدو خفافًا خلت منها فوارسهـا   وليس تأمنُ رجلاها من الزلقِ
ياساقي الموت زد كاس الحمام وقلْ   انا شربناهُ من غمٍّ ومن حرقِ
غنِّ على نغمات البيض لي فانـــا   اصبحتُ نشوانَ من همي ومن قلقي
فقد وعدتُ حسامي ان اصيغ لهُ   قمحًا من الراس او غمدًا من العنقِ

قال نجد بن هشام فلما فرغ عنترة من هذا الشعر والنظام خرج اليهِ فارس معتدل القوام مضيق اللثام حافي الاقدام وعليهِ ثوب من الخام قصير الاكمام وهو خالٍ من الزرد والحديد المنضَّد متقلد بسيف خلق الحمائل وللفروسية عليهِ علائم ودلائل فلما راه عنترة قد قاربهُ انكر امره وابى ان يحاربهُ وقال في نفسهِ ان هولاء القوم قد احتقروك ولم يعتبروك واخرجوا لقتالك هذا الفارس الصعلوك وان لم ابلهم اليوم بالويل والحرمان واملأ من جثث قتلاهم ساحة الميدان انحط قدري عندهم وهان

قال الراوي ثم انهُ صاح على ذلك الفارس وهجم عليهِ هجمة الليث العابس واذ قد اعترضهُ فارس اخر كانهُ الاسد الغضنفر وكان اعظم من الفارس الاول واعرض واطول وطلب عنتره مثل القضاء المنزل او الريح المرسل ولما دنا منهُ واقترب قال لهُ حياك الله يا وجه العرب وهناك بخلاص احبابك من الهلاك والعطب فابشر بالنصر على اعداك فان في هذا اليوم تدور عليهم رحى الهلاك ثم انهُ بعد هذا الكلام كشف عن وجههِ اللثام فتاملهُ الامير عنتر وامعن فيهِ النظر واذا بهِ مفري الوحش الفارس الفرد واما الفارس الثاني فكان عروة بن الورد ففرح عنترة واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر وقال والله يا بني عمي لقد خففتما تعبي وارحتما سري وكربي فاخبراني كيف كان خلاصكما من يد قناصكما فقالا كان خلاصنا من الاغلال والقيود على يد اخيك شعيب عبد الامير حسان بن مسعود ولولاه لكنا اصبحنا في ابعد مكان نقاسي الذل والهوان

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة منهما ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال وحق من يعلم الغيب اني لا اعرف لي اخًا يدعى شعيب حتى ولا نصيب فقالا لهُ نعم ايها الليث الغشمشم ان اخاك شيبوبًا دعى نفسهُ بهذا الاسم المبهم واتى الى الامير نابح في زي رسول وناصح قال لهُ انا عبد الامير حسان ابن الملك مسعود واحتال اليهِ حتى خلصنا من الاصفاد

والقيود وقال اركبوا من هذه الخيول الضوامر وتغلغلوا بين هذه الاحزاب والعشائر وعند الصباح ابرزوا الى ساحة الميدان كانكم تريدون الحرب والطعان ومبارزة الابطال والفرسان فامتثلنا الى ما امر وفعلنا كما ذكر ونحن متعجبون مما جرى وقد اتينا اليك كما ترى

قال الاصمعي فتعجب عنترة من تلك القصة العجيبة والحادثة الغريبة ثم سالهما عن اخيه شيبوب وقد خاف عليه من طوارق الخطوب فقالا تركناه حول مضرب ناجح بن راجح وقد قال لنا اذهبا انتما واطلبا الفرج من هذا الضيق والحرج واما انا فلا ابرح من هذا المكان حتى اقتل هذا القرنان فامتثلنا قوله وما ندري بعد ذلك ما جرى له ثم انه التفت على مقري الوحش فارس الشام وقال له ايها البطل الهمام اذهب انت الى زوجتك وارها طلعتك واقم عندها حتى تبرأ جراحك ويبدو صلاحك فاجاب وامتثل وقصد ذروة الجبل وبقي عنترة في ساحة الميدان يطلب براز الفرسان وما في القبائل من الشجعان من عرف هذين الرجلين وكيف انهما سلما انفسهما الى عنترة من دون ضراب ولا طعان

قال الراوي ولما ابصر عنترة توقف الفرسان عن الطعن والضرب حمل على فرقة منهم واضرم نار الحرب وسطا عليهم سطوة الاسد الكاسر وبذل حسامه في الضلوع والخواصر وما خرج من تحت الغبار حتى غابت الشمس واقبل الليل بالاعتكار وقد اروى الارض بالدما وعاد وجود القوم عدما وعادت العساكر الى الخيام وقد ابصرت من قتاله ما يحير الاوهام ويشيب الاطفال قبل الفطام وباتت تلك الليلة في قلق عظيم وغم جسيم

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انتخت الفرسان الفحول وتقلدت النصول وركبت ظهور الخيول وبرزت الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان واذا بالامير عنترة قد ظهر كانه الاسد الغضنفر فصال وجال وطلب براز الابطال وانشد وقال

لقينا يوم صهباء سريه ... حناظلةً لهم في الحرب نيه
لقيناهم باسيافٍ حدادٍ ... وأُسدٍ لاتخاف من المنية
وكان زعيمهم اذ ذاك ليثًا ... هزبرًا لايبالي بالرزيه
فخلفناه وسط القاع ملقىً ... وها انا طالبٌ قتل البقيه
ورحنا بالسيوف نسوق فيهم ... الى ربوات معضلة خفيه
وكم من فارس منهم تركنا ... عليه من صوارمنا قضيه
فوارسنا بنو عبس وانّا ... ليوث الحرب ما بين البريه
نجيد الطعن بالسمر العوالي ... ونضرب بالسيوف المشرفيه

وتنعل خيلنا في كل حربٍ | من السادات اجماقًا دميه
ويومَ البذلِ نعطي ما ملكنا | من الاموال والنعم البهيه
ونحن العادلين اذا حكمنا | ونحن المشفقين على الرعيه
ونحن المنصفين اذا دعينا | الى طعن الرماح السمهريه
ونحن الغالبين اذا حملنا | على الخيل الجياد الاعوجيه
ونحن الموقدين لكل حربٍ | ونصلاها بافئدةٍ جريه
ملانا الارض خوفًا من سطانا | وهابتنا الملوك الكسرويه
سلوا عنا ملوك الشام طرا | وفرسان الملوك القيصريه
انا العبد الذي بديار عبسٍ | ربيت بعزّة النفس الابيه
سلوا النعمان عني يوم جاءت | فوارس عصبة النار الحميه
اقمتُ بصارمي سوق المنايا | ونلتُ بذا بلي الرتب العليه

قال نجد بن هشام فما انتهى عنترة من هذا الشعر والنظام حتى برزت اليهِ الفرسان وتبادرت اليهِ الاقران من كل جانب ومكان فجعل ينهب ارواحها ويعدمها صلاحها وما زال على تلك الحال وهو يجندل الابطال حتى اهلك نحو مائة رجل عدا عن الذي جرح واسر وكان اخر من برز اليهِ من سادات القبائل وقواد العساكر والجحافل الامير نابح الملقب بعفريت السواحل وكان قد اندهش وتحير واخذه من فعال عنترة الملل والضجر وما كان تاخر الى ذلك الوقت عن البراز الا لاشتغال باله بفكاك فرسان الحجاز لانهُ كان عند الصباح قد افتقدهم فما وجدهم فاستشاط غضبًا واضطرم فواده لهبًا وايقظ العبيد وسألهم عن الاسارى فنهضوا من مراقدهم وهم حيارى سكارى وقالوا وحق ذمة العرب وشهر رجب ما عندنا منهم ادنى خبر وقد كنا في غاية التيقظ والسهر الى ان قدم علينا شعيب وقت السحر فحيانا بالسلام ولاطفنا بالكلام ثم تقدم نحو الاسيرين وتهددهما بالخطاب واوعدهما بشنيع العذاب بعد ما وبخهما على قبيح اعمالها فلما راينا منهُ كثرة الغيرة والاجتهاد وانهُ لهما من اكبر الاضداد تركناه عليهما ملاحظًا وحارسًا ومحافظًا ورقدنا بعد ذلك ونمنا الى الان ولم نعلم بما جرى وكان فقال لهم نابح وحق البحر المالح اني لا اشك بان شعيبًا قد فكهما من السلاسل والقيود وسار بهما الى مولاه حسان بن مسعود وما كان كلامهُ معي الا بهتانًا وزورًا وكذبًا وغرورًا حتى اشغلني عنهما وبلغ قصده منهما فان صحّ هذا المقال وبان لي الصدق من المحال لاضربنَّ رقابكم في الحال واجعلكم مثلاً يذكر في قبايل البدو والحضر ما دامت الشمس والقمر لانكم

انكلتم عليه واغتررتم بمحالهِ حتى وقعتم بشرك احتيالهِ على ان قلبي قد نفر منهُ بالكلية لما سمعت لغتهُ حجازية ولكني قلت في نفسي لربما يكون مسعود بن مصاد اشتراه صغيراً من تلك البلاد وهذبهُ واحسن اليهِ حتى صار يعتمد في اموره عليهِ

قال نجد بن هشام فبينما هم في الحديث والكلام واذا بعبيد حسان بن مسعود قد دخلوا عليهِ وسلموا وقبلوا الارض امامه وخدموا وقالوا اعلم ايها الامير المحترم والسيد المكرم والليث الغشمشم صاحب الند والعلم ان مولانا حساناً يقريك السلام ويقول لك بحق البيت الحرام وما كان بينك وبين والده مسعود من العهود والذمام ان ترسل لهُ الاسارى الانذال الذين وقعوا تحت قبضة يدك في الاسر والاعتقال لانهُ قد بلغهُ من بعض الرجال ما فعلتهُ بهذه الطائفة العبسية والعصابة العدنانية التي اذلت رقاب فرسان البرية ويريد منك ان تخرج اليوم الى البراز وتجتهد في اسر من بقي من فرسان الحجاز وتاخذ ثار ابيهِ وهو يعطيك من المال ما تريد وتشتهيهِ ولا تتوجه الى غيرك في اخذ الثار وكشف العار

قال الراوي فلما سمع ناجح من العبيد ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال وزاد بهِ الوجد والخبال وقال لهم وكانت الاسارى لم يصلوكم مع عبدكم شعيب قالوا لا وحق عالم الغيب واي شعيب فعند ذلك حدثهم بقصة شيبوب من اولها الى اخرها واوقفهم على باطنها وظاهرها فقالوا ايها السيد المصان اننا لم نسمع قط بهذا الاسم في العربان الا منك الان قال اما تعرفون من السادات الاشراف في هذه النواحي والاطراف من قد استخدم عبداً يدعى بشعيب من الريب قالوا لا نعلم الا اذا كان بعض عبيد هذه القبيلة قد اتى اليك بهذه الحيلة وخلص الاسارى من بين يديك بهذه الوسيلة واننا نعلم ان لعنترة اخاً اسمهُ شيبوب من امهِ زبيبة احوالهُ عجيبة واموره غريبة وهو من احيل اهل الارض في الطول والعرض كانهُ الثعلب المحتال يعجز عن وصفهِ المقال اذا استعمل الحيل اخذ الفارس البطل واذا عمد الى الكحل استلهُ من بين اهداب المقل وربما هو الذي اتى اليك في زي رسول وقاصد وانطلت عليك من حيلهِ المكايد وخلص الاسارى وبلغ المقاصد فلما سمع ناجح كلامهم اندهش وحار وانقلب لونهُ بالاصفرار وركب ظهر الجواد بعد ما اعتدَّ بالة الحرب والجلاد وطلب معركة الطراد كما تقدم الايراد فالتقى بالامير عنتر وكان قد قتل من قتل واسر من اسر فلما رآه عنترة سالماً ايس من اخيهِ شيبوب وترادفت عليهِ الهموم والكروب وبكى بكاءً شديداً ونثرت عيونهُ الدموع دراً نضيداً هذا وناجح ساق جوادهُ الى بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى على بني عبس وقال ويلكم يا انذال قد اسرنا منكم الفرسان والابطال في

الحرب والقتال وانهم خلصتموهم بالمكر والاحتيال فوحق دبني ومعبودي وما اشير اليه في وقت ركوعي وسجودي ان عاد وقع احد منكم في يدي لا ابقي عليه بل آخذ روحه من بين جنبيه فلما سمع عنترة كلامه وفهم معناه زال عنه الغم الذي كان قد اعتراه وعلم ان اخاه شيبوبا في قيد الحياة لانه لو كان ظفر به لكان ذكره في خطابه ثم ان ناجحا صال وجال ولعب برمحه القتال وطلب براز الابطال وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لا يعرفني فسوف يراني انا ناجح الملقب بعفريت السواحل سيد هذه القبائل والجحافل فما اتم كلامه حتى هجم عليه الامير عنتر هجوم الاسد الغضنفر فالتقاه ناجح بقلب اقوى من الحجر وجنان اجرى من تيار البحر اذا هاج وزخر وتقاتلا اشد قتال واختلف بينهما الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح الطوال ووقفت الفرسان والابطال تنظر ما يجري لهما من عجائب الاهوال وما زالا على تلك الحال وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان حتى ضاقت منهما الصدور وقلّ الصبر المقدور

قال الراوي وكان ناجح قد كلّ وملّ وضعف عزمه وانحل وهان بعد عزه وذل وعلم ان الفرسان تتفاضل وان عنترة بطل لا يقابَل فندم على قدومه الى تلك الديار وعلى خروجه الى قتال ذلك الجبار غير انه رضي لنفسه الهلاك والبوار واختاره على الهرب والفرار هذا وعنترة معه في عراك وصدام وطعن يسبق رسل الحمام وقتال يشيب الاطفال قبل الفطام وكان راى من خصمه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فهجم عليه هجمة الاسد وطعنه بعقب الرمح الاملد فوقع الى الارض كالجزع الممدد فعند ذلك زعق على اخيه جرير ليدركه ويشده بالكتاف ويوثق منه السواعد والاطراف

قال الراوي واذا باخيه شيبوب قد فاجاه اسرع من ريح الهبوب وقال له ويلك يا قرنان ويا انذل العربان قد وقعت في قبضة البطل الهمام والليث الضرغام والصارم الصمصام فارس العرب والاعجام وسوف يحل بك الهوان يا ابن اللئام ثم انه بعد ذلك الكلام شد كتافه واوثق سواعده واطرافه وساقه امامه اسيرا وقاده الى اخيه عنترة ذليلاً حقيرا فاندهش عنترة وتحير وفرح بسلامة اخيه واستبشر وزال عنه القلق والضجر وقال له اين كانت

غيبتك يا شيبوب فقد شغلت بالي لانك عمدتي وعليك بعد الله اتكالي قال عند هذا الشيطان

لاني لما اطلقت مقري الوحش وعروة من الاسر والهوان ما زلت اراقبهُ حتى اقضي عليه وآخذ روحهُ من بين جنبيه فلم اقدر ان اصل اليهِ وذلك من ازدحام المكان وكثرة الابطال والفرسان فصبرت عليهِ لحد الآن الى ان خرج الى الميدان ومقام الحرب والطعان فاختلطت في قبائل العربان وقلت في نفسي اني لا ارجع اليكم ولا اقدم عليكم حتى ابصر ماذا يفعل من الفعال حتى اذا ظفر باحد من الابطال احتال على خلاصهِ من الاعتقال الى ان وقع في شرك الاعتقال فاتيت اليه وقبضت عليه لاشفي فوادي بكتافهِ وعذابه واستوفي منهُ ما بقي من حسابه . قال محمد بن هشام فلما سمع ناجح من شيبوب ذلك الكلام التفت اليهِ وامعن فيهِ النظر واذا بهِ قد اندهش وتحير وخفق فواده وانذعر لانهُ قد عرفهُ حق المعرفة بتلك الصفة فقال لهُ ويلك يا عبد النحس اما انت شعيب الذي زرتني نهار امس وادعيت يا لك رسول الملك حسان واشرت عليَّ ان ابارز عبد بني عبس وعدنان وبعد ذلك اسير الى الملك النعمان فقال نعم يا ابن الالف قرنان وكلما تحدثت معك فهو زور وبهتان حتى بلغت اربي ونلت غاية طلبي فتعجب ناجح غاية العجب واشتعل فواده من شدة الغيظ والتهب وقال قاتلك الله ايها العبد اللعين فانك اخبث من الشياطين وانا وحق ذمة العرب وشهر رجب طول عمري ادور القبائل واطرق الحلل والمنازل فلم اسمع بهذا الاسم المبهم لا في العرب ولا في العجم فضحك عنترة من هذا الكلام ومن حضر من الفرسان الكرام

قال الراوي وكان الليل قد اقبل وولى النهار وارتحل فالتجأت بنو عبس الى الجبل وقد فرحوا فرحًا ما عليهِ من مزيد بما منَّ الله عليهم من النصر والتاييد وباتت اعداؤهم تضج وتموج في تلك السهول والمروج وقد كثر بينهم القيل والقال واشتعلت في قلوبهم من فعال عنترة نار الاشتعال

قال الراوي ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح تجمعت حماة القبائل وكماة الجحافل وطلبوا ذروة الجبل بالفارس والراجل فالتقتهم بنو عبس كاسود الاجام واشتبك بين القوم العراك والصدام وارتفع الصياح من كل جانب وعظمت الاهوال والمصائب ولمعت السيوف وازدحمت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع واختلف السيف والسنان وطارت الرؤوس عن الابدان وانعقد الغبار الى العنان وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان ودارت رحى المنايا على الرجال والفرسان وما زال منادي الحرب ينادي الطعان كلت الايادي وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وطارت الجماجم وقطعت السواعد والمعاصم وقامت المآتم وانحلت العزائم

وتطاوحت الابطال عن السروج وامتلات بالاموات المروج وقاتل بنو عبس اشد قتال واعملوا في اعدائهم الاسنة والنصال هذا وعنترة يضرب في الرجال ويجندل الابطال ويجول فيهم عن اليمين والشمال وينثرهم على الرمال وهو مثل الاسد الرئبال حتى افنى منهم عدداً لا يحصى وجمعاً لا يستقصى

قال نجد بن هشام ودام العراك والصدام الى ان ولى النهار واقبل الظلام فافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان ورجع عنترة ومن معهُ من الشجعان كانهُ شقيقة ارجوان مما سال عليهِ من ادمية الفرسان والى جانبهِ الملك قيس ومفرج الوحش فارس الشام وقد استبشر بالنجاح وبلوغ المرام لما ابصر من ثبات فرسان بني عبس وعدنان في ذلك اليوم العظيم الشان فجاش الشعر في خاطره وباح بما اكتتم في ضمائره فانشد وقال

وفوارسٍ لي علّموا بيدي صبرًا على التكرار والكلمِ
يمشون والماذيُّ فوقهم يتوقدون توقُّد الفحمِ
كم من فتى فيهم اخي ثقةٍ حرٍّ اغرَّ كغرَّةِ الرئمِ
ليسوا كاقوامٍ علمتهم سود الوجوه كمعدن البرمِ
حتى اذا قصد العدوُّ لنا بدا لنا حوضٌ من الرضمِ
نعدو فنطعن في نحورهم نختار بين القتل والغنمِ
انا كذلك يا عبيلَ اذا غدر الحايف نعود بالخذمِ
وبكل مرهفةٍ لنا نفذٌ بين الضلوع كطرَّة الفدمِ

وقال ايضاً

ما اشهر السيفَ في كفي واغمدهُ الا وفي حدهِ للضربِ اثارُ
والمهرُ يشهد لي اني اخوض بهِ وسط العجاج وفي اطرافهِ نارُ
واليوم من بعض ايامي التي سلفت وللشجاعِ احاديثٌ واخبارُ
وقد اسرتُ عميد القوم مقتدرًا وصارمي قاطع الحدين بتارُ
فمال يهوي ذليلاً بعد عزتـهِ وهكذا الدهرُ اقبالٌ وادبارُ

قال الراوي ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح تبادرت الطوائف الى ميدان الكفاح وتاهبوا للحرب واستعدوا للطعن والضرب فعند ذلك انحدرت بنو عبس الى اسفل الجبل وارادت ان تفعل كما فعلت في اليوم الاول واذا بغبار قد علا وثار حتى سدَّ منافس الاقطار

فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار وبحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات نعمانية وفرسان عراقية تنيف على عشرة الاف فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس وهم بني لخم وجذام يتقدمهم عمرو بن هند الليث الضرغام والبطل الهمام والسيد القمقام وهو اخو الملك النعمان سيد قبائل العربان وقد اتى من بلاد العراق الى هذه الافاق ليرد بني عبس من بلاد اليمن الى الديار والوطن وكان هذا عمرو من افاضل العرب قد اشتهر بالمروءة والادب يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف وكانت العرب تهابهُ وتخشيه وتحذر من باسهِ وتنفيه وهو اخو النعمان من ابيهِ

قال الراوي وكان سبب قدومه الى هذه المنازل والاطلال المجردة اخت قيس زوجة الملك النعمان لانها لما بلغها الاخبار برحيل اهلها من الديار اشتعلت نيرانها وزادت احزانها ولبست ثياب السواد وواظبت على البكاء والتعداد وكان لا يقرُّ لها قرار في الليل والنهار بل تبكيهم بدموع غزار وترثيهم بنوادر الاشعار فمن اشعارها المشهورة وقصائدها المذكورة قولها تصف ما عندها لهم من الاشواق وما تكابدهُ من الحزن وألم الفراق

وجدي على تلك المنازل باقي ... زادت الى سكانها اشواقي
وعلى رحيلكمْ وبعد دياركم ... جرتْ الجفونُ بدمعها المهراقِ
ياحاديَ الاظعان عرّجْ بالحمى ... فالقلب مني زائدُ الاحراقِ
واقرأ سلامي للحبيب وقل لهُ ... كيف السلوُّ لعاشقٍ مشتاقِ
بلغهم وجْدي وشدّة لوعتي ... من بعد فرقتهم وما انا لاقي
فعليهم مني السلام تحيةً ... ممزوجة بالمسك في الاوراقِ

قال نجد بن هشام وكان النعمان قد دخل عليها في بعض الايام فرآها منهملة العبرات وهي باشد الحسرات تبكي بحزن زائد ولهيب متصاعد وتنشد وتقول من فواد متبول

لو كان لي من يوآسيني على حزني ... ما ذاب حسي ولا اوهى الضنى بدني
ويلاه من حرّ انفاسٍ أُردّدها ... شوقًا الى عرصاتِ الدار والدمنِ
يا طائرًا بات طول الليل منتحبًا ... يرددُ النوحَ في سرٍّ وفي علنِ
ان كنت تندب إلفًا قد فجعت بهِ ... فقد فجعتُ انا في الاهل والوطنِ
أصبحت اندب في ارض العراق على ... ظعن تخطفهُ الاعداء في اليمنِ
أعرجناحك ياطير الاراك عسى ... ارى الاحبة في صنعا وفي عدنِ

واذكرِ الملكَ النعمانَ عهدهم فعفوه واسع جارٍ مدى الزمنِ
وخوفهُ صير الاقطارَ آمنةً ولو خلتْ منهُ ما قرّت من الفتنِ
ولو رأى قلقي والليل منسدلٌ مع علمهِ باشتياقي كان يرحمني
وكيف ينصف اهل الارض كلهم بعدلهِ ويرى ضعفي فيظلمني

قال الراوي فلما سمع النعمان من المتجردة هذه الابيات انهلت من اجفانهِ العبرات لانهُ كان يحبها محبة عظيمة وقد ذكرنا ما جرى لهُ مع ابيها الملك زهير بن جذيمة في الايام القديمة حتى زوجه بها لاجل ما فيها من الحسن والبهاء ثم انهُ دخل عليها في الحال وقال لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك الا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ الامال فلا بد لي ان اردّ اهلك الى المنازل والاطلال ثم انهُ استدعى باخيهِ عمرو اليهِ واعلمهُ بما عول عليهِ وجهزه في عشرة الاف فارس من كل ليث عابس و بطل مداعس وامره ان يسير الى بلاد اليمن ويرد بني عبس الى الوطن فامتثل الى ما بهِ اشار وسار من ذلك النهار يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار وكان قد سمع باخبار بني عبس وعدنان من بعض العربان وما جرى لهم من الاهوال والوقائع في عقبة الفروق وارض المصانع وما اجتمع عليهم من الجيوش والعساكر في اميا عراعر فاسرع في المسير وسابق بمسيره الطير الذي يطير حتى وصل الى جبل الغمام كما تقدم الكلام قال الراوي وعند وصولهِ الى ذلك المكان انكفأت الابطال والفرسان عن الحرب والطعان وتبادر اليهِ السادات والاقران من كل جانب ومكان لما علموا انهُ اخو الملك النعمان ولما اشرفوا عليهِ قبلوا الارض بين يديهِ ودعوا لهُ ولاخيهِ بطول العمر والدوام ما بقيت الليالي والايام فوبخهم على افعالهم وقبح اعمالهم وقال لهم ما هذه الفعال ايها الجهال كيف انكم تجمعتم في هذه الجموع واخليتم الاطلال والربوع وبادرتم الى قتال بني عبس وعدنان وهم اصهار اخي الملك النعمان سيد قبائل العربان وخليفة كسرى انوشروان أما كان فيكم رجل عاقل يردّ الجاهل اما اخشيتم المذمة بين القبائل . قال مجد بن هشام فلما سمعوا من عمرو ذلك الكلام قالوا لهُ ايها الملك الهمام والليث الضرغام وحق البيت الحرام اننا لم نتعرض لهم في قتال او صدام حتى فتكوا في فرساننا وساداتنا وقتلوا ملوكنا وحماتنا وكان اخر من قتلوه من عظماء القواد الملك مسعود بن مصاد صاحب هذه الاراضي والبلاد ولا يخفى عليك ما اثاروا في عقبة الفروق وارض المصانع من الحروب والوقائع التي شاع ذكرها في سائر المواضع ولولا علمنا ايها السيد المصان بان اخيك الملك النعمان قد غضب عليهم واباح دماءهم لما كان احد منا طلب حربهم واذاهم وقد قتلوا منا

خلقًا كثيرًا وجمعًا غفيرًا لا سيما عبدهم عنتر فانهُ فتك فينا وظفر وقتل منا كل اسد غضنفر وبما ان اخاك عنهم قد عفى واجاد عليهم بالرضى بعد الجفا فقل لهم ان يسلمونا اموالنا ومن اسروه من رجالنا لنرحل عنهم بامان من هذا المكان فاجابهم الى ذالك بعد ان خلع عليهم وضمن لهم اطلاق اسراهم

قال الراوي ثم انهُ ارسل الى بني عبس وعدنان بعض الحجاب والغلمان يعلمهم بواقعة الحال فتنزلوا من الجبال بالظعن والعيال والنوق والجمال وقد استبشروا بعودتهم الى الاطلال وتقدم الملك قيس في جماعة من خواص فرسانهِ ودخل على عمرو بن هند في صيوانهِ ولما صاروا بين يديه سلموا عليهِ ودعوا لهُ ولاخيهِ بدوام العز والنعم وازالة البوس والنقم فترحب بهم واحترمهم واذن لهم بالجلوس واكرمهم ثم حدثهم بما جرى وكان وكيف ان اخاه الملك النعمان ارسلهُ اليهم ليردهم الى الاوطان ففرحوا بذلك الشان لانهم كانوا قد ضجروا من الحرب والطعان ومنازلة الاقران ومقابلة ذوابل المرّان فراوا ان الصلح والمسالمة اربح لهم من المقارعة والمقاومة نظرًا لقلة عددهم في تلك البلاد وان اعداءهم كل يوم في ازدياد

قال الراوي ثم ان عمرًا بعد ذلك المقال امرهم باطلاق الاسارى من الاعتقال وان يرذوا بعض ما اخذوه من الاموال والنوق والجمال على المقدمين والابطال فامتثل الملك قيس الى ما بهِ اشار واطلق من كان عنده في الاستئسار بعد ما اخلع على المقدمين وردهم معززين مكرمين وما اقبل الليل حتى تمهدت الامور وانشرحت الصدور وكثرت الافراح وزالت الهموم والاتراح وخلع عمرو بن هند على الملك قيس وعنتر وقواد العسكر من نفائس الجوهر ونوادر الدرّ والحضر ما ادهش البصر وابهت النظر

قال نجد بن هشام وباتوا تلك الليلة في اكل طعام وشرب مدام وسماع انغام وفي ثاني الايام رحل الملك عمرو بني عبس وعدنان الى الديار والاوطان وجدوا في قطع الفلا الى ان وصلوا الى مكان يقال لهُ غدران جابر ومنعرج اللوى وكان ذلك المكان كثير المراعي والغدران فنزلوا فيهِ وسرحوا الاموال في نواحيهِ ولما قرّ بهم المقام قال لهم الملك عمرو اعلموا يا وجوه العرب الكرام ان هذه الارض وعرة المسالك كثيرة الافات والمهالك بعيدة عن العمران لا يوجد فيها احد من السكان الا وقد اخذتم امواله وسبيتم حريمهُ وعيالهُ ومن الصواب ان تكونوا على حذر خوفًا من وقوع الخطر لاني اكره ان اكون في فريق من العرب فينكب وينهب قال نجد بن هشام فلما سمع القوم منهُ ذلك الكلام قالوا لقد صدقت وصوابًا نطقت فمن لا يقدر العواقب نابتهُ النوايب وباتوا تلك الليلة تحت السلاح الى ان اصبح الصباح

وكانت النساء قد اصبحن في غاية التعب من مشقة السفر فاجمع رايهم ان يقيموا ثلاثة ايام في ذلك البر الاقفر قال نجد بن هشام واتفق ان عروة خرج الى المراعي في ثاني الايام في جماعة من الابطال لحراسة النوق والجمال وكان قد امسى المساء ولم يحضر فاخذ عنترة القلق والضجر وركب هو ومقري الوحش ليكشفا الخبر ولما تبطنا البر الاقفر التقيا بجماعة من رجاله وهم راجعون على الاثر فسالاهم عنه فقالوا خرجنا معه الى المرعى والنوق بين ايدينا تسعى فاوسع هو في عرض الفلاه فانتظرناه الى الان ولم نره ولا نعلم ما اصابه ودهاه فلما سمع عنترة ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال

قال الراوي هذا ما كان من عنترة الفرسان واما ما كان من بني عبس وعدنان وعمرو بن هند اخي النعمان فانهم باتوا تلك الليلة في ذلك المكان في امن وامان ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح بلغهم الخبر من بعض الرجال بان خيلاً اغارت على المراعي واخذت النوق والجمال فاضطرب عمرو بن هند من ذلك وضاقت في وجهه المسالك وقال هذا والله ما كنت اتوقعه واخشاه وكان الملك لما بلغه هذا الخبر انهد عزمه وانكسر وايقن بالهلاك ووقع في سوء الارتباك ونادى في سائر اعمامه واخوته ومن يلوز به من اهله وعشيرته فنفرت الفرسان وركبت الشجعان وتبادرت من كل جانب ومكان وركب الربيع بن زياد واخوه عمارة والامير شداد واخوه زخمة الجواد وقد تاهبوا للحرب واستعدوا للطعن والضرب ولما اوسعوا في البر الاقفر افتقد الملك قيس مقري الوحش وعنترة فلم يقف لهما على خبر فاخذه القلق والضجر وزاد كدرًا على كدر وسال الامير شداداً عنهما فحدثه بقصتهما وقال هذا اخر عهدي منهما فصعب ذلك عليه وكبر لديه هذا وقد ايقنت القبيلة بهلاكها وهوانها خوفًا من عفاريت تلك الارض وفرسانها ولما وصلوا الى ذلك المكان جردوا في ايديهم عوامل الاشطان وعلموا ان ما بقي ينجيهم الا السيف والسنان قال الراوي وكان الذي فعل هذه الفعال ونهب النوق والجمال دريد بن الصمة وكان في صحبته اخوه عبد الله البطل المغوار وزوج ابنته الليث الكرار الذي اشتهر ذكره وسار في سائر الاقطار سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار وكان من جبابرة الجاهلية الذين اتصفوا بالشجاعة والفروسية وكانوا قد خرجوا في جماعة من كماة الرجال وصناديد الابطال يطلبون الغارة والمكسب من قبائل العرب وما زالوا يقطعون القفار في الليل والنهار حتى خرجوا من احياء بني قحطان ووصلوا الى ذلك المكان فوجدوا اموال بني عبس وعدنان وقد ملات السهول والقيعان

قال الراوي فلما نظر الامير دريد الى تلك الاموال وكثرة النوق والجمال التفت الى

اخيه عبد الله وقال ابشر فقد بلغنا المارب وتيسرت علينا المطالب لاني طرقت هذه الارض مرارًا وما رايت بها ديارًا غير الطلول والرسوم ونعيق الغربان وصياح البوم والان أرى فيها نعماً لاتحصى واموالاً لاتستقصى وهذا مما يدل على ان سكان هذه الارض والمنازل من اشد العشائر والقبائل واريد ان اعلم من هم من العرب اصحاب الحسب والنسب قبل ان ننهب اموالهم ونسوق نوقهم وجمالهم ونسبي حريمهم وعيالهم

قال مجد بن هشام فلما سمع ذو الخمار منه ذلك الكلام قال له اعلم ايها البطل الهمام ان كل من خرج في طلب الغزو والغارة لايتكلم بمثل هذه العبارة بل يجب على الانسان ان يكون قويّ الجنان لايقدر عواقب الزمان وانا وحق الركن والحجر والهبل الاكبر لو اني وقعت اليوم بال اخي لنهبته وان قاتلني لقاتلته وقتلته وكان هذا ذو الخمار رجلاً غدارًا و بطلاً مغوارًا لايخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت وكان دابه مصارعة الابطال ونهب اموال الرجال وحمل النوائب الثقال وكان قد تزوج بابنة دريد المذكور صاحب الفضل المشهور وقد ذكرنا ماعاش دريد من العمر وما كان له من الصيت والذكر وكان مع كبر سنه ذا فكر ثاقب وراي صائب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وتحكمه في كل امر صعب الا انه لما سمع من صهره ذلك المقال عصفت في راسه نخوة الرجال وهم على الرعيان في جماعة من الابطال ودار بهم من اليمين والشمال ومد اكثرهم على الرمال وساق النوق والجمال وسلمها الى جماعة من الفرسان وقال سيروا في هـذه البراري والكثبان وتاخر هو مع اخيه وصهره في ذلك المكان في عشرة من الشجعان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى ادركتهم بنو عبس وعدنان قال مجد بن هشام ورجعنا الان الى سياق الكلام فلما انكشف الغبار وبان للنظار التفت دريد على ذي الخمار وقال له يافارس قحطان صف لي صفة هذه الفرسان لانه قد ضعف بصري من عظم كبري فقال اعلم اني ارى جيشًا كثيرًا وعددًا غفيرًا وهو مقبل على عجل وفي اوائلهم فرقة اوفى من مائة بطل رهم راكبون على خيول حمر معتقلون برماح سمر قد جعلوا اسنة نصولهم بين اذان خيولهم وهم يلتفتون الى ورائهم التفات الفزعان او الخائف الجبان فقال دريد هذه صفة ال زياد وهم من بني عبس الاجواد ليس لهم ذكر يذكر ولا علم ينشر فانظر ما وراءهم من الرجال والفرسان والابطال فعند ذلك تامل ذو الخمار فيهم ثاني مرة وقال اني ارى طائفة اخرى على خيول دهم مثل الظلام وحديدها اسود من القتام وهي تجر نصولها على اكفال خيولها غير انها اهدا سيرًا من الفرقة الاولى واثبت فوادًا واشد باسًا واقوى جلادًا فقال دريد هذه صفة ال قراد

الذي انتشافيها عنترة بن شداد فانظر هل بقي وراءهم احد من الفرسان والابطال والشجعان قال نعم يا ابا النظر اني ارى فرقة ثالثة سائرة على الاثر ورماحها على اكتافها وهيبة الملك تلوح على اعطافها وهي تدفع الخيل دفعا وتقطع الارض قطعا فقال دريد هذه صفة الملك قيس واخوته ومن يلوذ به من اهله وعشيرته وان صدقني حذري ولم يخطئني زجري فان الملك النعمان قد رضي عنهم الان وانفذ خلفهم الى بلاد اليمن وامرهم بالرجوع الى الديار والوطن ومن الصواب ان نرد هذه الاموال والانعام ونعتذر لهم بالكلام خوفًا من العتب والملام. قال الراوي فلما سمع ذو الخمار كلامهُ انذهل وتحير وقال والله يا ابا النظر لقد غير عقلك الكبر ومضى عليك الزمان وعبر فقد كنت تسمى رحاة الحرب في المواقف العظيمة والان فقد صرت رحاة الهرب والهزيمة فوحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام لو ابصرت اليوم الملك النعمان في هذا المكان ومن حوله عشائر الانس وطوائف الجان وطلب مني ان ارد هذه الاموال لخالفتهُ في هذا المقال فان كنت تخاف من القتال فاتبع المال والرجال ودع عنك ملاقاة الابطال

قال نجد بن هشام فلما سمع دريد منهُ ذلك الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام عصفت في راسهِ النخوة والحمية وهانت عليهِ المنية فحرك الحصان واستقبل جموع بني عبس وعدنان بقلب اقوى من الصوان وتجارت خلفهُ الفرسان فالتقتهم بنو عبس باسنة الرماح ووقع الحرب والكفاح وجرى الدم وساح واشتد الصياح فللهِ در ذي الخمار وما فعل في ذلك النهار فانهُ خاض الغبار والهب الابطال بالصارم البتار وقتل منهم في كرة واحدة عشرة ابطال وكان دريد واخوه عبد الله بن الصمة قد حملا بعزيمة وهمة وقاتلا اشد قتال وبذلا انفسهما لاسنة الرماح الطوال حتى زهقت منها الارواح وقلت قواها من شدة الكفاح

قال الراوي وبينما كان الامير عبد الله يطاعن ويضارب ويجول في المواكب والكتائب استقبلهُ رجل من بني عبس الاطايب يقال لهُ ذوّاب بن اسمى بن قارب وضربهُ على عاتقهِ طلع السيف يلمع من علايقهِ فوقع الى الارض صريعًا يمج علقاً ونجيعًا ولما ابصر دريد ما حل باخيهِ من الويل اسودّ النهار في عينيهِ مثل الليل وتقدم ليقيمهُ من تحت ارجل الخيل فعثر بهِ الجواد فوقع على بساط الوهاد كانهُ طود من الاطواد فادركهُ عمارة بن زياد وطعنهُ بالرمح في جنبهِ وهرب خوفًا ان يقوم اليه ويسقيه كاس العطب وكانت فرسان بني عبس الاخيار قد احاطت بذي الخمار من اليمين واليسار وهو يهمهم ويصول ويدمدم ويجول كانهُ الغول ويضرب فيهم ضربًا اشد من نزول الصواعق ويطعن طعنًا يسبق البلاء الطارق فتعجب

عمرو بن هند من فعاله وشدة حربه وقتاله والتفت على الملك قيس وقال وحق الاله المتعال ان هذا الرجل من اعظم الابطال وما هو الا جبل من الجبال وليس له نظير بين الناس في قوة العزم وشدة الباس فقال الملك قيس اعلم ايها الملك الهمام والليث الضرغام ان هذا الرجل من اعظم فرسان الطراد وهو من طبقة عنترة بن شداد

قال الراوي ثم ان بني عبس طلبته اشد الطلب وانحطت عليه مثل السلهب وسار منهم فرقة من الابطال في طلب النوق والجمال فخلصوها من الرجال ورجعوا بها في عاجل الحال بعد ان قتلوا منهم ثلاثين وهرب الباقون ولما ابصر ذو الخمار ما جرى وكان اطلق العنان وقوم السنان وهمهم ودمدم وصاح على بني عبس وهجم ففرقهم تفريق الغنم وخرج من بينهم وسار وقصد جوانب القفار وكان كلما تبعه احد يرجع اليه ويطير راسه من بين كتفيه فعند ذلك تراجعت عنه الابطال وقد فرحوا برد الاموال والنوق والجمال وهم يقولون لله دره من فارس ما انجبه وما اقوى كتفه واشد عصبه وكانت بنو عبس لما عادت باموالها ونوقها وجمالها تخلف الملك قيس واكابر عشيرته والملك عمرو بن هند بجماعته والربيع بن زياد مع اخوته وعبروا الى مكان القتال وافتقدوا من قتل من الرجال فتبينوهم واذا هم من بني هوازن وجشم الذين اشتهروا بالفروسية وعلو الهمم فقال الملك قيس وحق الكعبة الغرا وابي قبيس وحرا ما دهينا الا من جهة دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة وان صدقني حذري فان ذلك الفارس الذي قاتلنا في هذا النهار هو سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار الذي شاع ذكره واشتهر في قبائل البدو والحضر وهو من اشد الناس الذين اشتهروا بالفروسية وشدة الباس فقال عمرو بن هند وحق النور والنار وما يظهر فيها من الشرار لقد سمعنا باخبار ذي الخمار انه من الفرسان الكبار وقد شاع ذكره في سائر الاقطار عند الكبار والصغار وهو من احب الناس الى اخي النعمان واني اتعجب كيف انه تعرض لكم من دون العربان فقال قيس ما اظن ايها الملك انه قد عرفنا والا ما كان تعرض لنا لان انسابنا متصلة واحسابنا غير منفصلة والان قد مضى ما مضى وفات الامر وانقضى ونحن لابد ان ننفذ الى دريد بن الصمة ونعاتبه على هذه الفعال اذا استقرينا في المنازل والاطلال ثم ان الملك عمرًا والملك قيسًا جمعا الفرسان والاحلاف وعولا على الرحيل والانصراف واذ قد حانت التفاتة من الربيع بن زياد فى ذلك الفلا فابصر دريدًا واخاه عبد الله مع جملة القتلى فصاح من شدة الطرب وقال يا للعرب وحق عزة الله هذا هو دريد واخوه عبد الله وقد لاقاه الله بغيه وجازاه فتقدموا اليه وداروا حواليه فوجدوا دريدًا مطروحًا في الفلاه وهو ملطخ

في دماه ففرح الملك قيس غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والترح وقال لقد طاب الان قلبي وزال كربي وبلغت قصدي واربي وبعد ذلك جدوا في المسير وامعنوا في الجد والتشمير وتوكلوا على اللطيف الخبير

قال الراوي هذا ما كان من امر هولاء واما ما كان من ذي الخمار فانه لما ابعد في جوانب القفار نزل عن ظهر الحصان وجلس بين يديه واخذ يتامل فيما جرى عليه وقد اسودت الدنيا في عينيه لانه لم يكن قد حضر حربًا الا وظفر وفاز بالغلبة وانتصر واقام في ذلك المكان حتى خلا البر من الفرسان وعول ان يسير الى الاوطان فلم تطاوعه نفسه على الهزيمة والفرار وان يترك عمه قتيلاً في جوانب القفار فارتد راجعًا على الاثر كانه الاسد الغضنفر حتى وصل الى مكان المعمعة فوجد الرماح محطمة والاجساد مضعة فنزل في ذلك الفلا وصار يقلب القتلى فسمع رجلاً يئن ويصيح بصوت خفيف فتبينه واذا به عمه دريد وهو مجروح وعلى وجه الارض مطروح ففتح دريد عينيه فابصر صهره من حواليه فدبت الروح في جسده وعاد الى عقله ورشده

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان عمارة بن زياد لما طعن دريد كما تقدم الايراد وهو ملقىً على بساط الوهاد جاءت الطعنة في جنبه فجرحته جرحًا خفيفًا فانهرقت الدماء مثل انبوب الماء ففاق دريد بعد ذلك وفتح عينيه فهرب عمارة من حواليه فشد جراحه فتكلم وقد زال عنه الوجع والالم وبعد ذلك نهض على الاقدام وقال لسبيع وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما كان الذي طعنني الا من اضعف خلق الله والا كان قتلني واعدمني الحياه فقال سبيع قد كان الذي كان وسوف اريك ما افعل في بني عبس وعدنان ان ساعدني الزمان ثم انه اركبه على بعض الخيول الشاردة وجدا في قطع القفار يطلبان الاهل والديار هذا ما كان من امر دريد وذي الخمار اما ما كان من بني عبس الاخيار فانهم كانوا قد جدوا في المسير وسابقوا بمسيرهم الطير الذي يطير الى ان وصلوا الى ارض يقال لها عنقفير فنزلوا في تلك الساحة للمبيت وطلب الراحة ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح استشارت بنو عبس وعدنان الملك قيس في الرحيل من ذلك المكان فقال لهم والله يا وجوه العرب اصحاب المناصب والرتب لقد ضاق صدري وحرت في امري وذلك من جهة فقد عنترة بن شداد واخاف ان انا رحلت من هذه البلاد ان يرجع على الاثر فلم يقف لنا على خبر وان انا انتظرته في هذا البر الاقفر اخاف على اموال القبيلة من الخطر لان هذا المكان عديم الامان

قال الراوي فلما سمع الامير شداد من الملك قيس ذلك الايراد تقدم اليه ووقف بين يديه وقال له ايها الملك المبجل ان كنت قد عولت على الرحيل فارحل لان والدي عنترة كان قد اوصاني قبل ارتحاله وقال لي قل للملك قيس ان انا ابطات اكثر من ثلاثة ايام يرحل برجاله فانا الحقه الى ديار بني عامر وتلك الاحلاف والعشائر . قال مجد بن هشام وقام قيس بعد ذلك الكلام ثلاثة ايام على التمام وهو بانتظار الامير عنتر واذ لم يقف له على خبر رحل بالابطال والعسكر هذا ما كان من بني عبس وعدنان واما ما كان من عنترة الفرسان فانه كان سار مع مقري الوحش الفارس الفرد في طلب عروة بن الورد وما زالا يقطعان الفدافد حتى اشرفا على عرب يقال لهم بنو عطارد فتركها شيبوب في بعض الوديان وقصد هو مكان الرعيان فلما وصل اليهم سلم عليهم فردوا عليه السلام واكرموه غاية الاكرام ثم سالوه من اي العبيد وماذا يريد فقال لهم يا بني الخالة انا من عبيد بني الرزاق لي مولى سيئ الاخلاق لا يرحم عبدًا ولا امة ولا له على احد مكرمة فهربت من بين يديه في هذا النهار وابعدت عن الديار ثم انه بكى بدموع غزار واظهر الذل والانكسار فلما سمعوا كلامه شفقوا عليه ورحموه وقدموا له الزاد واطعموه وقالوا له اقم عندنا بقية عمرك فانك تكون في امان من حوادث الزمان فشكرهم شيبوب على ذلك الاهتمام وبينما هو معهم في الحديث والكلام اذ حانت منه التفاتة نحو الحي فرای دخانًا طالعًا ولهيبًا ساطعًا وجمعًا جامعًا واهل الحي تضج وتموج كانها جوج وماجوج فانذهل وتحير وسال العبيد عن حقيقة الخبر فقالوا اعلم انه قد وقع في يد سيدنا صميدع بن مانع صاحب هذه الاراضي والمصانع رجل من بني عبس اللئام فاغلظ عليه في الكلام وتهدده بقومه الاشرار وكان قد بلغ سيدنا ما فعل قومه في هذه الديار من الفظائع الكبار فعوّل على ان يسقيه كاس الدمار وقد عزم انه لا يقتله حتى يعذبه بالنار ويجعله موعظة في سائر الاقطار وهذا الذي تراه يا مولد العرب من النار والحطب هو لاجل ذلك السبب

قال مجد بن هشام فلما سمع شيبوب منهم ذلك الكلام احترق قلبه وزاد كربه غير انه اظهر الفرح والسرور خوفًا من عواقب الامور وقال لهم وحق رب الارباب لقد اخطأ صاحبكم وما اصاب لان هذا الرجل من اصحاب المناصب والرتب وقومه يعدون من جمرات العرب وقد التقيت بهم بقرب هذا المكان وهم يفتشون على هذا الانسان فمن الصواب والامر الذي لا يعاب ان يركب سيدكم في هذا اليوم ويقصد هولاء القوم ويضع فيهم السيف البتار ومن وقع في يده منهم يحرقه بالنار مع هذا الاسير الغدار

قال نجد بن هشام فلما سمع العبيد منه ذلك الكلام فرحوا الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وقالوا والله لقد قدمت في طالع سعيد ونحن نعلم ان سيدنا يعطيك ما تشتهي وتريد لاسيما ان انت هدية على سرية بني عبس وعدنان وعبدهم الكشحان فلما سمعوا كلامه نجاروا الى الحلة من كل جانب وصياحهم قد اقلب البراري والسباسب فلما ابعدوا عنه عاد كانه البرق الخاطف او السحاب الواكف لانه لما سمع من العبيد ذلك الخبر خاف على عروة من الخطر فاشغلهم بهذا الحديث وارتد راجعاً على الاثر حتى يعلم اخاه عنتر

قال الراوي وكان السبب في وقوع عروة في يد ذلك الجبار الذي قد عوّل على هلاكه بحريق النار حديث عجيب وامر غريب وذلك ان عروة لما ابعد عن رجاله في تلك البراري والاكام كما سبق الكلام التقاه ذلك الشيطان وكان في صحبته اوفى من ثلثمائة عنان فتجارت خلفه الفرسان وداروا عليه من كل جانب ومكان فظفروا به واخذوه اسيراً واوقفوه بين يدي صيدع ذليلاً حقيراً فقال له من اي العرب انت يا شيطان وما سبب مجيئك الى هذا المكان فاخفى عروة نسبه خوفاً من الهلاك والقلعان وقال انا من ارض العراق من اصحاب الملك النعمان سيد قبائل العربان وخليفة الملك كسرى انو شروان وما دخلت الى هذه الارض الا فزعاً منه وابتعاداً عنه لاني قد قتلت له رجلاً يعز عليه ففررت من بين يديه وتغلغلت في البراري والفدافد حتى وقعت في يدك ايها السيد الماجد فافعل بي ما تريد لاني صرت لك من جملة الغلمان والعبيد فلما سمع كلامه رق لحاله واراد ان يطلقه من عقاله فقال له بعض الفرسان لا تسمع يا مولاي كلام هذا الشيطان وما تكلم به فهو زور وبهتان هذا عروة بن الورد من بني عبس وهو صديق عنترة بن شداد ذلك العبد النحس وقد رايته في ارض الحجاز وشاهدت قتاله عند البراز ولو لم نلتقه وهو نعسان لكان قتل منا جماعة من الفرسان وشتتنا الى ابعد مكان

قال نجد بن هشام فلما سمع صيدع منه ذلك الكلام داخله الطرب وصاح من شدة الفرح يا للعرب هذا والله رفيق عنترة بن شداد الذي شاع ذكره في اقطار البلاد وقد اوقعه الله في يدي واليوم ابلغ منه غاية مقصدي ثم انه اخذه وسار وجد في قطع القفار الى ان وصل الى الديار فضرب له اربع سكك من الحديد وربطه بها الرباط الشديد وقال له وذمة العرب وشهر رجب لا بد لي ان اقابلك على فعالك وكذلك ومحالك واشفي بعذابك قلبي وقلوب اهل اليمن واشرب من دمك كما اشرب الماء واللبن لانه قد بلغني ما فعلت انت وقومك في تلك المعاهد والدمن فكم من ملك اسرتم وقتلتم وجمع فرقتم وفللتم لا سيما